سلسلة الكتب الحديثة

العرب واليهود في التاريخ

حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية

بقلم

الدكتور أحمد سوسة

الطبعة الثانية

العربي للإعلان والنشر والطباعة



صورة الغلاف

من روائع الفن الكنعاني الفينيقي

نقش كنعاني فينيقي على طاس من الذهب الخالص عثر عليه في اوغاريت (تل رأس شمرا) يرجع تاريخه الى أواخر القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، يشاهد فيه ملك أوغاريت في عربته في نزهة للصيد وهو يطارد غزالا وبعض الثيران الوحشية ، ويشاهد خلفه أسد جريح يلحق بعربته . وفي الوسط دائرة تدور حولها أربعة غزلان كونت قرونها المتصلة بعضها ببعض دائرة أخرى في الوسط ، ولعل هاتين الدائرتين تمثلان قطيعا من الغزلان متجمعة حول عين ماء . وهذا النقش الرائع يوضح مدى تقدم الفن الكنعاني الفينيقي القديم .

« اننا الان في وضع أكثر ملاءمة من أي وقت مضى لتوضيح علاقـة العنـاصر الاساسية للديانة اليهودية بشـبكة الشعائر الدينية التي كانت سـائدة في البيئة السامية القديمـة بوجهة نظـر تاريخية جديدة » .

الاستاذ صموئيل هوك

مؤلف كتاب

« اصول الديانات السامية القديمة »

محتويات الكتاب

الفصل الاول

الهجرات الرئيسة الى الهلال الخصيب

الفصل الثاني

جزيرة العرب مهد الحضارات السامية

الفصل الثالث

التوراة والديانة اليهودية

الفصل الرابع

التوراة في ضوء المكتشفات الاثارية

الفصل الخامس

عصر ابراهيم واسحاق ويعقوب

الفصل السادس

عصر النبي موسى واليهود

الفصل السابع

يهود العالم وصلتهم بفلسطين

الفصل الثامن

دور الصهيونية والاستعمار في خلق اسرائيل

فهرس التصاوير

رقم التصوير | صفحة

فهرس المرتسمات والخارطات

م ـ ٢

المراجع والمختصرات

ان المراجع في موضوع تاريخ اليهود لا يحصى عددها لكثرتها ولتعدد المصنفات في هذا المال في مختلف اللغات ، واية محاولة للالمام بجميع ما كتب في هذا الموضوع محاولة بعيدة عن مرمى هذا الكتاب ، لذلك اقتصرنا على تدوين المراجع التي اشير اليها في متن الكتاب ، وهي كما مدونة في الملحق الثالث منه ، وقد اتبعنا طريقة اختصار اسماء اسفار التوراة لكثرة الاشارة اليها في الكتاب ، وذلك على الوجه الآتي :

سفر التكوين مختصره	(تك)
سفر الخروج مختصره	(خر)
سفر اللاويين مختصره	(لاو)
سفر العدد مختصره	(عد)
سفر التثنية مختصره	(تث)
سفر يشوع مختصره	(يش)
سفر القضاة مختصره	(قض)
سفر راعوث مختصره	(را)
سفر صموئيل الاول مختصره	(١ صم)
سفر صموئيل الثاني مختصره	(٢ صم)
سفر الملوك الاول مختصره	(١ مل)
سفر الملوك الثاني مختصره	(٢ مل)
سفر اخبار الايام الاول مختصره	(١ أخ)
سفر اخبار الايام الثاني مختصره	(٢ أخ)
سفر عزرا مختصره	(عز)
سفر نحميا مختصره	(نح)
سفر المزامير مختصره	(مز)
سفر الجامعة مختصره	(جا)
سفر اشعيا مختصره	(أش)
سفر ارميا مختصره	(ار)
سفر حزقيال مختصره	(حز)
سفر هوشع مختصره	(هو)
سفر يوئيل مختصره	(يو)
سفر عاموس مختصره	(عا)
سفر المكابيين الاول مختصره	(١ مك)
سفر المكابيين الثاني مختصره	(٢ مك)
سفر يونان مختصره	(يون)

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

منذ نيف واربعين عاما وعلامتنا الدكتور احمد سوسة يوالي امداد المكتبة العربية بالنفيس من المؤلفات والمراجع الباحثة في تاريخ العراق وحضاراته ، فكانت جهوده موضع اعجاب المحافل العلمية والتاريخية في العالم وتقديرها لما امتازت به تلك المؤلفات من دقة في البحث ورصانة في الاسلوب مع لباقة في العرض .

ويتحفنا اليوم الدكتور سوسة بسفره الجديد ((العرب واليهود في التاريخ)) الذي يعتبر بحق من اجل المؤلفات الوثائقية واصدق المراجع الباحثة في هذا الموضوع ، بل انه يتبوأ بحق الصدارة من بين مؤلفاته التي تنيف على الثلاثين مؤلفا ، فقد سلك في تحقيقاته وتعقيباته النهج الموضوعي الرصين والاسلوب العلمي المجرد عن كل عاطفة وهوى ، مما يجعل من الكتاب وثيقة تاريخية يفاخر بها ومن يطالع الكتاب يحظ بالحقائق التالية : ـ

١ ـ ان الادلة والشواهد التي ساقها الدكتور احمد سوسة في هذا الكتاب وما اثبته من معلومات مستندة على احدث المكتشفات الآثارية والتاريخية بدلالة كثرة المصادر التي رجع اليها وبلغاتها المتعددة ، قد ابرز حقائق فريدة في بابها ومعلومات دقيقة لا يعرفها الا القلة القليلة من المتخصصين .

٢ ـ وجوب اعادة النظر في التواريخ المدونة عن مدنيات الشرق القديم بعامة وتاريخ فلسطين بخاصة ، ومن مزايا الكتاب ان العلامة الدكتور سوسة وما ساقه من ادلة دامغة ، تجعله المجلي في هذا المضمار ومتفردا على اقرانه ممن تصدى الى معالجة امثال هذه الامور الحساسة الدقيقة التي تحتاج الى الصبر والمثابرة وسعة الاطلاع ، وانني اعتقد جازما ، ان ما حازه الدكتور سوسة من توفيق في هذا السفر ـ الذي يعز نظيره على الغير ـ تعود اسبابه بالدرجة الاولى الى اطلاع العلامة سوسة على التاريخ العبراني والآداب اليهودية ، وهذا ما لم يتوفر لغيره من المؤرخين .

٣ ـ ومن يقرا الكتاب يشعر بالاسف والحسرة على ضياع عشرات السنين من عمر امتنا العربية المناضلة ، خسرناها بين جد وهزل ، وضعت خلالها الالوف من الكتب والمؤلفات ومن الواجب الاعتراف بان الكثير منها

الحق افدح الاضرار بقضايانا القومية ، فكانت سلاحا بيد الخصوم والاعداء يشهرونه بوجوهنا بكل مناسبة ، مما اتاح للصهيونية والاستعمار ان يكسبا الجولة الاولى في فلسطين ، وكم كنت اتمنى - على الصعيد الاعلامي - لو ان من امثال كتاب الدكتور سوسة الفت قبل سنوات ليطلع العالم على الحقائق الناصعة التي تفضح اساليب الصهيونية في تزييف الحقائق وفرض هذا التزييف على العالم ، وهذا ما حمل وزارة الاعلام على تبني طبع هذا الكتاب وترجمة مقدمته الى اللغتين الافرنسية والانكليزية ليطلع العالم الخارجي على هذه الحقائق الناصعة المجردة من الاساطير .

وختاما نرجو للعلامة الدكتور سوسة التوفيق والعمر المديد ليمدنا بالمزيد من مؤلفاته النافعة والله الموفق الى الخير .

سالم الآلوسي

مدير الثقافة العام
وزارة الاعلام

مقدمة المؤلف

حملتني على وضع كتابي هذا « العرب واليهود[1] في التاريخ » عدة جوافز ، من أهمها الاعزاز العميق لتراث العروبة والاسلام وحضارتهما والاحساس بأن الامة العربية هي بأشد الحاجة في هذا الظرف بالذات لاظهار حقيقة تاريخ اليهود القديم وصلتهم بفلسطين وتعريف القارىء بأصالة عروبة فلسطين منذ خمسة آلاف عام • ومع علمي بما ينطوي عليه هذا الموضوع من تفرعات شائكة وحسّاسة اختلفت فيها الآراء وتضاربت فيها النزعات والميول ، ومع علمي علم اليقين بانه ليس من السهل تغيير المفاهيم التاريخية المتواترة منذ أكثر من ألفين وخمسمائة عام والتي تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل بتأثير التوراة ، فقد أقدمتُ عليه مستمداً من المباديء العلمية التي تستند الى المنطق والعقل السليم الجرأة لخوض هذا الموضوع بغية التوصل الى الحقيقة في مجال التفكير الانساني القويم • ومما أعانني على التوغل في هذا البحث دراساتي الطويلة المتواصلة مدة أكثر من أربعين سنة لأصل الحضارات السامية في وادي الرافدين وعلاقتها بالري والزراعة ، والمعلوم أن حضارة وادي الرافدين القديمة مرتبطة ارتباطاً كلياً بحضارة الشرق الأدنى من ضمنه فلسطين كوحدة جغرافية واحدة لا تقبل الانفصال • وهل ننسى أن تحرير أرض فلسطين من اليهود بالقضاء على اسرائيل ويهوذا قد تم على يد الآشوريين والكلدانيين من قلب العراق قبل أكثر من ألفين وخمسمائة سنة ؟ ••

والبحث الذي أقدّمه هو حصيلة تحقيق واجتهاد عمر كامل قضيت الشطر الأكبر منه في ملاحقة الحقيقة أينما وكيفما كانت •• واني إذ أقدم هذا

---

(١) نقول هنا « اليهود » ولا نقول « بني اسرائيل » لان هذا البحث قائم اساسا على التمييز بين عصر موسى واليهود من جهة وبين عصر ابراهيم ويعقوب (اسرائيل) من الجهة الاخرى ، لانهما على ما نفهمه من التاريخ المبني على الاكتشافات الحديثة عصران منفصلان لا يرتبط الواحد بالاخر بأية صلة ، فبينهما فاصل يمتد عبر الزمن أكثر من سبعمائة عام كما سنوضح فيما يلي •

البحث أترك للقاري أو الباحث أن يأخذ بما يقتنع به من الآراء التي توصلت اليها أو يرفض ما لا يريد منها ، انما المهم هو أن تتجرد من العواطف وأن نبحث هذا الموضوع الخطير بالطريقة العلمية ونركن الى المنطق والى العقل السليم في الاجتهاد والعمل للتوصل الى الحقيقة التي ننشدها جميعاً • ومن القول الشريف « للمجتهد ان أصاب أجران وان أخطأ أجر » •

لقد كتب كثيرون وبحث عديدون في تاريخ اليهود وفلسطين حتى أصبحت لدينا آلاف مؤلفة من الكتب والمعاجم والقواميس ، وكلها تبحث في تاريخ اليهود وكتبهم المقدسة بحيث لا يخرج القارىء الغريب عن الموضوع إلا وقد انطبع في ذهنه بأن اليهود هم بناة الحضارة ، وهم دعاة عقيدة التوحيد ، وهم مؤسسو الثقافة العالمية الخ ••• والكتاب الذين اندفعوا في هذا الاتجاه فريقان : الأول رجال الدين المتعصبون للتوراة ، من يهود ومسيحيين ، وهم الأكثرية ، وفريق آخر من العلماء والكتاب الذين انخرطوا في سلكهم لتقصي الحقائق التاريخية ، فأصبح أكثرهم من غير أن يشعروا دعاة لليهود قبل أن يكونوا رواد علم وحقائق •

ومن الثابت أن سكان فلسطين الأصليين القدماء ، وقد كانوا كلهم عربا ، هاجروا من جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بها ، فعاشوا في وطنهم الجديد « كنعان » أكثر من ألفي عام قبل ظهور النبي موسى وأتباعه على مسرح الأحداث ، وقد أخذ الموسويون بعد ظهورهم في أرض كنعان بلغة الكنعانيين وثقافتهم وحضارتهم وتقاليدهم • هذه حقيقة تاريخية ثابتة ، أيدتها المكتشفات الآثارية الأخيرة ، وأخذ بها العلماء بالاجماع تقريباً • الا أن أكثر الكتاب العرب الذين كتبوا في تاريخ حضارة العرب ، لم يتناولوا هذا الدور في بحوثهم الا عرضا ، ولعل مرد ذلك الى اصطباغ مصادره بصبغة اختصاصية تنحصر بالبحوث الآثارية • لذلك انحصرت بحوثهم في عصور الجاهلية على الاكثر ، فتركوا بذلك فراغا في تاريخ فترة ما قبل عهد النبي موسى في الادب العربي ، وهي الفترة التي عدها اليهود بداية تاريخهم من غير أي سند علمي أو واقع تاريخي ، وقد جاراهم في ذلك حتى الكتاب العرب

معتمدين على الكتابات اليهودية والأجنبية التي قبلوها على علاتها من غير تمحيص • ولقد صدق زميلي في الدراسة المجاهد العربي الاستاذ أكرم زعيتر حين قال : « إن اسرائيل قد استعانت على اغتصاب بلادنا بتزييف الحقائق أكثر مما عنينا بايضاحها » •

وقد عبّر الخبير القانوني هنري كتن عن تأثير الدعاية الصهيونية المضللة في الأوساط العالمية أحسن تعبير حين قال : « فحقيقة مشكلة فلسطين قد طمرت تحت أطباق من التضليل المتعمد والوقائع الشائهة والدعاية المخادعة التي تراكمت على توالي الحقب • والمراقبون العدول ، ومنهم كنديون وسويديون وأمريكيون ، الذين أتيح لهم أن يعالجوا قضية فلسطين بوصفهم موظفين معتمدين من الأمم المتحدة ، قد لاحظوا أن الوقائع تشوّه ، كما لاحظوا صعوبة عرض وجهة النظر العربية أمام الرأي العام العالمي • » ومضى يؤكد « أن الصهيونيين يملكون شبكة من وسائل الإعلام ، وهي الصحافة والإذاعة والتلفزيون ، في عدد من بلدان العالم • وأن جهاز الدعاية الصهيونية بكل تشعباته الكثيرة وبقوته الفائقة وتنظيمه الكفء وموارده المالية غير المحدودة وقدرته على أن يعمل داخل كل دولة باعتباره كياناً داخلياً قومياً ، إنّما يعدّ خطراً على العالم ، لأن قدرته على تزييف الأخبار هائلة ولأن في وسعه أن يقود الرأي العام العالمي وأن يضلّله حسب هواه في أي أمرٍ من الأمور ، ويحمله على تأييد إسرائيل بغض النظر عن الحق والصواب والعدل[٢] •

ويصدق ذلك بوجه خاص على الناحية التاريخية من كيان فلسطين القديم فالمكتبة العربية خالية من أية دراسة علمية تتسم بالحياد التام والحرص على إظهار الحقائق التاريخية بدون التعصب الى أية جهة ، ذلك مما يدعو الى ضرورة سد هذا الفراغ بدراسة علمية لتاريخ فلسطين القديم كي تساعد على تفهّم هذه الناحية المهمة من واقعنا التاريخي وتراثنا العربي المجيد •

وان أهم ما أريد في بحثي هذا هو تعريف القارىء بحقيقة تاريخ فلسطين القديم قبل ظهور النبي موسى وأتباعه على مسرح الاحداث ومن

(٢) « فلسطين في ضوء الحق والعدل » ، ص ١٤٩ — ١٥٠ • ١١

ضمن ذلك دور الحضارة العربية في تكوين المجتمع الفلسطيني القديم ، وتصحيح الخطأ الشائع الذي وقع فيه أكثر الكتّاب والمؤرخين من العرب من ارجاع تاريخ اليهود الى عهود قديمة لم يكن لهم أي وجود فيها ، وقد تقيّدت فيما كتبت بالأسلوب العلمي تقيّدا تاماً بتثبيت المظان أينما استوجب ذلك ، سوى الاستنتاجات والآراء الشخصية التي أبديتها استنادا الى هذه المظان •

لقد أرجع بعض الباحثين تاريخ اليهود الى زمن الأكديين في العراق ، في حين أن الأكديين كانوا قد ظهروا قبل عصر موسى بأكثر من خمسمائة وألفي سنة ، ذلك لأن الأكديين نزحوا من جزيرة العرب الى شواطيء الفرات في حوالي ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، أما اليهود أتباع موسى فانما ظهروا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد أي بعد الأكديين بـ ٢٧٠٠ سنة ، وربط باحثون آخرون بداية تاريخ اليهود بزمن ابراهيم الخليل (ع) ، في حين أنهم لم يظهروا إلاّ بعد ابراهيم الخليل بسبعمائة عام • وربط فريق ثالث تاريخ اليهود بزمن الهجرات العربية الى الهلال الخصيب ، وهذه الهجرات انما حدثت قبل وجودهم بنحو ألفي عام • وقد وقع هؤلاء جميعاً في هذه الأخطاء من إهمالهم ملاحظة التسلسل الزمني ، الذي تعمّد كتبة التوراة إهماله ، ليسهل عليهم ربط تاريخهم بعهود قديمة سبقت وجودهم ، فأدخلوا التشويش على ذهن القارىء بحيث أصبح تائها بين العصور ، فهل هو في عصر ابراهيم أم في عصر موسى ويشوع أم في عصر اليهود ؟ ومن أهم مقاصد هذا البحث هو شرح الفارق الذي يميّز بين عصر ابراهيم الخليل العربي وبين عصر موسى واليهود باعتدادهما عصرين منفصلين لا صلة للواحد بالآخر • وكذلك التمييز بين عصر موسى من جهة وعصر اليهود من الجهة الاخرى ، وبذلك التمييز بين التوراة التي نزلت على النبي موسى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبين التوراة التي كتبها اليهود في الأسر بعد ثمانيمائة عام من عهد موسى وبعد ألف وخمسمائة عام من عهد ابراهيم الخليل ونسبوها الى موسى وابراهيم الخليل زورا •

لقد كانت التوراة قبل الاكتشافات الآثارية الاخيرة المصدر الأساس

الذي يرجع اليه الباحثون في تدوين تاريخ فلسطين القديم ودور اليهود فيه باعتدادها أقدم كتابة من التاريخ القديم ، فضلا عن قدسيتها ، مما وضعها خارج نطاق التحليل التاريخي العلمي • وقد بقيت على هذا النحو قرونا عديدة لانعدام الأدلة والبراهين القاطعة حتى كشفت لنا الكتابات التي خلفها الأقدمون قبل عهد التوراة ــ وهم السومريون والأكديون والكنعانيون (الفينيقيون) والحيثيون والبابليون والآشوريون والمصريون ــ عن كثير من الامور الغامضة • وتمتاز هذه الكتابات في كونها معاصرة للعصر الذي تعود اليه ، بخلاف التوراة التي تنقل أحداثا ترجع الى عهود بعيدة وأزمنة سبقتها بعشرات من القرون • ويعد العلماء هذه الكتابات ، التي عثر على جزء قليل منها ، أعظم انجازات الانسان في هذا العصر • وهذه المراجع تزودنا بالبراهين والبيّنات التي كانت تعوز من سبقنا من الباحثين لتقرير بعض الحقائق عن العصور التاريخية القديمة والخروج بها من دائرة الحدس والظن الى استنتاجات معقولة ومقبولة للعقل السليم •

ومن أهم ما أوضحت لنا هذه الاكتشافات ، المكاسب العلمية الآتية :

١ ــ تشخيص أكثر مواقع المدن والأماكن التي ورد ذكرها في هذه المدونات القديمة وفي كتابات التوراة •

٢ ــ تعيين تواريخ الحوادث بصورة مضبوطة بحسب تسلسلها الزمني ، وتوضيح علاقة الاقوام بعضها ببعض ، وتعيين أدوارها وخاصة هجرة الأقوام بوجه عام وتطور ثقافاتها ولغاتها •

٣ ــ تتبع أزمان الهجرات السامية من جزيرة العرب الى فلسطين والى بلاد الهلال الخصيب قبل ظهور النبي موسى •

٤ ــ تعيين زمن الحوادث التاريخية الوارد ذكرها في التوراة بالقياس الى الوقائع الحربية والسلالات الحاكمة في كل عصر من العصور بحسب تسلسلها الزمني •

٥ ــ توصّل الخبراء الى أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع الى أصل قديم ، وجد مثيله أو ما يشابهه في المدونات

السومرية والأكدية والكنعانية والبابلية والآشورية والمصرية مما يدل على أنه ليس لليهود أدب مبتكر أو ثقافة خاصة بهم، فاقتبس كهنتهم من هذه المدوّنات «ما هو جدير بما احتواه تاريخ مؤسّسي الجنس اليهودي ، وحذفوا بلا هوادة كلَّ ما لم يلق استحسانهم • » (ادوار كييرا « كتبوا على الطين» ، الترجمة العربية ، ص ١٥٤) •

٦ ــ توصّل الخبراء الى أن مواد عديدة في التوراة مأخوذة من شريعة حمورابي والشرائع القديمة الأخرى ، وأن أكثر التراتيل والتسابيح الدينية التي وردت في التوراة مقتبسة من الكنانعانيين وقد عثر عليها في « أوغاريث » (فينيقيا) •

٧ ــ توصّل الخبراء الى أن شرائع التوراة هي نفسها الشرائع التي كان يمارسها الكنعانيون والبابليون من قبل وقد اقتبسها اليهود منهم ومارسوها ثم أدخلوها في كتبهم المقدسة •

٨ ــ ثبوت كون اليهود غرباء دخلاء على فلسطين وان كل ما يملكون من المقومات الثقافية ومن ضمنها اللغة وكتابهم المقدس مقتبس من الحضارتين الكنعانية والآرامية وهما من أصل عربي ، وان الأسماء التاريخية الواردة في التوراة سواء كانت أسماء شخصيات أو أسماء أماكن قديمة في فلسطين هي من أصل كنعاني عربي ترجع الى ما قبل ظهور اللغة العبرية بزمن بعيد •

٩ ــ ثبوث كون اليهود عاشوا في فلسطين وهم أقلية بين السكان الأصليين طيلة مدة مكوثهم فيها •

١٠ ــ ثبوث عجز اليهود في أي دور من أدوار التاريخ عن إنشاء دولة مدنية زمنية تضم كل فلسطين •

ويسود الشعور الآن بين الكتّاب المحدثين أن الوقت قد حان للكشف عن صلة الثقافة اليهودية ، ومن ضمنها الديانة اليهودية ، بالثقافات السامية القديمة ، فيقول الاستاذ « هوك » في مقدمة كتابه « أصول الديانات السامية

القديمة » : « إننا الآن في وضع أكثر ملاءمة من أي وقت مضى لتوضيح علاقة العناصر الأساسية للديانة اليهودية بشبكة الشعائر الدينية التي كانت سائدة في البيئة السامية القديمة بوجهة نظر تاريخية جديدة » •

ونحن نقول : لقد آن الأوان للباحثين أن يتحرّروا من التقيد بمدوّنات التوراة في بحث تاريخ فلسطين القديم ، وعليهم أن يتوغلوا في أحدث الاكتشافات للنصوص القديمة التي سبقت عصر التوراة بعشرات القرون ، فمهدت السبيل للتمييز بين الغث والسمين واقتفاء التواريخ بحسب تسلسلها الزمني ، كما آن الأوان لكتابة تاريخ الأمة العربية من جديد في ضوء الاكتشافات الآثارية والتطور الفكري في العالم •

العبرانيون ـ الاسرائيليون ـ الموسويون ـ اليهود

وقبل الدخول في هذا البحث لا بد من توضيح نقطة مهمة تتعلق بأربع تسميات سوف تعترضنا في مجرى الحديث وقد جرت العادة على عدّها تسميات لمسمىّ واحد أو مدلول واحد يمثل جميع الأدوار دون تمييز ، في حين أن كلاً منها تم تداوله في عصر خاص به وله مدلوله الخاص ايضا يختلف عما هو مقصود به في التسميات الاخرى ، ونعني بهذه التسميات : العبرانيين أو العبريين ، ثم الاسرائيليين ، فالموسويين (قوم موسى) ، فاليهود •

١ ـ أمّا مصطلح « العبري » أو « العبراني » فكان يطلق في نحو الألف الثانية قبل الميلاد وفيما قبل ذلك على طائفة من القبائل العربية في شمال جزيرة العرب في بادية الشام وعلى غيرهم من الأقوام العربية في المنطقة حتى صارت كلمة عبري مرادفة لابن الصحراء او ابن البادية بوجه عام ، وبهذا المعنى وردت كلمة « الابري » و « الهبيري » و « والخبيرو » و « العبيرو » في المصادر المسمارية والفرعونية ، ولم يكن للاسرائيليين والموسويين واليهود أي وجود بعد • لذلك فان نعت ابراهيم الخليل بـ « العبراني » كما ورد في التوراة انما أريد به معنى العبريين « العبيرو » وهم القبائل البدوية العربية ، ومنها القبائل

الارامية العربية التي ينتمي اليها ابراهيم الخليل نفسه ، وبهذا المعنى وردت كلمة « عبري » و « عبيرو » و « خبيرو » في الكتابات القديمة التي اكتشفت مؤخرا ، وهي تعود الى ما قبل وجود الاسرائيليين والموسويين واليهود بعدة قرون • لذلك يجب التمييز بين العبري من جهة وبين الاسرائيلي او الموسوي أو اليهودي من جهة أخرى في بحث تاريخ فلسطين القديم • ودليلنا على ذلك أن مصطلح « عبري » و « عبراني » لم يرد في القرآن الكريم مطلقا وانما ورد فيه ذكر « الاسرائيليين » و « قوم موسى » و « يهود » (الذين هادوا) • ويتضح من ذلك ان عصر ابراهيم الخليل هذا عصر عربي قائم بذاته ليست له أية صلة بعصر موسى وقوم موسى الذي يقع بعد زمن ابراهيم الخليل بسبعمائة عام •

٢ ــ اما مصطلح اسرائيل فالمقصود به يعقوب حفيد ابراهيم الخليل وأبناؤه وهم بنو اسرائيل الذين ورد ذكرهم في الأسفار ودورهم محصور في منطقة « حاران » (حران حاليا) حيث وطنهم الأصلي الذي ولدوا ونشأوا فيه • أما فلسطين فهي أرض غربتهم وقد وجدوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وهو نفس عهد ابراهيم الخليل • وكانت اللغة في هذه المنطقة في ذلك الزمن لغة واحدة (اللغة الام) التي كان يتكلم بها أبناء الجزيرة العربية قبل هجرتهم الى الهلال الخصيب ، أي قبل أن تتفرق هذه اللغة الىاللهجات المختلفة كالكنعانية والارامية والعمورية وغيرها • وهكذا كانت لغة العشائر الارامية التي كان ينتمي اليها ابراهيم الخليل هي نفس اللغة التي كان يتكلم بها الكنعانيون والعموريون في فلسطين وهي قريبة جدا من اللغة الام • وأما حفيده يعقوب (اسرائيل) فالارجح أنه كان يتكلم بنفس اللغة وهو أرامي مثل ابراهيم بحكم النسب • كما أنه من الأرجح أن ابناء يعقوب (بني اسرائيل) في زمن يعقوب كانوا يتكلمون نفس اللغة ، وهذا يمكن تسميته بالدور الأول الذي عاش فيه ابراهيم الخليل وحفيده يعقوب • وهؤلاء كلهم كانوا يدينون بدين ابراهيم الخليل وحفيده يعقوب • وقد أظهرت الاكتشافات الأخيرة إن كلمة « اسرائيل » كانت اسماً لموضع في فلسطين وهي تسمية

كنعانية ، وبهذا المعنى وردت في الكتابات المصرية التي ترجع الى ما قبل عصر موسى ، كما أن اسماء أبرام (ابراهيم) ويعقوب ويوسف وردت في الكتابات المصرية وهي تعود الى ما قبل عصر موسى مما يدل على أنها كنعانية ايضا •

ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان فلسطين كانت ارض غربة بالنسبة الى ابراهيم وولده اسحاق وحفيده يعقوب (اسرائيل) ، وذلك بتأكيد التوراة ذاتها ، لانهم كانوا مغتربين بين الكنعانيين سكان فلسطين الاصليين وبخاصة بني اسرائيل الذين ولدوا كلّهم في « حاران » ونشأوا فيها •

وقد انتهى هذا الدور الذي ظهرت فيه تسمية «اسرائيل» بعد أن هاجرت اسرة يعقوب الى مصر وانضمت الى يوسف على قول التوراة ، فاندمجت وذابت في البيئة المصرية كليا •

٣ ــ ثم جاء الدور الذي يبدأ بتداول تسمية موسوي أو «قوم موسى» ، ويبدأ هذا الدور بعد الدور الذي تداولت فيه تسمية اسرائيل بزهاء ستمائة عام • والموسويون كما تدل الأحداث مصريون على أرجح الاحتمالات معظمهم من بقايا الهكسوس ، كانوا يدينون هم والنبي موسى بدين التوحيد الذي ورثوه عن اخناتون فرعون مصر ، وهو الدين الذي يدعو الى عبادة الاله الواحد اله جميع المخلوقات عن طريق نشر الإخاء العالمي بين الانسان والانسان، وهو غير دين اليهود الذي يدعو الى عبادة الأله يهوه الخاص بهم بصفتهم الشعب المختار وقد نسبه كتبة التوراة في وقت لاحق الى موسى زورا • وكان موسى وأتباعه قد اضطروا تحت ضغط الوثنيين واضطهادهم لهم بعد موت اخناتون الى الهرب من مصر والتوجه الى أرض كنعان (فلسطين) لايجاد مأوى لهم فيها ، وكان ذلك في القرن الثالث عشر قبل الميلاد • وهؤلاء هم قوم موسى كما ورد اسمهم في القرآن الكريم ، وهم بطبيعة الحال كانوا يتكلمون باللغة المصرية وبها نقل موسى الشريعة والوصايا العشر وكتبت بالهيروغليفية التي تعلمها موسى في بلاط فرعون • والرأي الغالب لدى الباحثين أن موسى كان قائدا مصريا في الجيش المصري واشترك في الحرب مع الحبشة

واسمه اسم مصري بحت وقد تربى في البلاط الفرعوني وتزوج من امـــرأة اثيوبية في الحبشة على قول التوراة ويوسفوس • وشريعة موسى هذه لم يعثر على أي أثر لها • ثم اخذ هؤلاء الموسويون بلغة كنعان وثقافتها وتقاليدهـــا ومارسوا حتى دياناتها الوثنية في أكثر فترات وجودهم بين الكنعانيين ســكان فلسطين الاصليين ، وانحرفوا عن ديانة موسى وشريعته •

٤ ـ أمّا تسمية « يهود » فهي التسمية التي اطلقت على بقايا جماعـة يهوذا الذين سباهم نبوخذ نصر الى بابل في القرن السادس قبل الميلاد ، وقد سموا كذلك نسبة الى مملكة يهوذا المنقرضة • وقد اقتبس هؤلاء قبيـــل السبي لهجتهم العبرية المقتبسة من الارامية وبها دونوا التوراة التي بين ايدينا في الأسر في بابل ، أي بعد زمن موسى بثمانيمائة عام • لذلك صارت تعرف هذه اللهجة بارامية التوراة وقد استعملوا الحرف المسمى بالمربع وهو مقتبس من الخط الارامي القديم • وهذه بلا شك غير الشريعة التي نزلت على موسى ، ويمكن أن نطلق عليها اسم « توراة اليهود » لتمييزها عن « توراة موسى » •

وكان هؤلاء اليهود عندما دوّنوا التوراة استهدفوا تحقيق غرضين رئيسين، أولهما تمجيد تاريخهم وجعل أنفسهم صفوة الأقوام البشرية والشعب المختار الذي اصطفاه الرب من دون بقية الشعوب • ولتحقيق ذلك كان لابد من إرجاع أصلهم الى أقدس شخصية قديمة ، أي شخصية ابراهيم الخليل الذي كـــان صيته قد عم جميع أرجاء عالمهم في تلك الازمان • وقد حالفهم النجاح في سرد تاريخهم حسب أهوائهم بلباقة ومهارة لم يسبق لهما نظير في الأدب القديم ، واضفوا عليه صبغة دينية ليضمنوا تقبله من أتباعهم • وهكذا فقد أرجعـوا تاريخهم الى ابراهيم الخليل والى حفيده يعقوب (اسرائيل) ، فسمّوا جماعة موسى ببني اسرائيل على رغم كونهم ظهروا بعد اسرائيل بزهاء ستمائة عـام ، وذلك بغية ربط أصلهم بابراهيم الخليل ، وابتدعوا فكرة الشعب المختار التي كان ابراهيم الخليل ويعقوب وموسى بريئين منها • ثم جعلوا بني اسرائيـل الموضوع الرئيس الذي تدور حوله جميع الحوادث الواردة في التــوراة ، فعدّتهم التوراة موجودين في كل زمان وفي كل مكان حتى في الأدوار التي

سبقت ظهور يعقوب الى عالم الوجود . فقد اعتبرت وجود بني اسرائيل في عصر ابراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد قبل أن يخلق يعقوب (اسرائيل) !! كما أنها عدّت وجودهم بعد عهد أبيهم يعقوب بحوالي ستمائة عام ، أي في عهد موسى عندما غزت جماعته أرض كنعان (فلسطين) من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ثم اعتبرت وجودهم في جميع الأدوار والأحداث التالية ومن ضمنها عهد الملوك وعهد الانقسام وما تلا ذلك ، وحتى يهود الخزر الذين اعتنقوا اليهودية في وقت لاحق وهم من أصل تركي وكذلك يهود أوروبا وأميركا ويهود العالم جميعا هم على رأي التوراة نفس أبناء يعقوب الذي عاش قبل ٣٧٠٠ سنة ، فما اغرب هذا المنطق !!. والأغرب من هذا كله هو اننا نجد الكثير من العلماء والباحثين من يتقبّل مثل هذا الخلط .

اما الهدف الثاني فهو جعل فلسطين وطنهم الأصلي على الرغم من تأكيد التوراة ذاتها أن فلسطين أرض غربة بالنسبة الى ابراهيم واسحاق ويعقوب وبخاصة ابناء يعقوب (اسرائيل) الذين ولدوا في حران ونشأوا فيها ، هذا اذا فرضنا أن قوم موسى هم بني اسرائيل كما سمّتهم التوراة . وهكذا فقد ابتدع مدوّنو التوراة فكرة منح الرب أرض كنعان الى ابراهيم وذريته وان الرب (الههم يهوه الخاص بهم) قد أمرهم بابادة الكنعانيين هم واطفالهم وشيوخهم ونساؤهم ليحلوا محلهم . هذا هو الدين الذي جاء به كتبة التوراة ونسبوه الى ابراهيم والى يعقوب والى موسى زورا ، وهؤلاء هم اليهود الذين سماهم القرآن الكريم كفارا لكذبهم على موسى وتحريفهم لتوراته فيقول فيهم : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا .. وباءوا بغضب من الله .. ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (الآية ١١١ من سورة آ عمران) .

الكتاب في سطور

وأضع الآن بين يدي القاريء موجزاً لأهم مقاصد الكتاب وقد أطلقت عليه عنوان « الكتاب في سطور » تمكيناً له من استيعاب محتوياته دون أن يرجع الى التفاصيل :

١ ــ يتناول هذا الكتاب بوجه خاص بحث تاريخ الفترة التي عاشتها فلسطين العربية قبل عهد النبي موسى ــ وهي الفترة التي ظهر فيها ابراهيم الخليل (ع) وعمّتها الحضارة الكنعانية أكثر من ألفي سنة • هذا مع توضيح حقيقة علاقة اليهود بفلسطين وحضارتها بعد ظهورهم على مسرح الأحداث في زمن النبي موسى وما بعده •

٢ ــ ويقوم هذا البحث على أساس تقسيم الأحداث التاريخية الى ثلاثة أدوار منفصلة الواحد عن الآخر بالقياس الى علم المقارنة بين اللغات ، وهو المعيار الذي يعتمد عليه العلماء في هذا العصر في تعيين أصول الأقوام وصلاتها بعضها ببعض ، وهذه الأدوار هي :

أولاً ــ عصر ابراهيم الخليل ويرجع تاريخه الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وهو عصر عربي بحت قائم بذاته بلغته وقوميته ودياناته ، ولا صلة له بعصر موسى الذي يأتي في وقت لاحق بعد عصر ابراهيم الخليل بسبعمائة عام ، كما أنه لا صلة له بعصر اليهود الذي يأتي بعد عصر ابراهيم الخليل بحوالي ألف وخمسمائة عام ، وقد كانت القبائل العربية في الجزيرة المعروفة بالقبائل البائدة في قيد الحياة في هذا الدور وقد لعبت دوراً مهماً في تنمية الحضارة العربية السامية ، ومن أهم هذه القبائل القبائل المعينيه في جنوب الجزيرة التي توسّعت في مستعمراتها التجارية بعيداً نحو الشمال •

ثانياً ــ عصر موسى ويبدأ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهو عصر متصل بمصر ، قائم بذاته أيضا بلغته وثقافته ودياناته ، ويشتمل على الفترة التي عاشها النبي موسى على أرض كنعان مع أتباعه ، ثم الفترة التي استغرقتها عملية تحوّل الموسويين من المصرية الى الكنعانية بعد زمن موسى وانحرافهم عن دين موسى ، وهي الفترة التي يمكن أن نطلق عليها تسمية الفترة المصرية الكنعانية•وهذه دامت حوالي ثمانيمائة عام بدأت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وانتهت بالسبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد • وهنا لا بد من التوضيح أن عصري الملوك والانقسام كانا خاضعين لسيادة الثقافة الكنعانية بدليل ان

الديانة الوثنية الكنعانية بقيت هي السائدة في البلاد ، وليس لدينا أي دليل على أنه كانت في البلاد في هذين العصرين غير لغة الكنعانيين القديسة في فلسطين ، لأن العبرية تكوّنت في وقت لاحق عندما بدأ الكهنة يدوّنون التوراة باللهجة المعروفة بارامية التوراة وهي مقتبسة من الارامية ، وذلك بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد ، مع العلم أن الموسويين صاروا يتكلمون بالكنعانية التي اقتبسوها من الكنعانيين بعد نزوحهم الى كنعان ، ثمّ اخذوا يتكلمون بالارامية أسوة ببقية الأقوام في فلسطين وغير فلسطين بعد انتشار اللغة الارامية في جميع الشرق الادنى ، ومعنى ذلك أنه لا توجد اية لغة خاصة باليهود وان ما يسمّى بالعبرية بمعنى اليهودية هو لهجة متأخرة مقتبسة من الارامية (العربية الأصل) شأنها شأن اللهجات الأخرى التي تكونت في وقت لاحق من اللغة الأم الأصلية .

ثالثا — عصر اليهود ويبدأ في القرن السادس قبل الميلاد في أعقاب السبي البابلي ، وهو عصر يهودي بحت قائم بذاته أيضا بلغته وثقافته وديانته ويمثل بداية اليهودية ، اذ تبدأ الديانة اليهودية الحالية بكتابة التوراة على يد الكهنة في الأسر في بابل وما بعد الأسر في اللغة التي صارت تعرف بالعبرية (ارامية التوراة) . وهذه هي التوراة التي بين أيدينا اليوم وهي غير التوراة التي نزلت على موسى باللغة المصرية قبل ثمانيمائة عام من عصر اليهود هذا .

ويحسن بالقارىء أن يلاحظ تسلسل هذه الأدوار الثلاثة بالقياس الى اللغة والثقافة حسب أزمانها عند متابعة هذا البحث ليكون على بيّنة من الزمن الذي ينتمي اليه كلّ حادث من الأحداث التاريخية لأن كتبة التوراة تعمّدوا الخلط بين الأدوار التاريخية وإهمال التسلسل الزمني فربطوا العصور بعضها ببعض وذلك لكي يرجعوا تاريخهم الى عصور لم يكن لهم أي وجود فيها فيلتبس الأمر على القارىء ، وهذه الادوار هي كما تقدم :

أولاً — عصر ابراهيم الخليل ويرجع تاريخه الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، ولغة هذا العصر اللغة السامية العربية الأم والديانة وحدانية ابراهيم الخالصة .

ثانياً ــ عصر موسى ويرجع تاريخه الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ولغة هذا العصر اللغة المصرية في بداية الأمر ثم الكنعانية ، أمّا الديانة فوحدانية إخناتون في بداية الأمر ثم الانحراف الى الوثنية .

ثالثاً ــ عصر اليهود ويرجع تاريخه الى القرن السادس قبل الميلاد ، ولغة هذا العصر الأرامية والعبرية (أرامية التوراة) التي كتبت بها التوراة ، اما الديانة فوحدانية يهوه الخاصة باليهود فقط . وتبدأ اليهودية المتمثلة بالتوراة ببداية هذا العصر .

الهجرات العربية الى الهلال الخصيب

٣ ــ إن سكان فلسطين الأصليين هم الكنعانيون الفينيقيون والعموريون العمالقة ، وهم من القبائل العربية التي هاجرت من وطنها في شبه جزيرة العرب بسبب الجفاف الذي حلّ بها . فعاشت هذه القبائل بزعامة ملوكها ورؤسائها في وطنها الجديد مدة تزيد على ألفي سنة قبل ظهور جماعة موسى ، وهكذا يُعدّ ارتباطها بالجزيرة العربيه جزءا من كيانها الفلسطيني سياسياً واجتماعياً وثقافياً ودينياً واقتصادياً .

٤ ــ أعقب هجرة الكنعانيين والعموريين هجرة جماعات أخرى من القبائل العربية من شبه جزيرة العرب أيضا الى « حاران » (منطقة حران الحالية) الواقعة في منابع رافدي الفرات ، « الخابور » و « البليخ » في شمال سورية وهؤلاء صاروا يعرفون بالارامبين ، وقد عاشوا في وطنهم كالكنعانيين والعموريين والعمالقة مرتبطين بالجزيرة العربية ارتباطاً وثيقاً .

٥ ــ ولغة هذه القبائل كلّها كانت في الأصل لغة واحدة ، هي اللغة السامية العربية الأم ، ثم تفرّعت منها اللهجات السامية العربية من غير أن تفقد أصولها ، منها الكنعانية والفينيقية والموآبية والعبرانية التي صارت تعرف عند اللغويين بالمجموعة السامية الغربية ، ومنها العمورية والارامية التي صارت تعرف بالمجموعة الغربية الشمالية ، تمييزا لها عن مجموعتي اللغات السامية

الشرقية التي تمثلها الاكدية وفرعاها البابلي والاشوري في العراق واللهجات العربية الجنوبية في جنوب الجزيرة ، ومنها المعينية والسبئية والاثيوبية والعربية والأمهرية •

٦ ـ ويرجح بل يؤكد عدد من الخبراء أن اللغة التي يتكلم بها بدو الجزيرة العربية الآن هي أقرب جميع اللهجات الى اللغة الأم الأصلية التي كان يتكلم بها أبناء الجزيرة قبل أن تنفصل لهجاتهم في مستوطناتهم الجديدة ، وذلك على أساس أن هؤلاء بقوا منعزلين في صحرائهم دون أن يختلطوا بالأقوام الأخرى الغريبة في لغاتها وقومياتها • وفي ذلك يقول « نولدكه » الخبير المعروف في اللغات السامية ، « إنّ من الضروري في دراسة مقارنات اللغات السامية البدء باللغة العربية ، ذلك بأن نأخذ في تسجيل خصائصها ومميزاتها وقواعدها وكيفية النطق بألفاظها وما الى ذلك ثم نقارن ما سجلناه بما يقابله في بقية اللغات السامية لنقف بذلك على مابين هذه اللغات من مفارقات ومطابقات • »

٧ ـ ونزلت بطريق الفرات أسر من القبائل الارامية في « حاران » (حر-ان) الى منطقة بابل في العراق ، وذلك قبل ظهور جماعة موسى بنحو ٩٠٠ عام ، فولد ونشأ فيها ابراهيم الخليل صاحب رسالة التوحيد المشهور ، فاضطر تحت ضغط الوثنيين من السكان الى الهجرة من بابل الى وطن عشيرته في « حاران » (حران) ، ثم اتجه مغتربا في فلسطين ففي مصر ثم في فلسطين مرة اخرى •

٨ ـ لذلك فيتوجب على كل عربي أن يتفهم حضارات هذه الأقوام التي دامت أكثر من ألفي سنة قبل عصر موسى ويتوسّع في الوقوف على ما تركوه من تراث أصيل يعد من أهم عناصر التقدّم في مسيرة التمدّن البشري ، هذا مع ضرورة تفهّم تاريخ اليهود على حقيقته •

عالم عربي واحد ـ وحدة جغرافية واحدة

٩ ـ ومن الواضح الجلي أن الهجرات المتتالية التي انبعثت من جزيرة العرب الى مختلف أنحاء الهلال الخصيب كانت من أهم العوامل لتنمية الكيان الحضاري السامي في الشرق الادنى ، والسير به نحو التقدّم والتطوّر في مختلف الميادين ـ الزراعية والتجارية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية ـ الكيان الذي انبثقت منه أقدم الانبراطوريات وأعظمها مما عرفه العالم في تاريخ البشرية ، أي الانبراطوريات الساميات الخمس : الاكدية ، والبابلية ، والآشورية ، والكلدانية ، وأخيرا الانبراطورية العربية الاسلامية .

١٠ ـ ولنلق الآن نظرة شاملة على الوضع الذي كانت عليه بلاد الشرق الأدنى وهي تسبح في بحر الألف الثالثة قبل الميلاد فماذا نرى ؟ . عالماً واسعاً يؤلف فراغاً شاسعاً من الصحارى تحدّه الحضارة المستقرة على ضفاف وادي النيل من جهة الغرب وحضارة وادي الرافدين في جنوبي العراق من الجهة الشرقية : حضارتان أقعدتهما نِعم الحياة بما أغدقته عليهما من أرض خصبة ومياه عذبة يقف بينهما شعب تائه في صحرائه حائر في أمره في وجه الجفاف الذي صار يهدده في صميم حياته بعد أن حرمته الطبيعة من مصدر وجوده ، وهو متعطّش ينشد حياة جديدة في وطن جديد يسدّ فيه حاجته للقمة العيش. فكان عليه أن يحارب الطبيعة ويشقّ طريقه عبر البوادي القاحلة الى الحياة التي كان ينشدها ، وهو واثق بوحي الغريزة من أجل الحياة بأن ما وراء هذا البحر من الرمال عالماً غير عالمه تتوفر فيه وسائل الخلاص ، مما هو عليه من مصير يضمر بين طياته هلاكاً حتمياً ، فقطع الصحارى كما قطع كولمبس البحار ليكتشف عالمه الجديد في أواخر القرن الخامس عشر بعد الميلاد حتى وجد الشعب ضالته في وادي الأردن وتخوم وادي النيل في جهة الغرب ووادي الرافدين في جهة الشرق ، فأخذت الحشود تتوافد على هذا العالم الجديد على موجات متتابعة كما توافد أهل أوروبا على أميركا في منتصف القرن السابع عشر بعد الميلاد ، فشمرّ هؤلاء الأشاوس قاهرو الصحارى عن

سواعدهم وأخذوا يبنون حياة جديدة في عالمهم هذا ، مستغلين الزراعة والتجارة وتربية المواشي في بناء عالمهم الجديد ، فتمكنوا من وضع أسس أعظم حضارة عرفها تاريخ الانسان القديم ، سالكين نفس الأساليب التي سلكها المهاجرون الى أميركا فيتشييد حضارتهم التي مازالت قائمة في عصرنا هذا . وتذكرنا هجرات سكان الجزيرة الى الهلال الخصيب بهجرات النورمان المتوالية من أعالي أوروبا نحو جنوب القارة الأوربية وشرقها في القرن التاسع بعد الميلاد وفيما بعده وتوغلهم في روسيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا حيث طبعوا بلاد أوروبا بطابعهم الخاص الذي لايزال موجودا الى يومنا هذا ، مع الفارق أن النورمان انحدروا من الشمال الى الشرق والجنوب والغرب في حين أن سكان الجزيرة صعدوا شمالا وشرقا نحو الهلال الخصيب في آسيا الغربية .

١١ — فالجزيرة العربية إذن هي بحق مهد الحضارات السامية ، فقد قذفت بأبنائها الأشداء الى ما وراء الصحارى بحكم سنّة تنازع البقاء ليحققوا لأنفسهم العيش الرغيد في الأوطان الجديدة . وبفضل تشابك مصالح هذه القبائل بعضها ببعض وتفاعل نشاطها في سبيل الحصول على حياة أفضل ، تكوّن عالم عربي واحد ، تعزّزه وحدة جغرافية واحدة مترابطة الاجزاء تضم الجزيرة العربية (الأم) وأبناءها في البلاد المهاجر اليها (وادي الرافدين وسورية ولبنان وفلسطين الى مصر السفلى) ، وهو عالم متصل مفتوح السبل لأهله مرتبط بعضه ببعض بوشائج الأصل السامي العربي ، قائم بذاته ، يتكلم أهله لغة واحدة ، هي اللغة العربية السامية الأم : منهم أهل السواحل خبروا البحار ، ومنهم أهل الصحارى (أهل الوبر) احتضنوا البوادي ، ومنهم أهل المدن والقرى (أهل المدر) احترفوا الزراعة والتجارة ، ومنهم الرعاة أصحاب المواشي ، فقد صهرتهم الوحدة الجغرافية في مصير واحد مشترك ، فتعاونوا بالرغم من اختلاف نزعاتهم ، على وضع أسس الحضارة السامية الكبرى .

١٢ — وقد شمل هذا العالم حضارة ساحل البحر الأحمر والخليج

العربي ، ثم حضارة ساحل البحر المتوسط ، فالحضارة الصحراوية البدوية ، ثم الحضارات النهرية : حضارة وادي الرافدين ، وحضارة شرقي وادي النيل الأسفل ، وحضارة وادي الأردن •

١٣ ــ غطّى هذا العالم المنطقة الواسعة التي يحدّها جبل حمـــرين والخليج العربي وخليج عمان من الشرق ، وبحر العرب وخليج عـدن مـن الجنوب ، والبحر الأحمر والبحر المتوسط من الغرب ، وجبال طوروس من الشمال • وقد سيطر هذا العالم بجماله على طرق المواصـلات الصحراوية ، كما سيطر بسفنه على طرق المواصلات البحرية • وكان كلّ ذلك قبل أن يشهد الشرق الادنى غزوات الأقوام الآرية غير السامية ، وقبل ان يظهر النبي موسى على مسرح الاحداث بزهاء ألفي عام •

١٤ ــ وكان وادي الرافدين امتداداً لجزيرة العرب ، بل كان جـــزءاً لا يتجزأ منها ، فكان الموئل الرئيس الذي أسّست على ضفافه المستوطنات الزراعية ، فامتدت على طول نهر الفرات ابتداء من كركميش (جرابلس الحالية) شمالاً حتى مدينة « كيش » العراقية جنوباً ، وذلك لتوافر العناصر الاساسية للحياة فيه ، وهي الماء والارض وحرارة الشمس • ويرى الاستاذ (گوتزه) ان سيطرة الملوك الساميين القدامى امتدت الى أبعد من ذلك جنوبا ، فشملت بلدة « نيبور » أي (نفر) البلدة السومرية المقدسة • فقد أسّس الأكديون في بداية الأمر وطنهم الجديد على ضفاف النهر في جنوبي العراق ، ثم تبعهم العموريون فالبابليون فالاراميون ، وحذا حذوهم الآشوريون على نهــر دجلة • وهؤلاء كلّهم ساميون أصلهم من الجزيرة العربية ، يرجع اليهم الفضل في تأسيس أعظم انبراطوريات العالم القديم وإقامة دعائم الحضارة السـامية الكبرى •

١٥ ــ وكان النظام القبلي الذي يستند الى العادات والأعراف والتقاليد المتوارثة والذي يتولى فيه شيوخ القبائل السلطة هو السائد في هذا المجتمع الواحد ، إذ كانت تمتدّ سلطة رؤساء القبائل الى جميع توابعها : بطونهـا

وأفخاذها ، أينما كانوا ، وكانت لهم أنظمة خاصة بالحروب والغزوات التي تنشب فيما بينهم ، يتداولها ويتقبلها الجميع عن طيب خاطر •

١٦ ــ وكانت القبائل العربية القديمة في شبه جزيرة العرب ، وهي المعروفة عند المؤرخين ، بقبائل العرب البائدة كالقبائل المعينية والسبئية وقبائل عاد وثمود وغيرها ، تتمتع بحضارتها الصحراوية البدوية قبل أن تنقرض • وترجع هذه القبائل الى ارم بن سام بن نوح وقد كانت على ما أورده الاخباريون موجودة في عهد ابراهيم الخليل الذي هو منها بصفته من القبائل الارامية • أما هلاك هذه القبائل فكان بسبب كوارث طبيعية نزلت بها كالعواصف الرملية أو البراكين أو الهزات الأرضية ، ولعلّ أهم من كلّ ذلك انحباس المطر واجتياح الجفاف للمنطقة بأسرها •

١٧ ــ يتجلّى مما تقدم بابين التجلّي أن الفترة التي عاشتها فلسطين في الألفين الثالثة والثانية قبل الميلاد هي فترة عربية سامية في قوميتها وثقافتها ولغتها ، ولا توجد لعصر موسى واليهود الذي يأتي بعد أكثر من ألفي عام من حياة فلسطين العربية هذه أية صلة بهذا العصر القديم الذي يرجع الى ما قبل خمسة آلاف عام •

العرب مخترعو الحروف الهجائية (الابجدية)

١٨ ــ يكاد اجماع الباحثين على أن الكنعانيين العرب كانوا أول من استعمل الحروف الهجائية في الكتابة ومنهم انتقلت الى الفينيقيين وهم من صلبهم ، ثم نقلها الفينيقيون بدورهم بين سنة ٨٥٠ و ٧٥٠ قبل الميلاد الى الاغريقية واللاتينية ونقلها الاراميون بعدهم الى الشرق الأدنى كله ، وهي مازالت محتفظة باسمها العربي « الالف باء » (Alphabet) حتى يومنا هذا •

١٩ ــ إن أقدم كتابة بالأحرف الهجائية اكتشفت في شبه جزيرة سيناء ويعود تأريخها الى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد ، وهذه الكتابة جاءت

باللهجة الكنعانية القديمة وتعدّ حلقة الوصل بين الهيروغليفية التصويرية وبين الأبجدية • ثم وجد بعد ذلك عدد من هذه النماذج بنفس الأحرف في جنوب فلسطين ، في « جازر » و « شكيم » و « لخيش » وقد كتبت كلّ هـــذه النماذج باللهجة الكنعانية القديمة أيضاً •

٢٠ ــ وهنا يبرز الدور الرئيس الذي لعبته الجزيرة العربية في تطويـــر الثقافة العالمية وتقدمها ، حيث تفرّع من الابجدية السينائية الكنعانية القديمة عدة أبجديات قسمها علماء اللغات الى مجموعتين رئيستين ، المجموعة السامية الشمالية والمجموعة السينائية العتيقة • وقد تفــرع من المجموعــة الأولى الكنعانية وفروعها الفينيقية والقرطاجية والليبية والارامية وفروعها النبطيــة والعبرية والسينائية المتأخرة والعربية وغيرهـــا • أمّا المجموعة الثانيــة ، أي السينائية العتيقة ، فقد تفرعت منها السامية الجنوبية والسبئية والاثيوبيــة وغيرها •

٢١ يتضح مما تقدم أن اللغة العبرية (بمعنى اليهودية) لم يكن لها أيّ دور لا من قريب ولا من بعيد ، في نشوء الكتابة الأبجدية وتطوّرها وهي لم تتعدّ كونها أحد الفروع العديدة التي اقتبست أبجدياتها من الأبجديـــة الكنعانية الاصلية في وقت لاحق •

« اورشليم » كنعانية عربية ، اسما ووطنا منذ خمسة آلاف عام

٢٢ ــ إن أول من سكنها اليبوسيون (الكنعانيون) في نحو أوائـــل الألف الثالثة قبل الميلاد حين هاجر الكنعانيون من جزيرة العرب الى فلسطين • كانت لها حضارة عريقة ، سجّل التاريخ أسماء عدد من ملوكها ، ودام كيانهـــا السياسي زهاء ألفي عام قبل أن احتلها الملك داود في أوائل الألف الأولى قبل الميـــلاد •

٢٣ ـ ورد اسم « أورشليم » (أوروسالم) في الكتابات الكنعانية التي تعرف برسائل العمارنة ، وهذه ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، أي قبل ظهور مدوّنات التوراة بأكثر من ألف عام ، كما ورد أسم « يابيثي » في الكتابات المصرية الهيروغليفية ، وهو تحريف لأسم « يبوس » الأسم الذي كانت تعرف به « اورشليم » نسبة الى سكانها اليبوسيين قبل عهد موسى بعدة قرون •

٢٤ ـ يتضح مما تقدّم أن تسمية « أورشليم » التي يحاول الصهيونيون اليوم ، عدّها من الأسماء العبرية (بمعنى اليهودية) هي في الحقيقة كلمة كنعانية ارامية أصيلة وردت بهذا الأسم في النصوص الكنعانية التي وجدت في مصر قبل ظهور موسى بعدة قرون • ثم بعد أن ظهر اليهود وتكوّنت لديهم اللهجة العبرية المقتبسة من الارامية صار اليهود يسمونها بالعبرية « يروشلايم » • لذلك فدعوى أن اسم « أورشليم » عبري الأصل (بمعنى يهودي) دعوى باطلة لا تستند الى مصدر تاريخي ، بدليل ورود الكلمة في الكتابات الكنعانية قبل أن تتكون اللهجة العبرية والمدونات العبرية بأكثر من ألف عام كما تقدم • وقد ذكرها العرب في الجاهلية في أشعارهم بهذه التسمية فقالوا « أوريشلم » •

٢٥ ـ بقيت قلعة « أورشليم » التي كانت تسمّى « حصن يبوس » أو « حصن صهيون » صامدة أمام جميع الغزاة قبل عصر النبي موسى بنحو ألفي سنة ، وقد بقيت ثابتة ثلاثمائة عام أمام الموسويين حتى تمكن الملك داود من احتلالها بعد الاستيلاء على مصدر مائها من غير قتال على الأرجح •

٢٦ ـ تعترف التوراة اعترافاً صريحاً بأن ليس لليهود أية صلة بتاريخ أورشليم القديم لا من حيث التسمية ولا من حيث القومية ، فلما خاطب حزقيال أورشليم قال : « أبوك أموري وأمك حثية (حز ١٦ : ٣) ، وذلك على اعتبار أن ملوك أورشليم كانوا من العموريين على ما جاء في التوراة حيث اعتبرت « أدوني صادق » آخر ملوك أورشليم في جملة الملوك العموريين (يش ١٠ : ٣) •

٢٧ ـ تؤكد التوراة أن اليهود لم يستطيعوا طرد اليبوسيين من أماكنهم في اورشليم « فسكنوا معهم الى هذا اليوم » • (يش ١٥ : ٦٣) ومما يؤيد ذلك أن الملك داود لما أراد أن ينشيء الهيكل في أورشليم اضطر الى شراء الارض التي اختارها لبناء الهيكل من أصحابها اليبوسيين (٢ صم ٢٤ : ٢٤ ـ ٢٥) •

٢٨ ـ يستخلص من الأحداث التاريخية المتقدمة والمأخوذة من التوراة ذاتها أن مدينة القدس كانت منذ خمسة آلاف عام مدينة عربية كنعانية ، وقد بقيت بيد سكانها اليبوسيين أكثر من ألفي عام قبل عهد موسى ، كما بقيت بيد أهلها ثلاثمائة عام بوجود الموسويين في فلسطين ، ثم بعد دخول اليهود اليها في عهد داود بقي سكانها على أراضيهم وفي بيوتهم،وعاش اليهود في فترة وجودهم أقلية بينهم حتى تم سبيهم الى بابل في عهد الكلدانيين ، فعاد واستقل سكان أورشليم الأصليين بمدينتهم ، كما أن اليهود الذين رجعوا الى أورشليم في عهد الاخمينيين الفرس كانوا أقلية ضئيلة وقد منعهم سكان أورشليم اليبوسيون من اعادة بناء هيكلهم ، وقد استمر وجودهم كأقلية ضئيلة في المدينة كما تقدم حتى ازيلوا نهائيا منها في عهد الرومان فرجعت المدينة الى أهلها كالسابق •

٢٩ ـ وأوضح دليل على أن سكان أورشليم كانوا في جميع الأدوار التاريخية أكثرية في المدينة أن اليهود في عهد الانقسام مارسوا هم وملوكهم الوثنية وبنوا المرتفعات لعبادة الأصنام في نفس أورشليم ، وظلوا على هذا المنوال يمارسون الوثنية ثلاثمائة عام ، مما يثبت أن الوثنيين أهل المدينة كانوا الأغلبية في أورشليم ففرضوا ديانتهم الوثنية على الأقلية اليهودية خلال فترة وجودهم فيها •

عصر ابراهيم الخليل عصر عربي قائم بذاته
لا صلة له بعهد موسى او عهد اليهود

٣٠ ـ إن العصر الذي عاش فيه ابراهيم الخليل (ع) عصر قائم بذاته ، له مقوّماته وقوميته ولغته ، وهو مرتبط بالجزيرة العربية وبلغتها الأم وبقبائلها التي سمّيت فيما بعد بالعرب البائدة لانقراضها ، ويعدّ مؤرخو العرب القبائل البائدة أو العرب العاربة هي والقبائل الارامية التي كان ينتمي اليها ابراهيم الخليل من أصل واحد ، فكانوا ينسبون شعوب العرب البائدة جميعاً الى ارم ويسمّونهم بالأرمان كما جاء في « تاريخ سني الملوك » لحمزة الأصفهاني . وقد نبّه القرآن الكريم على ذلك بربط صلة ابراهيم الخليل بالجزيرة العربية وبيت الله العتيق وليس بفلسطين التي كان مغتربا فيها بتأكيد التوراة ذاتها ، لذلك فلا صلة لعصر ابراهيم الخليل ويعقوب (اسرائيل) بعهد موسى الذي يرجع الى زمن لاحق يفصل بينهما فاصل يمتدّ عبر الزمن حوالي سبعمائة عام ، والدليل على أن عهد ابراهيم الخليل ويعقوب عهد مستقل لاصلة له بعهد موسى ، أن الآثاريين ميّزوه عن الأدوار التالية وأطلقوا عليه تسمية « عصر الآباء الجوالين » (The Wanderings of the Patriarchs) . ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن القرآن الكريم كان أول من كشف لنا عن هذه الحقيقة ، وقد جاءت المكتشفات الآثارية حول الهجرات السامية ودراسة علم المقارنة بين اللغات مؤيدة لهذه الحقيقة نفسها التي تربط صلة ابراهيم الخليل بجزيرة العرب وبالحجاز .

٣١ ـ إن أرض كنعان (فلسطين) باعتراف التوراة ذاتها كانت أرض غربة بالنسبة الى آل ابراهيم وآل اسحاق وآل يعقوب ، اذ كانوا مغتربين في ارض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الاصليين ، والتوراة تتحدث عنهم بصفتهم غرباء وافدين طارئين على فلسطين . اما وطنهم الاصلي فهو « ارام النهرين » ، أي منطقة حاران (حرّان الحالية) ، حيث كانت العشائر الارامية التي ينتمون

اليها قد استقرت في منابع نهر البليخ بعد هجرتها من الجزيرة العربية ، ثم نزحت فروع من هذه القبائل الى جنوبي العراق (منطقة بابل) فكان ابراهيم الخليل من ذريتها •

٣٢ ـ وتدلّ الاكتشافات الاخيرة على أن ابراهيم الخليل ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، أي قبل ظهور موسى وأتباعه بسبعمائة سنة ، وهو نبي وزعيم عربي مرتبط بوطنه الاصلي ، وطن آبائه واجداده في جزيرة العرب وأرض الحجاز • وهذا ينطبق كل الانطباق مع ما ينوّرنا به القرآن الكريم ، إذ يربط صلة ابراهيم الخليل بالبيت العتيق • لذلك لا يصحّ حشر دور ابراهيم الخليل باليهود الذين لم يكونوا قد ظهروا الى عالم الوجود الاّ بعد أكثر من ألف عام من عصره ، وعلى الكتّاب والباحثين العرب أن يكفّوا عن ترديد الخطأ الشائع من أن اليهود هاجروا مع ابراهيم الخليل من العراق الى فلسطين ، لأن هذا القول لا يستند الى أيّ سند علمي أو واقع تاريخي ، إذ لم يكن اليهود في عالم الوجود في زمنه •

٣٣ ـ ليس لهجرة ابراهيم الخليل من العراق أية صلة بهجرة الموسويين من مصر المعروفة بالخروج ، فالاولى وقعت في القرن التاسع عشر قبل الميلاد قبل أن يكون لقوم موسى وجود ، لذلك لا يصحّ ربط هجرة ابراهيم الخليل باليهود ، فضلاً عن اختلاف الأهداف والظروف في كل منهما ، وعلى الباحثين والكتّاب أن يكفّوا عن ربط هجرة ابراهيم الخليل من العراق بهجرة ما يسمّى ببني اسرائيل من مصر بقولهم إن هجرة ابراهيم الخليل كانت هجرة الاسرائيليين (اليهود) الأولى وأن هجرتهم من مصر الثانية لانعدام اية صلة بينهما •

٣٤ ـ وكما أن الكتّاب صاروا يخلطون بين هجرة ابراهيم من العراق وهجرة الموسويين من مصر بقيادة موسى كذلك أخذوا يربطون بداية تاريخ اليهود بهجرة ابراهيم الخليل من أرض العراق ، وهذا لا يتفق مع الحقائق التاريخية والمكتشفات الآثارية الحديثة ، لأن اليهود لم يظهروا الى عالم

الوجود إلاّ بعد عصر النبي موسى وأن كلمة « يهود » مشتقة من مملكة يهوذا التي ترجع الى عهد الانقسام • لذلك لا يمكن تحديد بداية تاريخ اليهود بغير زمن ظهورهم بعد عهد موسى الذي حدّده الباحثون بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد ، أي بعد ابراهيم الخليل بسبعمائة عام كما قد أشرنا الى ذلك عدة مرات للتأكيد • لذلك فعلى الباحثين والمؤرخين أن يتمسكوا بامانة البحث وأسلوب المنطق وأن يراعوا التسلسل التاريخي ، فلا يخلطوا بين عصر ابراهيم الخليل ويعقوب وبين اليهود الذين ظهروا بعد عهد موسى ، وهما دوران تفصل بينهما عدة قرون •

٣٥ ـ إن نعت ابراهيم الخليل بـ « العبراني » كما ورد في التوراة يراد به معنى العبريين القبائل البدوية العربية ، ومنها القبائل الارامية العربية التي ينتمي اليها ابراهيم الخليل نفسه ، وبهذا المعنى وردت كلمة « عبري » و « عبيرو » و « خبيرو » في الكتابات القديمة التي اكتشفت مؤخرا وهي تعود الى ما قبل ظهور النبي موسى بعدة قرون • لذلك يجب التمييز بين العبري واليهودي في بحث تاريخ فلسطين ، لأن استعمال كلمة « عبري » بمعنى يهودي في هذا الدور يربط اليهود بعصر ابراهيم الخليل ، في حين أن عصر ابراهيم الخليل عصر عربيّ خالص قائم بذاته لم يكن لليهود أية صلة به ، لذلك لم يرد مصطلح « عبري » أو « عبراني » في القرآن الكريم مطلقاً وانما ورد فيه ذكر « الاسرائيليين » و « قوم موسى » و « يهود » (الذين هادوا) ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك • وقد نبّه القرآن الكريم الى هذه الناحية بقوله : « يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون •• ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » أمّا كلمة عبري للدلالة على اليهود فقد استعملها الحاخامون بهذا المعنى في وقت متأخر في فلسطين[٣] •

٣٦ ـ إنّ الإله الذي كان يدعو ابراهيم الخليل الى عبادته الإله « أيل » (El) خالق السموات والأرض وهو غير إله اليهود ، لأن دعوة ابراهيم الخليل الى عبادة الإله الواحد دعوة عامة موجهة الى جميع الوثنيين في عصره من غير

(٣) دائرة المعارف البريطانية ، طبعة ١٩٦٥ ، ج ١١ ، ص ٢٧٩ .

تمييز بين الناس ،ولم يكن قد وجد اليهود بعد ، ومما يذكر في هذا الصدد أن معنى اسرائيل هو عبدالاله « أيل » مما يدل علىأن يعقوب (أسرائيل)كان يدين بدين ابراهيم ، كما أن مصطلح « الخليل » مشتق من « خل » و « ايل » ، أي صديق الاله « أيل » كما ورد في القرآن الكريم « واتخذ الله ابراهيم خليلا » • ويلاحظ أن إقران أسماء الأشخاص بالاله « أيل » لا تزال مستعملة حتى الوقت الحاضر من غير أن نتنبه الى أصلها مثل اسماعيل (اسمع يا أيل) وميخائيل وجبرائيل أي ليحم الاله « أيل » ميخا وجبرا الخ ••(٤)

وبعد أن انحرف اليهود عن ديانة موسى بعد عهد موسى عبدوا الاوثان ، ثم ابتدعوا الاله « يهوه » عندما دوّن الكتبة التوراة ، وهو إلههم الخاص بهم ، الإله الذي لا يهمّه من العالم والخلق غير اليهود (شعبه المختار) ، على غرار مبدأ التفريد(Henotheism) الذي اعتنقته الأقوام القديمة حيث كانت القبيلة أو المدينة تعبد إلها واحداً من بين مجموعة الآلهة من غير أن تنبذ عبادة الآلهة الأخرى • والأرجح أن اليهود أخذوا بهذا المبدأ من البابليين عندما دوّنوا توراتهم في الأسر في بابل ، إذ كانت كل مدينة من المدائن البابلية تختص باله واحد من بين مجموعة الآلهة • لذلك تُعدّ دعوة ابراهيم الخليل الى وحدانية الله الخالصة أول دعوة عامة للتوحيد في تاريخ البشرية بالمعنى الدقيق لمصطلح التوحيد (Monotheism) وهي عربية لغة ووطنا ، ثم جاءت رسالة محمد عليه الصلاة السلام ، النبي العظيم خاتم الانبياء ، وقد نزلت عليه باللغة العربية أيضا ، لان اللغة التي كان يتكلم بها ابراهيم الخليل هي اللغة العربية الأم ووطنها الأصلي الجزيرة العربية ، وكانت في تلك الأزمان لغة واحدة تتكلّم بها جميع القبائل العربية النازحة من الجزيرة الى الهلال الخصيب ، وذلك قبل أن تتفرق هذه اللغة الأصلية الى لهجات مختلفة ضمن كتلة اللغات السامية كما تقدم بيانه • وبذا كان ابراهيم الخليل رسولاً وزعيماً عربياً يحمل رسالة الانسانية التي لا تقيدها حدود ولا تقف في سبيلها عصبية الاقوام والامم •

وقد عرف الكنعانيون والاراميون الاله « أيل » الذي دعا ابراهيم

(٤) انظر الصفحات : ٢٦–٢٧ ، ٧٥ ، ٢٨٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢–٤٥٣ •

الخليل لعبادته ، إذ ورد ذكره في كتاباتهم للدلالة على الاله العلي العظيم مما يدل على أن بعض القبائل الكنعانية كانت تتقبل فكرة التوحيد منذ عهد ابراهيم الخليل (القرن التاسع عشر قبل الميلاد) • وقد جاء ما يؤكد ذلك على لسان التوراة ذاتها ، فلما دخل الموسويون الى أرض كنعان كانت هناك قبيلة كنعانية بزعامة نبيّ كنعاني يُدعى « بلعام » تمارس عقيدة التوحيد وكان لهذا النبي الموّحد مكانة روحانية كبيرة في أرض كنعان (الاصحاح ٢٢ من سفر العدد وما بعده) • ويدلّ كلّ ذلك على أن عقيدة التوحيد الخالصة عقيدة عربية الأصل مصدرها جزيرة العرب أولا واخرا وأن أصل النبّوة الالهية عربية لفظا ومعنى •

٣٧ ــ يذكر اليهود في كتبهم التي يعلمونها للنشء الجديد او التي ينشرونها بين الناس عن تاريخهم « ان الشعب اليهودي نزح الى فلسطين من بلاد الرافدين في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد بقيادة ابراهيم الخليل ولم يكن عددهم انذاك يتجاوز اربعة آلاف شخص »(٥) ، وهذه المفاهيم نفسها تدرّس اليوم في الجامعات والكليات الاوروبية والامريكية لأن الأساتذة الذين يضعون كتب التاريخ القديم هم من اليهود أو من المسيحيين المتعصبين للتوراة • وقد قبل العرب هذا الهراء على علاته وصاروا يرددون ذلك دون تمحيص أو دون أن يقفوا لحظة ليفكروا ويسألوا انفسهم : أين كان اليهود في عصر ابراهيم الخليل، وكيف تمّ التوصل الى إحصاء عددهم وهو أربعة الاف شخص في حين أن اليهود لم يظهروا الى عالم الوجود إلاّ بعد الألف الرابعة قبل الميلاد بـ ٢٧٠٠ سنة ! • لذلك فعلى المسئولين في البلاد العربية أن يعملوا على حشد الجهود في تربية الجيل الجديد باعادة النظر في تاريخنا القومي الذي يظهر تاريخ فلسطين القديم على حقيقته وحقيقة صلة اليهود به • وهذا لا يتمّ الاّ بادخال هذا الموضوع في مناهج التعليم في جميع البلاد العربية واعداد كتب خاصة لتدريس تاريخ فلسطين القديم في المدارس وتوزيع الكتب بمختلف اللغات تظهر هذا التاريخ على حقيقته وذلك ردّاً على مثل هذه الإدعاءات المزيفة •

---

(٥) انظر كتاب سولوف « كيف نما الشعب اليهودي » ؟ :
Mordecai I. Soloff, "How the Jewish People grew up ?).

عصر النبي موسى والتوراة

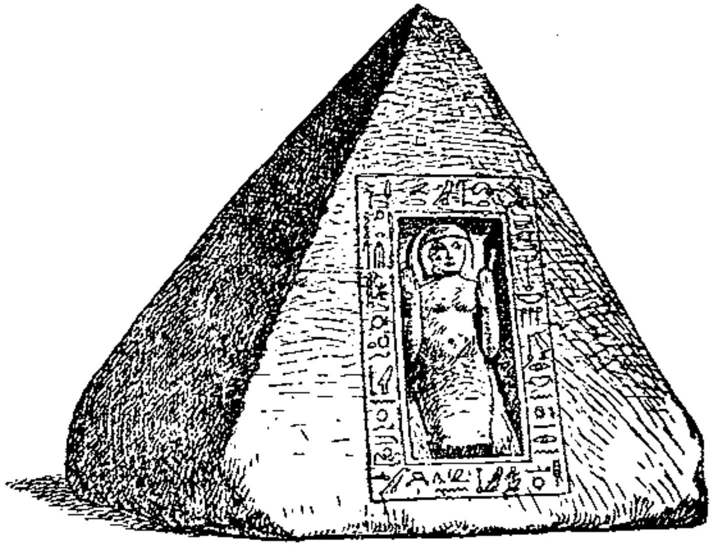
٣٨ ـ ظهر النبي موسى في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، أي بعد زمن ابراهيم الخليل بسبعمائة عام ، وهو على رأي الباحثين مصري قح تربى في البلاط الفرعوني وكان قائداً مصرياً وقد تولى قيادة الحملة المصرية على الحبشة التي سجل فيها ظفراً كبيراً فتزوج هناك من « تربيس » بنت ملك الحبشة . كما كان النبي موسى على دين التوحيد الذي اعتنقه اخناتون فرعون مصر (١٣٧٩ ــ ١٣٦٢ ق.م) القائم على عبادة الاله الواحد عن طريق نشر الاخاء العالمي وان حملته على أرض كنعان (فلسطين) التي أطلق عليها كتبة التوراة « خروج بني اسرائيل » هي حملة مصرية مؤلفة من جماعة من الجنود المصريين ومعهم فلول من بقايا الهكسوس الذين كانوا يدينون بدين التوحيد ، وقد ورثوه عن اخناتون ، فاضطروا الى الهرب من مصر من وجه الاضطهاد بعد موت اخناتون ، وقد جاءوا بقيادة النبي موسى ليحتلوا بقعة من الارض المعمورة في كنعان يأوون اليها . وهؤلاء هم « قوم موسى » جاءوا الى أرض كنعان وهم غرباء عنها يتكلمون اللغة المصرية الفرعونية ولم تكن لهم اية صلة ببني اسرائيل الذين كانوا قد جاءوا الى مصر في عهد يوسف قبل عصر موسى بحوالي ستمائة عام والذين انصهروا واندمجوا بشعب مصر وبيئة مصر نهائيا .

وقد توصل الباحثون أيضا الى أن موسى اسم مصري قديم لا يتصل بأية صلة ببني اسرائيل ، فقد ورد ذكر أحد فراعنة مصر باسم « أح ــ موسى »، وهو مؤسس السلالة الثانية عشرة (١٥٨٠ ــ ١٥٤٦ ق.م.) ، كما أن الكاهن الأعلى لمدينة ممفيس ، عاصمة مصر المشهورة في عهد تحوطمس الثالث (١٤٧٩ ــ ١٤٤٧ ق.م.) ، كان يدعى « بتاح موسى » ، وبتاح هو أهم آلهة ممفيس قدّسه معظم المصريين وقد كان في اعتقادهم أنه هو الذي خلق الدنيا ، وفي الصورة التالية يشاهد الهرم الخاص ببتاح موسى[٦] . ومعنى موسى بالمصرية القديمة (الطفل) ، فاسم طحموس أي طفل الاله طحوط وبتاح موسى طفل الاله بتاح الخ ..[٧] ويقول المؤرخ اليهودي « يوسفوس » (القرن الاول

---

(٦) أدولف ارمان ، «ديانة مصر القديمة» ، الترجمةالعربية ، ص ٢٩ ، ٣١٤

(٧) I.G. Griffiths, Journal of Near Eastern Studies, XII, 1953, P. 227.



هرم لبتاح موسى ، الكاهن الأعلى لمفيس ، عاصمة مصر الفرعونية ، يرجع تاريخه الى عهد تحوطمس الثالث (١٤٧٩ ـ ١٤٤٧ ق٠ م٠) ٠ عن كتاب ادولف ارمان ، « ديانة مصر القديمة » الترجمة العربية ، ص ٣١٤ ٠

للميلاد) إن موسى كان كاهناً مصرياً خرج للتبشير بدين التوحيد[٨] ، كما أن الفيلسوف اليهودي الاسكندري « فيلون » (٣٠ ق٠م٠ ـ ٤٠ ب٠م٠) أيدّ أيضا بان موسى كا نمصريا[٩] ٠

٣٩ ـ ويرى المؤرخون الغربيون ان موسى أخذ بعقيدة التوحيد الخالصة من اخناتون ، فيقول العلامة « ويج في كتابه » حضارة الشرق الادنى « إن أول من قال بالوحدانية الخالصة هو اخناتون ، ويبدو أن موسى وقد أمضى طفولته وصباه وشبابه في مصر عرف هذه العقيدة وتأثر بها ودعا لها » ٠ ولعل عاموس الذي دعا الى عبادة الاله الواحد إله جميع الأقوام من غير تمييز بين البشر في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد قد أخذ بهذه العقيدة من وحدانية إخناتون التي دعا اليها موسى ، وذلك قبل أن تكتب توراة اليهود في الأسر التي ابتدعت عبادة الاله « يهوه » الخاص باليهود ٠

(٨) يوسف الدبس ، « تاريخ سورية »

(٩) الدكتور سامي سعيد الاحمد ، « الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية » ١٩٦٩ ، ص ١٣ ٠

٤٠ـ وتدلنا المكتشفات الآثارية على أن هذه الغزوة ليست الغزوة المصرية الاولى لفلسطين ، فقد سبقتها عدة غزوات مماثلة على عهد الفراعنة الاوائل ، فقد نقلت لنا الكتابات المصرية القديمة أن الفرعون تحوطمس الثالث (١٤٧٩ ـ ١٤٤٧ ق٠م) هو وحده قام بسبع عشرة حملة على أرض آسيا وهذه كلها عن طريق كنعان بطبيعة الحال • وهناك دلائل قوية على أن الحملة على فلسطين التي نسبها كتبة التوراة الى بني اسرائيل في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بقيادة النبي موسى إن هي الا حملة مصرية بحتة على نمط الحملات المصرية العديدة التي سبقتها ، فقائدها نبي مصري وافرادها من بعض الجنود المصريين ومن فلول بقايا الهكسوس الذين اندمجوا مع المصريين بعد طرد الهكسوس من مصر ، والبعض الآخر ، كما يقول الدكتور غوستاف لوبون ، من الأسرى والعبيد الفارين ، ومما لا شك فيه أن جميعهم كانوا يتكلمون اللغة المصرية الفرعونية وهؤلاء هم الموسويون (قوم موسى) ، وقد نسبهم كتبة التوراة الى بني اسرائيل لتحقيق مآرب خاصة سبقت الاشارة اليها في التمهيد لهذه المقدمة • والظاهر ان فلسطين كانت الملجأ للعبيد المصريين الفارين من أسيادهم، فيقول الكاتب الفرنسي جان برنار « إن وضع فلسطين المؤلم كان قد خلع عليها في الشرق اسم المنطقة التي تؤوي العبيد الآبقين من أسيادهم •••» (اسطورة الشعب المختار ترجمة الدكتور أكرم فاضل ، ص ١١) •

٤١ ـ ومما يثبت ان الجماعة التي عاشت في مصر عيشة العبودية وأجبرت على العمل في البناء قبيل الخروج والتي سمّاها كتبة التوراة بني اسرائيل هي من بقايا الهكسوس وليس من بني اسرائيل ، ان عثر على كتابة من عهد رعمسيس الثاني ، وهو الفرعون الذي وقع الخروج في عهده ، سمّيت فيها هذه الجماعة بـ « العبريو الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك » ، والمقصود هنا بالعبريو العبيرو أي القبائل العربية البدوية وليس بني اسرائيل (أنظر الفقرة ٣٥ عن العبيرو) ، وهذه هي التسمية نفسها التي كان الهكسوس يعرفون بها عند المصريين إذ كانوا يطلقون عليهم اسم « ملوك الرعاة » و « رعاة آسيا • »

ومما يدل أيضا على أن الجماعة التي سخّرها رعمسيس الثاني (١٣٠٠ ـ ١٢٧٣ ق٠م٠) لبناء مدينته المسماة باسمه « رعمسيس » (وقد اعتبرت التوراة هذه الجماعة بني اسرائيل) هم من بقايا الهكسوس وليس بني اسرائيل

أن المدينة الجديدة بنيت في موضع مدينة « أفارس » (هوارس) عاصمة الهكسوس في مصر ، وبطبيعة الحال كان من بقي من الهكسوس في مصر متجمعاً في هذه المنطقة ذاتها فسُخّروا في بناء المدينة الجديدة ، بعد أن أصبحوا مصدر خطر على الدولة المصرية •

٤٢ ـ ثم أخذ الموسويون بعد مرور عدة قرون بالثقافة الكنعانية وتقاليدها وعاداتها كما أخذوا بلغتها الكنعانية • وهناك دلائل على أنهم انحرفوا عن ديانة موسى التي كانت تقضي بعبادة الاله الواحد خالق السموات والارض وهو الإله الذي كان يدعو الى عبادته اخناتون فرعون مصر عن طريق نشر الاخاء العالمي بين الانسان وأخيه الانسان ، فمنذ عهد موسى وهو لم يزل حياً عاد أتباعه يعبدون العجل ويرقصون حوله وزاغوا سريعا عن الطريق الذي اوصاهم به الله •وتزعم التوراة أن الملك سليمان ذاته انحرف وأشرك بالله إذ أحب نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ـ موآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحيثيات • وتشير التوراة أيضا الى أن الموسويين قد عادوا الى عبادة الاصنام واستمروا عليها بعد الانقسام مباشرة هم وملوكهم ،ذلك ما يدل دلالة قاطعة على أن الديانة الوثنية ديانة سكان البلاد كانت هي المتغلبة في البلاد وأن اليهود كانوا أقلية طيلة مدة بقائهم فيها •

٤٣ ـ إن شريعة موسى الأصلية لا يعرف شيء عنها ، اذ لم يُعثر على أي أثر لها ، لذلك فغير معلوم باية لغة كتبت ، ولكن القرائن كلّها تدلّ على أنها كتبت باللغة المصرية وبالهيروغليفية وهي لغة موسى واتباعه • أمّا التوراة المتداولة في الوقت الحاضر فقد كتبها الكهنة والأحبار اليهود في فترة الأسر في بابل (٥٨٦ ـ ٥٣٩ ق•م) ، أي بعد عصر النبي موسى بحوالي ثمانيمائة عام وبعد أن انحرف الموسويون عن دين موسى وعبدوا الأصنام ثلاثمائة قرن في فلسطين قبل سبيهم • وهؤلاء هم بقايا مملكة يهوذا المنقرضة وقد عاصروها في أواخر أيامها،وكانت أحلامهم منصبّة على العودة الى فلسطين فصمّموا مندفعين بهذا الحلم الوهمي ديانة أشبعوا فيها شهواتهم ورغباتهم لتحقيق الهدف الذي رسموه لها ، وكان ذلك بعد عصر ابراهيم الخليل بأكثر من ألف وثلاثمائة عام وبعد عهد موسى بثمانيمائة عام كما تقدم • ويعترف العالم اليهودي سيلفر في كتابه « موسى والتوراة الأصلية » بأن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى

الأصلية في أية ناحية « وحتى الوصايا العشر التي يكاد يجمع العلماء أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصلية لم يكن بكمالها وعلى هيئتها الحالية كالتي أتى بها موسى »(١٠) •

٤٤ ــ ولقد ثبت أن ما ورد في هذه التوراة من شرائع وتقاليد وطقوس دينية مقتبس كليا من الشرائع الكنعانية والبابلية ، فيقول البروفسور ووترمن في ذلك : « لقد أصبح من المسلّم به الآن أن جميع للأعياد اليهودية ما عدا عيد الفصح ، كانت بالاصل من الطقوس الدينية في كنعان وأن شرح طريقة تطبيقها ومراعاتها يكوّن مجموعة من الشرائع ، لنا كل الحق أن نعتبرها أساساً من عهود ما قبل اسرائيل » • كما يقول الاستاذ اولمستيد الخبير في تاريخ فلسطين القديم : « والفضل يرجع الى حمورابي وشريعته في حمل الكنعانيين على اعادة النظر في شريعتهم الأولى وتنسيقها من جديد واضافة زيادات وتنقيحات اليها وجعلوها شريعتهم الخاصة بهم ، وهي نفس الشريعة التي جاءت في التوراة وقد حافظ عليها اليهود بادخالها في كتبهم المقدسة فوصلت الينا عن طريق ممارستهم الفرائض التي وردت فيها • » ويؤكد كذلك الاستاذ ووترمن « أن التحقيقات الأركيولوجية التي يمكن أن تزوّدنا بمعلومات في هذه الناحية لا تعترف بوجود أي فاصل ثقافي بين الكنعانية واليهودية • » وبذلك يكون اليهود قد ثبتوا في توراتهم الطقوس والشعائر التي كانوا يمارسونها فعلا قبل السبي • ويتفق الباحثون على أن المنظومات الشعرية ومن ضمنها ، المزامير والامثال ، الواردة في كتاب العهد القديم كلّها مقتبسة من الكنعانيين وكانت تتلى في عهد الملوك باللغة الكنعانية ثم ترجمت الى العبرية وأدخلت في التوراة عند تدوينها • ومع كل ذلك نجد بعض الباحثين مع أنهم يذكرون هذه الاكتشافات في مصنفاتهم ، إلاّ أنهم تعوزهم الشجاعة العلمية والجرأة الأدبية

(١٠) A.H. Silver, "Moses and the Original Torath, N.Y. 1961, P. 76.

انظر أيضا : « الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية » ، ١٩٦٩ ، ص ٨ .

للتصريح كون التوراة التي بين ايدينا من صنع الكهنة في وقت متأخر وقد أقتبسوا محتوياتها من مدونات سبقتها ثم ترجموا منها الى العبرية ما اتفق مع أهوائهم ومصالحهم ونبذوا ما لم يرغبوا فيه .

٤٥ ـ يتضح مما تقدم أن اليهود لم تكن لهم أية مساهمة في تقدم الحضارة الانسانية فلغتهم مقتبسة من الارامية وشرائعهم مأخوذة عن الكنعانيين والبابليين والمصريين أي أنهم تسلّموا حضارة لم تكن من إبداعهم بل كانت من نتاج غيرهم . وهذا يدلّ على أنه ليس فيما دوّن في التوراة أدب مبتكر خاص باليهود لأن ما ورد فيها مقتبس من مدوّنات سبقتها كان رجال الدين من اليهود محيطين بها . لذلك فاذا كان لليهود فضل على الحضارة فهو ينحصر بمحافظتهم على جانب من ثقافة الكنعانيين العرب وآدابهم الدينية وجغرافية بلادهم وذلك باقتباسها وضمها الى كتبهم المقدسة ثم نقلها الينا عبر الزمن الطويل .

٤٦ ـ إن أهم ما كان يهدف اليه كتبة هذه الديانة هو إرجاع نسبهم المجهول الى ابراهيم الخليل الذي يمثل أقدس وأقدم شخصيات العصر القديم ثم تثبيت عقيدة الأرض الموعودة وعزوها الى ابراهيم ويعقوب وموسى وهؤلاء بريئون منها ، وذلك من غير أن يتطرّقوا الى الفاصل الذي يفصل بينهم وبين عصر ابراهيم الخليل .

٤٧ ـ وانطلاقا من هذه الاحاسيس والعقد النفسية المستحوذة على هذه الزمرة الكهنوتية اتخذ كتبة هذه الديانة من النبي موسى بطلاً لها ومن الإله يهوه ربها الخاص بها دون بقية الناس ونسبوا كل شيء تمنوه مما يمس مصلحتهم ويحقق أحلامهم اليهما . كما اتخذوا من يعقوب (اسرائيل) النسب واعتبروه جدهم ، ومن أبرام (ابراهيم الخليل) الصلة الروحية واعتبروه جدّهم الأكبر مما يجعلهم أهلا ليكونوا الشعب المختار ، لأن هذه الشخصيات كانت تتمتع بقدسيتها الموروثة وسموّ مسلكها الكهنوتي في بلاد كنعان بل في الشرق الأدنى كله . هذا وقد اتخذوا من كنعان عقيدة الوطن الموعود الذي « يفيض لبنا وعسلا » وعزوا كل ذلك الى الإله « يهوه » الذي ابتدعوه ربا خاصا بهم

والى ابراهيم ويعقوب وموسى وكلهم بريئون منها ، وبكتابة هذه التوراة الجديدة واذاعتها على لسان عزرا (كاتب شريعة إله السماء) تبدأ الديانة اليهودية التي تمثل نفس المباديء التي تستند اليها الصهيونية اليوم .

٤٨ ـ والنظرية التي يعتمد عليها عدد غير قليل من العلماء أن أكثر الأسماء التي أطلقها كتبة الأسفار على أبطال قصصهم هي في الأصل أسماء كنعانية لاشخاص عُرف كل منهم باقامته في إحدى الأمكنة من فلسطين فسمّيت باسمائهم تكريماً لهم ، وقد اتخذ اليهود هذه الأسماء في توراتهم أسلافاً لهم .. وهكذا فقد حاك اليهود حول هذه الأسماء والأمكنة ما شاء لهم الهوى من القصص والأساطير واحتكروها باسم أسلافهم المزعومين . ويؤكد الكاتب الفرنسي (جان لوي برنار) ذلك بقوله : « وتتحسّس كل التحسّس أن الأحبار قد اقتبسوا من تواريخ الأقطار التي جاسوا خلالها بعض الحكايات (فعبرنوا) كل المعلومات (أي اعتبروها عبرانية بمعنى يهودية) الغرض منها تلفيق أكذب تاريخ للعالم ، وكل ذلك لاختراع ملفقة الشعب اليهودي المختار .» ولا ريب أن كل جماعة تكتب تاريخها كما تحب وتهوى لا كما تريد الحقيقة المجردة من كل غرض ، فهي تجتهد في إظهار أصلها مقترناً بأسمى الشخصيات من الأجداد التي تتمتع بماض عريق وشهرة واسعة وهذا يفسر لنا كيفية شيوع التقليد الذي تؤكده الكتابات اليهودية ، قديماً وحديثاً ، أن ابراهيم الخليل غادر العراق ومعه اليهود الى فلسطين في حين أن اليهود ظهروا بعد عهد موسى أي بعد ابراهيم الخليل بأكثر من ألف عام وقد قبلت الأجيال ذلك من غير تمحيص للتسلسل الزمني وملاحظة العصور بحسب تواريخها .

٤٩ ـ ويلاحظ أن أكثر الكتّاب العرب بل جميعهم يقلّدون التوراة باهمال التمييز بين عصر وآخر عندما يبحثون تاريخ فلسطين القديم ، فيأخذون باسلوب التوراة في عرض الحوادث التاريخية ، وآخر ما مر عليّ من كتب تبحث في تاريخ فلسطين كتيّب طبعته على ما يظهر إدارة الجامعة العربية في لندن باللغة الانكليزية بعنوان « غرباء في فلسطين » ، وكنت أتصور من

العنوان قبل أن أتصفحه أن المؤلف يريد أن يبرهن على ما جاء في العنوان ، اي أن يبرهن على أن اليهود كانوا « غرباء في فلسطين » ولا صلة تاريخية لهم بها وهم طارئون عليها كما هو الواقع التاريخي فعلاً ، وإذا بالكاتب يستعرض تاريخ اليهود في فلسطين بنقل الحوادث كما وردت في التوراة من غير تمييز بين عصر وآخر ، ولما ذكر تاريخاً واحداً من تاريخ فلسطين القديم وقع في خطأ لا يغتفر على المؤرخ المحقق ، وهو جعل تاريخ غزو فلسطين على عهد يشوع سنة ٧٠٠ قبل الميلاد في حين أن التاريخ الحقيقي هو القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، اي ما قبل التاريخ المذكور بستة قرون[١١] • والمفروض أن هـــذا الكتيب أعد لاظهار حق العرب في فلسطين في حـين انه لم يحقق إلاّ عكس المطلوب فخدم كاتبه الدعاية الصهيونية من حيث لا يدري ، وذلك بقبول كلّ ما ورد في التوراة كحقائق تاريخية مقبولة ، وهذا هو الذي يريده الصهيونيون بالضبط فجاء على لسان العرب أنفسهم •

٥٠ ـ ومن أغرب ما ورد في هذه التوراة التي حاكها الكهنة في الأسر البابلي أن تعاليمها الخاصة بالحرب مع أهل فلسطين توصي بل تأمر بقتـل الأطفال والنساء والشيوخ والبهائم ، كما توصي باحراق المدن وإبادة أهلهـا وعدم استبقاء نسمة ما منهم • وقد جاء في القرآن الكريم تحذير لبني اسرائيل من مغبة هذه الاعمال المنكرة التي أدخلوها في كتبهم وقالوا هذا من عند الله ، فنزلت الآية الشريفة : « من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » • وفي القرآن الكريم آيات أخرى تأمر بالمودة ، وتجنّب المعاداة ، والبر بمن لا يقاتل ، تقييما للنفس حتى بالنسبة الى الأعداء • فقد جاء في سورة الممتحنة : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة •• لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » • وبمثل ذلك يأمر الانجيـل الامة المسيحية فيقول : « زيدوا على ايمانكم الفضيلة ، وعلى التقوى المـودة الاخوية ، وعلى المودة الاخوية المحبة • »

٥١ ـ ومما هو اكثر غرابة في هذه الديانة أنها اتهمت موسى ، الرسول ،

(١١) Strangers in Palestine," London, 1970, P. 83.

كما اتهمت اخاه هرون بخيانة الرب فحكم عليهما الرب بالموت لأنهما لم يقدّساه ! وقد كان من الطبيعي أن تثار تساؤلات حول ذلك : هل مات موسى موتاً طبيعياً ، وهل أمر الإله بموته حقاً ؟.. فقد استخلص الباحث الألماني (سيللين) من بعض الفقرات في سفر هوشع من العهد القديم أن هناك دلائل على أن موسى مات شهيداً حيث اغتاله الكهنة الذين قاوموه فهدموا كل ما نادى به من تعاليم دينية تقريباً . وهناك من يرى أن يشوع بن نون هو الذي اغتال موسى حيث استصحبه الى أعلى الجبل ثم عاد بدونه ليعلن أن الامر بموت موسى قد تم تنفيذه وفقا لما قد أمر به الرب . وهكذا تجعل هذه الديانة النبي موسى خائناً فكيف اذن تنسب هذه الديانة اليه وتسبغ عليها صفة القدسية ؟

٥٢ ـ هذه هي الديانة اليهودية التي ابتكرها الكهنة في الأسر للخروج من محنتهم تنفيساً لاحساساتهم الغارقة في عُقد نفسيّة معيّنة نتيجة اليأس وتبدد الآمال ، وذلك بعد مرور ثمانيمائة عام على عهد موسى وبعد انحرافهم عن دين موسى واتهامه بالخيانة ، وهذه هي توراتهم التي بين ايدينا اليوم ، فهي ترتكز على نقطة رئيسة واحدة تدور عليها جميع الحوادث الرئيسة ، ألا وهي وعد الرب بمنح أرض كنعان لليهود مع منحهم الحق بقتل أهل كنعان وإبادتهم عن آخرهم ليحلوا محلهم . ما أعظمها من ديانة مقدسة تقوم على أساس قتل النساء والاطفال والشيوخ !. نعم هذه هي الديانة التي يستند اليها الصهاينة اليوم لتبرير إجلاء أهل فلسطين وقتلهم ليحلوا محلهم لأن توراتهم رفعتهم الى مقام الشعب المختار وقد اصطفاهم الرب من دون الأقوام .

٥٣ ـ وينبهنا القرآن الكريم الى تحريف توراة موسى وانحراف اليهود عنها بما كتبوه وقالوا هذا من عند الله ، فقد جاء في الآية ٧٩ من سورة البقرة قوله تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون.» وفي الآية ٧٥ من نفس السورة : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » . وفي آيات اخرى تأكيد لتحريف اليهود للتوراة : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » (سورة النساء الآية ٤٦ ، سورة المائدة الآيتان ١٣ و ٤١) ،

« مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله » (سورة الجمعة الآية ـ ٥) .

٥٤ ـ والتوراة التي دوّنها اليهود في الأسر عند عرضها للحوادث التاريخية ، لم تحدد التسلسل الزمني ، ولم تنسّق الحوادث بحسب أزمانها وأدوارها . وذلك لكي يلتبس الأمر على القارىء فيعجز عن تحديد مراحل الأحداث التاريخية وتتبع زمن كل منها . والأرجح أن مدونيها تعمّدوا ذلك لافساح المجال لارجاع تاريخ اليهود الى أزمنة سابقة لوجودهم ، فخلطوا بين أدوار تفصل بينها عدة قرون ، اذ ربطوا أحداثا تعود الى عصور متباعدة وعدّوها عصراً واحداً ، ومن ذلك مثلا ربط عصر ابراهيم الخليل بعصر ملوك الفلستينيين وعدّوهما عصراً واحداً ، فجعلوا ابراهيم الخليل معاصراً لهؤلاء الملوك يقابلهم ويحدثهم ، في حين أن ثمة فاصلاً بينهما يمتد زهاء سبعة قرون ، ومثل ذلك فعلوا بربط عصر ابراهيم الخليل بعصر موسى وأتباعه على الرغم من وجود فاصل بين الدورين يمتد زهاء سبعة قرون من الزمن أيضا ، كما أنهم ربطوا عصر اليهود الأخير بعصر موسى على الرغم من وجود فاصل يفصل بينهما يمتد زهاء ثمانيمائة عام . وقد عدّوا كذلك أبناء يعقوب الذين عاشوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد موجودين في عهد موسى ويشوع في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وقد وُزعت أرض فلسطين عليهم . ونكرّر هنا ما سبق ان ذكرناه في المادة (٤٨) من أن أسماء الأمكنة التي نسبت في التوراة الى لأسباط الأثني عشر هي أسماء كنعانية قديمة لأشخاص سكنوها فسمّيت باسمائهم فاحتكرها اليهود باسم أسلافهم المزعومين . ولم يكتف اليهود بان جعلوا تاريخهم يرجع الى عهود قديمة لم يكن لهم أي وجود فيها ، بل ساروا على هذا النحو في إرجاع لغتهم العبرية الى عهود قديمة لم يكن لهم أي وجود فيها ، فقد اعتبروا وجود لغتهم العبرية قبل دخولهم أرض فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وأطلقوا عليها اسم « عبرية التوراة » (Biblical Hebrew) في حين أن العبرية لم تظهر الا بعد مرور أكثر من ستمائة عام على دخول اليهود أرض

فلسطين فكتبوا العهد القديم بها ، والغريب أن أكثر الباحثين قد أخذوا بهذا التزييف للواقع التاريخي .

وقد ذهب بعضهم الى جعل لغة جماعة « العبيرو » القديمة القريبة من اللغة السامية الأم لغة التوراة (Biblical Hebrew) وأن العبيرو هم العبرانيون أي اليهود (انظر الفقرة ٣٥ عن العبيرو) . وعلى هذا الاساس سمّوا هذه اللغة « عبرانية التوراة » كما تقدم ، وذلك قبل أن تظهر التوراة الى عالم الوجود[١٢] . ولكن اليهود مهما أرادوا تزييف الحقائق التاريخية وكيفما تلاعبوا في التسميات فالأمر الذي لا يرقى اليه أيّ شك ، هو أن اللغة الأم التي كان يتكلم بها جماعة « العبيرو » في العصر القديم يمكن أن تكون أي شيء الا العبرية بمعنى اليهودية ، لأن اليهود لم يظهروا الى عالم الوجود الا بعد عصر موسى ولم يدوّنوا توراتهم باللغة العبرية المقتبسة من الارامية الا بعد زمن « العبيرو » باكثر من ألفي سنة .

٥٥ ــ وقد تعمّد مدونو التوراة أيضا إقصاء الكنعانيين والفينيقيين سكان فلسطين الأصليين من كتلة الساميين لعداء اليهود الشديد لهم ، مع انهم كانوا يعلمون حق العلم أنهم هم الساميون العرب أهل البلاد ، في حين أنهم حشروا في الأسرة السامية شعوباً لا يعدّها العلم الحديث من جماعة الساميين مثل العيلاميين واللوديين ، كما أنهم عدّوا الحيثيين من ذرية كنعان وقد صبّ كتبة التوراة جام حقدهم على الكنعانيين فنعتوا كنعان بالملعون « وعبد العبيد ليكون لاخوته وعبداً ليافت » .

ويقول « بروكلمن » في ذلك « إن العبرانيين (أي اليهود) كانوا قد تعمّدوا إقصاء الكنعانيين من جدول أنساب سام ، بسبب العداء الذي كان بينهم وبين الكنعانيين والذي يتمثّل في قصص الحروب التي نشبت بين الطرفين ودُوّنت أخبارها في أسفار التوراة ، فحملهم عداؤهم هذا لهم وحقدهم عليهم على التنصّل منهم ، وعلى التبروء من إلحاق نسبهم بشجرة أنساب سام بن نوح . »

(١٢) H.M. Orlinsky, "Ancient Israel," N.Y., 1956, P. 18.

هل كان اليهود اول من دعا الى عقيدة التوحيد ؟

٥٦ ـ إن ادعاء اليهود أنهم أول من قال بعقيدة التوحيد وهم الذين قدموها للعالم وللبشرية ، وأن الفضل يرجع اليهم في وضع أسس الديانة التي يدين بها اليهود والمسيحيون والمسلمون ، وهو الادعاء الذي يؤيدهم به كثير من الكتاب ، انماهو محض ادعاء باطل لا يستند الى أي أساس أو واقع تاريخي • لأن عقيدة التوحيد لم يناد بها أول مرة غير أنبياء ساميين عرب ، وفي مقدمتهم « ابراهيم الخليل » الذي ظهر قبل عهد اليهود بألف واربعمائة عام وأن فكرة الاله العلي الواحد مالك السموات والأرض ، كانت معروفة عند « الكنعانيين » بشكل من الاشكال ، وكان « المديانيون العرب » يمارسون عقيدة التوحيد أيضا • ويؤكد بعضهم أن اسم « يهوه » إله اليهود نفسه هو اسم احد آلهة البدو الشماليين في جزيرة العرب • وكان الكاهن الكنعاني « ملكي صادق » ملك اورشليم يدين بالاله الواحد إله السموات والأرض وهو الذي بارك ابراهيم الخليل (ع) وكان ذلك قبل ظهور موسى النبي بحوالي سبعة قرون •• وعقيدة التوحيد التي تبناها « إخناتون » قبيل عهد موسى قد جاءت الى مصر على الأرجح عن طريق قبائل الهكسوس السامية التي حكمت مصر زهاء قرنين من الزمن ، وذلك قبل عهد « إخناتون » مباشرة • وقد ذهب بعض الباحثين الى أن موسى أخذ هذه العبادة في عهد « إخناتون » ، وأن موسى نفسه كان مصريا من أتباع هذه الديانة الجديدة وقد سبقت الاشارة الى ذلك •

وتعترف التوراة بان أهل كنعان ومعهم ملك موآب وشيوخ مديان أرسلوا رسلاً الى النبي بلعام ، وهو نبيّ موحّد ، وطلبوا اليه أن يلعن قوم موسى عند دخولهم الى أرض كنعان فأوحى اليه الرب بعدم الاستجابة الى طلبهم ، وهذا النبي نبيٌ كنعاني كان هو وأتباعه يدينون بدين التوحيد مما يدلّ على أن دين التوحيد كان معروفاً عند الكنعانيين وكان بعض قبائلهم يمارسه (الاصحاح ٢٢ من سفر العدد وما بعده) •

وهناك ما يدّل على أن بعض القبائل العربية في الجزيرة العربية كانت تمارس دين التوحيد الذي نادى به ابراهيم الخليل من قبل ، فيقول الدكتور

غوستاف لوبون : « لقد وجد بين العرب في جزيرة العرب من يعبد إلهاً واحداً وسمّي هؤلاء بالحنفاء ، وكان محمد يحبّ هذا الاسم ، وليست عقيدة التوحيد ، التي هي من أهمّ مبادىء القرآن ، كل ما عند الحنفاء ، بل قالوا أيضا ، كما قال القرآن فيما بعد ، إنّ على الانسان أن يسلّم بقضاء الله وقدره تسليم ابراهيم حينما رأى ذبح ابنه اسحق ، ولذا لم يكن من الخطأ إخبار محمد في القرآن بوجود مسلمين قبل ظهوره .»[١٣] (انظر ما تقدم في الفقرة ٣٦) .

دور اليهود السياسي في فلسطين

٥٧ ــ لما دخل الموسويون أرض فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد كان يسكنها أقوام من أصل عربي سام ، هم الكنعانيون والعموريون والعمالقة، وكانت لهذه الأقوام ثقافتهم وتقاليدهم وحكمهم الملكي ترجع الى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد ، فلم يستطع الموسويون طردهم ، فسكنوا بينهم ، وشاركوهم في وطنهم ، ولكنهم لم يلبثوا طويلاً حتى أزيلوا من الوجود سبياً وقتلاً وطرداً، وبقي سكان البلاد في أرضهم .

٥٨ ــ تؤكد التوراة مراراً وتكراراً أن سكان كنعان الأصليين بقوا في أرضهم بعد دخول الموسويين أرض كنعان ، وقد أصبحوا من القوة والكثرة بحيث تمكنوا من السيطرة على الحكم وإخضاع الموسويين لحكمهم في فترات متواصلة قبيل عهد القضاة وفي خلاله .

٥٩ ــ لم يستطع الموسويون واليهود أن يسيطروا على جميع بلاد كنعان في أي دور من أدوارهم إذ بقيت المدن الساحلية الشمالية على طول ساحل البحر المتوسط في يد الكنعانيين (الفينيقيين) ، سكانها الاصليين ، كما أن هناك أقواما ، وأهمهم الفلسطينيون والادوميون والعمونيون لم يذعنوا لليهود الاّ في فترات قصيرة .

٦٠ ــ إن القرائن كلّها تدل على أن دولة داود وسليمان لم تكن قد توفرت فيها مقوّمات قومية وثقافية خاصة بها ، إذ لم تكن لها لغة أو ثقافة أو

(١٣) « حضارة العرب » ، ترجمة عادل زعيتر ، ص ٩٩ ــ ١٠٠ (الطبعة الرابعة) .

حضارة خاصة بها ، بل كانت قائمة كليا على تراث كنعاني بحت كما تؤكد لنا ذلك الاحداث التاريخية ، لأن اللهجة العبرية التي دوّنت بها التوراة في وقت لاحق لم تكن قد تكوّنت بعد في زمن داود وسليمان ، ومعنى ذلك أن كتاب « العهد القديم » لم يكن قد ظهر الى عالم الوجود في ذلك الزمن أمّا المزامير والأمثال التي ترجع الى عهد داود وسليمان فهي من أصل كنعاني وكانت تتلى في ذلك العهد باللغة الكنعانية وعلى الطريقة الدينية الكنعانية ، ثم ترجمها الكهنة اليهود الى العبرية في وقت لاحق وعدّت من الأسفار المقدسة في التوراة ، ففي كل ذلك دليل واضح لا يرقى اليه الشك في أن فلسطين بقيت كنعانية في ثقافتها وفي حضارتها ولغتها في زمن داود وسليمان في القرن العاشر قبل الميلاد وأن دولة داود وسليمان لم تكن الا دويلة محمية لمصر قائمة على تراث كنعاني بحت تمثل أقلية صغيرة بين دول عريقة في حضارتها السامية العربية تحيط بها من جميع أطرافها .

٦١ ـ كانت في فلسطين عدا الكنعانية لغات وثقافات أصيلة من أصل ساميّ عربي ازدهرت قبل دخول الموسويين الى فلسطين مثل لغة الأدوميين ولغات الموابيين والعمونيين والمديانيين والعموريين ولهجات الفينيقيين ، وكان لكل من هذه الأقوام ملوك وحكومات تتمتع بمقومات حضارية مستقلة . أمّا الموسويون ومنهم أتباع داود وسليمان فكانوا متأخرين وهم غرباء طارئون في فلسطين لا يملكون المقومات لكيان حضاري مستقل خاص بهم . إذن فلا مفر والحالة هذه من قبول النظرية أن الكنعانية كانت هي اللغة السائدة في البلاد في ذلك العصر وأن لغة داود وسليمان هي اللغة الكنعانية التي اقتبسها الموسويون من الكنعانيين بعد دخولهم أرض فلسطين .

٦٢ ـ إن هيكل سليمان الذي يمثل حسب وصف التوراة أوج عظمة سليمان هو من صنع الفينيقيين الصوريين وقد بُني على نمط المعابد الكنعانية ، كما أن قصر سليمان في أورشليم من صنع الفينيقيين وقد بُني على طرز العمارة الكنعانية أيضا ، وحتى تسمية الهيكل مأخوذة من كلمة « هيكال » الكنعانية .

٦٣ ـ إن اليهود لم يتركوا أي أثر لكيان سياسي يهودي خاص بهم في

تاريخ فلسطين ، ولكنهم تركوا ديانة يهودية متاخرة مقتبسة من تراث كنعاني وبابلي وأرامي ومصري وان عهد الملوك بما فيه عهد داود وسليمان كان عهدا كنعانيا بحضارته ولغته وثقافته • اما وصف التوراة لعظمة دولة سليمان واتساع حدود مملكته فهو حشو لا يعدو أسلوب المبالغة الذي اعتاده أقوام تلك العصور •

٦٤ ــ وفي كتاب شخصي أرسله العلامة (مندنهول) رئيس شعبة اللغات والآداب السامية في جامعة ميشيغان الاميريكية الى المؤلف جوابا على سؤال وجهه اليه حول المقوّمات الحضارية في عصر داود وسليمان ، يقول بان اللهجة الكنعانية هي لغة ذلك العصر بدليل أن النبي أشعيا الذي يرجع تاريخه الى القرن الثامن قبل الميلاد يسمّي اللغة « شفة كنعان » أي لسان كنعان • امّا فيما يخص دولة داود وسليمان فيقول ما هذا نصه : « منذ عدة سنوات وأنا متمسك بالرأي القائل ان دولة داود وسليمان لم تكن الا دولة وثنية على نمط الدول الوثنية في الشرق الادنى ••• وقد كان هذا نبذاً تاماً لرسالة موسى النبوية •• »

٦٥ ــ ويرى الكاتب الفرنسي « جان لوي برتار » (Jean Bernard) أن سليمان لم يكن يهودياً وانما كان آشوريا « كان نائب الملك معيناً من الخارج » وهو شلمانصر الذي « عبرنه » اليهود فحوّلوا اسمه الى سليمان وقد اغتيل على يدهم • ومن أقواله في بحث مطوّل : « وبصورة عامة لعبت فلسطين دور نائب الملك التابع ، ومهما أوغلنا في تاريخها القديم لا نجدها أبدا قد عاشت مستقلة ، وحتى في أيام داود ، الذي تولّى الحكم في القدس ، كانت تدور في الفلك المصري العملاق • وكل فرعون كان يعيّن نائباً له يختاره من العنصر المحلي • والرومان قد حذوا حذو الفراعنة ، فان هيرودس مثلا كان من عنصر آخر ، كان أدوميا على حد تعبير العهد الجديد ، وهذا العنصر قد قسى من كره اليهود له •• ولو كان سليمان يهوديا لا ستحالت الصداقة مع ملكة سبأ العربية الى كراهية وبغضاء ، لأن اليهود.وهم امشاج مختلفة كانوا منبوذين في العالم العربي ••• وكان هذا السامي الكردي مرتبطا روحيا بمصر اذا لم يكن هذا الارتباط سياسياً وقد تزوّج بامرأة مصرية من طبقة روحية عليا

تدين بديانة الالهة هاتور •• وان آية الشاعر الملك الرائعة هي «نشيد الانشاد» الذي هو عبارة عن غزل ديني كان سائداً آنذاك ، وهو مصري قلباً ، وقالباً ، نبع خالص من الأدب الصوفي المصري : (انا سرداء ولكنّي جميلة) • »

٦٦ ـ لم يؤلف اليهود في أي دور من أدوارهم أكثرية في فلسطين لأن السكان الاصليين غير اليهود كانوا يتكاثرون ويستقرون في أرضهم ، في حين أن اليهود كانوا يتقلصون لتعرضهم للاضطهاد والقتل والسبي من دون الأقوام الاخرى في البلاد ، حتى أجلي آخر من تبقى منهم في السبي البابلي الثاني سنة ٥٨٣ ق•م ، واستأثر الادوميون والنبط وسكان فلسطين الاصليون ، بالبلاد • ثم بعد رجوع بعض اليهود من بابل الى فلسطين في زمن الفرس قضى عليهم الرومان نهائيا سنة ١٣٥ ب•م• وبقي سكانها الاصليون حتى الفتح الاسلامي حيث بقيت فلسطين في يد المسلمين ١٣ قرنا ونصف قرن •

هل فلسطين سلعة لا اهل لها حتى تباع بالوعود ؟

٦٧ إن ما أورده مدوّنو التوراة من أن هناك وعداً نسبوه الى ربهم « يهوه » بمنح بلاد كنعان لابراهيم ولنسله من بعده ، وما أوردوه أيضا من أن هناك امرا من الاله العلي يقضي بابادة سكان كنعان من غير تمييز بين رجل وامرأة وبين شيخ أو طفل وأحراق مدنهم وما فيها بالنار ، واحلال اليهود محلهم، مسألة فيها نظر : فان عزو مثل هذا الوعد المشروط بالقتل الجماعي والابادة الى الله هو من غير شك افتراء محض ، لأنه لا يمكن أن تعترف أية ديانة سماوية بابادة بني الانسان وقتل النفس البريئة ، وانه افتراء على النبيين الجليلين ابراهيم الخليل وموسى أن تنسب اليهما الرغبة في ابادة الاقوام وقتل الابرياء ، والمعلوم أن ابراهيم الخليل سكن مع الكنعانيين والمصريين وعاش معهم في مودة ووئام ووفاق • ثم كيف يكون التوفيق بين هذا الكلام وبين ما ورد في وصايا موسى العشر بقولها : «لاتقتل» ؟ فهذا كله دليل قاطع على أن الوعد المشروط بالقتل الجماعي والابادة مختلق من حيث الاساس ، اذ كيف يمكن أن يحمل كلام كهذا طابعا قدسيا ؟••

٦٨ ـ ومن الواضح أن وعد بلفور إن هو إلاّ نسخة طبق الاصل للوعد

التوراتي المزيف فكلا الوعدين يهدفان الى تحقيق عملية واحدة من حيث الاعداد والتصميم وهي : طرد سكان فلسطين العرب من مساكنهم بالقوة ، وإحلال اليهود محلهم • وهذا التجاوز على حقوق أهل فلسطين لا يمكن أن يدوم ، لانه عمل عدائي صريح مخالف للعدل والانسانية • وكما ازيل أثره في الماضي ، كذلك سيزال عاجلا أو آجلا • والحق لا يموت اذا كان له مطالب سخي في التضحية •

وأدق تحليل لواقع الحال بالنسبة لقضية العرب واليهود يمكن أن ننهي به هذه المقدمة هو ما كتبه اسحق دويتشر المعلّق اليهودي المعروف بتحليلاته للأحداث السياسية الدولية التي كانت تنشر في الصحف الرئيسة لمدة أربعة عشر عاماً في أوروبا والولايات المتحدة وكندا واليابان والهند وأمريكا اللاتينية، فيخلص من خلال خبرته العملية ومعرفته الدقيقة بالأحوال السياسية والاقتصادية والعسكرية في اسرائيل الى أن النصر الاسرائيلي العسكري يُعدّ كارثة تاريخية بالنسبة للصهيونية على المدى البعيد ، وان الطريق العربي الى النصر على الصهيونية والاستعمار يمر بخطى سريعة نحو تحقيق تطوّر شامل في بنيان مجتمع عربي موحّد مبني على استراتيجية ثورية جديدة يرمي الى التحرر من طوق المطامع الاستعمارية في المنطقة • فيقول دويتشر في كتابه « اليهودي اللايهودي » ما هذا نصه :

« إنّ الحرب و (معجزة) النصر الاسرائيلي لم تحلاّ أياً من المشاكل التي كانت قائمة بين اسرائيل ، وبين الدول العربية ، على العكس ، لقد ضاعفت الحرب من خطورة المشاكل القديمة ، وخلفت مشاكل أخرى جديدة أكثر خطورة من المشاكل السابقة ، ثم ان هذه الحرب لم توفر لاسرائيل الأمن الذي كانت تنشده ، بل جعلتها عرضة للمتاعب أكثر من أيّ وقت مضى • وانني مقتنع بأن النصر الاسرائيلي سيتحول في المستقبل القريب الى كارثة تصيب دولة اسرائيل نفسها ••• إن هذا النصر بالنسبة لاسرائيل هو أشد ضررا لها من الهزيمة ، ولقد أضعفها بدلا من أن يوفر لها الأمن والاستقرار (ص ١٠٦،٩٢)•

* * *

وقبل أن أختم مقدمتي هذه أرى لزاماً عليَّ أن أعبرّ عن شكري وتقديري الى وزارة الاعلام التي تبنّت مشروع إخراج هذا الكتاب مستهدفة بعملها هذا خدمة القضية الفلسطينية التي جعلتها في طليعة أعمالها وصميم جهودها ، وهي ما فتئت تحرص كل الحرص على إنجاز كل ما من شأنه أن يؤدي الى إحياء تراث الامة العربية وتحقيق الاماني بوحدتها الرصينة التي ترعاها وتسعى لها •

ولابد من التنويه أيضاً بفضل الزملاء من أهل العلم والبحث الذين تكبدوا مشقة تلاوة مسودات الكتاب الطويلة وابداء ملاحظاتهم القيمة التي ساقتني الى استدراك نقاط معينة باضافة بعض الشروح والايضاحات • وأود أن أنوه بوجه خاص بفضل ثلاثة من العلماء الافاضل الذين تجشموا عناء هذه المهمة الشاقة ، والذين كان لملاحظاتهم واقتراحاتهم أكبر الفائدة وأعني بهم : الاستاذ طه باقر ، خبير الآثار المعروف ، الذي طالع المسودات وأبدى ملاحظات قيمة ، والصديق الكريم البحاثة الاستاذ أحمد حامد الشربتي الذي لازمني طيلة مدة مرضي وقام بتصحيح مسودات المطبعة فضلا عن جعله مكتبته تحت تصرفي ومراجعته لفصول الكتاب ، والاديب البحاثة الاستاذ سالم الآلوسي مدير الثقافة العام بوزارة الاعلام الذي أبدى اهتمامه بالكتاب وأشرف على طبعه فقد كان حريصا كل الحرص على أن يخرج الكتاب في أحسن حالة ممكنة من الاتقان مظهرا وموضوعا ،فضلا عن مراجعته للمسودات وابدائه ملاحظات مهمة وقيمة ، فاني مدين لهم جميعا بالشكر والامتنان والتقدير • كما تدفعني الامانة العلمية أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير الى العلامة الاستاذ محمد بهجة الاثري والصديق الفاضل البحاثة الاستاذ جعفر الخليلي بتلاوة هذه المقدمة وابداء ملاحظاتهما القيمة فيها ، وهذا لا يعني بان ايا من الاساتذة الافاضل مسئول عما ورد في الكتاب من الآراء أو عما قد يرد فيه من مآخذ فانا وحدي أتحمل مسئوليتها •ولا يفوتني أن أسجل شكري وتقديري للجهود الي بذلتها دار الحرية (مطبعة الحكومة) وبخاصة ما أبداه موظفوها ومرتبوها وطباعوها من الصبر الطويل والعناية في إعادة التصحيحات المطبعية وإخراج الكتاب على خير ما يرام في الدقة والاتقان ، ومن الله العون والتوفيق •

كانون الثاني ١٩٧٢ **احمد سوسه**

الفصل الأول

الهجرات الرئيسية الى الهلال الخصيب

١ ـ تمهيد . ٢ ـ هجرة الكنعانيين الى فلسطين : أ ـ كنعان واصل تسميتها ؛ ب ـ الحضارة الكنعانية ودورها الطليعي في التقدم الحضاري ؛ ج ـ الكنعانيون الفينيقيون ؛ د ـ دور الفينيقيين في تقدم العلوم والجغرافيا بوجه خاص ؛ هـ ـ الديانة الكنعانية الفينيقية ؛ و ـ بلاد كنعان في النصوص المصرية القديمة . ٣ ـ هجرة العموريين العمالقة الى فلسطين وسورية والعراق . ٤ ـ هجرة الاراميين الى سورية والعراق : أ ـ القبائل الارامية و«الاخلامو» و«العبيرو» (الخبيرو) ؛ ب ـ اتساع تجارة الاراميين وانتشار لغتهم في الشرق ؛ ج ـ اقدم الكتابات الارامية ؛ د ـ ديانة الاراميين ؛ هـ ـ القبائل الارامية والعرب البائدة ترجع الى اصل واحد ؛ و ـ موجز تاريخ الاراميين السياسي ؛ ز ـ خلاصة. ٥ ـ هجرة الاكديين الى وادي الرافدين وتأسيس اول انبراطورية سامية . ٦ ـ هجرة القبائل العربية الى مصر: أ ـ حكم الهكسوس في مصر ؛ ب ـ حضارة الهكسوس وثقافتهم ؛ ج ـ اسرة سامية عربية مهاجرة الى وادي النيل على نقش مصري قديم ؛ د ـ طرد الهكسوس من مصر . ٧ ـ العموريون العمالقة يؤسسون الانبراطورية البابلية القديمة (ثاني انبراطورية سامية) . ٨ الاشوريون يؤسسون الانبراطورية الآشورية (ثالث انبراطورية سامية) أ ـ العهد الآشوري القديم (٤٠٠٠/٣٠٠٠ أ ـ ١٥٩٥ ق.م.)؛ ب ـ العهد الآشوري الوسيط (١٥٩٥ـ٩١١ ق.م.) ؛ ج ـ العهد الاشوري الحديث (٩١١ـ٦١٢ ق.م.) ؛ د ـ نهاية الدولة الآشورية ؛ هـ ـ الحضارة الآشورية . ٩ ـ الكلدانيون (الاراميون) يؤسسون الانبراطورية الكلدانية (رابع انبراطورية سامية) : أ ـ دور الدولة الكلدانية في القضاء على مملكة يهوذا ؛ ب ـ حضارة الكلدانيين . ١٠ ـ هجرة الحوريين الى سورية والعراق

وفلسطين . ١١ ـ هجرة الحيثيين الى شمال سورية . ١٢ ـ هجرة الفلستينيين الى فلسطين . ١٣ ـ الهجرات السامية العربية المتأخرة .

١ ـ تمهيـــد

إن تاريخ فلسطين القديم ينحصر في أقدم فترة عاشتها أرض فلسطين في مسيرتها الحضارية ، وهذه الفترة تتميّز بأهم ظاهرة في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، هي هجرات جماعات من سكان جزيرة العرب الى الهلال الخصيب[1] على هيأة موجات متتالية ، وهذه لعبت دوراً رئيساً في تغيير مجرى الكيـان الحضاري وتطوره في العالم القديم .

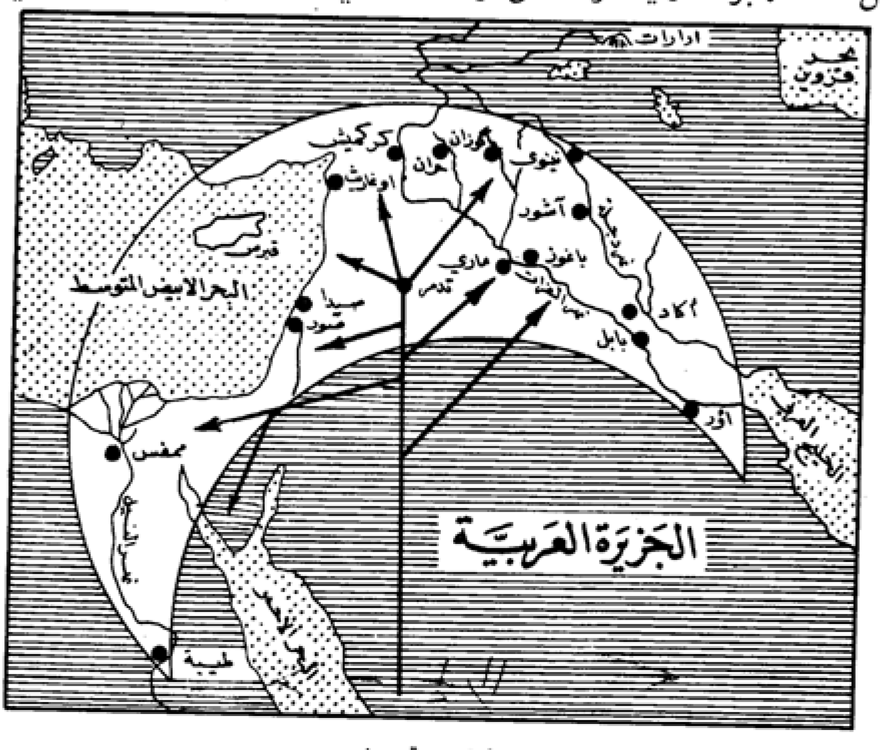
تبدأ هذه الفترة ، حسب تقدير العلماء ، في حوالي الألف الثالثة قبـل الميلاد ، أي قبل حوالي خمسة الآف عام ، وتنتهي بظهور قوم موسى عـلى مسرح الأحداث بعد خروجهم من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميـلاد ، وبذلك يكون هذا الدور من تاريخ فلسطين القديم قد استغرق ما يقارب ألفي عـام .

ويرى الباحثون في أصول أقوام الشرق الأدنى أن أسلاف هذه الجماعات كانوا يتمتعون في الأصل بحضارة قديمة في الطرف الجنوبي من شبه جزيـرة العرب ، وقد كانت بلادهم في تلك الأزمان عامرة بأنهارها الدائمة الجـري وبامطارها الغزيرة الدائمة السقوط ، الا أنها تعرّضت الى تغيرات مناخية في نهاية العصر الجليدي الأخير في حدود سنة ٢٠٫٠٠٠ قبل الميلاد[2] ، الأمـر

(١) يطلق عادة مصطلح « الهلال الخصيب » على القسم الخصب الهلالي الشكل من جزيرة العرب الذي يقع على أطرافها الشرقية والشماليـة والغربية ، ويشمل سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الاردن والعراق وبعضهم يدخل الجزء الشمالي من وادي النيل ضمن الهلال . وأول من قال بهذا الاصطلاح الاستاذ بريستد وسماه بالانكليزية (The Fertile Crescent)

(٢) يعتقد العلماء أن الشرق الاوسط يجتاز اليوم فترة جفاف وحرارة عاليـة ويذهبون الى أنها بدأت منذ أكثر من ستة آلاف عام وما زال الجفاف فيها بازدياد مستمر (انظر التفاصيل عن التغيرات المناخية فى كتاب « الري والحضارة » للدكتور أحمد سوسة (مؤلف هذا الكتاب) ص ١٨١ـ١٨٣) .

الذي أدّى الى انحباس الأمطار واندثار الأنهر ، فأخذ الجفاف ينتشر منذ ذلك الحين في النطاق الصحراوي الحالي ، مما اضطر الانسان والحيوان الى الهجرة الى أماكن ذات موارد مائية دائمة ، فكان ان توجّه هؤلاء السكان الى شمال الجزيرة ومنها أخذوا يتوزعون على أطراف الهلال الخصيب في موجات متعاقبة ، فمنهم من توجّه شرقاً نحو بلاد الرافدين ، وبصورة خاصة نحو نهر الفرات ، ومنهم من استقر في فلسطين وفي سورية وفي لبنان ، وهناك من توجّه غرباً نحو طور سيناء وأطراف وادي النيل الأسفل الشرقي • ويحدد بعض الباحثين بداية هذه الهجرات الى الهلال الخصيب بالألف الرابعة قبل الميلاد وربما قبل ذلك ، على رأي البعض الآخر ، ولكن معلوماتنا من التنقيبات الآثارية تحدّد بداية تاريخ الهجرات المذكورة بالألف الثالثة قبل الميلاد • وسنبحث فيما يلي في كل من هذه الهجرات وفيما تركته من تراث حضاري لما لها من صلة مباشرة فـي



المرتسم رقم ١

الهجرات السامية العربية من جزيرة العرب الى الهلال الخصيب

موضوع بحثنا وارتباطها به •

ومما يذكر أن هذه الجماعات لم تستقر في مستوطناتها الجديدة نتيجة حرب أو غزو ، بل كانت قبل ان تحل فيها تتنقل بين أرجاء البادية الفسيحة في أرض مكشوفة مفتوحة للجميع (أرض الله الواسعة) فتقصد الماء أينما كان ، إذ كانت الأماكن الصالحة للسكنى في هذه البقاع متوفرة للجميع في البداية • وكان كل المهاجرين من عنصر وأصل واحد وقومية واحدة (القومية العربية) تربطهم وشائج اللغة والتراث الصحراوي الذي ينتمون اليه جميعاً ، فلا يزاحمهم أو يعترضهم عنصر غريب لان العناصر غير السامية لم تكن قد هاجرت الى هذه المنطقة بعد • وكانت مستوطناتهم خاضعة لحكم قبائلي عشائري يتولاه رؤساؤهم وشيوخهم ، إذ كانت كدويلات المدن لها أحكامها الخاصة بها ، وهذه مستمدة من الأعراف والتقاليد المتوارثة من المجتمع البدوي ، فيقوم شيخ القبيلة ومجلس مشايخها في ممارسة السلطة • وكان اتصال المهاجرين مستمراً بينهم وبين أبناء عمومتهم في وطنهم الأصلي حيث كانت الجمال تطوي البوادي دون انقطاع مسيطرة على طرق المواصلات وهي الواسطة التي كانت تربط المستوطنات الجديدة بوطنها الأصلي عبر البوادي والصحاري • ومن المعتقد أن الهجرة كانت تدريجية على النحو الذي نشاهده اليوم في هجرة القبائل العربية من الجزيرة العربية الى وادي الرافدين •

ومن أمثلة الهجرات الحديثة هجرة قبائل شمر من ديارها في الجزيرة (أراضي نجد منطقة حائل) ، فقد نزحت جماعات من هذه القبائل الى العراق على موجتين متتاليتين ، الاولى قبل خمسمائة سنة ومن بقاياها جماعة الغرير التي صارت تمارس الزراعة في منطقة المحمودية وجماعة زوبع في الفلوجة وغيرها من العشائر المستقرة التي تسكن أرض السواد ، وأما الموجة الثانية فهي أحدث وقد دخلت العراق قبل ثلاثمائة سنة تقريباً ومن بقاياها عشائر شمر جربة التي استقرت في الاراضي الممتدة ما بين نهري دجلة والفرات في شمالي الخط الواصل ما بين بغداد والفلوجة • وقد استمرت أفخاذ شمر في الهجرة حتى ما بعد الحرب العالمية الاولى • والمعلوم ان عشائر شمر منتشرة اليوم في المملكة العربية السعودية وفي العراق وفي سورية • وعلى الرغم من هجرة هذه القبائل وطنها الاصلي في جزيرة العرب بقيت مرتبطة بولائها لزعمائها

في الوطن الأم .

ومن قبائل العرب الكبرى التي تصور لنا مثلاً حياً للهجرات القبائلية من الجزيرة العربية وارتباطها بوادي الرافدين قبيلة « عنزة » . وأصل وطن هذه القبيلة الحجاز في أنحاء المدينة المنورة ، ويرجع تاريخها الى العهد الجاهلي حيث أورد ذكرها كل من ابن خلدون وابن سعيد . وبيت آل سعود ملوك نجد والحجاز اليوم منها وكذا آل صباح وآل خليفة في الكويت والبحرين . ان مجيء جماعات هذه القبيلة الى العراق يصادف زمن مجيء شمّر الجرباء،وتقسم الى فرعين رئيسين الاول ومركزه الرطبة ويدعى بقبائل العمارات والفرع الثاني ويسمى بالدهامشة (الظفير) ومركزه نقرة السلمان[٣] .

وفي ذلك يقول المرحوم العقاد : « إن اتجاه الهجرة من ناحية البحرين وناحية الحجاز متواتر في الأزمنة التاريخية القريبة والبعيدة وأقربها ما حدث بعد الاسلام في وقت واحد من زحف العرب على العراق وزحفهم على الشام في عهد الخليفة الصديق . والجزيرة العربية في عزلتها المعروفة أشبه المواقع أن تضيق فيها موارد الغذاء عن سكانها فيهجروها الى أودية الأنهار القديمة ، وليس لدينا ما يمنع أن يكون التاريخ الحديث دليلاً على التاريخ القديم »[٤] .

وقد بقي النزاع بين أهل « المدر » وأهل « الوبر » ، أي بين البداوة والاستيطان الثابت ، مستمراً طيلة هذه الأدوار التاريخية ، ولكن هذا النزاع لم يقض على بداوة الرعي التي سارت جنباً الى جنب مع الزراعة المستقرة بعد أن انفصل مجالهما ، « فسكن المزارعون حول ضفاف الأنهار وزرعوا الأرض ، بينما تكيّف الرعاة مع طبيعة المرعى وطبيعة الحيوان ، واتخذوا مسارحهم في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية ... وكان البدو في الفترات التاريخية التي عاشوها يملكون من أسباب القوة ما يفتقده المزارع ، فطبيعة حياتهم القاسية دفعتهم الى أن يتصفوا بالشجاعة دفاعاً عن أنفسهم في بيئتهم الموحشة طبيعياً والمخيفة بشرياً ، وهم بهذا نشأوا محاربين ، فكانوا يملكون الوسائل

(٣) « البداوة والاستقرار في العراق » للدكتور نوري البرازي ، معهد البحوث والدرسات العربية ، ١٩٦٩ ، ص ١٢٦ – ١٣١ ؛ « البدو والقبائل الرحالة في العراق » تأليف مكي الجميل ، ١٩٥٦ .

(٤) « اثر العرب في الحضارة الاوربية » ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٠

المادية للقتال ، فهم أهل الخيل والابل يطلبون أعداءهم على ظهورها ، ويفوقونهم بها ، فالبدو كما نعلم من التاريخ كانوا متفوقين حربياً لفترة طويلة على أهل الحضر الذين عاشوا فترة من الزمن في حمايتهم يدفعون لهم (الخوة) أي الاتاوه»[٥] .

٢ ــ هجرة الكنعانيين الى فلسطين

ومن أقدم الهجرات التي قام بها أهل جزيرة العرب الى الهلال الخصيب هجرة الجماعات التي توجّهت الى أرض فلسطين في النصف الاول من الألف الثالثة قبل الميلاد حسب أوثق التقديرات الأخيرة ، ويرجع البعض سكنى الكنعانيين في أرض فلسطين الى ما قبل ذلك بزمن بعيد ، اذ توصل الآثاريون الذين أجروا تنقيبات في بعض المدن التي تحمل أسماء كنعانية أصلية مثل « أريحا » و « بيت شان » و « مجدّو » الى ارجاع تاريخ هذه المدن الى ما قبل الألف الثالثة قبل الميلاد . فقد أرجع الباحثون تاريخ بلدة أريحا الى ما قبل سبعة آلاف سنة وهذا ما جعل بعضهم يعتبرها أقدم مدينة في العالم ما زالت باقية حتى الآن[٦] ، هذا وقد توصل الباحثون أيضاً الى أن أقدم المعابد الكنعانية تقع في « أريحا » وفي « مجدّو » ، وهي ترجع الى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد[٧] . ويقول الاستاذ أولبرايت في كتابه « الاركيولوجيا والديانة الاسرائيلية » إنه لدينا من البراهين والأدلة على أن الكنعانيين أصحاب اللغة السامية الغربية استقروا في فلسطين في أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد حيث عثر على أسماء مدن تحمل أسماء كنعانية ترجع الى الأسرة الخامسة المصرية (٢٩٦٥ ق . م .) ، كما وردت كلمات كنعانية في المدونات المصرية من عصر الاهرام (القرن الثامن والعشرون قبل الميلاد)[٨] . وفي ضوء ما تقدم نستطيع أن نجزم واثقين بأن الكنعانيين كانوا مستقرين في فلسطين قبل خمسة آلاف سنة .

---

(٥) « البداوة والاستقرار في العراق » ص ١٠٨ ــ ١٠٩ .

(٦) Keller, "The Bible as History," 1957, p. 159.

(٧) Hitti "History of Syria," 1951, p. 120.

(٨) Albright, "Archaeology and the Religion of Israel," 1942, p. 68.

١ ـ كنعان واصل تسميتها

ورد ذكر كنعان في رسائل العمارنة التي تعود الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد باسم (Knakhni) ، وكانت هذه التسمية تطلق حينذاك على القسم الجنوبي من بلاد الشرق المشتملة على أرض فلسطين والتي كان قد استولى عليها تحوطمس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، أما القسم الشمالي فكان يسمّى « أمورو » ويشمل منطقتي لبنان وشرقي الاردن[٩] •

وقد ورد في الكتابات القديمة ذكر مدينة بابلية باسم كنعان (Kan-nan) وسمّي ساكنها كنعاني (Kanunai) وهو نفس اسم كنعان الفلسطيني ، ويعتقد أن هذه التسمية جاءت عن طريق انتقال مهاجرين من كنعان الى بابل فسمّيت مدينتهم على اسم بلدهم التي جاؤا منها طبقا للعادة التي اتبعها المهاجرون في مختلف البلدان عبر التاريخ[١٠] • ومما يذكر في هذا الصدد أن تسمية كنعان ما زالت حتى هذا اليوم تطلق على موضع في لواء ديالى من العراق •

وكنعان هي نفس التسمية التي وردت في التوراة[١١] ، وذلك نسبة الى كنعان بن حام بن نوح • «وقد ولد صيدونَ بكره وحثاً واليبوسيَّ والأموريَّ والجرجاشيَّ والحويَّ والعرقيَّ والسينيَّ والاروادي والصّماريَّ والحماتيَّ • وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني • وكانت تخوم الكنعانيَّ من صيدون حينما تجيء نحو جرار الى غزة وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم الى لاشع • »[١٢] وبذلك تكون بلاد كنعان قد شملت على وصف التوراة الرقعة الجغرافية الواقعة بين شاطيء البحر المتوسط الشرقي من أوغاريت الى غزة وبين الصحراء السورية ومن سهول أدنه في جنوبي آسيا الصغرى الى صحراء النقب جنوبي فلسطين • وفي رأي الباحثين المحدثين أن كنعان كلمة حورية تعني الصبغ القرمزي ، وهو الصبغ الذي كان الكنعانيون يصنعونه

---

(٩) Rogers, "Cuneiform Parallels to the Old Testament." 1912, p. 260

(١٠) G.A. Smith, "The Historical Geography of the Holy Land," 1931, p. 296

(١١) عدد ٣٤ : ١ ؛ ٣٥ : ١٠ ؛ خر ٣ : ١٧ •

(١٢) تك ١٠ : ١٥ ـ ١٩ •

ويتاجرون به[١٣] • وكان اسم بلاد كنعان يطلق في أول الأمر على الساحل والقسم الغربي من فلسطين ، ولكنه عم استعماله بعدئذ بحيث صار يشمل قسماً كبيراً من سورية وأطلق على كل فلسطين أيضاً • وتعتبر بلدة « شكيم » (نابلس) العاصمة الطبيعية لبلاد كنعان لموقعها في وسط فلسطين ، كما تعتبر « حاصور » العاصمة الشمالية في منطقة الجليل ، وقد لعبت كلتاهما دوراً مهماً في تاريخ فلسطين القديم •

ب ـ الحضارة الكنعانية ودورها الطليعي في التقدم الحضاري

ومما لاشك فيه أن الكنعانيين هم أقدم الأقوام الذين استقروا في أرض فلسطين واليهم يرجع تأسيس حضارة فلسطين القديمة • والأرجح أن لغتهم كانت في الاصل اللغة التي اعتبرت أقرب لغة الى أم اللغات السامية ، أي اللغة العربية القديمة التي كان يتكلم بها أهل الجزيرة قبل هجرتهم الى الهلال الخصيب ، ثم تفرعت منها مختلف اللهجات المتأخرة ، ومن هذه اللهجات التي انفردت فيما بعد بخصائصها الخاصة بها اللغة الكنعانية التي صارت تعرف كأحدى اللهجات في مجموعة دعيت بكتلة اللغات الغربية ومنها الموآبية والفينيقية والعبرانية لتمييزها عن اللهجات الأخرى ضمن أطار المجموعات السامية •

وترجع الحضارة الكنعانية الى عصور واغلة في القدم ، فمنذ العصر الحجري الحديث أو العصر النيوليثي (٧٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ق • م •) بدأت هذه الحضارة تنمو وتتقدم في مجال التمدّن ، فكان الكنعانيون أول من اكتشف النحاس اللين ، ثم اهتدوا الى الجمع بين النحاس والقصدير في انتاج البرونز ، وبذلك كانوا السباقين في ادخال فن التعدين مما أعطى تلك الشعوب البدائية أدوات وأسلحة فتاكه • فقد أصبح استعمال البرونز شائعاً في المدن الكنعانية منذ أواسط الألف الثالثة قبل الميلاد[١٤] ، وبدأت تستعمل الحديد منذ أواخر الالف الثانية قبل الميلاد • ومن المحتمل أن الكنعانيين أخذوا بصناعة الحديد

---

(١٣) Hitti, "History of Syria," p. 97.

(١٤) Lods, "Israel," p. 59; A. Bertholet, "Histoire de la civilisation d'Israel, 1929 (French Translation), p. 70

من الفلستينيين أو أنهم أخذوا بها من الأقوام المجاورة لهم مثل الحيثيين(١٥) • ومن الجائز أيضا أن يكونوا قد أخذوا بها من العرب الذين كانت لهم مناجم حديد مهمة أيضا ، أو أنهم اكتشفوا معدن الحديد في داخل بلادهم(١٦) ، وقد ثبت وجود المعدن في لبنان وفي الاردن(١٧) •

ويتجلّى لنا مدى تقدم صناعة المعادن في بلاد كنعان أبين التجلّي مما أورده الفراعنة المصريون في وصف الغنائم التي أخذوها من المدن الكنعانية في فتوحاتهم للشرق ، فنجد بين المصنوعات المعدنية الثمينة التي وردت في القوائم التي سجّلها تحوطمس الثالث ، أحد فراعنة السلالة الثامنة عشرة (١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق • م •) عربات مطعمة بالذهب وأوتاد لتثبيت الخيم مطعمة بالفضة وسرائر من العاج ومضاجع مطلية بالذهب وأنواع من الكؤوس والآنية والسيوف وتماثيل من الذهب ومن خشب الأبنوس ، وفي القائمة علاوة على ما تقدم ٢٠٧٫٠٠٠ كيس من الحنطة جلبها تحوطمس من كنعان(١٨) •

وكانت زراعة الكروم والتين من أهم المزروعات القديمة في كنعان ، وتوجد بيّنات على أن هذه الزراعة كانت مزدهرة في عهد پيبي الاول (حوالي ٢٥٠٠ ق • م •) إذ وجدت هناك معصرات للزيت والأعناب من تلك العصور مصنوعة بمنتهى الاتقان ، وتشير مدونات تحوطمس الثالث الى خصوبة أرض كنعان فتؤكد ان النبيذ عند الكنعانيين كان موجودا بكثرة أكثر من الماء(١٩) •

وقد تقدم لدى الكنعانيين عدا فن الصناعة وصناعة العاج صناعة الزجاج والنسيج الصوفي والقطني ، وكذلك صناعة الأصباغ ولاسيما القرمز والارجوان التي اقترنت باسم الكنعانيين •

وقد اشتهر الكنعانيون بما ابتكروه من وسائل الدفاع عن مدنهم وكرّسوا طاقاتهم وجهودهم في سبيل اتقان الأساليب الحربية التي لازمتهم طيلة حياتهم

---

(١٥) ارميا ١٥ : ١٢ (انظر ما يلي حول هجرة الفلستينيين والحيثيين) •

(١٦) تث ٨ : ٩ •

(١٧) Lods, "Israel," p. 32, 59.

(١٨) Lods, "Israel," p. 60.

(١٩) Vincent, "Canaan d'après l'exploration récente" pp. 77-8.



التصوير رقم ١٠
المدخل المدرج الى نفق جازر الكنعاني

بسبب النزاعات والخصومات المستمرة بين دويلات المدن الكنعانية المنتشرة في أرجاء البلاد وبسبب الغزوات التي كان يشنها الفاتحون من خارج البلاد ، ومن الوسائل التي برعوا فيها انشاء القلاع ومايرافقها من تحصينات دفاعية، ولحاجتهم الى الماء في فترات الحصار قاموا باعمال هندسية ضخمة لايصال الماء الى داخل القلاع • ومن بقايا هذه المشاريع التي لا تزال آثارها ماثلة للعيان النفق الطويل الذي حفروه في بلدة جازر الكنعانية الواقعة على بعد حوالي ٣٥ كيلومترا الى الشمال الغربي من أورشليم للوصول الى ينبوع من الماء يقع تحت سطح الارض بعمق حوالي مائة قدم ويُنزل الى هذا الينبوع باجتياز مدرّج مكوّن من ٨٠ درجاً • ويبلغ طول هذا النفق ٢١٩ قدماً ، ويرى الآثاريون أن الكنعانيين كانوا قد اتخذوا هذا الموقع حصناً منيعاً يرجع بناؤه الى حوالي سنة ٣٠٠٠ ق•م فحفروا هذا النفق لتموين الحصن بالمياه[٢٠] •

وقد أقام الكنعانيون مشروعاً آخر من هذا القبيل في أورشليم وذلك لايصال الماء الى الحصن الذي كان قد شيّده اليبوسيون سكان أورشليم الأصليون على الهضبة الشرقية من مدينة القدس الحالية ، واليبوسيون هم فرع من القبائل الكنعانية التي كانت قد نزحت من جزيرة العرب واستقرت في فلسطين منذ أوائل الالف الثالثة قبل الميلاد ، لذلك سمّيت المدينة باسمهم « يبوس » فاصبحت هذه التسمية مرادفة لأورشليم ، وقد ورد ذكرها في التوراة على هذا الشكل ، فقيل « يبوس هي أورشليم » و « أورشليم مدينة اليبوسيين »[٢١] • وكان يعرف حصن يبوس بـ «حصن صهيون » أيضاً ، كما كان يعرف الجبل الذي أقيم عليه الحصن بالاكمة أو « أوفل »[٢٢] وأحياناً « جبل صهيون »[٢٣] • ولتموين الحصن بالمياه حفر اليبوسيون نفقا داخل الجبل وسحبوا المياه فيه من عين ماء غزيرة تقع شرقي الحصن على حافة

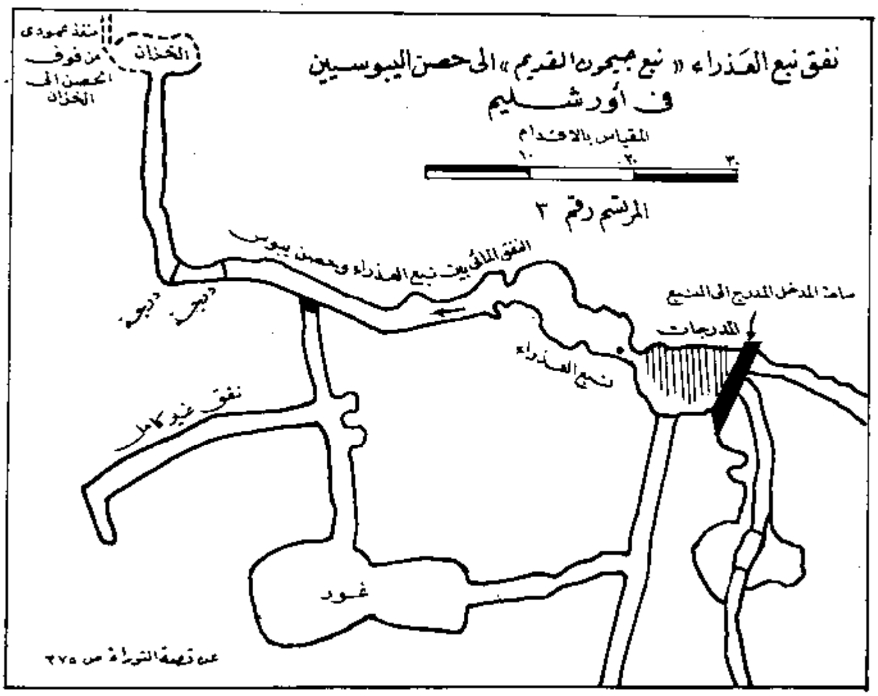
(٢٠) "The Story of The Bible," Vol. 1, p. 272; Lods "Israel," p. 61; Bertholet, "Histoire de là civilisation..." p. 67.

(٢١) قض ١٩ : ١٠ ، ١٢ •

(٢٢) ٢ مل ٥ : ٢٤؛ ٢ أخ ٢٧ : ٣ ؛ ٣٣ : ١٤ ؛ اشعيا ٣٢ : ١٤ ؛ ميخا : ٤ : ٨ •

(٢٣) رسالة القديس بولص الى العبرانيين ١٢ : ٢٢ •

« وادي قدرون » (وادي ستي مريم حالياً) الى الحصن • ويمتد هذا النفق مسافة ١٧ يردة الى الغرب بين العين والحصن ، وقد نقر الحجر وصنع شبه خزان في نهاية النفق ومنه حفر منفذ في الحجر بحجم (٦×٤ أقدام) يصعد الى سطح الهضبة داخل الحصن بعمق تسع يردات • وكان الماء يستقى من سطح الحصن بالسطل والحبل من البئر التي فيها الخزان (انظر المرتسم رقم ٣) •

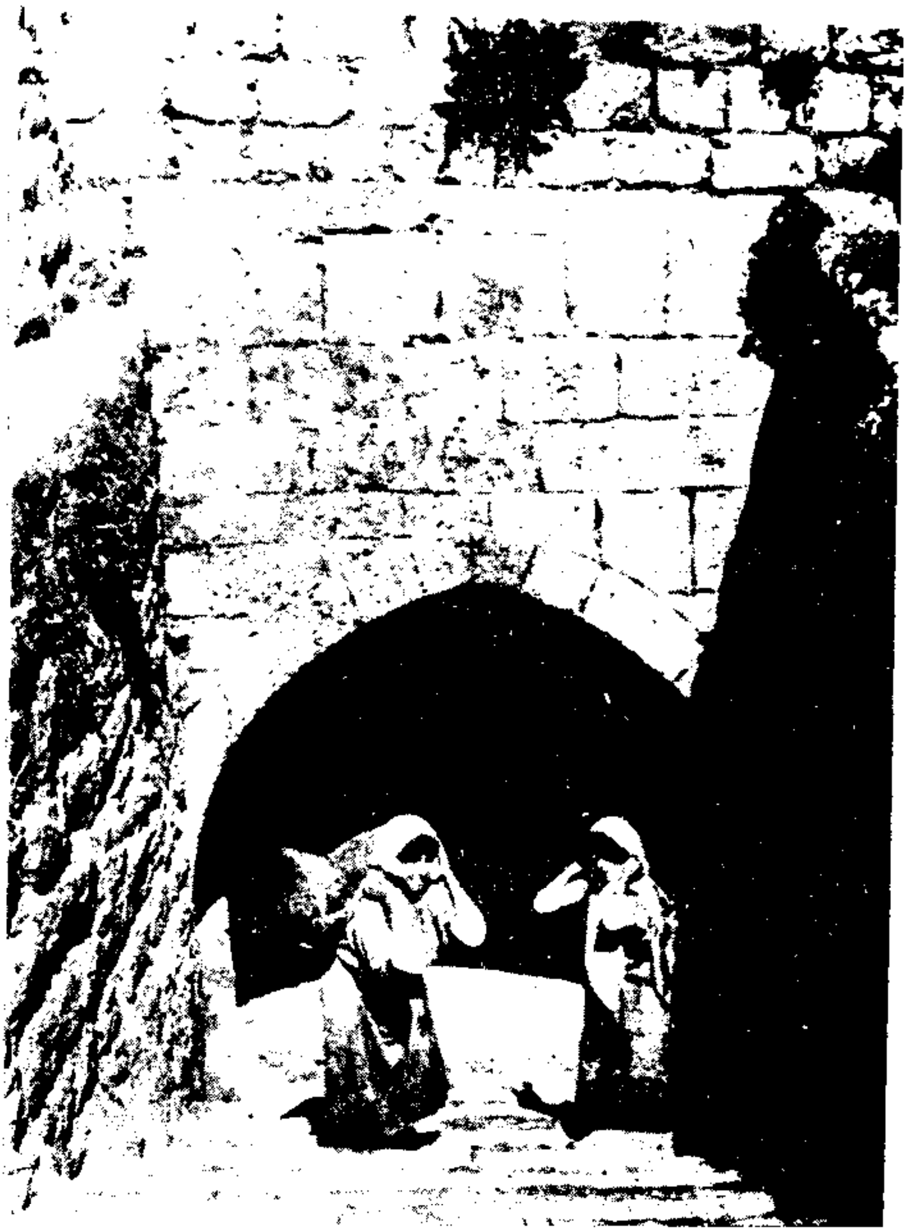


وكانت هذه العين تسمّى قديما باسم « نبع جيحون »كما ورد اسمها في التوراة[٢٤] ، ولا تزال هذه العين تمون القدس بالماء وتعرف بـ « العذراء » • (انظر التصوير رقم ١١) وقد ورد ذكر هذا النفق في التوراة في أخبار الملك داود فسمّي بالقناة[٢٥] • والظاهر ان الملك داود اكتشف مدخله السري من خارج السور فادخل رجاله فيه حتى وصلوا الى منتهاه في داخل السور ومنه

---

(٢٤) ٢ أخ ٣٣ : ١٤ ؛ مل ١ : ٣٣ ، ٣٨ •

(٢٥) ٢ صم ٥ : ٧ ـ ٩ •



التصوير رقم ١١
المدخل المدرج الى نبع العذراء (عين جيحون)

صعدوا الى سطح الحصن فباغتوا اليبوسيين داخل الحصن واحتلوه بلا قتال على الارجح(٣٦) ، وذلك بعد أن بقي هذا الحصن صامداً زهاء ثلاثمائةعام بوجود اليهود في فلسطين حتى احتله داود على قول التوراة .

ولم تقتصر هذه الأعمال على مدينتي « جازر » و « أورشليم « إذ نجد مثيلها من صنع الكنعانيين في مدن « جبعون » و « ابلعام » و « مجدّو »(٣٧) .

وقد اقتبس الكنعانيون فن البناء من البابليين وخاصة بناء الأقواس ، فقد عثر على طاق من بناء الكنعانيين في مجدّو يتحمل ثقل ١٣٥ طناً(٢٨) .

وقد ازدهرت التجارة على يد الكنعانيين الذين مارسوها بكفاءة تامة ، وقد لعب المصريون دوراً رئيساً في الحفاظ على الأمن لتأمين المواصلات عبر البلاد الكنعانية ، فقد كان كلٌ من ملوك الدويلات الكنعانية مسؤولاً عن سلامة مرور القوافل عبر أراضيه . وقد بلغت العلاقات التجارية بين مصر من جهة وبين بلاد كنعان وسورية ولبنان من جهة أخرى أوج توسعها بعد الفتح المصري في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، فكان من أهم ما كانت تستورده مصر هو الأخشاب من أرز لبنان لصنع التوابيت وصنع المراكب البحرية ، كل ذلك كان يساعد على تنمية وتوطيد علاقات ودية بين الاطراف المعنية .

ولا شك في أن الحضارة الكنعانية ، وبخاصة ما يتعلق بالعقائد الدينية ، شأنها شأن الحضارات الاخرى ، قد تأثرت بدرجة محسوسة بحضارتي وادي النيل ووادي الرافدين بالاضافة الى الحضارات الاخرى كالحيثية والحورية ، ولكن على رغم ذلك احتفظت بالطابع الكنعاني ، وهو الطابع البدوي السامي .

وأعظم عمل قام به الكنعانيون للحضارة هو اختراع الأبجدية الهجائية الذي يعتبر من أهم الاختراعات في تاريخ الحضارة البشرية . ويتفق الباحثون على أن أصل الحروف الهجائية في العالم بدأ في كتابات الأقوام السامية الغربية

---

(٢٦) "The Story of The Bible," p. 377; Lods, "Israel," p. 61; Vincent, "Jerusalem, Recherches...," 1, pp. 146-60; Weill, "La cité de David," pp. 8-13, 48-49

(٢٧) Lods, "Israel," p. 61

(٢٨) المرجع السابق ص ٦٤ .

الذين تمتد مناطقهم من طور سيناء الى أقصى حدود بلاد الشام شمالاً وغرباً ، إذ وجدت في هذه المناطق أنواع كثيرة من النقوش السامية الكنعانية بالحروف الأبجدية ، وقد حمل الأراميون فيما بعد الحروف الأبجدية من سواحل البحر المتوسط شرقاً الى آسيا حتى الهند كما نقلها الفينيقيون الى اوروبا . وهكذا تغلّبت الكتابة بالحروف الأبجدية على الكتابة بالمقاطع المسمارية التي كانت شائعة أوانذاك (انظر ما يلي في الفصل الثاني حول اختراع العرب للحروف الهجائية) .

ج ـ الكنعانيون الفينيقيون

وكانت المستوطنات الكنعانية منقسمة الى دويلات صغيرة محصّنة على غرار دويلات المدن في جنوبي العراق وكانت هذه الدويلات في نزاع وحروب فيما بينها في الغالب ، فاضطر بعضها الى التمركز في سفوح جبال لبنان للاحتماء بها ، وهكذا نشأت أهم المدن الكنعانية في سفوح الجبال على السواحل . وقد سمّى اليونانيون مجموعة هذه المدن البحرية التي كانوا باتصال معها اسم « فينيقيا » (Phoinix) وكانت تمارس هذه المدن الصناعة والتجارة الخارجية في حين أن المدن الداخلية كانت تحترف الزراعة وخاصة زراعة الاشجار في الغالب . وكان الفينيقيون يتسمّون بالكنعانيين وظلّوا على هذه التسمية حتى عهد الرومان[٢٩] .

إن أهم المدن الفينيقية التي وردت أسماؤها في كتابات العمارنة المصرية والكتابات الاشورية ومدونات التوراة هي :

« عكّو » (عكّا حالياً) ؛ « أكزيب » (الزيت حاليـاً) ؛ « أحلب » (محلّبا في الآشورية)[٣٠] ؛ « قانة »[٣١] ؛ « صور »[٣٢] ؛ «صرفه» (صرفند حالياً)[٣٣] ؛ « صيدون » (صيدا حالياً)[٣٤] ؛ « بيريتوس » (بيروت حالياً) ؛

(٢٩) Universal Jewish Encyclopedia Vol. II, p. 651.

(٣٠) قض ١ : ٣١ .

(٣١) يش ١٩ : ٢٨ .

(٣٢) يش ١٩ : ٢٩ .

(٣٣) ١ مل ١٧ : ٩ .

(٣٤) يش : ١٩ : ٢٩ .

«بيبلوس» (جبيل حالياً) ؛ «عرقة»[٣٥] ؛ «سين» (سيانو في الاشورية)[٣٦] ؛ « صمار » (سومرة حالياً)[٣٧] ؛ « أرواد أو أرادوس » (رواد حالياً)[٣٨] ؛ « أوغاريت » (تل رأس شمرا حالياً)[٣٩] .

وقد اشتهرت بلاد كنعان بنشاطاتها التجارية التي كانت تمارسها مستغلة موقعها الجغرافي على طريق المواصلات الرئيسة بين آسيا وبلدان أوروبا وشمال افريقيا في تنمية الحركة التجارية . ففي الداخل كانت المدن في وسط فلسطين وفي جملتها « أورشليم » ، وهي من أهم المدن الكنعانية من النواحي التجارية والستراتيجية والدينية ، تؤلف مراكز حيوية للنشاط التجاري بين الشرق والغرب ، فكانت أورشليم تقع على طريقين ، الطريق الذي يربط بين البحر وبين المدن فيما وراء الصحراء شرقاً والطريق الذي يربط المدن الشمالية بالمدن الجنوبية من فلسطين . أما في السواحل فقد كانت المدائن الفينيقية (الكنعانية) تؤلف مراكز حيوية للحركة التجارية بين فلسطين وبين مدن ما وراء السواحل غرباً عبر البحار . فقد اشتهر الفينيقيون سكان السواحل بصناعة بناء السفن مستغلين الاشجار ذات الاخشاب القوية من غابات لبنان الشهيرة في صنع السفن ، حيث ابتدعوا شكل سفنهم التجارية الخاص وهو يختلف عن الشكل المصري الذي كان معقوفاً من طرفيه الى الاعلى ، وذلك بأن جعلوا لمقدم سفنهم منقاراً ناتئاً ، وقد وجدت مثل هذه السفن ذات المناقير منقولة عن رسوم في قصر سنحاريب ملك آشور الذي استخدم السفن الفينيقية لأغراضه (انظر التصوير رقم ١٢) . وقد ساعدهم ذلك على الامتداد في أسفارهم البحرية البعيدة،فاحتكروا أشهر الطرق البحرية وأقاموا مستعمرات تجارية في قبرص وصقلية وسردينية وكورسيكا ومالطا وفي شمال افريقية وفي اسبانيا . وانشأوا المستودعات والمصارف في مرسيليا ورومة وكولونيا وبريطانيا ومصر واورشليم وتدمر . (انظر المرتسم رقم ٤) وكانت « قرطاجة »

---

(٣٥) تك ١٠ : ١٧ ؛ ١ أخ ١ : ١٥ .

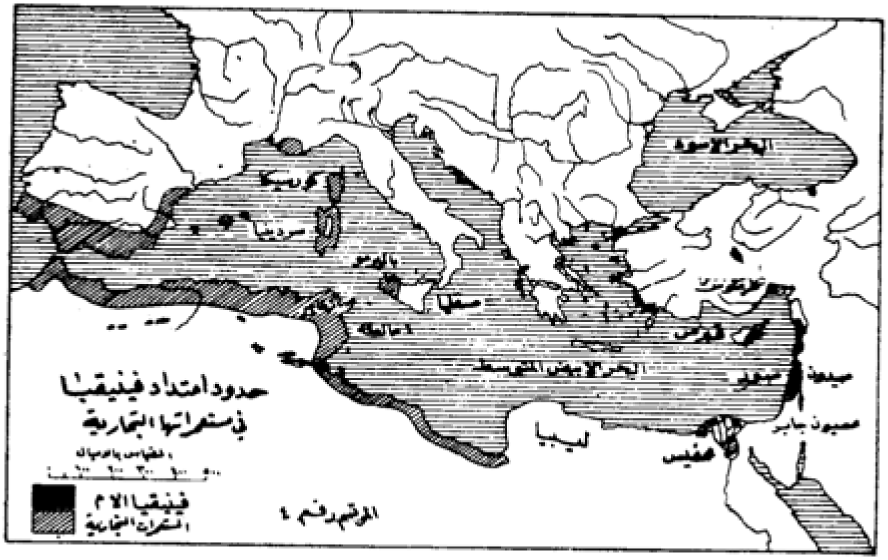
(٣٦) تك ١٠ : ١٧ .

(٣٧) تك ١٠ : ١٨ .

(٣٨) تك ١٠ ١٨ ؛ خر ٢٧ : ٨ ، ١١ .

(٣٩) أنيس فريحة ، « ملاحم وأساطير اوغاريت » ، بيروت ١٩٦٦ .

الواقعة في جوار تونس الحالية أهم المستعمرات التجارية الفينيقية(٤٠) ، فقد اتسع نفوذها في البحر المتوسط حتى قيل : « لا يقوي الرومان على غسل أيديهم فيه الا باذن من قرطاجة . »(٤١) وكان القرطاجيون مثل الفينيقيين يتسمّــون بالكنعانيين(٤٢) . وقد بلغ توسّع الفينيقيين وازدهار تجارتهم أوجهما بــين منتصف القرن العاشر ومنتصف القرن الثامن قبل الميلاد(٤٣) . واشتهرت صور بثرائها حتى قال المؤرخون ان الفضة كانت مكدّسة في أسواقها تكدس التراب،



والذهب كوحل الطرقات ، وان بيوتها أعلى من بيوت رومة على حد قول سترابو وقد حافظت مع بسالة أهلها على استقلالها حتى قضى عليها الاسكندر الكبير بعد حصار دام زهاء عشر سنوات(٤٤) . وقد عاشت فينيقيا ٣٥٠٠ سنة شهدت

---

(٤٠) R.B. Smith "Carthage and the Carthaginians".

(٤١) العقيقي ، المستشرقون ، ج ١ ، ص ١٩ .

(٤٢) Univ. Jewish Encyclopedia, Vol. II, p. 651.

(٤٣) Hitti, "History of Syria," p. 103

(٤٤) انظر المراجع الآتية عن فينيقيا :

G.A. Cooke "Phoenicia," Enc. Brit., 1965, Vol. 17, pp. 763-769; Contenau, La civilisation phénicienne, 1946; Rawlinson, "History of Phoenicia," 1855.

الفراعنة بين ٢٩٠٠ و ١٣٠٠ ق٠م ، والآشوريين (٧٧٤ ـ ٦٣٥ ق٠م٠) ، والكلدانيين (٥٨٦ ـ ٥٣٨ ق٠م٠) ، والفرس (٥٣٨ ـ ٣٣٢ ق٠م٠) ،ثم شهدت الاسكندر الكبير وخلفاءه والرومان والبيزنطيين حتى قضى عليهم الفتح الاسلامي سنة ٦٣٥ م(٤٥) ٠

د ـ دور الفينيقيين في تقدم العلوم

وقد ساهم الفينيقيون في نشر العلوم ونقلها الى أوروبا وتعاونوا مع زملائهم المصريين والفلسطينيين (الكنعانيين) والسوريين على ابراز الثقافة الفينيقية ذات الطابع الشرقي ، فظهر منهم علماء من مشاهيرهم : (زينون الرواقي) « ٣٣٦ ـ ٢٦٤ ق٠م٠ » وهو من أصل فينيقي ولد في قبرص وقصد أثينا سنة ٣١٤ ق٠م٠ وأنشأ رواقاً فيها سنة ٣٠١ ونشر جمهوريته سنة ٣٠٠ ق٠م٠ فاعجبت الجمعية الاثينية به وسلمته مفاتيح الاسوار وأهدته تاجا من الذهب ولما توفي كتب على قبره : « لن يضيرك منبتك في فينيقيا ضيراً الخ ٠٠ » ومنهم فيلو الجبيلي (٦١ ـ ١٤١م) مؤرخ ومترجم له تصانيف كثيرة ومن امهاتها « الديانة الفينيقية » ، ومنهم ادريانوس الصوري (القرن الثاني للميلاد)، فيلسوف تبوأ كرسي البلاغة في اثينا وكان يذهب الى الندوة في عربة ، عدة جيادها من الفضة ، وعليه أثواب تتلألأ بالجواهر ويستهل محاضراته بتلك العبارة المأثورة عنه : « ها قد عادت الآداب مرة أخرى من فينيقيا » ، وقد استمع اليه هادريان وماركوس أورليوس ، وخلعا عليه ووهباه الذهب والبيوت والعبيد ، ولما قصد رومة عين استاذا للبلاغة فيها(٤٦) ٠ ومنهم پاپينيان (١٧٥ ـ ٢١٢ م ٠) تعلم القانون وعلّمه في مدرسة الحقوق ببيروت ، جعله سبتيموس سفيروس أحد قائدي الحرس الانبراطوري ، ومنهم أولبيان الصوري (١٧٠ ـ ٢٢٨م ٠) تخرج بالقانون من مدرسة الحقوق في بيروت وخلف منافسه پاپنيان فيها ، ومنهم انتيپاتر الصيداوي (القرن الثالث للميلاد) وأصله من صور تتلمذ على أدريانوس واختاره سبيتموس سفيروس أميناً له ومؤدباً لولديه ، ومنهم بورفيريوس الصوري (٢٣٣ ـ ٣٠٥ م) تعلم في صور وأثينا وروما

---

(٤٥) العقيقي ، المستشرقون ، ج ١ ، ص ١٨ ٠

(٤٦) نفس المصدر السابق ، ص ٢٤ ٠

والاسكندرية حيث أخذ الأفلاطونية الحديثة عن أفلوطين ثم علّمها في رومة حتى وفاته ، وله عدد من المصنفات في الفلسفة والنحو والبلاغة والرياضيات والفلك وعلم النفس والموسيقى والنبات(٤٧) .

وكان للفينيقيين اليد الطولى في تقدم علم الجغرافيا ، فمن مراكز تجارتهم في صور وصيدا ، ثم من مستعمرتهم الكبرى « قرطاجة »(٤٨) أخذوا يجوبون البحار فأحتكروا أشهر الطرق البحرية حتى امتدت اتصالاتهم التجارية من الجزر البريطانية الى البحر الاحمر .

---

(٤٧) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٤٨) تعد قرطاجة (Carthage) من أقدم المدن التاريخية المشهورة فى حوض البحر المتوسط ؛ أسستها « ديدو » أميرة صور على ساحل شمال افريقية سنة ١٤ ق.م. على قول المؤرخ الصقلي تيمايوس (Timaeus) سميت أحيانا بالاسم الفينيقي « قرثادشت » (Qarthadasht) بمعنى المدينة الجديدة ، ويرجح أن هذه التسمية الاخيرة انتقلت من مدينة للفينيقيين بهذا الاسم فى قبرص ورد ذكرها فى قائمة سرجون الثاني (٧٢٠ ق.م.) للبلاد التي كانت خاضعة للجزية . وما وافى القرن السادس ق.م. حتى صارت قرطاجة من أجمل العواصم منافسه امها « صور » فامتدت رقعتها من حدود برقة الى الاطلسي وتمكنت من ضم جزر الباليار حتى جزر المديرا اليها . وقد سيطر أسطولها المؤلف من خمسمائة قطعة ذات خمسة صفوف من المجذفين حتى تمكن القرطاجيون من اقفال حوض البحر المتوسط فى وجه التجارة اليونانية ثم الرومانية . ولما حاول اليونان أن يزاحموا الفينيقيين فى مستعمراتهم فى صقلية واسبانيا دمر القرطاجيون أسطولهم سنة ٥٣٥ ق.م. واستمر نزاعهم مع القرطاجيين على صقلية فى حروب متواصلة بين سنة ٤٨٠ و ٣٦٨ ق.م. ثم انتصر الرومان لليونان على القرطاجيين سنة ٢٦٤ ق.م. فهزموهم فى أكبر معركة سنة ٢٥٦ ق.م. واضطروهم فى النهاية الى طلب الصلح سنة ٢٤١ ق.م .

وفى الربع الاخير من القرن الثالث قبل الميلاد قامت قرطاجة بحملات حربية على اسبانيا استمرت تسع سنوات تمكن الامير « هاد سروبال » (Hadsrubal) فى النهاية من فرض سيطرته على الساحل الجنوبي من اسبانيا فانشأ مدينة هناك سنة ٢٢٧ ق.م. سماها « قرطاجنة » (Carthagena) وعقد اتفاقية مع رومة حددت بموجبها حدود منطقة نفوذ كل من المعنيين بالامر فى جنوب شرقي اسبانيا . وبعد مرور حوالي ثمانين سنة تمكن الرومان سنة ١٤٦ ق.م. من التغلب على قرطاجة الأم فسقطت بأيديهم وصمموا على تخريبها تخريبا تاما ، فأحرقوها وظلت =

ويروي لنا هيرودوتس (٤٥٠ ق٠م٠) ان الملك « نيخو » الذي حكم مصر بين سنة ٦٠٩ وسنة ٥٩٣ ق٠م٠ أرسل جماعة من الفينيقيين ليطوفوا حوالي أفريقيا فادّى ذلك الى استكشاف ليبيا أول مرة • واليك ما كتبه هيرودوتس في هذا الصدد قال : « ويظهر ان ليبيا نفسها يحيط بها البحر الا من جهة اتصالها باسيا ، ونيخو ملك مصر هو أول من نعلم أنه أثبت ذلك بالبرهان فأنه لمّا توقّف عن حفر الترعة التي كان المراد بحفرها ايصال مياه النيل الى الخليج العربي (البحر الأحمر) أرسل جماعة من الفينيقيين في المراكب وأمرهم أن يدخلوا في رجوعهم في البحر الشمالي مارين باعمدة هرقليس (جبل طارق) وبهذا الكيفية يرجعون الى مصر •

« فركب الفينيقيون بحر أريثريه وسافروا في البحر الجنوبي ، فلما دخل الخريف نزلوا من ليبيا في المكان الذي وجدوا فيه وزرعوا القمح وانتظروا وقت الحصاد وبعد الاستغلال ركبوا البحر فسافروا هكذا سنتين ، وفي السنة الثالثة اجتازوا أعمدة هرقليس (جبل طارق) ورجعوا الى مصر وهكذا عرفت ليبيا أول مرة • »(٤٩)

ومن الغريب أن هيرودوتس لم يشر في تاريخه الى الرحلة التي قام بها « حانون » القرطاجي في حدود سنة ٦٠٠ ق٠م٠ والتي تعد أهم بعثة فينيقية

= النيران مشتعلة فيها سبعة عشر يوما ، ولم يسمحوا لأحد أن يسكنها ، الا أنه أعيد انشاؤها فيما بعد فأعاد يوليوس قيصر اعادة بنائها وأسكن فيها جماعة ممن لا أرض لهم ٠ وفي سنة ٢٩ ق٠م٠ أرسل أغسطس جماعة أخرى اليها وجعلها مركزا لادارة المقاطعة الرومانية في افريقيا ، وقد سميت المستعمرة الرومانية الجديدة في شمال افريقية « مستعمرة جوليا القرطاجية » (Colonia Julia Carthago) . وقد ازدهرت المدينة في هذا العهد الجديد حتى أصبحت في مصاف المدن الشهيرة في ذلك الزمن مثل الاسكندرية وأنطاكية وأصبحت المدينة المفضلة لدى الاباطرة الرومان مع أنه لم يسكنها أحد منهم ٠ وقد جعلها هادريان في عهده وسماها باسمه « هادريانو بوليس » (Hadrianopolis) ثم أخذت المدينة تتدهور منذ القرن الثالث الميلادي حتى فقدت أهميتها السياسية والتجارية ٠ هذا مع العلم أن قرطاجنة الاسبانية ما زالت قائمة تعرف باسمها القديم « قرطاجنة » ٠ (دائرة المعارف البريطانية ، طبعة ١٩٦٥ ، ج ٤ ، ص ٩٦٩ ؛ نجيب العقيقي « المستشرقون » ، ج ١ ، ص ١٩) ٠

(٤٩) الكتاب الرابع ، الفقرة ٤٢ ٠

أرسلت للطواف في غرب أفريقيا ، وقد دوّن وصفاً رائعاً لرحلته هذه باللغة الفينقية على لوح وضع في معبد الاله « كرونوس » («ايل» بحسب التسمية الفينيقية) في قرطاجة ، وقد وصلت الينا ترجمة يونانية مجهولة التاريخ لهذه الوثيقة بعنوان « رحلة حانون البحرية » (Hannonis Periplus) ، وهي تعد اليوم أقدم وثيقة تأريخية في علم الجغرافيا القديمة، توجد ترجمة انكليزية لها قام بها المستر فالكونر في سنة ١٧٩٧م(٥٠) ، كما توجد خلاصة عن هذه الرحلة مع خارطة مفصلة للمواقع التي وصل اليها « حانون » وجماعته في كتاب « جغرافية هيرودوتس » تأليف جيمس رينيل ص ٧١٩ ــ ٧٥٢ • وقد جاء في مقدمة هذه الوثيقة أن الغاية من ارسال القرطاجيين هذه الحملة الى ما وراء أعمدة هرقليس (جبل طارق) هي تأسيس مستعمرات من الفينيقيين في ليبيا ، وعلى هذا الاساس أبحر « حانون » ومعه ثلاثون ألف شخص من رجال ونساء في أسطول مؤلف من ستين مركباً من ذوات الخمسين مجذافاً محملة بمستلزمات البعثة لتحقيق ذلك •

يستدل مما تقدم على أن الفينيقيين بحكم احتكاكهم بالثقافة البابلية وامتداد اتصالاتهم التجارية الى ما وراء البحار واكتشافاتهم على ساحل أفريقيا الغربي وتأسيس مستعمراتهم على طول السواحل على البحر المتوسط أصبحت لديهم معلومات جغرافية واسعة وخبرة في عالم الملاحة البحرية مما حمل المصريين على الاستعانة بهم وبسفنهم في رحلاتهم البحرية • ولما ظهرت الانبراطورية الاشورية الى الوجود كان اتساع حدودها يستوجب الاحاطة بجغرافية البلاد التي وقعت تحت سيطرتهم فاحتذوا حذو المصريين في الاستعانة بالفينيقيين وخبرتهم لتوسيع معلوماتهم الجغرافية عن البلاد التي احتلوها والبقاع المجاورة لها • وهكذا بقيت أكثر الاعمال التجارية داخل حدود الانبراطورية الاشورية بيد التجار الصوريين من الفينيقيين ، وقد امتدت بعيداً حتى وصلت الى حدود الهند شرقاً واسبانيا غرباً ، وقد وهب الملك أسرحدون (٦٨١ ــ ٦٦٩ ق•م•) قسماً كبيراً من سواحل فلسطين لملك صور تقديراً لمساعداته •

---

(٥٠) T. Falconer, "The Voyage of Hanno; translated and accompanied with the Greek Text," London, 1797

انظر أيضا وصف رحلة حانون ملك القرطاجيين حول مناطق ليبيا في : Rawlinson "Phoenicia," pp 389—392.

ومجمل القول إنه يمكن الجزم بأن الآشوريين ثم اليونانيين استمدوا أكثر ما في ثقافتهم وحضارتهم وعلومهم من البابليين والفينيقيين . وهذا شأن المدنيات العالمية فما قامت مدنية الا" استمدت مادتها مما سبقها من مدنيات أخرى قامت قبلها . والمعلوم ان بعد سقوط قرطاجة بيد الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد حدث خمول في مسيرة الحركة العلمية في فينيقيا ولكنها سرعان ما عادت الى نشاطها الاول فاصبحت صور وصيدا مركزاً للعلوم والمعرفة من جديد ، وقد حلت هذه المرة اللغة اليونانية بدل اللغة الفينيقية وصار الفينيقيون يحملون أسماء يونانية ، الا" أنه بقي هناك عدد من الفينيقيين ممن تمسك بالثقافة والتقاليد الفينيقية ، وقد برز من بين هؤلاء مارينوس الصوري (Marinus of Tyre) . والمعروف أن مارينوس هذا ألف كتاباً في الجغرافيا ووضع خارطة للعالم في سنة ١٢٠ للميلاد كانت تستند الى معلومات جغرافية فينيقية ، فيقول عنه رولنسون إنه كان أول كاتب في الجغرافيا اتخذ الطريقة العلمية الرياضية في صنع الخرائط المستندة الى خطوط الطول والعرض ، وقد كان عمل بطلميوس في القرن الثاني للميلاد قائماً كلياً على دراسة مارينوس في الجغرافيا وخارطته المستندة الى مدونات فينيقية سابقة(٥١) .

هـ ـ الديانة الكنعانية الفينيقية

أما الديانة الكنعانية الفينيقية فعلى الرغم من تأثير الثقافة المصرية والثقافة البابلية والثقافة اليونانية فيها لاحتكاكها بهذه الثقافات احتفظت بطابعها البدوي السامي وبالتقاليد القديمة السائدة في شبه جزيرة العرب . فكان أكبر آلهة الكنعانيين وأعلاها مقاماً الاله « أيل » الذي لقب بالاله العلي أو الاله العظيم (Supreme God) ، وهو نفس اسم الاله « ايل » الوارد في سفر التكوين من التوراة . فقد وصفته التراتيل الشعرية الكنعانية بانه هو الذي يبعث بمياه الانهر لتجري في الارض وتحيي مواتها ، وهو الذي يبعث بالمطر فيجعل الاودية تفيض عسلاً ، وهذا هو نفس الاصطلاح الذي ورد في التوراة في وصف خصوبة أرض كنعان . والاله « ايل » هو الذي يمنح الاذن بانشاء المعابد الى الآلهة الأخرى ، وهو القادر على كل شيء والحاكم والملك المطلق

(٥١) Rawlinson, op. cit., pp. 404, 548.

لا ينافسه منافس ولا يستطيع أحد ان يغيّر ارادته وحكمه السامي ، وجميع أرض كنعان هي أرض الاله أيل • وقد عثر على كتاب موجّه الى أحد الملوك الكنعانيين يستهله كاتبه بذكر الالــه وتسميته بـ « سيد الآلهـــة الحامي » (The Protection of the Lord or Gods) • وكان مقر الاله « ايل » باعتقاد الكنعانيين في منطقة تقع في الغرب حيث تغيب الشمس عند مصب الانهر فــي البحر وقد سمّي مقامه بحقول ايل (Fields of El) • ويرى العلامــة « شافر » ان ما يسبغه الكنعانيون من نعوت التعظيم والتفوّق فوق الجميع مما يدل بوضوح على ميل الكنعانيين لتقبل عقيدة التوحيد[٥٢] •

وكان للاله « أيل » نفس المكانة السامية عند الأراميين ، فقد ورد اسمه في كتاباتهم أيضا • كما اتخذ الهكسوس الذين حكموا مصر بين سنة ١٧٨٥ وسنة ١٥٨٠ ق•م• اسم الاله « أيل » للتبرك به فاضيف الى أســـماء بعض ملوكهم ، إذ ورد ذكر أحد ملوكهم باسم « يعقوب ـ أيل » ، أي « ليحم الاله أيل يعقوب » وقد ورد ذكر مكان باسم « يوسف ـ أيل »[٥٣] •

وكانت للاله « أيل » زوجة هي الالهة « عاشيرة » الالهة الأم إلهة البحر ، ومن أولادهما الاله « بعل » إله الخصب والأمطار والزوابع ، وهو البعـــل والبعليم الوارد في التوراة والذي عاد اليهود فعبدوه وسجدوا له[٥٤] ، وكان للبعل اخت هي الالهة « عانات » • ومن الآلهة الكنعانية ايضاً الاله « مولك » أو الاله « ملكوم » ، وهو إله بنى عمون الذي ورد ذكره في التوراة وقد عبده اليهود ايضا[٥٥] • وكان الكنعانيــون يعبدون أيضا « عشتاروث » إلهـــة الخصب وهي تقابل الالهة « عشتار » البابلية ، وقد ورد ذكرها في التوراة وقد عبدها اليهود أيضا[٥٦] • وكان معبود مدينة بيبلوس الاله « ادونيس » وهــو يمثل إله الخصب أيضا مثل الاله بعل •

---

(٥٢) C.F.A. Schaffer, "The Cuneiform Texts of Ugarit," London, 1939, pp. 59—72.

(٥٣) Olmstead, "History of Palestine and Syria," 1931, p. 106.

(٥٤) قض ٢ : ١٣ ؛ ٣ : ٧ ؛ ٨ : ٣٣ ؛ ١ مل ١٦ : ٣١ •

(٥٥) ١ مل ١١ : ٧ ؛ ١١ : ٥ •

(٥٦) قض ٢ : ١٣ •

وكان الاله « بعل » يمثل الدورة الانباتية التي نجد ما يقابلها في التقاليد الدينية السامية الاخرى ، ففي ملحمة شعرية عثر عليها في أوغاريث عرض خلاب لموت بعل ثم عودته الى الحياة ليمثل الدورة الموسميةبموت النبات في الصيف ثم عودته في الربيع بعد سقوط الأمطار . وتصف الملحمة كيف تقوم الالهة « عانات » بحمل جثمان « بعل » بعد قتله من قبل «موت» إله مملكة الموت وبدفنه هناك مع تشييع يليق بمقامه . ونجد بعد ذلك وصفاً شعرياً للافراح بعد عودة الحياة الى « بعل » المصحوبة بالامطار وطغيان الوديان وجريان مياهها وقد شبهت بالعسل ، ويلاحظ أن مثل هذا الوصف ورد في المزامير التوراتيه . وفي ملحمة أخرى عثر عليها في أوغاريث أيضا وصف شعري رائع تدور حوادثه حول الاستئذان من الاله « أيل » لبناء قصر الى « بعل » وقيام الالهة عاشيره برحلة لتحقيق هذه المهمة(٥٧) . وقد وجد في الكتابات الكنعانية ما يشابه تماماً تنازع الاله مردوخ مع تيامة عند البابليين ، ففي الملاحم الكنعانية ما يشير الى تنازع الاله « بعل » مع الاله « يم » إله البحار والانهار وانتصار الاول على الثاني .

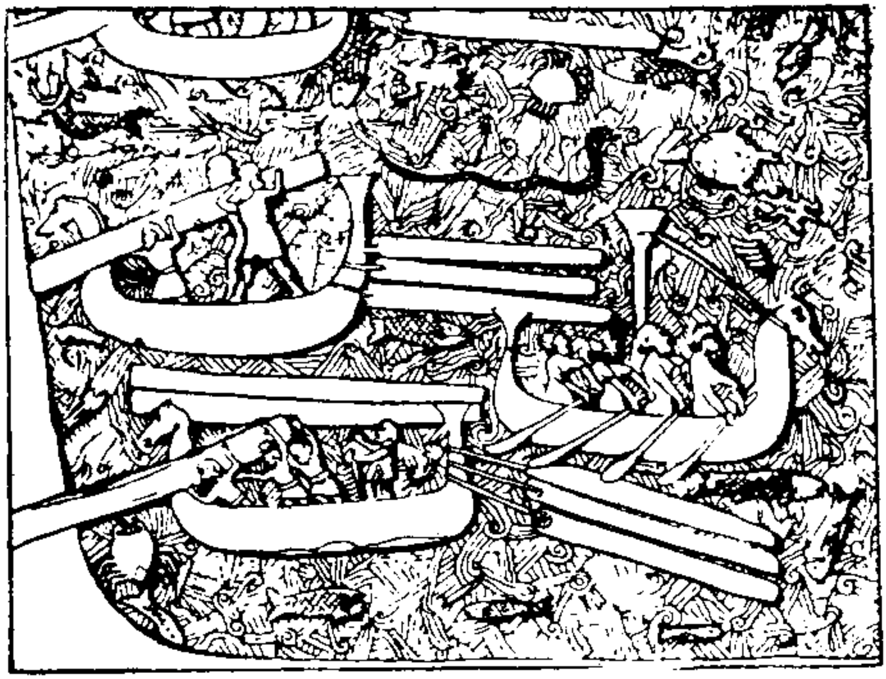
و ـ بلاد كنعان في النصوص المصرية القديمة

إن بلاد كنعان كانت عدا تميّزها بموقعها الجغرافي في عالم التجارة بين الشرق والغرب كانت تتميز أيضاً بموقع ستراتيجي مهم أيضاً ، إذ كانت أشبه بالجسر الذي يترتب على كل فاتح من الشرق أراد غزو مصر ، أو على عكس ذلك على كل فاتح من مصر أراد غزو الشرق الأدنى ، أن يعبر فوق هذا الجسر . لذلك كانت مصر ، وهي أقرب دولة حضارية اليها ، أولى الدول التي أقامت اتصالات ببلاد كنعان ، وأقدم ما وصل الينا من أخبار فراعنة مصر عن هذا الاتصال هو الكتابة التي عثر عليها من عهد الفرعون « سنيفرو » (Senefru) أول ملوك السلالة الرابعة (حوالي ٢٧٠٠ ق٠م٠)(٥٨) والتي تشير الى شحن أربعين سفينة من خشب الارز اللبناني الى مصر ، وقد سجلت هذه الكتابة

---

(٥٧) Pritchard, "Archaeology and the old Testament," p. 110 ff.; Moscati, Ancient Semitic Civilizations" pp. 112 ff ; Wood, "The Religion of Canaan," Jour. of Bibl. Lit., 1916, 1-133, 163-279.

(٥٨) W.B. Emery, "Archaic Egypt," 1967, p. 21.



التصوير رقم ٢٢

منحوتة آشورية عليها صور سفن فينيقية تنقل كتلا خشبية (من نقوش خرساباد)
(القرن الثامن ق٠م)

على لوح من الحجر الأسود (الديورايت) • ثم تطورت هذه الاتصالات التجارية السلمية الى تدخّل مصر سياسياً وعسكرياً في شؤون هذه الأقطار بغية بسط نفوذها عليها •

وأقدم ذكر لحملات المصريين على بلاد كنعان ورد في كتابة عثر عليها من عهد الفرعون ببي الأول (Pepi I Meryre) ثالث ملوك السلالة السادسة (حوالي ٢٣٥٠ ق•م•) ، وهي منقوشة على قبر قائد إحدى هذه الحملات ، وهو يدعي « أوني » ، فدون هذا القائد انتصاراته على جماعات البدو التي كانت تهاجم الكنعانيين • وهناك ما يدل على أن مصر تمكنت من بسط نفوذها على جميع بلاد كنعان في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، الا أنها لم تحاول



التصوير رقم ٢٣

الملك المصري « سخمخت » (Sekhemkhet) احد ملوك السلالة الثالثة (٢٦٨٦ - ٢٦١٣ ق•م•) يشاهد وهو يضرب احد رؤساء القبائل من الآسيويين •

تمصيرها بل اكتفت بتحصيل الجزية من سكانها • وتركت السكان يمارسون عاداتهم ودياناتهم من غير ان يتدخلوا في شؤونهم الاجتماعية الأخرى ، بل كانوا ينجدونهم في حروبهم مع أعدائهم • وقد جاء في الكتابات المصرية القديمة أيضا أن الملك سيزوستريس الثالث (السلالة الثانية عشرة) صعد على أرض كنعان في حوالي سنة ١٨٥٠ ق•م• واستولى على المدنية المسماة (س ك م ن) وقد

رجح البعض أن المقصود بها مدينة « شكيم » حاليا[٥٩] .

ومن أهم الوثائق التي عثر عليها المنقبون وثيقة مهمة ترجع الى عهد سنوسرت الاول (١٩٧١ ــ ١٩٢٨ ق٠م٠) تضمنت وصفا مسهبا لبلاد كنعان دوّنه أحد كبار حاشية القصر الفرعوني المدعو « سينوهي » : والظاهر أن « سينوهي » هذا ورّط نفسه في مؤامرة سياسية اضطر على أثرها الى مغادرة مصر فقصد بلاد كنعان متخفياً ، فيصف أولا الطريق الذي سلكه باتجاه قناة السويس الحالية وبر ساحل البحر حتى وصل الى بلاد الفينيقيين (بلدة بيبلوس ــ جبيل) ، ومنها اتجه الى « قدمة » في الصحراء الواقعة شرقي دمشق حيث قضى ١٨ شهراً ٠ وفي شمال فلسطين استضاف رئيساً من رؤساء عشائر العموريين فرحب به بعد أن تعرف على شخصيته ودعاه ليسكن معهم وقال له : « إن مصر بلد جميل واذا بقيت معنا فسوف تجد بلدنا جميلاً أيضاً » ، فوافق « سينوهي» على البقاء في ديارهم حيث حظي بعناية تامة من « عمي انشي » رئيس القبيلة حتى زوّجه من ابنته الكبرى وجعله زعيما للقبيلة ، فصارت له بساتين وحقول ومواشي ، كما صار له أولاد فشارك هو وأولاده في حروب القبيلة وغزواتها ، فاصبح بذلك مندمجاً كلياً بالحياة القبلية المتسمة بالنزاع الدائم بين أهل المدر (الزراع) وأهل الوبر (الرعاة) وبين جموع الغزاة من البدو اذين ليس لهم مقر ثابت ٠ وهنا يصف « سينوهي » الحياة الشاقة التي عاشها في هذا المحيط الخشن حتى داهمته الشيخوخة فأخذ يحنّ الى وطنه الأصلي ٠ ويذكر في آخر القصة أن الفرعون سنوسرت وجّه اليه كتاباً يدعوه فيه للعودة الى وطنه ندونه ادناه لاهميته حيث يظهر لنا ناحية من نواحي التفكير الديني السائد في تلك الازمان ، وهذا نص الخطاب كما ورد في القصة : « ٠٠٠ استعد للعودة الى مصر كي تشاهد مرة أخرى القصر الذي نشأت فيه فتقبّل التربة امام البوابتين العظيمتين ٠٠٠٠ تذكرّ اليوم الذي ستدفن فيه ويشيّعك الناس بابهة وتعظيم حيث تدهن بالزيت قبل بزوغ الفجر وتلف بالقماش فتباركك الالهة (تيت)[٦٠] وسوف تشيّعك الجماهير في يوم حفلة الدفن ويكون كفنك من الذهب المزين باللازورد وسوف يوضع جثمانك على نعش تجره الثيران

---

(٥٩) T.H. Gaster, Enc. Brit., Vol. 4, 1965, p. 727

(٦٠) المقصود بذلك اجراء عملية التحنيط .

ويتقدمه جوق المقرئين وسوف يرقص الناس رقصة الاقزام على مدخل قبرك ، وتتلى الصلوات القربانية من أجلك ، وسوف تبنى أعمدة قبرك بالحجارة بين قبور العائلة الملكية . ويجب ان لا يكون رقودك على أرض غريبة يدفنك فيها الآسيويون (أهل آسيا) فيلفونك (أي يلفون جثمانك) داخل جلود الغنم .» ولما تسلّم سينوهي هذا الخطاب طار من الفرح والابتهاج وقرر العودة فوراً فقام بتصفية ملكيته بين أولاده ونصب أكبرهم زعيماً على القبيلة التي كان يتزعمها .وقد اصطحبه عند مغادرته بلاد كنعان جمع غفير من أبناء عشيرته الى نقطة الحدود المصرية ، ومن هناك اصطحبه رجال الحكومة الفرعونية الى العاصمة ، « ممفيس » . ويصفي « سينوهي » فيقول : « وجدت جلالته جالساً على العرش العظيم في القاعة الذهبية الفضية ، ثم دخلت عائلة الملك الى القاعة ، فقال الملك للملكة : أنظري ها هو ذا سينوهي يعود الينا آسيوياً وقد أصبح بدوياً . فصرخت الملكة هي والأمراء ، أولادها صراخاً عالياً وقالوا كلهم لجلالته: حقاً لا يمكن أن يكون هو ذا سينوهي ياجلالة الملك . فاجاب قائلا : نعم هو بالفعل » .

وأخيراً يختم « سينوهي » قصته بقوله : « ... نُقلتُ الى عمارة ملكية حيث كانت أشياء عجيبة : كان الحمام وأشياء أخرى من بيت الخزينة الملكية ، وكانت ملابس من الحرير الملكي كلها معطّرة بالمر والعطور الفخمة الزكية . وكان خدم ممتازون من خدم الملوك موزعون على الغرف وكان طباخون ماهرون ، كل من هؤلاء يؤدي مهمته بدقة .. والسنون التي طويتها ذهبت من جسدي ، فحلقت ذقني ومشّطت شعري ، ونفضت عني الغبار الثقيل (الاوساخ) ونزعت الثياب الخشنة ــ ثياب (جواليّ الرمال) ــ وارتديت ثياباً من الحرير محلها وتعطّرت بأحسن العطور الموجودة في البلد ، واضطجعت مرة أخرى على سرير ، وهكذا عشت معززاً مكرماً في بيت الملك حتى آن الاوان لاهجر هذه الحياة . »(٦١)

وتتجلّى في هذه القصة بصورة واضحة المقارنة بين الحضارة الريفية البدوية الخشنة التي كان يعيشها الكنعانيون المتاثرون بالمحيط البدوي وبين الحضارة

---

(٦١) ترجمة وتلخيص من كتاب كيلر « التوراة كتاريخ » :
Keller, "The Bible as History," pp. 15—19

ترجع الى النصف الاول من الالف الثانية قبل الميلاد ، الا أن هذه النصوص لا يمكن الاعتماد عليها كمصدر تاريخي لغموضها • لذلك تعتبر الكتابات التي عثر عليها في أوغاريث ، البلدة الفينيقية الشمالية(٦٦) ، والتي ترجع الى بداية



التصوير رقم ٢٤
الملك تحوطمس الثالث الفاتح المصرى الشهير (١٥٠٣-١٤٤٩ ق•م•)

النصف الثاني من الالف الثانية قبل الميلاد ، أقدم المصادر وأوثقها في بحث تاريخ بلاد كنعان القديم • ثم تليها النصوص المؤآبية والادومية والعمونية وبخاصة الفينيقية المنتشرة عن طريق التجارة خارجا ، وهي أكثر عددا ووضوحا •

فقد اكتشفت في أوغاريث مدونات كثيرة بغير اللغة الاوغاريثية منها

(٦٦) انظر : « ملاحم وأساطير من أوغاريث » ، للدكتور أنيس فريحة ، بيروت ، ١٩٦٦ •

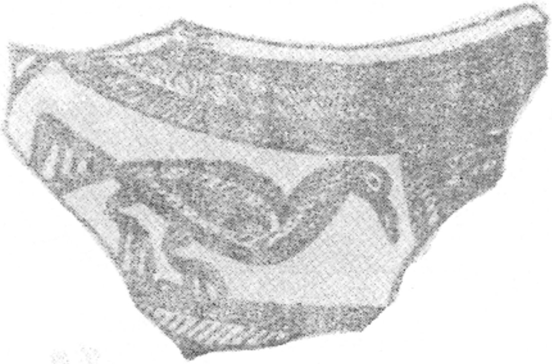
من آثار الحضارة الكنعانية الفينيقية



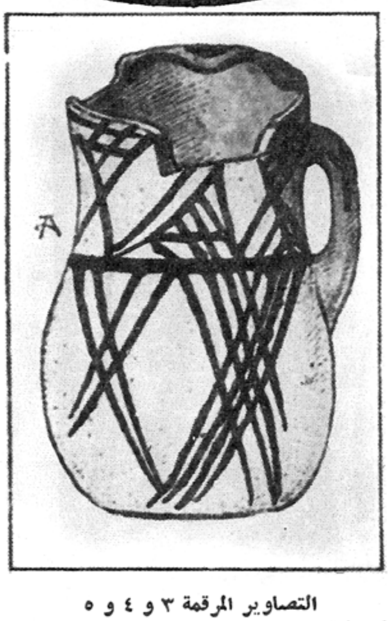
التصوير رقم ١
امير كنعانى من « مجدو » يشاهد وهو على عرشه وقد وقف أمامه ضارب القيثارة
وفى آخر الصورة المركبة الملكية



التصوير رقم ٢
نقش لفتاة كنعانية من القرن
الثالث عشر قبل الميلاد عثر عليه فى
حفائر بلدة « مجدو » الكنعانية







التصاوير المرقمة ٣ و ٤ و ٥
نماذج من نقوش خزفية كنعانية يرجع الاخير الى اواخر العصر الحجرى المدنى (٣٠٠٠ ق٠م)



٦ ـ أسرة كنعانية (سامية عربية) في غرفة من بيوت اريحا القديمة
من رسم كاتلين كنيون بالاستناد الى المكتشفات في أطلال أريحا
ومقابرها (اواسط العصر المعدني حوالي ٤٠٠٠ ق.م.)

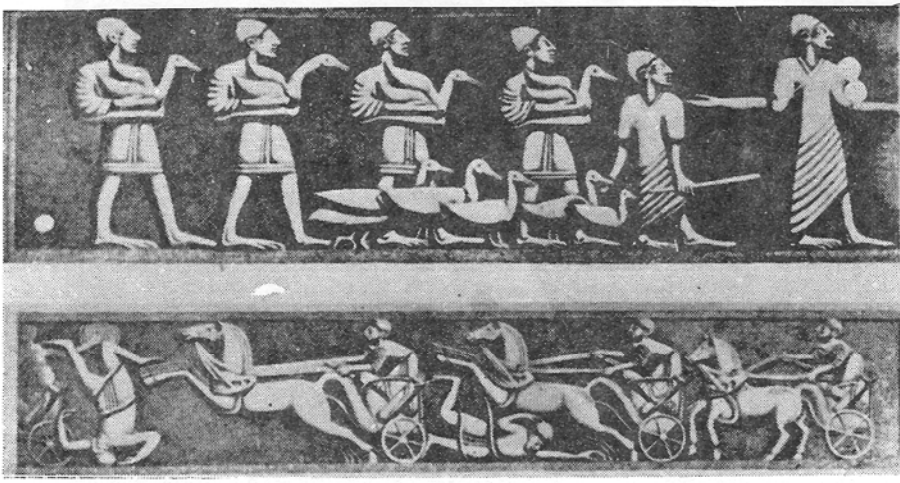


التصوير رقم ٧
علبة من العاج من آثار بلدة « مجدو » الكنعانية نقشت عليها تصاوير لابى الهول
وبعض السباع يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد



التصوير رقم ٨

لوح من حجر البازالت من آثار معبد ميكال في بلدة بيت شان الكنعانية يرجع تاريخه الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد • ويمثل المنظر اسدا اسطوريا مشتبكا في معركة مع الحارس الاسطوري للمعبد وهو على هيأة كلب •

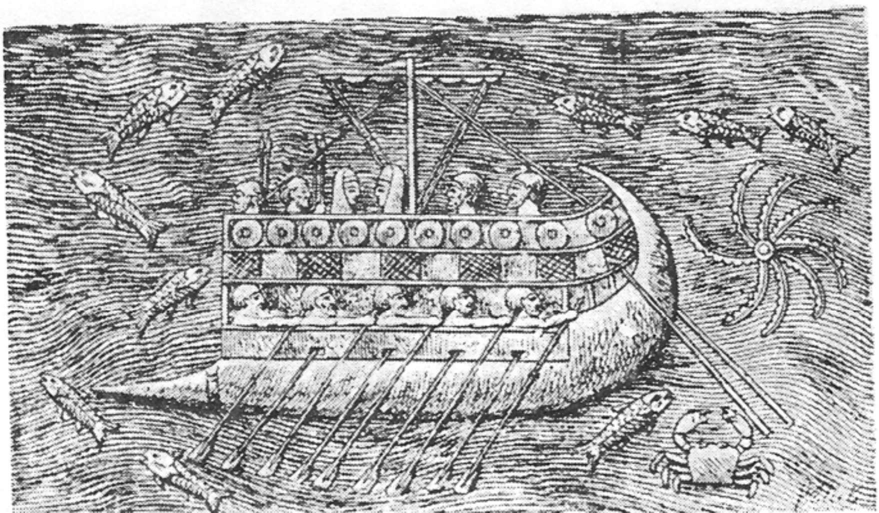


التصوير رقم ٩

نقوش كنعانية على العاج من آثار بلدة مجدو . يشاهد فى القسم الاعلى بعض الاشخاص والاوز وفى القسم الاسفل منظر لمعركة بالعربات .

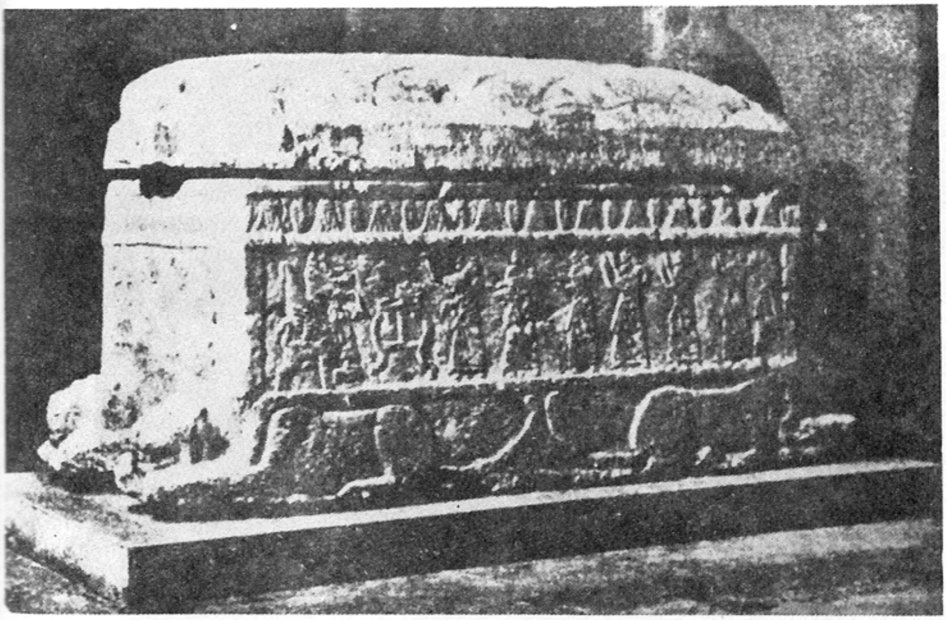
التصوير رقم ١٠ ـ المدخل المدرج الى نفق جازر الكنعانى (انظر ص ١٠) .

التصوير رقم ١١ ـ المدخل المدرج الى نفق نبع العذراء (انظر ص ١٥) .



التصوير رقم ١٢

سفينة فينيقية تجارية أو حربية نقشت على جدار قصر سنحاريب فى نينوى يرجع تاريخها الى حوالى سنة ٧٠٠ ق.م.



التصوير رقم ١٣

تابوت حجرى لجثمان الملك أحيرام ملك بيبلوس (جبيل) يرجع تاريخه الى حوالى ١٠٠٠ ق٠م٠ يشاهد فى الواجهة الملك أحيرام على عرشه يحيط به الآلهة وهو يحمل بيده كاسا وبعض الزهور ، ويشاهد أمامه خادم يحمل منديلا بيد ويطرد الذباب باليد الاخرى من فوق مائدة طعام ، وهناك خادمان يحملان الطعام يتبعهما أشخاص يمارسون طقوسا دينية للآلهة ٠ وعلى هذا التابوت كتابة فينيقية تنذر بها من يحاول غزو بيبلوس وازالة هذا التابوت بالدمار والهلاك ٠



التصوير رقم ١٤

الاله « ايل » على عرشه وهو يتسلم الهدايا من ملك اوغاريت ـ من آثار اوغاريت التى ترجع الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ـ عن كتاب شافر « نصوص مسمارية من اوغاريت » ، اللوح ٣١



التصوير رقم ١٥

الاله « بعل » اله الكنعانيين من اوغاريت : يشاهد الاله وهو يحمل بيده اليمنى هراوة يشهرها عاليا وبيده اليسرى حامل الصاعقة وقد وقف امامه احد ملوك اوغاريت وهو تحت حمايته .

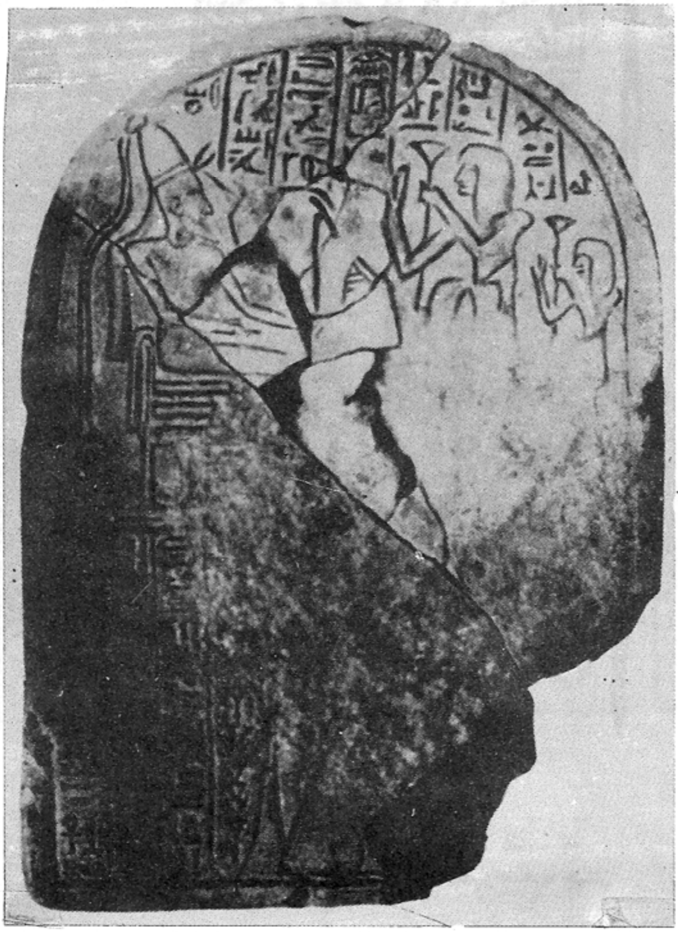


التصوير رقم ١٦

تابوت من الحجر الجيرى لجثمان الملك اشمون عازار ملك صيدون فى فينيقية يرجع تاريخه الى القرن الثالث قبل الميلاد وهو الآن فى متحفة اللوفر فى باريس



التصوير رقم ١٧
الهة الخصب الكنعانية من آثار اوغاريث



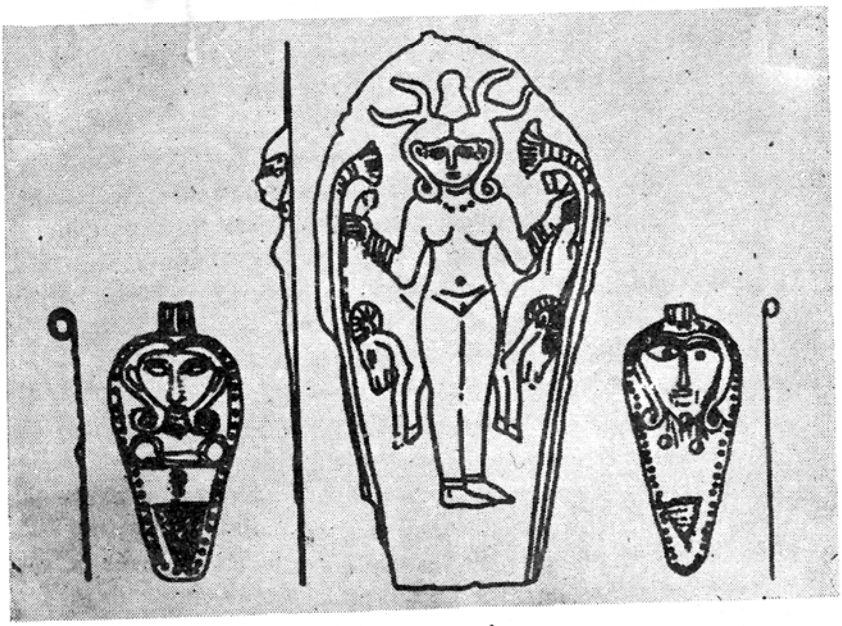
التصوير رقم ١٨

مسلة الاله « ميكال » اله بيت شان الكنعانية عثر عليها في ملحق المعبد الكبير الذي يرجع تاريخه الى عهد تحوطمس الثالث (١٤٧٩ ـ ١٤٤٧ ق٠م٠). يشاهد الاله وعلى راسه التاج المخروطي الشكل وهو بلباس مصري وبيده الصولجان ٠

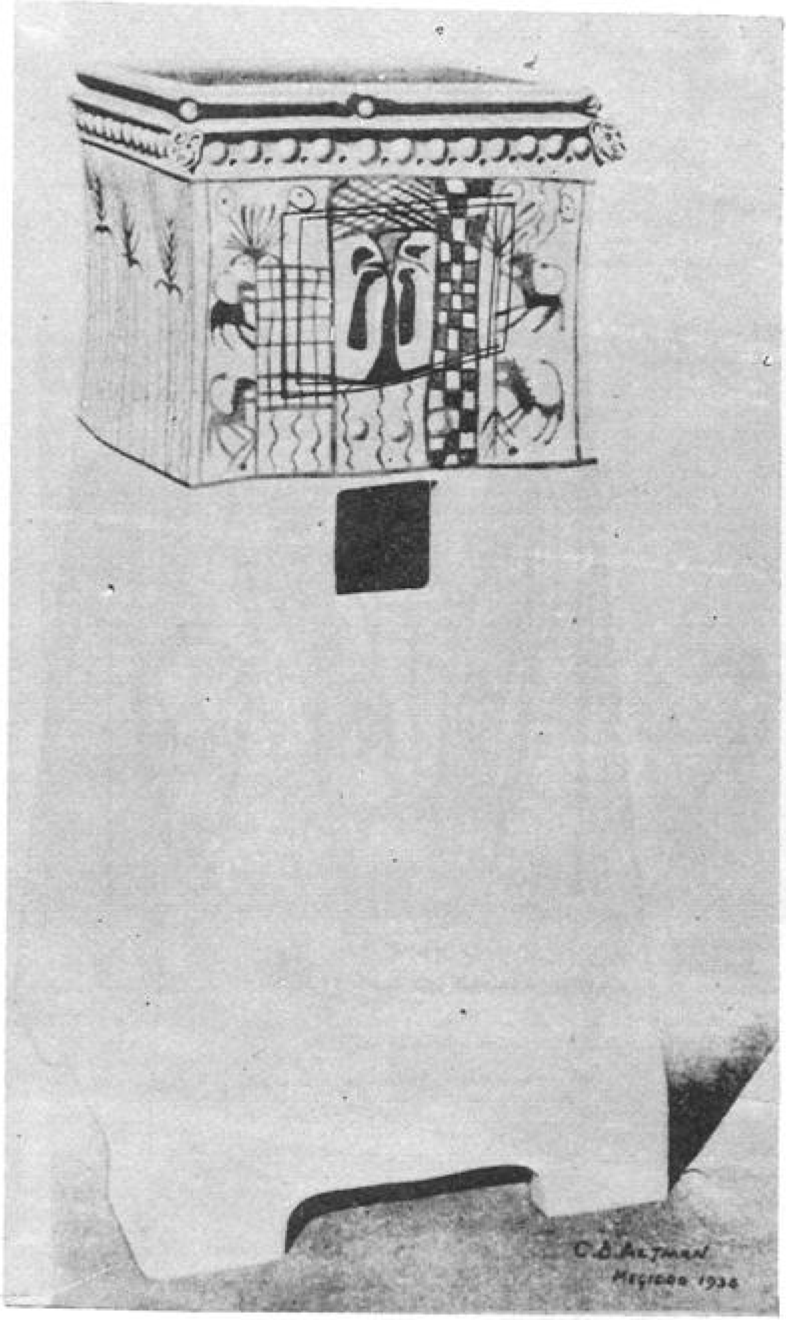


التصوير رقم ١٩

الهة الخصب الكنعانية واقفة على اسد وتصحبها حيتان



التصوير رقم ٢٠
أقراط ذهبية لالهة الخصب من اوغاريث



التصوير رقم ٢١

محراب كنعاني من بلدة « مجدو » الكنعانية ـ عثر على هذا النقش الكنعاني تحت اطلال قصر بلدة « مجدو » في القسم الشمالي من كنعان يرجع تاريخه الى حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد ٠

بالاكدية والحورية والحيثية • وهذه كشفت عن كثير من المعلومات التاريخية حول حياة الكنعانين وثقافتهم كانت قبل اكتشاف هذه النصوص غامضة • وأهم ما عثر عليه من د الكتابات المجموعة الواسعة من وثائق ملوك أوغاريث التي تحتوي على المراسلات مع الملوك الحيثيين والمصريين وغيرهم ترجع الى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد • هذا وفي الوثائق الملكية التي وجدت في « ماري » والمراسلات الملكية التي وجدت في « تل العمارنة » في مصر وأخبار التوراة وغيرها من المصادر البابلية والآشورية والحيثية ما يزوّد الباحث بجمهرة من المراجع عن تاريخ الكنعانيين في عصور ما قبل حملة موسى على فلسطين(٦٧)

٣ ـ هجرة العموريين العمالقة الى فلسطين وسورية والعراق

وهذه الهجرة الثانيــة الكبرى من جزيرة العـــرب ، هجرة من سمّي بالعموريين العمالقة ، قاموا بها حوالي الوقت نفسه الذي هاجر فيه الكنعانيون أو قبلهم ، فتمركزوا في بداية الأمر في الأقسام الشمالية من بلاد الشام ثم أخذوا ينتشرون في أواسط سورية وفي لبنان حتى امتدوا جنوبا الى فلسطين ، وقد أسّسوا في وطنهم الجديد دولة « عمورو » أو « مارتو » في السومرية ، أي بلاد الغرب ، واتخذوا بلدة « ماري » عاصمة لهم • و «ماري» هذه هي المدينة

---

(٦٧) انظر المراجع التالية عن كنعان والكنعانيين :

S. Moscati, "Ancient Semitic Civilizations," Chap. V, "The Canaanites," pp. 99—123; G. R. Driver, "Canaanite Myths and Legends," Edinburgh, 1956; W.F. Albright, "The Role of the Canaanites in the History of Civilization," 1942; P. Hitti, "History of Syria." Chapt VIII, "The Canaanites," pp. 79—96; R. Dussaud, "La penetration des Arabes en Syrie avant l'Islam," Paris, 1955; T.H. Gaster, "Canaanites," Ency. Brit., Vol. IV, 1965, pp. 726-728 (with map and bibliography); D. Diringer, "The Alphabet- A Key to the History of Mankind," 1948, 2nd. ed., see Chap. III, "Canaanite Branch," pp. 235-252; Z.S. Harris, "Ras Shamra : Canaanite Civilization and Language," The Smithsonian Report for 1937 (Publication 3474), pp. 479-502; Lods, "Israel from its beginnings of the middle of the eighth cent." (Translated by S.H. Hooke), London, 1932. See: Part I. "Cannan before the Israelite Settlement," pp. 37-149; J. Gray, "The Legacy of Canaan." Leiden. 1957; C.H. Gordon, "Ugaritic Literature".

العاشرة التي أسست بعد الطوفان تقع أطلالها على الضفة الغربية من نهر الفرات على مسافة حوالي ١٥ كيلو مترا من شمال بلدة البوكمال وتعرف خرائبها اليوم باسم « تل الحريري » •

وقد لعبت هذه المدينة دوراً مهماً في تاريخ الشرق الادنى لما كانت تتمتع به من موقع ممتاز متوسط على طريق القوافل التجارية والمواصلات بين العراق وسورية وفلسطين ومصر ، وهي المدينة التي مر بها سيدنا ابراهيم الخليل في هجرته من أور الى « حاران » في القرن التاسع عشر قبل الميلاد •

أطلق البابليون تسمية « عمورو » على جميع بلاد سورية كما أطلقوها على البحر المتوسط فقالوا « بحر عمورو العظيم » ، ويرى بعض الخبراء أن العموريين كانوا قد انتشروا في جميع المنطقة الممتدة من ساحل البحر المتوسط الى الفرات ومن ضمنها فلسطين منذ الالف الرابعة او الخامسة قبل الميلاد(٦٨) • ويشاهد اليوم مقابل « تل الحريري » على الجانب الايسر من نهر الفرات تل أثري يسمّى « تل باغوز » يرجع تاريخه الى الالف السادسة قبل الميلاد ، ومن المرجح أنه يمثّل بقايا إحدى المستوطنات التي أقامها العموريون على ضفاف الفرات الشرقية بعد نزوحهم من شبه جزيرة العرب • ويبدو أن هذه المستعمرة السامية كانت تمارس الزراعة التي تعتمد على الري مستمدة مياه الارواء من الضفة اليسرى لنهر الخابور (خابور الفرات) •

وقد كشفت التنقيبات الفرنسية التي أجريت في « تل الحريري » منذ عام ١٩٣٣ عن آثار حضارة وادي الرافدين من عصور ما قبل التاريخ ومن عصر فجر السلالات في الألف الثالثة قبل الميلاد حيث وجدت تماثيل سومرية ومعبد للالهة عشتار • كما كشفت عن برج مدرج وقصر عظيم من العهد البابلي القديم من القرن العشرين قبل الميلاد يحتوي على ٣٠٠ غرفة وقاعة واسعة مساحته تربو على ١٥ دونماً عراقياً ، عثر فيه على مجموعة من الألواح الطينية بلغ عددها حوالي ٢٤٠٠٠ لوح ، وهي تشتمل على أنواع مهمة من الوثائق والسجلات الملكية الخاصة باخر ملك من سلالة ماري العمورية المدعو « زمري

---

(٦٨) انظر :
A.T. Clay "Amuru The Home of the Northern Semites," 1909; "The Empire of the Amorites," 1919.



التصوير رقم ٢٥
الملك لانكى مارى ملك مارى العمورية
(حوالى سنة ٢٥٠٠ ق.م.) عن كيللر « التوراة
كتاريخ » ، ص٣٢

ـ ليم » (١٧٧٩ ـ ١٧٦١ ق٠م٠) ٠ وقد كان لعثور المنقبين على هذه الألواح نتائج مهمة في الكشف عن تاريخ بلاد الشام والشرق الأدنى وعن دور العموريين في الألف الثانية قبل الميلاد ٠

وقد أظهرت التنقيبات الاثارية ان سلالة سومرية بزعامة لوگال زاكيزي ملك الوركاء (٢٤٠٠ ـ ٢٣٧١ ق٠م٠) حكمت في « ماري » قبيل احتلالها من قبل سرجون الاكدي (٢٣٧١ ـ ٢٣١٦ ق٠م٠) ٠ وقد تمكن العموريون بعد سقوط الانبراطورية الاكدية (سنة ٢٢٣٠ ق٠م٠) أن يتغلغلوا في سورية الوسطى وفي لبنان ، ثم أسسوا بين سنة ٢١٠٠ و ١٨٠٠ ق٠م٠ عدة دويلات في وادي الرافدين تمتد من آشور شمالاً الى « لارسا » جنوباً ، منها سلالة ايسن التي قامت على أنقاض سلالة أور الثالثة وقد ظلت هذه الدويلات مزدهرة الى أن قضت على استقلالها سلالة بابل الاولى التي اشتهرت بانبراطورية حمورابي صاحب الشريعة المشهورة وهي من أصل عموري أيضاً ٠ ويرجح أن السلالة المهمة التي تأسست في بلاد آشور واشتهرت بملكها « شمسي أدد » (١٨١٤ ـ ١٧٨٢ ق٠م٠) أصلها من العموريين أيضاً ٠ ثم استعادت الدويلات العمورية استقلالها بعد سقوط سلالة بابل الاولى وظلت كذلك الى زمن الانبراطورية المصرية (١٥٨٠ ـ ١٠٨٥ ق٠م٠) ، ففي هذا العهد دخلت تحت النفوذ المصري وهو العهد الذي بلغ فيه التنازع بين دول الشرق الأدنى على أشده بين المصريين والبابليين والاشوريين والحيثيين ٠

وكانت لغة العموريين من اللغات السامية الغربية وهي شبيهة باللهجة الكنعانية والفينيقية الغربية ٠ أما الألواح التي عثر عليها في قصر الملك « زمري ـ ليم » فقد كتبت بالخط المسماري وباللغة الأكدية ولكن لهجتها تميل الى السامية الشمالية الغربية ٠

أما ديانة العموريين فكانت متشابهة الى حد بعيد مع الديانات السائدة في بادية الشام وجزيرة العرب ٠ وكان طبيعياً أن يقدس العموريون في وطنهم الجديد مصدر حياتهم ووجودهم ، وهو نهر الفرات ، فمن أقدس آلهتهم التي عبدوها إلهة المياه والينابيع وقد عثر على تمثالها في حفائر « ماري » وهو موجود في متحف حلب (انظر التصوير رقم ٢٦) ٠ وتشاهد الالهة في هذا

التمثال وهي مرتدية ثوباً طويلاً يستر جسمها ولا يظهر منه سوى مقدمة القدمين والثوب مموّج يشير الى تموجات الماء ومجرى النهر . وقد مسكت



التصوير رقم ٢٦
الهة المياه والينابيع العمورية من آثار بلدة ماري .

الالهة بيدها كاساً تنبجس منها المياه رمز الحياة والخصب وعلى رأسها عمامة وفي جيدها طوق وفي معصميها سواران(٦٩) . ويعد هذا التمثال من أهم

(٦٩) « الماء في حياتنا وتراثنا » للمحامي عبدالقادر عياش ، دير الزور ، ١٩٦٩ (واجهة الكتاب) .

مجموعات النحت العموري في بلاد الرافدين .

وكانت عبادة الماء عن طريق الآلهة معروفة منذ أقدم الأزمنة في الشرق فقد ألّه المصريون النيل ودعوه « أوسيرس » وعبد الساميون في العراق الاله «ايا» اله المياه واتخذوا الرافدين ، دجلة والفرات شعاراً مقدساً . ويتألف هذا الشعار من كاس يتدفق منها مجريان رئيسان يتكوّن كل منهما من ثلاثة فروع يعتقد أنها تمثل الروافد الرئيسة الثلاثة التي تنصب في كل من نهري دجلة والفرات ، امّا العين الفوارة فهي تمثل منبع دجلة والفرات حيث كان السومريون والساميون يتصورون أن دجلة والفرات ينبعان من منبع واحد (انظر التصوير رقم ٢٧)[٧٠] . وقد عثر على لوح بين حفائر « ماري » ظهر فيه نقش لزمري ـ



التصوير رقم ٢٧
شعار الرافدين دجلة والفرات

ليم ، آخر ملوك ماري مع إلهتين تحمل كل منهما بيدها نفس الاناء الفوار العراقي الذي ينبع منه النهران دجلة والفرات[٧١] .

ومن أهم ما خلده العموريون في تاريخهم القديم تأسيسهم بعد استقرارهم في العراق الانبراطورية البابلية القديمة (سلالة بابل الاولى) التي اشتهرت بملكها السادس حمورابي صاحب الشريعة المشهورة وقد دامت حوالي ثلاثة قرون (١٨٩٤ ـ ١٥٩٥ ق.م.).

(٧٠) انظر : « الري والحضارة في وادي الرافدين » (الاناء الفوار) ، ص ١٥٧ ـ ١٧٨ .

(٧١) Hitti, "History of Syria," p. 69.



التصوير رقم ٢٨
اسرى من العموريين يقبض عليهم المصريون في فتوحهم للشرق (حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد) عن كتاب « قصة التوراة » ، ص ١٨٢ .

٤ ــ هجرة الأراميين الى سورية والعراق

ومن الموجات السامية العربية التي أعقبت هجرة الكنعانيين والعموريين وتدفقت الى أنحاء الهلال الخصيب موجة الجماعات التي تسمّت بالأراميين نسبة الى أرام بن سام بن نوح(٧٢) . والمرجح أن اشتقاق كلمة إرم الواردة في القرآن الكريم من اسمهم(٧٣) . وقد جاءت كلمة « أرام » في التوراة مضافة الى عدة أماكن يراد بها مستوطن أو قبيلة أو أرض عالية مثل « أرام صوبة » و « أرام النهرين » و « أرام دمشق » و « فدان أرام» الخ ..(٧٤) ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن مصطلح « أرام النهرين » أي بلاد ما بين النهرين كان يقصد به على ما ورد في التوراة الاقسام الشمالية من العراق وبالتحديد المنطقة الواقعة بين منبع البليخ احد روافد نهر الفرات العليا وبين نهر الفرات والتي

---

(٧٢) تك ١٠ : ٢١ ــ ٢٢ .

(٧٣) طه باقر ، « مقدمة في تاريخ الحضارات » ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ .

(٧٤) تك ٢٤ : ١٠ و ٢٥ : ٢٠ ؛ ١ أخ ١ : ١٧ و ٢ : ٢٣ و ١٩ : ٦ ، عد ٢٣ : ٧ .

مركزها (حاران) (حران الحالية) • وأول من ترجم هذا المصطلح الى الاغريقية المؤرخ اليوناني المعروف پوليبيوس (٢٠٢ ــ ١٢٠ ق•م•) فاستعمل كلمة « ميزوپوتاميا » التي صارت تطلق على ما يعرف اليوم بوادي الرافدين أي جميع القطر العراقي[٧٥] •

وقد بدأ الأراميون يستقرون في منطقة الفرات الأوسط (الخابور ــ البليخ ــ الفرات) في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد[٧٦] وذلك بعد أن توغلوا في شمال جزيرة العرب وهنا نمت لغتهم وثقافتهم الخاصة بهم ، وقد اقتبسوا الكثير من العموريين والكنعانيين ومن الحضارات التي جاوروها ولا سيّما حضارة وادي الرافدين والحيثيين ، ولكنهم حافظوا على لغتهم ولهجتهم الخاصة بهم • ثم توغّلوا في أطراف البلاد فاقاموا في أواخر القرن الثاني عشر ق•م عدة ممالك وأعظمها دمشق وحماة وحلّوا محل العموريين والحوريين والحيثيين في وادي نهر العاصي •

وقد عين الدكتور حتي في كتابه « تاريخ سورية » (الطبعة الانكليزية ص ١٦٢) تاريخ استيطان الأراميين في منطقة الفرات الأوسط (منطقة حران) قبل الألف الثانية قبل الميلاد ، الا أن الاستاذ طه باقر يذكر في كتابه « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » (ج ٢ ، ص ٢٦٨ ــ ٢٦٩) أن هجرة الأراميين الى الفرات الأوسط بدأت منذ منتصف الألف الثانية قبل الميلاد • ولكن اذا أخذنا برواية التوراة القائلة إن ابراهيم الخليل الذي كان ينتمي الى العشائر الأرامية قد اتصل بهم في حران قبل ذهابه الى فلسطين ، ثم أرسل من يجيء بأحدى بناتهم ليتخذها زوجة لابنه اسحاق فيكون الأراميون قد وجدوا في مستوطناتهم في منطقة حران قبل القرن التاسع عشر قبل الميلاد لأن ابراهيم الخليل وجد في سنة ١٩٠٠ ــ ١٨٥٠ ق•م• وهذا يتفق مع ما ذهب اليه الدكتور حتي • ومما يدل على أن الأراميين كانوا موجودين في هذه المناطق قبل الألف الثانية قبل الميلاد أن اسم أرام ورد في كتابة مسمارية ترجع الى عهد الملك الاكدي نرام ــ سين (القرن الثالث والعشرون ق•م•) ، بصفة (A-ra-am) ثم ورد في كتابة

---

(٧٥) انظر : « ملاحظات في جغرافية العراق » للاستاذ طه باقر ، الاقلام ، العدد ١٠ ، ايلول ١٩٧٠ ، ص ١٥ ــ ١٦ •

(٧٦) Diringer, "The Alphabet," 1948, p. 253.

أخرى تشير الى مدينة أو دويلة باسم أرام قرب مملكة أشنونا في جنوبي العراق[٧٧] .

أ ـ القبائل الارامية و « الاخلامو » و « العبيرو » (الخبيرو)

وكان الأراميون مكونين من جملة عشائر وقبائل منهم فرع ورد اسمه بصيغة « أخلامو » ، وهي تسمية شاملة وردت في الكتابات القديمة لجماعة من القبائل البدوية في شمال الجزيرة العربية ، وقد أصبح الأخلامو في العهد الأخير مرتبطين كلياً بالأراميين في صد الغزو الآشوري ، ونظراً لشهرة هذه القبائل صار اسمها كثيراً ما يطلق على جميع الأراميين . وقد ورد ذكر جماعات أخرى مع « الأخلامو » سمّيت بـ « الخبيرو » أو « الهبيرو » أو « العبيرو » ، وهي كلمة كانت تطلق على القبائل العربية الرحل التي كانت تجوب الجزء الشمالي من الجزيرة العربية أيضاً وقد انضموا الى القبائل الأرامية ، وصارت هذه الكلمة بعد أن صُحّفت الى عبري وعبراني تطلق على اتباع موسى بعد ظهورهم باعتبارهم من القبائل الرحل ، لانهم لم يكونوا قد وجدوا بعد عندما كانت هذه الكلمة تستعمل لتعني البدو الرحل أو المهاجرين او العابرين[٧٨] .

ويؤكد العلامة « گروهمان » في بحثه عن أصل العرب علاقة الأراميين وقبائل الخبيرو والعبيرو بهم ، فيقول : « ومن المؤكّد أن العنصر البدوي في شبه جزيرة العرب ، وهو على الأرجح مصطلح مرادف مع تسمية « أرام » و « عبيرو » و « خبيرو » وجد في الاصل في المنطقة التي تمتد بين سورية وبلاد ما بين النهرين والتي تعد أقدم مركز للساميين . »[٧٩]

ويقول دايرنكر صاحب كتاب « الابجدية مفتاح تاريخ الانسانية » ان الارامية « فرع رئيس يرجع الى الهجرة السامية الثالثة ذكرت في مصادر التوراة وفي الكتابات المسمارية . ويطلق اسم أرام الذي ورد في التوراة على سلالة عنصرية كما يطلق على الأقليم الذي تسكنه تلك السلالة . وجاء في جدول

---

(٧٧) Moscati, "Ancient Semitic Civilizations". p. 168.

(٧٨) انظر مايلي عن « العبيرو » ومفهوم هذه الكلمة في أزمنة ما قبل بني اسرائيل .

(٧٩) A. Grohmann, "The Arabs," The Encyclopedia of Islam, New Ed., p. 525.

الأمم بسفر التكوين (الاصحاح العاشر) أن أرام جد الأراميين وقيل عنه إنه ابن سام ، وجاء في مكان آخر انه حفيد ناحور أخي ابراهيم الخليل (الاصحاح ٢٢) ، ويقال عن يعقوب إنه أرامي تائه ، وعن أمه وزوجاته إنهن أراميات . وقد وردت الاشارة اليهم في رسائل تل العمارنة في القرنين الخامس والرابع عشر قبل الميلاد باسم أخلام أو أخلامو أي الأحلاف الذين يظن أنهم هم أحلاف أرام المذكورين في وثائق القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وهم يسمّون في المصادر الآشورية « أرومو » و « ارامو » وجمعهم « أريسي . »(٨٠)

ب ـ اتساع تجارة الاراميين وانتشار لغتهم في الشرق

وقد ساعد موقع مناطق الأراميين على توسيع نطاق متاجرهم فاحتكروا التجارة كما احتكروا طرق المواصلات المؤدية الى آشور شرقاً والى المدن الفينيقية غرباً والى آسيا الصغرى شمالاً ومن هذه وتلك الى المدن المصرية . وأمكن بفضل تدجين الجمل العربي تيسير القوافل تيسيراً كبيراً فاقيمت في أطراف البلاد مراكز للتجارة كانت اشهرها « تدمر » و « الحضر » .

وفي تعليق للمرحوم العقاد في ذلك يقول : « وقد كان للاراميين بطون في العراق وبطون أخرى في سيناء وفلسطين فكانوا ينشرون ما اقتبسوه من وادي النهرين ووادي النيل على السواء ، وكان الاغريق على اتصال بهم في الموانيء الشرقية من آسيا الصغرى الى تخوم سيناء فنقلوا عنهم وسائل الحضارة والتجارة قبل أن يهتدي اليها أبناء القارة الاوربية بزمن طويل . »(٨١)

وقد انتشرت مع التجارة الأرامية اللغة الأرامية انتشارا واسعا ، واللغة الارامية من فروع كتلة اللغات السامية الغربية التي انتشرت شمال غربي ما بين النهرين ، وقد أصبحت لغة أقطار الشام وتغلغلت في بلاد فارس وانتشرت بين الشعوب المجاورة لها . ثم امتدت الى وادي النيل وآسيا الصغرى وشمال جزيرة العرب حتى حدود الحجاز ، وبقيت دهوراً طوالاً اللغة الرسمية والتجارية للأمم الحية في القرون الاولى قبل الميلاد في بابل وآشور وفارس ومصر وفلسطين ، وكانت الأرامية لغة السيد المسيح والحواريين وكتب بها الانجيل

---

(٨٠) Diringer, "The Alphabet," p. 253.

(٨١) العقاد في كتابه : « أثر العرب في الحضارة الاوروبية » ، ص ٢٣ .

على ما يرجح ، وان الكتابات الدينية لمختلف الكنائس الشرقية دونت بلهجات مشتقة من الارامية وباقلام ماخوذة من الابجدية الارامية[٨٢] وقد حلت اللغة لأرامية محل الكنعانية وظلت اللغة السائدة في البلاد الى الفتح العربي في القرن سابع ق.م. عندما أخذت اللغة العربية تحل محلها . وانقسمت اللغة الأرامية بمرور الأزمان الى عدة لهجات يمكن حصرها بفرعين : الفرع الشرقي في وادي الفرات وتمثله اللهجة المندائية والسريانية ولهجة الحضر ، وتمثل الفرع الغربي أرامية التوراة والانجيل والترجوم (التفسير والشرح) واللهجات الأرامية في مملكة سامال وفي حماة وتدمر وبلاد النبط .

والدليل على انتشار اللغة الأرامية في جميع الشرق الأدنى أن تسمية « أراميين » صارت تشمل جميع القبائل الساكنة قديماً في البلاد الفسيحة الواسعة المحدودة ببلاد الفرس شرقاً والبحر المتوسط غرباً وبلاد الأرمن وبلاد اليونان في آسيا الصغرى شمالاً وحدود جزيرة العرب جنوباً كانت قاطبة معروفة ببني أرام والأراميين مع أن بعض هذه القبائل كانت تسمى باسماء خصوصية كتسمية أهل بابل وما يجاورها من قبائل بالكلدانيين وسكان مملكة آشور بالآشوريين وتسمية أهل الشام بالادوميين ، ولكن تسمية الاراميين كانت تشملهم جميعاً ، وكانت كل هذه البلاد تتكلم بالأرامية ، كما أن تسمية الطيء مثلاً وقريش وحمير وكنانة لا تخرج هذه القبائل من كونهم عرباً [٨٣] .

ولم يقتصر الأمر على انتشار اللغة الأرامية وحدها اذ انتشر استعمال الحروف الأبجدية التي كتب بها الأراميون لغتهم بعد أن أخذوا هذه الحروف من الفينيقيين فاقتبسها أقوام عديدة في آسيا في كتابة لغاتها ، وقد أخذ اليهود خطهم الذي طبعوا به كتب التوراة من الخط الأرامي بين القرنين السادس والرابع ق.م. ، كما أن العرب الشماليين أخذوا خطهم من الخط النبطي الذي هو شكل من أشكال الخط الأرامي ، وهذا هو الخط الذي كتب فيه القرآن الكريم وتطور عنه الخط العربي الحديث ، كما أخذ الأرمن والفرس والهنود خطوطهم من أصول أرامية . وهكذا يكون الخط الفينيقي قد انتقل على أيدي

---

(٨٢) Diringer, "The Alphabet," p. 235.

(٨٣) « دليل الراغبين في لغة الاراميين » ، تاليف القس يعقوب اوجين منا الكلداني ، الموصل ١٩٠٠ ، ص ٧ .

الأراميين الى نصف العالم الشرقي • وقد تفرع من القلم الأرامي أقلام عديدة متشابهة ، المعروف منها الآن القلم السامري والتدمري والنبطي ومن الأخير نشأ القلم الحميري العربي الذي منه تولد القلم الكوفي ومن هذا نتج القلم النسخي•

ج ـ أقدم الكتابات الارامية

ان أقدم كتابة أرامية معروفة عثر عليها في شمال سورية وهي ترجع الى القرن التاسع قبل الميلاد وفي جملتها كتابة أبجدية من تل حلف (گوزان)[٨٤] ، ويليها في القدم الكتابة التي وجدت في منطقة دمشق على بعد أربعة أميال ونصف ميل شمال حلب وهي تحمل اسم الملك بنهدد الأول وترجع الى حوالي سنة ٨٥٠ ق•م• ، وهناك الكتابة التي اكتشفت على مسلة « زاكر » ملك حماة والتي يرجع اولبرايت تاريخها الى سنة ٧٧٥ ق•م• كما أن هناك كتابات أرامية قديمة عثر عليها في دمشق وفي سمأل (زنجرلي) وفي المدن الفينيقية ، وهذه ترجع الى الفترة التي تمتد بين القرن الثامن والخامس قبل الميلاد[٨٥] • وهناك كتابة أرامية مدونة على الرق البردي وجدت في مصر وهي ترجع الى سنة ٥١٥ ق•م•[٨٦]

د ـ ديانة الأراميين

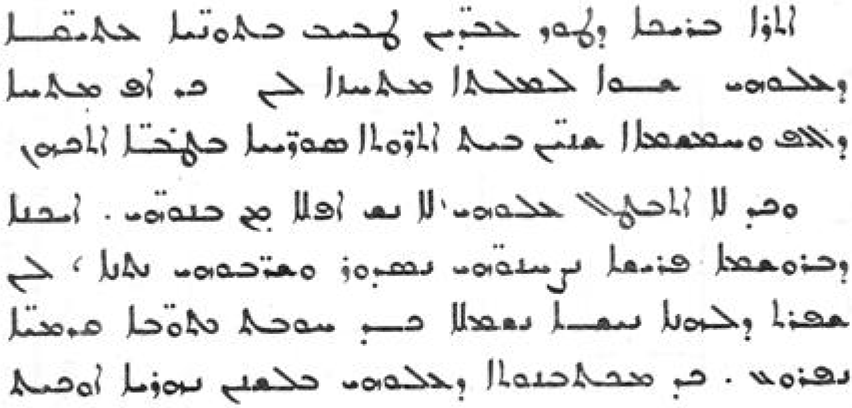
كانت ديانة الأراميين قائمة على عبادة عدة آلهة ومن أهمهم الاله حداد ، وهو كان في الأصل إله الزوابع والعواصف ، وكان يعبد هذا الاله في كركميش (جرابلس) وفي سمأل (زنجرلي) وفي حلب وفي دمشق • وقد أضيف اسمه الى أسماء ثلاثة من ملوك دمشق • وقد ورد ذكر الاله « ايل » في سمأل • واجمالاً ان الديانة الأرامية لم تكن لتختلف عن المعتقدات والتقاليد السائدة في تلك الأزمان بين ثقافات الأقوام المجاورة في كنعان وفي العراق وفي آسيا الصغرى وفي الجزيرة العربية •

---

(٨٤) R. A. Bowman, "The Old Aramaic Alphabet of Tell Halaf," Amer. Journal of Semitic Languages, Vol. LVIII (1941), pp. 359-62; also : Journal of Near Eastern Studies, Vol. VII (1948), p. 71.

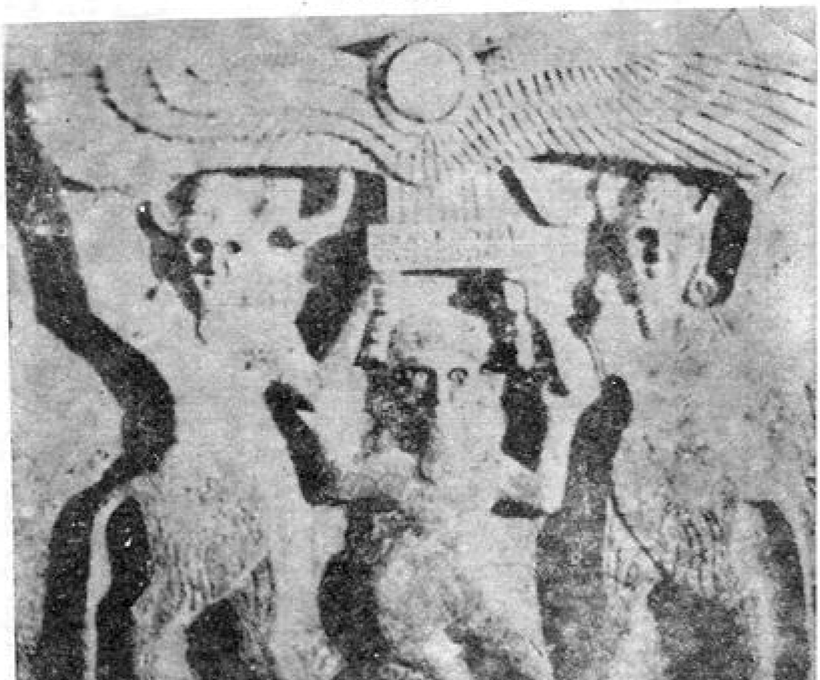
(٨٥) Hitti, "History of Syria," pp. 169—170.

(٨٦) Diringer, "The Alphabet," p. 255.



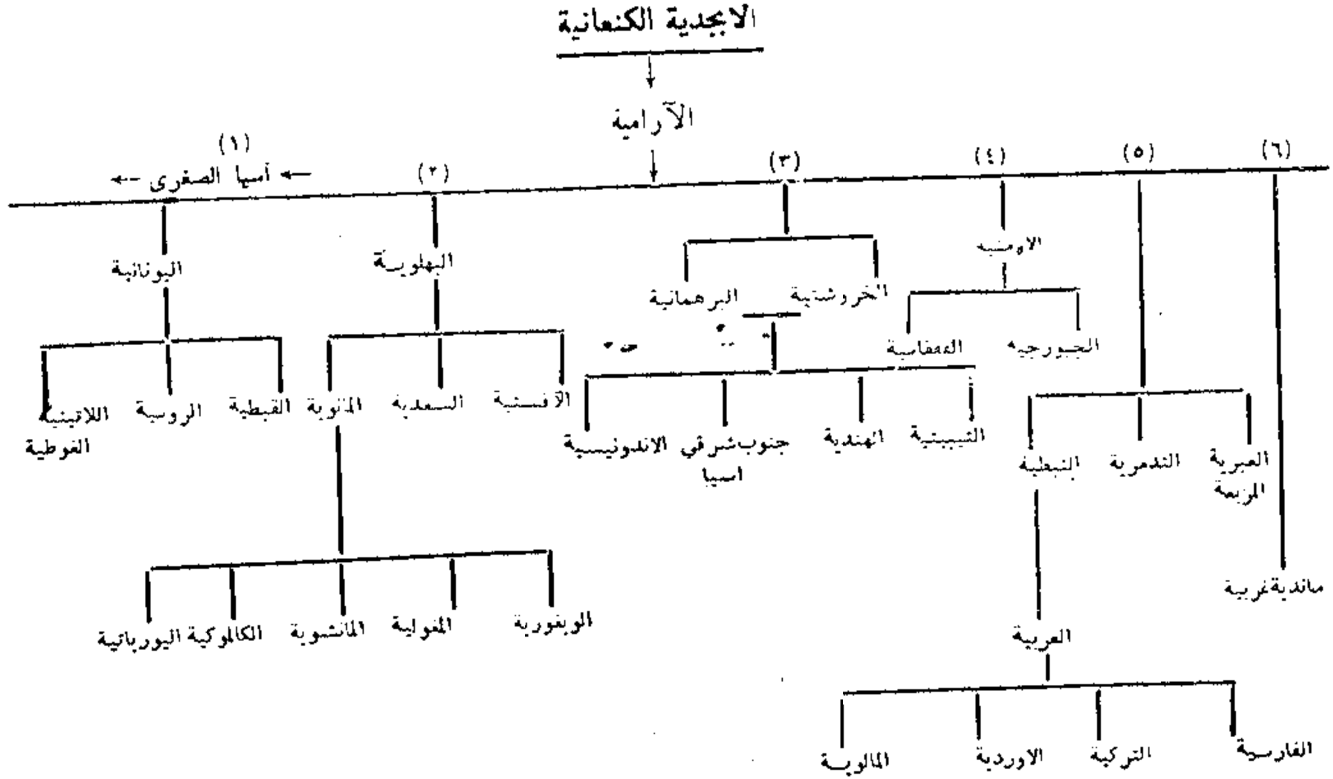
التصوير رقم ٢٨ أ

نموذج من كتابة باللغة الارامية ، وهذه لا تزال الى اليوم اللغة الطقسية لمعظم البلاد الشرقية اى للسريان الشرقيين وهم الكلدان والسريان الغربيين والموارنة .



التصوير رقم ٢٨ ب

من النقوش التي عثر عليها على جدران قصر الملك الارامي « كبارا » في جوزان (تل حلف) ترجع الى حوالى القرن التاسع قبل الميلاد .



ان الخط الذى اقتبسه الاراميون الأولون من جيرانهم الكنعانيين اصبح مصدرا لمعظم الكتابات الحالية ، فانتشرت احدى صيغة فى آسيا الصغرى ومنها انتقلت الى بلاد اليونان حيث أعطت الابجدية اليونانية عدة فروع فى اوروبا وفى مصر ، وهناك صيغة اخرى انبثقت منها الكتابة البهلوية فى ايران الوسطى وقد تشعب منها عدة فروع . ثم ظهرت صيغة ثالثة منها الكتابة الأرمنية التى منها جاءت الكتابات الجيورجية والقفقاسية ، وعن صيغة خامسة نتجت ايضا الكتابة العبرية المربعة والخطان التدمرى والنبطى ومن هذا الأخير جاء الخط العربى باشكاله العديدة فى الفارسية والتركية والاوردية والمالوية . وقد تفرعت الكتابة المالندية الغربية ايضا من احدى صيغ الكتابة الآرامية » ادب اللغة الآرامية » . تاليف الاب البير ابونا . بيروت . ١٩٧٠ ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .

هـ ـ القبائل الأرامية والعرب البائدة ترجع الى أصل واحد

ويؤكد المؤرخون العرب أن القبائل الأرامية ترجع الى الاصل العربي فهي والعرب البائدة أو العرب العاربة من أصل واحد ، فكانوا ينسبون شعوب العرب البائدة جميعاً الى إرم ويسمّونهم بالأرمان . فقد ذكر حمزة الاصفهاني في كتابه « تاريخ سني الملوك » : « إن العرب العاربة عشرة ، عاد وثمود وطسم وجديس وعماليق وعبيل وأميم ووبار رهط وجاسم وقحطان ، فكانت هذه الفرق تؤرخ بسني أرم الى أن بادت كلها الواحدة على أثر الأخرى . وبقي منهم بقايا يسيرة وكانوا يسمّون الأرمان »(٨٧) . وقد ذكر المسعودي عن الأرمان انما سمّوا بذلك لأن عاداً لما هلكت قيل ثمود إرم فلما هلكت ثمود قيل لبقايا ارم ارمان(٨٨) . ويصف ابن خلدون في كتابه « تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر » العرب العاربة والعرب البائدة باعتبارهما مصطلحين لمعنى واحد فيقول : « إن العرب العاربة شعوب كثيرة وهم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل وعبد ضخم وجرهم وحضرموت وحضور والسلفات ، وسمّي هذا الجيل العرب العاربة اما بمعنى الرساخة في في العروبية كما يقال ليل أليل وصوم صائم أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها بما كانت أول أجيالها ، وقد تسمّى البائدة أيضاً بمعنى الهالكة لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم »(٨٩) .

ومما يؤكد أن الأراميين عرب وكانوا يسمّون كذلك أن الملك الآشوري أسرحدون (٦٦٨ ــ ٦٢٥ ق.م.) يشير في كتاباته الى أن الملك حزائيل ملك العريبي (العرب) جاء خاضعاً الى نينوى وهو يحمل معه جزية كبيرة(٩٠) . والمعلوم ان حزائيل اسم أرامي وهو بالطبع غير الملك حزائيل الارامي الشهير ملك دمشق الذي استولى على معظم أملاك اسرائيل وتمكن من صد هجوم الملك شلمنصر في سنتي ٨٤٢ و ٨٣٨ ق.م.

---

(٨٧) طبعة بيروت ، ١٩٦١ ، ص ١٠٥ .

(٨٨) « التنبيه والاشراف » ، الطبعة الاوربية ، ص ٧٨ ــ ٧٩ . انظر ايضا كتاب « مروج الذهب » ، طبعة دار الاندلس ، ١٩٦٥ ، ج ١ ، ص ٥٢ـ٥٣.

(٨٩) طبعة بولاق سنة ١٢٨٤ هـ (ج ٢ ، ص ١٦ و ١٩ و ٧١ و ٢٥٩) .

(٩٠) Rogers, "Cuneiform Parallels etc." pp. 353—359.

ويقول الدكتور هوميل في كتابه « التقاليد العبرانية القديمة » : « إن الأراميين الذين يرجعون الى أقدم الأزمان والذين ورد ذكرهم في الكتابات القديمة كانوا ينتمون الى العرق البدوي الخالص وهم يحملون نفس الأسماء التي نجدها في التسميات العربية . لذلك اننا لا نكون قد جازفنا في الكلام عندما نؤكد أن الأراميين في الألف الثانية قبل الميلاد بل وحتى في العصور التالية التي تمتد الى زمن ازدهار الانبراطورية الآشورية كانوا هم والشعب العربي العظيم شعباً واحداً من عنصر واحد متماسك الأجزاء »(٩١) . كما يشير العلامة « گروهمان » في بحثه عن تاريخ العرب ان الأراميين الذين تدخلوا في شؤون « بيت زماني » في أعالي الفرات سنة ٨٨٠ ق.م. وساعدوا أهلها على طرد عميد الملك الآشوري « آشور ناصربال الثاني » (٨٨٤ — ٨٥٩ ق.م.) هم أسلاف العرب(٩٢) .

ومن الكتاب العرب الذين يؤيدون هذا الرأي المرحوم الاستاذ العقاد فيقول في كتابه « الثقافة العربية (ص ٢٠) » : « إن الثقافة الأرامية عربية في لغتها ونشأتها ونسبتها الى عنصرها ، ولا يمكن أن تعرف لها نسبة الى أمة غير الأمة العربية في عهودها الاولى فكل ما استفاده العالم من جانبها فهو من فضل هذه الأمة على الثقافة العالمية » . لذلك يجب أن تحتل القبائل الأرامية مكانة متميزة في تاريخ العرب قبل الاسلام لأنها تمثل الثقافة العربية القديمة وخاصة أن النبي ابراهيم الخليل هو منهم ، ففي حوالي أوائل الألف الثانية قبل الميلاد نزحت بعض الأسر الأرامية الى جنوب العراق واستقرت في مناطق بابل فكان ابراهيم الخليل من ذرية هذه الأسر ومن أمرائها (٩٣) .

و — موجز تاريخ الاراميين السياسي

بلغ الأراميون أوج اتساعهم وسلطانهم السياسي في القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد مغتنمين فترة ضعف الانبراطورية الآشورية في أعقاب حكم تجلات بلاسر الاول (١١١٥ — ١٠٧٧ ق.م.) من جهة وبداية تقهقر النفوذ

---

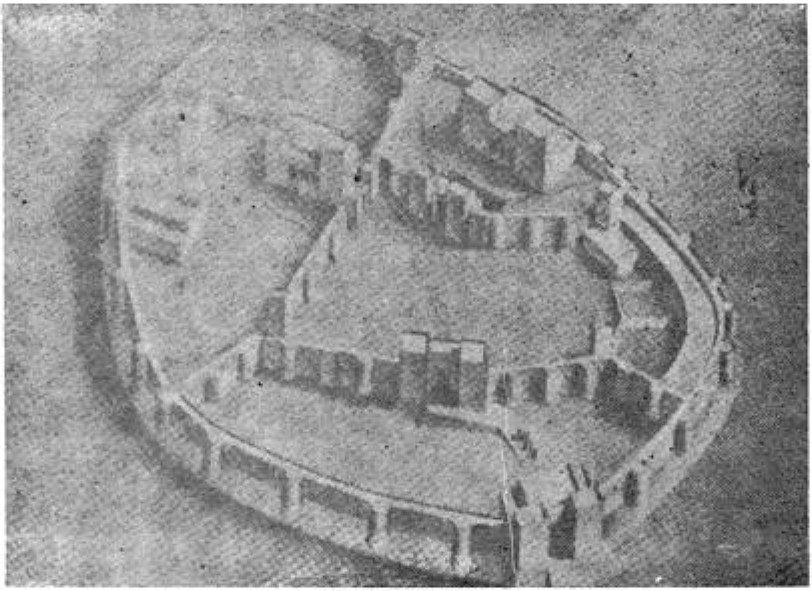
(٩١) F. Hommel, "The Ancient Hebrew Tradition," pp. 202—203.

(٩٢) Encyclopedia of Islam, N.E., p. 524.

(٩٣) انظر ما يلي في الفصل الخامس « عصر ابراهيم واسحاق ويعقوب » .

المصري في عهد رعمسيس الثالث (١١٩٨ — ١١٦٧ ق٠م٠) من الجهة الاخرى ، ثم تبدد سيطرة الحيثيين والميتانيين في شمال سورية وكذلك زوال حكم المينيين في الغرب فاقاموا بقوة السلاح سلسلة من الممالك الصغيرة في سورية منها : « أرام النهرين »[٩٤] و « فدان أرام » و « أرام دمشق » و « أرام صوبا » في البقاع و « أرام بيت رحوب » جنوبي « أرام صوبا » عنـد منعطف نهر الليطاني و « أرام معكة » (مقاطعة دان) و « جشور » بين اليرموك ومقاطعة دمشق و « بيث أغوشي » في حما وعاصمتها « أرفـاد » و « بيت بخياني » ومركزها «جوزان» (تل حلف حالياً) هذا عدا دويلتي « حلب » و « كركميش » (جرابلس حالياً) ٠ وفي الشمال الغربي من سورية أقام الأراميون دولة فـي قليتية هي دولة « سمأل » وقد سمّاها الأراميون « يعودي » ، مركزها مدينة « سمأل » تقع أطلالها اليوم عند جبل أمانوس غربي عينتاب في تركيا وتعرف باسم « زنجرلي » ، ومن ملوكها الذين ورد ذكرهم « شميل » و « كيلامو » و « حياني » و « فنامو » و « بار — ركوب » ، ومن آثارها سور حصنها الذي لا يزال ماثلا للعيان (انظر التصوير رقم ٢٩) ٠ ثم غزا الاراميون العـراق فاسّسوا فيه عدة دويلات منها دويلة « بيت عديني » ومركزها في «بورسيبا» ، وكان مركزهم في منطقة بابل حيث حكمت سلالات بابلية عديـدة في فترات متواصلة بين منتصف القرن الثاني عشر والقرن السادس قبل الميلاد ، فأول من برز من ملوكهم « اداد — بلادان » (Adad Apal-Iddina) وهو من سلالة بابل الرابعة استولى على عرش بابل وحكم بين سنة ١٠٦٧ و ١٠٤٧ ق٠م٠ ، وفي ساحل الخليج في جنوبي العراق أسّس الأراميون عدة دويلات أهمهـا دولة « بيت ياكيني » وقد عرفت سلالة ملوكهم بسلالة القطر البحري (أمراء الخليج) ، وقد لعب أحد ملوكهم المسّمى « مردوخ بلادان » (Marduk) (Apal-Iddina) وهو من سلالة بابل العاشرة ، دورا في المعارك التي خاضهـا مع الآشوريين ، ففي بداية عهد سرجون الثاني (٧٢٢ — ٧٠٥ ق٠م٠) استولى على بابل ونصب نفسه ملكاً عليها وحكم فيها أكثر من عشر سنوات بين سنة

(٩٤) أشارت التوراة الى أن أحد ملوك أرام النهرين المدعو « كوشان بن رشعتايم هاجم بني اسرائيل في عهد القضاة حـوالي (١١٢٥ — ١٠٢٥ ق٠م٠) واستعبدهم ثماني سنوات (قض ٣ : ٨) ٠



التصوير رقم ٢٩
آثار سور حصن السمال الارامي في شمال غربي سورية

٧٢١ ــ ٧١١ (انظر التصوير رقم ٣٠) • وكانت آخر سلالة من سلالات بابل السلالة البابلية الحادية عشرة أي سلالة الكلدانيين التي اشتهر فيها نبوخذنصر الثاني (٦٠٥ ــ ٥٦٢ ق•م•) ، وهو الذي سبى بني يهوذا من فلسطين الى بابل وقضى نهائياً على مملكة يهوذا •

وكان قد انتشر الاراميون في العراق وشكلوا شبه ممالك مستقلة عن مملكة بابل ، ومن أهم هذه الدويلات مملكة « زوحي » الارامية التي أسّسها الاراميون الذين استوطنوا على شواطيء نهر الفرات ما بين عانة ومصب نهر بليخ ، وقد ضمّت هذه المملكة مدنا عديدة :أهمها « عانات » (عانة) وخاريدي ورحوبوت (الرحبة) وشورا واشتهر من ملوكها « حاباني » • وكان «حاباني» قدعرض خضوعه للاشوريين الاأنه شق عليهم عصا الطاعة ، فجهز آشورناصربال الثاني (٨٨٤ ــ ٨٥٩ ق•م•) حملة قوية عليه واحتل بلاده ودمّر معظم مدنه تدميرا كاملا ، ثم بنى قلعتين على الفرات وجعل فيهما حاميتين آشوريتين الواحدة على الضفة اليمنى والثانية على الضفة اليسرى • وهناك مملكة « كمبولو » القوية الواقعة على شاطيء دجلة الشرقي والتي ضمّت أربع مدن

محصّنة ، تمكن سرجون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق٠م٠) من الاستيلاء عليها وجعلها مقاطعة آشورية وذلك في أثناء غزوه للقبائل الكلدانية والارامية التي ساندت « مردوخ بلادان » البابلي ٠ واشتهرت كذلك مملكة « فقودو » التي



التصوير رقم ٣٠
نصب حجرى لعلامة الحدود يشاهد فيه مردوخ بلودان ملك بابل (٧٢١ ـ ٧١١ ق٠م٠) وهو يمنح بعض الاراضي الى احد كبار اعوانه ، وقد نقشت فوق تاجه المخروط كتابة تحمل اسم « مردوخ بلودان » ملك بابل ٠

امتدت في السهل ، شرقي دجلة قريبا من مصبه وبجوار مملكة « كمبولو » ، وقد ورد اسمها مرتين في العهد القديم (ارميا ٥٠ : ١ ٢وحزقيال ٢٣ : ٢٣) ٠ وفي منطقة وادي ديالى الاسفل استوطنت قبيلة « ايتوع » الارامية وانتشر

أبناؤها حتى سواحل الزاب الصغير شهر عليهم الاشوريون حملة عنيفة وأقصوهم عن بلادهم وأبعدوهم في أقصى الجنوب وفرضوا عليهم الطاعة والضرائب (انظر مقال المطران غريغوريوس صليبا ، « الاراميون في العراق »، المنشور في مجلة التراث الشعبي عددا آذار ونيسان ١٩٧١ ، ص ٨٥ ــ ٩١) .

وكانت قد جرت عدة مصادمات بين الأراميين ومملكة اسرائيل(٩٥) فتشير التوراة الى أن الملك داود (١٠٠٠ ــ ٩٦٠ ق.م.) أخضع ملك صوبا المدعو «هدد عزر بن رحوب» حين ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات وأخذ من «باطح» و « وبيروثاي » مدينتي « هدد عزر » نحاساً كثيراً جداً(٩٦) . كما ضرب أرام دمشق وجعل فيها محافظين(٩٧) ، وقدّم ملك حماة « توعي يورام » فروض الطاعة الى الملك داود بتقديمه هدايا ثمينة من الفضة والذهب(٩٨) . وفي عهد سليمان تمرد أحد أتباع « هدد عزر » ملك صوبا يدعى «رزون» كان قد هرب من عند سيده وأصبح رئيس غزاة فاستولى على دمشق وحكمها طوال مدة حكم سليمان(٩٩) وفي عهد سليمان أيضا استقلت دويلة « بيت عديني » وغيرها من الدويلات الأرامية البعيدة . الا أن سليمان تغلب ، حسب رواية التوراة ، على مملكة صوبا حيث بقيت خاضعة له(١٠٠) .

وبعد موت سليمان وانقسام اسرائيل الى مملكتين ، اسرائيل ويهوذا ، صفا الجو للأراميين فاستعادت الأقطار الأرامية التي سيطر عليها الموسويون في عهد داود وسليمان استقلالها ، وتوغل الأراميون في أرض اسرائيل في عهد ملكهم حزائيل ملك دمشق . وهكذا أصبح الأراميون مسيطرين على أكثر أقطار منطقة الشرق الاوسط ، ففي العراق استولت القبائل الأرامية الكلدانية على جميع المنطقة الممتدة من بابل الى الخليج جنوباً ، وفي سورية امتدت

---

(٩٥) لقد أطلقت التوراة تسمية « بني اسرائيل » على أتباع موسى النبي الا ان القرائن تدل على أن بني اسرائيل لا يمتون بأية صلة بحملة النبي موسى على فلسطين . وقد شرحنا ذلك في الفصلين الثالث والخامس .

(٩٦) ٢ صم ٨ : ٣ ، ٨ ، ١٢ ؛ ١ اخ ١٨ : ٣ ــ ٨ .

(٩٧) ٢ صم ٨ : ٦ .

(٩٨) ٢ ٨ : ٩ ــ ١٠ ؛ ١ أخ ١٨ : ٩ ــ ١٠ .

(٩٩) ١ مل ١١ : ٢٣ ــ ٢٥ .

(١٠٠) ٢ أخ ٨ : ٣ ــ ٤ .

الدويلات الأرامية في جميع أنحاء سورية ومركزها الرئيس دمشق مما جعل بلاد آشور مطوقة من أكثر أطرافها بدويلات أرامية • ومع كل ذلك فقد كان الكيان الأرامي السياسي معرضاً للخطر بسبب نقطة الضعف في جهـــازه ، وهي أن الأراميين لم يسعوا الى انشاء دولة كبيرة موحدة قوية تحت حكم واحد ، ففي شدة الخطر كانت تجرى اتحادات وقتية بين الدويلات الأرامية ولكن هـذه الاتحادات لم تكن من القوة بحيث تستطيع أن تؤلف سيطرة عامة موحدة • وقد كانت هذه الدويلات تتنازع فيما بينها بين الحين والآخر ، لذلك فبعـد انتعاش دولة آشور من جديد واستعادة قوتها أصبحت الممالك الأرامية مهددة بالغزو الآشوري • فقد استغل االاشوريون النزاعات بين الأراميين واسرائيـل التي استمرت قرناً كاملاً تقريباً للانقضاض على الممالك الأرامية المتباعـــدة والمنتشرة في الشرق والغرب والجنوب الواحدة بعد الأخرى ، ففي عهد آشور ناصربال الذي حكم آشور بين سنة ٨٨٤ ــ ٨٥٩ ق•م• هاجم هذا العاهـل مملكة « بيت بخياني » في « جوزان » في الشمال فاستسلمت اليه ، ثم ضـم شيلمنصر الثالث سنة ٨٥٦ ق•م• مملكة «بيت عديني» في الجنوب الى الممتلكات الآشورية • وفي سنة ٨٥٣ ق•م• خاض حرباً أخرى مع الأراميين الذين ألفوا اتحادا مع بقية الممالك الأرامية وفينيقيا واسرائيل ودويلة عربية ، ومع أن هذه المعركة التي وقعت في « القرقار » على نهر العاصي في سورية لم تكن حاسمة ، الا أن الأراميين قاسوا هم وحلفاؤهم خراباً جسيماً في النفوس والمعدات • ثم وجه شيلمنصر همه بعد ذلك الى بابل فقهرها في حملتين قام بهما في سنتي ٨٥٢ و٨٥١ ق•م• وفي عام ٨٤٩ق•م قام بحملة ثانية ضد ملك حماة وقاتل ملك دمشق وحلفاءه الذين قاموا بحرب ثانية • ثم عاد شيلمنصر للنزال في سنة ٨٤٢ ق•م• فحارب حزائيل ملك دمشق منفردا فخرّب الجيش الآشوري الاقليم كله وتمكن بعد ذلك أن يضم المناطق التي كانت تحتلها قبائل الفرات الأوسط • واخـيراً كانت الضربة الاخيرة على الممالك الأرامية على يد تجلات بلاسر الثالث وعلى يد سرجون الثاني ، فالأول احتل دمشق سنة ٧٣٢ ق•م• والثاني قضى على حماة آخر معقل من معاقل الأراميين سنة ٧٢٠ وبذلك قضي على الحكم الأرامي في سورية نهائياً • ولكن النشاط السياسي للأراميين لم يمت فقد استمر مـدة أطول في الجنوب حيث القبائل الكلدانية التي أخذت تقاوم النفوذ الاشوري

٩٤

حتى تمكنت أخيراً من الاستيلاء على السلطة وتأسيس الدولة الكلدانية عندما اعلن القائد الكلداني « نبوبولاسر » استقلاله في بابل ونصب نفسه ملكا عليها سنة ٦٢٥ ق٠م ٠

ويقول الاستاذ دايرنجر في كتابه « الأبجدية » (ص ٢٥٤) بعد اشارته الى ادوار الضعف التي انتابت الارامين « إن فقدان الارامين الحرية السياسية لم يكن معناه نهاية التاريخ الأرامي ، بل كان هذا الضعف الذي أصاب الحكومة فاتحة التفوق في الثقافة الارامية ومسائل الاقتصاد الذي عم آسيا الغربيـــة ، وأصبحت اللغة الأرامية هي اللغة الدولية في ذلك العهد ، وأصبحت على عهد الدولة الاخمينية إحدى اللغات الرسمية في الانبراطورية ، ولسانا عاما يتكلم به التجار من مصر الى آسيا الصغرى الى الهند ٠ وبلغ من قوة اللغة الحيوية أنها شاعت في الاستعمال بعد ألف سنة من زوال الدولة الارامية ، وعاشت اللهجات التي تفرعت عليها قروناً أخرى في بعض القرى النائية ٠ »(١٠١)

(١٠١) انظر المراجع الآتية فى موضوع أرم والأراميين :

R.D. Barnett, "Arameans," Enc. Brit., 1965, vol II, pp. 207-208; L. Delaporte, "Epigraphes Arameens," 1912; D. Diringer, "The Alphabet," 1948, Chap. IV, pp. 253-294; P. Hitti, "History of Syria," 1951, pp. 162-175; E.G.H. Kraeling, "Aram and Israel, 1918; D.D. Luckenbill, "Ancient Records of Assyria and Babylonia," 2 vols, 1927; Mallowan and Rose, "Excavations in the Balikh," 1946, Iraq, VIII, 1946; S. Moscati, "Ancient Semitic Civilizations," 1957, Chap. 7, pp. 167-180; R.T. O'Callghan, Aram Nahraim," 1948; H. Oppenheim, "Tell Halaf," 1933; A. Sanda, "Die Aramaer," Der Alte Orient, IV part 3, 1902; S. Schiffer, "Die Aramaer," 1911; A. D. Sommer, "Sur les débuts de l'histoire Araméennes," 1953; A.D. Sommer, "Les Araméens, 1949; M. E. Unger, "Israel and the Arameans of Damascus (A Study in Archaeological Illumination of Bible History)," London, 1957; Rosenthal, "Die aramaistische..."; A. Cowley, "Aramaic Papyri ..."; S. Frankel, "Die aramaischen..."

انظر أيضا المراجع الآتية بالعربية :

رفائيـــل بابو اســحق ، « الأرميون » ، سومر ٣ (١٩٤٧) ، ج ٢ ، ص ٣١٨ ـ ٣٣٠ ؛ ١٩ (١٩٦٣ ، ص ٩٦ ـ ١٥٤ ؛ القس يعقوب اوجين منـا الكلداني « دليل الراغبين فى لغة الارميين » الموصل ، ١٩٠٠ ؛ المطـران غريغوريوس صليبا ، « الاراميون فى العراق » ، مجلة التراث الشعبي ، آذار ونيسان ١٩٧١ ، ص ٨٥ ـ ٩١ ٠

ز ـ خلاصـة

وصفوة القول ان الاقوام الثلاثة ـ الكنعانيين والعموريين والاراميين ـ وكلهم من أصل واحد ، وهو الأصل العربي السامي ، ساهموا مجتمعاً في نشر الحضاره السامية في الشرق الأدنى في مختلف حقولها : الزراعة ، الصناعة ، التجارة ، الملاحة ، الثقافة على اختلاف فروعها وتشعباتها • وكانت لغات هذه الأقوام الثلاثة لغة واحدة في الأصل هي اللغة السامية الأم التي يعتقد أنها كانت أقرب الى لغة بدو الجزيرة العربية الحالية ، ثم تفرعت منها لهجات الاقـوام المختلفـة في بيئاتهم الجديدة دون أن تفقـد الصلـة بينها • وقد أطلـق عليها الباحثـون كما تقـدم ذكره اسـم لغات الاقـوام السامية الغربيـة الشمالية تمييزا لهـا عن اللغـات الساميـة التي تمثلهـا اللغـة الاكديـة وفرعاها البابلي والآشوري في العراق وعن اللغات العربية الجنوبية • وقـد بقيت آثار اللغة الأرامية حتى هذا اليوم في بعض القرى والجبال حيث خالطتها اللغة العامية الدارجة المعروفة بـ « السورث » يتكلم بها الآن بعض السكان في في شمال العراق وسورية وبلاد العجم ، والى وقت قريب كـان اليهـود القاطنون في زاخو يتكلمون بالأرامية • أما اللغة الأرامية الفصحى فقد اقتصرت على لغة طقوسية لخمس طوائف شرقية • ومن القرى السورية التي ما زال سكانها يتكلمون بلهجة « السورث » : « صيدناوا » و « معلولا » و « جب عبدين » ، وهذه تقع على بعد ٢٩ و ٥٦ و ٦٠ كيلومترا من دمشق عـلى التوالي •

* * *

٥ ـ هجرة الأكديين الى وادي الرافدين وتأسيس أول انبراطورية سامية

وفي الوقت الذي كانت تقوم الهجرات الى فلسطين وسورية كانت هناك هجرة من أهم الهجرات اتجهت نحو الفرات في العراق عرفت بهجرة الأكديين • وهذه تعتبر أقدم هجرة من هجرات الساميين العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية الى ضفاف الفرات ، فاستقروا في بداية الأمر على ضفة نهر الفـرات اليمنى في البقعة الممتدة بين عانه وهيت وهي أقرب موئل خصيب من موطنهم الصحراوي في بادية الشام • وقد مارس هؤلاء النازحون الى هذه المنطقة حرفة الزراعة التي تعتمد على الري ، وذلك بشق قنوات من نهر الفرات من مسافات

بعيدة في مقدم النهر وجر المياه اليها سيحاً الى مستعمراتهم الجديدة ، لان كمية الأمطار التي تسقط في هذه المنطقة شتاءً لا تكفي لانضاج زروعهم الشتوية ، وانقطاعها صيفاً يحول دون زراعة المحاصيل الصيفية بدون إرواء اصطناعي ، وهكذا دفعت الحاجة هؤلاء المهاجرين الى أن يتقنوا أساليب الري وانشاء جداول تأخذ من نهر الفرات وتمتد الى مسافات بعيدة حتى يصلوا بها سيحاً الى الأراضي الزراعية ، كما حملتهم على أن يتعلموا كيف يخزنون مياه الفيضان ضمن سدود ويوزعونها في قنوات لارواء أراضيهم ، وقد مارسوا الزراعة بخبرة ومهارة • وكانت أهم زراعتهم الحنطة والشعير وكان لديهم الكثير من البقر والضأن والمعزى والحمير والخنازير • الا ان هبوط مستوى النهر في تلك المنطقة في وقت لاحق حرمهم من المياه السيحية التي كانت تروي بساتينهم ومزارعهم فاضطر قسم منهم الى مغادرة ديارهم والتوجه جنوبا ، في حين ان القسم الآخر من السكان اخذوا يستعينون بالنواعير في رفع المياه الى حقولهم الزراعية مستخدمين القوى المائية المولدة من الشلالات التي أحدثها هبوط قعر النهر في تدوير هذه النواعير الضخمة ، وهذه لا تزال تستعمل حتى يومنا هذا في منطقة عانة وراوه كما كانت عليه في تلك الأزمان السحيقة • أما الجماعات التي نزحت جنوباً فقد استقرت على ضفتي مجرى الفرات القديم غربي وجنوب غربي منطقة بغداد الحالية وامتدت مزارعها حتى مدينة « كيش » الكائنة على بعد١٥ كيلومترا شرقي مدينة بابل، ومن مدنها المهمة عدا كيش : «أكد» و«سيبار» و «كوثا» و «أوبيس» و «أكشاك» ، ولم تكن هذه الجماعات عندما أسست مستوطناتها على ضفتي نهر الفرات في هذه البقعة الخصيبة ليخطر ببالها أن قومها سيصبحون بناة أقدم وأعظم انبراطورية في تاريخ الحضارة الانسانية ، أي الانبراطورية الأكدية السامية التي أسّسها سرجون في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد والتي سمّيت بالاكدية نسبة الى عاصمته « أكد » التي أقامها ، وقد دام حكمها زهاء قرن ونصف قرن من سنة ٢٣٧١ الى سنة ٢٢٣٠ قبل الميلاد وكان انهيارها على يد القبائل الگوتية الجبلية التي انحدرت من جبال زاغروس فأحتلت بابل وقضت على الحكم الاكدي في البلاد •

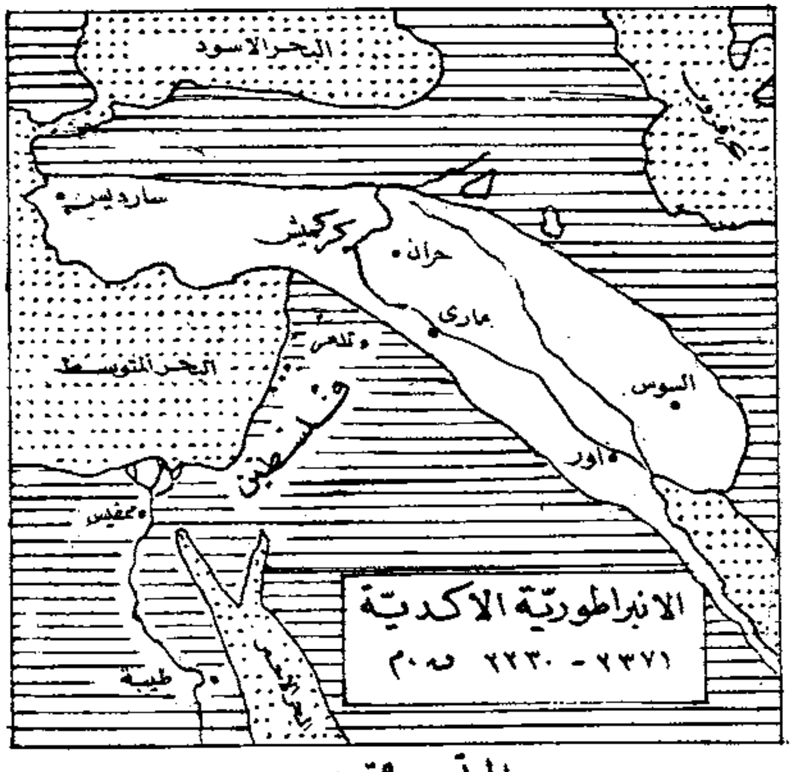
وقد شملت الانبراطورية الأكدية معظم الهلال الخصيب وعيلام وقسماً من آسيا الصغرى الى ساحل البحر المتوسط • فضمت بلاد آشور وما حولها



التصوير رقم ٣١

سرجون الكبير مؤسس الانبراطورية الاكدية السامية (٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق.م.) (ان هناك من يرى من الباحثين ان هذه الصورة تعود الى « نرام سين » حفيد سرجون) .

شمالا وبلاد الگوتيين (قبائل زاغروس شمال العراق وشرقيه) وامتدت حتى ضمت قسماً من اسيا الصغرى حتى ساحل البحر المتوسط ويروى عن سرجون أنه وصل الى جزيرة كريت • أما من الشرق فقد ضمت بلاد العيلاميين وهـو القطر المعروف اليوم بعربستان وخوزستان ومن ضمنه مدينة السوس عاصمة



المرتسم رقم ٥

العيلاميين • وقد أسّس سرجون اسطولا في الخليج العربي بعد استيلائه على الدويلات السومرية في جنوبي العراق فمخر البحر المعروف اليوم ببحر عمان وبحر العرب ليضم جزائرهما الى مملكته وهنا غسل يديه في مياه البحر كحاكم على أكد وسومر • وكان ابرز ملوك هذه المملكة بعد سرجون ابنه الملك نرام‌سين (٢٢٩١ ــ ٢٢٥٥ ق•م•) الذي لقب نفسه « ملك الاقاليم الاربعة ــ ملـك العالم » •

وقد أصبحت اللغة الأكدية بعد استتباب السلطة الأكدية الحاكمة اللغة الرسمية في جميع العراق وفي أكثر الأقطار التي خضعت للحكم الأكدي . واللغة الأكدية ومعها البابلية والآشورية من اللغات السامية الشرقية تمييزاً لها عن اللغات السامية الغربية الشمالية (أي اللغات السامية في سورية) . وقد استمرت الاكدية لغة التخاطب في العهد البابلي القديم والعهد الاشوري والعهد البابلي الأخير حتى أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، ثم زاحمتها اللغة الأرامية(١٠٢) حتى أزالتها من التداول. وقد اقتبس الاكديون الخط المسماري الذي كان شائعاً استعماله في العراق كما استعاروا عبارات جمة من اللغة السومرية بعد اختلاطهم بالسومريين .

ومما يذكر أن الأكديين الساميين كانوا أول من ابتدع نظام الانبراطورية وذلك في تعيين الحكام في الاصقاع يحكمون فيها باسم الدولة الأكدية ، وقد سبقوا الأمم الى ذلك فهم مُنْشئو نظام الحكم الدولي المعروف المتبع الى اليوم في العالمين . كما كان الأكديون قد شاركوا في توطيد أركان الحضارة القائمة على الزراعة المرتكزة على الري الدائم (Perennial Irrigation) في العراق ، وهي حضارة سامية عربية أسّسها الساميون العرب النازحون من الجزيرة العربية الى ضفاف الفرات ، وقد سمّاها بعض الباحثين « الحضارة الاروائية » أو « الحضارية النهرية » ويعد الباحثون بلاد ما بين النهرين الوطن الاول لنظام الري الدائم هذا(١٠٣) .

٦ ـ هجرة القبائل العربية الى مصر

وقد أكد عدد من مشاهير علماء الآثار أن الهجرات من جزيرة العرب لم تقتصر على سورية وفلسطين ولبنان والعراق بل تعدّتها الى مصر أيضاً ، حيث يعتقد بان جماعات نزحت من جزيرة العرب الى وادي النيل واستقرت فيه في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد ، فجاءت هذه الجماعات الى مصر من برزخ السويس أو من طريق جنوب الجزيرة عبر مضيق باب المندب ، جاءت ومعها حضارة أرقى مما كان في مصر ، فجاءت بحسب رأيهم بفن التحنيط وبالكتابة

(١٠٢) انظر ما تقدم عن الأراميين .

(١٠٣) انظر كتاب « الري والحضارة في وادي الرافدين » للدكتور احمد سوسة .

الهيروغليفية[١٠٤] ، كما أدخلت معها معرفة المعادن وبخاصة النحاس ، وأدخلت كذلك الديانة الوثنية العربية وفنونها ونظمها الاجتماعية والسياسية[١٠٥] ، كما يؤكد هؤلاء أن الساميين عمّموا في مصر لغتهم وصبغوها بصبغتهم كما هو ظاهر من النقوش المصرية القديمة وان لغتهم حافظت على هذه الصبغة بالرغم مما طرأ عليها مع مرور الزمن من تغيير وتبديل باختلاط السكان[١٠٦] • ويروي الاستاذ طه باقر ان الباحثين في أصول أقوام الشرق الادنى يرون بأن هجرة مهمة من الساميين ذهبت الى مصر في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد واختلطت بالسكان الاصليين فنتج منها ومن السكان الاصليين الحاميين ، المصريون كما نعرفهم في التاريخ[١٠٧] • ويقول جرجي زيدان[١٠٨] عن الاستاذ كينغ[١٠٩] : « إن الساميين نزحوا الى مصر من عهد قديم جداً ، ويؤخذ من الاكتشافات الاثاريه الأخيرة أن العصر الحديدي بمصر يبدأ بدخول الساميين اليها ، أي أن المصريين قبل دخول الساميين لم يكونوا يعرفون الآلات الحديدية فاتاهم الساميون بالحدادة في أقدم أزمنة التاريخ المصري ولعلهم حملوا اليهم ذلك من وادي الفرات عن تمدن سومري الأصل اكتسبه الساميون بالمجاورة قبل فتح بابل وحملوه الى مصر • ومما يستدلون به على قدم نزوح الساميين الى مصر أن أقدم آلهة المصريين (فتاح) سامي الأصل » •

« ولقد قال المؤرخ ماسبرو إن لعروق المصريين الاقدمين والعرب

---

(١٠٤) الدكتور محمد عزة دروزة « تاريخ الجنس العربي » ج ١ ، ص ٢٦ •

(١٠٥) المرجع السابق ج ٢ ، ص ١١ •

(١٠٦) انظر : « تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي » لبريستد و « الحضارة المصرية » لغوستاف لوبون ، و « تاريخ المدنية المصرية » لغوستاف جيكي ، و « تاريخ السودان القديم » للدكتور كمال حسن ، و « نبذة عن الاصول السامية » لبارتون ، و « تاريخ العرب » للدكتور فيليب حتي ، و « تاريخ الجنس العربي » للدكتور محمد عزة دروزة ، ج ١ و ٢ •

(١٠٧) طه باقر « مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة » ج ٢ ، ص ١٣ ؛ ج ١ ، ص ١١٦ ؛ سومر : م ٥ (١٩٤٩) ، ج ٢ ، ص ١٣٢ •

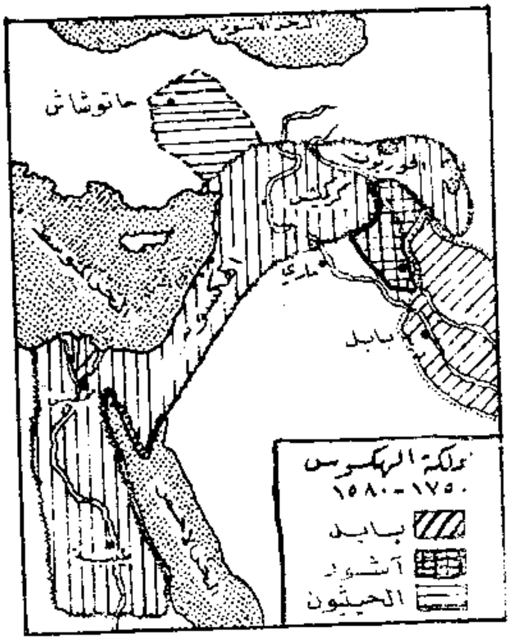
(١٠٨) جرجي زيدان « العرب قبل الاسلام » ج ١ ، ص ٥٢ •

(١٠٩) L.W. King, "Egypt and Western Asia in the light of recent Discoveries," London, 1907.

والفينيقيين والكنعانيين روابط تشد بعضها الى بعض وليس المصريون سوى ساميين انفصلوا عن مهد الساميين قبل غيرهم • »(١١٠)

أ - حكم الهكسوس في مصر

والرأي الغالب أن الساميين كانوا قد نزحوا من جزيرة العرب الى شبه جزيرة سيناء واستقروا هناك منذ أقدم أزمنة التاريخ،وكان المصريون يسمّونهم « منيوساتي » « أي رعاة آسيا » وصارت هذه القبائل تعرف لدى اليونانيين في وقت لاحق باسم « الهكسوس » ، أي ملوك الرعاة ، فغزت هذه القبائل من هناك سورية وفلسطين وأسست فيهما دولة شملت ثقافتها القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد ، والتحق بجمعهم المكوّن معظمه من العموريين والكنعانيين أقوام نزحوا من براري آسيا الوسطى واوروبا على شكل موجات الى جهات الشرق الأدنى • ومن أهم مراكزهم الرئيسة فيسورية وفي فلسطين مدينة « قطنا » التي يرجح أنها كانت عاصمتهم وتعرف خرائبها اليوم باسم



المرتسم رقم ٦

(١١٠) الدكتور محمد عزة دروزة ، « تاريخ الجنس العربي » ج ٢ ، ص ١٠ .

« المشرفية » في شمال شرقي حمص ، وبلدة « شكيم » وتعرف الآن باسم « البلاطة » بالقرب من نابلس ، وبلدة « لخيش » (تل الدوير حالياً) و « شاروهين » و « أريحا » ؛ واشتهرت مواضع الهكسوس في سورية في شكل بنائها الخاص بهم ، وهو على هيأة حصون محاطة بخنادق المياه . وكان حكم الهكسوس قائماً على النظام الاقطاعي ففرضوه على البلاد التي وقعت تحت قبضتهم . وقد اغتنم هؤلاء الهكسوس فرصة الضعف والانحلال اللذين كانا يسوْدان مصر حينذاك بسبب النزاع الداخلي بين مصر العليا ومصر السفلى، فغزوا مصر واستولوا على مصر السفلى ولا سيما الدلتا وثبتوا سلطانهم فيها حيث ابتنوا عاصمة لهم هناك . واستمر الهكسوس يحكمون مصر السفلى زهاء القرنين بين سنة ١٧٨٥ وسنة ١٥٨٠ ق.م.[١١١] وكان المصريون يسمّون الهكسوس « شاسو » أي البدو وعرفت دولتهم بدولة البدو ، وكان العرب يسمّونهم العمالقة أو العرب البائدة (انظر المرتسم رقم ٦) .

ب ـ حضارة الهكسوس وثقافتهم

وقد اقتبس الهكسوس الحضارة المصرية أثناء حكمهم في مصر وأصبح ملوكهم فراعنة مثل ملوك مصر ، وقد أدخلوا الى مصر استعمال الخيل والعربات الحربية التي تجرها الخيول مما ساعدهم على الفتح واحداث الرعب والفزع بالمصريين الذين لم يشاهدوها من قبل ، ويدل ذلك على صلة الهكسوس بالاقوام الهندية الاوربية التي جاءت منها موجات الى أجزاء الشرق الادنى فأدخلت معها الخيول الى تلك الاجزاء[١١٢] . وقد أدخل الهكسوس الى مصر

(١١١) ذهب البعض الى أن قبائل الهكسوس حكمت في مصر حوالي خمسمائة عام بين القرن الثالث والعشرين والقرن الثامن عشر قبل الميلاد الا أن الرأي المذكور أعلاه هو الأصح في رأي أكثرية الباحثين .

(١١٢) يفيد الباحثون أن موطن الخيول الاصلي هو امريكا حيث كانت وحشية كباقي الحيوانات الوحشية وقد وجدت طريقها من امريكا الى آسية منذ العصور الحجرية القديمة وذلك عندما كانت أمريكا وآسيا تشكلان قارة واحدة ثم انتقلت الى أرض فلسطين في حالتها الوحشية في العصر الميسوليثي (٢٠٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ ق.م.) ، وقد دجنت منذ عهد قديم في مكان ما شرقي بحر قزوين من قبل القبائل الهندو أوروپية الرحل ، وقد أدخلت الى سورية في عهد الهكسوس ومنها انتقلت الى مصر ثم الى الجزيرة العربية =

أيضاً السيف المقوس المصنوع من الحديد والقوس المركب ، وهو القوس الذي ظهر لأول مرة في العراق في عهد السلالة الأكدية ، كما أدخلوا تحسينات مهمة في فن التعدين • وترجع الى عهد الهكسوس طائفة من التآليف العلمية التي كانت نسخاً عن أصول أقدم ، ولكنها دونت في هذا العهد ، كما أن جزءاً مهماً من المعرفة بالرياضيات المصرية مستمد من نصوصٍ هيرو غليفية من عصر الهكسوس •

ومما يذكر أن أثنين من ملوك الهكسوس كانا يحملان اسم « يعقوب ـ ايل » ويعقوب ـ بعل ، جرياً على العادة المتبعة بالحاق اسم الاله باسم الملك من قبيل التبرك ، وقد وردت كلمة « يعقوب ـ ايل » أيضاً بصيغة اسم لمكان في الكتابات المصرية(١١٣) ، مما يدل على أن يعقوب كان اسماً شائعاً بين القبائل السامية ، كما أن اسم الاله « ايل » الذي ورد ذكره في التوراة كان معروفاً عند الساميين العرب قبل عهد موسى وقد ورد ذكره بين آلهة الأراميين في كتابات مدينة سمأل الأرامية •

ج ـ اسرة سامية عربية مهاجرة الى وادي النيل على نقش مصري قديم

ومما يدل على أن هجرة الساميين العرب من الجزيرة العربية الى وادي النيل ترجع الى زمن قديم أن المصريين قد سجّلوا في نقش عثر عليه في منطقة بني حسن على نهر النيل الواقعة على بعد حوالي مائتي ميل جنوب القاهرة

= حيث كان لها أضمن حماية للحفاظ على سلالتها الاصلية دون الاختلاط بدم الخيول الاخرى ، لذا فان جميع انساب الخيول العربية الممتازة فى العالم ترجع الى البادية العربية • وأهل الجزيرة العربية مازالوا حتى يومنا هذا يعنون عناية خاصة بالخيول الاصيلة ويحافظون على سلالتها العربية الا أن ايقاف الغزو القبائلي وانتشار وسائل النقل الالية بعد الحرب العالمية الاولى أثرت على منتوج الخيل الاصيلة فى البادية ، فهبط عددها هبوطا كبيرا بدرجة ان عاف معظم أفراد القبائل الرحل تربيتها لما يكلفهم ذلك من نفقات وجهود بلا عوض يذكر ، فبقيت تربية الخيل بأيدي القبائل العربية المستوطنة على ضفاف الرافدين والمحترفة الزراعة لتوفر اسباب تربيتها لديهم ولدوام حاجتهم اليها ولو بنطاق ضيق (انظر كتاب الدكتور حتي « سورية » الطبعة الانكليزية ، ص ٥٢) •

(١١٣) Olmstead, "Palestine," p. 106.

صورة ملوّنة جميلة لأسرة سامية عربية مهاجرة من جزيرة العرب أو فلسطين الى وادي النيل ، ويرجح الدكتور (حتي) انها عمورية من جنوب فلسطين ، وقد نقش هذا التصوير الذي يرجع الى زمن الفرعون « سيزوستريس الثاني » حوالي ١٩٠٠ قبل الميلاد على جدران مقبرة الحاكم المصري « خنوم هوتيب » • ويمثل المنظر رئيس قبيلة عربية (كنعانية أو عمورية) يسمّى « أبيشاي » وأفراد عائلته وأتباعه جاؤا نازحين من شمال جزيرة العرب الى مصر • وقد ورد ذكر شخص باسم « أبيشاي » أيضا في التوراة بصفته أخ أحد قواد الملك داود (١ صم ٢٦ : ٦ — ٧ ؛ ٢ صم ٢١ : ١٧ ؛ ٢٣ : ١٨) يرجع الى حوالي سنة ١٠٠٠ ق•م• ويشاهد في النقش موظفان مصريان يتقدمان الموكب ليقدما الجماعة الى الحاكم المصري « خنوم هوتيب » ، وقد ورد في الكتابة الهيروغليفية التصويرية التي يحملها أحد الموظفين المصريين بيده ما يشير الى أن هذه الجماعة من « سكان الرمال » وقد جاءت الى مصر وهي مؤلفة من ٣٦ شخصاً من نساء وأطفال ورجال يرأسها الشخص المسمّى « أبيشاي » وقد جاؤا بهدايا معهم الى الحاكم منها كمية من مادة (الكحل) التي تصبغ بها أهداب العين الى زوجته ، وقد سمّي (الكحل) « ستيبيم » •

وتتألف ألبسة هذه الجماعة كما تشاهد في النقش بألوانها الأصلية من أردية صوفية عليها زخارف ذات ألوان زاهية وهي تنزل الى الركبة بالنسبة للرجال والى الكوارع بالنسبة للنساء وألبسة الجميع معلقة من فوق كتف واحد بحيث يكون الكتف الثاني عارياً • والرجال ملتحون وقد رتبوا لحاهم على الطريقة التي يتبعها البدو في ترتيب لحاهم في الوقت الحاضر أي مستدقة الرأس ملتمة عند الحنك • أما شعر رأس النساء فمدلى على الأكتاف وعلى الصدر وقد ربط بشريط أبيض على دائرة الجبهة • وقد لبس الرجال نعالاً من الجلد بينما لبست النساء أحذية قصيرة • وتشاهد قرب الماء وقد وضعت داخل أوعية موشاة بزخارف ملونة • أما أسلحتهم كما نشاهدها على النقش فهي الأقواس والنبال والرماح كما يشاهد أحدهم يعزف على قيثار ذي ثمانية أوتار[١١٤] (انظر التصوير رقم ٣٢) •

---

(١١٤) W. Keller, "The Bible as History," pp. 84-87; P. Hitti, "History of Syria," pp. 76-77.



التصوير رقم ٣٢

اسرة سامية عربيـــة مهاجـــرة الى وادى النيـــل على نقش مصرى قـديم يرجع الى ما قبل حوالى اربعة آلاف سنة

د ـ طرد الهكسوس من مصر

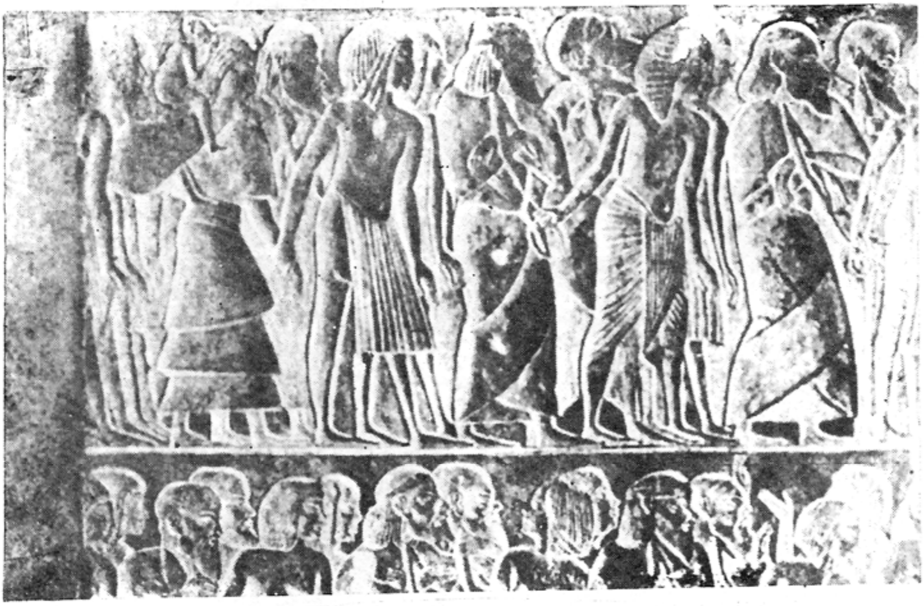
ولما كان أمراء مصر العليا قد بقوا محافظين على استقلالهم بعد احتلال الهكسوس لمصر السفلى فقد صاروا يتحينون الفرص للقضاء على الهكسوس وطردهم من مصر ، وبعد حروب دامت زهاء نصف قرن من الزمن تمَّ طردهم نهائياً من مصر على يد القائد المصري الشهير « أحموســـه » وهو مؤسس السلالة الثامنة عشرة ، وبها ابتدأ عهد جديـد في تاريخ مصـر هـو عهـد الانبراطورية الذي دام زهاء خمسة قرون (١٥٨٠ ـ ١٠٨٥ ق٠م٠) ٠ ولم يكتف ملوك هذه السلالة بطرد الهكسوس من مصر بـل لاحقوهـم الـى فلسطين وسورية وحاربوهم هناك في مقرهم القديم الذي غزوا منـه مصر ، فاستطاع أحد ملوك هذه السلالة أن يقضي على كيان الهكسوس في بـلاد الشام في معركة كبرى وقعت في « مجدّو » (١٤٧٩ ق٠م٠) ، فثبّت بذلك النفوذ المصري هناك وأسّست الانبراطورية المصرية التي شملت ســورية وفلســـطين ٠

* * *

٧ ـ العموريون العمالقـة يؤسسون الانبراطورية البابليـة القديمـة (ثاني انبراطورية سامية)

قلنا فيما تقدم إن العموريين العمالقة انتشروا في بداية هجرتهم مـــن جزيرة العرب في أواسط سورية وفي لبنان حتى امتدوا غرباً الى فلســـطين وأسّسوا هناك عدة دويلات ، أهمها دولة « عمورو » التي اتخذت بـلدة « ماري » على نهر الفرات عاصمة لها ، الاّ أن أكثر دويلاتهم ومن ضمنهـا عاصمتهم « ماري » ضمت الى انبراطورية سرجون الأكدية في القرن الرابـع والعشرين قبل الميلاد ، ولكنهم عادوا فأسّسوا بعد سقوط الانبراطوريـة الأكدية عدة دويلات في وادي الرافدين حتى تمكنوا في أوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد من تأسيس مملكة موحّدة حكمت أكثر أقطار الشرق الاوسط ، وعرفت مملكتهم بالمملكة البابلية القديمة كما عرفت سلالة ملوكها بسلالة بابل الأولى ٠ وتنتمي هذه السلالة الى الموجة السامية الثانية (هجرة العموريين العمالقة) وقد جاءت قبائلها من أعالي نهر الخابور (خابور الفرات) وانحدرت الى الجنوب مع مجرى الفرات حتى استقرت في منطقة بابل ٠ وكان أول ملوك

هذه السلالة الملك « سموابوم » حكم ١٣ سنة من سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٨١ ق٠م٠ وقد أتخذ بابل عاصمة له ، وكانت بابل حينذاك بلدة صغيرة لم تشتهر بعد ، كان يقطنها بعض الساميين الغربيين وبقايا الأكديين الذين كانت عاصمتهم « أكد » قريبة من منطقة بابل ، فصارت بعد ذلك ذات شأن عظيم في تاريخ البلاد حتى أن اسم بابل أطلق على القسم الوسطي والجنوبي من العراق ٠



التصوير رقم ٣٣

أسرى من فلسطين وسورية جيء بهم الى مصر على أثر الفتوحات المصرية فى الشرق فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ٠

وقد بلغ عدد ملوك هذه السلالة أحد عشر ملكاً حكموا جميعاً زهاء ثلاثة قرون بين سنة ١٨٩٤ وسنة ١٥٩٥ قبل الميلاد اشتهر من بينهم الملك حمورابي الشهير ، وهو الملك السادس لهذه الدولة حكم ٤٢ سنة بين ١٧٩٢ وسنة ١٧٥٠ قبل الميلاد ، وأعظم ما خلد مجده وأطار شهرته شريعته العظيمة ٠

وقد شن حمورابي في بداية حكمه حرباً على بلاد سومر الجنوبية فضمها الى مملكته وأسرع في إخضاع دويلات ما بين النهرين المهمة مبتدئاً بدولة آشور في الشمال فاستولى على مدينة آشور ثم ألحق بمملكته مملكة ماري

وتقدم شمالاً على الفرات وافتتح المدن القريبة في بلاد الشام وسواحلها وهكذا ضم حمورابي الى حكمه قسما كبيرا من بلاد الشرق الاوسط وأسّس الانبراطورية البابلية القديمة الواسعة • ولم تقتصر شهرة حمورابي



التصوير رقم ٣٤
الملك حمورابى صاحب الشريعة البابلية الشهيرة واشهر ملوك الانبراطورية البابلية القديمة (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق•م•) •

على أعماله الحربية بل امتدت الى الاصلاحات التي قام بها والى نشره الحضارة البابلية وثقافتها في البلاد التي فتحها ، وعنى عناية شديدة بادارة

المملكة وضبطها وتهذيبها ، وقام بمشاريع عديدة بخاصة مشاريع الري فنشر الرخاء في البلاد • كما عني عناية خاصة بالشؤون الدينية والعدل •

وبعد وفاة حمورابي خلفه ابنه « شمسوايلونا » (١٧٤٩ ــ ١٧١٢ ق•م•) الذي اشتهر بحفر القنوات والترع ، ثم تولى الحكم بعده أربعة ملوك جهدوا في المحافظة على الانبراطورية ولكنهم لم يستطيعوا أن يحولوا دون تأسيس امارة جديدة مستقلة على شواطىء الخليج العربي وهي سلالة الامراء التـــي



المرسم رقم ٧

عرفت بسلالة القطر البحري التي ظهر منها الكلدانيون ، مؤسسو الانبراطورية الكلدانية في أواخر القرن السابع قبل الميلاد • وقد تمكن ملوك هذه السلالة من بسط سيطرتهم على سواحل الخليج العربي وأكثر المدن الســـومرية والأكدية في جنوب العراق بعد أن كاد الجنس السومري يتلاشى في الجنس

السامي (الاكدي والعموري) . ثم أخذت الدولة البابلية تسير نحو الاضمحلال والزوال ، ففي زمن الملك الحادي عشر « شمسو ديتانا » (١٦٢٥ ــ ١٥٩٥ ق.م.) هجم الحيثيون الجبليون من بلادهم في آسية الصغرى على بلاد بابل فاستباحوا مدينة بابل ونهبوها وخربوها ثم قفلوا راجعين الى مستوطناتهم في جبال طوروس محملين بالغنائم والكنوز ، وكان ذلك عام ١٥٩٥ ق.م.[١١٥] وفي أعقاب تراجع الحيثيين زحف الكاشيون وهم جبليون أيضاً من جبال زاغروس بقيادة زعيمهم « كنداش » مستغلين ضعف البلاد البابلية وخلوها من ملك قاهر وجيش مدافع فنزلوا أواسط العراق وجنوبه واحتلوا مدينة بابل حيث أسّسوا سلالة كاشية ورثت جميع ممتلكات الدولة البابلية القديمة في العراق[١١٦] .

* * *

٨ ــ الآشوريون يؤسسون الانبراطورية الآشورية (ثالث انبراطورية ــ سامية)

عرضنا فيما تقدم صورة عامة لأقدم الأقوام السامية التي نزحت من جزيرة العرب الى الهلال الخصيب وهم الكنعانيون والعموريون والأراميون والأكديون والهكسوس ، وهؤلاء كلهم كانوا قد اتجهوا نحو سورية ولبنان وفلسطين والعراق ومصر ، وكان الفرات هدف الذين اتجهوا الى سورية والعراق.. أما ناحية نهر دجلة فكان أول من قصدها من القبائل السامية جماعات عبرت نهر الفرات فتوغلت في منطقة ما بين النهرين ، ثم استقرت في حوالي أواخر الألف الرابعة أو أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد في المنطقة الشمالية من العراق في البقعة الممتدة على طول ضفة نهر دجلة اليمنى بين الموصل والشرقاط ، وكانت هذه المنطقة تعرف باسم « شوبارتو » ، فأسّست هذه الجماعات مدينة هناك صارت تعرف فيما بعد بمدينة « آشور » نسبة الى الاله « آشور » إله القوم الذين سكنوا هذه الديار ، كما صارت الجماعات التي استقرت في هذه المنطقة تسمّى بالآشوريين ، وأخيراً

---

(١١٥) انظر ما يلي عن هجرة الحيثيين .

(١١٦) انظر :
H.G. Guterbock, "Babylonia and Assyria," Enc. Brit., 1965, Vol. II, pp. 951-979.

صارت المنطقة بأسرها تعرف باسم « آشور » • وأطلال مدينة « آشور » هذه تقع اليوم على الجانب الأيسن من نهر دجلة على بعد حوالي تسعة كيلو مترات من جنوب مدينة الشرقاط وتسمّى « قلعة الشرقاط » • وفي هذه البقعة أقام هؤلاء النازحون إمارة صغيرة مؤلفة من مدينة آشور وأرباضها على نسق دويلات المدن الأكدية في جنوب العراق ، وكانوا على اتصال مستمر بهذه المدن التي أخذوا عنها صناعتي النقش والعمارة والكتابة وأسباب المعيشة التي توافرت فيها حينذاك وكانت معظم زراعتهم على الأمطار• وكان الآشوريون يتكلمون فيما بينهم بلغة سامية قريبة من اللغة التي كان يتكلمها الأكديون في منطقة أكد الجنوبية وكتبوا بالخط المسماري لغتهم الآشورية • (انظر ما تقدم عن هجرة الأكديين) •

وبالنظر لموقع بلاد آشور الذي يجعلها معرضة للهجمات من جميع أطرافها فليس غريباً ان كانت هذه الدولة الجديدة قد بنت قواعدها على أساس حربي ، حيث علمت الحرب المستدامة أهل آشور كيف يحمون حدودهم ويتحينون الفرص للاستقلال في مدنهم عن حكم الدول التي كانت فتوحاتها تخترق أراضيهم بين حين وآخر • فقد كان لدولة آشور جنود غير نظاميين ، ثم حل محلهم جيش منظم ، وهو القوة الرئيسة للدولة الآشورية، وتطورت هذه الدولة الى تنظيم ثابت محكم لم تؤثر فيه المنافسات والمنازعات التي كانت سائدة بين الدويلات حتى صار في استطاعة مملكة آشور أن توجّه جميع قواها الموحدة للقضاء على أعدائها الخارجيين • وساعد الآشوريين على ذلك أنهم كانوا قد بدأوا باستعمال الخيل والعجلات في جيشهم ، وفي النهاية أصبحوا أعظم قوة حربية رآها العالم القديم • وكانت التجارة رائجة من بلادهم واليها ، فكانت قوافل تجارتهم تمتد الى آسيا الصغرى • وقد توثقت صلاتهم بالشعوب الأخرى المجاورة ، فازدادوا قوة وثراءً • ولما كانت الحقبة التي عاشتها بلاد آشور طويلة تخللتها عدة تقلبات أساسية ، فقد رأى علماء الآثار تقسيم تاريخ بلاد آشور الى ثلاثة عهود رئيسة ، هي : ١ ــ العهد الآشوري القديم • ٢ ــ العهد الآشوري الوسيط • ٣ ــ العهد الآشوري الحديث ، وفيما يلي نبذة عن كل منها :

أ ــ العهد الآشوري القديم (٤٠٠٠/٣٠٠٠؟ ــ ١٥٩٥ ق٠م٠)

يبدأ هذا العهد بتأسيس مدينة آشور في حوالي أواخر الألف الرابعة أو أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد وينتهي في نهاية حكم مملكة بابل القديمة سنة ١٥٩٥ ق٠م٠(١١٧) ، لم يكن للآشوريين كيان سياسي ثابت في هذا العهد لاسيما خلال الألف الثالثة قبل الميلاد • ففي عهد المملكة الاكدية خضع الاشوريون للحكم الاكدي(١١٨) ، ثم استقل بعض أمرائهم وفي أوائل العهد البابلي القديم (سلالة بابل الاولى) كوّنوا مملكة مستقلة باسم مملكة آشور الا أن بعد ظهور حمورابي (١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق٠م٠) قضي على استقلالها •

ب ــ العهد الاشوري الوسيط (١٥٩٥ ــ ٩١١ ق٠م٠)

لقد عاني الشعب الآشوري ظروفاً حرجة في هذا الدور ، ولكن على الرغم من تعرضه لهجمات القبائل الأرامية وغزو الشعوب الجبلية كالحوريين والحيثيين(١١٩) ، تغلبوا على الشدائد وخرجوا بعدها أقوياء منتصرين محافظين على كيانهم السياسي • وقد ظهر في هذا الدور عدد من الامراء الآشوريين الأقوياء منهم آشور اوبلط الأول (١٣٦٥ ــ ١٣٣٠ ق٠م٠) الذي قضى على الحوريين وضم مملكتهم (ميتاني) الى الدولة الاشورية • وقد توسعت المملكة الآشورية في عهد اداد نيراري الأول (١٣٠٠ ق٠م٠) حتى الفرات وشمالا حتى كركميش (جرابلس الحالية) • وفي زمن شيلمنصر الأول (١٢٧٦ ــ ١٢٤٥ ق٠م٠) اتسع نفوذ الدولة الاشورية شرقاً في المنطقة الجبلية فضلاً عن امتداده الى الغرب والجنوب • ثم بعد انتكاس دام زهاء ١٣٠ عاما أعاد الملك تجلاث بلاسر الأول (١١١٥ ــ ١٠٧٧ ق٠م٠) الى المملكة هيبتها وسلطانها وامتدت فتوحاته الى الاقطار الشرقية والشمالية • ثم تولّى بعده ملوك ضعفاء تدهورت أحوال المملكة في أيامهم ، فانتهزت القبائل الارامية هذه الظروف لتوسيع سلطانها باتجاه الشرق فشكلت دويلات أرامية قوية في سورية وفي العراق بلغت ذروة ازدهارها في القرنين الحادي

(١١٧) انظر ما تقدم عن الانبراطورية البابلية القديمة •

(١١٨) انظر ما تقدم عن هجرة الأكديين والانبراطورية الأكدية •

(١١٩) انظر ما يلي عنهم •

عشر والعاشر[120] ، وقد استمر دور الانتكاس هذا في بلاد آشور حتى ظهر ملوك استطاعوا اعادة كيان الدولة وتأسيس جيش قوي كان نواة الجيوش الغازية في العهد الاشوري الحديث على أثر تسلم الملك « أداد نيراري الثاني » الحكم سنة ٩١١ ق٠م٠

ج ـ العهد الاشوري الحديث (٩١١ ـ ٦١٢ ق٠م٠)

يقسم هذا العهد الى دورين : الانبراطورية الأولى ، ثم الثانية تفصل بينهما فترة انتكاس ، وينتهي هذا العهد بسقوط نينوى عاصمة الآشوريين الاخيرة عام ٦١٢ ق٠م٠ وبذلك يكون قد استمر هذا العهد ثلاثة قرون كاملة بلغ عدد الملوك الذين حكموا فيه ١٦ ملكاً دونوا أخبارهم وحملاتهم العسكرية ورحلاتهم وإنجازاتهم الاعمارية ٠ وقد تمكن الآشوريون خلال هذه الفترة من اعادة توسيع مملكتهم فأسسوا انبراطورية سامية عظيمة ، وقد بلغت من القوة العسكرية بحيث سيطرت في ذروة اتساعها على منطقة الشرق الأوسط كلها ومن ضمنها آسيا الصغرى وسواحل ايجة ومصر والخليج العربي وعيلام، هذا عدا فتوحاتهم للمناطق الجبلية في الشرق والشمال حتى بلاد أرمينية ٠

١ ـ الانبراطورية الاشورية الاولى (٩١١ ـ ٨٢٤ ق٠م٠)

تمتد هذه الفترة بين سنة ٩١١ و ٨٢٤ ق٠م٠ حكم فيها أربعة ملوك كان أشهرهم « آشور ناصربال الثاني » وقد حكم من سنة ٨٨٤ الى سنة ٨٥٩ ق٠م٠ فقام بتنظيم الجيش الآشوري وتدريبه مما ساعده على توسيع فتوحاته في المناطق الجبلية الشرقية والشمالية وتوطيد الامن في أطراف المملكة ومستعمراتها ، وقد استولى على اثنتي عشرة دولة صغيرة وعاد من حروبه بمغانم كثيرة ٠ وكان من بين الأقاليم التي أخضعها الموانيء الفينيقية في حوض البحر المتوسط والمدن الأرامية ومنها دمشق ٠

وقد خلف « آشور ناصربال الثاني » في الحكم ابنه « شيلمنصر الثالث » (٨٥٩ ـ ٨٢٤ ق٠م٠) فورث عن أبيه انبراطورية شاسعة برهن على أنه كفء للمحافظة عليها ودعم نفوذه فيها بل واتساعها ، فتمكن من اخضاع

---

(١٢٠) انظر ما تقدم عن هجرة الارامين ٠

الأراميين والفينيقيين واسرائيل للجزية كما قهر بلاد بابل في حملتين قام بهمـا ضدهـا .

وحدث في السنين الأخيرة من حكم شيلمنصر ان ثار عليه أحد أبنائه فعرّض المملكة الآشورية الى فقدان هيبتها في الداخل والخارج ، واستغرقت الثورة أربع سنوات حتى مات شيلمنصر سنة ٨٢٤ ق.م.

٢ ـ فترة انتكاس الانبراطورية الآشورية (٨٢٤ ـ ٧٤٥ ق.م.)

لقد سبّبت الحرب الأهلية تصدعاً في جسم الانبراطورية الآشورية فكانت بداية فترة انتكاس تقلص خلالها النفوذ الاشوري وانسلخت أكثر الأقاليم التابعة عن سلطة الدولة الآشورية . وقد دامت هذه الفترة حوالي ثمانين عاماً ، وقد حكم في هذه الفترة خمسة ملوك انهمكوا في إخماد ثورات الأقاليم حتى تولّى زمام الحكم الملك « تجلاث بلاسر الثالث » فأعاد الى المملكة سلطتها وأنقذها من الدمار ، فكان ذلك نهاية فترة الانتكاس وبداية عهد جديد تكونت فيه أعظم انبراطورية ـ هي الانبراطورية الآشورية الثانية .

٣ ـ الانبراطورية الآشورية الثانية (٧٤٥ ـ ٦١٢ ق.م.)

يبدأ هذا العهد بتسلّم تجلاث بلاسر الثالث زمام الحكم سنة ٧٤٥ ق.م. وقد استمر حكمه ثماني عشرة سنة تمكّن خلالها من استعادة نفوذ المملكة الآشورية بعد فترة الانتكاس . وحكم خلال فترة الانبراطورية الثانية هذه ستة ملوك بضمنهم تجلاث بلاسر بلغت الانبراطورية في عهدهم أوج عظمتها واتساعها خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد بحيث ضمّت جميع أراضي الهلال الخصيب ومن ضمنها مصر ، ولم تكتف بذلك فوسعت نطاق سلطانها وسيطرتها حتى شملت البلاد الجبلية الشمالية والشرقية وما وراءهما . والذي يعنينا هنا من بحث هذه الانبراطورية بوجه خاص الدور الرئيس الذي لعبته في القضاء على مملكة اسرائيل نهائياً وسبي سكانها اليهود الى أماكن بعيدة .

ومن الحملات التي شنها تجلاث بلاسر حملته على مملكة أرام فاستولى

على عاصمتها دمشق سنة ٧٣٢ ق٠م٠ وسبى أهلها وقتل ملكها رصين ثم توجه الى اسرائيل فاستولى على كل أرض اسرائيل وسبى اليهود الى آشور تاركا لهم مدينة السامرة ٠

وفي عهد شيلمنصر الخامس ، خلف تجلاث بلاسر ، جرّد هذا الملك حملة على اسرائيل أيضا فحوصرت عاصمتها السامرة ثلاث سنوات وفي نهاية عـام



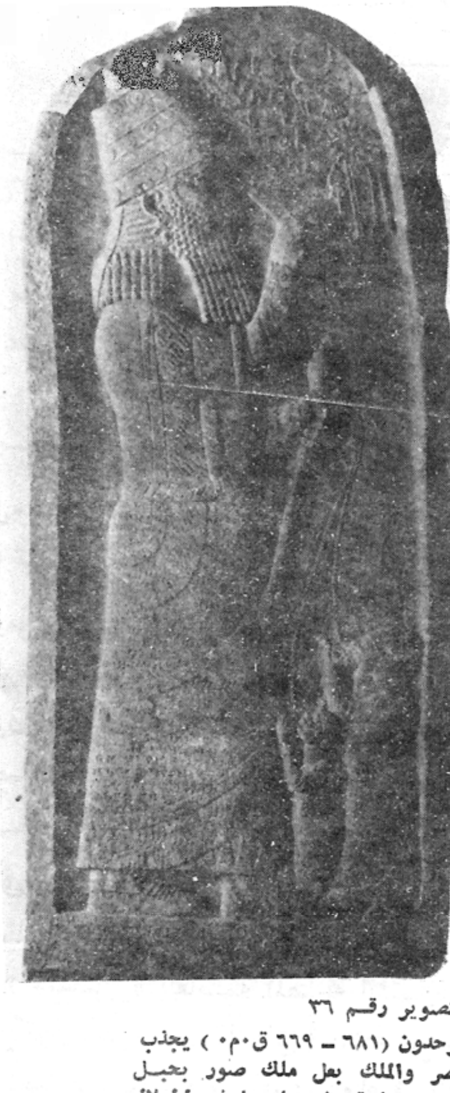
التصوير رقم ٣٥
سرجون الثاني ملك آشور (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق٠م٠) هو ووزيره ـ من آثار خرساباد

٧٢٢ ق٠م٠ تم احتلال المدينة على عهد سرجون الثاني خلف شـــيلمنصر ، وبذلك تم القضاء على مملكة اسرائيل نهائياً ٠

ومن أهم حملات سنحاريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق٠م٠) ، خَلَف سرجون الثاني ، حملته على مملكة يهوذا التي بقيتْ بعد قضـاء شـيلمنصر الخامس وسرجون على اسرائيل تنتظر دورها ، وعلى الرغم من اسـناد مصر ليهوذا انتصر سنحاريب على قواتهما واحتل مدن يهوذا وحاصر أورشليم ولم يفـك الحصار عنها الاّ بعد تسلّمه الجزية من ملك يهوذا ٠

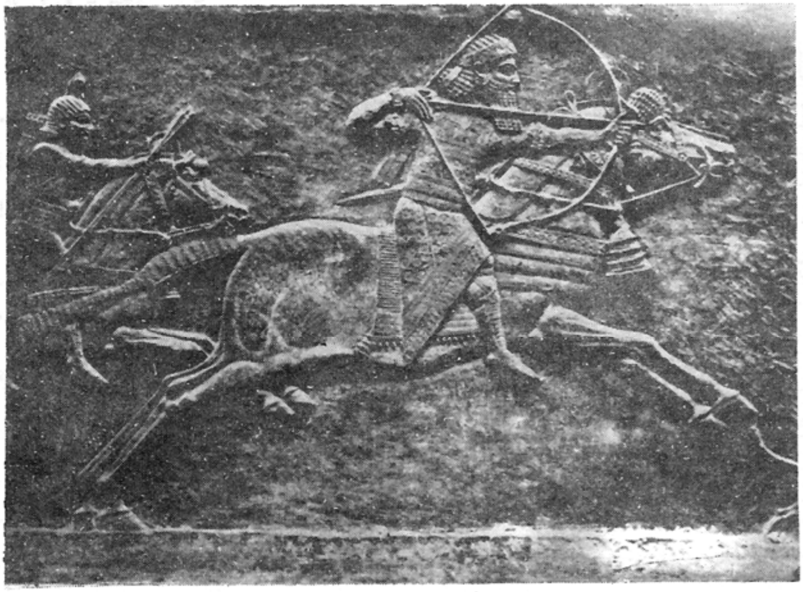
وفي عهد أسرحدون بن سنحاريب (٦٨١ ـ ٦٦٩ ق٠م٠) جهز هـذا الملك حملتين على مصر وتمكن في الثانية من الاستيلاء على الدلتا المصرية ومن ضمنها « ممفيس » العاصمة المصرية الشهيرة وعلى أكثر مدن مصر العليا ٠ وبذلك يكون أسرحدون قد فاق أسلافه من ملوك آشور شهرة بسبب غزوه لمصر وانتصاره عليها ، وهي أقوى دولة في الشـرق القديم نازعت نفـوذ الآشوريين في سورية وفي فلسطين طيلة مدة الحكم الآشوري ٠ ولما ثار ترهاقه

ملك مصر جهّز آشور بانيبال خَلَف أسرحدون (٦٦٩ ــ ٦٢٦ ق٠م٠) جيشاً قوياً وحارب ترهاقه وتمكن من فتح ممفيس من جديد ولحق به حتى مصر العليا واستولى على طيبه العاصمة الجنوبيـــة لمصر وبذلك خضعت مصر جميعهـا للحكم الآشوري (انظر المرتسم رقم ٨) ٠



التصوير رقم ٣٦

الملك اســرحدون (٦٨١ ــ ٦٦٩ ق٠م٠) يجذب الملك ترهاقة ملك مصر والملك بعل ملك صور بحبـل نفذ من خلال شفتيهما (مسلـة عثر عليهـا فى أطـلال سمأل (زنجرلى) ٠



التصوير رقم ٣٧
منظر لصيد الاسود يشاهد فيه آشور بانيبال وهو يصوب القوس على ظهر جواده

د ـ نهاية الدولة الآشورية

ثم حدث بعد وفاة آشور بانيبال منازعات على العرش أوهنت جهاز الحكم الآشوري فانفصلت المقاطعات البعيدة كمصر والمدن الساحلية في فلسطين وسورية وبلاد أرمينية عن المملكة الآشورية ، وكذلك انتهزت بابل الفرصة وانفصلت عنها واستقلت بزعامة الأمير الكلداني « نبوبولاسر » حيث أسّست سلالة جديدة مستقلة عرفت بالسلالة البابلية الأخيرة أو المملكة الكلدانية . وقد استطاع « نبوبولاسر » بالتضامن مع ملك الماذيين « كي اخسار » دحر القوات الآشورية . وعلى الرغم من المقاومة العنيفة سقطت « نينوى » عاصمة الآشوريين عام ٦١٢ ق . م . فنهبت ودمرت ومات آخر ملوكها وسط النيران في قصره ، وبسقوط نينوى وموت آخر ملوكها كانت نهاية الدولة الآشورية(١٢١) .

---

(١٢١) انظر المراجع الآتية في تاريخ الآشوريين :

H.G. Guterbock, "Babylonia and Assyria," Enc. Brit., 1965. II, pp. 951-979; B. Meissner, "Babylonien und Assyrien, 2 vols., 1920-25; S. Smith, "Early History of Assyria," 1928; Olmstead, "History of Assyria," 1923; F.D. Pallis, "The Antiquity of Iraq, 1956", Cambridge Ancient Hostory."

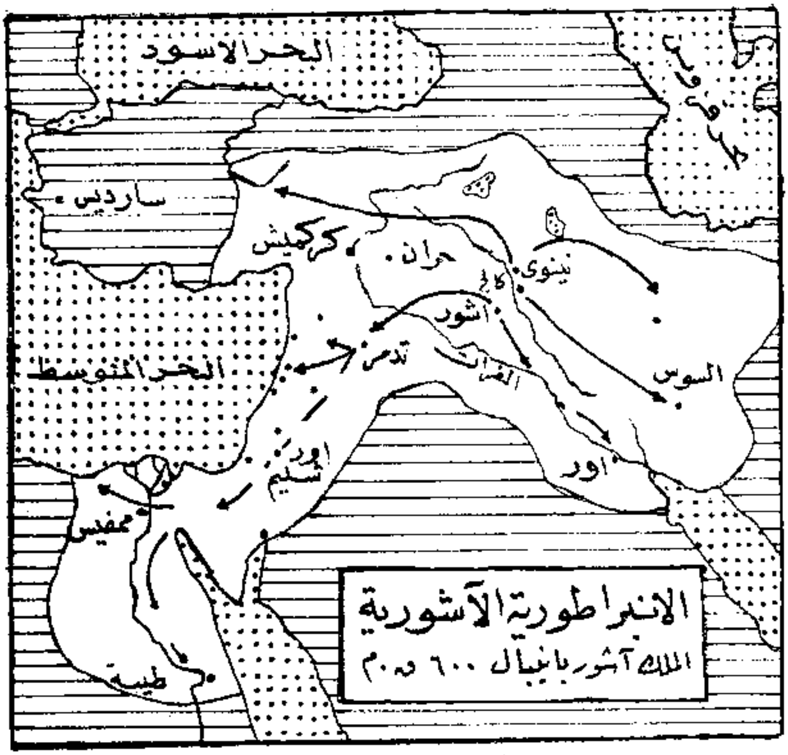
هـ ـ الحضارة الآشورية

ان الدولة الآشورية بنت وجودها على أساس عسكري حربي فحملها ذلك على استخدام الخيل والمركبات الحربية وابداع المنجنيق وأنواعـه • وبحـكم احتكاك الآشوريين بالشعوب والأمم المتحضرة كالحيثيين والميتانيين والعموريين والأراميين والفينيقيين والأرمن تمكنوا من صنع الآلات المعدنية المصنوعة من الصفر (النحاس الأحمر) ، ثم توصلوا الى استعمال الشبه (البرونز) في أثناء الألف الثانية قبل الميلاد بكثرة وبدأوا منذ ذلك التاريخ يصنعون من هذا المزيج المعدني أسلحتهم وأدواتهم ،ثم استعملوا بعد ذلك الحديد في صنع الاسلحة إذ تعلموا صناعته من الحيثيين الذين سبقوهم في اتقان استخلاصه وصناعته حيث كانوا يستخرجونه في الشمال الشرقي من آسيا الصغرى من مناجمه ونشروا استعماله في جميع بلاد الشرق الأدنى منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد • ذلك ما مكنهم في القرون التالية التوسّع نحو الغرب • وقد ساعدتهم فتوحاتهم على توسيع تجارتهم فحذق تجارهم أساليب التجارة وعاش كثيرون من التجار في محلات أنشأوها في عدة أماكن في جنوب شرقي آسية الصغرى •

وقد اشتهر الآشوريون في قدرتهم على استعمال ما يقتبسونه من شعوب أجنبية فيطبعونه بطابعهم الخاص بمنتهى الدقة ، وذلك مما حملهم على الاهتمام بالفنون الجميلة المختلفة والأدب،فاتقنوا فن النحت والتصوير واقتبسوا الكثير من الثقافة البابلية ، وما أدل على اهتمامهم بالناحية الأدبية والثقافية مما تركوه من ميراث حضاري في خزانة الكتب (ألواح الطين) التي انشأها الملك آشور بانيبال ، وقد عثر على زهاء خمسة وعشرين ألف رقيم من رقمها في حفائرهم تبحث في المدن والفنون والآداب والشؤون الاخرى وقد حفظت في المتحفة البريطانية • وصفوة القول إن الآشوريين تركوا لمن خلفهم من أمم جاءت بعدهم تراثاً حضارياً مجيداً على رغم ما كانوا عليه من طبع غليظ وقسوة شديدة في حروبهم(١٢٢) •

* * *

(١٢٢) « انتصار الحضارة » ، تأليف جيمس هنري برستد وترجمة الدكتور أحمد فخري •



المرتسم رقم ٨

٩ - الكلدانيون (الاراميون) يؤسسون الانبراطورية الكلدانية (رابع انبراطورية سامية)

يرجع علماء الآثار وطن الكلدانيين الأصلي الى شواطيء الخليج العربي في جنوب العراق ، حيث أسست هناك منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد أو ربما قبل ذلك سلالة الأمراء التي عرفت عند المؤرخين بسلالة القطر البحري أو « سلالة بابل الثانية » التي كانت بالدرجة الاولى من بقايا السومريين ، وقد تمكن ملوك هذه السلالة من بسط سيطرتهم على سواحل الخليج العربي وأكثر المدن السومرية والأكدية في جنوب العراق بعد أن كاد الجنس السومري يتلاشى في الجنس السامي (الأكدي والبابلي) • والكلدانيون هم من القبائل البدوية السامية وقد اشتق اسمهم من قبيلة « كلدى » ويعدهم المؤرخون

فرعاً من الأراميين نزحوا من سورية الى جنوبي العراق[١٢٣] ، وقد ظهروا لأول مرة في عهد « شمسوايلونا » خليفة حمورابي[١٢٤] ، وكان أول ملوكهم يدعى « أيلوما أيلو » يبدأ حكمه سنة ١٧٤٣ ق٠م٠ ، ولقد مارست سلالتهم سلطة غير ثابتة على أقليم سومر وأكد حوالى قرن ونصف قرن ، ثم صارت تتحدّى سلطة الدولة البابلية القديمة (١٨٩٤ ـ ١٥٩٥ ق٠م٠) ، وقد ظلت متحدية ملوك بابل وآشور مدة ألف عام تلت ذلك العصر ٠

وقد انضم الى القبائل الكلدانية حشود من الأراميين نزحوا من سورية في فترة ضعف الدولة الآشورية ما بين سنة ١٠٧٧ و ٩١١ ق٠م٠ فاسّست منهم دولة في جنوبي العراق في منطقة الخليج عرفت باسم « بيت ياكيني » وصاروا يتحينون الفرص لاحتلال بابل والقضاء على الحكم الآشوري فيها ، فقد جرد أحد ملوكهم المدعو « مردوخ بلادان » حملة على بابل وفتحها وحكم فيها أكثر من عشر سنوات بين سنة ٧٢١ وسنة ٧١١ ق٠م٠ وكان ذلك في بداية حكم سرجون الثاني الا أن سرجون حاربه واستولى على بابل فهرب مردوخ بلادان الى أقصى الجنوب ، ثم جهز سنحاريب خلف سرجون حملة قوية اكتسحت مدن الجنوب حتى أقصى بلاد البحر والخليج وخرّب بابل ودكّ حصونها وفتح مياه الفرات عليها وأغرقها ليزيل معالمها وكان ذلك سنة ٦٨٩ ق٠م٠ وفي سنة ٦٤٨ ق٠م٠ قام آشور بانيبال بحملة تأديبية على بابل وبلاد القطر البحري وأخضع الأمراء المتمردين واتجه نحو عيلام التي كانت تحرضهم على التمرد فأحتل عاصمتها « السوس » وخرّبها ٠ وبعد وفاة آشور بانيبال سنة ٦٢٦ ق٠م٠ انتهز سكان القطر البحري ضعف المملكة الآشورية ، فاستولى الزعيم الكلداني المدعو « نبوبولاسر » على مقاليد الحكم في بابل سنة ٦٢٥ ق٠م٠ وهو يومئذ حاكم بابل ، وتمكن من الانفصال عن الدولة الآشورية فحالف الماذيين وساهم في الحرب التي قوّضت الحكم الآشوري في البلاد سنة ٦١٢ ق٠م٠[١٢٥] وأسّس الدولة البابلية الكلدانية التي دامت ٧٣ سنة بعد

---

(١٢٣) انظر ما تقدم عن هجرة الارامبين الى سورية والعراق ٠

(١٢٤) انظر ما تقدم عن العموريين العمالقة وتأسيسهم الانبراطورية البابلية القديمة ٠

(١٢٥) يقول المرحوم الاب انستاس الكرملي (مجلة لغة العرب ٢ : ٥٧٨) ان مؤسس دولة الكلدان (كلدة) شيخ عربي ينتمي الى القبائل العربية٠وقد =

سقوط نينوى[١٢٦] ، وقد سميت في ثبت الملوك بسلالة بابل الحادية عشرة •

أ ــ دور الدولة الكلدانية في القضاء على مملكة يهوذا

وقد لعبت سلالة بابل المذكورة دوراً مهماً في تاريخ الشرق الأدنى في القرن السادس قبل الميلاد ، فقد استولت على جميع الدويلات في سورية وفي فلسطين وبلغت أوج ازدهارها في عهد نبوخذنصر[١٢٧] (بختنصر) خليفة « نبوبولاسر » و ... • وكان نبوخذنصر هذا أعظم الملوك الكلدانيين قاطبة وقد دام حكمه ثلاثة وأربعين سنة (٦٠٥ ــ ٥٦٢ ق•م•) • والذي يعنينا هنا من حملاته الحربية الحملتان اللتان قام بهما على مملكة يهوذا والقضاء عليها وسبي اليهود الى بلاد بابل • فقد وجّه حملته الأولى سنة ٥٩٧ ق•م• على يهوذا فاستولى على أورشليم وسبى اليهود الى بلاد بابل ومعهم الملك « يهوياكين » وأهل بيته ، وأخذ نبوخذنصر « جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وكسر كل آنية الذهب » هذا هو السبي الأول ، ثم تبعه السبي الثاني سنة ٥٨٦ ق•م• إذ جاء نبوخذنصر هذه المرة بنفسه على رأس حملة قوية واحتل أورشليم فخرّبها وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت الأعيان ، وقد خمن عدد الأسرى الذين سيقوا الى بابل ليلتحقوا باليهود من السبي الأول بحوالي ٥٠٠٠٠ شخص • وبعد وفاة نبوخذنصر سنة ٥٦٢ ق•م• خلفه على عرش بابل ملوك ضعفاء حتى وقعت بابل لقمة سائغة بيد كورش الاخميني ، فسمح كورش بعد احتلاله لبابل لمن يشاء من اليهود بالعودة الى فلسطين فعاد بعضهم وقد آثر آخرون البقاء (انظر المرتسم رقم ٩) •

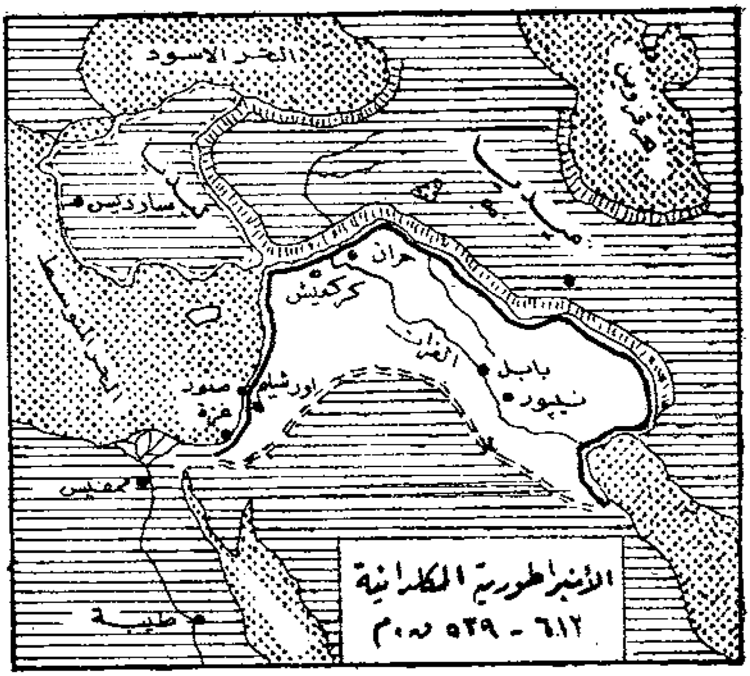
ب ــ حضارة الكلدانيين

أُخذ الكلدانيون الحضارة البابلية القديمة كما فعل غيرهم من الغزاة الساميين الآخرين ، الذين نزحوا الى سهل بابل ، وأضافوا اليها كثيراً من عندهم

= ذهب سترابو الى أن (Gerrha) التي تقع عند العقير كانت في الاصل موضعا للكلدانيين وكانت ذات تجارة مع أهل بابل مزدهرة •

(١٢٦) انظر ما تقدم عن الآشوريين وتأسيسهم الانبراطورية الآشورية •

(١٢٧) يعرف بنبوخذنصر الثاني لأن الاول هو نبوخذنصر الذي ينتمي الى السلالة البابلية الرابعة والذى استعاد استقلال بابل أيام حكم الآشوريين لها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد (١١٢٤ ــ ١١٠٣ ق•م•) •



المرتسم رقم ٩

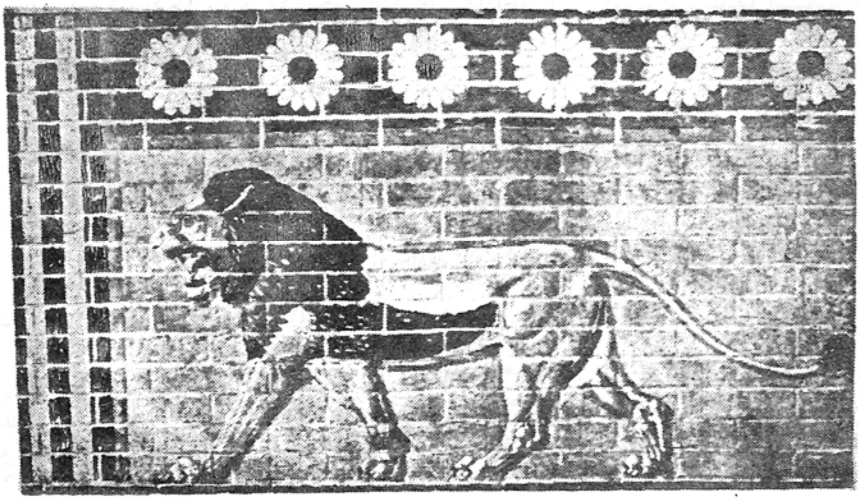
فتحسنت الفنون والصناعات ، وعنوا بالدين والآداب عناية كبيرة ، وقطعوا أشواطاً واسعة في علم الفلك . وظهر في الكلدانيين حكماء متوسعون من فنون المعارف كالمهن التعليمية والعلوم الرياضية والكهنوتية ، فتعلموا كيف يحسبون الخسوف والكسوف . والكلدانيون أول من جزأ الواحد الصحيح الى ستين جزءاً وقسموا اليوم الى ٢٤ ساعة والساعة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية . وممن اشتهر من الفلكيين الكلدانيين « نبوريمانو » و « كيدينو » كان لهما الفضل في وضع أول التقاويم الفلكية في العالم ، ويظن أن فيثاغورس أخذ الجدول المنسوب اليه عنهما .

ومما يذكر من حضارة الكلدانيين براعتهم في فن التطريز حتى لقد كانوا يصورون على المنسيج الصور التي رسموها على جدران قصورهم . وبرغم تقليد الكلدانيين في أشياء كثيرة : فقد فاقوا الأسلاف في فخامة الأبنية وابهة الدولة وأصبحت بابل في عهد نبوخذنصر أعظم مدينة في معمور الأرض ،

وكانت بابل نبوخذنصر هذه هي التي أدهشت أبا التاريخ هيرودوتس اليوناني بعجائبها وفخامتها وضخامتها[١٢٨] .

١٠ ـ هجرة الحوريين الى سورية والعراق وفلسطين

ومن الأحداث التي لعبت دوراً على المسرح السياسي في الشرق الأدنى في فترة ما قبل ظهور فرم موسى هجرة جماعات من الأقوام الهندو ـ أوربية



التصوير رقم ٣٨

نحت بارز من الأجر المطلي بالميناء يمثل احد الاسود التي كانت تزين جدران شارع المواكب والقصر الملكي في بابل ـ من عهد الملك نبوخذنصر

الى الشرق الأدنى انحدروا من المناطق الجبلية الشمالية والشرقية منهم الحوريون والحيثيون . والحوريون أقوام جبليون موطنهم الأصلي «اورارتو» (أرمينية الحالية) أو الاقليم الواقع الى الشمال والشرق من بحيرة وان ، ورد ذكرهم في التوراة باسم الحوريين فذكرت أن بعض أسرهم كانت تسكن في منطقة جبل سعير جنوب شرقي فلسطين ثم طردهم بنوعيسو وسكنوها وصارت تعرف بأرض أدوم وهو نفس عيسو[١٢٩] .

---

(١٢٨) انظر : « دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ » ، ص ١٦٤ ـ ١٧٣ .
D.J. Wiseman "Chronicles of Chaldean Kings," 1956.

(١٢٩) تث ٢ : ١٢ ؛ تك ١٤ : ٦ ؛ ٣٢ : ٣ ؛ ٣٦ : ٨ ، ٢٠ .

وكانت بداية تحرك الحوريين من وطنهم في المنطقة الواقعة بين بحيرة وان وجبال زاكروس نحو بلاد آشور في حوالي القرن الثامن عشر قبل الميـلاد ، فكانت هجرتهم هذه تعاصر هجرة الكاشيين الى العراق وهجرة الهكسوس الى مصر • وقد تمكن الحوريون من قهر بلاد آشور والقضاء على حكـم « شمسي اداد الاول وشمسي داكان الاول » وأسسوا عدداً من الامارات في أجزاء سورية وفلسطين وبعض أجزاء آسيا الصغرى دون أن ينظموا مملكـة موحدة • وقد أدخل الأمراء الحوريون الى المناطق التي استولوا عليها استخدام الخيل والعربات الحربية التي تجرها الخيول •

وقد تسـكن الحوريـون في منتصـف الألف الثانيـة قبـل المـيلاد من تأسيس مركز مهم في شمال سـورية خاصة في اقليم البليـخ والخابـور (خابور الفرات) وأتخذوا هناك بلدة « واشوكاني » عاصمة لهم • وكـان مركزهم الرئيس في العراق في « أرابخا » (كركوك الحاليـة) • وكانت لهـم مدينة مهمة في جوار كركوك تسمّى « نوزي » تقع أطلالها اليوم في تـل « يورغان تپة » على بعد حوالي ثمانية أميال من جنوب شرقي كركوك • ولم يمض وقت طويل حتى تمكنوا من تكوين مملكة قوية عرفت باسم « ميتاني » تمتد من « كركميش » (جرابلس حالياً) على الفرات الى جوار نهر دجلة الأعلى مشتملة على منطقتي البليخ والخابور ومقاطعة نصيبين وفي شرق دجلة تشمل أيضاً اقليم أرابخا المتقدم ذكره • وقد ثبت وجود الحوريين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد في فينيقيه وفي فلسطين •

وبعد تأسيس الانبراطورية المصرية في أعقاب طرد الهكسوس من مصر سنة ١٥٨٠ ق•م• اصطدم الحوريون مع المصريين وذلك عندما لاحق تحوطمس الثالث (١٥٠٤ ــ ١٤٥٠ ق•م•) الهكسوس في سورية للقضاء على مراكزهم فيها ، فنشبت حرب بين الحوريين وجيش تحوطمس سنة ١٤٥٧ ق•م• كان النصر فيها للثاني ، ثم تحسنت العلاقات السياسية بين الحوريين والمصريين في عهد امنحوتب الثالث (١٤١٧ ــ ١٣٧٩ ق•م•) • وفي عهد الملك « امنحوتب الرابع » المدعو « أخناتون » (١٣٧٩ ــ ١٣٦٢ ق•م•) بدأ النفوذ المصري في سورية يتقلص تدريجياً ، فهجم الحيثيون بزعامة ملكهـم « شوبيلوليوما »

وأخضعوهم(١٣٠) ، وفي نفس الوقت اغتنم الملك « أوبلط الاول » ملك آشور (١٣٦٥ – ١٣٣٠ ق•م•) هذه الفرصة فهجم هو الآخر على الميتانيين واسترجع منهم الأراضي الآشورية التي كانوا قد استولوا عليها ، وقد ورد في المدونات الآشورية ان « أدادنيراري الاول » غزا بلاد ميتاني سنة ١٣٠٠ ق•م• وتغلغل في أراضيهم حتى الفرات وخرب عاصمتهم « واشوكاني » ، كما ورد أيضا أن شيلمنصر الاول استولى على ميتاني سنة ١٢٧٦ ق•م• وضمها الى الدولـــة الآشورية (انظر المرتسم رقم ١٠) •

أما لغة الحوريين فهي لغة معقدة ليست سامية ولا هندو اوروبية فيهـا كلمات مستعارة من لغات عدة أقوام كما أنها كانت تكتب بحروف مسمارية متنوعة أكثرها بالحروف المسمارية الاكدية القديمة • وهذه الخصائص جعلت علماء اللغة ان يردوا صلة لغة الحوريين ليس بلغة الارارتو القديمة فقط بـل باللغات الجورجية الحديثة وما يتبعها من اللغات القوقازية(١٣١) •

١١ – هجرة الحيثيين الى شمال سورية

أما الحيثيون فوطنهم الأصلي في بلاد الأناضول ، فكانوا قد استوطنوا منذ الألف الثالثة قبل الميلاد الارض المرتفعة المحاطة بحدود طبيعية وهي التي تفصلها من الجنوب سلسلة جبال طوروس عن ساحل « قليتيه » كما يفصلهـا من الغرب حزام آخر عن الساحل الغربي • ويرجّح الخبراء أن الحيثيين كانوا قد جاؤا الى هذه المنطقة على هيئة موجات متعاقبة من أوروبا الشرقية وعلى الأكثر من البلقان والقوقاز •

وأقدم المعلومات التي وصلت الى أيدي الخبراء عن الحيثيين هي الكتابات التي تركها الآشوريون في المراكز التجارية التي أقاموها في آسيا الصغرى ، وهي ترجع الى القرنين العشرين والتاسع عشر قبل الميلاد • وتدل هذه الكتابات على أن بلاد الحيثيين كانت مقسمة الى دويلات من المدن المستقلة لكل منهـا

---

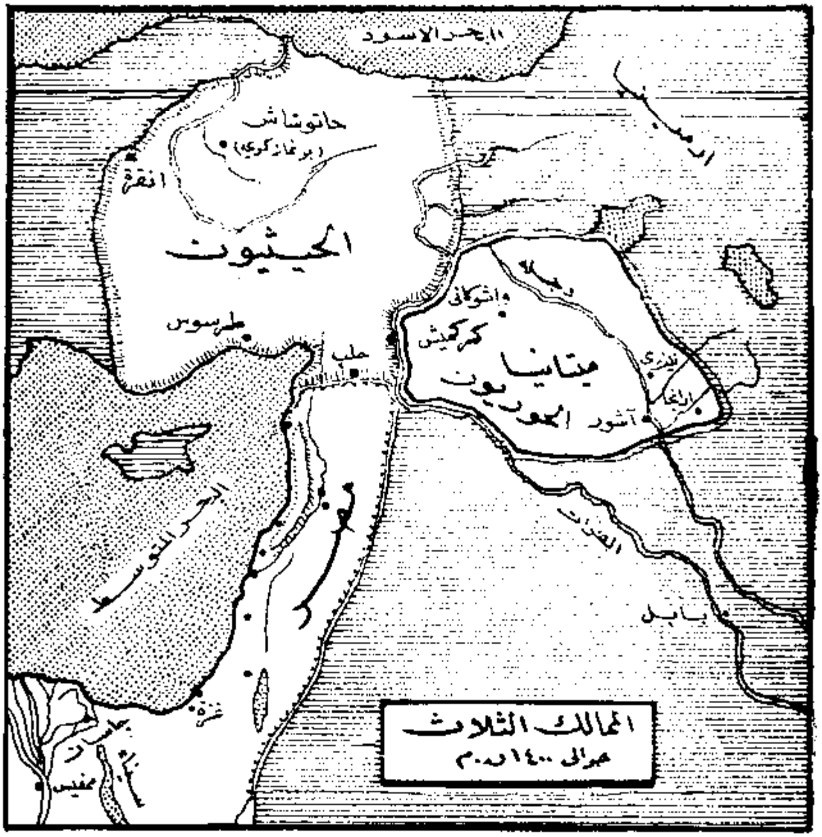
(١٣٠) انظر ما يلي عن هجرة الحيثيين •

(١٣١) انظر :

E.A. Speiser "Introduction to Hurrian," 1941; J. Puhvel, "Hurrians" Enc. Brit., Vol. II, pp. 905-906.

١١٢

ملكها الخاص بها • وكان أقدم ملوكها يسمّون بملوك « كوسارا » ولعلها اسم مركز سلالتهم القديمة • ثم في عهد الملك « لابارنا » الذي كان يدعى بملك كوسارا أيضا نقل هذا الملك العاصمة الى « حاتوشاش » شمالاً ، وهي بلدة « بوغاز كوي » الحالية الواقعة على بعد حوالي تسعين ميلاً من شرقي أنقرا •

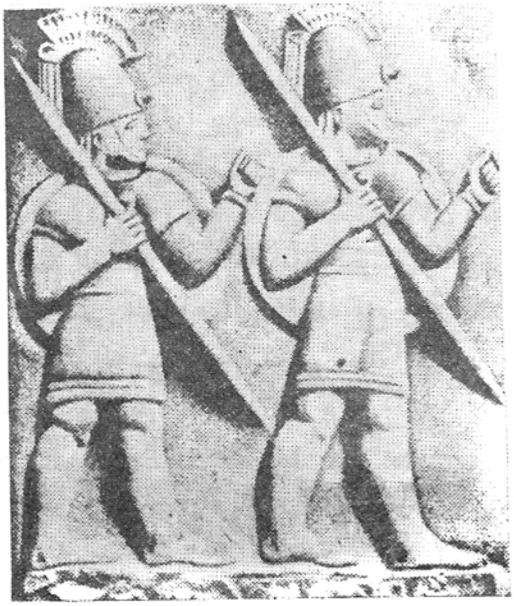


المرتسم رقم ١٠

وهذه التسمية مشتقة من « حاتو » وهو اسم احدى المقاطعات في المنطقة ، ومنها جاءت أيضا تسمية « حيثيين » أي سكان « حاتو » •

وتشير الكتابات التي عثر عليها الى أن « لابارنا » اخترق جبال طوروس جنوباً وفتح شمال سورية فحمل على دويلة « يمخاد » وعاصمتها « حلپا »

(حلب) الا أنه اضطر بسبب نشوب اضطرابات داخلية في عاصمته الى الرجوع اليها ، ويبدو أنه جرح في هذه المعارك ومات على أثر ذلك بعد وصوله الى العاصمة • فخلفه الملك «مورشيليش الاول» وتشير الاخبار الى أن مورشيليش هذا هجم على سورية واحتل مدينة حلب فخربها ودمرها تدميراً كاملاً انتقاماً لـ (لابارنا) • ومن هنا امتد جنوباً فحارب الحوريين(١٣٢) وشق طريقه في أراضيهم حتى وصل الى مدينة « ماري » التي كان قد دمرها « حمورابي » من قبل ، ثم انحدر نحو بابل ففتحها وخرّبها وقفل راجعاً الى « حاتوشاش »



عاصمته محملاً بالغنائم والكنوز • وبذا كانت نهاية حكم الانبراطورية البابلية القديمة وبداية حكم الكاشيين في العراق • وقد اختلف الباحثون في تعيين تاريخ هذه الواقعة وقد حددتها أحدث الدراسات بسنة ١٥٩٠ ق•م•

وقد تمكن الحيثيون بعد تسنم الملك « شوبيلوليوما » العزش في حوالي سنة ١٣٧٥ ق•م• من تدمير مملكة ميتاني ، فعبر هذا الملك نهر الفرات وفتح

---

(١٣٢) انظر ما تقدم عن هجرة الحوريين الى سورية والعراق •

« واشوكاني » عاصمة الحوريين ، ثم واصل زحفه جنوباً حتى وصل الى دمشق وعقد معاهدات مع رؤساء المقاطعات المجاورة اعترفوا بموجبها بسلطان الحيثيين ومنها صعد الى كركميش (جرابلس) فاحتلها بعد حصار قصير الأمد وعيّن احد أبنائه ملكاً على كركميش وابناً آخر ملكاً على حلب . وعلى أثر ذلك حدثت اضطرابات داخلية بين الامراء الميتانيين فاغتنم الآشوريون هذه الفرصة وتحرروا من نير الحوريين واستقلوا ببلادهم ، وبانقراض المملكة الميتانية أصبح نهر الفرات ممثلاً للحدود بين الحيثيين والآشوريين . وقد تمكن الحيثيون من تأسيس مملكة قوية في شمال سورية مركزها « كركميش » وقد امتدت فتوحاتهم غرباً حتى وصلوا الى الساحل الايجي فضموا بلاد الليقيين والميزيين والقليتيين الى مملكتهم (انظر المرتسم رقم ١٠) . وفي غضون ذلك احتدم النزاع بينهم وبين فراعنة مصر الذين كانوا يزاحمونهم على سورية وفلسطين فنشبت بينهما معارك أشهرها حرب قادش وقعت في سنة ١٢٩٩ قبل الميلاد بين الحيثيين ورعمسيس الثاني ١٣٠٤ ـ ١٢٣٧ ق.م. كاد الحيثيون أن ينتصروا فيها ، الا أن رعمسيس تمكن من الصمود بشجاعة امام الحيثيين حتى وصلته امدادات فواصل القتال الى أن انتهى الصراع الى عقد صلح سنة ١٢٦٩ ق.م. بين العاهلين رعمسيس والملك الحيثي « حاتوشيلي ـ الثالث » ، مع التوقيع على ميثاق دفاع مشترك ضد أي غزو خارجي أو ثورة داخلية وقد ثبتت بموجب هذه الاتفاقية الحدود بين ممتلكات الحيثيين وممتلكات مصر عند نهر العاصي . وفي الوقت نفسه عقد فرعون على ابنة الملك الحيثي حاتوشيلي توثيقا للعلاقات الودية بين الطرفين . وقد استمرت هذه العلاقات الحسنة بين الحيثيين والمصريين في خلال حكم الفرعون مرنفتاح بن رعمسيس الثاني ١٢٣٧ ـ ١٢٢٣ ق.م.

وبعد أن دامت الانبراطورية الحيثية حوالي قرنين ونصف قرن أخذ الوهن منذ سنة ١٢٠٠ ق.م. يسري في أنحائها حتى أصبحت عاجزة عن اخضاع الامارات المتمردة فاستقلت الواحدة بعد الاخرى ، وفي الوقت نفسه أخذت تضايقها هجمات الغزاة من أقوام ايجة اليونانية من جهة الغرب وهجمات الآشوريين من جهة الشرق حتى كانت نهايتها على يد سرجون الثاني حيث قضى سنة ٧١٧ ق.م. على آخر ما بقي من أثر لنفوذ الحيثيين في هذه البلاد باخضاعه المنطقة بأسرها الى حكمه .

إن اللغة الحيثية تنتمي الى فرع اللغات الاناضولية في مجموعة اللغات الهندو أوروبية ، وكانت في الاصل كما يرى خبراء اللغة اللغة المحلية في منطقة « حاتي » الشمالية وأصبحت اللغة الرسمية في « حاتيشاش » العاصمة ، مع أن نسبة كبيرة من مفرداتها أصلها غامض وعلى الارجح انها ترجع الى الاصل الاناضولي المحلي مع استعارة كلمات كثيرة من اللغات الهندو اوروبية في المحيط الجديد . وكان الحيثيون يستعملون الحروف المسمارية المعروفة بالمسمارية الاكدية القديمة أخذوها من الحوريين الذين كانوا يستعملونها في أكثر كتاباتهم .

وقد ورد ذكر الحيثيين في التوراة فاعتبرتهم من ذرية كنعان[١٣٣] . وتشير التوراة الى أن الحيثيين كانوا موجودين في فلسطين في زمن ابراهيم الخليل (القرن التاسع عشر قبل الميلاد) فذكرت أن ابراهيم الخليل اشترى من بني حث حقل ومغارة المكفيلة في حبرون[١٣٤] . كما ذكرت أن عيسو اتخذ له زوجات من الحيثيين وان بني اسرائيل (قوم موسى)[١٣٥] تزاوجوا مع الحيثيين[١٣٦] . وكانت لسليمان زوجات من الحيثيين أيضا [١٣٧] . ولما خاطب حزقيال أورشليم قال : « أبوك أموري وأمك حيثية .»[١٣٨]

١٢ ــ هجرة « الفلستينيين » الى فلسطين

وكان آخر من هاجر الى أرض فلسطين « الفلستينيون » ، وهم من الأقوام الايجية « أهل السواحل » كانوا قد احتلوا بعض السواحل السورية

---

(١٣٣) تك ١٠ : ١٥ .

(١٣٤) تك ٢٣ : ٢ ــ ٢٠ .

(٣٥) انظر ما يلي حول بني اسرائيل وقوم موسى واليهود في الفصل الثالث والخامس .

(١٣٦) تك ٢٦ : ٣٤ ؛ قض ٣ : ٥ ــ ٦ .

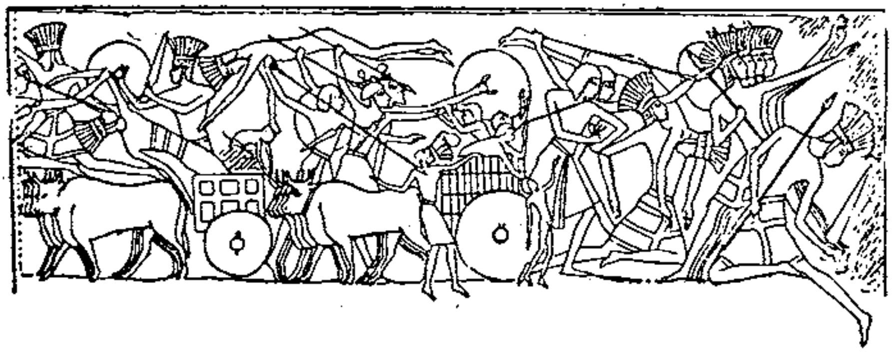
(١٣٧) ١ مل ١١ ، ١ ؛ ٢ صم ١١ : ٣ .

(١٣٨) حز ١٦ : ٣ .

انظر المراجع المختارة التالية :

J. Garstang, "The Hittite Empire," London, 1929; O.R. Gurney "The Hittites," 2nd ed., 1961; Puhvel, "Hittites," Enc. Brit., 1965, Vol. II, pp. 550-560; H. Schmokel, "Geschichte des alten Vorderasien," pp. 119-153 in Handbuch der Orientalistik, Vol. II, part 3 (1954).

العليا في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد ومنها هاجموا مصر في عهد رعمسيس الثالث ، (١١٩٨ ــ ١١٦٦ ق٠م٠) أحد ملوك السلالة العشرين المصرية ، وكان يبدو في باديء الامر صعوبة مقاومتهم لتفوقهم في أساليب القتال ومعداتهم الحربية ، ولكن رعمسيس اتخذ الاحتياطات اللازمة لمجابهتهم فاعد اسطولاً قوياً مع جيش كبير من الوطنيين ومن المأجورين الاجانب ، فتمكن من صدهم في معركة بحرية تشبت بينهما في حوالي سنة ١١٩١ ق٠م٠[١٣٩] ٠



التصوير رقم ٤٠
المعركة التي خاضها المصريون مع الفلستينيين على عهد رعمسيس الثالث (١١٩١ ق٠م٠)

فاتجهوا بعد إخفاقهم في النزوح الى مصر نحو الساحل الفلسطيني الجنوبي في القسم الذي يمتد من غزة جنوباً الى أسفل يافا شمالاً ، ومنهم جاءت تسمية فلسطين التي مازالت مستعملة حتى يومنا هذا للدلالة على أرض فلسطين الحالية ٠وكانت المدن التي أسّسوها في هذا القطاع والتي تمتد من الجنوب الى الشمال خمس ، هي : « غزة » ، «أشقلون » (عسقلان) ، « جتّ » ، «أشدود» ، «عقرون» ٠ وكانت مدن الفلستينيين هذه على الساحل عدا مدينة « جتّ » التي كانت تمتد قليلاً الى الداخل[١٤٠] ٠ وتشير التوراة الى أن الفلستينيين ابادوا العويين سكان هذه القرى وسكنوا مكانهم[١٤١] ٠ ومما

(١٣٩) لقد عين العلامة أولبرايت تاريخ نزوح الفلستينيين الى مصر في سنة ١١٨٨ ق٠م٠ بدلا من سنة ١١٩١ ق٠م٠ التي أخذ بها الباحثون ٠ انظر : Journal of Near Eastern Studies, April 1944, Vol. III, No. 2, p. 78.

(١٤٠) يش ١٣ : ٣ ؛ قض ٣ : ٣ ؛ يش ١٥ : ٤٥ ــ ٤٧ ٠

(١٤١) تث ٢ : ٢٣ ٠

يذكر ان هؤلاء الفلستينيين قد أندمجوا بالكنعانيين والعموريين كلياً بحيث لم يعد امكان تمييزهم عن العناصر الكنعانية والعمورية[١٤٢] • فيقول لودس في كتابه « اسرائيل »[١٤٣] إن الفلستينيين قد (تكنعنوا) على حد قوله بسرعة في حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد في خلال فترة تقل عن ١٥٠ عاما بعد استقرارهم على أرض فلسطين ، وان الاله الرئيس الذي كانوا يعبدونه هو « داجون » ، وقد ورد ذكره في التوراة[١٤٤] ، وهو بلاشك نفس الاله « داجان » إله الغلة الذي كان يعبده الكنعانيون •



التصوير رقم ٤١
نموذج من النقوش الغزفية من صنع الفلستينيين
وقد تميزوا بهذا النمط الفني الخاص بهم •

وكان اتباع موسى في فلسطين عندما نزح الفلستينيون الى سواحل فلسطين الجنوبية ، وكان ذلك في حوالي أواخر عهد يشوع أو فترة ما بعد يشوع مباشرة ، أي قبيل عهد القضاة ، ولكن يشوع لم يستطع التحرش

---

(١٤٢) Hitti, "Syria," pp. 184. 184-185.

(١٤٣) انظر ص ٥٩ ، ١٢٧ ـ ١٢٨ •

(١٤٤) ١ صم ٥ : ٢ ـ ٥ ؛ قض ١٦ : ٢٣ •

بالفلستينيين لانهم كانوا متفوقين على أتباعه في معداتهم الحربية اذ كانـــوا يعتمدون على أسلحة من الحديد الذي أتقنوا تعدينه وصنع الدروع والاسلحة الاخرى منه(١٤٥) . وتذكر التوراة أن بني اسرائيل (قوم موسى)(١٤٦) تمكنوا بعد عهد يشوع من الاستيلاء على غزة وأشقلون وعقرون وتخومها(١٤٧) . ولكن الفلستينيين عادوا فاوقعوا في أواخر عهد القضاة بالاسرائيليين (الموسويين) هزائم شديدة حتى أنهم استولوا على تابوت العهد (١٤٨) ، وخضع الاسرائيليون الى حكمهم أربعين سنة(١٤٩) حتى ظهر شمشون فحارب الفلستينيين(١٥٠) . وفي عهد صموئيل (آخر عهد القضاة) استرجع الموسويون المدن الساحليـــة التي استولى عليها الفلستينيون من « عقرون » الى « جتّ » واستخلـص اسرائيل تخومها من يد الفلستينيين(١٥١) . ثم هاجم الموسويون بقيادة الملك شاؤل الفلستينيين الا أنهم اندحروا أمامهم وقتل الملك شاؤل وأولاده الثلاثـة في المعركة(١٥٢) . ثم تقلد الحكم الملك داود خلفا لشاؤل فاستطاع هذا الملك أن يخضع أكثر المدن الفلستينية الى حكمه(١٥٣) . ويبدو أن الفلستينيين عادوا فاستقلوا في عهد الانقسام بدليل اشارة التوراة الى محاصرة الموسويين لحصن جبثون « الذي يعود للفلستينيين . »(١٥٤) ثم خضع الفلستينيون الى الآشوريين وصاروا يدفعون الجزية لهم في أكثر أدوار العهد الآشوري .

وأقدم ذكر للفلستينيين ورد في النصوص المصرية والآشورية فقد سميت بلادهم باسم « پالاستو » (Palastu) أو « پيليستو » (Pilistu) وهو نفس

---

(١٤٥) ١ صم ١٧ : ٧ .

(١٤٦) انظر ما يلي عن بني اسرائيل وقـوم موسى ويهـود في الفصل الثـالث « تاريخ التوراة » .

(١٤٧) قض ١ : ١٨ .

(١٤٨) ١ صم ٥ : ١ . انظر ما يلي عن تابوت العهد في الفصل الثالث .

(١٤٩) قض ١٣ : ١ ؛ ١٠ : ٧ .

(١٥٠) قض ١٤ ــ ١٦ .

(١٥١) ١ صم ٧ : ١٤ .

(١٥٢) ١ صم ٣١ .

(١٥٣) ٢ صم ٨ : ١ .

(١٥٤) ١ مل ١٥ : ٢٧ ؛ ١٦ : ١٥ .

الاصطلاح اليوناني « فلستيا » (Philistia) الـذي أصبح « پاليستينا » (فلسطين) . وقد حدّد الباحثون موضع وطنهم هذا في « ليقية » في سواحل آسيا الصغرى مع احتمال اتصالهم بجزيرة كريت وقد كثر ذكر الفلستينيين في التوراة لما كان لهم من دور تاريخي مهم في حياة الموسويين في أوائل أيامهم في فلسطين ، حيث كان الفلستينيون يزاحمونهم على أرض فلسطين وبقوا مصدر خطر دائم عليهم في جميع أدوارهم التالية . فقد سمّتهم التوراة « كفتوريين » وذكرت أن وطنهم في جزيرة « كفتور » ، وهو مرتبط مع وطن الكريتيين الذين أهلكهم الرب مع بقية أهل ساحل البحر . كما أشارت الى أن هؤلاء الكفتوريين أبادوا سكان القرى التي احتلوها في جنوب فلسطين وهم العويون كما فعل الأدوميون والعمونيون بالحوريين والرفائيين فاخرجوهم من ديارهم وسكنوا مكانهم[١٥٥] .

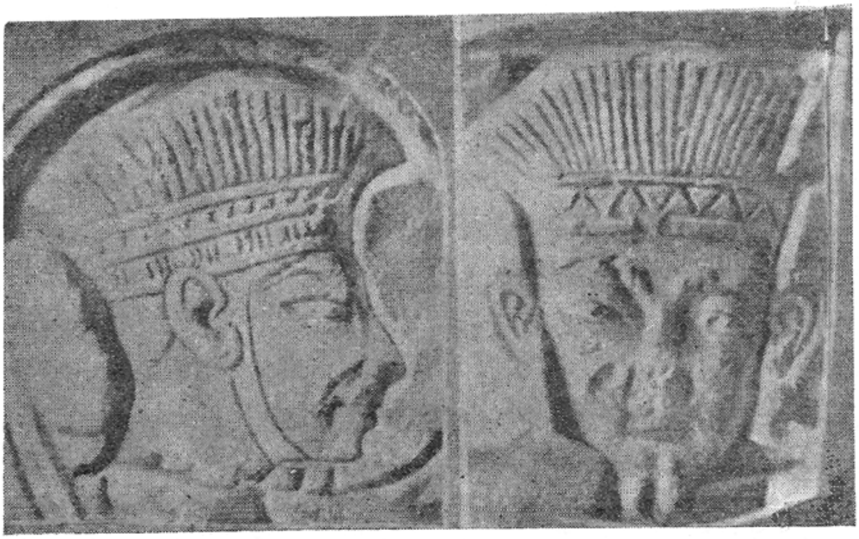
وقد وصلت الى أيدي علماء الآثار معلومات وافية عن الفلستينيين في الكتابات والنقوش التي سجلها رعمسيس الثالث على جدران معبد « آمون » في مدينة « هابو » غربي مدينة « طيبة » . وقد ملأت هذه الكتابات والنقوش آلافاً من الاقدام المربعة كلها منحوتة على الحجر وقد احتوت على سجل كامل لحملات الفراعنة وحروبهم . وقد شغلت تسجيلات رعمسيس الثالث حيّزاً كبيرا من هذه الكتابات والنقوش عن انتصاراته في البر والبحر على حشود الفلستينيين الذين غزوا مصر في عهده . ويستبان من هذه السجلات أن الفلستينيين قد أثاروا الرعب والفزع في صفوف المصريين لقدرتهم وتمرنهم على القتال في البحر والبر ، فيصفهم رعمسيس بقوله : « لم يستطع أي قطر من الأقطار أن يصمد أمام قوتهم القاهرة ... فقد دمروا أرض الحيثيين وكود[١٥٦] وكركميش وقبرص كلها دمّرت بضربة واحدة ... سحقوا شعوبها ودمّروا أراضيها ولم يتركوا لها أثراً حتى أصبحت وكانها لم تكن ... وحملوا على مصر وبسطوا أيديهم على جميع البلاد الى أبعد أطراف العالم وقلوبهم عالية عامرة بالثقة بانفسهم ... ولكن تخطيطنا سينجح .. » ويصف رعمسيس بعد ذلك المعركتين اللتين خاضهما معهم احداهما برية والثانية بحرية وانتصاراته

---

(١٥٥) ار ٤٧ : ٤ ؛ عا ٩ : ٧ ؛ تث ٢ : ٢٣ ؛ خر ٢٥ : ١٦ .

(١٥٦) ساحل قيليقية في شمال سورية .

عليهم مع تصاوير توضيحية لهذه المعارك ويستبان من هـــذه التصاوير أن الفلستينيين يتميزون بلباس الرأس المليء بالريش وسحنتهم هي أقرب الـــى الاوربيين وبوجـه خاص الى اليونانيين وسلاحهم السيف العريض وكانـوا



المصريون رقم ٤٢
محاربان فلستينيان كما ورد تصويرهما في النقوش المصرية
عن كتاب « قصة التوارة » ص ٢٩٥

يحملون دروعاً مدورة ورماحاً مسننة ومعهم عربات ذات عجلات مدورة مـن قطعة واحدة تجرها الثيران المحدبة الضخمة (انظر التصويرين ٤٠و٤٢)(١٥٧) .

١٣ ـ الهجرات السامية العربية المتأخرة

ومن الموجات السامية المتأخرة التي نزحت من الجزيرة العربية موجـة الأنباط أو النبط وهم قبائل بدوية انتشرت منذ القرن السادس قبل الميـلاد

---

(١٥٧) انظر :

S.A. Cook, "Philistines," Enc. Brit., 1965, Vol. 17, pp. 737-738; W. Keller, "The Bible as History," pp. 169-182; Hitti, "Syria," pp. 180-185; G. Bonfante, "Who were the Philistines ?", Am. Jour. of Archaeology, Vol. 50 (1946), p. 251; R.A.S. Macalister "The Philistines," 1913.

في البادية التي في شرقي المملكة الاردنية الحالية واحتلت المناطق التي كانت تحت سيطرة الكنعانيين والأراميين • وقد امتدت مستوطناتهم في أوج توسعهم من نهر الفرات في المنطقة المتاخمة لبلاد الشام وتنزل حتى تتصل بالبحر الاحمر ، وبذلك تكون قد ضمت دمشق وسهل البقاع والاقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحوران وأدوم ومدين وساحل البحر الأحمر • وقد وصلت مساكن بعضهم الى دلتا النيل والمناطق الخصبة المشرفة على البحر المتوسط • ثم سرعان ما تحضروا وأخذوا يفلحون الأرض ويزرعونها وانشأوا المدن والقرى ومنها عاصمتهم (البتراء) في جنوب غربي وادي موسى في شرقي الاردن التي بلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع قبل الميلاد • وهكذا صار النبط يمارسون مختلف الحرفه وفي طليعتها الاشتغال بالتجارة ونقل البضائع بين مختلف الأمكنة ، فسيطروا على طرق القوافل التجارية في ذلك الزمن وأهمها طريق اليمن والعربية الجنوبية الموازي للبحر الأحمر ومنها كان يتفرع الطريق الى مصر والشام وغزة والمدن الفينيقية على البحر المتوسط • وهناك طريق تجاري كان يصل الخليج العربي بمدينة البتراء لنقل بضائع الهند وما وراء الهند وحاصلات ايران والعربية الشرقية لتوزع منها في الشام ومصر وموانيء البحر المتوسط • وقد تعلّموا استغلال مناجم النحاس والحديد القديمة في منطقة « أدوم » في صنع المواد المهمة في مختلف شؤون الحياة ، ومنهم انتقلت المصنوعات النحاسية والحديدية المصنوعة في بلاد اليونان أو الشام أو في البتراء الى اليمن • وكانوا يستخرجون (الاسفلت) من سواحل البحر الميت الشرقية فيحملونه الى مصر لبيعه الى المصريين الذين كانوا يشترونه لاستعماله في التحنيط وقد درّ على النبط أرباحاً فوق أرباح وزاد في ثروتهم المادية فاكتنزوا الذهب والفضة بكميات كبيرة •

وقد اقتبس النبط من الأراميين ثقافتهم وكتبوا بكتابتهم وتأثروا بلغتهم حتى غلبت الارامية عليهم • أمّا لهجتهم العربية الاصلية التي كانوا يتكلمون بها فلم يعثر على غير نصوص قليلة منها ، وللهجتهم هذه أهمية خاصة لأن اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم متطورة من اللهجة النبطية العربية المتأخرة التي تعتبر من اللهجات العربية الشمالية • وخط النبط قريب جداً من خط كتبة الوحي ، وهو مأخوذ من القلم الارامي القديم وقد سمّي بالقلم النبطي •

وأخيراً ظهرت على المسرح موجة العرب في العهد الاسلامي التي تدفقت من الجزيرة العربية أيضا فشمل تيارها الهلال الخصيب بأجمعه وشمال أفريقية والاندلس وامتدت الحضارة العربية الى العالم الاسلامي أجمع(١٥٨) .

(١٥٨) انظر .
R.H. Simpson, "Nabateans," Enc. Brit., 1965, Vol. 15. pp. 1143-1144; P. Hitti, "History of Syria," pp. 375-388.

انظر ايضا البحث القيم عن النبط فى كتاب الدكتور جواد علي ، « المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام » ٣ : ٥ ــ ٧٥ .

الفصل الثاني

جزيرة العرب مهد الحضارات السامية

جزيرة العرب مهد الحضارات السامية

١ ـ تمهيد . ٢ ـ قدم حضارة جزيرة العرب . ٣ ـ ديانة عرب الجزيرة . ٤ ـ قبائل العرب البائدة . ٥ ـ الزراعة والتجارة قوام الحضارات السامية في الشرق الادنى . ٦ ـ حياة البداوة في الجزيرة العربية ونظمها . ٧ ـ دور الجمال في تامين المواصلات الصحراوية . ٨ ـ اللغة العربية اللغة الام للهجات الاقوام السامية . ٩ ـ سامية أم عربية ؟ ١٠ ـ العرب مخترعو الحروف الهجائية (الابجدية) . ١١ ـ عالم عربي واحد تعززه وحدة جغرافية مترابطة الاجزاء . ١٢ ـ فلسطين عربية المنشأ في حضارتها وقوميتها وثقافتها قبل خمسة آلاف عام . ١٣ ـ اسماء مدن فلسطين كنعانية عربية الاصل .

١ ـ تمهيد

يتضح مما تقدم في الفصل الاول ان الهجرات المتتالية التي انبعثت من جزيرة العرب الى مختلف انحاء الهلال الخصيب كانت من اهم العوامل لتنمية الكيان الحضاري السامي في الشرق الادنى ، والسير به نحو التقدم والتطور في مختلف الميادين : الزراعية ، والتجارية ، والسياسية ، والعسكرية ، والاجتماعية ، والثقافية ـ الكيان الذي انبثقت منه أقدم الانبراطوريات واعظمها مما عرفه العالم في تاريخ البشرية ، اي الانبراطوريات الساميات الاربع : الاكدية ، والبابلية ، والآشورية ، والكلدانية . فالجزيرة العربية اذن هي بحق مهد الحضارات السامية ، فقد قذفت بابنائها الاشداء الى ما وراء الصحارى بحكم سنة تنازع البقاء ليحققوا لانفسهم العيش الرغيد في الاوطان الجديدة . وبفضل تشابك مصالح هذه القبائل بعضها ببعض وتفاعل نشاطها في سبيل الحصول على حياة افضل توطدت اسس الحضارة السامية الكبرى التي كان لها شأن كبير في التقدم البشري .

وفي رأي فيلبي الذي قام بدراسات مسهبة لاحوال جزيرة العـــرب ان اقسام المنطقة الجنوبية من جزيرة العرب ومن ضمنها اليمن هي الوطـــن الاصلي للشعوب السامية ، فهي مهد العرب ومهد السامية ، منها نزحت الموجات البشرية بعد اضطرارها الى ترك اوطانها القديمة بسبب الجفاف الذي حل بها. وبذلك يقول في كتابه « تاريخ العرب قبيل الاسلام » المطبوع بالاسكندرية عام ١٩٤٧ (ص ٩ وما بعدها) : « انني اعتبر بلاد العرب الجنوبية هي الوطن الاصلي لهذا الجنس من البشر المعروف الآن باسم الساميين وهو يمتاز عن سائر الشعوب بلغته المعروفة باسم اللغة العربية . وكان هؤلاء الساميون بالتأكيد عربا يتكلمون العربية وقد هاجروا من اوطانهم الاصلية في جنوب الجـزيرة العربية بعد اضطرارهم الى ترك منازلهم القديمة ، بسبب الجفاف الذي ظهرت بوادره بعد العصر الپاليوليثي[١] ، والتوجه نحو الشمال الى اطراف الهلال الخصيب في موجات متعاقبة ، وقد سلكوا الطرق البرية والبحرية حتى وصلوا الى العراق وسورية وفلسطين ؛ هاجروا وقد حملوا معهم كل ما يسلكون من اشياء ثمينة ، حملوا معهم آلهتهم واهمها الاله القمر (سين) ، وحملوا معهـم لغتهم ثم مدوناتهم الثقافية في الاحقاب التالية . وقد استمرت هذه الهجرات عبر آلاف السنين تارة بطيئة وتارة اخرى سريعة الحركة حتى تمكنت احدى الزمر السامية ان تثبت اقدامها في السهل الخصيب من اواسط بـــلاد ما بـين النهرين » .

ويؤيد الدكتور هنري فيلد الخبير الانثروبولوجي المعروف المستر فيلبي فيما ذهب اليه من ان جنوب الجزيرة كانت الوطن الاصلي للاقوام التي هاجرت من الجزيرة العربية الى الهلال الخصيب ، فيقول « ان اليمن وعدن كانتـــا مأهولتين بالسكان في العصر النيوليثي[٢] ، ثم هاجر قسم من الناس الى عمان والخليج ، وهاجر قسم آخر بطريق باب المندب الى الصومال وكينيا وتنجانيقا، وهاجر فريق آخر بطريق مأرب ونجران الى شبه جزيرة سيناء وفلســـطين

---

(١) يقصد به العصر الحجري القديم الپاليوليثي الاعلى الذي يبدأ حسب تقدير العلماء قبل حوالي ٣٥ الف سنة .

(٢) ان العصر النيوليثي هو العصر الحجري الحديث ويحدد العلماء زمنــه في الفترة بين سبعة آلاف وخمسة آلاف سنة قبل الميلاد .

والاردن . هذا وقد عثر السياح على عدد كبير من الكهوف في الحجاز وفي اليمن وفي جنوب الجزيرة اتخذها اسلاف سكان شبه الجزيرة بيوتا لهم التجأوا اليها وعاشوا فيها أمدا طويلا . »

وتدل المعلومات التي جمعها الخبراء من مختلف انحاء جزيرة العرب على ان الدول القديمة التي قامت في اليمن كانت على اتصال بالسومريين والاكديين والاشوريين والعموريين في وادي الرافدين ، كما انها كانت على اتصال بالكنعانيين في فلسطين وكذلك بمصر والشام والحبشة وعيلام منذ اقدم العصور . وكانت منطقة « مجان » (عمان حاليا) مصدرا مهما للنحاس لسكان وادي الرافدين القدماء منذ عصور ما قبل التاريخ واستمرت كذلك في العهد السومري والعهود التي اعقبته ، وتصفها الكتابات المسمارية بانها «جبل النحاس» وقد اشتهرت «مجان» ايضا بحجر الديوريت الاسود المشهور ، ويرجح ان الديوريت الذي كان ملوك العراق القدامى يستعملونه في صنع التماثيل والانصاب كان يجلب بالدرجة الاولى من «مجان» . وتشير اخبار الدولة الاكدية الى غزو نرام‌سين (٢٢٩٢ـ٢٢٥٥ق٠م٠) حفيد سرجون لمجان حيث كان فيها مملكة يبدو على اسم ملكها «مانيشوم» أنه من الساميين العرب .

٢ ـ قدم حضارة جزيرة العرب

يتفق اكثر الباحثين والمؤرخين على ان جزيرة العرب لم تكن في الازمنة القديمة صحراء قاحلة على ما هي عليه الآن ، اذ كانت في تلك الازمان آهلة بالسكان غزيرة الامطار وكثيرة المجاري والانهر ، وفيما عثر عليه من آثار تركها سكان هذه الاصقاع لدليل قاطع على قدم حضارة جزيرة العرب ، ذلك ما يدل على ان أهل الجزيرة الذين هاجروا الى الهلال الخصيب كانوا مزودين بتراث حضاري جاؤا به معهم من مناطق سكناهم الاصلية فاعانهم على تكوين حضارة خاصة بهم . فقد عثر على أدوات حجرية من العصور الپاليوليثية والنيوليثية في مواضع من المملكة العربية السعودية تمتد من الاحساء (الهفوف) الى الحجاز ومن مدائن صالح الى نجران مما يدل على قدم الحضارة والسكنى في هذه المناطق .

وقد اكد المستر فلبي في كتابه («الربع الخالي ـ انهار مندثرة» ص١٤٠)

انه وجد اثارا من اصداف المياه العذبة وبقايا من الرواسب النهرية وادوات صوانية تعود الى اواخر العصر النيوليثي (حوالي الالف الخامسة قبل الميلاد) كلها تدل على ان صحراء الجزيرة العربية كانت في تلك الازمان عامرة بانهارها الدائمة الجري وبمستوطناتها الزاخرة بالسكان ، ويرى ان اجتياح الجفاف لتلك البقاع ادى الى هجرة سكانها وكان ذلك في رأيه في نفس الوقت الـذي كانت تظهر معالم اقدم المدنيات في مصر والعراق .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان جزيرة البحرين كانت مأهولـة بالناس ايام العصور الجليدية المتأخرة في اوروبا ، أي قبل خمسين ألف سنة ، وان ساحل الخليج ، ولا سيما المنطقة الواقعة بين «الدوادمي» وشمال القطيف ، كان مزدحما بالسكان في العصور البرنزية ، اي حوالي ٣٠٠٠ـ٢٥٠٠ق.م. ، وقد عثر في البحرين ايضا على عدد من مواد من الصخور الصوانية قدر بعض الباحثين ان عمرها يتراوح بين عشرة آلاف واثني عشر ألف سنة ، وهي ترجع الى أواخر أيام الرعي وابتـداء عهـد الاستيطان والاسـتقرار والاشـتغال بالزراعة[٣] .

ويؤكد الاستاذ محمد دروزه قِدم حضارة الساميين العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية الى الهلال الخصيب ، فيقول في كتابه «الجنس العربي»[٤]: « وليس هناك من ينكر امكان كون سكان هذه الجزيرة قد عاشوا عيشة مدنية وسياسية واجتماعية منذ أقدم الازمنة التي سجل الجنس البشري حياة مماثلة في بعض الأقطار الأخرى ، وبتعبير أدق منذ زمن أقدم من الزمن الذي تشير اليه الآثار المكتشفة في ارض الجزيرة وخارجها او الاخبار والروايات الواردة في كتب اليونان والرومان واسفار العهد القديم او نقوش مصر وبابل وآشور والتي يرجع بعضها الى اربعة آلاف عام واكثر قبل الميلاد المسيحي ، ولا سيما ان هذه الآثار تدل على تقدم غير يسير في مضمار الحياة السياسية والمدنيـة والاجتماعية والعقلية لا يمكن ان يكون تم الا نتيجة تطور وتدرج يرجعان الى قرون كثيرة قبل الزمن الذي نقشت او كتبت فيه ... ومما يمكن ان يقال

---

(٣) الدكتور جواد علي « المفصل فى تاريخ العرب قبـل الاسلام » ، ج ١ ، ص ٥٣٢ وما بعدها .

(٤) الدكتور محمد عزة دروزة ، « تاريخ الجنس العربي » ، ج ١ ص ٢٥ـ٢٦ .

تأييدا لهذا ان الجماعات التي جاءت من جزيرة العرب الى وادي النيل وحوض دجلة والفرات واستقرت فيها قبل اكثر من خمسين او اربعين قرنا قبل الميلاد كانت على شيء غير يسير من مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية ووسائلها من المعقول ان تكون مزودة بها من منشئها الاول • » « وقد لاحظ الرحالة الالماني شوينفرت ان القمح والشعير والجاموس والمعز والضأن والماشية وجدت في حالتها لابدة في اليمن وبلاد العرب القديمة قبل ان تستأنس في مصر والعراق»[٥]

٣ ـ ديانة عرب الجزيرة

ان اكثر ما في ثقافة اهل الجزيرة العربية القديمة يتمثل بنشاطاتهم الدينية ، شأنهم في ذلك شأن الاقوام القديمة التي ازدهرت في تلك الازمان السحيقة ، فكانت ديانة عرب الجزيرة قائمة على الوثنية ، وهي نفس ديانة السكان القدماء في الاقطار الاخرى ، وقد جاؤا بها الى مستقراتهم الجديدة مع لغتهم وثقافتهم الادبية والمادية حاملين معهم آلهتهم وأهمها الاله القمر «سين» • وكانت عبادة هذا الاله شائعة في جميع انحاء الجزيرة العربية تقريبا جنوبها وشمالها ، كما كان معروفا في بلاد الحبشة • وكان الاله القمر مذكرا عند سائر الساميين في حين ان الاله الشمس كان مؤنثا عند الساميين في جنوب الجزيرة العربية مذكرا عند الشماليين ، وعلى العكس من ذلك «الزهراء» مذكر عند الجنوبيين مؤنث عند الشماليين • ويرى الاستاذ ديتلف نيلسن ان هذا التغيير في جنس الشمس والزهرة يشير الى انتقال الديانة السامية القديمة من الجنوب الى الشمال وتغيرها بسبب البيئة الجديدة • ويعتقد ان تسمية سيناء مأخوذة من الاله «سين» المذكور • ويقول الاستاذ نيلسن في دراسته عن الديانة العربية القديمة[٦] إن عدد الآلهة الذين توصل المؤرخون الى معرفة اسمائهم في الاقسام الجنوبية من جزيرة الغرب بلغ أكثر من مائة اسم ، منهم خمسون إلها توجد عنهم معرفة تفصيلية • وقد ورد في القرآن الكريم ذكر اسماء خمسة من الآلهة التي كانت تعبد في الجزيرة العربية ترجع الى زمن نوح (ع) وهي : « ود » و « سواع » و « يغوث » و « يعوق » و « نسر »[٧] ، كما

---

٥) العقاد ، أثر العرب في الحضارة الاوربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١١ •

٦) « التاريخ العربي القديم » ، الترجمة العربية ، ص ١٨٤ •

٧) سورة نوح ، الآية ٢١ وما بعدها •

ورد في القرآن الكريم ايضا ذكر ثلاثة من الآلهة الاناث ، هي : «اللات» و « العزى » و « مناة »[٨] .

والجزيرة العربية كانت مهبطا لعدد من الانبياء والرسل الذين نادوا بالوحدانية ، ذكر بعضهم القرآن الكريم مثل نوح وهود وصالح وغيرهم ، فقال تعالى : « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » . وما ابراهيم الخليل عليه السلام الا احد هؤلاء الانبياء الذين يرجع اصلهم الى الجزيرة العربية[٩] ، وكذلك الكاهن الاعلى الموحد « ملكي صادق » ملك اورشليم الذي بارك ابراهيم الخليل باسم الاله العلي خالق السموات والارض[١٠] . ثم جاء من بعده الكاهن المدياني الموحد يثرون الذي زوّج ابنته الى النبي موسى والذي كان على ما يرجح الباحثون يعبد الاله «يهوه» وهو اسم اله الموسويين فيما بعد . بشر هؤلاء بالتوحيد قبل ظهور اتباع موسى بألف الى ألفي عام ، دعوا الى عبادة الاله الواحد خالق السموات والارض ، وقد نسبت هذه الدعوات النبوية كلها الى اصل واحد،وهو السلالة السامية العربية ختمت بدعوة محمد (عليه الصلاة والسلام) التي جاءت متممة لها .

٤ ـ قبائل العرب البائدة

وقد اورد الاخباريون العرب ذكر اسماء عدد من القبائل العربية القديمة في شبه جزيرة العرب كانت لها حضارة قديمة ترجع الى ما قبل الميلاد ، وقد ورد ذكر بعضها في القرآن الكريم . ويقول الرواة وأهل الاخبار ان هذه القبائل العربية من ضمن قبائل الطبقة الاولى ، وهي اقدم الطبقات بحسب تقسيم الاخباريين لقدم القبائل العربية ، وقد سميت بالعرب البائدة بسبب انقراضها واندثارها . ويكاد يتفق المؤرخون على ان هذه الطبقة تشتمل على اقدم القبائل العربية وهي : عاد وثمود ، معين وسبأ ، العمالقة ، طسم وجديس ،

---

(٨) سورة النجم ، الآية ٢٠ . انظر : « أصنام العرب » للدكتور جواد علي ، مجلة « سومر » المجلد ٢٣ (١٩٦٧) ، ص ٣ ـ ٤٦ .

(٩) انظر الفصل الخامس « عصر ابراهيم واسحاق ويعقوب » .

(١٠) انظر الملحق الاول « أورشليم في أقدم عصورها » .

أميم وعبيل ، جرهم الاولى ، حضورا • ومن المتفق عليه ان قبائل العـرب البائدة هذه من اولاد إرم بن سام بن نوح (ع) ، وقد كانت ، على ما اورده الاخباريون ، موجودة في عهد ابراهيم الخليل الذي هو منها بصفته من القبائل الارامية[11] • والظاهر ان هلاك هذه القبائل كان بسبب كوارث طبيعية نزلت بها كالعواصف الرملية او البراكين او الهزات الارضية ، ولعل أهم من كل ذلك انحباس المطر واجتياح الجفاف للمنطقة مما ادى الى نزوح الانسان والحيوان من وطنهما والارتحال عنه الى مناطق تتوفر فيها أسباب العيش وفي مقدمتهـا المياه • اما القبائل التي كتب لها البقاء بعد هلاك الطبقة الاولى فهم العـرب القحطانيون والعرب العدنانيون ، وقد سموا في عرف بعض النسابين « العرب العاربة » (الطبقة الثانية) والعرب المستعربة او المتعربة (الطبقة الثالثة) على التوالي • وقحطان هو « يقطان » الذي ورد اسمه في التوراة وهو يقطان بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح[12] ، وعلى ذلك فالقحطانيون هم اقدم عهدا من « قوم موسى » • ووطن القحطانيين الاصلي اليمن حيث تولى يعرب الرياسة بعد قحطان • أما العدنانيون ، ويقال لهم ايضا النزاريون او المعديون وهم من صلب اسماعيل بن ابراهيم وامرأته رعلة بنت مضـاض بن عمرو الجرهمي سموا بالعرب المستعربة لانهم انضموا الى العرب العاربـة واخذوا العربية منهم • ووطن العدنانيين الاول مكة التي اعتبرت المهد الاول للاسماعيليين ثم اضطرتهم عوامل قاهرة الى التفرق والهجرة[13] •

٥ ــ الزراعة والتجارة قوام الحضارات السامية في الشرق الادنى

قال تعالى في قرآنه الكريم : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ، فمنذ الازل كان الماء وما زال مصدر الحياة والازدهار ، فما قامت حضارة ذات شأن في تاريخ الانسان القديم الا كانت الزراعة وما يرافقها من مشروعات اروائية تحتضن تلك الحضارة ، فتسير معها جنبا الى جنب في مسيرة تطورهاوتقدمها • ولا ادل على ذلك من ازدهار الحضارات القديمة على ضفاف الانهار حيث الماء والارض ، العنصران الاساسيان لازدهار الحياة • وعلى هذا قامت في ربوع

(١١) انظر ما تقدم عن « القبائل الارامية والعرب البائدة » في الفصل الاول •

(١٢) تك ١٠ : ٢٥ ، ٢٩ •

(١٣) الدكتور جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب » ، ج ١ ، ص٢٩٤ـ٣٠٩

الرافدين ـ دجلة والفرات ـ وفي وادي النيل أقدم وارقى حضارتين معروفتين في تاريخ العالم القديم ، وقد كان لوادي الرافدين نصيب أكبر بالدور الذي لعبه في تأسيس اقدم الانبراطوريات الساميات في العالم وذلك في ظل أقدم نظام للري الدائم عرفه التاريخ • وقد اطلق العلماء على هذه الحضارات تسمية الحضارات الاروائية او الحضارات النهرية ، أي الحضارات التي تقوم على الزراعة المعتمدة على الارواء لتميزها عن الحضارة المطرية التي تعتمدفي اروائها على الامطار فقط • فكانت مراكز هذه الانبراطوريات على ضفاف وادي الرافدين ، فعواصم الاكديين والبابليين والكلدانيين كانت على ضفاف نهر الفرات وعاصمة الآشوريين على نهر دجلة • وكان وادي الفرات الخصيب الموئل الرئيس الذي أسست على ضفافه أقدم المستوطنات الزراعية السامية فامتدت على طول النهر ابتداء من « كركميش » (جرابلس) شمالا حتى بلدة « كيش » في جوار بابل جنوبا لمسافة حوالي ١٤٠٠ كيلومتر بطريق النهر وذلك لتوافر العناصر الاساسية للحياة فيه ، وهي الماء والارض وحرارة الشمس • ويرى الاستاذ « كوتزه » ان سيطرة الملوك الساميين القدامى امتدت الى أبعد من ذلك جنوبا فشملت بلدة « نيبور » (نُفَّر الحالية) البلدة السومرية المقدسة(١٤) • وكانت أبرز الحضارات التي ازدهرت على النهر حضارة « تل حلف » في منابع نهري البليخ والخابور وهي ترجع الى ٤٨٠٠ سنة قبل الميلاد ، ثم حضارة العموريين في « ماري » وفي « باغوز » ، والاخيرة ترجع الى اكثر من ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، ثم حضارة « جمدة نصر » في العراق التي ترجع الى سنة ٣٥٠٠ ق•م•

وقد ذهب بعض الباحثين بالتأكيد ان توسع الاعمال الزراعية والحاجة الى تنظيم مشاريع الارواء هي التي خلقت الحكومة ، وقد عد تنظيم الري للاغراض الزراعية عند كثير من الباحثين عاملا بالغ الاهمية في احداث التماسك الاجتماعي والسياسي • ولا عجب في ان اقدم الشرائع المعروفة في العالم ظهرت في وادي الرافدين وهي تعالج بالدرجة الاولى ما يترتب على الفلاح من واجبات وعلاقته بالذين يتصلون بالمسلك الزراعي الذي يعتمد على الارواء •

(١٤) A. Goetz, "Early Kings of Kish," Jour. of Cuneiform Studies, XV, No. 3, p. 111.

ومما لا جدال فيه ان حاجة سكان وادي الرافدين القدامى الى توسيع رقعة اراضيهم الزراعية بعد تكاثر عددهم هي التي دفعت بهم الى اتقان هندسة الري المشتملة على شق الجداول السيحية ونقل المياه الى مسافات طويلة حتى تصل الى الاراضي الزراعية فترويها سيحا • هذا فضلا عن اتقان وسائل رفع



التصوير رقم ٤٣
نقش رائع من حفائر تل حلف

المياه الى الاراضي المرتفعة مما ادى بهم الى اختراع الدولاب واستخدام الطاقة المائية والحيوانية في تدويره • وقد رافق هذا الاتقان دراسة العوامل الطبيعية وتأثيراتها على الحياة الزراعية كمعرفة المواسم وخصوصا مواسم

الفيضان وتتبع الاحوال الجوية والحركات الفلكية وما الى ذلك من الامور المتصلة بالزراعة كتعيين مواسم كل من الزروع الشتوية والصيفية • هذا كما أدى التوسع في الاعمال الزراعية الى اتقان اعمال المسح بغية تحديد حدود ملكيات الاراضي وذرعة المساحات ، ومن ضمن ذلك تثبيت قواعد خاصة للمقاييس والمكاييل والموازين الطولية والسطحية والمكعبية والحجمية • وقد كان لاختراع المحراث اثر كبير في التقدم الزراعي • وقد تمخض عن كل ذلك تأسيس المدن على ضفاف الانهار وتجمع السكان في مجتمعات مدنية تتولاها حكومات ذات سلطة تحكم بموجب انظمة وقوانين تعالج الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية • وقد كان للدين دور رئيس في تحديد العلاقات الشخصية والعامة في هذه المجتمعات • وكان تجاوز الانتاج الزراعي المقدار المطلوب لسد حاجات الاستهلاك المحلي حافزا على التعامل مع البلاد المجاورة التي تحتاج الى الأطعمة • ومن هنا توطدت العلاقات التجارية بتصدير المنتوج الزراعي واستيراد الحاجات غير المتوفرة في البلد المصدر للحبوب كالمعادن والاحجار الكريمة وغيرها من المواد • ومما يدل على اهمية التجارة كعنصر اساسي في حياة المجتمع العربي القديم ان القبائل العربية رغم اختلافها ونزاعها الدائم المعتمر فيما بينها قد اتفقت على تعيين أشهر يحرّم القتال فيها وذلك لتأمين سلامة القوافل التجارية وتجار القبائل(١٥) • وبذلك يمكن القول بان حضارة وادي الرافدين القديمة كانت قائمة بالدرجة الأولى على عاملين رئيسين هما الزراعة المعتمدة على الارواء ثم على التبادل التجاري ، وأوضح دليل على صلة الري بالحضارة بصورة عامة ان الاله « أنكى » (ايا) إله المياه هو ذاته كان يعتبر اله الحضارة •

٦ ـ حياة البداوة في الجزيرة العربية ونظمها

ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان الجزيرة العربية خلّفت حضارة خاصة بها الى جانب الحضارة النهرية حملت معها الطابع العربي السامي الاصيل الى المناطق المجاورة ، ولا تزال آثار هذه الحضارة تتمثل بحياة البداوة ونظمها المعمول بها في المجتمع البدوي حتى يومنا هذا • وقد يحسن ان نعرض هنا نبذة عن حياة البداوة ونظمها وتقاليدها التي ورثتها من العصور القديمة : ـ

(١٥) الخربوطلي ، العرب والحضارة ، ص ٢٣ •

ان اولى صفات البدوي عيشة حياة ترحال دائمة قائمة على التنقل من مكان الى آخر حيث توجد الآبار والعيون والمراعي ، وهذه الصفة هي اساس حياته منذ ان وجد في موطنه الصحراوي . والبدوي مرتبـط قبل كل شيء بالاسرة وبالقبيلة وبالنظم القبلية التي تستند الى العرف والتقاليد التي ورثها عن أسلافه منذ أقدم الازمنة ، هذا مع تمتعه بحق الحرية الشخصية برغم صلته باسرته وقبيلته . لذلك فوطنية البدوي وطنية قبلية فهو يحمي القبيلة والقبيلة تحميه ، وهذا ما يسمى بالعصبية .

وتتفرع القبيلة الى فروع كثيرة لكل منها شيخ يرأسها ويعرف كل فرد نسبه وصلته بكل فرع من الفروع ، ويتزعم شيوخ القبائل شيخ ارفع مقاما يعرف بشيخ المشايخ.وقد تظل الرئاسة في أسرة عدة أجيال ولكن يتوقف ذلك على موافقة القبيلة ، وقد يعزل الشيخ وتنتخب القبيلة رئيسا آخـر . اما سـلطة الشيخ فتعتمد بالدرجة الاولى على صفاته الشخصية والثقة التي يتمتع بها بين افراد عشيرته . ولشيخ المشايخ سلطة تقرير الحرب والسلم وعقد الاتفاقيات فهو صاحب الاختصاص في ذلك مع مراعاة مطاليب جمهور العشيرة وبعـد استشارة مشايخ قبيلته .

وأكثر النزاعات في هذا المجتمع البدوي مبعثها تنازع البقاء في الجزيرة منذ القدم اذ تدور حول الماء والمرعى مما ادى الى التناحر بين القبائل ، ومع ان الصراع فرّق البدو الى شيع صغيرة متنافرة ، ولكن نضالهم المشترك ضد الطبيعة القاسية قد قرب بعضهم بعضا وادى الى ان اعترف العرب جميعـا بواجب واحد وغالوا في المحافظة عليه الا وهو واجب الضيافة وحماية اللاجيء المسـتجير .

ولما كان البدوي مسئولا عن حماية نفسه وحماية قطعانه في الصـحراء المنعزلة فقد اصبح محاربا بالفطرة مقاتلا شجاعا لا يبزه احد في استعمال القوس والحربة وغيرهما من السلاح . « وقد أكسبت الطبيعة البدوي صفات تناسب بيئته ، فهو ضعيف الوزن ، نحيف البدن ، قوي نشيط، يتحمل التعب والمشقات، وعظيم الصبر والاحتمال ، يكفيه طعام قليل متواضع . وصفات البدوي هي نفس صفات الجنس السامي : الفطنة ، والذكاء ، والدهاء ، وسرعة البديهة ، والخيال المتوقد ، ويتميز بالكبرياء وعزة النفس التي تبدو واضحة في عينيـه

السوداوين الى جانب فصاحته[١٦] » .

ويصف الاستاذ عبدالجبار الراوي خبير البادية المعروف مسكن البدوي فيقول : « ليس في البادية مساكن ثابتة وانما هناك بيوت شعر للسكنى ومنها البيت الصغير الذي لا يكاد يسع اصحابه ، ومنها الكبير جدا ذو الاعمدة الذي يستوعب الاهل والضيوف وربما ادخلوا فيه (في الشتاء القارص حيث تتجمد المياه) صغار الغنم والابل والخيل خوفا عليها من البرد ، وبعض بيوت الشعر صغير مرفوع بعمودين فقط وبعضها مرفوع بثلاثة اعمدة واربعة . ويقسم البدو بيوت الشعر الكبيرة الى شبه غرف مستقلة بينها الحواجز المصنوعة من الشعر او القصب وتخصيص كل قسم لغرض معين فواحد للضيوف ، والآخر للنوم ، والثالث للطبخ ... وكثير من البدو يصنعون بيوتهم بايديهم وايدي نسائهم غزلا ونسجا من شعر الماعز واوبار الابل ... والبدوي راض جدا بحالته .. ومما يزيد في ارتياحه وسروره انه خفيف الحمل ، يرحل في اي وقت شاء من الشرق الى الغرب ، ومن الغرب الى الشرق ، أو من الشمال الى الجنوب ، أو بالعكس اذا دعاه داع الى المرعى والارض ، لا يمنعه من ذلك مانع ، فيعمد الى ابله يشد عليها رحاله ، ويحملها ما عنده ، ويرحل الى حيث يريد ويختار . هذا هو سر رضا البدوي ، وتفضيله هذه الحياة الحرة على قيود القرى والمدن والانقياد لاحكام القوانين والانظمة[١٧] » .

ان القواعد في حسم الدعاوي في البادية قديمة توارثها الابناء عن الآباء . وللبدوي الحق بطلب التحكيم عند احد (العوارف) في حالة نزاعه مع خصمه. واحكام (العوارف) وان تكون نافذة ، لكن يجوز استئنافها عند (عوارف) آخرين أكثر شهرة اذا اتفق الطرفان على اختيارهم . والعوارف هم الخبراء من ذوي الاختصاص يختص كل واحد منهم بقضايا معينةيرجع اليه في الفصل فيها. وكان العوارف يعرفون عند العرب الاقدمين باسم العرافين،وقد افاضت الكتب بأخبار هؤلاء وأحكامهم[١٨] . « والفقه البدوي فقه فطري يقوم على العرف والعادة ، تمشت عليه القبائل من قديم الازمنة حتى ان بعض قضاتهم يرجع في

(١٦) دكتور علي حسني الخربوطلي ، العرب والحضارة ، ص ٢٨ .

(١٧) « البادية » ، الطبعة الثانية ، ص ٢٣٥ ــ ٢٣٦ .

(١٨) المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

قضية فصل فيها شيخ قبل مائة سنة ، وربما اختلف هذا الفقه عند غيرهم اختلافا بسيطا في الاصول فقط ، ولكنه يتشابه من حيث الاساس • ويمكن تصنيف الفقه البدوي الى فقه عام ، وفقه خاص • ويقسم الفقه العام الى خارجي ، وعندهم منه اعلان الحرب ، وحقوق الغزاة والصلح • وفقه داخلي، وعندهم منه ادارة العشيرة الداخلية • » (١٩)

والجزيرة العربية نزلها الساميون من العرب منذ اقدم الازمنة وكانجدب الجزيرة العربية وخشونة الحياة فيها من اهم عوامل نجاتها من الاستعمار والنفوذ الاجنبي ، ولما كثر عدد السكان وضاقت بهم الجزيرة خرجوا الى البقاع المنتشرة على مشارف الجزيرة العربية وطبعوها بالطابع السامي ، ولكن معظم هؤلاء العرب احتفظوا ببداوتهم ولم يقبل على الزراعة والتجارة الا القليل منهم • وكانت الجزيرة العربية متوسطة بين الشرق والغرب وكانت قوافل العرب التي تنقل البضائع التجارية تجوب ارجاء العالم القديم مما ادى الى اتصال العرب بمعالم الحضارات المختلفة ، فتأثروا بها الى حد ما ولكن دون ان يفقدوا خصائص التراث البدوي الذي هو اساس الحضارة السامية •

٧ ـ دور الجمال في تامين المواصلات الصحراوية

وقد لعب الجمل بعد تدجينه دورا مهما في تأمين المواصلات الصحراوية وتنمية الصلات التجارية في جميع انحاء الشرق الادنى ، اذ كانت الابل عماد حياة البدو في الصحراء ، « يأكلون من لحومها ويشربون من البانها ، ويكتسون من أوبارها ، ويقوّمون بها ثروتهم ، ويفتدون بها أسراهم ويمهرون بها في الزواج ولجميع هذه الاسباب اهتموا بتربية الابل وكيّفوا حياتهم وفاقا لحياتها ، ورحلوا من مكان لآخر من أجلها ، وبنوا كثيرا من لغتهم عليها ، وضربوا فيها الامثال الكثيرة ، وتغنى الشعراء في وصفها وحدائها ، وكانت لدى العرب أيضا الخيل يعنون بها ، ولكنها كانت متاع المترفين ، بينما كانت الابل متاع العرب جميعا »(٢٠) •

ويستفاد من النصوص القديمة ان الجمال استخدمت منذ زمن بعيد

(١٩) المرجع السابق ، ص ٢٨٠ •

(٢٠) الخربوطلي ، العرب والحضارة ، ص ٢٩ •

كواسطة نقل صحراوي تربط الجزيرة العربية باجزاء منطقة الهلال الخصيب التي نزح اليها أهل الجزيرة العربية مما سهل الاتصال بين الوطن الام والمستوطنات الجديدة ، وبذا كان للجمال دور مهم في تأمين المواصلات الصحراوية وتنمية الصلات التجارية في جميع أنحاء الشرق الادنى • وقد احتكر البدو رعاة الابل وسائل النقل في البوادي ، اذ كانوا يقومون بنقل الاموال والبضائع التجارية عبر الصحراء بين العراق وبلاد الشام وبين الشام وبلدان البحر المتوسط وبلاد الحجاز وشمال الجزيرة وجنوبها • وقد مكنهم ذلك من مد نفوذهم وبسط سيطرتهم على طرق المواصلات والمدن التي تمر منها القوافل ، الامر الذي أتاح لهم المجال لجمع ثروة كبيرة من اقتناء قطعان الجمال • لذلك كانت بعض القبائل لا تقتني سوى الابل التي عليها مدار معيشتها وليس لها من الغنم الا ما يكفيها وضيوفها من لحومها •

وصفات الجمل تؤهله لسكنى البرية ، ففي معدته تجويف مقسوم الى غرف او حويصلات تمتلىء عند شربه ماء تكفيه مدة تختلف بين العشرين والثلاثين يوما ، واما طعامه فاغصان الاشجار والشوك والعشب الخ ••• وهو يحمل من ١٠٠ الى ١٦٠ رطلا ومعدل سيره ثلاثون ميلا في اليوم وهو يعمّر من الثلاثين الى الاربعين سنة ، ولحم الجمل ولبنه ووبره وجلده وبعره نافع للانسان لذلك يعد اقتناؤه من الغنى والثروة •

ومما يدل على وجود الجمال في الجزيرة العربية منذ عصور واغلة في القدم عثور المنقبين على تصوير للجمل منقوش على صخرة في جبل « طبيق » عند الحدود الجنوبية الشرقية للاردن في الموقع المسمى «قلوة» (Kilwah) يرجع تاريخه الى العصور الحجرية (العصر الميسوليثي) ، ويمثل هذا التصوير جملا ذا سنام واحد وهو نفس نوع جمال الجزيرة العربية حاليا • كما ورد عن عثورهم على صورة جميلة لهجين وراكبه ترجع الى الالف الثالثة قبل الميلاد ، وظهور الراكب في الصورة يدل على ان الجمل دجن في هذه المناطق منذ زمن بعيد • وقد عثر ايضا على تصاوير للجمل في النقوش المصرية ترجع الى الالف الثالثة قبل الميلاد[٢١] • وقد اثبت العلماء وجود الجمال بنوعيها ، ذي السنام والسنامين ، في زمن الاكديين (القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد) وقد

---

(٢١) Hitti "History of Syria," pp. 52-53

استخدموه في تنقلاتهم الصحراوية ، وان تسمية (جملو) و (ايبيلو) الاكدية مأخودة من كلمتي «جمل» و «أبل» العربيتين . وقد عرف الجمل عند السومريين ايضا وكانوا يطلقون عليه اسم (حمار ارض البحر) وارض البحر عندهم صحراء سواحل الخليج . وقد عثر ايضا على الواح طينية نقش عليها صورة الجمل في « الوركاء » في جنوبي العراق وفي « عقرقوف » (دور ــ كوريگالزو) عاصمة الكاشيين .



التصوير رقم ٤٤

قطعة خزفية رائعة تشاهد عليها فتاتان عربيتان على ظهر جمل وهما جالستان على الرحل المغلف بالقماش المزخرف وفوقهما مظلة ، احداهما تضرب على الناى والثانية تضرب على الطبل الصغير ، وقد عثر على هذا التمثال في بلاد الشام وهو يرجع الى زمن الرومان . والتمثال محفوظ في متحفة اللوفر الفرنسية .

ويؤخذ من مدونات التوراة ان من جملة مقتنيات ابراهيم الخليل الجمال[٢٢] ، كما ان هذه المدونات تدل على ان الاسرائيليين كانوا يستخدمون الجمال في تنقلاتهم بين فدان أرام في منطقة حران وفلسطين[٢٣] ، وكانت في جملة قطعان يعقوب الابل[٢٤] . وقد اشارت التوراة الى استخدام المديانيين والعمالقة للجمال في اخبار قتالهم مع الموسويين[٢٥] . وقد ورد في سفر أيوب ما يشير الى ان أيوب كانت له سبعة آلاف جمل[٢٦] .

ان أكثر ما كان يستخدم الموسويون في تنقلاتهم الحمير ، وكان الجمل معدودا من الحيوانات غير الطاهرة بحسب الشريعة اليهودية[٢٧] .

ويقول الباحثون ان الجمل كالحصان يرجع اصله الى قارة أمريكا وهو وحشي وقد هاجر على تلك الحال الى شمال شرقي آسيا قبل ملايين من السنين عندما كانت أمريكا وآسيا قارة واحدة ، ومن هناك وصل الى شمال غربي الجزيرة العربية والى جنوبي سورية وذلك عن طريق كشمير والهند[٢٨] .

وقد اعد المستر فوربس صاحب الدراسات العلمية الشهيرة بحثا مستفيضا عن تاريخ ظهور الجمال في الجزيرة العربية ، فيقول في ختام بحثه : « ان الاحصاءات الاركيولوجية التي بين أيدينا تسوقنا الى ان نستنتج ان الجمل دجن في اواسط آسيا في اواخر العصر الحجري النيوليثي (٧٠٠٠–٥٠٠٠ ق٠م٠) وربما دجن واستخدم في الجزيرة العربية قبل ذلك من فصائل اخرى من الجمال الوحشية . »[٢٩]

---

(٢٢) تك ١٢ : ١٦ ؛ ٢٤ : ٣٥ .
انظر أيضا :
J.P. Free, "Abraham's Camels," Journal of Near Eastern Studies, Vol. III July 1944, No. 3, pp. 187-193.

(٢٣) تك ٢٤ : ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ .

(٢٤) تك ٣٠ : ٤٣ ؛ ٣١ : ١٧ .

(٢٥) قض ٦ : ٥ ؛ ٧ : ١٢ ؛ ٨ : ٢١ ، ٢٦ ؛ ١ صم ١٥ : ٣ ؛ ٢٧ : ٩ ؛ ٣٠ : ١٧ .

(٢٦) ايوب ١ : ٣ ؛ ٤٢ : ١٢ .

(٢٧) لاوي ١١ : ٤ وتث ١٤ : ٧ .

(٢٨) Hitti, "History of Syria," p. 52

(٢٩) R.J. Forbes, "The Coming of the Camel," Studies in Ancient Technology, Vol. II, Leiden, 1955, pp. 187-203.

٨ ـ اللغة العربية اللغة الام للهجات الاقوام السامية

والمسلّم به باجماع الباحثين أن القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية كانت كلها تتكلم لغة واحدة هي اللغة العربية الأصلية قبل أن تتفرق ــ « وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة »[٣٠] • ثم تفرع منّ هــذه اللغة عدة فروع انطبع كل منها بطابع المكان والبيئة الجـديدة على مقتضى ناموس الارتقاء ، هكذا تطّورت اللغة الأصليــة بتطور لهجات الأقــوام الناطقة بها في مستوطناتها الجديدة حتى أضحت هذه اللهجات مغايرة لأصلها ، ولكنها مهما تباعدت بألفاظها وتشعبت تراكيبها قد بقيت محتفظة بالخصائص الأصلية التي تتميز بها لأنها ترجع الى أصل واحد مشترك • وقد ســـمّى العلماء هذه اللهجات باللهجات أو اللغات السامية نسبة الــى ســام بــن نوح تمييزاً لها عن اللغات الآرية والطورانية • وتتميّز صفات اللغــة الســامية في كونها مؤلفة من أصول ثلاثية الأحرف ثابتة وتمتاز بحصول معظم الاشتقاق بواسطة تغيير الحركات وعلى هذه الحركات يتوقف نوع الدلالة • ولما كان العلماء قد صاروا يعتمدون على أصل اللغات في تعيين صلات الأقوام بعضها ببعض ، فقسم بعض علماء الساميات اللغات السامية الى أربع مجموعات هي : المجموعة السامية الشرقية ، ومنها الأكدية والبابلية والآشورية ؛ والمجموعة الشمالية ، ومنها العسورية والأرامية ؛ والمجموعة الغربية ، ومنها الكنعانيــة والفينيقية والموآبية والعبرانية ؛ والمجموعة الجنوبية ، ومنها المعينية والسبئية والاثيوبية والعربية والأمهرية •

ويرجح عدد من الخبراء أن اللغة التي يتكلم بها بدو الجزيرة العربيــة حالياً هي أقرب جميع اللهجات الى اللغة العربية الأصلية التي كان يتكلم بها أبناء الجزيرة قبل أن تنفصل لهجاتهم في مستوطناتهم الجديدة ، وذلك على أساس أن هؤلاء بقوا منعزلين في صحرائهم دون أن يختلطوا بالأقوام الأخرى الغريبة في لغاتها وقومياتها • فيقول الاستاذ أولمستيد في كتابه « تاريــخ فلسطين » (ص ٣٦) : « إن البدو العرب كانوا أول من تكلم باللغة السامية ، واذا أردنا أن نتفهم الخصائص الأصلية لهذه المجموعة من اللغات السامية على حقيقتها فعلينا أن نتجه الى العربي ابن البادية السورية الذي يجوب شمال

(٣٠) تك ١١ : ١ •

جزيرة العرب ، لأن هؤلاء هم وحدهم حافظوا على العادات والتقاليد القديمة دون أن يطرأ عليها أي تغيير • » وممن أيدّ ذلك من المحققين المستشرق والباحث المعروف عبدالله فلبي الذي قام بدراساته المسهبة لأحوال جزيرة العرب ، فقال في كتابه « تاريخ العرب قبيل الاسلام » : « إن اللغة العربية التي يعترف الخبراء في كونها أقرب من جميع اللغات السامية الى اللغة الأم الأصلية التي اشتقت منها جميع هذه اللغات هي على أغلب الاحتمالات أقدم لغة في العالم مازالت حيّة حتى يومنا هذا • » ويرجع الفضل الى القرآن الكريم الذي حافظ على أصل اللغة الأم ــ لغة الضاد ــ وهي مازالت اللغة التي يتكلم بها أكثر من ثمانين مليون نسمة في الاقطار العربية العديدة ، وذلك رغم تعرض البلاد الى غزوات الكثير من الأقوام الغريبة في ثقافاتها ولغاتها قبل ظهور الاسلام • فقد صمدت الثقافة العربية السامية أمام جميع هذه التيارات مما يدل على أن التراث العربي العريق في حضارته وحيويته كان أقوى وأمضى من جميع الثقافات الأخرى التي استوطنت الشرق الأدنى وهو مازال سائداً في جميع البلاد المعروفة بالبلاد العربية حتى يومنا هذا محتفظاً بخصائصه دون أن يندمج أو يزال من الوجود • وفي تعليق للدكتور جواد علي في كتابه « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » (ج ١ ، ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦) حول هذا الموضوع يقول : « وبالجملة أن هناك جماعة من المستشرقين ترى أن اللغة العربية على حداثة عهدها بالنسبة الى اللغات السامية الأخرى ، هي أنسب اللغات السامية الباقية للدراسة وأكثرها ملائمة للبحث ، لأنها لغة لم تختلط كثيراً باللغات الأخرى ولم تتصل باللغات الأعجمية قبل الاسلام ، فبقيت في مواطنها المعزولة صافية ، أو أصفى من غيرها في أقل الأحوال ، ثم أنها حافظت على خواص السامية القديمة مثل المحافظة على الأعراب ، على حين فقدت هذه الخاصة المهمة أكثر تلك اللغات ، ولهذه الأسباب وغيرها رأوا أن دراستها تفيد كثيراً في الوقوف على خصائص السامية القديمة ومزاياها » •

٩ ــ سامية أم عربية ؟

ان تسمية « السامية » أطلقت على الشعوب التي زعم أنها انحدرت من صلب سام، وكان اول من أطلقها بهذا المعنى العالم النمساوي شلوتسر **Schlötzer** عام ١٧٨١ للميلاد فشاعت منذ ذلك الحين وأصبحت عند علماء الغرب علماً

لهذه المجموعة من الشعوب وسَرت الى المؤرخين العرب وباحثيهم بطريق الاقتباس والتقليد ، على الرغم من أن هذه التسمية لا تستند الى واقع تاريخي أو الى أسس علمية عنصرية صحيحة أو وجهة نظر لغوية ، إذ تعتبر أكثر ما تعتبر الحدود الجغرافية والعلاقات السياسية[٣١] . فكتبة التوراة مثلاً حشروا في السامية شعوباً لا يعدها العلم الحديث من جماعة الساميين مثل العيلاميين واللوديين وأقصوا جماعة كان ينبغي إدخالها في زمرة الساميين مثل الفينيقيين والكنعانيين ، مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم أن الكنعانيين هم الساميون العرب الاصليون سكان فلسطين الأولون[٣٢] . ثم ان اصطلاح السامية يشير الى نسب ، لذلك ذهب بعض الباحثين الى تخطئة تسمية السامية وتأكيدهم أن تسمية « العربية » هي أكثر تمشياً مع الواقع التاريخي والعلمي ، لأن اسم العرب ورد منذ القديم في الكتابات البابلية والآشورية ، ثم أطلق الفرس واليونان والرومان اسم العرب على سكان جزيرة العرب منذ الألف الأولى قبل الميلاد[٣٣] . وممن أيد هذا الرأي من الباحثين ، أي الرأي القائل بتسمية الأقوام العربية وكل من سكن الجزيرة العربية أو خرج منها بالعرب ، الباحث المعروف الدكتور جواد علي ، فقال في كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » (ج ٢ ، ص ٢٨٧) : « إذا أردنا أن يكون كلامنا علمياً أو قريباً من العلم وجب علينا إهمال كلمة « الشعوب السامية » و « الساميين » وتبديلها بكلمة « الشعوب العربية » و « العرب » لأن هذه التسمية ملموسة المفهوم بينما تلك اصطلاح مبهم » .

ويذهب أكثرية المؤرخين الفرنج أن العرب والساميين شيء واحد ، فقال سبرنجر (Sprenger) إن جميع الساميين عرب ، مستنداً الى أن الأقوام التي تنسب الى العرق السامي ، فالآشوريون ، البابليون ، الأراميون ، الفينيقيون ، العبرانيون ، الادوميون ، وغيرهم كانوا يهاجرون من جزيرة العرب كلما امتلأت هذه الجزيرة بهم ، أو أجدبت على أثر انحباس المطر ، أو

---

(٣١) نولدكه ، « اللغات السامية » ، الترجمة العربية ، ص ٨ .

(٣٢) تك ١٠ .

(٣٣) محمد عزة دروزة « تاريخ الجنس العربي » ج ١ ، ص ١٨ .

كلما تشوّق هؤلاء الأقوام الى أرض أخصب من الجزيرة العربية[٣٤] .

١٠ ـ العرب مخترعو الحروف الهجائية (الابجدية)

لقد اعتبر العلماء اختراع الحروف الهجائية (الأبجدية) من أعظم المخترعات التي أوجدها العقل البشري بل من أجلّ البركات التي هبطت على البشرية في مسيرتها نحو التقدم الحضاري . ثم تأتي بعدها البركة الروحية في الدعوة لعقيدة التوحيد والاهتداء الى عبادة الاله الواحد . والفضل في كلا الحادثين كما ثبت يرجع الى الثقافة العربية التي نمت وازدهرت على يد الأقوام العربية التي نزحت من جزيرة العرب واستقرت في الهلال الخصيب منذ أقدم الأزمنة . ومن المتفق عليه الآن أن الكنعانيين كانوا أول من استعمل الحروف الهجائية في الكتابة ومنهم انتقلت الى الفينيقيين الذين نقلوها بدورهم بين سنة ٨٥٠ و ٧٥٠ ق.م. الى الاغريقية واللاتينية[٣٥] وصارت تعرف في اليونانية باسمها العربي « الألفباء » (Alphabet) ، وقد احتفظ اليونانيون بنفس الترتيب الذي وضعه الفينيقيون من حيث تسلسلها ومن حيث طريقة كتابتها من اليسار الى اليمين وفق الطريقة الفينيقية الأصلية . والفينيقيون والكنعانيون تسميتان لمسمّى واحد (انظر ما تقدم في الفصل الاول حول الكنعانيين والفينيقيين) .

وقد ظل أكثر العلماء الذين قاموا بدراسة نشوء الحروف الهجائية يرون أن الأبجدية الفينيقية هي أول الأبجديات وأقدمها ، وأن الفينيقيين هم أول من استعمل طريقة الكتابة بها وقد أخذوا أصولها من الكتابة الهيروغليفية المصرية ، حتى عثر على كتابة بالأحرف متصلة بالكتابة المصرية أقدم بكثير من الأبجدية الفينيقية ، وهي الكتابة التي اكتشفت في شبه جزيرة سيناء في موضع يسمّى « سرابيط الخادم » ويعود تاريخها الى سنة ١٨٥٠ ق.م.[٣٦] ، وقد

---

(٣٤) دكتور علي حسني الخربوطلي « العرب والحضارة » ، ص ١٣ ـ ١٤ .

(٣٥) T.H. Gaster, "Canaan" Enc. Brit., 1965, Vol. 4, p. 728.

(٣٦) اختلفت الآراء في تعيين تاريخ هذه الكتابة فبعضهم حدده في التاريخ المذكور اعلاه غير أن البعض الآخر يرى ان تاريخ هذه الكتابة لم يتعد النصف الثاني من الالف الثانية قبل الميلاد وهذا هو رأي الاستاذ طه باقر ايضا .

أطلق عليها اسم « كتابة طور سيناء » أو « الأبجدية الطور سينائية » . وهذه الكتابة البسيطة جاءت باللهجة الكنعانية القديمة وتعد حلقة الوصل بين الهيروغليفية التصويرية والأبجدية . وقد عثر عليها في المعبد المصري القديم عند مناجم الذهب المصرية في سيناء وهي تحمل اسم الالهة « بعل ايث » ، الآلهة السامية العربية المعروفة باسم الالهة « حتحور » . ثم وجد عدد من هذه النماذج بنفس الاحرف في سبناء أيضا ، كما وجد من هذه النماذج أيضا



التصوير رقم ٤٥

ابو الهول عثر عليه فى المعبد المصرى عند « سرابيط الخادم » فى جوار مناجم الذهب المصرية القديمة فى سيناء عليه اقدم كتابة كنعانية بالحروف الابجدية وهى تحمل اسم الالهة « بعل ايث » (الالهة حتحور السامية) وهذه الكتابة البسيطة غير المنتظمة هى حلقة الوصل بين الهيروغليفية والابجدية ـ عن كتاب « قصة التوارة »

في جنوب فلسطين في « جازر » و « شكيم » و « لخيش » ، وقد كتبت كل هذه النماذج باللهجة الكنعانية القديمة . ويؤكد دايرنجر « ان مصدر اختراع الابجدية (Alphabet) يرجع الى منطقة فلسطين وسورية وهي تنفرد بين جميع مناطق الشرق الادنى في هذا الاختراع الذي يمثل شبه جسر يجمع بين حضارتي مصر وبلاد الرافدين . »(٣٧) .

(٣٧) Diringer, "Writing," p. 120.

ويعلّل الخبراء كيفية نشوء فكرة الاخذ بالاحرف بدلا من الصور هو أن الكنعانيين الذين كانوا يعملون في مناجم طور سيناء اهتدوا الى التدوين بالحروف الابجدية بأن اختزلوا الكتابة الهيروغليفية التي تشير الى المعاني ومقاطع الكلمات بصور واشارات وأكتفوا بالحروف الاولى من أسماء الصور فتكونت عندهم مجموعة من الحروف كونت الأبجدية الأولى ، فاخذوا مثلا صورة رأس الثور عن الهيروغليفية ، فاغفلوا لفظها في اللغة المصرية وأطلقوا



التصوير رقم ٤٦

عثر على هذا التمثال في سيناء نقشت عليه كتابة في شبه أحرف تعد اقدم كتابة توصل بين الهيروغليفية والابجدية وقد حدد العلماء في احدث تحقيق تاريخها بالقرن الخامس عشر قبل الميلاد — عن كتاب « قصة التوراة » ، ص ١٠٩ .

عليها ما يقابله في لغتهم الخاصة بهم فصارت هذه العلامة الألف ، وعلى هذا النمط عالجوا صورة البيت فاطلقوا عليها ما يقابله في لغتهم واعتمدوا علـــى الحرف الاول من اسمها وهو الباء وهكذا دواليك • فتكونت من هذه الاحرف الأبجدية وهي مؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً وقد انتشرت هذه الأبجدية التي تعدأقدمأبجدية معروفة حتى الآن شرقاً وشمالاً وجنوباً ، فصـــارت أصـــل الأبجديات في هذه الاماكن بعد أن تطورت في كل منها حسبما اقتضته طبيعة لغة أهله ، فمنهم من حافظ على شكلها الاصلي كما وضعت في الاصل ومنهـــم من غيّر فيها وأضاف اليها أو نقص منها (انظر المرتسم رقم ١١ جدول تطور الابجديات) •

ومن أهم هذه الأبجديات التي اكتشفت الأبجدية اليغاريثية وقد عثر عليها سنة ١٩٤٩ في « رأس الشمره » (موضع يغاريث الفينيقية القديم) ، ويرجع تاريخ هذه الأبجدية التي كتبت على لوح من الفخار الى القرن الخامس عشر أو القرن الرابع عشر قبل الميلاد • وقد عثر على ألواح كثيرة أخرى كتبت بهذه الأبجدية على الصلصال المفخور بالنار على الطريقة العراقية وقد دونت بالكتابة المسمارية مع أنها لا علاقة لها بالكتابة المسمارية العراقية • وقد ظهر من هذه الكتابات أن الأبجدية اليغاريثية هذه كانت تتألف من اثنين وثلاثين حرفا وقد دونت من اليسار الى اليمين على خلاف الأبجديات الأخرى مع أنه وجـــدت كتابات يغاريثية في فلسطين دونت من اليمين الى اليســـار • وهذه الكتابـــات كلها دونت باللهجة الكنعانية القديمة •

وقد عثر في موضع « بيبلوس القديمة » (جبيل الحالية) ، وهي مدينة فينيقية أخرى تقع على مسافة ٢٥ ميلا شمال بلدة بيروت ، على كتابة مهمـــة نقشت على تابوت حجري للملك بيبلوس « أحيرام » ، وقد دونت بابجدية مؤلفة من ٢٢ حرفا من اليمين الى اليسار ، وقد أرجع تاريخ هذه الأبجدية الى القرن الحادي عشر أو العاشر قبل الميلاد[٣٨] كما اكتشفت كتابات بالأبجدية الفينيقية في قبرص ومالطا وصقليا وساردينيا واليونان وشمال أفريقيا ومارسيليا واسبانيا وشرق قليتية • وقد عثر على أبجدية متأخرة دونت فيها كتابة على مسلة تعود

---

(٣٨) Diringer, "Writing," p. 131.

أبجد	لاتيني	اغريقي	اوغاريتي	فينيقي	عربي جنوبي	المعنى	سينائي
ء	A	A	[illegible]	[illegible]	[illegible]	رأس ثور	[illegible]
ب	B	B	[illegible]	[illegible]	[illegible]	بيت	[illegible]
ج	CG	Γ	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]
د	D	Δ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	باب	[illegible]
هـ	E	E	[illegible]	[illegible]	[illegible]	شباك	[illegible]
و	FV	Y	[illegible]	[illegible]	[illegible]	وتد	[illegible]
ز	...	I	[illegible]	[illegible]	[illegible]	(زين) سلاح	[illegible]
ح	H	B	[illegible]	[illegible]	[illegible]	حيت (حائط)	[illegible]
ط	...	⊗	[illegible]	[illegible]	[illegible]		...
ي	I	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	يد	[illegible]
ك	...	K	[illegible]	[illegible]	[illegible]	كف اليد	[illegible]
ل	L	LΛ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	لمد (عصا)	[illegible]
م	M	M	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ماء	[illegible]
ن	N	N	[illegible]	[illegible]	[illegible]	افعى	[illegible]
...	X	Ξ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	سمكة	[illegible]
ع	O	O	[illegible]	[illegible]	[illegible]	عين	[illegible]
ف	P	Γ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	فم	[illegible]
ص	...	...	[illegible]	[illegible]	[illegible]	صياد	[illegible]
ق	Q	Ϙ	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]
ر	R	P	[illegible]	[illegible]	[illegible]	رأس	[illegible]
س ش	S	Σ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	قوس	[illegible]
ت	T	T	[illegible]	[illegible]	[illegible]	صليب	+

جدول تطور الابجديات

المرتسم رقم ١١

الى عهد الملك « ميشع » ملك موآب (منتصف القرن التاسع قبل الميلاد) عرض فيها انتصاراته على ملك يهورام ملك اسرائيل (٨٥٢ ــ ٨٤١ ق٠م٠)[٣٩] ٠

وفي وصف أدبي رائع لتطور الأبجدية واثبات أصلها الكنعاني العربي ، يقول العقاد في كتابه « الثقافة العربية » (ص ٢٩) « وأياً كان قول المؤرخين والرواة فهذه المسألة ــ مسألة الأبجدية ــ من المسائل التي لا حاجة بهــا الى التاريخ والرواية ٠ لأن أسماء الحروف وأشكالها ومعانيها شاهدة بانتقالها من



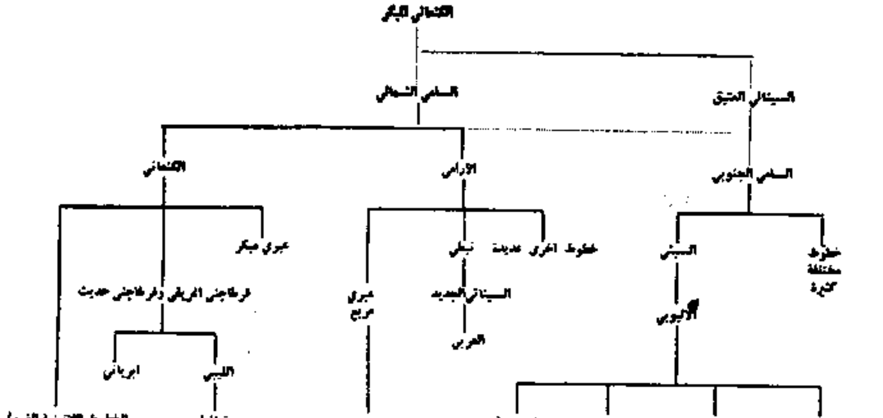
التصوير رقم ٤٧
كتابة اوغاريشية فينيقية بالحروف الابجدية المسمارية ترجع الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد٠

المصادر العربية ، سواء كانت فينيقية أو أرامية أو يمنية من الجنوب ٠ فالأبجدية تسمّى عند اليونان بالا « ألفا بيتا » وتبدأ بالألف والباء والتاء ، ثم تتوالى فيها حروف كثيرة بلفظها العــربي في العصر الحاضر على وجــه التقريب ٠ وليس لأسماء الحروف معان مفهومة في اللغة اليونانية ، ولكنها بهذه الأسماء مفهومة المعنى في لغتنا العربية العصرية ، فضلا عن اللهجات العربية الغابرة ٠ وأقرب

(٣٩) ٢ مل ٣ : ١ ــ ٢٧ ٠

هذه الحروف الى المعاني العربية الشائعة في أيامنا حرف الباء من بيت ، وحرف الجيم من جمل ، وحرف العين من عين ، وحرف الفاء من فم ، وحرف الكاف من كف ، وحرف الميم من ماء ، وحرف الياء من يد • وأشكالها المرسومة قريبة من أسمائها الاولى كما يرى في شكل البيت وشكل رقبة الجمل وشكل العين وشكل الفم ، وغيرها من الأشكال • واذا رجعنا الى نطق أسماء الحروف كما شاعت أول استعمالها في البلاد العربية تبيّنت العلاقة بين أشكالها ومعانيها جميعا بغير استثناء حرف واحد من الحروف ، فكلها أوائل كلمات مفهومة من بقايا الكتابة التصويرية التي ترسم الشكل كله وتأخذ من الكلمة حرفها الاول عند الكتابة بالحروف • »

يتضح مما تقدم أن أقدم كتابة باقدم حروف أبجدية معروفة حتى الآن هي الكتابة الكنعانية السينائية القديمة ، وقد قسم علماء اللغات الأبجديات التي تفرعت من الكنعانية القديمة الى مجموعتين رئيستين ، المجموعة السامية الشمالية والمجموعة السينائية العتيقة ، وقد تفرع من المجموعة الاولى الكنعانية وفروعها الفينيقية والعبرية القديمة والقرطاجية والليبية والأرامية وفروعها النبطية والعبرية المتاخرة المعروفة بالمربع والسينائية المتاخرة والعربية وغيرها • أما المجموعة الثانية أي السينائية العتيقة فقد تفرعت منها السامية الجنوبية والسبئية والاثيوبية وغيرها • (انظر المرتسم رقم ١٢ التقسيم لتفرعات الأبجدية الكنعانية عن دايرنكر) •



المرتسم رقم ١٢
التقسيم لتفرعات الخط الكنعاني القديم (عن دايرنكر)

نستدل من كل ذلك على أن الجزيرة العربية لعبت أكبر دور في تطوير الثقافة العالمية ، فهي كما ثبت مهد الكتابة الأبجدية التي أظهرها الكنعانيون لأول مرة في طور سيناء وفي جنوبي فلسطين كما تقدم شرحه ، وبعد أن تنقلت في أرجاء الجزيرة وأطرافها تطورت الى عدة أبجديات ثم عادت فاستقرت في قلب الجزيرة في شكلها الأخير (عربية القرآن الكريم) الماخوذة عن النبطيـة المتاخرة • كما يتضح أيضا أن الكتابة العبرية لم يكن لها أي دور لا من قريب ولا من بعيد في نشوء الأبجدية وتطورها وهي لم تتعد كونها أحد الفـروع العديدة التي اقتبست أبجدياتها من الأبجدية الكنعانية العربية الأصلية(٤٠)

واخيراً نختم الكلام على نشوء الأبجدية وصلتها بالعرب بتعليق الاستاذ مرجليوث فيقول في كتابه « الصلات بين العرب وبني اسرائيل » : « يرد على

---

(٤٠) ان المراجع عن نشوء الابجدية وتطورها كثيرة ، وقد اعتمدنا في عـرض هذا الموجز على أحدث المصادر التي تتناول أحدث الاكتشافات ، منها كتابا الدكتور حتي « سورية » و « لبنان » وكتاب الدكتور جواد علي « العرب قبل الاسلام » وخاصة كتاب دايرنجر « الكتـابة » • وفيما يلي مجموعة من المراجع في الموضوع :—

B.F.C. Atkinson and J. Whatmough, "Alphabet", Enc. Brit, 1965 Vol. I, pp. 662-669; H. Bauer, "Zur Entzifferung der neuntdeckten Sinaischrift", 1918; E. Clodd, "The Story of the Alphabet"; M. Cohen, "La grande invention de l'écriture", 1958; F.M. Jr. Cross, "The Evolution of the Proto-Canaanite Alphabet", Amer. Sch. of Oriental Research Bulletin, 134 : 15-24 (April 1954; D. Diringer, "The Story of the Aleph Beth", 1958; ———, "The Alphabet", 1948; ———, "Writing", 1965; G. R. Driver, " Semitic Writing from Pictograph to Alphabet", 1954; J. Fevrier, "Histoire de l'ecriture", 1948; A. H. Gardiner, "The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet", Journal of Egyptian Archaeology, 3:1 ff. 1916; I. J. Gelb, "A Study of Writing", 1952; L.G. Gray, "Introduction to Semitic Comparative Linguistics", 1934; W. Leslaw, "Semitic Languages", Enc. Brit., 1965, Vol. 20, pp. 314-317; W. Marcais and M. Cohen, "Precis de linguistique semitique", 1910; Sir W.F. Petrie, "The Formation of the Alphabet", 1912; M. Sprengling, "The Alphabet : Its Rise and Development from the Sinai Inscriptions", The Universal Jewish Enc., I. p. 198; H. Torczyner, "Tur-Sinai", N. S. 1950, The Jewish Quarterly Review, 83-109, 159-179.

الخاطر سؤال عن أسماء المواقع التي تظهر على خريطة اليونان كـ (عسكرا) ، أي المعسكر ، وفندس ، أي الجبل من الفند وهو الجبل العظيم باللغة العربيـــة ، ولاريسا ، أي العريش أو الخيمة ، الى أمثال هذه الأسماء التي تشبه أســماء المواقع في الاندلس بعد الفتح الاسلامي ، فيبادر الينا السؤال : ألا تشير هذه الأسماء الى حضارة عربية عريقة وصلت الى اليونان ومعها حروف الأبجدية قبل أن يصل اليها الفينيقيون بحروف تخالفها • »(٤١)

١١ ــ عالم عربي واحد تعززه وحدة جغرافية مترابطة الاجزاء

والآن بعد أن عرضنا صورة اجمالية للاحداث التي شهدتها البلاد العربية في فجر التاريخ والتي كان ابرز حدث فيها هجرات اهل جزيرة العرب ونشرهم الحضارة السامية في ارجائها ، فلنلق نظرة على الوضع الذي كانت عليــه بلاد الشرق الادنى وهي تسبح في بحر الالف الثالثة قبل الميلاد فماذا نرى ؟•• عالما واسعا يؤلف فراغا شاسعا من الصحارى تحــده الحضارة المستقرة على ضفاف وادي النيل من جهة الغرب وحضارة وادي الرافدين في جنوبي العراق من الجهة الشرقية : حضارتان اقعدتهما نعم الحياة بما أغدقته عليهما من ارض خصبة ومياه عذبة يقف بينهما شعب تائه في صحرائه حائر في امره في وجه الجفاف الذي صار يهدده في صميم حياته بعد أن حرمته الطبيعة من مصدر وجوده ، وهـــو متعطش ينشد حياة جديدة في وطن جديد يسد فيه حاجته للقمة العيش • فكان عليه ان يحارب الطبيعة ويشق طريقه عبر البوادي القاحلة الى الحياة التي كان ينشدها ، وهو واثق بوحي الغريزة من اجل الحياة بان ما وراء هذا البحر من الرمال عالما غير عالمه تتوفر فيه وسائل الخلاص مما هو عليه من مصير يضمر بين طياته هلاكا حتميا ، فقطع الصحارى كما قطع كولمبس البحار ليكتشف عالمــه الجديد في أواخر القرن الخامس عشر بعد الميلاد حتى وجد الشعب ضالته في وادي الاردن وتخوم وادي النيل في جهة الغرب ووادي الرافدين في جهة الشرق ، فاخذت الحشود تتوافد على هذا العالم الجديد على موجات متتابعة كما توافد أهل اوروبا على امريكا في منتصف القرن السابع عشر بعد الميلاد فشمّر هؤلاء الاشاوس قاهرو الصحارى عن سواعدهم واخذوا يبنون حياة جديدة في عالمهم الجديد ، مستغلين الزراعة والتجارة وتربية المواشي في بناء عالمهم الجديد ، فتمكنوا من وضع أسس اعظم حضارة عرفها تاريخ الانسان القديم ، سالكين نفس الاساليب التي سلكها المهاجرون الى امريكا في تشييد حضارتهم التي مازالت قائمـــة في عصرنا هذا •

وتذكرنا هجرات سكان الجزيرة الى الهــلال الخصيب بهجرات النورمان المتوالية من اعالي أوروبا نحو جنوب القارة الاوربية وشرقها في القرن التاسع بعد

(٤١) Margoliouth, "Relations between Arabs and Israelites," p. 11.

الميلاد وفيما بعده وتوغلهم في روسيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا حيث طبعوا بلاد اوروبا بطابعهم الخاص الذي لا يزال الى يومنا هذا موجودا ، مع الفارق ان النورمان انحدروا من الشمال الى الشرق والجنوب والغرب في حين أن سكان الجزيرة صعدوا شمالا وشرقا نحو الهلال الخصيب في آسيا الغربية .

وكانت مستوطنات شعب الجزيرة في عالمه الجديد تؤلف عالما عربيا واحدا يتميز بقوميته العربية تعززه وحدة جغرافية واحدة مترابطة الاجزاء تضم الجزيرة العربية (الأم) وابناءها في البلاد المهاجر اليها (وادي الرافدين وسورية ولبنان وفلسطين الى مصر السفلى) ، وهو عالم متصل مفتوح السبل لاهله ، مرتبط بعضه ببعض بوشائج الاصل السامي العربي ، قائم بذاته ، يتكلم اهله لغة واحدة ، هي اللغة العربية الام : منهم اهل السواحل خبروا البحار ، ومنهم اهل الصحارى (أهل الوبر) احتضنوا البوادي ، ومنهم اهل المدن والقرى (اهل المدر) احترفوا الزراعة والتجارة ، ومنهم الرعاة اصحاب المواشي ، فقد صهرتهم الوحدة الجغرافية في مصير واحد مشترك ، فتعاونوا على الرغم من اختلاف نزعاتهم ، على وضع أسس الحضارة السامية الكبرى .

وقد شمل هذا العالم حضارة ساحل البحر الاحمر والخليج العربي ، ثم حضارة ساحل البحر المتوسط ، فالحضارة الصحراوية البدوية ، ثم الحضارات النهرية : حضارة وادي الرافدين ، وحضارة وادي النيل ، وحضارة وادي الاردن .

وغطى هذا العالم المنطقة الواسعة التي يحدها جبل حمرين والخليج العربي وخليج عمان من الشرق ، وبحر العرب وخليج عدن من الجنوب ، والبحر الاحمر والبحر المتوسط من الغرب ، وجبال طوروس من الشمال . وقد سيطر هذا العالم بجماله على طرق المواصلات الصحراوية ، كما سيطر بسفنه على طريق المواصلات البحرية . وكان كل ذلك قبل ان يشهد الشرق الادنى غزوات الاقوام الآرية غير السامية ، وقبل ان يظهر اتباع موسى على مسرح الاحداث بزهاء الفي عام .

وكان وادي الرافدين امتداداً لجزيرة العرب ، بل كان جزءاً لا يتجزأ منها ، فكان الموئل الرئيس الذي أسست على ضفافه المستوطنات الزراعية ، فاسست الأكديون والعموريون والبابليون والآراميون وكلهم ساميون أصلهم من جزيرة العرب ، أولى مستوطناتهم فيه ، ومن الأمثال المعروفة في بادية العراق قولهم : « نجد أم والعراق داية » ، والمقصود بذلك ارتباط نجد بوادي الرافدين .

وكان النظام القبلي الذي يستند الى العادات والعرف والتقاليد المتوارثة والذي يتولى فيه شيوخ القبائل السلطة هو السائد في هذا المجتمع الواحد ،

اذ كانت تمتد سلطة رؤساء القبائل الى جميع توابعها : بطونها وأفخاذها ، أينما كانوا ، وكانت لهم أنظمة خاصة بالحروب والغزوات التي تنشب فيما بينهم ، يتداولها ويتقبلها الجميع عن طيب خاطر •

والدليل على أن بلاد الشرق الادنى كلها كانت تعرف كوحدة قومية واحدة ترجع الى أصل واحد ، الأصل السامي العربي « ان تسمية (أراميين) كانت تشمل جميع القبائل الساكنة قديما في البلاد الفسيحة الواسعة المحدودة ببلاد الفرس شرقا والبحر المتوسط غربا وبلاد الأرمن وبلاد اليونان في آسيا الصغرى شمالا وحدود جزيرة العرب جنوبا كانت قاطبةمعروفة ببني آرام والأراميين»(٤٢) والأراميون ومعهم أهل الشام الذين كانوا يسمّون أنفسهم بالادوميين عرفهم الآشوريون باسم « العريبي » أي العربي وقد سبقت الاشارة الى ذلك(٤٣) • ويؤكد ذلك الاستاذ موسكاتي مؤيدا الوحدة العربية المتماسكة في تلك العصور فيقول : « إن المناطق الثلاث ــ الجزيرة العربية وسورية ومن ضمنها فلسطين(٤٤) وبلاد ما بين النهرين ــ كلّها تكوّن وحدة جغرافية مترابطة الأجزاء كانت في تلك الأزمان مسرحا رئيسا للنشاط البشري وان الأقوام الذين مثلوا هذه الأحداث المسرحية لعبوا الدور المعد لهم بحكم طبيعة أحوالهم • وقد صهرتهم هذه الوحدة الجغرافية في مصير مشترك بحيث ان أية صدمة أو حركة تصيب القطاع الواحد يمتد انعكاسا الى الاقطار الاخرى ••• وان الأقوام الذين استوطنوا هذه الأصقاع هم الذين رسموا شكل تاريخها وحضارتها في ضوء أحوال بيئتهم الطبيعية • » ثم يضيف الى ذلك قوله « والمنطقة بأسرها كانت مفتوحة مكشوفة امام أهل جزيرة العرب بحيث كان يسهل عليهم التوغل في جميع أنحائها من جميع الجهات ، وهكذا فقد انصبّت عليها موجات الهجرة المتتالية لما تخللته من مغريات الخصوبة ووفرة وسائل العيش • »(٤٥)

---

(٤٢) « دليل الراغبين في لغة الارامين » للقس منا الكلداني ، ص ٧ •

(٤٣) انظر ما تقدم في الفصل الاول « هجرة الارامين الى سورية والعراق » •

(٤٤) يقصد العلماء عندما يتحدثون عن سورية في التاريخ مفهومها الواسع الذي يشمل ــ عدا سورية ــ فلسطين ولبنان وفينيقية وسيناء •

(٤٥) S. Moscati, "Ancient Semitic Civilizations," London, 1957, p 13, 21, 108.

« صلات عرب الجزيرة بخارجها فيما قبل الاسلام » للدكتور محمود الغول، العربي ، ٥٩ (١٩٦٣) ، ٥٨ ــ ٦٢ •

١٢ ـ فلسطين عربية المنشأ في حضارتها وقوميتها وثقافتها

يتضح مما تقدم من عرض للاحداث التي دارت حول الشرق الادنى في تاريخه القديم أن الفترة التي عاشتها فلسطين في الألفين الثالثة والثانية قبل الميلاد هي فترة عربية بحتة في قوميتها وثقافتها ولغتها ، ولا توجد لعصر موسى واليهود الذي يأتي بعد أكثر من ألفي سنة من حياة فلسطين العربية هذه أية صلة بهذا العصر القديم كما سيأتي شرحه مفصلا في الفصول التي تلي • إن فلسطين نشأت عربية منذ أكثر من خمسة الاف عام ، سكنها أول من سكنها الكنعانيون العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية ، وذلك قبل ظهور موسى واتباعه باكثر من ألفي عام كما تقدم • والكنعانيون ــ العرب ــ هم سكانها الأصليون الشرعيون بدليل احتفاظهم حتى يومنا هذا باسم بلادهم الأصلي « فلسطين » التي عرفت به منذ هجرة « الفلستينيين » الى سواحل أرض فلسطين واندمجوا مع الكنعانيين[٤٦] • وهذه (أورشليم) المدينة المقدسة مدينة كنعانية عربية المنشأ في تسميتها وقوميتها[٤٧] •

أفلا يحق لنا بعد كل ما تقدم أن نسأل اولئك الذين يتمسكون بارجاع تاريخ عصر موسى واليهود الى عصور فلسطين القديمة : أين دور اليهود من أحداث تلك العصور ؟ ••• أين حضارتهم ؟ أين ثقافتهم ؟ ••• أين الدليل على مساهمتهم بحضارة الكنعانيين والعموريين والأراميين والأكديين والبابليين؟ ••• أين كانوا حين نزح هؤلاء من الجزيرة العربية الى بلاد الهلال الخصيب وأسسوا مستوطناتهم وحضاراتهم فيها ؟ ••• وكيف نسمح لأنفسنا أن نحشر هذه الجماعة في أحداث هذه الفترة من تاريخ فلسطين من غير أن يكون لها وجود فيها ؟ ••• هذه أسئلة يفرضها البحث في تاريخ فلسطين القديم ونترك الاجابة عليها الى أولئك الذين لا يزالون يصرون على حشر اليهود في أحداث لم يكن لهم وجود فيها لا من قريب ولا من بعيد ••••

١٣ ـ اسماء مدن فلسطين كنعانية عربية الاصل

ومن المهم ذكره أن معظم المدن والقرى والمناطق الفلسطينية التي اعتبرها

---

(٤٦) انظر ما تقدم عن هجرة الفلستينيين في الفصل الاول •

(٤٧) انظر الملحق الاول « أورشليم في أقدم عهودها » •

اليهود خاصة بهم وتحدثوا عنها وكأنها مدنهم القديمة لمجرد ورود ذكرهـا في التوراة نمت وازدهرت قبل عهد موسى واليهود بعشرات من القرون ، وقد حافظت على أسمائها الكنعانية القديمة حتى هذا اليوم ، ويرجع بعضها حسب تقدير العلماء الى ما قبل سبعة آلاف عام ، فبلدة « أريحا » مثلا أرجع الخبراء تاريخها الى سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد ويعدّها البعض أقدم مدينة في العالم مـا زالت قائمة حتى اليوم[٤٨] وقد سبقت الاشارة الى ذلك • وهذه «أورشليم» المدينة المقدسة ، مدينة كنعانية عربية المنشأ في تسميتها وفي قوميتها وفي ثقافتها ، وكلمة « صهيون » كلمة كنعانية الأصل كانت تطلق على رابية من أورشليم كان قد تحصن بها اليبوسيون أبناء عمومة الكنعانيين العرب سكان اورشليم الأصليون وحتى اسرائيل كانت اسم موضع في فلسطين يرجع الى ما قبل عصر موسى واليهود •

وقد عثر على جدران هيكل بلدة طيبة المصرية على جدول بأسماء ١١٨ مدينة كنعانية يعتقد انها المدن التي افتتحها تحوطمس الثالث (١٥٠٣ ــ ١٤٤٩ ق•م•)[٤٩] ، وهذا يعتبر أقدم ذكر للمدن الكنعانية اذا استثنينا ذكر بعضها في وصف حملات الفراعنة الأقدمين على بلاد كنعان التي ترجع الى الألـف الثالثة قبل الميلاد •

ويحاول الصهيونيون اليوم إحياء الأسماء القديمة في فلسطين المحتلـة باعتبارها أسماء عبرية (يهودية) والحقيقة هي أن هذه الأسماء كلها ومن ضمنها أورشليم والقدس أسماء كنعانية عربية الأصل حتى كلمة صهيون واسرائيـل اللتين اتخذوهما شعارا لتصميمهم العدائي ضد أهل فلسطين العربية هما كلمتان كنعانيتان عربيتا الاصـل كما تقدم ولم يستطع اليهود تغيير الأسماء ، لأنه لم تكن لديهم لغة خاصة بهم في تلك العصور لتحويلها اليها • فاللغة التي اقتبسوها في فلسطين هي الكنعانية لغة سكان البلاد الاصليين ولم تكن اللهجة العبريـة (اليهودية) المأخوذة من الارامية قد تكونت بعد •

(٤٨) W. Keller, "The Bible as History" p. 159; J. Garstang and J.F E. Garstang, "The Story of Jericho", 1948; K. Kenyon, "Earliest Jericho", Antiquity, Vol. 33, 1959, pp. 5-9.

(٤٩) انظر ما تقدم عن هجرة الكنعانيين فى الفصل الاول •

وهنا لابد من توضيح نقطة مهمة فيما يخص دور العبرية في تطور الثقافة الفلسطينية ، وعلينا قبل كل شيء أن نفرّق بين اللغة وبين الكتابة أو الخط : فالرأي المتفق عليه هو انه ليس لليهود أية لغة أو لهجة خاصة بهم ، لأن الموسويين عندما جاؤا الى فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد أخذوا بالثقافة الكنعانية بما فيها اللغة الكنعانية والشعائر الدينية ـ الثقافة التي كانت قد نمت وازدهرت على ايدي الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين منذ الألف الثالثة قبل الميلاد • ثم بعد أن انتشرت الارامية ، وهي من اصل عربي مثل الكنعانية ، اقتبسها اليهود مع بقية الاقوام ، وباللهجة المعروفة بارامية التوراة دونت التوراة في الاسر في بابل وفي عهد الاخسينيين ، وبقيت هذه اللهجة مقتصرة على الكتب المقدسة • أما الكتابة العبرية القديمة فقد نمت من مصدرين ، من الكتابة السامرية وهي من الابجديات التي تفرعت من الأبجدية السينائية ولا يزال السامريون يستعملونها حتى هذا اليوم ، ثم من الكتابة التي ظهرت على سكة النقود التي ترجع الى العهد المكابي • والى جانب ذلك اتخذ اليهود الحرف المسمّى بالحرف المربع الذي دونت به التوراة ، وهو مقتبس من الابجدية الارامية ولا يزال يستعمل في الكتابة العبرية (اليهودية الحديثة)[٥٠] •

فيتضح مما تقدم أن اليهود أخذوا ولم يسهموا في شيء في تقدم الحضارة، وليس لهم أي تراث قومي خاص بهم ، فاللهجة التي دونوا بها التوراة والمقتبسة من الأرامية لم تكن من اللغات الحية ، إذ بقيت مقتصرة على الكتب المقدسة ، وليس ثمة أي دليل على أنها انتشرت كلغة التخاطب حتى بين اليهود أنفسهم ، لقد أخذ اليهود بلغات الأقطار التي استقروا فيها واستعملوا الحروف العبرية في الكتابة في أكثر الأحيان • لذلك ان ما ورد من أسماء أشخاص وأماكن فلسطينيه في التوراة هو من أصل كنعاني عربي ولا يمكن باي حال من الأحوال اعتبارها أسماء عبرية بمعنى يهودية لأن اللهجة التي اتخذها اليهود في كتابة توراتهم ، أي ارامية التوراة لم تكن قد تكونت بعد • فالثقافة الكنعانية بما فيها الديانة الكنعانية وشعائرها بقيت هي السائدة في البلاد حتى في زمن داود وسليمان وفي زمن ملوك الانقسام •

---

(٥٠) Diringer, "Writing," p. 128.

الفصل الثالث

التوراة والديانة اليهودية

التوراة والديانة اليهودية

١ـ تمهيد ٠ ٢ـ العهد القديم من الكتاب المقدس (التوراة) ٠ ٣ـ السنهدرين (المجمع الديني الاعلى) ٠ ٤ـ فئة من اليهود لا تعترف بغير الاسفار الخمسة الاولى من التوراة ٠ ٥ـتاريخ التوراة ، لغتها ، مكان وزمان ظهورها ٠ ٦ـ أقدم الآثار الخطية للتوراة ٠ ٧ـترجمة التوراة الى اللغات الاوربية واللغة العربية ٠ ٨ـ قوانين الحرب فى التوراة ٠ ٩ـتحريف التوراة الاصلية ٠ ١٠ـ هل كان اليهود أول من قال بعقيدة التوحيد ؟ ١١ـ دعوة اخناتون فرعون مصر لعبادة الاله الواحد ٠ ١٢ـوحدانية عاموس ٠ ١٣ـ التلمود ٠

١ ـ تمهيد

يتفق الباحثون عموماً على أن التوراة التي تمثل الديانة اليهودية مقتبسة من اصول قديمة ، وهي تعتمد على ثقافة الكنعانيين والبابليين بالدرجة الاولى ، ومع أنها تركز على تاريخ اليهود فهي تنقل في خلال عرضها للحوادث معلومات جغرافية وتاريخية مهمة عن أسماء المدن والاماكن والشخصيات الكنعانية القديمة في فلسطين كما كانت عليه قبل غزو قوم موسى اياها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، لذلك يتحتم علينا عرض نبذة عن تاريخ التوراة والديانة اليهودية :

١ ـ الديانة اليهودية

تقوم الديانة اليهودية[1] على مصدرين ، أولهما المصدر الاساس وهو

(١) نقول اليهودية ولا نقول الاسرائيلية لان اليهود ودورهم فى التاريخ كما نفهمه هم غير بني اسرائيل الذين يرجعون الى عهد ابراهيم الخليل كما سنوضح ذلك فيما يلي ٠

التوراة ويعرف أيضا بالعهد القديم او العهد العتيق لتمييزه عن العهد الجديد (الانجيل) ، والعهد القديم مقدس عند اليهود وعند المسيحيين على السواء ويعتبر جزءاً من الديانة المسيحية ويسمّى كلا العهدين ، العتيق والجديد ، « الكتاب المقدس » . امّا المصدر الثاني فهو « التلمود » ومعناه التعاليم أو الشرح والتفسير ويشتمل على مجموعة الشرائع اليهودية وشروح وتعليقات على التوراة وضعها علماء اليهود الأحبار والحاخامون بعد المسيح فبنوا عليها سنناًوآداباً صارت على مر الزمن محل تقديس عند اليهود كالتوراة . لذلك لم يرد أي ذكر للتلمود لا في الأناجيل ولا في الحوار بين المسيحيين والفرق اليهودية ، كما أنه لم يرد ذكر للتلمود لا في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية .

٢ ـ العهد القديم من الكتاب المقدس (التوراة)

ويتألف العهد القديم من الكتاب المقدس أو ما يسمّى بالتوراة وبالعبرية « توره » أي « الهدى والارشاد » ، من ٣٩ سفراً ويقسم الى ثلاثة أقسام ، القسم الأول منه يتألف من خمسة أسفار ، وهي :

١ ـ سفر التكوين	Genesis
٢ ـ سفر الخروج	Exodus
٣ ـ سفر اللاويين	Leviticus
٤ ـ سفر العدد	Numbers
٥ ـ سفر التثنية	Deuteronomy

وقد أطلق على هذه الأسفار الخمسة الأولى اسم « كتب موسى الخمسة » وقد سميت باليونانية (Pentatichus) « پنتاتيك » ، أي الكتاب ذو الأسفار الخمسة ، وقد انتقلت هذه اللفظة الى اللاتينية والى معظم اللغات العصرية . وتطلق أحيانا لفظة « التوراة » على الاسفار الخمسة باعتبارها في بعض المذاهب الأسفار التي تعود الى عهد موسى . وقد نسق العهد القديم على أساس تسمية كل سفر حسب محتواه ، فسمّي السفر الأول « التكوين » لأنه يصف الخليقة وبدء العالم والشعب المختار بنوع خاص ، ودعي الثاني سفر الخروج لأنه يتحدث عن خروج من سمي ببني اسرائيل من مصر والوحي

على جبل سيناء وقد دونت أحكام الشـريعة ومن ضمنها الوصايا العشـر في الاصحاح العشرين من هذا السفر[٢] • والثالث ، سفر اللاويين ، يحتوي على طقوس الكهنة أبناء لاوي • وأطلق على الرابع اسم « سفر العدد » لما تضمنه من احصاءات الشعب المختار • وتنتهي هـذه المجموعة بـ « سـفر تثنية الاشتراع » الـذي يبـدو كتكرار وتتمة لشريعة موسى • وقد تضمـن السفران الاخيران وصفاً للفتح الذي تم على يـد النبي موسـى في الجانب الشرقي من الاردن وتوزيع الاراضي المستولى عليها على سـبطين ونصف سبط • وقد جاءت هذه المجموعة على مزيج من القصص والشرائع تربـط سياق الحوادث منذ خلق العالم حتى موت موسى •

أمّا القسم الثاني وهو المسمّى « نبيّيم » أي الأنبياء فيشـتمل على مجموعتين الأولى خاصة بالأنبياء الأوّل والثانية بالأنبياء المتأخرين ، وتتناول الأولى تاريخ بني اسرائيل من دخول يشوع فلسطين حتى هدم الهيكـل ببيت المقدس وهي الأسفار :

١ ــ سفر يشـوع ويحتوي على تفاصيل توغل الموسويين في فلسـطين (الجانب الغربي من الاردن) وتقسيم الأراضي التي تم فتحها على تسـعة أسباط ونصف •

٢ ــ سفر القضاة ــ ويشمل عهد القضاة بين موت يشـوع وولادة صموئيل •

---

(٢) الوصايا العشر :

انا الرب الهك : لا يكن لك آلهة اخرى امامي (خر ٢٠ : ٢ــ٣) •

لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما (خر ٢٠ : ٤) •

لا تنطق باسم الرب الهك باطلا (خر ٢٠ : ٧)

أذكر يوم السبت لتقدسه (خر ٢٠ : ٨)

أكرم أباك وأمك (خر ٢٠ : ١٢)

لا تقتل (خر ٢٠ : ١٣)

لا تزن (خر ٢٠ : ١٤)

لا تسرق (خر ٢٠ : ١٥)

لا تشهد شهادة زور (خر ٢٠ : ١٦)

لا تشته بيت قريبك (خر ٢٠ : ١٧) •

٣ ـ ٤ ـ سفر صموئيل الأول والثاني ـ الأول خاص بتاريخ صموئيل وشاؤل والقسم الأول من عهد داود والثاني خاص بحكم داود ٠

٥ ـ ٦ ـ سفرا الملوك الأول والثاني ـ ويبحثان عن الفترة من موت داود حتى بدء السبي البابلي ٠

٧ ـ ٨ ـ سفرا أخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثاني ـ وهما كناية عن وثائق غير مصنفة وسلالات نسب وأجزاء روائية من آدم حتى بداية عهد قورش ٠

والمجموعة الثانية الخاصة بالأنبياء المتأخرين تتألف من ١٤ سفراً هي اشعيا وارميا وحزقيال ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي ٠

وامّا القسم الثالث فيسمّى « كتوبيم » (الكتابات والاشعار) ويتألف من اثني عشر سفراً وهي : مزامير داود وأمثال سليمان وأيوب ونشيد الانشاد وراعوث وهوشع ومراثي أرميا والجامعة واستير ودانيال وعزرا ونحميا ٠

وعلى هذا يكون العهد القديم مؤلفاً من ٣٩ سفراً ومقسماً الى ثلاثة أقسام هي : البنتاتيك والنبيّيم والكتوبيم ٠

وتعتبر الديانة اليهودية ديانة كهنوتية إذ كان الكهنة ، بتفسير التوراة ذاتها ، الواسطة بين اليهود والههم يهوه ، وهم الدين ينفذون الشريعة ويوجهون الشعب اليهودي في ممارسة شعائرهم الدينية ، وكانت وظيفة الكهان عندهم وراثية حيث حصرت في نسل هارون وهم اللاويون على قول التوراة[٣] ٠ وقد لعب مجمعهم الديني الأعلى المسمّى بالسنهدرين دوراً رئيساً في حياة اليهود الدينية والاجتماعية والسياسية في الفترة التي تلي رجوع اليهود من السبي البابلي وخاصة ما يتعلق بمحاكمة السيد المسيح ٠

٣ ـ السنهدرين (المجمع الديني الاعلى)

« السنهدرين » وفي بعض الأحيان يكتب خطأً بالميم (سنهدريم) هو المجمع العلمي الديني الأعلى عند اليهود ٠ أصل الاصطلاح يوناني بمعنى

(٣) خر (الاصحاح ٨) ؛ عد (الاصحاح ١٦) ٠

المجلس ، ظهر في زمن خلفاء الاسكندر في أورشليم حيث كانت المنطقة اليهودية بعد الرجوع من السبي بين المد والجزر فتارة كانت تقع تحت نفوذ البطالسة في مصر وتارة أخرى تكون تابعة لسلطة السلوقيين في سورية ، واستمرت الحالة كذلك حتى ظهر المكابيون ثم الرومانيون على مسرح الأحداث • وقد بقي السنهدرين قائماً في العهد الروماني حتى ألغي سنة ٧٠ م • عندما هدمت أورشليم وهيكلها فانتقل أعضاؤه الى بلدة « يبنة » قرب يافا ومن « يبنة » الى طبرية • وفي عهد الانبراطور أنتونينس پيوس (١٣٨ ــ ١٦١ م) اعيد تشكيل السنهدرين في الجليل في بلدة « أوشا » وقد بقي منصب رئاسة السنهدرين وراثياً في عائلة هليل أكثر من ثلاثة قرون •

ويحاول الكتاب اليهود أن يجعلوا بداية وجود السنهدرين على الأقل بعد الرجوع من السبي ، أي ارجاعه الى أواخر القرن السادس قبل الميلاد ، وحسب التقليد اليهودي أن أول سنهدرين كان في عهد موسى عندما دعا موسى السبعين رجلاً ليعملوا معه لما قام أتباعه يتذمرون ويطلبون العودة الى مصر[٤] • وكانت تتمثل في السنهدرين فئتان ، الفئة الأولى (سادوسي) وهي الفئة المتمسكة بتعاليم الدين ومهمتها حمل الناس على الزهد والتعبد ، والفئة الثانية وتسمّى (بيروشيم) وهي التي تدفع الناس الى ناحية العمل والكسب والإثراء ليصبح الشعب اليهودي ذا قوة مادية •

وكانت صلاحية السنهدرين تضيق وتتسع من وقت الى آخر حسب مراد الرومان بعد احتلالهم لسورية سنة ٦٤ ق•م• وقد منح الرومان السنهدرين صلاحيات دينية واجتماعية واسعة شريطة عدم تأثير ذلك على المصالح السياسية الرومانية • والسنهدرين هو الذي حاكم السيد المسيح فصلب سنة ٢٩ ب•م• على ماجاءت به الأخبار[٥] • وكان السنهدرين عندئذ في أقصى ما وصل اليه من نفوذ وصلاحيات • وكان يتألف حينذاك من ٧١ عضواً وكلهم من كبار الكهنة والشيوخ وأشهر الحاخامين ، وكان يحصل النصاب فيه بحضور ٢٣ عضواً ولما عيّن « غابينوس » أول وال روماني على

---

(٤) عد ١١ : ١٦ ــ ١٧ ، ٢٤ •

(٥) مرقس ١٤ : ٥٣ ــ ٦٤ ؛ متى ٢٦ : ٥٦ ــ ٦٨ •

سورية سنة ٥٧ ق٠م٠ قسم المنطقة اليهودية الى خمسة أقسام وأقام في كل منها سنهدرين محلي مؤلف من سبعة أعضاء وقد سمّي السنهدرين الرئيس في أورشليم السنهدرين الأعلى تمييزاً له عن الهيئات المحلية(٦)

٤ ـ فئة من اليهود لا تعترف بغير الأسفار الخمسة الاولى من التوراة

ومما يذكر أن هناك فئة قليلة من اليهود لا تعترف من التوراة بغير أسفار موسى الخمسة ، وتعرف هذه الفئة بالسامريين نسبة الى السامرة وهم يسكنون في نابلس (شكيم القديمة) ، عندهم نسخة قديمة من الأسفار الخمسة على رق يدعون بأنها ترجع الى ما قبل عهد المسيح ، ورفضوا كل ما عداها وتمسكوا بها حتى اليوم ٠ وقد استقل هؤلاء بكيانهم الديني ، وقد أراد اليهود أن يخرجوهم من حظيرة اليهودية فلم يفلحوا ، وقد أنشأوا لهم هيكلاً خاصاً بهم على جبل « جرزيم » عند نابلس واعتبروه بمثابة « جبل الطور » ٠ وتحوّل هذا الى عداء سافر استمر قروناً حتى راحوا أحياناً يعينون من يريد ضرب اليهود من الغزاة ٠

ويعتقد أن هؤلاء السامريين هم من بقايا الجماعات التي نقلها الآشوريون من بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب ليحلّوا محل اليهود الذين تم سبيهم الى أماكن بعيدة فاختلطوا مع اليهود الباقين وتكونت منهم هذه الفئة المسماة بالسامريين أو السامرة كما سماهم بعض المؤرخين ٠ وقد تم انعزال هذه الطائفة عن المجتمع اليهودي كلياً بعد رجوع اليهود من السبي البابلي فحرّمت التزاوج مع اليهود والاختلاط معهم ، ولا تزال بقايا من هذه الطائفة موجودة حتى هذا اليوم في نابلس وهم لا يتجاوزون المئتي نسمة ولغتهم هي اللغة العربية(٧) ٠

وفي رواية للبيروني المتوفى سنة ٤٤٠ هـ ٠ (١٠٤٨ م) ان السامريين أعانوا نبوخذنصر ودلّوه على نقاط الضعف عند اليهود حين غزا مملكة يهوذا

---

(٦) انظر :

S.B. Hoenig, "The Great Sanhedrin", "Sanhedrin," Ency. Brit. (1965, 19:946A; Rabbi M.A. Gutstein, "Sanhedrin," in Collier Encyclopedia (1957), Vol. 17, p. 324.

(٧) Hitti, "History of Syria," pp. 197-198.

وسبى اليهود الى بابل لذلك لم يمسهم بأي أذى ، فقال في ذلك ما هذا نصه :

« السامرة هم المعروفون باللامساسية وهم الأبدال الذين بدلهم بختنصر بالشام حين أسر اليهود .. وكانت السامرة أعانوه ودلوه على عورات بني اسرائيل فلم يحركهم ولم يقتلهم ولم يسبهم وأنزلهم فلسطين من تحت يده ... وعامتهم يكونون بموضع من فلسطين يسمى نابلس وبها كنائسهم ... ولا يمسهم الناس و مسوهم اغتسلوا ولا يقرون بنبوة من كان بعد موسى من أنبياء بني اسرائيل »[8] .

وفي الاستطلاع الذي قامت به مجلة العربي المنشور في العدد ٢٩ (نيسان ١٩٦١) مع صور لجبل جرزيم وأسفار موسى الخمسة آخر معلومات عن هذه الطائفة جاء فيها ما هذا نصه :

« وتقيم في مدينة نابلس طائفة السامريين ، وهي طائفة كانت دوماً في تاريخها القديم في صراع مع اليهود ومع الرومان . وقد قاموا بثورات زمن الانبراطور زينو (٤٧٤ - ٤٩١ م) فطردهم من مقرهم في جبلهم المقدس جرزيم وبنى فيه كنيسة ، وثاروا زمن الانبراطور جوستنيان فنكل بهم ، ودمر معبدهم ، وأقام كنائس في المدينة ، فهرب بعضهم الى ايران ، واعتنق البعض الآخر المسيحية .

« وبعد الفتح العربي عاد السامريون الى نابلس وعاشوا في أمان ، وعادوا يقيمون طقوسهم بحرية تامة .

« وطائفة السامريين من أقل الطوائف على وجه الأرض عدداً ، إذ يبلغ مجموع أفرادها ٣٣٧ شخصاً بين ذكور واناث . وقد مر عليهم وقت غير بعيد لم يكن يزيد عددهم فيه عن ١٠٠ نفس متفرقين في قرى مختلفة . وقبل ٣٥٠ سنة لم يكن قد بقي منهم سوى خمسة ذكور وخمس اناث لاغير ، فجمعهم الكاهن صدقة في نابلس بعد أن كانوا يعيشون متفرقين في دمشق وغزة ومصر . ويرى السامريون أنهم ورثة بني اسرائيل جميعاً وحماة التوراة العاملون بتعاليمها ووصاياها العشر وان الله قد اختارهم لذلك ، وانهم هم البقية الباقية من أولاد يعقوب عليه السلام .

---

(٨) « الآثار الباقية في القرون الخالية » ، طبعة لبزيك ١٩٣٢ ، ص ٢١ .

« وتقوم عقيدة السامريين على خمسة أركان : وحدانية الله ، ونبوّة موسى عليه السلام ، وقداسة جبل جرزيم ، والايمان بأن التوراة (الخمسة أسفار الأولى من العهد القديم) منزلة من الله ، والايمان بيوم الدينونة والبعث وانه لاريب فيه » .

والغريب هنا أن هؤلاء السامريين يرجعون أصلهم ، مثل ما فعل اليهود ، الى يعقوب (اسرائيل) في حين أنهم ، كما تؤكد المظان التاريخية ، من بقايا الأقوام التي حلّت محل اليهود المسبيين كما أن اليهود هم من بقايا قوم موسى المصري الأصل ، وفي الفقرات الآتية شرح لذلك .

وهناك فرقة يهودية مؤلفة من طبقة الكهنة وبعض الكتبة تسمّى بالصدوقيين نسبة الى رائدهم الأول « صدوق » قد ظهرت في زمن السلوقيين، وهؤلاء لا يقرون ما يأتي به الشيوخ والكتبة مما هو خارج عن الوحي المدوّن في أسفار التوراة الخمسة المنسوبة لموسى ، ويقولون علينا أن لا نراعي الا ما ورد في النص المدوّن ولا نأخذ بما جاءت به التقاليد الشفوية الموروثة من الآباء والأجداد ، وهم في ذلك يتفقون مع السامريين على صعيد واحد[٩] .

٥ ــ تاريخ التوراة ، لغتها ، مكان وزمان ظهورها

إن البحث في هذا الموضوع يحتاج أولا الى توضيح نقطة مهمة تدور حول استعمال مصطلح بني اسرائيل كما جاء في التوراة : فالتوراة اعتبرت بني اسرائيل الموضوع الرئيس الذي ترتكز عليه جميع الحوادث الواردة فيها ، وقد عدّتهم موجودين في كل زمان وفي كل مكان حتى في الأدوار التي سبقت ظهورهم الى عالم الوجود ، فقد اعتبرت وجودهم في دور ابراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد قبل أن يخلق يعقوب (اسرائيل) ، كما أنها اعتبرت وجودهم بعد عهد أبيهم يعقوب بحوالي ستمائة سنة ، أي في عهد موسى عندما نزحت جماعته الى أرض فلسطين من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ثم اعتبرت وجودهم في جميع الأدوار التالية من ضمنها عهد الملوك وعهد الانقسام وما تلا ذلك . وحتى يهود اليوم هم على رأي التوراة نفس أبناء

---

(٩) انظر : « بروتوكولات حكماء صهيون » للاستاذ عجاج نويهض ، م ٢ ، ص ٩٨ــ١٠١ ، ١٣٤ــ١٣٥ .

يعقوب الذي عاش قبل ٣٧٠٠ سنة . وما أغرب هذا المنطق !..

أما اذا أردنا تتبع الأدوار التاريخية حسب تسلسلها الزمني فيتوجب علينا التمييز بين عصر ابراهيم الخليل ويعقوب (اسرائيل) وبين زمن قوم موسى وبين زمن مملكة يهوذا الذين جاء اسم « يهود » منهم ، وذلك حسب أدوارهم كما ذكرهم القرآن الكريم بهذه التسميات الثلاث . فابراهيم الخليل عاش في القرن التاسع عشر قبل الميلاد وكانت اللغة في زمنه لغة واحدة (اللغة الأم) يتكلّم بها أبناء الجزيرة العربية المنتشرون في أنحاء الشرق الأدنى ، وذلك قبل أن تتفرّق هذه اللغة الى اللهجات الكنعانية والأرامية والعبرية وغيرها . وهكذا كانت لغة العشائر الأرامية التي كان ينتمي اليها ابراهيم الخليل هي نفس اللغة التي كان يتكلم بها الكنعانيون وهي قريبة جدا من اللغة الأم قبل أن تنفصل الى عدة لهجات . وأما حفيده يعقوب (اسرائيل) فالارجح أنه كان يتكلم بنفس اللغة الكنعانية الأرامية وهو أرامي مثل ابراهيم بحكم النسب . كما أنه من الأرجح أن أبناء يعقوب في زمن يعقوب كانوا يتكلّمون نفس اللغة الكنعانية الأرامية . وهذا هو الدور الذي يمكن تسميته بالدور الاول الذي عاش فيه ابراهيم الخليل وحفيده يعقوب . وهؤلاء كلهم كانوا يدينون بدين ابراهيم عليه السلام . وقد انتهى هذا الدور بعد أن هاجرت أسرة يعقوب الى مصر وانضمت الى يوسف على قول التوراة ، فاندمجت وذابت في البيئة المصرية كلياً . إذ لا يمكن ان تتصوّر أسرة تهاجر الى بلد غريب عن وطنها الاصلي وتمكث ستمائة عام في هذا البلد الجديد دون ان تنصهر في البيئة الجديدة وتذوب فيها كليا(١٠) .

ثم جاء الدور الثاني بعد حوالي ستمائة عام هو دور موسى وجماعته عندما نزحت هذه الجماعة الى أرض كنعان،وهذه هي حملة مصرية مؤلفة من جماعة من المصريين ومن بقايا الهكسوس يدينون بدين التوحيد الذي ورثوه عن اخناتون فرعون مصر ، فاضطروا تحت ضغط الوثنيين واضطهادهم اياهم الى الهرب من مصر والتوجّه الى أرض كنعان . ويمكن أن نطلق على هذه الجماعة اسم « قوم موسى » كما ورد اسمهم في القرآن الكريم ، وهؤلاء بطبيعة الحال

---

(١٠) انظر الشرح الذي يلي حول ذلك في الفصل الخامس « عصر ابراهيم واسحاق ويعقوب (أسرائيل) » .

كانوا يتكلمون باللغة المصرية وبها كلمهم موسى على وجه التاكيد ، وقد نسبت التوراة هذه الحملة الى بني اسرائيل بغية ربط هذه الجماعة بيعقوب وبابراهيم الخليل ، كما نسبت موسى الى كهنة بني لاوي ابن يعقوب (اسرائيل) في حين ان الرأي الغالب لدى الباحثين في هذا العصر هو ان موسى كان قائداً مصرياً في بلاط اخناتون يدين بدين التوحيد الذي دعا اليه اخناتون ، ورواية التوراة نفسها تشير الى أن موسى تربى في بلاط فرعون واتخذته ابنة فرعون ابناً لها (خر ٢ : ١٠) ، ثم تزوج من امرأة كوشية (اثيوبية) (عد : ١٢ : ١)، فلو كان أبناء لاوي في الوجود في زمنه لتزوج من إحدى بنات عمومته . ومن الثابت لدى العلماء ان اسم موسى اسم مصري صميم تسمى به أباطرة عصر الانبراطورية : أحمس أو أح موسى ، تحوتمس أو تحوت موسى ، رعمسيس أو رع موسى . وقد تسمى باسم موسى أبناء ذلك العصر الذي عاش في غضونه موسى عليه السلام .

وتقول التوراة ان شريعة موسى نزلت في جبل سيناء « وهي من صنع الله ومنقوشة على لوحي حجر مكتوبين على جانبيهما باصبع الله ، وقد كتبها الله بيده مرة ثانية بعد أن ألقى موسى بهما على الارض وكسرهما بسبب غضبه لمّا شاهد قومه يعبدون العجل ويرقصون حوله[11] . ولكن أصل الشريعة التي كتبت على لوحي الحجر اختفت ولم يبق لها وجود . اما لغة هذه الشريعة فالارجح عندنا أنها كانت اللغة المصرية ، وهي لغة قوم موسى ، وقد كتبت بالهيروغليفية التي كان موسى قد أتقنها في البلاط الفرعوني .

وقد ورد ذكر لوحي التوراة الموسوية في أخبار المعركة التي دارت بين قوم موسى والفلستينيين في منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد والتي انتصر فيها الفلستينيون على الموسويين ، ومما ورد في هذه الاخبار أن الفلستينيين استولوا على تابوت العهد الذي كان يحوي اللوحين المذكورين ثم ردّوه الى الملك داود ووضعه سليمان في الهيكل ولم يعرف مصيره بعد ذلك[12] . وتابوت العهد هذا حسب المآثر الاسرائيلية خزانة من الخشب مكسوّة بالذهب اعتبرها

---

(١١) خر ٣١ : ١٨ ؛ ٣٢ : ١٥-١٦ ، ١٩ ؛ ٣٤ : ١ .

(١٢) انظر ما تقدم عن هجرة الفلستينيين في الفصل الاول .

الموسويون رمزاً لوجود الله وقد اودع فيها اللوحان الحجريان اللذان نقشت عليهما الشريعة وأشياء دينية أخرى وصارت هذه الخزانة تشغل أقدس جزء من طقوسهم الدينية ووجودها بين ظهرانيهم يكفل النصر لهم ، لذلك كانوا يحملونها معهم في رحلاتهم وفي معاركهم على أعمدة طويلة[١٣] .

وقد ورد في التوراة أيضاً أن موسى تلقى الوصايا وأحكام الشريعة التي أوصى بها الرب في عربات موآب فكتبها وسلّمها للكهنة[١٤] . ونستخلص من ذلك أن أحكام هذه الشريعة كتبت بيد النبي موسى نفسه ، وهي غير الشريعة التي كتبت بيد الله على الحجر على قول التوراة ، ولعلها كتبت على رق من رقوق البردي التي كان يستعملها المصريون في كتابتهم . أما اللغة التي كتبت بها فعلى الارجح أنها نفس اللغة المصرية التي كتبت بها الشريعة على لوحي الحجر ، الا انه لم يعثر على أي أثر لكلتي الكتابتين .

وقد أخذت جماعة موسى بعد استقرارها في فلسطين بالحضارة الكنعانية وتقاليدها وعاداتها كما أخذت بلغتها الكنعانية،لذلك نجد التوراة عندما تتحدث عن لغة هذه الجماعة التي تسميها ببني اسرائيل في حين انها أبعد ما تكون عن بني اسرائيل الذين عاشوا قبل حوالي ستمائة عام،«شفة كنعان»[١٥]،أي لسان كنعان. وكان هؤلاء الموسويون يستعملون حروفاً فينيقية قديمة في كتابتهم ثم أخذوا يكتبون بالخط السامري . أما لغتهم التي صارت تسمّى بالعبرية في وقت لاحق فهي احدى اللهجات التي اقتبسوها من الارامية وقد تكونت بعد مرور أكثر من ستمائة عام على دخولهم أرض فلسطين وبها كتبت التوراة في بابل بعد عهد موسى بثمانيمائة عام . وبعد مرور عدة قرون اقتبست هذه الجماعة الكثير من أسس الديانة والعادة الكنعانية وصارت جزءاً من دياناتها ، كما سنوضح ذلك فيما يلي[١٦] ، والدليل على أن اليهود (اتباع موسى) قد أخذوا بتقاليد

---

(١٣) خر ٣٧ : ١-٩ ؛ ٢٥ : ١٠-٢١ ؛ عد ١٠ : ٣٣-٣٦ ؛ تث ١٠ : ١-١٥ ؛ يش ٣ : ٦ .

(١٤) ٣١ : ٩ .

(١٥) C. Rabin, "Hebrew Language," Enc. Brit., 1965. Vol. 2, p. 279.

(١٦) انظر ما يلي في الفصل الرابع ، « التوراة في ضوء المكتشفات الاثارية » .

ومعتقدات الكنعانيين الوثنية في خلال وجودهم في فلسطين بعد عهد موسى ان الملك سليمان نفسه بنى مرتفعات لعبادة آلهة الوثنيين على قول التوراة ، كذلك تؤكد التوراة ان ملوك اسرائيل ويهوذا كانوا يمارسون عبادة الاصنام الكنعانية واستمروا على هذه الحال زهاء ثلاثمائة عام بعد الانقسام مباشرة ، هذا هو الدور الثاني الذي ينحصر بدور قوم موسى في كنعان •

اما الدور الثالث فهو الدور الذي يبدأ بسبي اليهود الى بابل في القرن السادس قبل الميلاد (٥٨٦ ــ ٥٣٩ ق٠م٠) ، وهؤلاء هم بقايا جماعة يهوذا وقد سمّوا باليهود نسبة الى مملكة يهوذا وقد كان لهؤلاء في هذا الدور الاخير النصيب الاكبر في تكوين الديانة اليهودية ، ففي بابل مارس اليهود شعائرهم الدينية وواصل كهنتهم أعمالهم الدينية بتحرير أهم فصول التوراة والتمهيد لتدوين التعاليم اليهودية المعروفة باسم التلمود البابلي ، حتى ليقال ان السبي البابلي كان عاملا قويا في تطوير الديانة اليهودية في القرون التي تلي • وقد وردت كلمة يهود في الكتابات الاشورية وفي القرآن الكريم مما يؤيد صحة وجود هذه الفئة باسم اليهود أوانذاك • وفي هذا الدور بالذات دوّنت أهم فصول التوراة دوّنها الكهنة اليهود باللغة العبرية المعروفة بأرامية التوراة ، وهي مقتبسة من الارامية ، واستعملوا الخط المسمى بالخط المربع وهو مأخوذ من أقدم الاقلام الارامية فحفظوه الى يومنا هذا ويسمى الان بالخط الاشوري المربع • ومما يذكر في هذا الصدد أن هؤلاء الكتبة هم كبار الكهنة والحاخامين اليهود وقد عاصروا مملكة يهوذا في أواخر أيامها قبل السبي الاخير (٥٨٦ ق • م •) ، وكانوا بصفتهم علماء ذلك العصر يحسنون جميع اللغات القديمة ومن ضمنها السومرية ، وكذلك الكتابة المسمارية التي نشأت في جنوب العراق بالاضافة الى الكتابة الهيروغليفية المصرية التي تعلّموها في فلسطين ، وربما كانت في حوزتهم آنذاك نسخة من وصايا موسى الأصلية بالهيروغليفية • فجلس هؤلاء الكهنة وأمامهم الاكداس من الرقم الطينية في شتى المواضيع في مختلف اللغات والخطوط وفي مقدمتها المواضيع الدينية التي كانت تشغل حيّزاً كبيراً من تفكير أقوام تلك العصور • ويبدو لاول وهلة عندما نستعرض مدونات التوراة أن الهدف الاول الذي كان يهدف اليه هؤلاء الحاخامون هو تمجيد تاريخ الزمرة اليهودية التي كانوا يعيشون وسطها وهم منها وجعلها صفوة

الاقوام البشرية والجماعة المختارة التي اصطفاها الرب من دون بقية الشعوب • ولتحقيق هذا الهدف كان لابد من ارجاع أصل هذه الجماعة اليهودية (لا الاسرائيلية) الى أقدس شخصية في التاريخ القديم ، أي ابراهيم الخليل الذي كان صيته قد عمّ جميع أرجاء عالم تلك الأزمان • اما الهدف الثاني فهو تثبيت عقيدة الارض الموعودة على لسان أبراهيم ويعقوب وموسى وهم بريئون منها • وقد حالفهم النجاح في سرد هذا التاريخ حسب أهوائهم ونزعاتهم بلباقة ومهارة لم يسبق لهما نظير في الأدب القديم • وان أصح ما جاء في الحوادث المدوّنة هي الوقائع التي تعود الى العهد الاشوزي الأخير والعهد الكلداني لأنها كانت وقائع قريبة جداً من عصرهم وقد عاشوا فعلا في وسط الوقائع الأخيرة في السبي الاخير • ثم جاء عهد اليونان فاضاف أخلافهم في فلسطين اصحاحي المكابيين الى التوراة ، وهذان الاصحاحان كتبا في الاصل باليونانية ثم ترجما الى العبرية ، ويبحثان في تاريخ فترة المكابيين (١٦٧ ــ ٣٧ ق•م•) ، وكتابات التوراة عن هذه الأدوار المتاخرة تعتبر تاريخا للوقائع السياسية والحروب التي وقعت في الشرق الادنى في العهود الاشورية والبابلية والاغريقية• أما ما ورد في التوراة من مزامير وأمثال وأشعار وشرائع وما الى ذلك من أساطير وقصص فهو مستقى من المصادر الادبية القديمة لمختلف الثقافات التي اطلع عليها كتبة التوراة ومن المعتقدات والتقاليد الاجتماعية التي عاشوها ومارسوها فعلا في فلسطين وفي بابل وهي كنعانية بابلية الاصل •

ويتضح مما تقدم أن التوراة قد كتبت بعد ابراهيم الخليل بألف وثلاثمائة عام وبعد عهد موسى باكثر من سبعة قرون ، وهي بالطبع غير التوراة التي نزلت على موسى في عصر موسى • ويؤكد ذلك لودس في كتابه « اسرائيل » (ص٣٥٩) بقوله : « اننا لا نستطيع أن نؤيد صحة رجوع تاريخ أي قسم من الأسفار الخمسة وحتى الوصايا العشر الى عصر موسى ، لأن ما ورد من روايات في هذه الأسفار قد تعرّض أكثر من بقية أسفار التوراة الى تكرار اعادة التصنيف والى تغيير وتوسيع مستمرين على مر العصور » •

وكان اليهود في بابل يتكلمون اللغة الأرامية بعد أن انتشرت هذه اللغة في جميع البلاد الشرقية واستمروا يتكلمونها ما بينهم بعد عودة بعضهم الى

فلسطين وقد اقتصرت اللهجة العبرية على الكتب الدينية[١٧] .

ويحسن بالقاريء أن يلاحظ تسلسل هذه الأدوار الثلاثة بالقياس الى اللغة والديانة حسب أزمانها عند متابعة هذا البحث ليكون على بيّنة من الزمن الذي ينتمي اليه كل حادث من الاحداث التاريخية ، لأن كتبة التوراة تعمدوا الخلط بين الأدوار التاريخية واهمال التسلسل الزمني فربطوا العصور بعضها ببعض ، وذلك لكي يرجعوا تاريخهم الى عصور لم يكن لهم أي وجود فيها فيلتبس الأمر على القاريء ، وهذه الأدوار هي كما تقدم :

أولا ــ الدور الاول : دور ابراهيم واسحاق ويعقوب ، وترجع حوادثه الى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد ، وهو دور مستقل بذاته ليس له أية صلة بدور النبي موسى أو اليهود أو التوراة ، ولغة هذا الدور اللغة السامية العربية الأم والديانةوحدانية ابراهيم الخليل الخالصة.

ثانيا ــ الدور الثاني : دور حملة النبي موسى المصرية على فلسطين ، وتقع حوادثها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، أي بعد حوالي سبعة قرون من الدور الاول ، ولا صلة لهذا الدور بعصر ابراهيم الخليل ويعقوب (اسرائيل) . لذلك سوف نستعمل تسمية قوم موسى أو موسويين عند الكلام على أتباع موسى الذين سمتهم التوراة بني اسرائيل بقصد ربط صلتهم بابراهيم ويعقوب . ولغة هذا الدور اللغة المصرية في بداية الأمر ثم تلتها الكنعانية التي اقتبسها الموسويون في كنعان ، اما الديانة فوحدانية اخناتون في بداية الأمر ثم الانحراف الى الوثنية .

ثالثا ــ الدور الثالث : دور اليهود وهم كتبة التوراة الحالية ، وتقع حوادثه في القرن السادس قبل الميلاد ، أي بعد عهد موسى بثمانية قرون وبعد عصر ابراهيم الخليل بثلاثمائة وألف عام . وقد ميز القرآن الكريم بين الاسرائيليين واليهود فعندما نزلت الآية الشريفة « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا » لم يرد هنا أسم اسرائيل المرتبط بعصر ابراهيم الخليل . ولغة هذا الدور الارامية لغة التخاطب واللهجة المسماة بارامية التوراة التي كتبت بها التوراة ، اما الديانة فوحدانية « يهوه » الخاصة باليهود فقط .

---

(١٧) Hitti, "History of Syria," p. 223

٦ - اقدم الآثار الخطية للتوراة

إن أقدم نصوص التوراة التي عثر عليها حتى الآن هو بعض أسفار العهد القديم التي تعود الى القرنين الاخيرين قبل الميلاد ، فقد عثر أحد الرعاة العرب من عشيرة التعامره في كهف يقع عند مصب وادي قمران في الساحل الغربي الشمالي من بحر الميت على بعد اثني عشر كيلومترا جنوب أريحا على لفائف



التصوير رقم ٤٨
نموذج من رقوق وادى قمران التى تعود الى القرنين الثانى والاول قبل الميلاد .

اسطوانية من الرقوق مغلفة بقماش قديم من الكتان داخل جرار من الخزف ، وهذه تحتوي على بعض أسفار العهد القديم منها درج كامل لنبوة اشعيا . كما عثر في كهوف أخرى في المنطقة ذاتها على بقايا من هذه الرقوق كان من بينها درج يحتوي على جزء من كتاب اللاويين ومقطوعات كبيرة من رؤيا اورشليم الجديدة ودرج من المزامير ونص لسفر أيوب بالارامية . وقد عثر المنقبون في

زاوية من زوايا أحد هذه الكهوف أيضا على مقاطع من أسفار التكوين والخروج والتثنية ونبوة أشعيا . ويعتقد ان فرقة من اليهود كانت تقيم في هذه المنطقة وكان لهذه الفرقة طقوس دينية خاصة تميزها عن باقي الفرق اليهودية[١٨] . وكان قد عثر على مقدار من هذه الطوامير المشتملة على بعض اسفار العهد القديم في زمن هارون الرشيد في الغور قرب أريحا وقد انتهت هذه الطوامير الى أيدي علماء اليهـود[١٩] .

٧ ـ ترجمة التوراة الى اللغات الاوربية واللغة العربية

ان أقدم ترجمة للتوراة هي الترجمة المعروفة اليوم بالترجمة السبعينية ، وهي المنقولة من العبرية الى اليونانية ، وقد تمت هذه الترجمة في الاسكندرية بمصر في حوالي سنة ٢٥٠ قبل الميلاد تلبية لرغبة بطلميوس فلادلفوس (٢٨٠ ـ ٢٤٧ ق.م.) ، ومما ذكر ان بطلميوس المذكور أوفد وفدا الى الكاهن الأعلى في أورشليم وطلب اليه تزويده بنسخة من التوراة ، كما أنه طلب ارسال من يقوم بترجمتها الى اليونانية من العلماء الكفوئين لهذا العمل ، فاستجاب الى طلب ملك مصر فارسل نسخة من الكتاب مع اثنين وسبعين عالما لانجاز هذه المهمة فسميت الترجمة التي قاموا بها بالترجمة السبعينية . ثم ترجمت التوراة الى اللاتينية في القرن الاول بعد المسيح من الترجمة السبعينية وقد ترجمت الى اللغة الحبشية عام ٣٢٠ للميلاد .ويرى المؤرخون المحققون ان المقصود هنا

(١٨) كان أتباع هذه الفرقة يسمون بـ « الاسينيين » أو « المغتسلين » وقد اعتزلوا المدن وأقاموا رجالا لا نساء بينهم ، في الكهوف والمغاور حول البحر الميت في منطقة قمران ، واتخذوا لهم نظاما سكنيا خاصا بهم أشبه بنظم الرهبان في العصور المسيحية على مبادىء اشتراكية جماعية . وهؤلاء انقرضوا في القرن الاول المسيحي وقت تدمير الرومان للقدس .

(١٩) انظر :

J.A. Sanders, **The Dead Sea Psalms Scroll**, Oxford Univ. Press, 1967.

انظر ايضا :

« بروتوكولات .... » للاستاذ عجاج نويهض ، م ٢ ، ص ٤٥ـ٤٦ و١٣٦؛ « مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران » ، للدكتور أسد رستم ـ هدية المسرة عن سنة ١٩٥٩ ؛ « مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران » للقس جيمس ولبي وابراهيم مطر ، ١٩٥٧ .

بالتوراة هو الأسفار الخمسة الاولى من الكتاب المقدس المنسوبة لموسى . وفيما يلي قصة الترجمة السبعينية كما وردت في كتاب العلامة سارتون « العلم القديم والمدنية الحديثة » (ص ٤٨ ــ ٤٩) ، قال : « فقد جاء في القصة التي قصها اليهودي ارسطياس (Aristeas) أن « ديمتروس الفاليروني » (Demetrios of Phaléron) شرح للملك بطلميوس الثاني ضرورة نقل التوراة الى الاغريقية فبعث برسولين الى رئيس الكهنة في أورشليم للحصول على لفائف عبرية للعهد القديم واصطحاب ستة ممثلين لكل سبط . وقد حظى المطلب الملكي بالقبول وسرعان ما استقر في جزيرة « فاروس » ٧٢ حبراً يهودياً عكفوا على ترجمة الكتاب المقدس ، وهذه الترجمة انجزت بالفعل الى الاغريقية خلال القرن الثالث قبل الميلاد . وترجم غيرها من كتب العهد القديم فيما بعد ، ترجم أكثر هذه الكتب في القرن الثاني قبل الميلاد ولم يترجم آخرها (سفر الجامعة) الا حوالي سنة ١٠٠ بعد الميلاد . ولهذه الترجمة الاغريقية للعهد القديم أهمية كبيرة لأنها أخذت عن نص عبري أقدم من النص العبري الذي وصل الينا فيما بعد » .

اما أقدم ترجمة للتوراة الى اللغة العربية فترجع الى عهد هارون الرشيد فقد ورد في الفهرست لابن النديم (ص ٢٢) أن أحمد بن عبدالله بن سلام الانجيلي هو الذي ترجم التوراة من اللغة العبرانية الى اللغة العربية ويؤكد أنه التزم بالنص حرفيا ولم يزد عليه ولم ينقص منه مخافة التحريف، . وقد ذكر المسعودي في «التنبيه والاشراف» (ص ١١٢ ــ ١١٣) ثلاثة نقول أخرى: الاول لحنين بن اسحاق النسطوري المتوفى عام ٢٦٠هـ (٨٧٣ ــ ٨٧٤م)، وقد اعتمد فيه على الترجمة اليونانية ؛ والاثنان الآخران لحبرين من أحبار اليهود هما أبو كثير المتوفى عام ٣٢٠هـ (٩٣٢م) وسعيد بن يوسف الفيومي المشهور بسعديا جاءون المتوفى عام ٣٣١هـ (٩٤٣م) وقد نقل الاثنان من النص العبري الاصلي[٢٠] ، ولم يبق من كل هذه النقول الا نقل سعديا (طبعة درنبورج ، باريس ١٨٩٣م) والنقل الوحيد الآخر الذي بقي من هذا العهد هو الذي انجز

(٢٠) الظاهر ان هذه النقول قد اشتملت على ما رواه المسعودي على التوراة والانبياء والزبور (مزامير داود) وهي أربعة وعشرون كتابا .

عمله في الاندلس عام ٣٤٥هـ (٩٥٦م) وقد نقل عن اللاتينية • وهناك نقول أخرى متاخرة عن القبطية والسريانية والعبرية قام بها النصارى والسامريون ، فصلها هزرج في مقاله الموسوم بـ:(٢١)

Bibelöbersetzun - Ṙealenzyklopädie gen. Arabiche

وأقدم ترجمة عربية كاملة لكل الكتاب المقدس هي الترجمة التي قام بها يوحنا أسقف اشبيلية من اعمال اسبانيا سنة ٧٥٠ ب • م • ، وقد نقلها عن الترجمة اللاتينية التي شاعت في اسبانيا في القرن السابع الميلادي فما بعد ، والظاهر ان هذه الترجمة لم تطبع • ويقول الاخباريون ان الحاخام سعديا المعلم المشهور في مدرسة بابل ترجم في القرن التاسع الميلادي كل العهد القديم أو أكثره الى العربية لمنفعة اليهود الذين كانوا يتكلمون العربية • وقد ترجم بعض اسفار التوراة الى العربية عدة ترجمات بين سنة ١٥١٦ و ١٧٢٥ م وطبعت هذه الترجمات في حلب وفي لندن وفي جنوى وفي رومية وفي لبنان •

أمّا الترجمة العربية الكاملة المتداولة حاليا للكتاب المقدس ، أي كتب العهد القديم والعهد الجديد ، فهي ترجمتان انجزتا في القرن التاسع عشر للميلاد، من اللغات الاصلية وهي اللغة العبرانية واللغة الكلدانية واللغة اليونانية ، الأولى الترجمة البروتستانتية الاميريكية قام بها المرسلون الاميريكان في بيروت وهي من عمل خمسة علماء أعلام اثنان أميريكيان وثلاثة لبنانيون وقد استعين أخيرا بسادس لاتمام العمل ، وقد طبعت ترجمة العهد الجديد سنة ١٨٦٠ ، أما العهد القديم فقد طبع سنة ١٨٦٥ ويحتوي على ٣٩ سفرا • وقد قام الآباء اليسوعيون بالترجمة الكاملة الثانية في الفترة بين سنة ١٨٧٢ و ١٨٨٠ ، وطبعت هذه الترجمة في بيروت أيضا ، فطبعت ترجمة العهد الجديد سنة ١٨٧٨ والعهد العتيق سنة ١٨٨٠م •

وقد طبعت طبعة كاثوليكية جديدة في بيروت سنة ١٩٦٠ اشتملت على العهد القديم والعهد الجديد في مجلد واحد مع بعض الشروح لكل من الاسفار، وقد اشتمل العهد القديم في هذه الطبعة على ٤٦ سفرا ، أي باضافة سبعة أسفار

(٢١) انظر : (مادة التوراة) في دائرة المعارف الاسلامية ـ الترجمة العربية ، ج ٦ ، ص ١ ـ ٧ •

على الطبعة البروتستانتية ، وهذه الاسفار السبعة من العهد المتاخر بعضها مترجم من اليونانية .

وهناك ترجمة عربية ثالثة للكتاب المقدس قام بها أحمد فارس الشدياق في لندن في منتصف القرن الماضي (١٨٥١م) ، والشدياق لبناني الاصل ومن أسرة الشدياق المشهورة أسلم وتسمّى أحمد وصار يكنى بابي العباس . وكان قد قام بالترجمة قبل أن يسلم ، والظاهر ان الجمعية التي كانت قد تبنّت مشروع الترجمة لما رأت أن المترجم قد اسلم في تالي حياته رأت أنه أولى بالترجمة أن تطوى بعد أن طبعت ولا توضع في التداول(٢٢) .

٨ ـ قوانين الحرب في التوراة

ومن أغرب ما يلاحظه المتتبع لمدونات التوراة الأمر بقتل الأطفال والنساء والشيوخ وحتى البهائم ، ففي التعاليم الخاصة بحرب الموسويين مع أهل فلسطين وردت الوصايا التالية :

١ ـ « احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي انت آت اليها لئلا يصير فخاً في وسطك »(٢٣)

٢ ـ « وامّا مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريماً الحثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحوريين واليبوسيين كما أمرك الرب الهك »(٢٤)

٣ ـ « اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر ابقوهن لكم حيّات »(٢٥)

وفي غزو اسرائيل لمدينة أريحا دمّر الموسويون المدينة وأحرقوها بالنار

---

(٢٢) انظر : « بروتوكولات حكماء صهيون » للاستاذ عجاج نويهض ، ٢ : ٢٤ ـ ٢٥ ، ٢٧١ ـ ٣٠٣ .

(٢٣) خر ٣٤ : ١٢ .

(٢٤) تث ٢٠ : ١٠ ـ ١٧ .

(٢٥) عد ٣١ : ١٧ ـ ١٨ .

وقتلوا كل ما فيها من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بامر آلههم «يهوه» كما جاء في التوراة[٢٦] • وبامر الههم يهوه أيضا ضرب الملك شأول العمالقة العرب وهذا نص الأمر كماورد في سفر صموئيل الأول : «فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً ،بقراً وغنماً ، جملاً وحماراً • »[٢٧] ولما أبقى شاؤل على خيار الغنم والبقر أحياءاً لم يغفر له الرب ذلك فقيل له : « انك رفضت كلام الرب فرفضك الرب من أن تكون ملكاً على اسرائيل • »[٢٨]

وقد جاء في القرآن الكريم تحذير لبني اسرائيل من مغبة هذه الأعمال المنكرة التي أدخلوها في كتبهم وقالوا هذا من عند الله[٢٩] • فنزلت الآية الشريفة : « من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكانما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعاً • »[٣٠] وفي القرآن الكريم آيات أخرى تامر بالمودة وتجنب المعاداة ، والبر بمن لا يقاتل تقييماً للنفس حتى بالنسبة الى الاعداء • ففي سورة الممتحنة قال تعالى : « عسى اللهُ أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم • لا ينهاكم اللهُ عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتُقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين»[٣١] وبمثل ذلك يأمر الانجيل الأمة المسيحية فيقول : «زيدوا على أيمانكم الفضيلة، وعلى الفضيلة ، التعقل ، وعلى التقوى المودة الاخوية ، وعلى المودة الاخوية المحبة • » [٣٢]

ولنا أن نعتبر بالتعاليم الاسلامية التي تأمر بعدم الاعتداء : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ••• فلا عدوان

---

(٢٦) يش ٦ : ٢١ •

(٢٧) ١ صم ١٥ : ٣ •

(٢٨) ١ صم ١٥ : ٢٣ •

(٢٩) انظر ما يلي عن تحريف التوراة •

(٣٠) سورة المائدة (الاية ٣٢) •

(٣١) الآيتان ٧ و ٨ •

(٣٢) رسالة القديس الثانية ١ : ٥ــ ٧ •

الا على الظالمين »[٣٣] . وهذه التعاليم كانت وما زالت النبراس الذي اهتدى به المسلمون في حروبهم مع جميع الشعوب ، وما أكثر الدلائل والامثلة على تسامح المسلمين ورأفتهم بالمغلوبين ! ... وأبرز ما جاء في تطبيق التعاليم الاسلامية في هذا الصدد وصية أبي بكر الصديق الى قواده : « لا تخونوا ولا تغلّوا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولاشيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولاتذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لمأكلة ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له . »

وقد جاء في التوراة أيضا أن نساء بني اسرائيل (أتباع موسى) حينما عزمن على الخروج من مصر استعرن حلي جاراتهن ليتجملن بها وزعمن أنهن ورجالهن سيحتفلون بالعيد في الصحراء وهربن بالحلي الى سيناء ، وكان هذا السلب بأمر الههم يهوه أيضا، وهذا نص الوصية : «فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة ، وأمتعة ذهب ، وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين ... وفعل بنو اسرائيل (أتباع موسى)[٣٤] بحسب قول موسى ، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين . »[٣٥]

٩ ـ تحريف التوراة الاصلية

والآن بعد أن شرحنا كيفية تدوين أحكام الديانة اليهودية فلابد من أن يرد على ذهن القارىء السؤال : هل التوراة التي تحدث القرآن الكريم عنها وعن نزولها على النبي موسى هي نفسها حافظت على أصلها ؟ ففيما مر دليل قاطع على أن التوراة المتداولة في الوقت الحاضر قد دونت بعد النبي موسى بمدة طويلة فحرّفت وأضيف اليها ما اتفق مع رغبات ونزعات وميول

(٣٣) سورة البقرة الايتان ١٩٠ ، ١٩٣ .

(٣٤) لم يكن بد من استعمال مصطلح بني اسرائيل مجاراة لشرح التوراة التي سمت أتباع موسى ببني اسرائيل على الرغم من انقطاع صلتهم باسرائيل .

(٣٥) خر ٣ : ٢٢ ؛ ١٢ : ٣٥-٣٦ .

الكتبة مارة بعدة أدوار من الرواية الشفوية والأنتخاب والحذف والاضافة الى دور التدوين ، والاّ فكيف يمكن أن يكون قد نزل أمر بقتل الأطفال والنساء والشيوخ في حين أن إحدى الوصايا العشر تأمر بعكس ذلك ؟ .. ويعترف بذلك رجال الدين من المسيحيين ، فقد جاء في مقدمة الكتاب المقدّس من الطبعة الكاثوليكية لسنة ١٩٦٠ بهذا المعنى ما هذا نصه : « ما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخليقة أو أنه أشرف على وضع النص الذي كتبه عديدون بعده ، بل يجب القول إن ازدياداً تدريجياً سبّبته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية » . وقد ندّد المسيح (ع) بأعمال من سمّاهم بالكتبة الفريسيين والناموسيين (رجال الشريعة) وأنذرهم بالويلات لانحرافهم عن الفضيلة وتكالبهم على الدنيا(٣٦) . كما ورد في القرآن الكريم ما يشير الى أن اليهود حرّفوا التوراة ، ففي الآية ٧٩ من سورة البقرة قال تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » . وفي الآية ٧٥ من السورة نفسها : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون » . وفي آيات أخرى تأكيد لتحريف اليهود للتوراة : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه »(٣٧) .

وهكذا فقد أصبح من المتعذر تحديد القسم الذي يرجع الى زمن النبي موسى ثم تمييز القسم الذي أضيف فيما بعد ذلك أو القسم المحرّف من الأسفار الواردة في التوراة ، الاّ أن من المرجح أن الوصايا العشر كانت هي أصل الشريعة التي كتبت على « لوحي الشهادة » التي جاء ذكرها في التوراة .

وفي الوقت الذي تؤمن التعاليم الاسلامية بعصمة الأنبياء والرسل باعتدادهم صفوة البشرية الذين يجب أن يتخذ الناس من سلوكهم قدوة يقتدون بها نرى التوراة تفتري عليهم بأعمال قبيحة تتنافى ومكانتهم الدينية والاجتماعية : فقد نسبت الى الملك داود أنه زنا بزوجة أحد قواده(٣٨) ، كما

---

(٣٦) انجيل متى الفصل ٢٣ ؛ لوقا ١١ : ٥٢ .

(٣٧) سورة النساء الآية ٤٦ ؛ سورة المائدة ــ الايتان ١٣ و ٤١ .

(٣٨) ٢ صم ١١ : ٢ ــ ٢٦ .

نسبت الى سليمان أنه أحب نساء كثيرات أجنبيات[٣٩] ، والى لوط إثمـــا مع ابنتيه[٤٠] ، والى امنون بن داود اغتصاب اخته ثامار[٤١] ، الخ ...

١٠ ـ هل كان اليهود أول من قال بعقيدة التوحيد ؟..

أما ادعاء اليهود بأنهم أول من قال بعقيدة التوحيد وهم الذين قدموهـا للعالم وللبشرية وإن الفضل يرجع اليهم في وضع أسس الديانة التي يدين بها الموسويون والمسيحيون والاسلام اليوم ، وهو الادعاء الذي يؤيدهم به كثير من الكتّاب ، فلا يستند الى أي أساس أو واقع تاريخي ، فهل كان نوح (ع) الذي عاش قبل أكثر من خمسة آلاف عام يهودياً ، وهل كان الأنبياء الذيـن ظهروا بعده يهوداً ، وأخيراً هل كان النبي ابراهيم الخليل يهوديـــا ؟ ... هؤلاء كلهم نسبوا الى أصل واحد وهو الجنس السامي العربي ، وقد نـادوا بعقيدة التوحيد قبل أن يكون يهود في العالم . لذلك ان حشر هؤلاء الأنبياء مع الشعب اليهودي في زمن لم يكن لليهود وجود لا يتفق والمنطق بل تشويه للتاريخ وللحقائق . ان هؤلاء كلهم أنبياء نادوا بعقيدة التوحيد الخالصـة ، عقيدة الاله الواحد لجميع الامم والمخلوقات ، قبل أن وجـد اليهـود الذين اتخذوا الههم الخاص بهم ، فظهر بعض الأنبياء في الجزيرة ذاتها والبعض الآخر في العراق منهم نوح وابراهيم الخليل عليهما السلام ، وهؤلاء عاشوا بـين الألف الثالثة قبل الميلاد وأوائل الألف الثانية قبل الميلاد .

وهناك دلائل على ان فكرة الاله العلي الواحد مالك السموات والأرض كانت معروفة عند الكنعانيين بشكل من الأشكال ، فالتوراة تشير الى أن ملكي صادق ملك شاليم (أورشليم) الكاهن لله العلي لما بارك ابراهيم الخليل قال : « مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والارض »[٤٢] . فهل كان الكاهن موحداً ؟ .. فاذا كان الأمر كذلك فالأرجح ان فكرة الاله الواحد خالق السموات والأرض كانت معروفة عند الكنعانيين وهناك من كان يؤمن بهـا

(٣٩) ١ مل ١١ : ١ ـ ٩ .

(٤٠) تك ١٩ : ٣٠ ـ ٣٧ .

(٤١) ٢ صم ١٣ : ١ ـ ٢٩ .

(٤٢) تك ١٤ : ٨ .

خاصة في بلدة أورشليم المقدسة (مدينة السلام) • ولعل استعمال الكنعانيين لنفس كلمة ايل الواردة في التوراة (تك ١٢ : ٨) للدلالة على الاله العلي مما يؤيد ذلك(٤٣) •

وهناك ما يدل على أن المديانيين العرب كانوا يمارسون عقيدة التوحيد أيضاً تشير التوراة على أن موسى سكن مدة مع المديانيين بعد هروبه من وجه فرعون(٤٤) ، وقد تزوج هناك من ابنة يثرون كاهن مديان(٤٥) الذي كان على ما يرجح موحّداً ويعبد الله باسم « يهوه » • ويرجح البعض أن أصل اسم يهوه إله من آلهة البدو الشماليين العرب ، فيقول العلامة موسكاتي ان الاله يهوه كان معروفاً عند العرب والأرجح أنهم كانوا يعبدونه لان كثيراً من أسماء الأشخاص وردت ملحقة باسم الاله يهوه بحسب العادة المتبعة بالحاق اسم الاله باسم الشخص تبركاً به(٤٦) (انظر المستدرك رقم ١) •

١١ ــ دعوة اخناتون فرعون مصر لعبادة الاله الواحد

ويدّعي البعض ان دعوة اخناتون فرعون مصر للاله الواحد هي الدعوة الأولى من نوعها في تاريخ الأديان البشرية(٤٧) ، فيسمّيه بريستد الشخصية

---

(٤٣) S. Moscati, "Ancient Semitic Civilizations", p. 113.

(٤٤) خر ٢ : ١١ ــ ١٥ •

(٤٥) خر ٢ : ١٦ ــ ٢٢ •

(٤٦) موسكاتي ــ المصدر السابق ، ص ١٧٦ •

(٤٧) « اخناتون » هو الفرعون المصري « امنحوتب » أو « امنوفس » الرابع وهو الذي دعا الى ديانة التوحيد أي عبادة الاله الواحد لا اله غيره ، فقد تصور هذا الملك أن قرص الشمس مظهر من مظاهره وهو يشع على العالم أجمع (الاله الواحد لا اله غيره) ، وبلغ من تحمسه لدينه الجديد ما جعله يناوىء الآلهة الاخرى ويحاول القضاء على عبادتها وحمل الناس على حصر العبادة بذلك الاله الواحد الذي سماه « أتون » ، وأراد أن يفرض عبادته على جميع أنحاء الامبراطورية • وقد صب غضبه بالدرجة الاولى على الاله « أمين » (أمون) ، اله طيبة ، ولكرهه لهذا الاله الذي كان اسمه يدخل في تركيب اسمه أي « أمين ــ حوتب » عمد الى تغيير اسمه الى اخناتون • وهجر أخناتون العاصمة المقدسة « طيبة » وابتنى له عاصمة جديدة في موضع العمرنة وسماها (اخت ــ اتون) ونقل اليها مقر العاصمة وأعمال الحكومة • وقد وجدت في هذه العاصمة السجلات الملكية الشهيرة ومن =

الأولى في تاريخ البشرية(٤٨) • وقد فات هؤلاء ان اخناتون هذا عاش بين سنة ١٣٧٥ وسنة ١٣٥٨ قبل الميلاد ، أي بعد ابراهيم الخليل (ع) بحوالي ست مئة عام • لذلك لا يمكن أن تكون دعوته للوحدانية هذه هي الأولى في تاريخ البشر • ولا مجال للشك في كون عقيدة التوحيد عقيدة عربية خالصة ، وأقدم



التصوير رقم ٤٩

اخناتون (امنحوتب الرابع ١٣٧٥ ــ ١٣٥٨ ق•م•) صاحب الدعوة الى ديانة التوحيد وفي زمنه تبودلت المراسلات بين الملوك الكنعانيين وملوك مصر يطلب الكنعانيون فيها مساعدة مصر لهم ضد الغــزاة « العبيرو » وهي الوثــائق المعروفــة بوثــائق تل العمارنة •

= بينها الرسائل المرسلة اليه والى أبيـــه من ملوك الشرق الادنى وحكام الانبراطورية في بلاد الشام (طه باقر ــ « مقدمة ••• » ٢ : ٧٩ــ٨٠ ؛ ديورانت ، ج٢ ، م ، ١٦٨ــ١٧٩) •

(٤٨) S. Frued, "Moses and Monotheism," p. 35.

من دعا اليها أنبياءمن أصل عربي وفي مقدمتهم ابراهيم الخليل (ع) الذي ناضل وتحمل الشدائد والصعاب من أجل عقيدته ، كما ناضل بعده النبي العربي محمد صلوات الله عليه من أجل تأدية رسالته المقدسة الى شعوب العالم كافة[٤٩] . ونحن لا نستبعد أن تكون عقيدة الوحدانية التي تبناها اخناتون قد جاءت الى مصر عن طريق قبائل الهكسوس العربية التي حكمت في مصر زهاء قرنين قبل عهد اخناتون مباشرة . وهكذا فيكون مصدرها عربياً أيضاً ، والهكسوس كما هو معلوم كانوا على اتصال بالمديانيين الذين قيل عنهم أنهم كانوا يدينون بالاله الواحد المدعو « يهوه » ، ومساكن المديانيين في شبه جزيرة سيناء مجاورة الى مصر . وقد ذهب البعض الى أن أتباع موسى قد أخذوا عبادة اخناتون وان موسى نفسه هو مصري من أتباع هذه الديانة الجديدة ، إذ ورد ذكر أحد القواد المصريين القدماء المشهورين باسم « احموسى » ، وهو أحموسى الأول مؤسس السلالة الثانية عشرة (١٥٨٠ — ١٥٤٦ ق.م.) » ، وهو الذي طرد الهكسوس من مصر . ويؤكد العالم النفساني « فرويد » في كتابه « موسى والوحدانية » ، بالادلة التاريخية والاستنتاجات الخاصة بالطريقة الفرويدية أن موسى قائد مصري من أتباع اخناتون وقد اعتنق دين التوحيد ، وان موسى بعد موت هذا الفرعون ذهب الى حدود مصر في سيناء وأخذ يبشر بمبدئه هذا بين الناس[٥٠] . ومما يذكر في هذا الصدد ان هناك بعض التشابه بين بعض قصائد اخناتون في المديح للاله الأوحد وبين المزمور الرابع بعد المائة في التوراة[٥١] ، كما يلاحظ أن المعاني التي ذكرها اخناتون في قصيدته عن الاله الشمس تكررت كذلك في أسفار العهد القديم[٥٢] . ولابد من الاشارة في هذا الصدد الى أن المبدأ الذي تستند اليه عقيدة التوحيد التي نادى بها اخناتون هي غير المبدأ الذي بنيت عليه التوراة فيما بعد ، لأن عقيدة اخناتون تستند الى عبادة الاله الواحد على أن تكون عبادته في رحاب المحبة والسلام عن طريق نشر الإخاء العالمي بين

(٤٩) انظر الفصل الخامس « عصر ابراهيم واسحاق ويعقوب » .

(٥٠) انظر الفصل السادس « عصر النبي موسى واليهود » .

(٥١) ديورانت ، « قصة الحضارة » ، ج ٢ ، م ١ ، ص ١٧٥ .

(٥٢) عصام الدين حفني ، « محنة التوراة على أيدي اليهود » ، ص ٧٥ .

الانسان والانسان هذا في حين أن التوراة تقوم على أساس عبادة الاله الخاص باليهود وحدهم باعتبارهم الشعب المختار •

١٢ ـ وحدانية عاموس

وهناك من ادعى أيضا ان أول من نادى بعقيدة التوحيد الخالصة وعبادة الإله الواحد إله جميع المخلوقات هو النبي عاموس ، فيقول الدكتور حتي في كتابه « سورية » (النسخة الانكليزية ص ٢١٣ ــ ٢١٤) إن النبي عاموس كان أول موحد في التاريخ البشري إذ دعا الى عبادة الاله الواحد وهو أول من قال ان «يهوه» هو إله جميع الاقوام وليس إله اليهود فقط •ويضيف الدكتور حتي قوله ان عاموس هذا كان امياً مثل محمد(ص) •والمعلوم ان عاموس عاش في القرن الثامن قبل الميلاد (٧٥٠ ق•م•) في حين ان ابراهيم الخليل (ع) ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد أي قبل عاموس بـ ١١٥٠ سنة[٥٣] • والذي يبدو لنا من مجرى الأحداث التاريخية هو ان عاموس أخذ بهذه العقيدة من وحدانية اخناتون التي تدعو الى نفس العبادة والتي كان قد اعتنقها موسى وجماعته ، وذلك قبل أن تكتب توراة اليهود في الأسر في بابل وهي التي ابتدعت عبادة الاله يهوه الخاص باليهود فقط ، وقد أخذها اليهود على الأرجح من البابليين، إذ كانت كل مدينة من المدائن البابلية تختص باله واحد من بين مجموعة الآلهة•

١٣ ـ التلمود

قلنا إن هذا الكتاب يعد عند اليهود جزءاً من أحكام الديانة اليهودية ، والتلمود معناه التعاليم أو الشرح والتفسير ، وهو مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها أحبار اليهود شرحاً وتفسيراً للتوراة واستنباطاً من اصولها ، ويقسم قسمين ، المشنة وهي النص أو المتن والجمارا وهي التفسير أو الشرح ، والتلمود هو الاسم الجامع للمشنة والجمارا معاً • والمشنة عبارة عن مجموع تقاليد اليهود المختلفة في شتى نواحي الحياة اليهودية مع بعض الآيات من كتاب التوراة • ويزعم اليهود بأن هذه التقاليد والتعاليم شفاهية ألقاها موسى على شعبه أعطيت حين كان على الجبل ثم تداولها هرون واليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء ، ثم انتقلت عن الأنبياء الى أعضاء المجمع الأعلى

(٥٣) انظر ما يلي في الفصل الخامس عن وحدانية ابراهيم الخليل (ع) •

وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح حينما جمعها الحاخام يهوذا ودوّنها . امّا الجمارا فهي مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التي دونت في المدارس العالية بعد انتهاء المشنة . وأساس المباحث في التلمود قائم على ستة أبواب هي :

(١) الفلاحة (٢) الأعياد والمواسم (٣) النساء وما يتعلق بهن من زواج وطلاق وحضانة ونذور وارث ووصية (٤) النواهي والعقوبات (٥) الذبائح وما يتعلق بالتقدمات والقرابين ومراسم الهيكل في ذلك (٦) الطهارة .

وهناك تلمودان يعرف أولهما بالتلمود الفلسطيني واليهود يسمّونه الأورشليمي وقد كتب بين القرن الثالث والخامس للميلاد والذين كتبوه هم حاخامو طبرية(٥٤) ، ويعرف الثاني بالتلمود البابلي وقد انتهي من كتابته بصيغته النهائية في بابل في القرن الخامس للميلاد ، ولكل من هذين التلمودين طابعه الخاص وهو طابع البلد الذي وضع فيه . ولغتا التلمودين مختلفتان تمثلان لهجتين أراميتين ، التلمود الفلسطيني بالأرامية الغربية ، امّا التلمود العراقي فلهجته أرامية شرقية أقرب الى المندائية (العراقية) وقد احتوى على مصطلحات يونانية ولاتينية . وحجم التلمود البابلي أوسع من التلمود الفلسطيني بأربعة أضعاف ويقع في ٥٨٩٤ صفحة ويطبع عادة باثني عشر جزءاً . وبهذا يكمّل التلمود أحكام الديانة اليهودية التي استغرق وضعها كما يتضح أكثر من ألف عام ، أي من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن الخامس بعد الميلاد .

وفي التلمود تأكيد لمبدأ الاستعلاء والتفوق العنصري اليهودي على بقية شعوب الارض وجعل الناس عبيداً لليهود على اعتبار أنهم الشعب المختار وان الله اصطفاهم دون سواهم من شعوب الأرض ، كما تتجسم فيه انعزالية الشعب اليهودي وحقه في جميع خيرات الأرض التي وهبها له الهه الخاص دون الآخرين من الناس . لذلك كانوا حريصين أن لا يطلع على التلمود غيرهم الا من يأمنون جانبه من غير اليهود ممن يؤيد نزعاتهم وميولهم خوفاً من ثورة العالم المسيحي ضد اليهود . وقد أخفوه أربعة عشر قرناً منذ أن وضعه

(٥٤) L. Ginzberg, "The Palestinian Talmud," N.Y., 1941.

حاخاموهم ، ففي سنة ١٢٤٢ م أمرت الحكومة الفرنسية في باريس باحراق التلمود علناً . وقد تم حرقه عشرات المرات في مختلف الأزمان والاقطار . وتحت عنوان « عصر الايمان » يقول العلامة ديورانت في كتابه « قصة الحضارة » : أن الربانيين والحاخامين أخذوا يفسرون التوراة حسب أهوائهم بالشكل الذي يرضي غرائزهم الشريرة ونزوعهم الى استعلائهم على بقية أجناس البشر » .

وأقدم نسخة مخطوطة للمشنة موجودة في (پارما Parma) يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر الميلادي ، وفي كل من كمبريج ونيويورك نسخة تعود الى القرنين العاشر والحادي عشر بعد الميلاد . وقد ظهرت أول طبعة للمشنة مع شروح في بيلس بايطاليا سنة ١٤٩٢ م ، امّا الطبعات الحالية فهي من القرن الخامس عشر والسابع عشر للميلاد . وأهم ترجمة للمشنة البابلية الى الانكليزية هي التي قام بها كانون دنبي (Canon Danby) سنة ١٩٣٥[٥٥] .

ولما كانت العربية هي لسان اليهود في التخاطب في شؤون الحياة العملية في البلاد العربية فقد وضع موسى بن ميمون الفيلسوف اليهودي القرطبي الاندلسي الأصل (١١٣٩ ــ ١٢٠٥ م) بعد انتقاله الى مصر تفسيراً وشرحاً مفصلاً بالعربية لكتاب المشنة سماه « السراج » وكتبه لفظاً وتعبيراً باللغة العربية الدارجة في مصر وجعل الكتابة بالحرف العبري ، وقد أتم الكتاب سنة ١١٦٨ م . وقد ألف أيضا مصنفاً آخر بالعبرية يبحث في الفقه اليهودي استمده من التلمود وشروحه وهوامشه وأطلق عليه اسم « تثنية التوراة » قد اعتمد في ذلك على التلمود البابلي مع الاستعانة بالتلمود الاورشليمي كلما دعت الحاجة اليه .

واشتغل كثيرون من اليهود بالفلسفة بروح حرّة في زمن العرب وعني آخرون في شرح التوراة والتلمود على أساس عقلي . فيشير الاخباريون الى ان حاخاماً من حاخامي العراق اسمه حنان بن داود ثار على التلمود الذي كان

---

(٥٥) انظر مقدمة طبعة التلمود الانكليزية لسنة ١٩٣٥ :

(("The Babylonian Talmud", London, The Soncino Press, 1935.

اليهود يرضخون تحت أغلاله ودعا للاكتفاء بالتوراة وأنشأ في بغداد العباسية طائفة يهودية جديدة هي القرائية بلغ عدد اتباعها نحـو عشـرة آلاف نفس وهؤلاء هم وطائفة الربانيين المتمسكين بالتلمود على طرفي نقيض ، الا أن بعد ظهورهم بمدة من الزمن تغيرت السياسة في العراق على اليهود فهاجـر معظمهم الى الاندلس وانضمـوا الى اخوانهم هنـاك(٥٦) . وممن بحث في الموضوع من الناحية الفلسفية المنطقية ابن ميمون الذي مر ذكره فوضع كتابه المشهور « دليل الحائرين » محاولاً فيه أن يدعم المعتقدات اليهودية بأدلـة عقلية منطقية لا نقلية . وقد جرى في كتابه هذا على النحو الذي سـلكه في كتابه « السراج » فهو بالعربية اما الحروف فعبرية ، وقد نسـخ الكتـاب بحروف عربية كما ترجم الى العبرية . ويلاحظ ان موسى بن ميمون كغيره من الكتاب اليهود في القرون الوسطى لم يعن عناية كافية بقواعد الاعراب على النحو الصحيح في اللغة العربية(٥٧) .

وكانت أول طبعة كاملة للتلمودين الفلسطيني والعراقي بعد ظهور عهود النسخ والمسخ تلك التي طبعت خلال سني ١٥٢٠ ـ ١٥٢٤ م في البندقيـة ، وقد احرق في ايطاليا سنة ١٥٥٣ م(٥٨) . والتلمود اليوم في اللغة الانكليزيـة باصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته يبلغ ٣٦ مجلداً(٥٩) . وقد نقل الجزء الأول الى العربية سنة ١٩٠٩ وهو يذكر أهم الرجال في كل جيل من أجيال علمـاء التلمود . والعثور على نسخ كاملة من التلمود صعب للغاية نظراً لما حذفـه المتأخرون من الأقوال(٦٠) .

---

(٥٦) « في العالم اليهودي » ، بقلم جبران نقولا ، القدس ، ١٩٣٥ ، ص١٦ـ١٧ .

(٥٧) ولفنسون « موسى بن ميمون » ، ص ٤١ ـ ١٤١ .

(٥٨) Jewish Encyclopedic Handbooks, N.Y., Vol. I, p. 218.

(٥٩) عجاج نويهض « بروتوكولات ... » ، م ٢ ، ص ١٤٩ـ١٩٩ .

(٦٠) قرر المجمع اليهودي المنعقد في بولونيا سنة ١٦٣١ بالاجماع أن العبارات التي تهين الاغيار يجب حذفها ، وان التعاليم القائلة بان المسيحيين هـم سافلو الاخلاق لا يستحقون المحبة والعدل لا يصح نشرها .

الفصل الرابع

التوراة في ضوء المكتشفات الآثارية

التوراة في ضوء المكتشفات الآثارية

١- التوراة كمرجع في بحث تاريخ فلسطين القديم • ٢- مدونو التوراة يتعمدون اهمال التسلسل الزمني • ٣- مدونو التوراة يتعمدون اقصاء الكنعانيين سكان فلسطين الاصليين من الاسرة السامية • ٤- التوراة في ضوء الاكتشافات الاثارية • ٥- قصة الخليقة عند البابليين وعند اليهود • ٦-البعث والقيامة عند اليهود وعند السومريين والبابليين والمصريين • ٧- قصة آدم وحواء في تصوير السومريين • ٨- فكرة الفردوس عند السومريين والساميين • ٩- قصة قابيل وهابيل في الملاحم السومرية • ١٠- قصة طوفان نوح في التوراة وفي المدونات السومرية البابلية • ١١- قصة يوسف مع امرأة سيده ومثيلتها في النصوص المصرية القديمة • ١٢- قصة ولادة موسى ومثيلتها في النصوص البابلية • ١٣-شريعة حمورابي وشريعة التوراة • ١٤- التلمود في ضوء المدونات الاثاريه • ١٥- المدونات الاوغاريتية الكنعانية والتوراة • ١٦- التقاليد التي اخذها اليهود عن القدماء • ١٧- الشرائع اليهودية كنعانية وبابلية الاصل • ١٨- حضارة اليهود المزعومة ! • ١٩- ملاحظات ختامية •

١ - التوراة كمرجع في بحث تاريخ فلسطين القديم

لقد كانت التوراة قبل الاكتشافات الآثارية قبل قرن أو يزيد ، باستثناء الكتابات اليونانية والرومانية المتأخرة ، المصدر الأساس أو الوحيد تقريباً الذي يرجع اليه الباحثون في تاريخ فلسطين القديم ودور اليهود فيه ، باعتبارها أقدم كتابة في تاريخ البشرية فضلاً عن قدسيتها • وكان كلُّ ما ورد في التوراة من عرض للأحداث والوقائع لابد من تقبله كحقائق دون نقاش أو جدال

لكونه من المسائل المقدسة من جهة ولعدم وجود أي ثبت قديم ينافسه في هذا الميدان من جهة أخرى .

والسؤال الذي يفرض نفسه في تحقيق منزلة التوراة كمرجع تاريخي موثوق به هو : « أين ، ومتى ، وكيف ، وبأية لغة ظهرت التوراة ، وما هي صلة التوراة بالثقافات القديمة التي سبقتها ؟ ... إن المعروف بأن أسفار التوراة ومعها التلمود جمعها ودوّنها عدد من الكتبة والأحبار بلغات وبأقلام مختلفة خلال فترات متقطعة وفي مواطن متعددة استغرقت مئتين وألف عام تقريباً ، أي من القرن السابع قبل الميلاد حتى القرن الخامس بعد الميلاد ، دُوّن معظمها أثناء الأسر في بلاد بابل في القرن السادس قبل الميلاد ، وقد أعيد تنقيح أكثرها في فلسطين بعد السبي ، أي في العهد الاخميني (٥٣٩ — ٣٣١ ق.م.) ، ثم دوّن بعض الأسفار في العهد السلوقي البطلمي . ويعتقد أن سفر عاموس كان أقدم الأسفار التي دونت من التوراة وكان ذلك في حوالي القرن السابع قبل الميلاد على رأي البعض ، في حين أن آخر ما دوّن من مجموعة الشرائع اليهودية التلمود الذي اكتسب صيغته النهائية في أوائل القرن السادس بعد الميلاد[1] .

ويلقي العلامة ول ديورانت نفس السؤال الذي عرضناه ويجيب عليه في فقرة واحدة على حد تعبيره ، فقال ما هذا نصه : « كيف كتبت أسفار التوراة ؟ ومتى كتبت ؟ وأين كتبت ؟ ذلك سؤال بريء لا ضير منه ولكنه سؤال كتب فيه خمسون ألف مجلد ، ويجب أن نفرغ منه في فقرة واحدة نتركه بعدها من غير جواب . إن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هما القصتان المتشابهتان المنفصلة احداهما عن الأخرى في سفر التكوين ، تتحدث إحداهما عن الخالق باسم « يهوه » على حين تتحدث الأخرى باسم إلوهيم . ويعتقد هؤلاء العلماء أن القصص الخاصة بيهوه كتبت في يهوذا ، وان القصص الخاصة بألوهيم كتبت في افرايم ، وان هذه وتلك قد امتزجتا في قصة واحدة بعد سقوط السامرة . وفي هذه الشرائع عنصر ثالث يعرف بالتثنية أكبر الظن أن كاتبه أو كتابه غير كتاب الأسفار السالفة الذكر ، وثمة عصر رابع يتألف من فصول أضافها الكهنة فيما بعد .

---

(١) انظر ما تقدم عن تاريخ التوراة في الفصل الثالث .

والرأي الغالب ان هذه الفصول تكوّن الجزء الاكبر من سفر الشريعة الذي أذاعه عزرا ، ويبدو أن هذه الأجزاء الأربعة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق٠م٠ »[٢] ٠

ومن الواضح أن أسفار التوراة ومدونات التلمود لا يمكن أن تعد مرجعاً أصيلاً يعتمد عليه في بحث تاريخ فلسطين القديم لما خالطها من نزعات دينية وعنصرية وسياسية عبر فترة تدوينها الطويلة ، فضلاً عن أن التوراة لم تبحث الأحداث التاريخية الخاصة بفترة ما قبل عصر ابراهيم الخليل الا عرضاً بقدر ما لموضوع اليهود من صلة بها على الشكل الذي اختاره مدوّنوها ٠

٢ ـ مدونو التوراة يتعمدون اهمال التسلسل الزمني

والتوراة ، عند عرضها للحوادث التاريخية ، لم تحدّد التسلسل الزمني ، ولم تنسّق الحوادث بحسب أزمانها وادوارها ، وذلك لكي يلتبس الأمر على القارىء فيعجز عن تحديد مراحل الأحداث التاريخية وتتبع زمن كل منها ٠ والأرجح أن مدوّني التوراة تعمدوا ذلك لترك المجال لارجاع تاريخهم ، وهم من بقايا بيت يهوذا ، الى أزمنة قديمة لم تكن لهم أية صلة بها ، فخلطوا بين أدوار تفصل بينها عدة قرون ، اذ ربطوا أحداثا تعود الى عصور متباعدة وعدّوها عصراً واحداً ٠ ومن ذلك مثلاً ، أنهم ذكروا في توراتهم أن ابراهيم الخليل (ع) ذهب الى أبيمالك[٣] ملك الفلستينيين في جرار وتغرّب في أرضهم، ومثل ذلك ورد عن ابنه اسحاق وصلته بابيمالك المذكور[٤] ، هذا في حين أن الدراسات المبنية على الاكتشافات الاثارية الاخيرة تشير على وجه التأكيد الى أن عهد ابراهيم الخليل كان يقع في القرن التاسع عشر قبل الميلاد بحسب أوثق وأحدث تقديرات العلماء لعهده ، بينما يرجع عصر الفلستينيين الذين سمّيت أرض فلسطين باسمهم الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد[٥] ، وهذا ما يجعل فاصلاً بين عهد ابراهيم الخليل وعهد الفلستينيين يمتد حوالي سبعة قرون

---

(٢) « قصة الحضارة » (الترجمة العربية ، ج ٢ ، م ١ ، ص ٣٦٧) ٠

(٣) ابيمالك اسم عام لملوك الفلستينيين كفرعون لملوك مصر (قاموس الكتاب المقدس) ٠

(٤) تك ٢٠ : ١ـ١٨ ؛ ٢١ : ٢١ـ٣٤ ؛ ٢٦ : ١ـ١١ ٠

(٥) انظر ما تقدم عن هجرة الفلستينيين الى فلسطين في الفصل الاول ٠

من الزمن . وبذلك تكون مدونات التوراة قد ربطت العصرين وعدتهما عصراً واحداً . ومثل ذلك فعلت بربط عصر ابراهيم الخليل بعصر اليهود على الرغم من وجود فاصل يفصل بين العصرين يمتد أكثر من ألف عام من الزمن(٦) . وكذلك تتحدث التوراة عن أور الكلدانيين في عهد ابراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، في حين ان الكلدانيين لم يظهروا الا بعد سقوط نينوى في سنة ٦١٢ ق.م. ، أي بعد ألف وثلاثمائة عام .

والغاية الاساسية التي كان يرمي اليها مدوّنو التوراة من وراء ربط عصر اليهود بعصر ابراهيم الخليل وتأكيدها ذلك مرارا في سفر التكوين هي ارجاع تاريخ بقايا بيت يهوذا وعزو نسبهم الى ابراهيم الخليل مباشرة ، واعتبار ابراهيم الخليل الذي كانت قد انتشرت شهرته في الآفاق في تلك الازمان كنبي عظيم ، رئيسهم الأعلى قبل أن يظهروا الى عالم الوجود. وهذا يفسّر لنا كيفية شيوع التقليد الذي تؤكده الكتابات اليهودية ، قديما وحديثاً ، أن ابراهيم الخليل غادر العراق ومعه اليهود الى فلسطين في حين ان اليهود ظهروا بعد عهد موسى أي بعد ابراهيم الخليل باكثر من الف عام . وقد قبلت الاجيال ذلك من غير تمحيص للتسلسل الزمني وملاحظة العصور بحسب تواريخها .

ويلاحظ ان أكثر الكتّاب العرب بل جميعهم يقلّدون التوراة بأهمال التمييز بين عصر وآخر عندما يبحثون في تاريخ فلسطين القديم ، فيأخذون بأسلوب التوراة في عرض الحوادث التاريخية ، وآخر ما مرّ عليَّ من كتب تبحث في تاريخ فلسطين كتيّب طبعته على ما يظهر ادارة الجامعة العربية في لندن باللغة الانكليزية بعنوان « غرباء في فلسطين » ، وكنت أتصور من العنوان قبل تصفّحه أن المؤلف يريد أن يبرهن على ما جاء في العنوان أي أن اليهود غرباء في فلسطين ولا صلة تاريخية لهم بها وهم طارئون عليها كما هو الواقع التاريخي فعلا ، واذا بالكاتب يستعرض تاريخ اليهود في فلسطين بنقل الحوادث كما وردت في التوراة من غير تمييز بين عصر وآخر ، ولمّا ذكر تاريخا واحدا من تاريخ فلسطين القديم وقع في خطأ لا يغتفر على المؤرخ المحقق ، وهو جعل تاريخ غزو فلسطين على عهد يشوع سنة ٧٠٠ قبل الميلاد في حين أن التاريخ الحقيقي هو القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، أي ما قبل التاريخ المذكور بستة

(٦) أنظر ما يلي عن عصر ابراهيم الخليل في الفصل الخامس .

قرون[٧] . والمفروض ان هذا الكتيّب أعدّ لاظهار حق العرب في فلسطين في حين انه لم يحقق الا عكس المطلوب ، فخدم كاتبه الدعاية الصهيونية من حيث لا يدري ، وذلك بقبول كل ما ورد في التوراة كحقائق تاريخية مقبولة . وهذا هو الذي يريده الصهيونيون بالضبط فجاء على لسان العرب أنفسهم .

وقد وقع الكتّاب بمثل هذه الأخطاء نتيجة عدم ملاحظتهم تسلسل الأدوار حسب أزمانها ، وخاصة زمن تكوّن اللغة العبرية بمعنى اليهودية وزمن تدوين التوراة ، مما أدى بهم الى اعتبار كل ما ورد في التوراة من أسماء لأشخاص أو أماكن مثل أبرام ويعقوب ويوسف وأورشليم وصهيون واسرائيل وغيرها من الاسماء القديمة عبرية بمعنى يهودية ، في حين أن هذه الاسماء كنعانية عربية الاصل كانت متداولة بين الكنعانيين وقد وردت في الكتابات الكنعانية والمصرية القديمة قبل ظهور اليهود وقبل تكوّن اللغة العبرية بمعنى اليهودية بعدة قرون ، مع العلم انه لا يوجد لغة عبرية بمعنى يهودية خاصة باليهود فاللغة والحروف المسماة بالعبرية تكوّنت في عهد متاخر وهي مقتبسة من الأرامية .

٣ - مدونو التوراة يتعمدون اقصاء الكنعانيين من الاسرة السامية

وقد تعمّد مدوّنو التوراة إقصاء الكنعانيين والفينيقيين سكان فلسطين الأصليين من كتلة الساميين لعداء اليهود الشديد لهما ، مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم أنهم هم الساميون العرب أهل البلاد ، في حين أنهم حشروا في الاسرة السامية شعوبا لا يعدها العلم الحديث من جماعة الساميين مثل العيلاميين واللوديين[٨] . وقد صبّ كتبة التوراة جام حقدهم على الكنعانيين فنعتوا كنعان بالملعون « وعبد العبيد يكون لاخوته وعبداً ليافت . »[٩] وكذلك اعتبرت التوراة الحيثيين من ذرية كنعان (تك ١٠ : ١٥) في حين أنهم من الأقوام الهندية الاوروبية.ومثل ذلك اعتبرت العموريين منصلب حام (تك ١٠:١٥).

٤ - التوراة في ضوء الاكتشافات الاثارية

ولحسن الحظ قد توافرت لدينا الآن ثروة من المعلومات الأصيلة التي

---

(٧) "Strangers in Palestine," London, 1970, p. 83

(٨) تك ١٠ : ٢٢ .

(٩) تك ٩ : ٢٥ - ٢٧ .

تركها الأقدمون قبل عهد التوراة ــ وهم السومريون والكنعانيون والفينيقيون والأكديون والبابليون والحيثيون والآشوريون والمصريون • وقد عثر المنقبون على بعضها في خلال القرن والنصف قرن الأخير وترجموها الى اللغات الحديثة وأصبحت في متناول أيدي القراء والباحثين • وهذه وصلت الى أيدي المنقبين كما هي في الأصل وبلغاتها وحروفها الأصلية على عكس ما عهدناه في التوراة من تباعد في اللغة وفي العصر • ويقدر عدد هذه الوثائق الأصلية التي تناولت مختلف شؤون الحياة في تلك الأزمان أكثر من نصف مليون قطعة عثر عليها بين أطلال مدن حضارات الشرق الأدنى القديمة بمختلف اللغات والحروف ، ويعد العلماء هذه الاكتشافات أعظم انجازات الانسان في العصر الأخير : فقد كشفت لنا هذه المدونات عن كثير من الأمور الغامضة ، إذ أمكن في ضوئها التمييز بين الحقائق الواقعة والأساطير الخيالية والتحريفات المتعمدة في التوراة • وقد تمكن علماء الآثار من تعيين تواريخ الحوادث من هذه المدونات بصورة مضبوطة خاصة ما يتعلق بالأدوار المتاخرة ، وكذلك تشخيص أكثر مواقع المدن والأماكن التي ورد ذكرها في هذه المدونات وفي التوراة ، مما جعل امكان عرض الأحداث التاريخية القديمة بحسب تسلسلها الزمني وتوضيح علاقة الأقوام بعضها ببعض وتعيين أدوارها بشكلها الحقيقي بمقارنة الحوادث التي وردت في كل من المصدرين •

ومن أهم ما أوضحت لنا هذه الاكتشافات المكاسب العلمية الاتية :

١ ــ تشخيص أكثر مواقع المدن والاماكن التي ورد ذكرها في هذه المدونات القديمة وفي كتابات التوراة •

٢ ــ تعيين تواريخ الحوادث بصورة مضبوطة بحسب تسلسلها الزمني وتوضيح علاقة الأقوام بعضها ببعض وتعيين أدوارها ، وخاصة هجرة الأقوام بوجه عام وتطور ثقافاتها ولغاتها •

٣ ــ تتبّع أزمان الهجرات السامية من جزيرة العرب الى فلسطين والى بلاد الهلال الخصيب قبل ظهور النبي موسى وشرح دور هذه الهجرات العربية في تطور وتقدم الحضارة السامية •

٤ ــ تعيين زمن الحوادث التاريخية الوارد ذكرها في التوراة بالقياس الى الوقائع الحربية والسلالات الحاكمة في كل عصر من العصور بحسب

تسلسلها الزمني .

٥ ـ توصّل الخبراء الى أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع الى أصل قديم وجد مثيله أو ما يشـــابهه في المدونات السومرية والاكدية والكنعانية والبابلية والاشورية والمصرية ، مما يدل على أنه ليس لليهود أدب مبتكر أو ثقافة خاصة بهم .

٦ ـ توصل الخبراء الى ان مواد عديدة في التوراة مأخوذة من شريعة حمورابي والشرائع القديمة الأخرى، وان اكثر التراتيل والمزامير والتسابيح الدينية التي وردت في التوراة مقتبسة من الكنعانيين وقد عثر عليها في « اوغاريث » (فينيقيا) .

٧ ـ توصل الخبراء الى ان شرائع التوراة هي نفسها الشرائع التي كـــان يمارسها الكنعانيون والبابليون من قبل وقد اقتبسها اليهود منهـــم ومارسوها ثم ادخلوها في كتبهم المقدسة .

٨ ـ ثبوت كون اليهود غرباء دخلاء على فلسطين وان كل ما يملكون مـــن المقومات الثقافية ومن ضمنها اللغة وكتابهم المقدس مقتبس من الحضارة الكنعانية والارامية وهي من أصل عربي ، وان الاسماء التاريخيـــة الواردة في التوراة سواء كانت أسماء شخصيات أو أسماء أماكن هي من أصل كنعاني عربي ترجع الى ما قبل ظهور اللغة العبرية باكثر من ألفـــي سنة .

٩ ـ ثبوت كون اليهود عاشوا في فلسطين وهم أقلية بين السكان الاصليين طيلة مدة مكوثهم فيها .

١٠ ـ ثبوت عجز اليهود في أي دور من ادوار التاريخ عن انشاء دولة مدنيـــة زمنية تضم كل فلسطين ، وان دولة داود وسليمان كانت قائمة في القـــرن العاشر قبل الميلاد على تراث كنعاني بحت قبل نشوء العبرية (اليهودية) بعدة قرون .

وتشير الدلائل على أن مدوّني التوراة أخذوا عن القدماء نفس أسلوبهم في تدوين الحوادث ، من ذلك التشابه بين طريقة التوراة وبين الطريقة السومرية المتبعة في تقدير أعمار الاشخاص مما يؤيد اقتباس مدوني التوراة الطريقـــة السومرية ذاتها فقد ورد ذكر أشخاص في التوراة قيل عنهم أنهم عاشوا ثمانمائة

أو تسعمائة سنة[١٠] ، وهذه نفس الطريقة التي اتبعها السومريون الاوائل في تدوين مدد حكم ملوكهم ، فمن جملة مدوناتهم أن ثمانية من ملوكهم حكموا قبل الطوفان ٢٠٠ر٢٤١ سنة وفي جدول آخر يصعد الرقم الى ٤٥٦٠٠٠ سنة ، وهذه الأرقام الخيالية في تدوين أعمار الأشخاص ما زالت لغزاً لم يتوصّل علماء الآثار الى حلّه حتى الآن ، فيرى البعض أن احتساب هذه الحقب الطويلة للأعمار هي مجرد رمز للاعتقاد السائد بأن هناك عصراً ذهبياً دائم الازدهار كان يعمّر فيه الملوك آلافاً من السنين لما كانوا يتمتعون به من مقام الالوهية التي هي فوق الطبيعة البشرية • ويرجح السير ليئونارد وولي أن السومريين كانوا يؤرخون حكم الملوك بالآف من السنين اذ كانوا يعبّرون عن أعمارهم بوحدة قياسية تدعى « سار » وهي حقبة أمدها ٣٦٠ سنة[١١] • وهناك رأي أن الأقوام الأولين كانوا يعدون كل شهر عاما فاذا قالوا الفاً ومائتي سنة فانما يعنون مائة عام من أعوامنا[١٢] • وللمعري أبيات بهذا المعنى قال :

ورووا للمعمرين أموراً	لست أدري ما هن في المشهور
أتراهم فيما تقضى من الايا	م عدوا سنيهم بالشهور
كلما لاح للعيون هلال	كان عاما لديهمو في الدهور
هكذا ينبغي والا فان الـ	ـعقل يثني في حالة المبهور[١٣]

ويسود الشعور الآن بين الكتاب المحدثين أن الوقت قد حان للكشف عن صلة الثقافة اليهودية ومن ضمنها الديانة اليهودية بالثقافات السامية القديمة ، فيقول الاستاذ هوك في مقدمة كتابه « أصول الديانات السامية القديمة » : « إننا الآن في وضع أكثر ملاءمة من أي وقت مضى لتوضيح علاقة العناصر الأساسية للديانة اليهودية بشبكة الشعائر الدينية التي كانت سائدة في البيئة السامية القديمة بوجهة نظر تاريخية جديدة • »[١٤]

---

(١٠) تك ٥ : ٢٧ •

(١١) C.L. Woolley, "The Sumerians," 4th imp., 1930, p. 29

(١٢) انظر « الري والحضارة في وادي الرافدين » ، للدكتور احمد سوسة ص ٩٦ •

(١٣) النجار « قصص الانبياء » ، ١٩٣٦ ، ص ٦٨ •

(١٤) S.H. Hooke, "The Origins of Early Semitic Ritual," 1938, p. vii

ونحن نقول : لقد آن الأوان للباحثين أن يتحرروا من التقيد بمدونات التوراة في بحث تاريخ فلسطين القديم ،وعليهم ان يتوغلوا فيأحدث الاكتشافات للنصوص القديمة التي سبقت عصر التوراة بعشرات من القرون فمهّدت السبيل للتمييز بين الغث والسمين واقتفاء التواريخ حسب تسلسلها الزمني •

٥ ــ قصة الخ ِقة عند البابليين وعند اليهود

إن أصل الوجود والخليقة من الامور التي شغلت تفكير القدماء منــذ أقدم العصور ، وقد عثر علماء الآثار على كثير من النصوص من الأدب العراقي القديم التي تعبر عن اعتقادات الاقوام السومرية والبابلية والاشورية في الخليقة وأصل الوجود ، أكثرها يتفق مع المآثر اليهودية في التوراة مع الفارق في صبغة الشرك ، أي تعدد الآلهة ، في الأديان القديمة مقابل صفة الاله الواحد الخاص باليهود في الديانة اليهودية ، وأكمل القصص القديمة التي عثر عليها القصــة البابلية المشهورة برقم الخليقة السبعة ، لأنها دونت على سبعة ألواح من الطين • وقد وردت هذه القصة بألف سطر تقريبا ويعتقد أنها ترجع الى عهد حمورابي حين أصبح الاله مردوخ سيد الالهة ، رغم أنها كتبت في وقت لاحق • وملخص القصة أن في البدء لم يكن سوى العماء (Chaos)المكوّن من « البحر الاول » أو « المياه الاولى » • والعماء كما يفسره الباحثون جرياً على ما ذهباليه بعض فلاسفة الاغريق يمثل المادة التي تكوّنت منها الموجودات • وهذه المادة مؤلفة من عنصرين من الماء : الماء العذب (وهو العنصر المذكر) والماء المالح (العنصر المؤنث) • وقد جسّم البابليون هذين العنصرين من الماء وجعلوهما إلها وإلهة ، وهما « أبسو » و « تيامة » وعدوهما أصل الآلهة الاخرى وأصل جميــــع الأشياء ، وقد ولد هذان الالهان آلهة أخرى • وحدث بعد دهور أن نشــبت حرب بين الآلهة القديمة والآلهة الحديثة قتل فيها الاله « أبسو » • ثم دارت حرب أخرى بين « تيامة » زوج « أبسو » والآلهة الحديثة قضي فيها علــــى « تيامة » • ومن بقايا جسمها خلق العالم المثل بالسماء والارض ، وقد أطلق على ذلك مصطلح «آن ــ كي» وهي كلمة مركبة تعني السماء والارض•ولما كان الاله « آن » إله السماء ذكراً والالهة « كي » ، أي الارض ، كانت أنثى فمن اتحاد هذين الالهين ولد الاله « انليل » إله الهواء ، ثم فصل الاله « انليل » هذا السماء عن الارض وأخذ أمه الارض وهيأ لخلق الانسان والحيوان والنبات

وتأسيس المدنية • أما عن أصل الأجرام فقد اعبروا الالهالقمر المعروف بالاسمين « سين » و « ننا » ابن الاله « انليل » ، كما اعتبروا الاله الشمس المسمّى « أوتو » (شمش) ابن سين الاله القمر •

والتشابه بين قصة الخليقة البابلية وبين التوراة واضح ، فكلتاهما تشير الى وجود « عماء » مظلم من الماء ، كما أن الكلمتين المستعملتين للعماء متشابهتان في كلا المصدرين • فتقول التوراة : « وكانت الارض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه »[15] • والاختلاف بين العقيدة البابلية وبين رواية التوراة هو أن التوراة تنص على وجود الله منذ الأزل وقد سبق وجود المادة وهو الذي خلق المادة ، في حين أن الرواية البابلية تشير الى أن المادة وجدت منذ الازل ولكنها كانت ذات صفة ثنائية لانها كانت الهاً في الوقت نفسه فتولد من هذه المادة ــ الاله ــ جميع الاشياء والموجودات •

وتتفق قصة الخليقة البابلية مع رواية التوراة اليهودية وذلك بفصل المياه الاولى • فقد فصل الاله مردوخ جسم « تيامة » (الماء المالح المونث) وكوّن من نصفه السماء ، وصنع من شطره الثاني الارض بهيئة قبة (أي نصف كرة) ووضعها في البحر ، أي مياه « الابسو » (مياه البحار السفلى ومصدر المياه جميعها) • وورد في سفر التكوين[16] أن الارض أول ما خلقت كانت طافية في الماء ، وفي اليوم الثالث أمر الله أن تجتمع المياه جميعا في موضع واحد فظهرت اليابسة • وتطغى على اساطير الخليقة البابلية صبغة الشرك أي تعدد الالهة التي هي من ابرز ميزات الدين البابلي •

اما أصل الوجود والخليقة عند الفراعنة ففي أسطورة فرعونية قديمة نجد ما يشبه الوصف البابلي للخليقة حيث تقول : « في البدء كان الماء الاول أو المحيط المظلم • وكان الاله (انون) وحده فخلق الآلهة والبشر والأشياء » • وهناك اسطورة فرعونية أخرى تقول : « إن الأرواح كانت ترفرف فوق البحار ، وفي الفضاء ، ونفذ روح الاله (آمون) في ذلك الفضاء ، وخلق الارض والسماء والبشر وكل شيء » •

---

(١٥) تك ١ : ٢ •

(١٦) تك ١ : ٩ •

وهناك تشابه بين المدونات السومرية والبابلية وبين مدونات التوراة في صفة كون الانسان خلق على صورة الالهة أو الآلهة • « فقد عزا السومريون والبابليون الى آلهتهم صفات البشر جميعها ، فلها عواطف وميول مثل ما للبشر ، وهي تعيش وتأكل وتتزاوج ، وتسكن في بيوت ، هي المعابد المشيدة لها وفيها خدمها وطهاتها وكهنتها ، ولكل إله زوج أو زوجات وسراري ومعشوقات وله



التصوير رقم ٥٠

احد الآلهة القديمة يقاتل تنينا« افرنا » يمثل « العنماء » : ففي اللاهوت القديم كان الاله « انليل » هو الذى هشم التنين ، وفي اللاهوت المتاخر قام الاله مردوخ ، بطل آلهة بابل بهذا الدور • ولما اخذ اليهود بهذه الاساطير الدينية أصبح القائم بهذا الدور المهم « يهوه » : « انت سحقت رهب مثل القتيل » (مز ٨٩ : ٨ ـ ١٢) انظر :

King, "Babylonian Religion and Mythology"; Roger, "Cuneiform Parallels," p. 487.

بنات وأولاد الخ ••• ومن ظواهر صفة التشبيه تأليه الملوك العظام في حياتهم وبعد مماتهم • وتمتاز الآلهة عن البشر بصفات فارقة أبرزها أنها تتصف بصفة الخلود فهي بخلاف الانسان لا تموت،وان مات بعضها مثل الاله الذي يمثل فصل الربيع فانما يكون لامد محدود ، وان رجوع الاله الميت الى الحياة أمر ممكن بعكس الانسان • ومساكن الآلهة الأصلية في السماء وبامكانها أن تنزل الى الارض وفي يدها مصير البشر •• وكانت الغاية من خلق الانسان ليعبدها ويسدها

بما تحتاجه من المؤون لعيشها • لذلك فأن عدم تحقيق هذه الغاية أو التقصير فيها يعرض الانسان الى بطشها ونقمتها وغضبها في هذه الحياة في شتى ضروب العقاب •• إذن الحصول على رضا الآلهة أقصى ما يتوق اليه العبد ويسعى اليه لان سخط الآلهة مجلب للويلات والدمار.» • ومثل ذلك ورد في التوراة : فالاله الرب خلق الانسان على صورته ، ذكرا واثنى[١٧] • ثم ان نفس ما ورد في النصوص السومرية والبابلية حول كسب رضا الاله موجود في التوراة ، فعلى بني اسرائيل (اليهود) أن يكسبوا رضا الههم « يهوه » والا فعاقبتهم وخيمة اذا اعرضوا عن عبادته واطاعته فيسلط عليهم الاعداء ويعرضهم الى شتى أنواع العقاب • وكذلك ان النص السومري الذي يشير الى ان الاله ينزل من السماء ويختار الاماكن على الارض هو نفسه وارد في التوراة[١٨] •

وبوجد تشابه بين قصة خلق الانسان السومرية وبين رواية التوراة اليهودية فبحسب القصة السومرية أن الانسان صنع من الطين ، ونص التوراة مشابه تماما لذلك حيث ورد في سفر التكوين[١٩] ما هذا نصه : « وجبل الرب الاله آدم ترابا من الارض ، ونفخ في أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفساً حية • »

يتضح مما تقدم أن اليهود اقتبسوا أكثر قصصهم ورواياتهم من الآداب السومرية والبابلية والكنعانية ، وقد جاء اسلوب تدوينهم للأحداث مطابقاً للأسلوب المتبع في تدوين القصائد والملاحم السومرية والبابلية والتي من صفاتها الاعادة والتكرار ، فقد اقتبس اليهود هذا النوع من الشعر من البابليين والسومريين وهو شعر موزون ولكنه غير مقفى • ويؤكد الاستاذ طه باقر هذا الرأي في بحثه عن أصل الخليقة في معتقدات قدماء سكان العراق ، فيقول : « ومما لا شك فيه أن العبرانيين (أي اليهود) أخذوا أشياء كثيرة عن البابليين ولعل أبرز ما يجده المرء من ذلك قصة الخليقة البابلية المعروفة بـ « انيوما ـ ابليش »[٢٠] •

---

١٧) تك ١ : ٢٧ ؛ ٥ : ١ـ٢ •

(١٨) تك ١١ : ٥ ؛ خر ١٩ : ٣ ، ٢٠ •

(١٩) تك ٢ : ٧ ـ ٩ •

(٢٠) اعتمدنا في عرض هذه الخلاصة عن قصة الخليقة عند البابليين والسومريين على كتاب « كريمر الاساطير السومرية » ، وعلى المقالين التاليين للاستاذ =

ـ البعث والقيامة عند اليهود وعند السومريين والبابليين والمصريين

وتدل النصوص السومريه والبابلية على أن هناك تشابها تاما بين تلك النصوص وبين نصوص التوراة حول فكرة البعث والنشور في حياة أخرى بعد الموت ، فكلاهما ينكران البعث والقيامة ، فقد وصف السومريون والبابليون العالم الآخر أنه عالم الظلام والرهبة ، وهو المكان الذي اذا ذهب اليه الانسان



التصوير رقم ٥١

انابيب خزفية فى جوف الارض لايصال النذور والقرابين الى آلهة العالم الاسفل ان هذه الانابيب الخزفية وجدت مدفونة تحت الارض فى مدينة أور السومرية وجدت ممتدة بصورة عمودية الى عمق زهاء اربعين قدما ويعتقد انها دفنت تحت الارض بهذا العمق بغية ايصال النذور والقرابين الى الآلهة الذين فى العالم الاسفل الذى تتولاه الالهة « ايرشكيكال Ereshkigal » الهة الظلام والموت . وقد استدل الباحثون على ذلك بما عثروا عليه فى داخل الانابيب من شقف الاواني التى رميت من فتحة الانبوب تحت ارضية البناء وهى من نوع الاواني التى كان السومريون يقدمون فيها نذورهم الى الآلهة فوق الارض .

= طه باقر :

١ ـ « الخليقة وأصل الوجود » ، سومر م ٥ (١٩٤٩) ، ص ١ ـ ٣٦ ، ١٧٥ ـ ٢١٤ .

ـ « ديانة البابليين والاشوريين » ، سومر م ٢ (١٩٤٦) ، ص ١ـ١٩ ، ١٧٩ ـ ١٩٦ .

فلا خروج منه أبدا • وقد سمّاه السومريون العالم السفلي الذي يحكم فيه الاله «نرجال» ، وينعتونه أحيانا بمدينة الاموات ، وقد سماه البابليون «ارالو»، والناس في هذا العالم كما ورد في ملحمة جلجامش متساوون • وقد ورد وصف العالم الآخر في القصيدة التي تصف نزول الالهة عشتار الى هذا العالم في بداية الربيع من كل عام لتخرج زوجها تموز اله الخضار والربيع فقيل إنه موضع مخيف مستّور بسبعة أسوار ضخمة يحرس كلا منها مردة الشياطين وتتولاه الالهة ايرشكيگال (Ereshkigal) الهة الظلام والدجى والموت[٢١] • وخلاصة القول أنه ليس في عقائد البابليين والسومريين ما يوعد به الانسان من آمال دينية لذيذة بعد الموت ، أي أنه ليس عندهم جنة ونار أو نعيم وجحيم • وأثر هذا الاعتقاد في الحضارة السومرية البابلية جلي واضح في جميع مقوماتها حيث تطغى عليها صفة المادية والنعيم والمتعة في هذه الحياة •

وكان أقرب مثال واقعي للموت عند الأقوام القديمة هو النوم ، فكان السومريون والبابليون يعتقدون بأن الميت يحتفظ بشيء من الشعور يستمر ملازماً له عند اللحظة التي يغمض فيها عينيه ، وكانوا يتصورون « أن روح الميت تتمثل في شبح سمّوه (أدمو) ينزل مع الميت الى العالم السفلي ويبقى معه هناك في حال دفن الميت وفق الطرق والمراسيم الدينية المقررة ، واذا لم تتوفر هذه الشروط انقلب هذا الشبح روحاً خبيثاً يخرج من عالم الأموات في الارض السفلي ويكون ديدنه الحاق الضرر والأذى في الأحياء ولا سيما أقارب الميت ، ولذلك عني الناس عناية شديدة بدفن الميت بموجب القواعد الدينية منعا من خروج الـ (أدمو) من عالم الأرواح • »[٢٢]

---

(٢١) انظر :
Jastrow — "Hebrew and Babylonian Tradition, N.Y. 1914 (Chap. IV); Woolley — Excavations at Ur". pp. 108-109.

(٢٢) اعتمدنا في عرض هذه الخلاصة عن عقيدة العالم الآخر عند البابليين والسومريين على المقالات التالية للاستاذ طه باقر :

أ ـ « عقائد سكان العراق القدماء في العالم الآخر » ، سومر م ١٠ (١٩٥٤)، ص ٨ ـ ٣٩ •

ب ـ « ديانة البابليين والاشوريين » ، سومر م ٢ (١٩٤٦) ، ص ١ـ١٩ ، وص ١٧٩ ـ ١٩٦ •

ج ـ « ملحمة جلجامش والطوفان » ، سومر م ٦ (١٩٥٠) ، ص ٤٢ـ٨٠ وص ١٤٣ـ١٩١ •

امّا اذا رجعنا الى التوراة فلا نجد أي ذكر فيها لفكرة البعث والنشور في حياة أخرى أو لدار العقاب ودار الثواب في العالم الآخر ، والتشابه ظاهر جلي في كلا المصدرين البابلي والتوراتي في الثواب والعقاب الزمنيين ، فالنص التوراتي يشبه تماماً النص البابلي في أن العقاب زمني في هذه الدار الدنيا كالآلام والمرض وفقد المال والموت العاجل وتسلّط الأعداء الخ ...[٢٣] أما بعد الموت فيذهب الانسان الى دار الأموات « وفي الظلام يذهب واسمه يغطّى بالظلام[٢٤] » وهذا نفس عالم الظلام البابلي حيث يتساوى الجميع فيه ، « أليس الى موضع واحد يذهب الجميع »[٢٥] ، وكلمة التساوي هذه هي نفس التعبير الوارد في النص البابلي . وقد سمّت التوراة العالم السفلي البابلي والسومري باسم « سيلاه »[٢٦] ، كما سمّته الهاوية التي اذا ذهب اليها الانسان لا يصعد[٢٧] ، وهذا نفس كلام السومريين والبابليين « المكان الذي لا خروج منه » ، وسمّته أيضاً « الظلام وظل الموت »[٢٨] ، وهو نفس كلام البابليين « عالم الظلام والرهبة » ، وفي مكان آخر سمّته « الجب واسافل الجب »[٢٩] ، ووادي ظل الموت[٣٠] . ومن المرجح أن الكنعانيين الذين أخذ الاسرائيليون عنهم تقاليدهم وعاداتهم بل وأكثر شرائعهم كانوا يحملون نفس الفكرة التي اعتنقها اليهود في هذا الصدد .

وقد ظهرت جماعة من اليهود مؤلفة من طبقة الكهنة وبعض الكتبة كانت تجاهر بمبدأ نكران البعث والنشور والقيامة وتذهب الى أن عقاب العصاة واثابة المحسنين انما يحصلان في حياتهم ، وهؤلاء صاروا يعرفون بالصدوقيين نسبة الى رائدهم الأول صدوق أو صادق ، وكان هؤلاء يرفضون كل ما هو

(٢٣) الجامعة ٥ : ١٨ ـ ٢٠ .
(٢٤) الجامعة ٦ : ٤ .
(٢٥) الجامعة ٦ : ٦ .
(٢٦) مز ٤٩ : ١٥ ؛ ٨٨ : ٧ ؛ ٢٤ : ١٠ .
(٢٧) تك ٣٧ : ٣٥ ؛ مز ١٦ : ١٠ ؛ ٨٨ : ٣ ؛ ٤٩ : ١٥ .
(٢٨) ايوب ٣ : ٥ ؛ ١٠ : ٢١ .
(٢٩) خر ٣٢ .
(٣٠) مز ٢٣ : ٤ .

خارج عن الوحي المدوّن في أسفار موسى الخمسة ثم نشأت فكرة العقاب عند علماء اليهود في وقت لاحق ، فقال بعضهم بوجود سبع دور متناوبة الدرجات ، ورأى بعضهم أن للعقاب دارين عليا وسفلى واحدة لعقاب الجسد في هذه الحياة وأخرى للنفس في الآخرة ، ولهذه سبع دركات متفاوتة حسب تفاوت الذنوب ، ومنهم من قال إن الناس يقسمون بعد الموت ثلاث فرق ، فرقة صالحة حسناتها تربو على سيئاتها تتمتع بالسعادة الأبدية حالاً وفرقة طالحة تزيد سيئاتها على حسناتها تعذب عذابا أبديا،وفرقة ثالثة بين بين تعذّب في جهنم مدة حتى تتطهر من ذنوبها ثم تصعد الى السماء .

وقد ظهرت قبيل عهد المسيح فرق من اليهود تؤمن بالقيامة وبالعقاب وبالملائكة فكان أقدمهم السامريون الذين اتخذوا لهم هيكلهم الخاص بهم في جبل جرزيم في شكيم (نابلس الحالية) ، حيث مارسوا عبادتهم منعزلين عن اليهود الذين كانوا على خلاف ديني معهم وقد اشتدت العداوة بينهما . « ويلاحظ في سفر المكابيين تأكيداً قوياً للمجازاة في الحياة الأخرى ولقيامة الموتى وذلك دليل على فكرة متطورة عما بعد الموت اعتنقها فيما بعد الفريسيون وعلّمها المسيح وتركها للكنيسة »[٣١] . والفريسيون فرقة من الفرق اليهودية المتأخرة يؤمن منتسبوها بالقيامة وبالروح وبالملائكة على نقيض الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة ولا بالروح ولا بالملائكة ، وكان بولص الرسول فريسياً من حيث ايمانه بالقيامة قاومه اليهود وناصبوه العداء هم والصدوقيون . « ولما علم بولص أن قسماً منهم صدوقيون والقسم الآخر فريسيون صاح في المحفل أيها الرجال الاخوة أنا فريسي ابن فريسي وأنا على الرجاء وقيامة الأموات أحاكم ؛ فلما قال ذلك وقع اختلاف بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة ، فان الصدوقيين يقولون بعدم القيامة وعدم الملاك والروح والفريسيين يقرون بذلك كله »[٣٢] . ولابد من الاشارة في هذا الصدد الى أن قول بولص الرسول إنه فريسي إنما ذلك من حيث اتفاقه معهم في الايمان بالقيامه ، ولكنه كان يختلف معهم في قبول الأحكام المتوارثة على لسان الأسلاف وفي جملتها التلمود ، لذلك كان

---

(٣١) الكتاب المقدس ، الطبعة الكاثوليكية لسنة ١٩٦٠ ، ص ٧٦٩ .

(٣٢) اعمال الرسل ٢٣ : ٦ ـ ٨ .

الفريسيون بزعامة يوحنا بن زكاّي الذين يقبلون بغير التوراة المدوّنة ومعهم الصدّيقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة قد ناصب كلاهما المسيح وأعوانه العداء .

امّا المصريون القدماء ، فكانوا يعتقدون بوجود دار للعقاب ودار للثواب ، وأن النفس بعد الموت تحاكم في حضرة الاله « اوسيرس » واثنين وأربعين قاضياً ، وتوزن هي وأعمالها ، فاذا وجدت ناقصة حكم عليها بالعقاب ، امّا أن تساق الى الأرض لتحل في جسم حيوان من الحيوانات النجسة أو تلقى في دار العقاب حيث النار والابالسة ، وقد تطّهر من آثامها فيسمح لها بالعودة الى الأرض والظهور في جسد الناس[٣٣] ، ذلك ما يدل بوضوح على ان الاعتقاد بخلود الروح وفي الحياة بعد الموت كان مبدأً دينياً أساسياً في حياة المصريين القدماء ، بخلاف ما كان عليه السومريون في هذه الناحية ، وذلك على الرغم من العثور في مقبرة أور السومرية على مواد تركت للأموات عند حجر قبورهم والتي تعطي الانطباع على أن السومريين كانوا يعتقدون بالحياة الأخرى أيضاً ، إذ يؤكد المستر وولي الذي قام بالتنقيب في هذه المقبرة أنه لم يجد أي دليل على ارتباط هذه المواد بأية صلة دينية تتعلق بالاعتقاد في الحياة بعد الموت[٣٤] . وقد ابتكر المصريون طريقة التحنيط للاجساد لحفظها من عوامل البلى وشيدوا إهراماتهم وجعلوها قبوراً تحفظ فيها الأجساد بعد انفصالها عن الأرواح ،لذلك كان الأهل والأقرباء يتركون في الحجرة التي يوضع فيها الدفين ما يحتاجه بعد عودة الحياة اليه من مفاخر الطعام ولذيذ الشراب . وكانوا يزينون حجرة الميت بزخارف ينقشونها على الجدران تشتمل على مشاهد تمثل مختلف تحركات الميت في حياته اليومية أكثرها دينية .

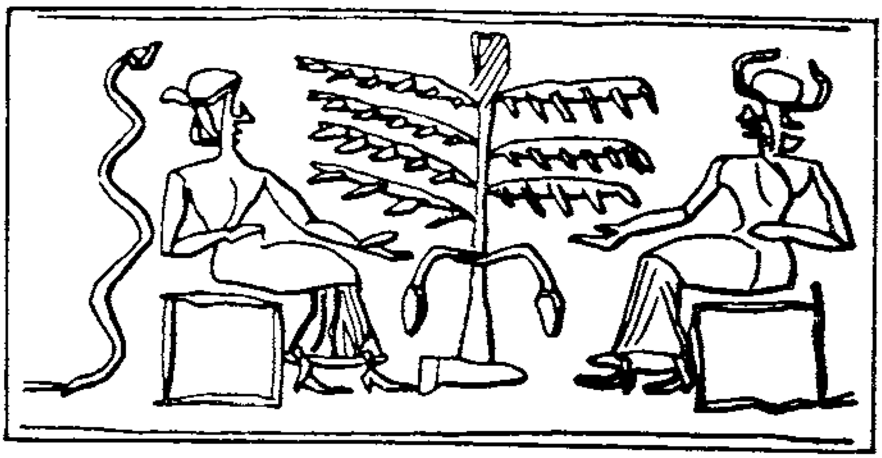
٧ ـ قصة آدم وحواء في تصوير السومريين

ومما يثير الدهشة والغرابة أن المكتشفات الأخيرة قد دلّت على أن قصة آدم وحواء بما فيها قصة جنة عدن التي وردت في التوراة قصة قديمة ترجع

(٣٣) سومر م ٢ (١٩٤٦) ، ص ٩ ؛ المقتطف م ١٥ (١٨٩١) ص ١٨ فما بعد وص ٧٦ فما بعد .

(٣٤) "Excavations at Ur," p. 55.

جذورها الى عهود ما قبل التوراة ، فقصة آدم وحواء التي تشـير الى إغراء الحية حواء وتناول حواء وآدم من ثمر شجرة معرفة الخير والشر بالرغم من منعهما من الاكل منه ، ان هذه القصة ذاتهـا ، نجدهـا مصورة على نقش سومري[٣٥] يشاهد فيه رجل على رأسه قلنسوة ذات قرنين وامرأة حاسـرة الرأس جالسـين الواحد أمام الآخر وقد نبتت شجرة بينهما تشـبه شـجرة النخل تدلّى عذقان من التمر من طرفيها ، ويشاهد الرجل ماداً يده اليمنى نحو العذق الذي أمامه ليقتطف من ثمره ، كما تشـاهد المـرأة وهي مادة يدهـا اليسرى نحو العذق الذي أمامها لتقتطف من ثمره أيضا ، ثم تشـاهد الحيـة وهي منتصبة واقفة خلف المرأة تغريها في الأكل من هذا الثمر المحرم عليهـا أكله • وهذا دليل على أن شجر النخل وجد على تربة جنوب العراق منذ أقدم الأزمنة وأن شجرة معرفة الخير والشر هي شجرة النخل بالنسبة للسومريين (انظر التصوير رقم ٥٢) • ومما يذكر أن هذا النقش التاريخي وضع قبـل



التصوير رقم ٥٢
قصة آدم وحواء واغراء الحية بهما على نقش سومري

التوراة بزهاء ألفي عام • مع العلم ان البعض يشك في كون هـذه الصوره تمثل قصة آدم وحواء من غير أن يعطي هؤلاء تفسيراً آخر ونحن نميـل الى ضم صوتنا الى أصوات القائلين بأنها تمثل القصة لان الصورة تتـكلم عن نفسها دون حاجة الى شرح •

(٣٥) W.H. Ward, "The Seal Cylinders of western Asia," 1910

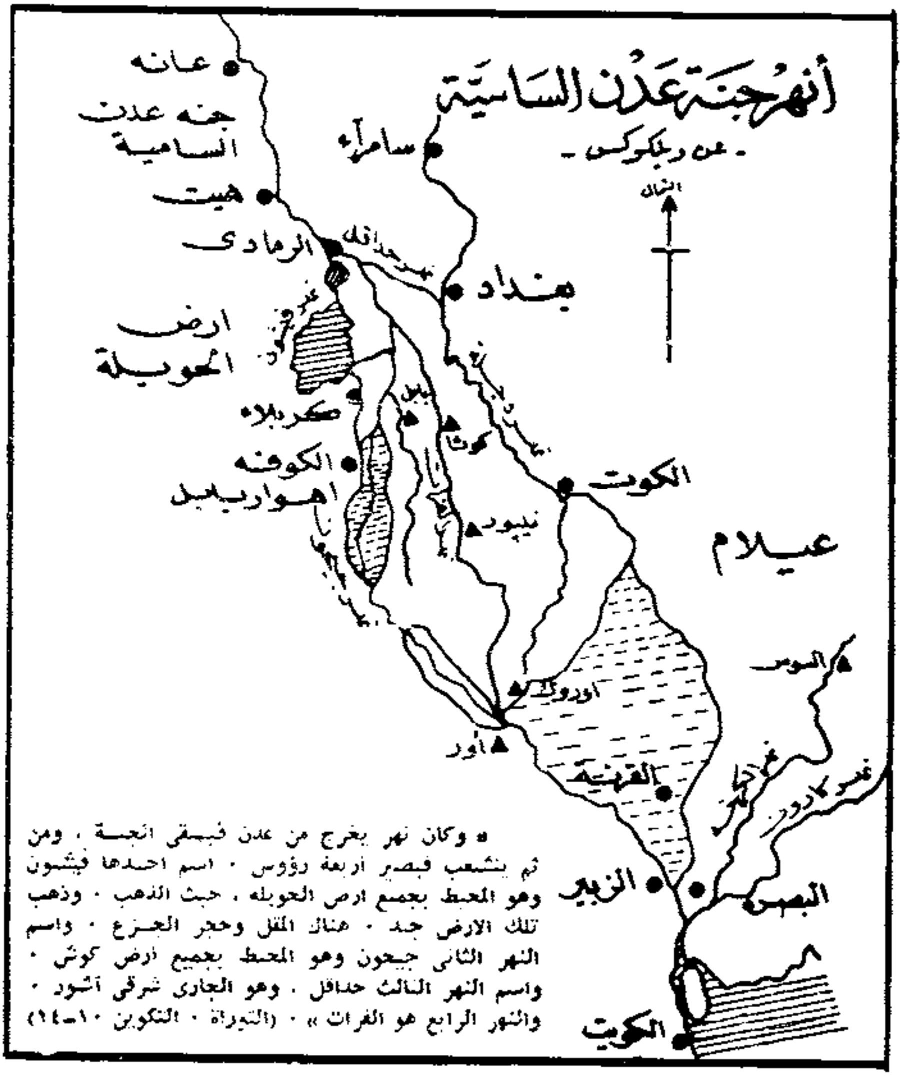
٨ ـ فكرة الفردوس عند السومريين والساميين

أمّا موضوع « جنة عدن » التي أوردتها التوراة فقد خلص الخبراء في ضوء الاكتشافات الاخيرةالى أن فكرة الفردوس (الفردوس الالهي) ترجع الى عهود قديمة أيضاً ، إذ عثر على لوح نقشت عليه قصيدة سومرية فيها تشابه بين المدونات التوراتية والقصة السومرية • وكان موضع الفردوس بموجب القصة السومرية في أرض « دلمون » التي رجح بعض الباحثين أنها كانت في الجهة الجنوبية الغربية من بلاد فارس ، بينما يرجح البعض الآخر أنها كانت في الجهة الغربية من ساحل الخليج العربي وقد عين هؤلاء الباحثون المحققون مكانها في البحرين ، وتذهب القصة السومرية الى أن بلاد « دلمون » كانت جزيرة تتمتع بقدسية خاصة وكانت فيها آلهة تعبّد لها أهل العراق ، وقد وصفت كونها « أرض الخلود التي لا يوجد فيها مرض أو موت أو حزن ، ولا ينعب فيها غراب ، ولا ترفع الطيور أصواتها بعضها فوق بعض ، ولا تفترس أسودها ، ولا يأكل ذئب فيها حملاً ، الا أنه كان ينقصها الماء العذب اللازم لحياة الحيوان والنبات ، فامر إله الماء السومري العظيم « انكي » « اوتو » إله الشمس أن يملأها بالمياه العذبة النابعة من الأرض • وهكذا تحولت « دلمون » الى حديقة إلهيه غناء مملوءة بالاثمار والمروج والرياض •

والأرجح في راينا ، أن فكرة الفردوس الالهي أول من ابتدعها الساميون العموريون الذين استقروا على ضفاف نهر الفرات في جوار عانة وهيت لأن أكثر العلماء الآثاريين متفقون على أن الساميين كانوا قد نزحوا من الجزيرة العربية الى ضفاف الفرات في حوالي الألف الرابعة قبل الميلاد ، وبذلك يكونون قد سبقوا السومريين في الاستيطان بحوالي ألف عام • وهكذا فقد حددوا موقع الجنة بالنسبة الى مستقرهم على نهر الفرات في رأس دلتا نهر الفرات حيث تبدأ تفرعات النهر فوصفت كونها تقع على نهر الفرات في المكان الذي يتفرع النهر فيه الى أربعة فروع ، هي فيشون وجيحون وحداقل والفرات ، فيمثل الأول منخفضي الحبانية وأبي دبس ، والثاني نهر الهندية الحالي والثالث مجرى الصقلاويةالقديم ، اما الرابعفهو نهرالفرات أيالمجرى القديم المعروف بنهر كوثا (انظر أنهر جنة عدن السامية عن ويلكوكس) • والأرجحان مدوني التوراة اقتبسوا هذه القصة من الساميين العموريين الاوائل عن طريق البابليين فادخلوها

في التوراة[٣٦] .

اما السومريون فقد اكتفوا بوصف فردوسهم الالهي بالنسبة الى منطقة الغمر « أپسو » التي تمثل مياه الأهوار من غير أن تتطرق الى تفرعات نهر الفرات لبعدها عنهم شمالا . ومثل ذلك كان فيما يخص قصة آدم وحواء ، إذ اتخذ



الرتسم رقم ١٣

(٣٦) تك ٢ : ٨ ـ ١٤ .

الساميون شجرة التفاح لتمثل شجرة الحياة ، بينما اتخذ السومريون النخلة لتمثل شجرة الحياة لوجودها في بيئتهم . لذلك نرجح أن السومريين أخذوا فكرة القصتين من الساميين الذين سبقوهم في الاستيطان على نهر الفرات فحوّروها لتتفق مع بيئتهم. الا أن «كريمر» يخالف هذا الرأي اذ يرى ان اليهود تأثروا بالكنعانيين الذين اخذوا فكرة الفردوس الالهي عن السومريين . وردنا على هذا ان الكنعانيين كانوا بعيدين كل البعد عن المنطقة السومرية . فهو يقول في كتابه « من الواح سومر » : « لقد ترك الأدب الذي أوجده السومريون أثره العميق في العبرانيين (اليهود) ومن أكثر الامور المثيرة هو تقصي أوجه الشبه والمطابقة بين الافكار والبواعث السومرية والتوراتية . والشيء المؤكد بهذا الصدد أن السومريين ما كان بامكانهم أن يؤثروا في العبرانيين رأساً وبدون واسطة لأنهم (أي السومريين) كانوا قد زالوا من الوجود قبل أن يظهر العبرانيون . ولكن لا يوجد أدنى ريب في أن السومريين قد أثروا تأثيراً عميقاً في الكنعانيين الذين سبقوا العبرانيين في استيطان البلاد التي عرفت بعدئذ باسم (فلسطين) .» ويعلّق الاستاذ كريمر على وجه الشبه بين أسفار التوراة والآداب السومرية فيقول : « فقد أصبح في وسعنا الآن أن ندرك أن هذه المجموعة العظمى من المآثر الأدبية ، أي التوراة لم تظهر الى الوجود وهي كاملة النمو كالازهار الاصطناعية النامية في الفراغ ، وانما تمتد جذورها امتدادا عميقا في الماضي البعيد وتنتشر انتشاراً واسع المدى في البلدان المجاورة . فان أسفار التوراة في صيغتها ومضمونها كليهما ليست بالقليلة الشبه بالآداب التي خلقتها وأوجدتها الحضارات القديمة في الشرق الأدنى . »(٣٧)

٩ ـ قصة قابيل وهابيل التوراتية في الملاحم السومرية

وقد اتضح من الأساطير السومرية التي عثر عليها المنقبون أن قصة قابيل وهابيل الواردة في التوراة والتي تمثل النزاع بين الفلاح والراعي ترجع جذورها الى عهد موغل في القدم أيضا ، فمن الأساطير السومرية قصة تدعى « ايميش وأينتين » وهي شبيهة بقصة « قابيل وهابيل » في التوراة وتتلخص الاسطورة

---

(٣٧) الترجمة العربية ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

بما يأتي :ـ أراد إله الهواء « انليل » أن تنمو الاشجار والحبوب وأن تحل في البلاد الوفرة والرخاء فخلق لهذه الغاية مخلوقين أخوين هما « أيميش » و « أنيتين » ليعنيا بشؤون الزراعة والفلاحة وتربية الحيوان ، ويبدو من سياق القصة أن نزاعا شب بين الاثنين أفضى بهما الى التحكيم ، ولكن « انليل » اختار « أنيتين » وجعله فلاح الالهة • وتتألف هذه القصة من ٣٠٠ سطر الكاس منها زهاء النصف •

ومن الأساطير السومرية الأخرى التي تمثل طرفا من النزاع المستحكم بين البدو والحضر ، بين الراعي والفلاح ، أسطورة الاله « لهار » إله الماشية واخته الالهة « انشان » الهة الحبوب • وهذه القصة تدور مثل القصة الاولى حول أصل النزاع بين قابيل وهابيل ، وخلاصتها أن « لهار » و « انشان » نزلا من السماء وخصص الالهان « انليل » إله الهواء و «انكي» إله المياه الماشية الى « لهار » وعينا له الخضار والعشب وبنيا لانشان بيتا وقدما له النير والمحراث ، وهكذا يبدو الصفاء بين الأخ الراعي والاخت الفلاحة ويمضيان دون حدوث ما يكدر تعاونهما وعيشهما • ولكن بعد حين تظهر فكرة الرواية ، وهي العداء المستحكم بين الراعي والفلاح أو بين « أهل المدر والوبر » ، أي بناة الطين وبناة الشعر أو الحضر والبدو ، وذلك عندما شربا الخمرة وثملا ، فبدأ الشجار والخصام بينهما في المزارع والحقول • ودار النزاع فيما بينهما بأن أخذ كل منهما يمتدح ويعظم أعماله ونتاجه ويزهد في أعمال الآخر ، فاضطر الالهان ، انليل وأنكي ، الى أن يتدخلا بين الأخت والفلاح • أما نتيجة هذا القرار فمفقود •

وهناك أسطورة سومرية ثالثة شبيهة بقصة قابيل وهابيل سميت « انانا تفضل الفلاح » ، وهي تمثل فكرة النزاع بين الفلاح والراعي أيضا ، وأبطال القصة أربعة هم « انانا » وأخوها « اتو » إله الشمس و « دموزي » (تموز) الاله الراعي ، و «انكيمدو» الاله الفلاح ، وخلاصتها ان «انانا» عزمت على اختيار زوج لها وكان أخوها « اتو » يحثها على التزوج من « دموزي » (الراعي) ، ولكنها كانت تفضل « انكيمدو » (الفلاح) ، فيأتي اليها «دموزي» ليعرف السبب الذي يجعلها تفضل الفلاح عليه • الا أن « انانا » لم تبْدِ جواباً ، ويظهر أن « انكيمدو » راح يسعى لترضية منافسه الراعي ، بيد أن

الراعي يأبى الانثناء عن عزمه الى أن يعده الفلاح بتقديم أنواع من الهدايا لارضائه • وهنا تعذر فهم ما تبقى من كتابة الرقيم ، غير أن الظاهر ان « دموزي » الاله الراعي قد تغلب على « انكيمدو » الاله الفلاح(٣٨) •

١٠ـ قصة طوفان نوح في التوراة وفي المدونات السومرية البابلية

اما قصة طوفان نوح الواردة في التوراة فقد جاءت مشابهة لمدونات السومريين والبابليين ، حيث تتفق الروايتان على أن طوفانا هائلا وقع في وادي الرافدين في أحد مواسم الفيضان الخارقة العادة ، وكان هذا الطوفان من الاتساع وشدة الاندفاع بحيث غمر منطقة دلتا الرافدين كلها وقضى على جميع معالم المدنية والعمران في هذه المنطقة الواسعة ، ولم ينج من السكان الا زعيم ديني وأفراد أسرته والحيوانات التي حملها معه في الفلك التي أوحي اليه من قبل ببنائها •

ومما لا يقبل الجدال والشك هو أن قصص الطوفان الواردة في الروايات السومرية والبابلية تتفق تماما وما ورد في التوراة فيما يتعلق باسباب الطوفان وهو فساد البشر وعدم اطاعته لارادة الخالق وآثام الانسان وخطاياه ، مع الفارق بين الشرك السومري والبابلي من جهة وبين الوحدانية اليهودية من جهة أخرى• وبذلك تكون قصة الطوفان حادثة واقعية حدثت في الأزمنةالقديمة في أحد مواسم الفيضانات الخارقة العادة ، بدلالة اشارة المدونات السومرية الى وقائع وأحداث يرجع بعضها الى ما سبق الطوفان وأحداث أخرى جاءت في اعقابه ، الا أن ذلك لا يساعد على تعيين تاريخ هذا الحد الفاصل بالضبط • ويلاحظ أن علماء الآثار حددوا الألف الثالثة قبل الميلاد تحديدا عرفيا كحد فاصل بين أحداث ما قبل الطوفان (طوفان نوح) وبين أحداث ما بعده • وللالف الثالثة هذه التي تتفق وعهد أول فرعون من السلالة المصرية الاولى دلالة انتقالية مهمة في تطور تاريخ العراق القديم ، حيث أصبح هذا التاريخ في عرف علماء الآثار حدا فاصلا يرمز الى الانتقال من حضارة العصور الحجرية

(٣٨) سومر : م ٥ (١٩٤٩) ج ٢ ، ص ١٧٩ ـ ١٨٣ و ٢٠٣ ـ ٢٠٥ •
S.N. Kramer; "Sumerian Mythology", pp. 49 ff, 53 ff. and 101 ff.

الى مدنية العصور التاريخية التي تبدأ بفجر السلالات السومرية(٣٩) •

أما موقع الطوفان فلا يمكن أن يكون قد حدث في غير المنطقة الممتدة بين « سيپار »(٤٠) في الشمال وبين « أور »(٤١) في الجنوب حيث مواطن الأكديين الساميين والسومريين على السواء وهي المنطقة المنبسطة التي تتأثر بمياه الفيضان ، والراجح ان فلك نوح صنعت من نفس المواد المحلية التي تصنع منها العسبية الحالية في هيت وطلي كلا وجهيها الداخلي والخارجي بالقار على النحو الذي تطلى به (القفة) والعسبية(٤٢) • ويقول اولبرايت في كتاب « الشعب اليهودي قديما وحديثا (ج ١ ، ٣٩) : « فقد أصبح الآن على وجه التاكيد ان القصص العبرية المتعلقة بالخليقة والطوفان والجنة الخ اما ان تكون مأخوذة من السومريين مباشرة أو مأخوذة عن طريق الاكديين والعموريين • »

١١ـ قصة يوسف مع امرأة سيدة ومثيلتها في النصوص المصرية القديمة

وقد عثر في مصر على نصوص لأسطورة فرعونية قديمة تسمى قصة

(٣٩) انظر : « فيضانات بغداد في التاريخ » للدكتور أحمد سوسة ج ١ ، ص ١٤٩ ـ ٢٠١ • •

(٤٠) « سيپار » احدى المدن الاكدية السامية تقع بقاياها اليوم في التل المسمى « تل أبو حبة » الواقع جنوب غربي بلدة المحمودية الحالية على نحو عشرين ميلا من بغداد • وقد أظهرت التنقيبات فيها أنها ذات تاريخ قديم جدا وقد ورد ذكرها بين المدن التي وجدت قبل الطوفان • كانت تقع على الضفة الشرقية من مجرى الفرات القديم قبل أن يبدل مجراه • وقد كشف فيها عن عدد كبير من الالواح بين سنة ١٨٧٨ وسنة ١٨٩١ فقدر عدد الالواح التي استخرجت منها بـ ١٣٠٠٠٠ لوح كان بعضها داخل حباب من الفخار كالحباب المستعملة للماء •

(٤١) أور : المدينة السومرية الشهيرة وتعرف اطلالها اليوم باسم « تل المقير » تقع على مسافة ١٦ كيلو مترا من جنوب غربي مدينة الناصرية الحالية • اكتشفت فيها آثار ثمينة وكنوز أثرية عظيمة عن حياة سكان وادي الرافدين في فجر التاريخ منها المقبرة الملكية المشهورة والجدار المقدس الذي انشأه نبوخذنصر والهيكل المسمى « أي ـ جيش ـ سركال » أي دار النور وزقورته وموقع الاله القمر « ننار » والجدار الذي شيده « أورنمو » (٢٠٥١ـ٢٠٣٤ ق٠م٠) •

(٤٢) انظر البحث حول العسبية والقفة في كتاب المؤلف « الري والحضارة في وادي الرافدين » ، ص ١١٦ ـ ١١٨ •

الأخوين تشبه من أوجه عديدة قصة يوسف مع امرأة سيده فوطيفار المصري ، وهذه مكتوبة على ورقة من البردي نشرتها مجلة كل شيء والدنيا المصرية بعددها ٥٤٦ الصادر بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٣٦ ، وخلاصتها أنه كان لا نوبيس امرأة حسناء راودت أخاه « باتا » ولكن باتا هذا ابى أن يذعن لارادتها حتى اذا ما رجع اليها زوجها من حقله قالت له : « إن أخاك الأصغر دعاني لمضاجعته وتمنعت عليه فلم أعد أطيق رؤيته ... هلا يستحق منك القتل ؟ ولما بلغ (باتا) أن اخاه يبغي قتله لاذ بالفرار واستنجد بالآلهة لتبين الظالم من المظلوم. وبعد روايات كثيرة لا تتصل بالموضوع خلف « باتا » فرعون وصار ملك مصر العظيم ودخل في مصاف الآلهة(٤٣) .

١٢ـ قصة ولادة موسى ومثيلتها في النصوص البابلية

وهناك اسطورة بابلية مكتوبة بالخط المسماري عثر عليها في المنطقة الأكدية في جنوب العراق وهي تشبه قصة ولادة موسى ونشوئه ، والاسطورة منقوله عما رواه سرجون الاول ملك الأكديين (٢٣٨١ ــ ٢٣١٦ ق.م.) عن نفسه من أن أمه كانت وضيعة ولا يعرف اباه فحملت به ووضعته سرا ، فخبأته في صندوق من البردي وأحكمت بابه بالقير وألقته في نهر الفرات . فعثر عليه « أكي » الفلاح فرباه ليكون ابنه ، ثم صار سرجون اللقيط بستانيا ثم ساقيا لحاكم كيش فعشقته الالهة عشتار ثم صار ملك سومر واكد(٤٤) .

١٣ ــ شريعة حمورابي وشريعة التوراة(٤٥)

تستقي الشرائع أحكامها عادة من البيئة الجغرافية ومن ظروف المجتمع

---

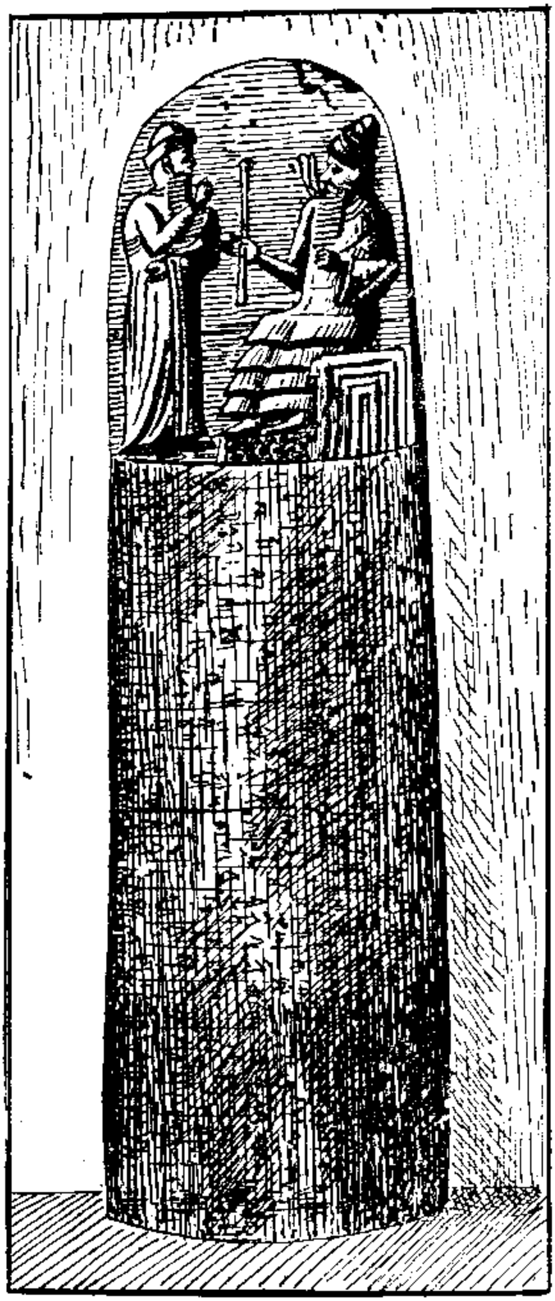
(٤٣) G.A. Barton, "Archaeology and the Bible", p. 326-328;; also: Petrie's Egyptian Tales, 2nd series, London, 1895, pp. 36 ff.

(٤٤) هذا ما جاء في كتاب سيتون لويد « الرافدان » (الترجمة العربية ، ص ٥١ ــ ٥٢) ، غير أن الاستاذ طه باقر قد أفاد في تعليقه على ذلك ان النص الوارد في كتاب سيتون لويد « يمثل رأيا قديما وان البحث الحديث يرى ان أم سرجون كانت كاهنة عليا من صنف الكاهنات المحرم عليهن الزواج أو على الاقل انجاب الاطفال » .

(٤٥) لقد تعمدنا هنا اتخاذ مصطلح شريعة التوراة بدلا من شريعة موسى لان عزو كل ما جاء في شريعة التوراة الى موسى امر مشكوك فيه للاسباب التي سبق أن أوضحناها في شرح كيفية تدوين التوراة .

السياسية والدينية والمعاشية بحيث تنسجم مع نمط حياة السكان ومشاكلهم ، ولابد من أن تتأثر هذه الشرائع بعض الشيء بالشرائع التي سبقتها في مختلف المجتمعات وفي التقاليد المرعية وفي العرف المحلي في مجرى تطورها ونموها • ولا أدل على ذلك مما هو واضح في الشريعتين شريعة حمورابي وشريعة التوراة • فهناك تشابه كلي في بعض مواد الشريعتين في حين أن هناك مواد أخرى تختلف في أحكامها بين الاثنتين ومواد أخرى موجودة في الواحدة دون الاخرى • وهذا الاختلاف ناجم كما ذكرنا عن اختلاف البيئة واختلاف الظروف السياسية والاجتماعية والدينية والمعاشية في كل من البلدين اللذين وضعت فيهما الشريعتان ، غير أنه لا بد من الاعتراف بان المتشابه بين الشريعتين لا بد ان يكون معظمه مقتبسا من أقدمهما ، أي أن المتشابه الوارد في التوراة يكون مقتبسا من شريعة حمورابي التي سبقت شريعة التوراة بأكثر من خمسمائة عام[٤٦] ، هذا اذا أخذنا بالتاريخ الذي ظهر فيه موسى في زمن الخروج بغض النظر عن التاريخ الذي دونت فيه التوراة في وقت لاحق •

(٤٦) ان شريعة حمورابي ترجع الى عهد صاحبها حمورابي سادس ملوك سلالة بابل الاولى الذي حكم في بابل في الحقبة الممتدة من سنة ١٧٩٢ الى سنة ١٧٥٠ ق•م• وهو القائل : « ان الآلهة قد نادتني لامنع الاقوياء من أن يظلموا الضعفاء وانشر النور في الارض وأرعى مصالح الخلق » • وقد دونت شريعته المكونة من ثلاثة آلاف سطر باللغة البابلية (السامية) وبالخط المسماري الاكدي على مسلة كبيرة من حجر الديواريث الاسود • وقد نصب حمورابي هذه المسلة في فناء معبد ايزاكيلا ، معبد الاله مردوخ الاله الرسمي للدولة البابلية ونصب مثلها في معبد الاله شماش في مدينة سيبار ، الاله الرئيس للمدينة • ويظهر حمورابي في هذه المسلة وهو يتسلم بخشوع عصا الراعي ليكون راعي البشر وشريط القياس للبناء من الاله شماش وهو جالس على عرشه ، وارتدى حمورابي رداء الكهنة والعمامة وهو لباس الرأس عند الساميين الغربيين • وقد صنفت الشريعة الى اثني عشر قسما يظهر فيها ٢٨٢ مادة بوضوح ، ومن المرجح أنها كانت تزيد على ٣٠٠ مادة بقليل • وقد عثر على المسلة في السوس من خوزستان ، أي البلاد العيلامية قديما وكان قد نقلها الى مدينة السوس الملك العيلامي شتروك ناحونتي الذي غزا بابل حوالي سنة ١١٧١ ق•م• وقد نقلها الاثاريون الفرنسيون سنة ١٩٠٢ الى دار التحف الاثرية في اللوفر (انظر « قوانين حمورابي والقوانين البابلية الاخيرة » ، ترجمة وتعليق الدكتور محمود الامين مجلة كلية الاداب ، العدد ٣ (كانون الثاني ، ١٩٦١) ص ١٧٦ ــ ٢٦٠) •



التصوير رقم ٥٣

حمورابى يتسلم عصا الراعى ليكون راعى البشر ومعه شريط القياس للبناء من الاله شماش وهو جالس على عرشه .

ان تأثير الاختلاف بين بيئة كل من البلدين اللذين وضعت فيهما الشريعتان ظاهر في موادهما ، فنجد مثلا ان شريعة التوراة تفرّق بين الاسرائيلي وغير الاسرائيلي بوجه عام في أحكامها وأنها خاصة ببني اسرائيل حصرا، ويكون العبيد في حكم التوراة من غير بني اسرائيل (لاويين ــ ٢٥ : ٤٢) ، هذا في حين أن الأحكام البابلية تفرّق بين طبقات الشعب في فرض عقوباتها ، فالعقوبة على الشريف تختلف عن العقوبة التي تفرض على غيره من طبقات السكان الاخرى ومنهم الارقاء . ففي الشريعة البابلية مثلا اذا صفع رفيق سيد خد فرد من الاشراف فتقطع أذنه ، اما اذا شخص اعتيادي صفع آخر اعتياديا على خده فعليه ان يدفع عشر شاقلات من الفضة[٤٧] (المادتان ٢٠٤ و ٢٠٥) . كذلك اذا فقأ شخص عين ابن أحد الاشراف فعليهم أن يفقأوا عينه ، أما اذا فقأ عين سيد اعتيادي فعليه أن يدفع منا من الفضة[٤٨] (المادتان ١٩٦ و ١٩٨). هذا وقد تناولت شريعة حمورابي بشيء من التفصيل القضايا المتعلقة بشؤون الري وزراعة الحقول وبساتين النخيل ، وفرضت عقوبات لتنظيم العلاقات بين المزارعين ، كما أنها قد تناولت في كثير من موادها القضايا الناجمة عن علاقة الملاك بالفلاح ، في حين أن مثل هذه المواد لم ترد في التوراة لأن كل مزارع من مزارعي بني اسرائيل كان يفلح أرضه ، والزراعة في فلسطين تعتمد على الأمطار واكثر بساتينها الكروم والزيتون . وهناك مواد تتعلق بالاسعار وتعيين اجور الاعمال ومواد أخرى تتعلق بالسفن وبخزن الحبوب وبالشؤون التجارية وردت في الشريعة البابلية وهي غير موجودة في شريعة التوراة ، ذلك ما يدل على أن مستوى حياة المجتمع البابلي ونظمه الحضارية كانت أرقى من مستوى المجتمع اليهودي بالرغم من ان اليهود ظهروا بعد زمن حمورابي باكثر من خمسمائة عام . ويلاحظ أن التلمود الذي وضع في بابل تناول الكثير من القضايا المتعلقة بالاراضي وانشاء الجداول وصيانة السداد ومعالجة القضايا المتعلقة بشؤون الزراعة المرتكزة على الري اكثرها مقتبس من انظمة الحياة البابلية بعد ان اخذ اليهود يمارسون الزراعة على الري في بابل بعد السبي .

ولدينا من الدلائل على أن مدوني التوراة كانوا مطلعين على الشرائع

---

٤٧) الشاقل نوع من الوزن البابلي ويزن ٨ غرامات أو ١٨٠ حبة .

٤٨) المنا نوع من الوزن البابلي ويزن ٥٠٠ غرام ويعادل ستين شاقلا .

المختلفة التي وضعها المصريون في مصر والسومريون والبابليون والاشوريون في العراق والحيثيون في فلسطين وخاصة شريعة حمورابي التي اقتبسوا منها المواد المتشابهة بين الشريعتين ، الشريعة البابلية والشريعة التوراتية • وفيما يلي مقارنات في وجه التشابه بينهما •

١ ـ حكم العين بالعين والسن بالسن

إن التقليد القديم الذي ينطوي على حكم العين بالعين والسن بالسن ، ورد في شريعة حمورابي(٤٩) ، وقد ورد نفسه نصا في المدونات التوراتية(٥٠) •

٢ ـ عقوبة تهريب الرقيق او سرقة انسان وبيعه

إن عقوبة تهريب الرقيق أو سرقة انسان وبيعه هي الحكم بالموت في كلتا الشريعتين ، البابلية والتوراتية • ففي حكم شريعة حمورابي يعدم كل من احتفظ برقيق في بيته أو ساعد رقيقا هاربا أو أمة هاربة (المواد ١٤ ـ ٢٠) ؛ ومثل ذلك في حكم التوراة ، فمن سرق انسانا وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا (خر ٢١ : ١٦) • وقد عالجت شريعة حمورابي بشيء من التفصيل في المواد من ٢٧٨ الى ٢٨٢ تعيين حدود الرقيق وحقوقهم وواجباتهم لما للرقيق من دور مهم في حياة المجتمع البابلي •

---

(٤٩) « اذا سيد فقأ عين ابن أحد الاشراف فعليهم أن يفقأوا عينه » (المادة ١٩٦) ، « اذا كسر عظم سيد آخر فعليهم أن يكسروا عظمه » (المادة ١٩٧) ، « اذا سيد قلع سن سيد من طبقته فعليهم أن يقلعوا سنه » (المادة ٢٠٠) ؛ « اذا بناء بنى لسيد بيتا ولم يكن شغله قويا بحيث انهار ذلك البيت الذي بناه وقتل صاحب البيت فيجب أن يقتل ذلك البناء » (المادة ٢٢٩) ؛ « فان قتل ابن صاحب البيت فعليهم أن يقتلوا ابن هذا البناء » (المادة ٢٣٠) •

(٥٠) « وان حصلت أذية تعطي نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكي وجرحا بجرح ورضا برض » (خروج٢١ : ٢٣ـ٢٥)؛ « واذا أمات أحد انسانا فانه يقتل ، ومن أمات بهيمة يعوض عنها نفسا بنفس ، واذا أحدث انسان في قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل به ، كسر بكسر وعين بعين وسن بسن ، كما أحدث عيبا في الانسان كذلك يحدث فيه ، من قتل بهيمة يعوض عنها ومن قتل انسانا يقتل » (لاويين ٢٤ : ١٧ ـ ٢١) ؛ « لا تشفق عينك ، نفس بنفس ، عين بعين ، سن بسن ، يد بيد ، رجل برجل » (تثنية ١٩ : ٢١) •

٣ ـ عقوبة انتهاك حرمة الابوين

إن لكل من الشريعتين حكما في ذلك ، فشريعة حمورابي تحكم بقطع اليد اذا ضرب أحد والده (المادة ١٩٥) ، في حين أن شريعة التوراة تحكم عليه بالقتل(٥١) .

٤ ـ عقوبات الزنى والاغتصاب

ان وجه التشابه بين أحكام الشريعتين في ذلك ظاهر ، فحكم الموت على الزاني والمغتصب يفرض في كلتا الشريعتين ، وقد تناولت ذلك المواد ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣٢ و ١٣٣ب و ١٤٣ من شريعة حمورابي(٥٢) ، وفي شريعة التوراة اذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة (تث ٢٢ : ٢٢) . وتفرض الشريعة التوراتية حكم الموت أيضا في الاحوال التالية : اذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فيقتلان كلاهما ، واذا اضطجع رجل مع كنته فانهما يقتلان كلاهما ، واذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فانهما يقتلان . الخ .. (لاو ١٨ : ـ ـ ١٨ ؛ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢٢؛ ٢٠ : ١٠ ـ ٢١ . تث ٢٢ : ٢٨ ـ ٣٠ ، خر ٢٢ : ١٦ ـ ١٧) ، ومثل ذلك فرضت شريعة حمورابي حكم الموت في حالة اضطجاع رجل مع كنته ، أما في حالة اضطجاع رجل مع امهفيحرقان كلاهما (المادتان ١٥٥ و ١٥٧) . والملاحظ أن قوانين حمورابي خالية من مواد تتعلق باللواطة .

٥ ـ عقوبة السرقات والنهب

وهنا تختلف الاحكام بين الشريعتين فشريعة حمورابي أشد في عقوباتها اذ تفرض عقوبة الاعدام في جميع قضايا السرقات والنهب بوجه عام . فاذا سيد قام بالسرقة وقبض عليه في أثنائها فانه يعدم (المادة ٢٢) ، واذا سرق سيد ثروة تعود للاله أو للقصر فأن ذلك الشخص يعدم ، كذلك يعدم من يتقبل المسروقات من يده (المادة ٦) ، وهناك مواد أخرى تحكم بالموت على السارق،

(٥١) ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا . ومن شتم اباه أو أمه يقتل قتلا (خروج ٢١ : ١٥ ـ ١٧) .

(٥٢) ان المواد من ١٢٧ الى ١٩٥ من شريعة حمورابي تبحث في شؤون العائلة وحقوقها وعلاقات أفرادها فيما بينهم .

أي المواد ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٤ و ٢١ و ٢٥ ، أما الشريعة التوراتية فهي تحكم بمبدأ التعويض بضعف المسروق ان وجد السارق وان لم يوجد السارق تقدم الدعوى الى الله فالذي يحكم الله بذنبه يعوض صاحبه باثنين (خر ٢٢ : ٧ ــ ١١) ، « واذا أخطأ أحد وخان خيانة بالرب وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوبا أو اغتصب من صاحبه أو وجد لقطة وجحدها وحلف كاذبا على شيء من كل ما يفعله الانسان مخطئا به ، فاذا أخطأ وأذنب يرد المسلوب الذي سلبه أو المغتصب الذي اغتصبه أو الوديعة التي أودعت عنده أو اللقطة التي وجدها أو كل ما حلف عليه كاذباً يعوّضه برأسه ويزيد عليه خمسة الى الذي هوله يدفعه يوم ذبيحة إثمه فيكفر عنه الكاهن أمام الرب فيصفح عنه في الشيء من كل ما فعله مذنباً به » (لاو ٦ : ٢ ــ ٧) ، ومن الملاحظ أن التوراة تأخذ في مثل هذه القضايا بالحكم الالهي حيث يمكن التكفير عن الذنوب بتقديم القرابين للاله عن طريق الكهنة (عد ٥ : ١١ ــ ٢٨) ،

وعلى الرغم مما تقدم فهناك تشابه في الشريعتين البابلية والتوراتية في فرض عقوبة التعويض باضعاف المسروق فالمادة الثانية من الشريعة البابلية تنص على التعويض بثلاثين مثلاً اذا سرق شخص ثوراً أو شاة أو حماراً او خنزيراً أو قارباً يعود للاله أو للقصر ، أما ان كان يعود الى مسكين فعليه أن يدفع عشرة أمثال كاملة ، وشبيه بذلك ورد في الشريعة التوراتية حيث ينص الاصحاح الثاني عشر من سفر الخروج (الفقرة ١) على التعويض بخمسة ثيران اذا كان المسروق ثوراً ، وأربع من الغنم اذا كان المسروق شاة ،

٦ ــ عقوبة اتهام امراة او فتاة بالفحشاء دون اثبات

ان التشابه في العقوبة التي تفرضها كل من الشريعتين في هذا الباب واضح : ففي شريعة حمورابي (المادة ١٢٧) اذا نسب شخص الى امرأة الفحشاء ولكن لا يثبت عليها ذلك فيجب جلب ذلك الرجل أمام القضاة ويعلّموا جبينه قصاً ، ونجد مثل ذلك في شريعة التوراة التي تترك الى شيوخ المدينة تأديب الرجل وتغريمه بمقدار من الفضة (تث ٢٢ : ١٣ ــ ٢٢)،

٧ ــ عقوبة الاتهام الكاذب والشهادة الكاذبة

ان الحكم في هذا الباب أشد صرامة في الشريعة البابلية منه في الشريعة

١٣٠٢

التوراتية : ففي المادة الأولى من شريعة حمورابي اذا اتهم سيد سيداً وأقام عليه دعوى بالقتل ولكنه لم يستطع اثباتها فان المتهم يعدم ، ومثل ذلك في المادة الثالثة اذا أدلى سيد بشهادة كاذبة في دعوى ما ولم تثبت صحتها فان كانت تلك الدعوى تتعلق بدعوى حياة فان ذلك السيد يعدم (انظر أيضاً المادة ١١) . امّا في شريعة التوراة « اذا قام شاهد زور على انسان ليشهد عليه بزيغ يقف الرجلان اللذان بينهما الخصومة أمام الرب أمام الكهنة والقضاة الذين يكونون في تلك الايام . فان فحص القضاة جيداً واذا الشاهد شاهد كاذب قد شهد بالكذب على أخيه فافعلوا به كما نوى أن يفعل بأخيه .... لا تشفق عينك ، نفس بنفس ، عين بعين ، سن بسن ، يد بيد ، رجل برجل » (تث ١٩ : ١٦ — ٢١) .

٨ ـ عقوبة السحر

ان السحر محرّم في الشريعتين : فحكم الشريعة التوراتية على الساحر والساحرة القتل (خر ٢٢ : ١٨ ؛ تث ١٨ : ١٠ — ١٣) . امّا الشريعة البابلية فحكمها على المتهم بالسحر أن يرمي نفسه في النهر فاذا أثبت النهر أنه بريء من التهمة وخرج منه سالماً فان الذي اشتكى عليه بتهمة السحر يعدم (المادة ٢) .

٩ ـ الديون وكيفية استيفائها

ان الشريعتين البابلية والتوراتية تجوّز بيع خدمة أحد أفراد العائلة في حالة تخلف المدين عن دفع الديون المستحقة عليه ، ففي الشريعة البابلية نصوص تنطوي على بيع خدمة الزوجة أو الابنة أو الابن وعليهم أن يعملوا في بيت الدائن ثلاث سنوات وتعاد لهم حريتهم في السنة الرابعة (المواد ١١٧ — ١١٩) . امّا شريعة التوراة فقد جعلت مدة الخدمة ست سنوات وفي السابعة يخرجون أحراراً مجاناً (خر ٢١ : ٢ — ١١) .

١٠ ـ التعويض عن الاضرار

ان هذا المبدأ ، أي مبدأ التعويض ، سارت عليه الشريعتان في الأحوال المتشابهة ، ففي الشريعة التوراتية مثلاً ، اذا رعى انسان حقلاً أو كرماً

وسرح مواشيه فرعت في حقل غيره فمن أجود حقله وأجود كرمه يعوض (خر ٢٢ : ٥) ، اما الشريعة البابلية فقد جعلت التعويض في حالة الرعي في حقل ما أن يعطي الراعي لصاحب الحقل عشرين كورا[٥٣] من الحبوب لكل ثمانية عشر ايكو من الاراضي التي رعى فيها غنمه (المادة ٥٧) .

١١ ـ الاضرار الناجمة عن الغرق في بابل وعن الحريق في كنعان

وضعت الشريعة البابلية أربع مواد (٥٣ ـ ٥٦) تقضي بالتعويض عن الأضرار التي تحدث بالزروع من جراء الغرق والتي يسببها أشخاص نتيجة إهمالهم تقوية السدود ومراقبة جداولهم . ولعدم وجود أعمال ري في كنعان ولكون زروعها مهددة بخطر الحريق بالدرجة الأولى فقد تضمنت شريعة التوراة مادة تقضي بالتعويض عن الأضرار التي يحدثها أشخاص نتيجة حرقهم لأكداس الغلة بسبب إهمالهم أو تعمدهم ايقاد النار فيها (خر ٢٢ : ٦) .

١٢ ـ التزوج باكثر من امراة واحدة

تجوز الشريعتان ذلك ، ففي الشريعة البابلية ، اذا تزوج شخص امرأة ولم تنجب أولاداً فلهذا الرجل أن يأخذ جارية كامرأة ثانية ، ولا يجوز أن تساوي مع الزوجة الا اذا ولدت أولاداً (المواد ١٣٧ ، ١٤٤ ـ ١٤٧) ، وفي مدونات التوراة ما يشير الى جواز ذلك أيضاً (تك ١٦ و ٣٠ : ١ ـ ١٣)[٥٤] .

---

(٥٣) الكور نوع من المكاييل السومرية ويقابل عندنا الغرفة ويعادل حوالي ١٨٠ حقة (٨½ بوشل) والايكو من مقاييس المساحات البابلية ويعادل ⅞ من الفدان (الايكر) .

(٥٤) لقد كانت هناك شرائع اخرى عدا شريعة حمورابي : فقد عثر على شريعتين سومريتين أقدم من شريعة حمورابي احداها ترجع الى عهد الملك اورنمو مؤسس سلالة أور الثالثة (٢١١٣ ـ ٢٠٩٦ ق.م) والثانية ترجع الى عهد لبيت عشتار ملك ايسن (١٩٣٤ ـ ١٩٢٤ ق.م.) كما عثر على شريعتين ساميتين احداهما اقدم من شريعة حمورابي وهي الشريعة المكتشفة في تل حرمل والمعروفة بشريعة مملكة اشنونا (نحو ١٩٠٠ ق.م.) والثانية دونت في القرن التاسع قبل الميلاد من العهد الآشوري . وقد عثر ايضا على شريعة للحيثيين ترجع الى سنة ١٣٥٠ ق.م. والمهم في هذه الشرائع أن بعض موادها تقابله مواد مشابهة له في شريعة حمورابي وشريعة التوراة . انظر : G.A. Barton, "Archaeology and the Bible", 1927.

وفيما يلي المواد الواردة في الشريعة البابلية وما يقابلهـا من أحكام توراتية مشابهة بشكل محسوس يحمل المرء على أن ينظر الى هذه المواد والأحكام وكأنها تعود الى مصدر واحد :

مواد الشريعة البابلية	أحكام الشريعة التوراتية
رقم ٧	لاو ٦ : ٢ــ٧
رقم ٨	خر ٢٢ : ١١
رقم ١٤	خر ٢١ : ١٦
رقم ٢١	خر ٢٢ : ٢ــ٤
رقم ٥٣ ــ ٥٦	خر ٢٢ : ٦
رقم ٥٧	خر ٢٢ : ٥
رقم ١١٧ ــ ١١٩	خر ٢١ : ٢ــ١١
رقم ١٢٥	خر ٢٢ : ٧ــ٩ ، ١٢
رقم ١٢٩	لاو ٢٠ : ١٠
رقم ١٥٥	لاو ٢٠ : ١٢
رقم ١٥٧	لاو ٢٠ : ١١
رقم ١٩٥	خر ٢١ : ١٥
رقم ١٩٦ ــ ١٩٧	خر ٢١ : ٢٤ ، ٢٥
رقم ٢٠٠	لاو ٢٤ : ٢٠
	تث ١٩ : ٢١
رقم ١٩٩	خر ٢١ : ٢٦ــ٢٧
رقم ٢٠٦	خر ٢١ : ١٨ــ١٩،١٢ــ١٣
رقم ٢٠٩ ــ ٢١٠	خر ٢١ : ٢٢ــ٢٥
رقم ٢٤٥	خر ٢٢ : ١٤ــ١٥
رقم ٢٥٠	خر ٢١ : ٢٨
رقم ٢٥١ ، ٢٥٢	خر ٢١ : ٢٩ ، ٣٢(٥٥)

(٥٥) انظر المراجع التالية التي تبحث في هذا الموضوع :
G.A. Barton, "Archaeology and the Bible", 5th ed. 1927, pp. 340-368; A.T. Clay, "Light on the Old Testament From Babel, 1907,

ويقول الدكتور شلبي نقلاً عن ويلز (Wells) إن ثمة نصوصاً من المصادر البابلية التي عثر عليها تُعدُّ مرجعاً هاماً لقصة شمشون ودليلة وسواها من تضمن العهد القديم(٥٦) • كما أن تراتيم التوبة البابلية قد اقتبست في بعض أسفار التوراة(٥٧) •

١٤ ـ التلمود في ضوء المدونات الآثارية

وكما أن معظم مدونات التوراة مستقاة من كتابات قديمة سبقتها ، كذلك نجد تشابهاً بين مدونات التلمود البابلي وبين كتابات السومريين والبابليين ، وخاصة ما يتعلق بشؤون الري والزراعة • ففي التلمود شروح وتعاليم وإرشادات تتعلق بالزراعة المرتكزة على الإرواء وعلاقة المزارعين بعضهم مع بعض من حيث الواجبات والحقوق ، وهذه موجهة بالدرجة الأولى الى اليهود الذين كانوا يمارسون مهنة الزراعة في بلاد بابل • فقد تناول التلمود شرح طرق الإرواء والزراعة ومن ضمن ذلك الحراثة والاسقاء والحصاد ومواسم الزراعة مع ذكر أنواع المحاصيل الزراعية الشتويةوالصيفية كما تناول بالشرح كيفية زراعة النخيل وتربية المواشي وانشاء المراعي ونظام الاراضي وضرائب الأرض والماء • ولما كانت الحياة الزراعية والعلاقات الاقتصادية والتجارية في بلاد بابل تستند بالدرجة الأولى على مشاريع الري فقد تناول التلمود بحث كيفية حفر الجداول وتنظيم شبكة الإرواء سيحا ورفعاً وصيانتها ومراقبتها ثم توزيع المياه بين الزراع بصورة عادلة • وكان تطهير الانهر من ترسبات الغرين من أهم الأعمال التي كان أكثرها يقع على

---

pp. 223-234; F. Kenyon, "The Bible and Archaeology", pp. 118-125; D.D. Luckenbill and Ed. Chiera, "The Origin and History of Hebrew Law", 1931; L.W. Waterman, "Pre-Israelite Laws in the book of the Covenant" AJSLL, Vol. 38, 1921-22 pp. 36-62; S.A. Cook, "The Laws of Moses and the Code of Hammurabi", London 1903; W.W. Davies, "The Codes of Hammurabi and Moses", Cincinnati, 1905; C.H.W. Johns, "The Relations between the laws of Babylonia and the Law of the Hebrew Peoples", 1914.

(٥٦) دكتور احمد شلبي ، « مقارنة الاديان » ص ٢٣٦ •

(٥٧) عصام الدين حفني ، « محنة التوراة » ، ص ٥٧ •

كاهل اليهود في بلاد بابل ، فقد سكبوا على شواطئها دموعاً سخينة لما كانوا يقاسونه من الارهاق في هذه الاعمال المضنية[٥٨] .

وهناك دلائل لا تقبل الجدل والشك في أن أكثر ما ورد في التلمود من شروح وارشادات فيما يتعلق بالزراعة المرتكزة على الري مستقى من كتابات قديمة سابقة لعهد التلمود ، فقد عثر المنقبون بين أطلال مدينة نيبور على تقويم لأحد المزارعين السومريين فيه نصائح وارشادات يوجّهها هذا المزارع الى ولده حول أصلح الطرق التي يجب اتباعها في تنظيم وادارة شؤون مزرعته كي يحصل على أجود منتوج وأوفر محصول ؛ ومن ضمن ذلك طريقة إعداد الأرض وانجاز عملية الحرث ونثر البذور وتنظيم الري والاعداد لحصد الزرع بعد نضوجه ثم دراسته وذروه وتجميع المحصول . وقد دونت هذه الوثيقة التي يرقى تاريخها الى ما قبل أكثر من أربعة آلاف عام على رقيم من الطين يتكون من ١٠٨ أسطر بالخط المسماري باللغة السومرية ، وهي تعد أقدم تقويم زراعي في تاريخ الحضارة عن الاساليب الفنية للري والزراعة المتبعة في تلك الأزمنة القديمة . ومما لاشك فيه أن هذه القواعد في تنظيم الري والزراعة في الحقول كانت معروفة لدى السومريين والساميين الأوائل قبل ذلك العهد وظلت معروفة لدى البابليين في العصور التي تلت حيث عثر على قطع من هذه الموسوعة نقلها البابليون عن أسلافهم[٥٩] .

امّا ما ورد في التلمود حول العناية ببساتين النخيل فقد ظهر مثيله في المدونات السومرية والبابلية ، إذ عنى السومريون والبابليون في زراعة النخيل ، فقد أتقنوا الطرق الناجعة في زراعة النخيل وكانوا أول من مارس تلقيحها . ولاشك في أنه كان لاشجار النخيل دور اقتصادي مهم في ضمان

(٥٨) انظر كتاب « حياة اليهود الزراعية في بابل بين سنة ٢٠٠ و ٥٠٠ م ، ٢٢ للحاخام نيومان ، طبع في مطبعة جامعة اوكسفورد سنة ١٩٣٢ ، وعنوانه بالانكليزية :

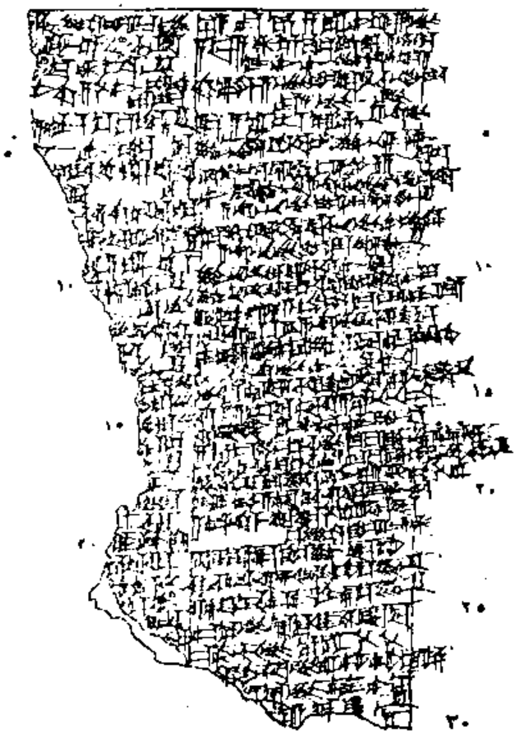
Rabbi J. Newman, "The Agricultural LIfe of the Jews in Babylonia", 1932

انظر أيضا :

S. Daiches, "The Jews in Babylonia," 1910

(٥٩) انظر : « الري والحضارة في وادي الرافدين » للمؤلف ص ٢١٠ ــ ٢١٥ .

استمرار حياة المستوطنين الاوائل في هذه المنطقة لعديد فوائدها واستعمالاتها. ففي وثيقة سومرية ترجع الى عهد الملك شوسن من سلالة أور الثالثة (١٩٧٨ – ١٦٠٠ ق٠م٠) اشارة الى حقل من نخيل التمر يعود الى معبد إله بـلدة « اوما »(٦٠) « معنى بريه كل العناية » ، وقد قسم هذا الحقل الى ثمـاني



التصوير رقم ٥٤
اقدم تقويم زراعي في تاريخ الحضارة البشرية

مجموعات من النخيل وصنف كل منها بحسب عمر النخيل والمثمرة وغـير المثمرة ، وتشير الوثيقة الى كميات التمر التي ينتجها الحقل بالحجم لا بالوزن

(٦٠) « اوما » مدينة سومرية تعرف أطلالها محليا باسم « تل جوخة » وتقع على الجانب الايمن من شط الغراف الحالي في الجهة الشمالية الغربية من مدينة الشطرة الحالية ٠ وتاريخ هذه المدينه مليء بحوادث سياسية وعسكرية وخاصة حروبها غير المنقطعة مع جارتها « لكاش » بسبب النزاع على الاراضي والري ٠

كما هي العادة المتبعة في وقتنا الحاضر . وقد خصصت عدة مواد في شريعة حمورابي (١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق.م.) تتناول زراعة النخيل والمعاملات الخاصة بها . فتفرض المادة التاسعة والخمسون منها غرامة كبيرة على من يقطع شجرة نخل ، كما تشير المادتان الرابعة والستون والخامسة والستون الى تلقيح النخل ، فتنص الأولى على أنه اذا أعطى رجل بستانه الى فلاح للتلقيح والعناية بها فعلى الفلاح ان يسلم ثلثي حاصل البستان الى صاحبها طوال مدة شغله في البستان ويأخذ لنفسه الثلث . كما تنص المادة الخامسة والستون على أنه اذا أهمل البستاني ولم يلقح البستان وسبب تقليل الحاصل فعليه ان يؤدي ايجار البستان على أساس البساتين المجاورة[٦١] .

١٥ ــ المدونات الاوغاريتية الكنعانية والتوراة

ولقدكشفت المدونات الكنعانية التيعثر عليها فيأوغاريت (رأس الشمرة) في شمال لبنان بكل جلاء أن أكثر ما دوّنه اليهود في التوراة من القطع الأدبية من مزامير وأشعار وتراتيل ترجع الى أصل كنعاني ، فقد استعمل اليهود نفس التعابير الاوغاريتية الكنعانية في بعض قطع من مدوناتهم التوراتية ، ففي تعابير وردت في أسفار المزامير والأمثال ونشيد الأناشيد يظهر فيها التشابه واضحاً مع التعابير الاوغاريتية الكنعانية ، ومن أمثلة ذلك أن الأخيرة تنعت الهها « بعل » براكب السحب في حين أن الأولى تطلق على الهها « يهوه » (الراكب في القفار)[٦٢] . وقد جاء الاصحاحان ١٨ و ٦٨ من مزامير التوراة (وهما مكرران في سفر صموئيل الثاني ــ ٢٢ و ٨٨ و ٨٩) بنفس التعابير الواردة في المدونات الكنعانية . وقد وجد مثل هذا التشابه في سفري ايوب ومزامير[٦٣] حيث تصف التوارة فيهما صوت الاله « يهوه » بالرعد (اسمعوا سماعاً رعد صوته والزمزمة الخارجة من فيه) وهو نفس الوصف الوارد في الكتابات الكنعانية التي تنعت صوت الهها « بعل » بالرعد أيضاً . وقد جاء الاصحاح ٢٩ من سفر المزامير بأجمعه مطابقاً تماماً لما ورد في المدونات

(٦١) انظر « الري والحضارة في وادي الرافدين » للدكتور احمد سوسة ، ص ٤٥ ــ ٤٧ .

(٦٢) مز ٦٨ : ٤ .

(٦٣) ايوب ٣٧ : ٢ ــ ٥ ؛ مز ٢٩ : ٣ ــ ٥ ؛ ١٠٤ : ٧ .

الاوغاريتية في ترتيلة كنعانية للاله « بعل » ، كما أن تسمية لوياثان بالحية المتحوية(٦٤) وردت هي نفسها في الكتابات الكنعانية ، ومقدار التراتيل الكنعانية التي عثر عليها في أوغاريت تساوي نصف حجم كتاب المزامير في التوراة(٦٦) كما ان القصة التي وردت في سفر أيوب وجد ما يشابهها تماماً في الكتابات البابلية ، ويعتقد ان القصة مأخوذة من أصل نص أدومي حيث ورد فيها ذكر أحد ملوك أدوم القدماء باسم يوباب بن زارح (تك ٣٦ : ٣٣ـ ٣٤)(٦٧) . والمرجح عند الباحثين أن صاحب سفر أيوب الوارد في التوراة عربي الأصل ، إذ يعتقد أن هذا الكتاب كان قد نظم في الأصل شعراً عربياً في القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح الساميين العرب من جزيرة العرب الى بلاد ما بين النهرين ، ثم ترجمه الكهنة اليهود الى العبرانية وعد من الاسفار المقدسة وضاع أصله العربي . فاذا صحّت عربية سفر أيوب يكون العرب أسبق الأمم الى قرض الشعر ، أي قبل اليادة هوميروس بالف سنة (جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج١ ص٢٦) .

وفي بحث لادولف إرمان (A. Erman) تقدم به الى المجمع العلمي البروسي سنة ١٩٢٤ تحت عنوان « مصدر مصري لأمثال سليمان » شرح لاكتشاف مؤلف لحكيم مصري مدون على أوراق البردي جاء على شكل نصائح وحكم في ثلاثين باباً ، وقد تكررت هذه الحكم نفسها بشكل واضح في سفر الامثال من العهد القديم(٦٨) .

(٦٤) اش ٢٧ : ١ .

(٦٦) J. Pritchard, "Archaeology and the Old Testament", p. 110.

(٦٧) M. Jastrow, "A Babylonian Parallel to the Story of Job," J.B.L. Vol. XXV, Part II, 1906,pp. 135-191; R.W. Rogers, "Cuneiform Parallels to the Old Testament", N.Y., 1912, pp. 164-169; J, H. Patton, "Canaanite Parallels in the Book of Psalms", 1944; J.W. Jack, "The Ras.' Shamra Tablets : bearing on the Old Testament", 1935.

(٦٨) الدكتور شلبي « مقارنة الاديان » ص ٢٣٦ .

١٦ ـ التقاليد التي اقتبسها اليهود من القدماء

ومن التقاليد التي كان يمارسها القدماء والتي أخذها اليهــود عنهم في فرائضهم مثلاً الختان ، فقد اكتشف العلماء أن المصريين كانوا يمارســون الختان في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد ، أي قبل ظهور اتباع موســى بألف وثلاث مئة عام(٦٩) . وقد ثبت أن عادة الختان كانت شائعة عند بعض القبائل في الجزيرة العربية منذ عصور غابرة وانها لم تسر من اليهود الى العرب كما يظن(٧٠) . وكذلك قدم الاستاذ ماير (Ed. Meyer) شواهد على أن الفينيقيين كانوا يمارسون الختان(٧١) . ومما ذكر أيضاً في هذا الخصوص أن الختان كان يستعمل في فلسطين من قبل أقوام غير اليهود في القــرن الأول والثاني بعد الميلاد(٧٢) . وقد اعتبر الختان بحسب مآثر التوراة علامة العهد بين الرب وبين ابراهيم(٧٣) ، وقد جعلت عقوبة مَن لا يُختتن الموت لأنه نكث للعهد(٧٤) ، وقد عملت صفورة زوجة موسى المديانية بهذه الطقوس بالنسبة لابنها(٧٥) . وتشير التوراة أيضاً أن اتباع موسى بعد أن قضوا أربعين ســنة في القفر قام يشوع بختن جميع الذين ولدوا خلال هذه الفترة(٧٦) .

ومن العادات التي كان يمارسها البابليون أمام آلهتهم وأخذها اليهود عنهم تقديم اثني عشر قرصاً من الخبز أمام الرب كما ورد في فرائض التوراة(٧٧) ومثل ذلك حرق كبد ذبيحة الخطية والكليتين مع الشحم على المذبح كما أمر الرب موسى تطبيقه كان البابليون والمصريون يمارسونه من قبل أيضا . ومن التقاليد الأخرى التي أخذها اليهود عن الأقدمين تعيين حصة الكهنــة مــن

---

(٦٩) A. Clay, "Light on the Old Testament," p. 6.

(٧٠) « تاريخ اليهود في بلاد العــرب » للدكتور اسرائيل ولفنسون ، ١٩٢٧ ، ص ٧٨ .

(٧١) S H. Hooke, "The Origins of Early Semitic Ritual", pp. 62-63.

(٧٢) "The Story of the Bible," Vol. II, p. 932.

(٧٣) تك ١٧ : ١١ ـ ١٢ .

(٧٤) تك ١٧ : ١٤ .

(٧٥) خر ٤ : ٢٥ .

(٧٦) يش ٥ : ٧

(٧٧) لاو ٢٤ : ٥ .

الذبائح[٧٨] ورش دم الذبيحة على عتبة الباب ، فكان البابليون يمارسون العادة الأخيرة على عتبات قصورهم وعلى الأنصاب على طرفي المداخل ، امّا اليهود فكانوا يمارسونها في عيد الفصح[٧٩] . ويقول البروفسور ووترمن في هذا الصدد : « لقد أصبح من المسّلم به الآن أن جميع الأعياد اليهودية ماعدا عيد الفصح كانت بالأصل من الطقوس الدينية في كنعان وان شرح طريقة تطبيقها ومراعاتها يكوّن مجموعة من الشرائع لنا كل الحق أن نعتبرها اساساً من عهود ما قبل اسرائيل »[٨٠] .

١٧ ـ الشرائع اليهودية كنعانية وبابلية الاصل

وقد ذهب بعض الآثاريين المعروفين الى أبعد مما تقدم ، فصار هؤلاء يطلقون على الشريعة التوراتية تسمية الشريعة الكنعانية باعتبار كلتيهما شرائع واحدة . فيشير الاستاذ أولمستيد الخبير في تاريخ فلسطين القديم الى أن الكنعانيين وضعوا أول شريعة فيشكيم (نابلس حالياً) التي تعتبر عاصمة الكنعانيين في فلسطين في تلك العصور ومركزهم الديني الرئيس المقدّس حيث كان هيكل الههم « بعل » هناك . » ثم يضيف قوله : « والفضل يرجع الى حمورابي وشريعته في حمل الكنعانيين على اعادة النظر في شريعتهم الأولى وتنسيقها من جديد وإضافة زيادات وتنقيحات اليها وجعلوها شريعتهم الخاصة بهم ، وهي نفس الشريعة التي جاءت في التوراة وقد حافظ عليها اليهود بادخالها في كتبهم المقدسة فوصلت الينا عن طريق ممارستهم الفرائض التي وردت فيها »[٨١] . ويؤيد ذلك الاستاذ ووترمن فيقول : « وهكذا ان بني اسرائيل (الموسويين) وجدوا شرائع معدّة ومهيأة فعملوا بها في مسيرة حياتهم في كنعان » . ثم يضيف مؤكداً : « إن التحقيقات الاركيولوجية التي يمكن أن تزوّدنا بمعلومات في هذه الناحية لا تعترف بوجود أي فاصل ثقافي بين

(٧٨) تث ١٨ : ٣ .

(٧٩) A. Clay, op. cit., pp. 10-12

(٨٠) L. Waterman, "Pre-Israelite Laws in the Book of the Covenant" AJSLL, Vo. 38, 1921-1922, pp. 36-37.

(٨١) A. T. Olmstead, "History of Palestine and Syria", pp. 106-107.

الكنعانية واليهودية »[٨٢] . ويؤكد ذلك الاستاذ كوجنبرت بمـا يؤدي الى نفس المعنى فيقول : « لقد ثبت الآن أن دين العبرانيين (بمعنى اليهـــود) لا يمكن اعتبار كونه تطور ونما محليا ، بل اننا كانت عناصره الجوهرية قـد استقيت من آراء كانت متراكمة ومن معتقدات كانت شـائعة بين الأقوام السامية في الشرق ... وان هذه الوثائق القديمة تبرهن ، بما لا يتطرق اليـه الشك ، على أن انعزال الديانة اليهودية عن غيرها في الزمن القـديم لم يكن سوى خرافة بحتة » .

ويقرر ول ديورانت « أن أساطير الجزيرة العربية كانت المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البـلاد الى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد ... ولعل اليهود قد أخذوا بعضها من الأدب البابلي في أثناء أسرهم . ولكن أرجح من هذا أنهم أخذوها قبـل ذلك العهد بزمن طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى » . ويقول ديورانت كذلك « إن القصص الشعبية العالميـة كانت مصدرا من المصادر التي اقتبس منها كتاب أسفار العهد القديم ، فقـد كان شائعا في مصر ، والهند ، والتبت ، وبابل ، وبلاد الفرس واليونان والمكسيك وغيرها من البلاد ، قصص شعبية عن الجنة وما فيها من نعيم ، وما فيها كذلـك من الاشجار المحرمة والافاعي التي سلبت الناس الخلود أو نفثت السم في الجنة ... أما قصة الطوفان فهي أكثر انتشارا من قصة الخلق نفسها ، فلا يكاد يوجد في الأمم القديمة أمّة لم تعرفها ، وقلما وجد جيل في آسيا لم يرس عليه راكب السفينة الذي قدّر له أن ينجو من الطوفان ... وكانت الأسفار التي تليت عـلى الشعب بأمر يوشـيا وعزرا هي التي صيغت منهـا القوانين التـي قامت عليها الحياة اليهودية كلها فيما بعد . »[٨٣]

١٨ ــ حضارة اليهود المزعومة !..

ومن الثابت أن موسى دخل فلسطين واكثر أتباعه من الأميين لا يملكون أي قسط من الحضارة والثقافة ، فاقتبسوا من الكنعانيين لغتهم وآدابهـم

---

(٨٢) L. Waterman, "Pre-Israelite Laws in the Book of the Covenant AJSLL, Vol. 38, 1921-1922, pp. 37, 54.

(٨٣) « قصة الحضارة » ، الترجمة العربية ، ج ٢ ، م ١ ، ص ٣٦٨ـ٣٧٠ .

وثقافتهم ، وقد مرت عليهم فترة من الزمن تمكنوا خلالها أن يتوصلوا الى تدوين كتاباتهم الخاصة بهم بحروف هجائية اقتبسوها من الكنعانيين (الفينيقيين) . ثم أخذوا يمارسون الزراعة والاعمال الاخرى المتصلة بالحياة المستقرة عن الكنعانيين أيضا . وقد تأثروا في الديانة الكنعانية وقلدوا الكنعانيين في طقوسهم وشعائرهم الدينية ، وخاصة فيما يتعلق بالخصب والغلة والتذرع الى الآلهة الكنعانية وفي مقدمتهم الاله « بعل » الذي كان أشهر الآلهة في بلاد العرب ، إذ كان اليهود يقلدون الكنعانيين بتسمية أبنائهم بـ « بعل » تبركا به . وكذلك أخذوا يمارسون الشعائر الخاصة بتقديم القرابين والعطايا ، وهي عادة قديمة عامة متبعة في جميع الشرق الأدنى . ومن ذلك يتضح أنه لم يكن لليهود أية مساهمة في تقدم الحضارة الانسانية وان أكثر مدوناتهم الدينية وغير الدينية مأخوذة عن الثقافات القديمة وعن النصوص الادبية والدينية من عهود السومريين والكنعانيين والفينيقيين والاكديين والبابليين والاشوريين والكلدانيين والمصريين . ومجمل القول ان الموسويين تسلموا حضارة لم تكن من ابداعهم بل كانت من نتاج غيرهم . ويعترف بذلك الدكتور اسرائيل ولفنسون ، وهو يهودي ، إذ يقول : « إن يهود بلاد العرب لم يظهروا شيئا من النبوغ والعبقرية مطلقا ولم يشتهر من بينهم شخصية واحدة في كل عصورها بالرقي الفكري . »[٨٤] ولكنه يعلل ذلك بقوله إن البيئة الجديدة شلت قوى اليهود الروحانية فتغلبت عليهم العقلية البدوية ، وهذا التعليل غير وارد لأن البيئة الجديدة لا يمكن أن تشل القوى الروحانية بل على العكس من ذلك فهي تغذي القوى الروحانية .

ويؤكد العلامة الدكتور غوستاف لوبون هذه الحقيقة فيقول في كتابه « اليهود في تاريخ الحضارات الاول » : « لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء تقوم به حضارة ، واليهود لم ياتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت في اشادة المعارف البشرية ، واليهود لم يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ . »

ويقول العلامة بريستد تأييدا لذلك : إن بني اسرائيل (قوم موسى) عندما جاؤا الى بلاد كنعان كانت المدن الكنعانية ذات حضارة قديمة نشأت منذ ألف

(٨٤) « تاريخ اليهود فى بلاد العرب » ص ١٢ .

وخمس مئة سنة ومنازل متقنة فيها كثير من أسباب الراحة وحكومة وصناعة وتجارة وعلم ومعرفة بالكتابة وديانة حضارة . اقتبسها هؤلاء العبرانيون (الموسويون) الساذجون من مواطنيهم ... وقد أحدث الامتزاج مع الكنعانيين تغييرات جوهرية فيحياة العبرانيين فغادر بعضهم سكنى الخيام وشرعوا يبتنون بيوتا كبيوت الكنعانيين وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها وهم في البادية ولبسوا عوضا عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من منسوجات صوفية زاهية . »[٨٥]

وكتب المرحوم العقاد بأسلوبه الأدبي الرائع في هذا الموضوع ، فقال في كتيبه « الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين » (ص ٥٦) : « إن بني اسرائيل[٨٦] قبيلة لم تتطور ، وقد ظلت بين البادية والحاضرة ، قبيلة لم تستوف أطوار البادية ولم تتحول الى أطوار الحضارة شعبا (مدنيا) يتمشّى مع الحياة المدنية على سنة جميع الشعوب ، ولازمتها عادة المعيشة على السمسرة والوساطة فلم تتقدم الى آخر الشوط في تثمير أعمال البدو ولا في تثمير أعمال الحضر ، فهي في حالة العزلة الاجتماعية وما يلازمها عند البدو من عزلة العصبية بالدم والسلالة ... »

ولم يقتصر تأثر اليهود في الحضارة الكنعانية على الدين والأدب بل شمل الناحية العمرانية الفنية أيضا ، فيقول الاستاذ طه باقر في ذلك « إن هيكل سليمان المشهور لم يقتصر على أن بنائيه كانوا من (صور) بل أنه بني بموجب تصميم معبد كنعاني ، وكذلك يقال في زخرفته وتزويقه . وهكذا كانت قصور ملوكهم في أورشليم »[٨٧] ، وان كلمة « هيكل » أخذها اليهود من كلمة « هيكال » الكنعانية (طه باقر ، « مقدمة ...» ، ج٢ ص٢٨٩) .

١٩ ـ ملاحظات ختامية

نستخلص مما تقدم أن شريعة التوراة التي دوّنها الكهان اليهود في

---

(٨٥) « العصور القديمة » للدكتور جايمس هنري بريستد ، الترجمة العربية ، بيروت ، ١٩٢٦ ، ص ١٥٥ .

(٨٦) يسمى اتباع موسى ببني اسرائيل مجاراة للتوراة .

(٨٧) « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » (ج ٢ : ص ٣٠٠ ـ ٣٠١) .

فلسطين وفي بابل لا تخرج عن نطاق الشرائع البدائية القديمة التي كان يعمل بها أقوام تلك العصور وقد اقتبسوها منهم وهي لا تصلح لغير تلك الأزمان وتلك المجتمعات البدائية • ومما لا شك فيه أن مدوني التوراة الذين دونوا أكثر موادها في الأسر في بابل في عهد الكلدانيين كانوا محيطين بالمدونات القديمة التي كانت في متناول أيديهم وكانوا يحسنون جميع لهجاتها السامية وحتى اللغة السومرية • ومن الثابت أنهم اقتبسوا الكثير من هذه المدونات التي لم نعثر حتى الآن الا على جزء يسير ويسير جدا منها بين الأنقاض • وهذا كلّه يدل على أنه ليس فيما دوّن في التوراة أدب مبتكر خاص باليهود لأن أهم ما ورد فيها مقتبس من مدونات سبقتها كان رجال الدين من اليهود محيطين بها ولم يصل الينا منها الا النزر اليسير كما ذكرنا • لذلك فاذا كان لليهود فضل على الحضارة فهو ينحصر بمحافظتهم على جانب من ثقافة الكنعانيين العرب وآدابهم الدينية وجغرافية بلادهم وذلك باقتباسها وضمها الى كتبهم المقدسة ثم نقلها الينا عبر الزمن الطويل •

ومن الغريب حقا بعد كل هذا أن اكثر الكتاب الاجانب عندما يتطرقون الى التشابه بين المدونات الآثارية وبين كتابات التوراة بدلا من أن يعترفوا صراحة أن الثانية مقتبسة من الاولى يحوّرون التعبير فيقولون إن المدونات الآثارية جاءت مؤيدة لما ورد في التوراة ، وكأنهم بذلك يريدون أن يعتبروا كتابات التوراة هي القديمة وان المدونات الآثارية جاءت مؤيدة لها ، وهذا لا يخلو من المغالطة التي تجعل الباحث يحتار في أمره ، هل إنّ التوراة هي الأقدم أم المدونات الآثارية ؟ •••

وقد سار الكتاب على هذا النهج في بحثهم عن اللغة العبرية فلم يستطيعوا التخلص من تأثير الكتابات الاجنبية التي تدخل العبرية (بمعنى اليهودية) في كل مكان وفي كل زمان : ان المعلوم في الاوساط التاريخية أن الكنعانية هي اللغة الأصلية القديمة التي كانت سائدة في فلسطين قبل مجيء موسى وأتباعه بعدة قرون وقد اقتبسها الموسويون من الكنعانيين ،ثم تكوّنت بعد ذلك اللهجة العبرية المقتبسة من الأرامية بعد مرور أكثر من خمسمائة عام على دخولهم أرض فلسطين • ولكن على الرغم من اعتراف الاختصاصيين بعدم وجود أية لغة عبرية (بمعنى يهودية)في فلسطين غير الكنعانية في تلك العصور ، يعودون

فيطلقون على الكنعانية تسمية « العبرية القديمة » ، فيقول الاستاذ الابراشي مثلا في كتابه « الآداب السامية » : « يتضح أن العبرية القديمة نشأت في فلسطين حتى قبل مهاجرة الاسرائيليين (الموسويين) الى كنعان . » فاذا كانت هذه اللغة نشأت قبل ظهور موسى واتباعه فكيف يطلق عليها اسم العبرية (بمعنى اليهودية) قبل ان يكون قد وجد اليهود في كنعان ؟ .. ومثل ذلك يعتبر المطران يوسف الدبس في كتابه « تاريخ سورية » (ج١ ، م٢ ، ص٤٢٧) اللغة الموآبيه فرعا من اللغة العبرية (اليهودية) ، ففي مجرى حديثه عن مسلة ميشاع ملك موآب التي أقامها بمناسبة انتصاره على ملك اسرائيل في حوالي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد يقول ان النص الوارد على هذه المسلة ، وهو باللغة الموآبية وبالحروف الابجدية الفينيقية ، يمكن رد كل كلماته الى أصل عبراني (يهودي) ، وهنا نقف لنسأل : أية من اللغتين كانت الأقدم ؟ هل كانت الموآبية أم العبرية ؟ .. فمن المعلوم أن الموآبيين والكنعانيين كانوا سكان فلسطين الاصليين وقد كوّن الموآبيون مثل الكنعانيين حضارة خاصة بهم وكانت لهم حكومات وملوك استمرت عدة قرون قبل عصر موسى واليهود وقبل أن تتكوّن اللغة العبرانية (اليهودية) المقتبسة من اللغة الارامية باكثر من الف عام ، فكيف يمكن ان تكون اللغة الموآبية والحالة هذه فرعا من العبرانية ؟.. ثم بدلا من أن يقال إن اللغة العبرية تشبه اللغة الكنعانية باعتبار الكنعانية هي الاقدم يذكرون ان اللغة الكنعانية تشبه العبرية ممّا يوهم القاريء ويجعله يتصوّر أن العبرية هي الأقدم ، بل أنهم ذهبوا أبعد من ذلك بحيث أعتبروا اللغة العبرية (بمعنى اليهودية) أصلاً لكل الكتابات السامية الاخري ، ولكن كيف يمكن التوفيق بين هذا الادعاء ووجود الكنعانيين في فلسطين قبل عصر موسى واليهود بأكثر من ألفي عام ؟..

ومن المهم أن نذكر في هذا الصدد ان محطة اذاعة لندن العربية قد أذاعت مساء يوم ٢٢ شباط ١٩٧١ خبرا مفاده ان المنقبين توصلوا الى اكتشاف مهم ، وهو العثور على مخطوطات في الخليل بلغة سكان فلسطين الاصليين ترجع الى سنة ٧٠٠ ق.م. ، وتقول الاذاعة إن هذا ما يؤيد ان اللغة العبرية متاخرة وان المتكلمين بها أقلية في حين ان لغة سكان فلسطين الأصليين هي التي كانت سائدة في البلاد وتعد أقدم اللغات في فلسطين . وهذه العبارة نسمعها لأول مرة من

جهة أجنبية وهي تعترف بالحقيقة أي ان اليهود كانوا غرباء طارئين على فلسطين وأقلية فيها وأن لغة سكان فلسطين الأصلية هي التي كانت سائدة في البلاد لا العبرية كما اعتاد الباحثون ترديد ذلك في جميع كتاباتهم •

ولم أدع أمر هذا الاكتشاف وما يترتب عليه من مفاهيم جديدة أن يمر من غير تعقيب وتحقيق ، فاتصلت بمحطة الاذاعة البريطانية في لندن وطلبت المزيد من المعلومات عن هذا الاكتشاف ، فاحالتني المحطة الى المكتشف العلامة « مندلهل »(G. E. Mandelhall) استاذ لغات الشرق الأدنى في جامعة ميشيغان الاميريكية فاتصلت به على الفور ، وما ان تسلّم رسالتي حتى أجابني مشكورا على أسئلتي في كتاب مطوّل مؤرخ في ٨ تموز ١٩٧١ • ولما كان هذا الكتاب ماثلاً للطبع فقد انتهزت هذه الفرصة لأضيف الى ما تقدم العبارة التاليــة : يؤكد الاستاذ « مندلهل » بعد اعترافه بتعقيد هذا الموضوع وغموضه ان اللغة في عهد داود وسليمان وفيما بعده هي اللهجة الكنعانية « وذلك لأن النبي إشعيا سمّى لغة ذلك العصر من تاريخ اليهود في القرن الثامن قبل الميلاد بـ « شفة كنعان » ، أي لسان كنعان • » (انظر ما تقدم عن ذلك في الفصل الاول ـ مادة « تاريخ التوراة ، لغتها ، مكان وزمان ظهورها ») • والغريب ان « مندلهل » مع تاكيده بأن الكنعانية هي لغة ذلك العصر في فلسطين وان الثقافة الكنعانية بما فيها الوثنية هي السائدة آنذاك فهو لا يزال يعتبر هذه اللغة الكنعانيـــة الخالصة « عبرانية التوراة (العهد القديم) » :
The Language of the Old Testament of the Hebrew Bible
وبذلك يرجع العبرانية (أي اليهودية) والعهد القديم الى عصر لم يكن لهما أي وجود فيه ، وذلك على النحو الذي ذهبت اليه التوراة التي تعتبر وجود اليهودية واللغة العبرية في جميع الأزمنة حتى قبل ظهور اليهود الى عالم الوجود • وهذا هو نفس كلام الاستاذ الابراشي الذي يعتبر نشوء « عبريه قديمة » (بمعنـــى يهودية) قبل ظهور اليهود •

الفصل الخامس

عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب

عصر ابراهيم واسحاق ويعقوب

١ـ فلسطين أرض غـربة بالنسبة الى ابراهيـم واسحاق ويعقـوب (اسرائيل) ٠ ٢ـ عصر ابراهيـم واسحاق ويعقوب غير عصر موسى ولا صلة بينهما ٠ ٣ـ اله ابراهيم الخليل غير اله قوم موسى ٠ ٤ـ النبـوة الالهية عربية لفظا ومعنى ٠ ٥ـ من هـم العبرانيون ؟ مسألة « العبري » و « العبيرو » ٠ ٦ـ العبري أو العبراني هو غير اليهودي في حكم التوراة ٠ ٧ـ عدم ورود مصطلح « عبري » و « عبراني » في القرآن الكريم مطلقا ٠ ٨ـ هل « العبري » و « العربي » كلمة واحدة بمعنى عربي ؟٠ ٩ ـ « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً » (قرآن كريم) ٠ ١٠ ـ ابراهيم الخليل ، مولده ، سيرته ٠ ١١ ـ شخصية ابراهيم الخليل وصلته بالبلاد العربية ٠ ١٢ ـ الطريق التي سلكهـا ابراهيم الخليل في هجرته الى كنعان ٠ ١٣ ـ صلة ابراهيم الخليل بالقبـائل العربيـة البائـدة وبجزيرة العرب ٠ ١٤ ـ هجرة ابراهيم الخليل حقيقة واقعية لا خيال ٠ ١٥ ـ أحوال العراق السياسية في أثناء هجرة أبراهيم الخليل منه ٠ ١٦ ـ أحوال مصر السياسية في أثناء هجرة ابراهيم الخليل اليها ٠ ١٧ ـ أين اليهود من عصر ابراهيم الخليل ؟ ١٨ ـ هجرة أبراهيم الخليل من العراق وهجرة جماعة موسى من مصر ٠ ١٩ ـ بداية تاريخ اليهود وصلتها بهجرة أبراهيم الخليل ٠ ٢٠ ـ العقـاد في كتابه « أبو الانبياء » ٠

١ ـ فلسطين أرض غربة بالنسبة الى ابراهيم واسحاق ويعقوب (اسرائيل)

طرح عليَّ أحد الزملاء على أثر نشري مقالاً في موضوع « حضارة العرب في فلسطين » السؤال : « ما هي صلة بني اسرائيل بفلسطين ؟٠٠ وأين كـان وطنهم الأصلي هل هو فلسطين كما يدعون ؟٠٠ » ولاحتمـال ورود السؤال

نفسه على ذهن القاريء ، أجيب عن ذلك باختصار مستنداً كلياً الى نصوص التوراة بما يأتي :ـ

أولا : إن أرض فلسطين باعتراف التوراة ذاتها كانت أرض غربة بالنسبة الى آل ابراهيم وآل اسحاق وآل يعقوب إذ كانوا متغربين في أرض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الأصليين ، والتوراة تتحدث عنهم بصفتهم غرباء وافدين طارئين على فلسطين[1] . اما وطنهم الأصلي فهو « أرام النهرين » ، أي منطقة حاران (حرّان الحالية) حيث كانت العشائر الارامية التي ينتمون اليها قد استقرت في منابع نهر البليخ بعد هجرتها من الجزيرة العربية[2] ، ثم نزحت فروع من هذه القبائل الى جنوبي العراق (منطقة بابل) فكان ابراهيم الخليل من ذريتها . فقد وردت كلمة الاغتراب كلما ذكر تنقل ابراهيم الخليل في فلسطين وفي مصر ، فقيل : « تغرّب ابراهيم في أرض الفلسطينيين »[3] ، « وانحدر أبرام الى مصر ليتغرب هناك »[4] ، « وانتقل ابراهيم الى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرّب في جرار . »[5] ولما اشترى ابراهيم أرض مغارة المكفيلة من الحيثيين في حبرون قال لهم : « انا غريب ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي . »[6] ومثل ذلك ورد في التوراة فيما يخص اسحاق ويعقوب : « وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان »[7] .

---

(١) تك ٢٤ : ٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ؛ ٢٨ : ٤ ؛ ٣٥ : ٢٧ ؛ ٣٦ : ٧ ؛ ٣٧ : ١ ؛ ٤٧ : ٩ .

(٢) يجب التمييز هنا بين بني اسرائيل عند هجرتهم الى مصر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وهم أسرة واحدة لم تتجاوز عدد أفرادها السبعين شخصا على قول التوراة ، وبين قوم موسى عندما نزحوا الى فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، لان أسرة اسرائيل انصهرت وذابت بالمجتمع المصري على مر الزمن بحيث لم يبق لها اي أثر عندما غزا النبي موسى وأتباعه أرض فلسطين من مصر بعد مرور حوالي ستمائة عام على زمن أسرة يعقوب وهؤلاء يؤلفون حملة مصرية بحتة أكثرها مؤلف من بقايا الهكسوس ومن جنود مصريين هاربين كما سنوضح ذلك فيما بعد .

(٣) تك ٢١ : ٣٤ .

(٤) تك ١٢ : ١٠ .

(٥) تك ٢٠ : ١ .

(٦) تك ٢٣ : ٤ .

(٧) تك ٣٧ : ١ .

« وجاء يعقوب الى اسحاق أبيه الى حبرون حيث تغرب ابراهيم »[٨] • «تصرّح وتقول امام الرب الهك : أراميا تائها كان أبي فانحدر الى مصر وتغرّب هناك» • وهكذا فلا يمكن أن يكون كلمة « تغرّب » بمعنى اتجه نحو الغرب لأن ورود كلمة « أرض الغربة » تنفي هذا الاحتمال •

ثانيا : إن أبناء اسرائيل الاثني عشر ولدوا كلهم باعتراف التوراة في فدان أرام (منطقة حران)[٩] حيث مكث أبوهم يعقوب المسمّى باسرائيل عشرين سنة[١٠] ، ويعني ذلك ان مولدهم ونشأتهم كانا خارج فلسطين • هؤلاء هم بنو اسرائيل الذين ورد ذكرهم في التوراة ، وقد عرضت التوراة قصة يوسف مع إخوته وما حدث له في مصر بعد أن بيع فيها وكيف دخل في خدمة فرعون وتولّى ادارة شؤون الدولة ثم نزوح اخوته الى مصر مع أبيهم يعقوب (اسرائيل) • ويعتقد أن نزوحهم هذا قد تم في عهد حكم الهكسوس في مصر (١٧٣٠ ــ ١٥٨٠ ق•م•) (انظر ما تقدم في الفصل الاول عن الهكسوس)• ثم ظهر النبي موسى في مصر على أثر الاضطهاد والتسخير اللذين تعرّض لهما أتباعه على عهد الفرعون رعمسيس الثاني (١٣٠٤ ــ ١٢٣٧ ق•م•) فخرج موسى بهم الى أرض كنعان (فلسطين) وهذا هو الذي أطلق عليه اسم « الخروج » في التاريخ اليهودي •

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن ابني يوسف (منسّى وافرايم)ولدا من اسنات بنت « فوطي فارع » كاهن « عون » في مصر ونشأا فيها[١١] •

ففي كل ذلك دلائل وافية على أن وطن بني اسرائيل الاصلي لم يكن فلسطين بل منطقة حران الارامية حيث كانت تقطن العشائر الارامية التي هم من

(٨) تك ٣٥ : ٢٧ •

(٩) « وكان بنو يعقوب اثنى عشر أخا ، بنو ليئة : رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون ، وابنا راحيل : يوسف وبنيامين ، وابنا بلهة جارية راحيل : دان ونفتالي ، وابنا زلفة جارية ليئة : جاد وأشير ، وهؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا في فدان أرام (تك ٣٥ : ٢٣ ــ ٢٦) •

(١٠) تك ٣١ : ٢٨ •

(١١) تك ٤١ : ٥٠ ــ ٥٢ •

أفخاذها ، وان جميع الاخوة الذين ورد ذكرهم في التوراة ولدوا ونشأوا خارج فلسطين ، ونحن حين نؤكد ذلك نستند كلياً الى مرجع التوراة ذاتها التي تعترف بصراحة تامة بذلك •

٢ ـ عصر ابراهيم واسحاق ويعقوب غير عصر موسى ولا صلة بينهما

سبق ان عرضنا في الفصل الثالث (مادة تاريخ التوراة) ان الأحداث التاريخية التي مرّت على اليهود والتوراة تدعونا الى التمييز بين ثلاثة أدوار بالاستناد الى التسميات الثلاث (اسرائيل وقوم موسى ويهود) ، التسميات التي تم تداول كل منها في دوره الخاص به • وقد أشرنا بصورة مقتضبة الى أن دور ابراهيم واسحاق ويعقوب هو دور مستقل بذاته ليس له أية صلة بدور النبي موسى وقوم موسى أو اليهود • والسؤال الذي يفرض نفسه والذي سنجيب عنه بالادلة المقنعة : هل الجماعة التي خرجت من مصر بقيادة موسى تنتمي الى اسرائيل كما ادّعى مدوّنو التوراة ؟••

من الواضح أن أهم ما كان يهدف اليه كتبة التوراة عندما أخذوا بتدوينها بعد عهد ابراهيم الخليل باكثر من ألف وثلاثمائة عام وبعد عهد موسى بسبعمائة عام هو إرجاع نسب بقايا الجماعة التي خرجت من مصر بقيادة النبي موسى ، ومدونو التوراة هم أنفسهم من بقايا هذه الجماعة ، الى ابراهيم الخليل بُغْيَةَ إرجاع أصلها المجهول الى أقدس العروق من الأجناس البشرية ، ثم تثبيت عقيدة الارض الموعودة (الوهمية) على لسان ابراهيم وموسى وهما بريئان منها • واندفاعاً وراء تحقيق هذا الهدف ربط مدوّنو التوراة صلة هذه الجماعة رأساً بابراهيم الخليل وبحفيده يعقوب لكي ترفع من مكانتهم بين البشر وتجعلهم الشعب المختار ، وذلك من غير أن تتطرق الى الفاصل الذي يفصل بين جماعة موسى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبين جماعة ابراهيم الخليل وحفيده يعقوب في القرنين التاسع عشر والسابع عشر قبل الميلاد على التوالي ، وهو الفاصل الذي يمتد سبعمائة عام بين عهد ابراهيم الخليل وبين عهد جماعة موسى • وقبل أن نحلّل هذا الفاصل في ضوء ما طرأ من أحداث في خلاله لابد من شرح نقطة مهمة وهي إن أسماء أبرام ويعقوب ويوسف وحتى

تسمية اسرائيل التي تعني يعقوب ، هذه الأسماء كلها كانت اسماءاً روحانية مقدّسة في البلاد منذ عهد قديم ، وهي أسماء كنعانية بل عربية أصيلة ترجع الى ما قبل الألف الثانية قبل الميلاد ، وكانت تطلق على الاشخاص والاماكن تبركا بها كما هو متبع عندنا حاليا تماما : فقد ورد اسم أبرام في المصادر البابلية والمصرية للدلالة على أشخاص وأماكن بهذا الاسم[١٢] ، كما ورد في الكتابات المصرية اسما يعقوب ويوسف مقرونين بالاله «أيل» ، أي «يعقوب ــ أيل» و«يوسف ــ أيل» ، ومعنى ذلك « ليحم الاله ايل يعقوب » و « وليحم الاله أيـــل يوسف»[١٣]،والاله «أيل» هو «الاله العلي العظيم» (Supreme God)[١٤] عند الكنعانيين والاراميين وهو نفس الاله « أيل » الوارد في التوراة والمقرون بعهد ابراهيم الخليل ، وهو غير الاله « يهوه » اله اليهود الذي اختلقه كتبة التوراة كاله خاص بهم . وقد جاء اسما « يعقوب ايل » و « يوسف ايل » بين أسماء المدن التي احتلها الفرعون « تحوطمس الثالث » (أحد فراعنة السلالة الثامنة عشرة) (١٤٧٩ ــ ١٤٤٧ ق.م.) . كما ورد اسم « اسرائيل » في الكتابات المصرية أيضا بصفة اسم لمنطقة تقع في جنـــوب فلسطين كان قد أخضعهـــا « مرنفتاح » (أحد فراعنة السلالة التاسعة عشرة) في حوالي سنة ١٢٣٠ ق.م. هي « واشقلون » (عسقلان) و « جازر » ومدينة حورية أخرى في فلسطين ويقول « لودس » في ذلك : « ومن المحتمل أن هناك مستعمرة كنعانيـــة كانت تعرف باسم اسرائيل في فلسطين أوانذاك »[١٥] . ومما يدل على ان هـــذه التسمية « اسرائيل » كانت لها قدسيتها وروحانيتها في تلك العصور السحيقة أن التوراة تذكر بأن تسمية يعقوب باسرائيل جاءت نتيجة « جهاده مع اللـــه والناس » [١٦] ، ولما كانت الكلمة مقرونة بالاله « أيل » أيضا فقد ترجمهـــا العلماء المحدثون بمعنى « ليحكم ايل » أو « ليسطع أيل »[١٧] . وصفوة القول

(١٢) انظر ما يلي في هذا الفصل « هجرة ابراهيم الخليل حقيقة واقعية » .

(١٣) Lods "Israel," p.47

(١٤) انظر ما تقدم في الفصل الثالث : « هل كان اليهود أول من اعتنق عقيـــدة التوحيد ؟ »

(١٥) Lods, "Israel...", p. 188.

(١٦) تك ٣٢ : ٢٨ .

(١٧) Ency. Brit, 1965 ed., Vol. 12, p. 696. .... =

ان جميع هذه الاسماء كنعانية الاصل كانت متداولة في عهد ابراهيم الخليل وما قبله وذلك قبل ظهور موسى واليهود وقبل تدوين التوراة بأكثر من ألف وخمسمائة عام • ويرى اولبرايت ان هذه الاسماء الواردة في التوراة مثل أبرام ويعقوب وبنيامين وزبولون كانت أسماءاً مشهورة عند الاراميين[١٨] • (انظر المستدرك رقم ٢) •

إن جماعة يعقوب المسماة بني اسرائيل غادرت أرض وطنها الأصلي « حاران » (حران حالياً) وأرض غربتها (فلسطين) في حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد الى مصر ، وهناك تزوج يوسف من ابنة رئيس الكهنة في مصر ، وتقول التوراة إن ذرية هذه الجماعة نفسها خرجت من مصر بعد مرور زهاء خمسة قرون وقد سمّتها بني اسرائيل لتغزو فلسطين (أرض كنعان) متجاهلة ما حدث لهذه الجماعة في مصر خلال القرون الخمسة • أما اذا رجعنا الى المكتشفات الاثارية نجد أن هذه الغزوة المنسوبة الى من سمّي بني اسرائيل إن هي الا حملة مصرية على فلسطين ، وهذه ليست الغزوة المصرية الاولى لفلسطين ، فقد سبقتها عدة غزوات مماثلة على عهد الفراعنة الاوائل ، إذ كانت مصر تعد أرض فلسطين أشبه بمحمية مصرية لأن سلامتها مرتبطة مباشرة بها لوقوعها على حدودها الشرقية ، وهي الطريق الطبيعية للغزاة الذين يقصدونها من الشرق ، فقد نقلت لنا الكتابات المصرية القديمة أن الفرعون تحوطمس الثالث (١٤٧٩ ــ ١٤٤٧ ق•م•) هو وحده قام بسبع عشرة حملة على أرض آسيا وهذه كلها عن طريق فلسطين بطبيعة الحال[١٩] • لذلك كانت مصر تؤازر الملوك الكنعانيين وتسندهم بكل ما لديها من قوة مادية ومعنوية ضد الغزاة من الأقوام المجاورة لهم وذلك من غير أن تتدخل في شؤونهم الثقافية والدينية •

= الواقع ان اسرائيل كلمة كنعانية مثل يعقوب ــ أيل ويوسف ــ أيل وهي تتكون من مقطعين ، الاول « اسر » بمعنى « عبد » والاخر « أيل » وهو الاله أيل فيكون معنى اسرائيل عبدالاله « أيل » • وتقول الباحثة ابكار السقاف في كتابها « اسرائيل وعقيدة الارض الموعودة » (ص ١٢٣) انالكلمة عبرية ، وهذا غير وارد لان مصطلح اسرائيل ورد في الكتابات المصرية قبل أن تتكون اللهجة العبرية التي ظهرت بعد عصر موسى بعدة قرون وهذا باعتراف المؤلفة في مكان آخر من كتابها (ص ٤٨١) بقولها « ان اللغة العبرية حديثة العهد نسبيا لانها لم تبتكر الا بعد عهد موسى ببضعة قرون » •

(١٨) "The Jewish People, Past and Present.,' Vol. I, p. 30

(١٩) Lods, "Israel," p. 46.

وهناك دلائل قوية على أن ما عزاه كتبة التوراة لبني اسرائيل في الحملة على فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بقيادة النبي موسى ان هو الا حملة مصرية بحتة على نمط الحملات المصرية العديدة التي سبقتها ، فقائدها نبي مصري ، وهي حملة مؤلفة من بعض الجنود من المصريين ومن ذاول بقايا الهكسوس والبعض الآخر ، كما يقول الدكتور غوستاف لوبون ، من الأسرى والعبيد الفارين من سادتهم[٢٠] . ومما لا شك فيه أن جميعهم كانوا يتكلمون اللغة المصرية . هذا مع الفارق أن هذه الحملة منشقة على الدولة الأم (دولة الفراعنة) وهي لا تتمتع بالتنظيم العسكري المألوف كما أنها لا تتمتع باسناد الدولة كما كانت تتمتع به حملات الفراعنة السابقة العديدة على فلسطين في الألف والخمسمائة عام المنصرمة . والفارق الآخر هو ان أهداف هذه الحملة لم تكن أهدافا سياسية ترمي الى خدمة مصلحة الدولة المصرية ، وانما جاء أفرادها فارين من وجه الاضطهاد الذي كانوا يعانونه من المجتمع الوثني ، وقد جاؤا ليحتلوا أرضا عامرة بوسائل الحياة ليأووا اليها ويعيشوا عليها . ولم تكن لديهم من القوة الكافية لطرد سكان البلاد وحلهم محلهم لذلك بقوا زهاء نصف قرن بلا مأوى حتى تمكنوا من تثبيت أقدامهم في الجانب الشرقي من الاردن . ويجب أن لا ننسى أن المبدأ الاساس لهذه الجماعة كان منذ خروجهم من مصر مبدأ دينيا بحتا لا زمنيا أو سياسيا ، تم اضطهادهم في مصر بسبب أخذهم بديانة التوحيد التي ورثوها من عهد اخناتون كما سنشرح ذلك فيما يلي ، ثم جاء اليهود وهم من بقايا هذه الجماعة فحافظوا على هذا المبدأ حتى يومنا هذا ، فانهم يكونون مجتمعا دينيا بلا قومية محددة . والدليل على اهتمام مصر بفلسطين أنها احتضنت فيما بعدما سمّي بدولة اسرائيل ومدتها بالمال والمعونة وأكثر من ذلك أن فرعون مصر زوج ابنته من الملك سليمان على قول التوراة[٢١]، وأرسل جيشا لمعاونته في احتلال بعض المدن التي عجز عن اخضاعها[٢٢] .

ويجب قبل شرح الدلائل التي تسوقنا الى هذا الاستنتاج أن نذكر أن

---

(٢٠) « اليهود في تاريخ الحضارات الاولى » ، ترجمة عادل زعيتر ، ص ٣٣ .
انظر ايضا : J. Smith "God and Man in Early Israel," p. 36

(٢١) ١ مل ٣ : ١ .

(٢٢) ١ مل ٩ : ١٦ .

هناك حادثين مهمين وقعا في مصر خلال فترة القرون الخمسة التي تلت هجرة أسرة يعقوب الى مصر ، وهي الفاصل الذي يفصل بين جماعة يعقوب وجماعة موسى ، مما أدّى الى ذوبان جماعة يعقوب في البيئة المصرية كليا ، أولهما حكم الهكسوس في مصر (١٧٨٥ ــ ١٥٨٠ ق٠م٠)[٢٣] وقد كان يوسف أخا بني اسرائيل في زمام حكم مصر آنذاك مع الملاحظة أن هجرة آل يعقوب الى مصر وقعت في هذا العهد بالذات ٠ والمعلوم أن يوسف كان بحكم منصبه مندمجا بالشعب المصري خاصة بعد أن تزوّج من « اسنات » بنت «فوطي فارع» رئيس الكهنة في مصر وولد له ابناه منسّى وافرايم في مصر منها[٢٤] ٠ وهل أكثر من هذا الاختلاط بالشعب المصري في بداية هذه الفترة ؟ وهل يُعدّ ابنا يوسف (منسّى وافرايم) من نسل يعقوب مائة بالمائة ؟٠٠ وهل كان ما يمنع زواج منسّى وافرايم من مصريات أيضا مثل أبيهما بحكم انتساب امهما الى الكاهن المصري الأعلى ؟٠٠ ثم هل كان ما يمنع أبناء اخوة يوسف أن يتزوّجوا من مصريات أيضا اقتداءا بعمّهم يوسف ؟٠٠ نحن لا نستطيع أن نتصوّر في ضوء التحليل العلمي أن تكون أسرة واحدة (لا عشيرة) تتكون من سبعين شخصا على قول التوراة قد هاجرت الى بلد غريب وبقيت زهاء خمسمائة عام في هذا البلد من غير أن تنصهر وتذوب في محيطها الجديد ثقافيا واجتماعيا وحتى عرقيا٠ ويجب أن لا ننسى ان قبائل الهكسوس الحاكمة التي عاش يوسف واخوته في كنفها ، أن هذه القبائل ذاتها أخذت باللغة المصرية وبثقافتها كما هو معلوم وصار أتباعها في آخر عهدهم مندمجين بالمحيط المصري حتى أخذوا يتسمّون باسماء مصرية كما أخذ ملوكهم يقلدون الفراعنة في سيرة حياتهم ٠

ومما ساعد على ذوبان ذرية يوسف واخوته بالشعب المصري كلياً هو الحادث الثاني ، ونعني به اعتناق أخناتون فرعون مصر (١٣٧٥ ــ ١٣٥٨ق٠م٠)، بعد عهد يوسف وعهد الهكسوس ، دين التوحيد وفرض هذا الدين على الشعب المصري. إذ دخلت إثر ذلك جمهرة من المصريين ومعهم حاشية الملك والطبقة الحاكمة في ديانة التوحيد جريا على العادة المألوفة (الناس على دين ملوكهم) والظاهر أن اخناتون كان ينوي إعمام هذا الدين على جميع أنحاء الانبراطورية المصرية في ذلك

---

(٢٣) انظر ما تقدم عن الهكسوس فى الفصل الاول ٠

(٢٤) تك ٤٦ : ٢٠ ٠

الزمن[٢٥] • والارجح ان اخناتون أخذ بديانة التوحيد متاثرا بعهد الهكسوس وعهد يوسف ويعقوب مما أدى الى اندماج ذرية اسرائيل بالمصريين بعد أن أخذ عدد كبير من المصريين بدين التوحيد ، اذ لم يبق ما يفرّقهم من المصريين الذين اعتنقوا ديانة التوحيد ، لأن الدين كان أقوى رابطة بين الأقوام في تلك الازمان وبه يتميّز الناس بعضهم عن بعض • لذلك ان الدلائل كلها تدل على أن الجماعة التي خرجت من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بقيادة موسى كانت مؤلفة من جماعة من المصريين الذين اعتنقوا دين التوحيد وقد اضطروا الى مغادرة البلاد بعد أن أخذ الحاكمون يضطهدونهم في اعقاب موت اخناتون • ويتجلى ذلك بكل وضوح اذا أخذنا بالنظرية القائلة بأن النبي موسى مصري الأصل وكان قائدا مصريا في عهد اخناتون على ما يرى البعض ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك[٢٦] •

إن موسى نبيّ تعترف بنبوّته الديانات الثلاث ، ولكن هل هناك دلائل على أن موسى كان محتفظا بدم بني لاوي الذين جاؤا الى مصر قبل زهاء خمسمائة عام ، أي أنه يرجع الى طبقة الكهنة الذين كانوا يرعون الشؤون الدينية في مجتمع بني اسرائيل على حد قول التوراة[٢٧] ••• فالباحثون في هذا العصر يرون غير ذلك ، فيقول الكاتب اليهودي فرويد المشهور إن موسى كان قائداً مصرياً في جيش اخناتون ولم يكن من اللاويين كما جاء في التوراة ، ويزعم فرويد أيضاً أن موسى قد تأثر بمذهب التوحيد الذي نادى به اخناتون ، إذ عاش في كنف تلك البيئة الموحّدة عند آل فرعون ، ثم راح بعد موت اخناتون يبشّر بمذهب التوحيد هو واتباعه من المصريين • لذلك ان مَن سمّيَ في التوراة ببني اسرائيل من أتباع موسى النبي لا يمتون بأية صلة بمحيط الساميين العرب الذي عاشه ابراهيم الخليل وحفيده يعقوب قبل مئات من السنين ، كما أنهم لا يمتون بأية صلة بذرية اسماعيل وعيسو الذين

---

(٢٥) انظر ما تقدم في الفصل الثالث : « دعوة اخناتون فرعون مصر لعبادة الاله الواحد » •

(٢٦) انظر ما تقدم : « تاريخ التوراة ــ لغتها ــ مكان ظهورها » في الفصل الثالث » • انظر أيضا الفصل الذي يلي « عصر موسى واليهود » •

(٢٧) خر ٢ : ١ •

بقوا محافظين على الدم السامي العربي الخالص الذي يرجع الى عهد ابراهيم الخليل • والدليل على ذلك أن أتباع موسى قد جاءوا وهم غرباء بل أعداء لبني اسماعيل ولبني عيسو ولسكان كنعان بوجه عام ينوون غزو بلدهم وابادتهم ليحلّوا محلهم ولم تربطهم بسكان كنعان أية صلة • ألم تقل التوراة إن النبي موسى تربّى في بلاط فرعون وإن ابنة فرعون اتخذته ابناً لها وهو طفل ؟ فهل تربّى في البلاط بلسان يعقوب (اسرائيل) ام بلسان فرعون مصر ؟ فان سمّت التوراة أتباع موسى ببني اسرائيل أو لم تسمّهم ، فهم لايرتبطون بعهد ابراهيم الخليل اطلاقاً ، ولا صلة لهم به قطعاً ، لأن لغة ابراهيم كانت غير لغتهم ، وعهد ابراهيم غيرعهدهم ، وإله ابراهيم غير الههم ، وان ارتباطات ابراهيم بجزيرة العرب وبقبائل العرب البائدة تجعله منعزلاً عنهم انعزالاً تاماً •

وصفوة القول إن عصر ابراهيم الخليل لم يكن له أي ارتباط بقوم موسى الذين سمّتهم التوراة ببني اسرائيل للغرض الذي شرحناه وقد ظهروا بعد سبعمائة عام من دور ابراهيم الخليل ، فهو عصر قائم بذاته ولا علاقة له بمن سمّوا ببني اسرائيل في عهد موسى لا في الثقافة ولا في اللغة ولا في العرق• فدور ابراهيم الخليل مرتبط كما نبّهنا اليه القرآن الكريم ببيت الله العتيق ، أي بالجزيرة العربية التي هو منها واليها وهي وطن آبائه وأجداده الأصلي قبل هجرتهم الى وادي الرافدين ، فدوره يرتبط بتاريخ العرب مباشرة وهو العصر العربي القديم المعاصر للقبائل العربية التي هو منها والتي سمّيت بالعرب البائدة فيما بعد لانقراضها • والدليل على أن عهد أبراهيم الخليل ويعقوب عهد مستقل لا صلة له بعهد موسى واليهود ان الآثاريين ميّزوه عن الأدوار التالية ، اذ أطلقوا عليه اسم « عصر الآباء الجوالين » •
(The Wanderings of the Patriarchs)

ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان القرآن الكريم كان أول من كشف لنا عن هذه الحقيقة التاريخية وقد جاءت المكتشفات الاثارية حول الهجرات السامية العربية الى الهلال الخصيب ودراسة علم المقارنة بين اللغات مؤيدة لهذه الحقيقة نفسها التي تربط صلة ابراهيم الخليل بجزيرة العرب وبالحجاز •

وقد يسأل سائل : كيف يفسّر بقاء أسماء يعقوب واسرائيل ويهوذا بعد

عهد ابراهيم الخليل بعدة قرون ، وكيف التوفيق بين نظرية زوال اسرة اسرائيل وذوبانها بالبيئة المصرية وبين بقاء هذه الأسماء في عصور لاحقة ترجع الى ما بعد عهد موسى ؟ .. وهنا ينبغي أن نرجع الى العهود القديمة التي تعود الى عهد البابليين والكنعانيين ، إذ ثبت ان جميع هذه الأسماء ـ ابرام ، يعقوب ، اسماعيل ، اسرائيل ، يوسف ، ناحور ، تارح ، صهيون ـ كانت أسماء كنعانية بابلية متداولة في العالم العربي السامي منذ الألف الثالثة قبل الميلاد وقد وردت في النصوص القديمة وظلت متداولة بين الناس في شرقنا العربي السامي حتى يومنا هذا . فان اسم يهوذا في القرن التاسع قبل الميلاد ليس معناه انه نفس يهوذا بن يعقوب في القرن السابع عشر قبل الميلاد . فضلاً عن أن « يهوذا » اسم قديم لمنطقة قديمة في كنعان وكذلك اسم اسرائيل .
ومرة اخرى نقول : ليس من السهل التخلص من التقليد الشائع منذ آلاف من السنين وهو التقليد الذي يربط كل شيء باليهودية وبالتوراة ، أما الحقيقة فهي ان هذه الأسماء كلها أسماء عربية بحتة وليست يهودية بمعنى خاصة باليهود لمجرد ورود ذكرها في التوراة ، فهي أسماء عامة كانت متداولة بين الساميين العرب منذ عصور سحيقة واغلة في القدم وهي ترجع الى ما قبل عهد اليهود أو بني اسرائيل كما تسميهم التوراة بزمن طويل ، ولاشك في أن الذين كانوا يتسمّون بهذه الاسماء كثيرون لا يحصى عددهم على مدى الأدوار المختلفة كما نجدها اليوم مثل اسماء ابراهيم ويعقوب واسماعيل المتداولة بين الآلاف من الناس ، فليس معنى ذلك ان كل يعقوب وكل اسماعيل يمت بصلة الاشخاص الذين عاشوا قبل آلاف من السنين . ان جماعة موسى اجداد اليهود اقتبسوا كما أوضحنا الثقافة الكنعانية بما فيها اللغة والديانة والعادات والتقاليد وكان في جملتها الأسماء التي تَسَمّى بها الكنعانيون ، ولا صلة لهذه الأسماء بحوادث الأدوار التاريخية القديمة .

٣ ـ اله ابراهيم الخليل غير اله اليهود

إن الاله الذي كان يدعو ابراهيم الخليل الى عبادته هو غير إله اليهود الذي تصفه التوراة ، لأن دعوة ابراهيم الخليل الى عبادة الاله الواحد كانت دعوة عامة موجهة الى جميع السكان الوثنيين في عصره بلا استثناء ، الاله الأوحد خالق السموات والأرض وجميع البشر ، رب جميع المخلوقات بلا

تمييز بين الأقوام[٢٨] . ومما يؤيد ذلك ان ابراهيم الخليل لمّا استدعى عبده وأمره بأن يذهب الى « حاران » (حران) ليأخذ زوجة لابنه اسحاق من عشيرته هناك قال له : « فاستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن معهم »[٢٩] . وقد ورد ذكر هذا الاله الذي دعا ابراهيم الى عبادته باسم « ايل » في التوراة[٣٠] ، وهو مفرد لكلمة « ايلوهيم » الكنعانية المراد بها للجمع والتعدد ، أي الآلهة ، ومنه جاءت تسمية « بيت ايل »[٣١] . و « ايل » هو الاله الذي تكلم مع هاجر[٣٢] . وقد ورد هذا المصطلح نفسه في النصوص الكنعانية والارامية ثم في النصوص المصرية التي ترجع الى عهد الهكسوس بهذا المعنى فقيل « يعقوب ـ ايل » و « يوسف ـ ايل » ، أي يعقوب الاله أو يوسف الاله[٣٣] عملاً بالطريقة التي كانت متبعة باضافة اسم الاله الى اسم الملك أو الشخص تبركا به ، كما هو متبع الآن بتسمية الأشخاص بعبد الله وعبد الاله الخ ... ذلك مما يدل على أن كلمة « ايل » بمعنى الاله الواحد كانت معروفة في كنعان في عهد ابراهيم الخليل وفي عصر الهكسوس الذي يلي ، أي قبل أن يظهر موسى واليهود بعدة قرون ، ولما ظهر اليهود عبدوا الههم الخاص بهم الذي سمّي باسم « يهوه » ، الاله الذي لا يهمه من العالم والخلق سوى اليهود أو شعبه المختار ، وذلك على غرار مبدأ التفريد (Henotheism) ، وهو المبدأ الذي اعتنقته الأقوام القديمة عندما كانت كل مدينة تختص باله واحد من بين مجموعة الآلهة بدون نبذ عبادة الآلهة الأخرى والقضاء عليها[٣٤] ، هو حاكمها وهو قائدها وجعلوه على صورة البشر والبشر على صورة الاله ، مسكنه في السماء وينزل أحيانا الى الأرض ، ويتقمص الاشكال البشرية ، ويكلم البشر

---

(٢٨) تك ١٤ : ١٩ .
(٢٩) تك ٢٤ : ٣ .
(٣٠) ١٢ : ٨ .
(٣١) تك ١٢ : ٨ ؛ ١٣ : ٣
(٣٢) تك ١٦ : ١٣ ـ ١٤ .
(٣٣) انظر ما تقدم عن الهكسوس فى الفصل الاول والفقرة الثانية « عصر ابراهيم واسحاق ويعقوب » فى هذا الفصل .
(٣٤) طه باقر « مقدمة .. » ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

بصوت ولفظ ويأكل ويشرب ألخ ...[٣٥] وهكذا كان الاله الذي تصوّره اليهود إلها قبليا خاصاً بهم وينافس آلهة الأقوام الأخرى ويحارب معهم كما كانت الحال عليه في عصر دويلات المدن في العراق القديم . ولا يخفى ان دعوة ابراهيم الخليل للوحدانية الخالصة بدأت من العراق وليس من فلسطين وهي موجهة الى جميع الوثنيين في عصره ولم تخطر على بال ابراهيم الخليل فكرة "الشعب المختار"، وهي البدعة التي اختلقها مدوّنو التوراة وأدخلوها في الكتاب المقدس بعد ربطها بابراهيم الخليل ، إذ لا يمكن ان تكون هذه الادعاءات منزلة من الاله خالق السموات والأرض الذي دعا ابراهيم الخليل الى عبادته قبل أن يكون قد ظهر اليهود بعدة قرون . لذلك كله تعتبر دعوة ابراهيم الخليل الى الوحدانية الخالصة أول دعوة عامة للتوحيد بالمعنى الدقيق لمصطلح التوحيد (Monotheism) في تاريخ البشرية ، وهي عربية لغة ووطناً ، كما جاءت بعدها رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، النبي العظيم خاتم الأنبياء ، وقد نزلت عليه باللغة العربية أيضاً ، لأن اللغة التي كان يتكلم بها ابراهيم الخليل والأراميون معه في تلك الأزمان هي اللغة العربية الأم التي يرجع وطنها الأصلي الى الجزيرة العربية ، وكانت لغة واحدة تتكلم بها جميع القبائل وذلك قبل أن تتفرق هذه اللغة الأصلية الى لهجات مختلفة ضمن كتلة اللغات السامية . فيقول الدكتور هوميل في كتابه « التقاليد العبرانية القديمة »[٣٦] : « ومما لاشك فيه أن اللغة الأرامية في عصر أبرام (ابراهيم الخليل) كانت لهجة عربية (ويقصد هنا اللغة العربية الأصلية التي كان يتكلم بها الأراميون في الجزيرة العربية قبل هجرتهم منها) لأن ما نسميه بالأرامية لم يظهر الى حيّز الوجود الا بعد زمن متأخر جداً وان ما يعرف بأرامية التوراة وأرامية عصر المسيح يرجع الى زمن الفرس وفترة العصر المسيحي » .

(٣٥) تصور التوراة الاله كشخص يحارب بنفسه من أجل اسرائيل (خر ١٤ : ١٤ ؛ يش ١٠ : ٤٢ و٢٣ : ٣) ، وله رجلان ويمشي كالانسان (خر ٢٤ : ١٠) ويكتب بيده وبأصبعه (خر ٣١ : ١٨ ؛ ٣٢ : ١٥-١٦ ، ١٩ ؛ ٣٤ : ١) ، ويندم على بعض أعماله (١ صم ١٣ : ١٣-١٤) الخ .

(٣٦) Dr. F. Hommel, "The Ancient Hebrew Tradition", p. 202,

٤ ــ **النبوة الالهية عربية لفظا ومعنى**

ويؤكد المرحوم الاستاذ العقاد أن الاسرائيليين (اليهود) تعلموا النبوّة الالهية بلفظها ومعناها من شعوب العرب ، ولم تكن لهذه الكلمة عند الاسرائيليين (اليهود) لفظة تؤدّيها قبل وفودهم على أرض كنعان ومجاورتهم للعرب المقيمين في أرض مدين ، فيقول في كتابه « الثقافة العربية » (ص ٧١) : « إن كلمة نبي عربية لفظاً ومعنى لأن المعنى الذي تؤديه لا تجمعه كلمة واحدة في اللغات الأخرى والعبريون قد استعاروها من العرب في شمال الجزيرة بعد اتصالهم بها ، لأنهم كانوا يسمّون الأنبياء القدماء بالآباء (Patriarchs) ولم يفهموا من كلمة النبوة في مبدأ الأمر الا معنى الانــذار ... فكانوا يسمّون النبي بالرائي[٣٧] أو الناظر أو رجل الله ، ولم يطلقوا عليه اسم النبي الا بعد معرفتهم بأربعة من أنبياء العرب المذكورين في التوراة ، وهم ملكي صادق وأيوب وبلعام وشعيب الذي يسمونه يثرون معلم موسى الكليم » . وقد سمّي ابراهيم الخليل برئيس الآباء[٣٨] . ويستشهد العقاد ببعض علماء الأديان الغربيين الذين ذهبوا الى تأييد اقتباس اتباع موسى كلمة النبوّة من العرب مثل الاستاذ هولشر والاستاذ شميدت اللذين يرجحان أن الكلمة دخلت في اللغة العبرية بعد وفود القوم على فلسطين . فتشير التوراة الى أن عاموس اغتاظ وغضب لما أطلق عليه أمصيا اسم نبيّ قال : « لست أنا نبياً ولا أنا ابن نبي بل أنا راع وجاني جمّيز . فأخذني الرب من وراء الضأن وقال الرب اذهب تنبّأ لشعبي اسرائيل »[٣٩] .

٥ ــ **من هم العبرانيون ؟ .. مسألة « العبري » و « العبيرو »**

لقد اعتاد أكثر الذين كتبوا في تاريخ بني اسرائيل من افرنج وعرب أن يستعملوا كلمة « عبري » أو « عبراني » بغير معناها الذي جاءت به في المصادر القديمة ، إذ كانت هذه الكلمة تطلق في نحو الألف الثانية قبل الميلاد وفيما قبل ذلك على طائفة كبيرة من القبائل في شمال جزيرة العرب وفي بادية الشام ، وكانت العبرية (بمعنى لغة هؤلاء العبريين) أوانذاك لغة أهل فلسطين

(٣٧) عا ٧ : ١٢ .
(٣٨) رسالة العبرانيين (الانجيل) ٧ : ٤ .
(٣٩) عا ٧ : ١٤ــ ١٥ .

الكنعانية ولغة كثير من القبائل في طور سيناء وفي شرقي الاردن ومنهم العمالقه والمديانيون وغيرهم من الأقوام العربية في المنطقة حتى صارت كلمة « عبري » مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام • وبهذا المعنى وردت كلمة « الابري » و « الهبيري » و « الخبيرو » و « العبيرو » في المصادر المسمارية والفرعونية ولم يكن لليهود وجود في ذلك الحين ، ولما وجد اليهود وانتسبوا الى موسى كانوا هم أنفسهم يقولون عن « العبرية » إنها لغة كنعان « شفة كنعان » أي لسان كنعان ، ثم انطوت « العبرية » (الكنعانية) في الأرامية التي غلبت على القبائل جميعاً بين فلسطين وسورية والعراق وعندئذ أصبحت كلمة « عبري » تشمل جميع الأراميين وكلهم عرب نزحوا من موطنهم الاصلي في جزيرة العرب قبل أن يكون لليهود وجود[٤٠] • لذلك سوف نحجم عن استعمال كلمة « عبري » أو « عبريين » للدلالة على اليهود في هذا البحث لتجنب الالتباس خاصة ما يتعلق ببحث تاريخ فلسطين القديم ، أي بحث فترة ما قبل ظهور قوم موسى على مسرح الأحداث في الشرق الأدنى ، الفترة التي يجب أن تبحث كدور مستقل ليست له أية صلة بذور موسى وذلك مراعاة للتسلسل الزمني •

واذا استعرضنا الدور الخطير الذي لعبه أهل البادية في تطوير حياة منطقة الشرق الأوسط بأسرها نتيجة توغلهم في جميع أنحاء الهلال الخصيب في هجراتهم المتتالية ، تجلت لنا ظاهرة اهتمام الأقوام القديمة بالعبيرو « أهل الصحراء » ، فورد ذكرهم في جميع الكتابات القديمة وذلك قبل ظهور موسى بعشرات القرون ، فكان السومريون يسمّونهم « سا ـ كاز » منذ عهد أور الثالثة (أواخر الالف الثالثة قبل الميلاد) ، وقد ورد ذكرهم أيضاً في نصوص « بابل » و « نوزي » و « ماري » و « اوغاريت » كما ورد ذكر « العبيرو » في وثائق « تل العمارنة » المصرية التي بعث بها ملوك كنعان الى الملك امنحوتب الثالث والملك اخناتون والتي تعود الى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد ، وقد دلت التحريات على ان « العبيرو » (Hapirue) تمكنوا من

---

(٤٠) ولفنسون ـ « تاريخ اليهود في بلاد العرب » ، ص ز ؛ العقاد ـ « ابراهيم أبو الانبياء » ، ص ١٣٢ •

احتلال مدينة « أريحا » قبل عهد موسى بحوالي قرنين من الزمن[٤١] • ثم اختفى ذكر « العبيرو » من الأحداث التاريخية منذ أواخر الألف الثانية قبل الميلاد ، أي بعد ظهور موسى واتباعه في المنطقة • ويذهب البروفيسور بورجير الى أن معنى « الابيرو » مغبّر أو مغطّى بالغبار ، ثم أخذ هذا الاصطلاح على



التصوير رقم ٥٥

مومياء الملك امنحوتب الثالث الذى حكم مصر بين سنة ١٤١٣ و ١٣٧٥ ق.م. وهو الذى بعث اليه ملوك كنعان برسائلهم التي وجدت في تل العمارنة يطلبون فيها مساعدتهم لصد غزو القبائل البدوية « العبيرو » •

---

(٤١) T.H. Gaster, Ency. Brit., 1965, Vol. 4, p. 727:

مر الزمن يستعمل بالمعنى العام للدلالة على الأجنبي أو المهاجر[٤٢] .

٦ - **العبري أو العبراني هو غير اليهودي في حكم التوراة**

والتوراة تتحدث عن العبرانيين بصفتهم غرباء عنهم وليسوا منهم ، فقد ورد في الأحكام التي وضعها موسى أمام أتباعه ما يشير الى أن الاسرائيلي (بمعنى اليهودي) اذا اشترى عبداً عبرانياً فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حراً مجاناً (خر ٢١ : ٢) . ثم تقول التوراة أيضاً إن العبيد يجب أن يكونوا من غير بني اسرائيل[٤٣] لأن بني اسرائيل « عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون بيع العبيد ... وأما عبيدك واماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم ... واما اخوتكم بنو اسرائيل فلا يتسلط انسان على أخيه بعنف ... واذا بيع أخوك للغريب المستوطن عندك أو لنسل عشيرة الغريب فبعد بيعه يكون له

(٤٢) لقد كتب كثيرون في موضوع « العبيرو » (العبري) وهذا دليل على اهتمام الباحثين به ، والذي نستخلصه من هذه التآليف ان اكثرية الباحثين يتفقون على أن اصطلاح « العبيرو » (العبري) كان يطلق على القبائل البدوية النازحة من الجزيرة العربية قبل عهد موسى لوروده في المدونات الاثارية التي ترجع الى ما قبل ذلك العهد بعدة قرون ، وفيما يلي مختارات من كتاباتهم في هذا الموضوع :

J Bottero, "Le problème des Habiru", 1954; M. Greenberg, "The Habiru", 1955; M. G. Kline, "The Habiru, Kin or Foe of Israel", Westminster Theological Jour., XIX (1956), 1—24, 170-194; XX (1957), 46-70; R. Borger, "Das Problem der 'apiru (Habiru), ZDPV, LXXIV, 1958, 121-132; J.-R. Kupper, " Les Nomades en Mesoptamie au temps des rois de Mari", 1957 (Chap. V); I. J. Gelb, "The Early History of the West Semitic Peoples", Journal of Cuneiform Studies", 15, 1961, pp. 28 ff.; "Hebrew, Ubru et Hapiru", Syria, 35 (1958), pp. 198-217; M.F. Unger, "Israel and Arameans of Damascus,,, 1957, pp. 10-11.

(٤٣) سبق ان أوضحنا ان التوراة لم تتقيد بالتسلسل الزمني فقد اعتبرت بني اسرائيل موجودين في كل الازمنة حتى قبل أن خلق اسرائيل لذلك فهي تسمي اتباع موسى الذين نزحوا الى فلسطين بعد اسرائيل بزهاء ستمائة سنة ببني اسرائيل ايضا ، فعلى القارىء أن يميز بين اتباع موسى وبين بني اسرائيل كل حسب الدور الذي وجد فيه وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

فكاك يفكه واحد من اخوته » (لاو ٢٥ : ٤٢، ٤٧ ــ ٤٨) • وهــذا دليــل واضح على ان العبراني هو غير اليهودي في حكم التوراة نفسها •

وكان اليهود أنفسهم يميزون بين العبرانية والاسرائيلية ، فالســامريون كانوا يسمّون لغتهم السامرية القديمة، التي يصلّون بها اللغة العبرانية تمييزاً لها عن اللغة الاسرائيلية (اليهودية) زاعمين أن لغتهم هذه هي العبرانيـــة القديمة الحقيقية التي نزلت الشريعة فيها والاختلاف ينحصر في اســتبدال الاحرف واللفظ • ولعل المقصود هنا بالعبرانية القديمة الحقيقية اللهجـــة الأصلية التي اقتبسها اليهود من الكنعانيين وهي غير اللهجة العبريـــة التي تكوّنت مع بقيّة اللهجات في وقت لاحق • ولدى السامريين اليوم خمســة أسفار موسى محفوظة في وعاء من نحاس مكتوبة بالخط السامري وباللغــة السامرية وهي كل ما يعترفون به من التوراة(٤٤) •

والأمر الذي ينبغي أن لا يغيب عن الذهن هو ان التوراة عندما تحدثت عن لغة الموسويين لم تقل لغة العبرانيين ، فقد سمّتها بـ « شفة كنعان » أي لسان كنعان ثم « يهوديت » و « لسون حقوديس » أي اللسان المقدس • اما كلمة عبري (عبريت) و (وعبراي) بالارامية فقد صاغها حاخامو فلسطين في وقت لاحق • هذا ما ذكره « درايفر » استاذ اللغة العبرية في اكسفورد في مقاله في دائرة المعارف البريطانية حول أصل كلمة « عبري » (٤٥) •

٧ ــ عدم ورود مصطلح « عبري » و « عبراني » في القرآن الكريم مطلقا

وأثبت دليل على صحة ما تقدم أن كلمة « عبري » أو « عبراني » لــم ترد في القرآن الكريم مطلقاً ، فقد ورد ذكر الاسرائيليين بصيغة «بني اسرائيل» و « قوم موسى » و « يهود » (الذين هادوا) ، ذلك مما يدّل على أن العرب في زمن النبي محمد عليه الصلاة والسلام لم يعرفوا اليهود بغير التســميات المذكورة ، فلو كانوا يعرفونهم بالعبرانيين أو العبريين لورد ذكرهم في القرآن الكريم بهذه التسمية ، وكذلك نجد أن أشهر المؤرخين العرب كانوا يسمّون

(٤٤) انظر ما تقدم في الفصل الثالث عن هذه الفئة من اليهود •

(٤٥) G.R.D. Driver, "Hebrew Language," Ency. Brit., 1965 ed , Voll. 11 p. 279.

اليهود « بني اسرائيل » في كتبهم وذلك تمشيا مع نهج القرآن الكريـم ٠ ومثل ذلك فعل الاشوريون قبل الاسلام بأكثر من ألف ومائتي عام ، فعندما دوّن سنحاريب (٧٠٥ — ٦٨١ ق٠م٠) تفاصيل حملته على مملكة يهـوذا سمّى حزقيا ملك يهوذا « حزقيا اليهودي » ولـم يستعمل كلمـة عبري أو عبراني(٤٦) ٠ وهذا دليل آخر على أن كلمة « عبري » لم يسبق ان استعملت للدلالة على بني اسرائيل في تلك العصور التاريخية ٠

٨ — هل « العبري » و « العربي » كلمة واحدة بمعنى عربي ؟٠٠

ويبدو لنا لأول وهلة عندما يرد ذكر « العبري » و « العربي » أن هناك تقاربا وثيقا في اللفظ بينهما حتى انه ليتراءى للمرء ان الكلمتين تكادان تكونان كلمـة واحدة ومن اصل واحد ٠ الا أن السؤال الذي يرد الى الذهن هو أي اللفظين مشتق من الآخر؟٠٠فالاستاذ عبدالحق فاضل الذي كتب مقالا في سومر عنوانه : « عربي ، أرامي ، عبري »(٤٧) ، ثم الحقه بكتاب عنوانه « مغامرات لغوية»طبع فيبيروت (بلا تاريخ) يرى أن العربيةوالارامية والعبريةمشتقةمن أصل واحد ومن كلمة واحدة هي العربية باعتبارها أم اللغات السامية وأكثرها شبها باللغات السامية المتطوّرة ٠ والذي يهمنا هنا هو « العبرية » و « العربية » ، فهو يذهب الى أن اشتقاق العبري من العربي كان بطريق القلب عـلى حـد تعبيره ، ويضيف الى ذلك قوله : « وما أكثر ما صنعت العرب ذلك من أقـدم عهودها (ص ٢١ من كتابه) ٠ ونحن مع ترجيحنا رأيه القائل بأن العبـري والعربي من أصل واحد ومن كلمة واحدة ، الا أننا لا نتفق واياه بأن العبري مشتق من العربي إذ نرجح عكس ذلك ، أي أن العربي مشتق من العبري وذلك نتيجة تقديم وتأخير في اللفظ ٠ ودليلنا في ذلك التسلسل الزمني ، فأي اللفظين جاء ذكره قبل الآخر ، هل هو العربي أم العبري ؟٠٠ لقد سبق ان أشرنا الى أن أقدم ذكر لكلمة « العبيرو » و « الخبيرو» و « الهبري » (العبري) يرجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، حيث ورد هذا اللفظ مرات كثيرة فـي رسائل العمارنة وكان يقصد به عرب البادية أو البدو الرحل ، ومما لا شك

---

(٤٦) J. Pritchard, "Archaeology and the Old Testament", p. 157.

(٤٧) م ١٤ (١٩٥٨) ، ص ١٨٠ — ١٨٨ ٠

فيه أن استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى كان قبل ذلك بكثير • اما لفظة « عربي » فأقدم ذكر لها ورد في الكتابات الآشورية ، إذ وردت أول اشارة ثابتة الى العرب في نقش للملك الآشوري شيلمنصر الثالث (٨٥٩ — ٨٢٤ ق •م•) الذي قام بحملة على ملك دمشق عام ٨٥٤ ق•م• ثم وردت في كتابات أخلاف شيلمنصر[٤٨] • وقد سمّي ملوك بلاد العرب بملوك « العريبي » كما أطلقت كلمة « العريبي » على الأراميين والأدوميين أيضا مما يدل على ان الآشوريين كانوا يعتبرون الأراميين والأدوميين من العرب كما هو واقع الحال• وقد مرت بنا الاشارة الى مقال بعنوان « العبري (العبيرو) والعربي » نشر في احدى المجلات[٤٩] لم يتيسر لنا الاطلاع عليه ، والأرجح أنه يتناول بحث نفس الموضوع الذي نحن بصدده • ومما يذكر في هذا الصدد أن العلماء اختلفوا في كيفية نقل كلمة « عربي » من النصوص الآشورية فقرئت Arub Arbi, Urbi, Arabi, Aribi, وهذا مما يزيد الاحتمال بأن كلمة عربي تحريف للعبري بالتقديم والتأخير •

٩ — » ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا » (قرآن كريم)

يتضح مما تقدم أن تسمية أبرام (ابراهيم الخليل) بالعبراني كما وردت في التوراة[٥٠] كان يراد بها معنى « العبريين » القبائل البدوية العربية ، ومنها القبائل الارامية التي ينتمي اليها ابراهيم الخليل نفسه ، وبهذا المعنى

---

(٤٨) لقد أشار الدكتور جواد علي في كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » (١ : ١٦٩) الى أن أول اشارة الى العرب وردت في نص آشوري يعود الى أيام الملك شلمنصر الثاني ملك آشور معتمدا في ذلك على ماركوليوث والدكتور حتي ودائرة المعارف اليهودية . الا أن التحقيق الحديث هو أن اول اشارة ثابتة الى العرب في النصوص الاشورية ترجع الى زمن شلمنصر الثالث كما ذكرنا أعلاه • ويلاحظ ان الدكتور جواد علي قد صحح ذلك في كتابه الاخير « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » (١ : ٥٧٤) حيث ذكر ان أول اشارة الى العرب ترجع الى زمن شلمنصر الثالث كما بينا أعلاه • ويلاحظ ان الدكتور حتي هو الاخر صحح ذلك في الطبعة الاخيرة من كتابه « تاريخ العرب » (المطول) — الطبعة الرابعة ١٩٦٥ (١ : ٤٥) • ونود أن نزجي شكرنا الى الاستاذ الدكتور طه باقر لتنبيهنا الى هذا الخلاف •

(٤٩) A. Guillaume, "The Habiru the Hebrews and the Arabs" Palestine Exploration Quarterly. 1946, pp. 64 ff.

(٥٠) تك ١٤ : ١٣ •

جاءت كلمة « عبيرو » التي عثر عليها في النصوص المصرية والتي تعود الى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد • ويعترف جورج پوست في مصنفه « قاموس الكتاب المقدس » (ج١ ، ص١٨) بأن لقب أبرام بالعبراني لم يقصد به الاسرائيلي وانما يمكن تاويله على حد تعبيره بابرام السائح أو المهاجر • فقد عثر في تل العمارنة بمصر على ست رسائل من أحد ملوك منطقة أورشليم اسمه « عبد ـ خيبا » موجهة الى ملك مصر منوفس الرابع « إخناتون » (١٣٧٥ ـ ١٣٥٨ ق•م•) يطلب فيها ارسال نجدة لصد غارات « العبيرو » الذين اجتاحوا بلاده • ولما كانت أرض فلسطين في هذا الدور محمية لمصر فيقول «عبد ـ خيبا » في رسائله : « لم يبق من أرض مولاي الملك شيء •• نهب (العبيرو) كل البلاد من سيدي الملك ••• البلاد وقعت في أيدي (العبيرو) • » ومن الواضح هنا أنه لا يمكن أن يكون (العبيرو) الذين ورد ذكرهم في هذه الرسائل هم اليهود[٥١] • وهكذا فأن التوراة حين تصف ابراهيم الخليل بالعبراني تساير واقع الحال باعتباره من القبائل العبرية التي ينتمي اليها ، أي القبائل الارامية ، قبل أن يكون لليهود وجود بعد • فقد عاش ابراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، أي في زمن يسبق عهد موسى بسبع مئة عام •وقد ظلت هذه التسمية، أي تسمية عبري وعبراني، تطلق على الجماعات من القبائل النازحة من البادية ومن جهة فلسطين الى مصر، وعلى هذا الاساس صار المصريون يسمّون الاسرائيليين بالعبرانيين باعتبارهم من تلك الجماعات البدوية[٥٢] • واما ما أورده الباحثون من أن كلمة «عبري» مشتقة من عَبَرَ أي قطع نهراً أو غيره من « عابر » أحد أسلاف ابراهيم[٥٣] فغير مستندة الى أي دليل أو أساس وهي من قبيل الحدس والاجتهاد • وقد نبّه القرآن الكريم الى هذه الناحية حيث قال تعالى : « يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون •• ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلما وما كان من

(٥١) G. A. Barton, "Archaeology and the Bible", Phil., 1916. pp. 403-406.

(٥٢) تك ٣٩ : ١٤ ، ١٨ ؛ ٤٠ : ١٥ ؛ ٤١ : ١٢ ؛ خر ١ : ١٥ ، ١٦ ، ١٩، ؛ ٢ : ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٣ •

(٥٣) تك ١٠ : ٢٤ ؛ ١١ : ١٤ •

المشركين • »[٥٤] ولهذه الآية الشريفة معنيان : المعنى الاول هو ان ابراهيم ما كان على دين (يهوه) ــ اله اليهود ــ بل كان حنيفاً مسلماً) كما تقدم • والمعنى الثاني هو ان دور ابراهيم الخليل غير دور اليهود ولا يتصل بدور اليهود الاخير •

يتضح من التنبيه الذي ورد في القرآن الكريم أن هناك من وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الكتاب العرب اليوم بربطهم عهد ابراهيم الخليل باليهود ، وأن هذا التنبيه الى أن ابراهيم الخليل ظهر قبل وجود اليهود وأنه لا يمكن أن يكون يهودياً ثم الاشارة الى اتصاله بالجزيرة العربية (بيت الله العتيق) يتفق تماماً مع ما توصل اليه العلماء في ضوء الاكتشافات الاخيرة ، وعلى الباحثين أن يتبعوا ما نبّه اليه القرآن الكريم في هذا الموضوع ، لان استعمال كلمة عبري بمعنى يهودي عندما يبحث عن تلك الازمان القديمة لا يتفق مع السند العلمي التاريخي ، فضلاً عما يحدثه من ارتباك ، إذ يربط اليهود بأدوار تاريخية قديمة لم يكن لهم أي وجود فيها • لذلك فاذا أردنا أن نتعرف على حياة ابراهيم الخليل علينا أن نرجع الى وطنه الاصلي وطن آبائه وأجداده في جزيرة العرب ، ثم الى المناطق الارامية في منطقة الفرات الاوسط حيث استقر أجداده عرب البادية النازحون من الجزيرة فنزل بعضهم الى العراق ومن جملتهم أسرة ابراهيم الخليل ، هذا مع ملاحظة العصر والزمن اللذين وجد فيهما ابراهيم الخليل ، ثم العصر الذي ظهر فيه الموسويون على أساس أن كلا منهما يمثل عصرا مستقلا •

١٠ ـ ابراهيم الخليل ـ مولده سيرته

إن أحدث التحقيقات الاثارية التي توصل اليها العلماء تشير الى أن ابراهيم الخليل (ع) ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد أي قبل حوالي اربعة الاف عام • وهذا يتفق مع ما ذكره بعض المؤرخين العرب في تعيين تاريخ عهد ابراهيم الخليل (ع) ، فقد حدّد المسعودي الفترة الممتدة بين عهد ابراهيم الخليل وبين عهد موسى من مصر بخمس مئة وسبع وستين سنة[٥٥] ، ولما

(٥٤) سورة آل عمران : الآيتان ٦٤ و ٦٦ •

(٥٥) « التنبيه والاشراف » ، طبعة مصر ، ١٩٣٨ ، ص ١٧١ •

كان العلماء قد توصلوا الى تعيين زمن الخروج بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد فيكون هذا التحديد مطابقا تماما لما توصل اليه العلماء بتعيين زمن ابراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد . ويتفق المؤرخون على أن مولد ابراهيم الخليل كان في العراق[٥٦] ، الا أن الروايات قد اختلفت في تعيين مكان ولادته من العراق بالضبط ، فبعضهم ذكر أن مولده في أور الكلدانية والبعض الآخر عينه في بلدة « أوروك » (الوركاء) ، وفي نقول أخرى أن مدينة « كوثا » كانت مسقط رأسه وبها طرح في النار ، وأطلال مدينة كوثا ما زالت حتى يومنا هذا تسمّى « تل ابراهيم » والى جانب التل مزار يعرف بمقام ابراهيم . هذا ويقول ابن بطوطة ان مولده كان في البرس (برس نمرود) ، وقد ورد ذكر محاولة النمرود لحرق ابراهيم هناك . وفي البرس تل مرتفع يقوم عليه اليوم مزار حديث يعزى الى كونه مقام ابراهيم الخليل أو قبره الا أن أكثرية المراجع الاسلامية تؤكد ولادته في كوثا .

وقد جاء ذكر ابراهيم الخليل (ع) مقرونا بعهد الملك نمرود ، ومما ورد في ذلك أن الملك نمرود دفعته أحلامه المزعجة الى مراقبة الحوامل وقتل الذكور من مواليدهن ، وزار عماله أم ابراهيم عوشاء للكشف عليها قبل أن ياتيها المخاض ، وجسوا جانبها الأيمن فاختفى الجنين في الجانب الأيسر ، وجسوا

(٥٦) لقد أبدى بعض الباحثين حديثا الشك في كون مولد ابراهيم الخليل في العراق ، فيميل هؤلاء الى الرأي بأن هناك مدينة أخرى باسم أور غير أور العراقية تقع بالقرب من حران حيث أسست جملة مدن قديمة كانت بالدرجة الاولى مراكز تجارية وعرفت باسم أور . الا أن هذه النظرية لا تستند الى دليل . فالعراق مملوء بمقامات ومزارات وآثار كلها تحمل اسم ابراهيم الخليل فضلا عن اجماع المؤرخين العرب على كون ولادته في العراق ، والعثور على ألواح بابلية تحمل اسم ابرام دليل على أن هذا الاسم كان من الاسماء الشائعة عند البابليين ، فالارجح عندنا ان اسماء هذه المدن بجوار حران منقولة من أور العراق تبركا باسم المدينة التي جاء منها ابراهيم الخليل ، ومن هذه المدن « أورفة » التي تشتمل على عدة مواضع مقرونة باسم ابراهيم الخليل مما يشير الى احتمال زيارته لاورفة عند ذهابه الى حران وهي قريبة منها وتقع في نفس المنطقة . ويجب أن لا ننسى ان التوراة أوردت ذكر مدينة أور وهي مقرونة بالكلدانيين وكتبة التوراة كانوا في منطقة أور ذاتها عندما دونوا فصولها وكانوا مطلعين على مدونات البابليين وآرائهم الموروثة عن العصور القديمة .

الأيسر فاختفى الجنين في الجانب الأيسن ، فانصرفوا دون أن يظفروا بطائل ، الأمر الذي اضطر عوشاء أن تلجأ الى كهف بالقرب من كوثا ، وهناك رأى ابراهيم الخليل نور الحيـــاة للمرة الاولى (الكسائي ، الثعلبي ، الطبري ، الزمخشري ، البيضاوي ، ابن الاثير ، ياقوت ، البكري ، المقدسي ، ابن ميمون) وفي ذلك دليل على كون عشيرة ابراهيم الخليل كانت تسكن في منطقة كوثا التي كانت تعتبر مركزا مهما للساميين في العراق منذ أقدم العصور بعد أن هاجروا من الجزيرة العربية وأخذوا يؤسسون مستوطناتهم على ضفاف الفرات في سورية وفي العراق •

وابراهيم الخليل بحسب رواية التوراة ينتمي الى القبائل الأرامية(٥٧) وهي قبائل عربية نزحت من وطنها الأصلي في جزيرة العرب واســـتقرت على ضفاف الفرات في شمال سورية ، ثم نزل بعض أسرها الى العراق ومن جملتهم أسرة ابراهيم الخليل • واذا أخذنا بما توصل اليه العلماء حول تعيين تاريخ هجرة الأراميين فتكون أسرة ابراهيم الخليل قد جاءت الى منطقة بابــل في حوالي أوائل الألف الثانية قبل الميلاد • وهكذا يمكن القول ان ابراهيـــم الخليل كان عراقياً بالولادة عربياً في قوميته الي ترجع الى وطنه الأصـــلي الجزيرة العربية • ويقول البروفيســور « دايشيش » (Daiches) في كتابه « اليهود في بابل »(٥٨) إن أسرة ابراهيم الخليل كانت قد جاءت الى بلاد بابل من أرض كنعان التي كانت وطنها الأصلي • وهذا لا يغيّر كون وطن ابراهيم الأصلي هو جزيرة العرب ، لأن الكنعانيين ومعهم العموريــون والآراميون كلهم نزحوا من الجزيرة العربية في الاصل •

ولما نادى ابراهيم الخليل بعقيدة التوحيد بين قومه الوثنيين لاقى أنواع التعذيب والاضطهاد خرج منها سالماً(٥٩) • ثم دحر نمرود بينما سار ابراهيم وأتباعه الى « حاران » (حران حالياً) ومنها الى أرض كنعان (فلسطين) •

---

(٥٧) تك ٢٤ : ٤ ، ٣٨ـ٤٠ ؛ تث ٢٦ : ٥ •

(٥٨) S. Daiches, "The Jews in Babylonia" 1910, p. 7.

(٥٩) « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين • قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم • وأرادوا به كيداً فجعلناهم الاخسرين • ونجيناه •• » (سورة الانبياء ٦٨ ــ ٧١) •

وقد اجتاحت البلاد موجةمن القحط والغلاء فانحدر ابراهيم هذه المرة الى مصر[٦٠] ، وكان لوط ابن أخيه معه ، فأقام في مصر مدة من الزمن صارت له فيها ثروة كبيرة ، وقد أصاب لوط من غنى عمه شيئاً غير يسير ، ثم غادر ابراهيم مصر وكل ما كان له عائداً الى كنعان وأقام في حبرون ، وهي اليوم الخليل[٦١] .

ثم وقع نزاع بين رعاة ابراهيم ولوط أدّى الى انفصالهما فاختار لوط أن يرتحل الى سهل الأردن حيث كان « سدوم وعمورة »[٦٢] . وحدث بعد هذا أن بعض ملوك البلدان الواقعة على الفرات أغاروا على مدن سهل الأردن فأخذوا سدوم وأسروا لوطاً مع أهل بيته واستولوا على أملاكه . فلما بلغ الخبر ابراهيم سلّح غلمانه وعبيده وكبسهم ليلاً فكسرهم واسترجع لوطاً وأملاكه ونساءه وجميع الأسرى وكل ما كان لهم ، فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه وباركه ملكي صادق ملك شاليم (أورشليم) وقال مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض ، ومبارك الله العلي الذي أسلم اعداءك في يدك فأعطاه ابراهيم عشراً من كل ما استولى عليه وأبى أن يأخذ لنفسه شيئاً من الغنيمة[٦٣] .

وقد رزق ابراهيم ابن من الجارية المصرية هاجر أسماه اسماعيل[٦٤] ، ثم ولدت له زوجته سارة ابناً في شيخوخته وسماه اسحاق[٦٥] . وتذكر التوراة أنه رزق فيأخريات أيامه أولاد أيضاً من زوجته الأخيرة «قطّورة»[٦٦] . ومات وعمره مئة وخمس وتسعون سنة ودفنه اسحاق واسماعيل في حبرون في نفس المقبرة التي دفنت فيها سارة[٦٧] .

---

(٦٠) تك ١٢ : ١٠ .
(٦١) تك ١٣ : ١ ، ١٨ .
(٦٢) تك ١٣ : ٦ـ١٣
(٦٣) تك ١٤ .
(٦٤) تك ١٦ : ١٥ .
(٦٥) تك ٢١ : ٢ـ٣ .
(٦٦) تك ٢٥ : ١ .
(٦٧) تك ٢٥ : ٧ـ١٠ .

وقد ورد في كتب تواريخ الصابئة أن ابراهيم الخليل تربى في كوثا ولما خالف جماعته احتج عليه الناس الى أن سجن وكان يستمر في مناقشة الناس أياماً وهو في السجن فلما خاف الملك أن يفسد عليه سياسته ويرد الناس عن أديانهم نفاه الى أطراف الشام(٦٨) .

ونخلص مما تقدم الى أن ابراهيم الخليل قد نادى بمعتقد التوحيد قبل حوالي أربعة آلاف عام ، أي قبل ظهور موسى بحوالي سبع مئة عام . ومما لاشك فيه أن دعوته هذه الى الاله الأوحد ، إله السموات والأرض ، المخالفة للعقائد الوثنية المحلية والمقاومة التي جابهها بسبب ذلك هي التي لجأته بوحي من الرب الى الهجرة من العراق شأنه في ذلك شأن الأنبياء المصلحين(٦٩) .

١١ ـ شخصية ابراهيم الخليل وصلته بالبلاد العربية

كان ابراهيم الخليل زعيماً ذا مقام سام اجتماعيا ودينياً وسياسياً بين جميع بلاد الشرق وقد اشتهر باستقامة سيرته وسمو مبادئه ، والأرجح أنه كان من أكبر زعماء قبائل العرب المسماة بالبائدة وكانت كلها في قيد الحياة في زمنه قبل ان تنقرض ، وعلى هذا فقد كان نطاق اتصالاته يشمل كل الهلال الخصيب تقريبا ومن ضمنه الجزيرة العربية ودلتا النيل الغربية ، حتى ليقال أنه كان أميراً من أمراء البابليين قبل مغادرته العراق ، وعندما حل بدمشق وهي في أول نشأتها نصب ملكاً عليها . ويرى الاستاذ هيوز أن أغلب الظن بان ذلك قد سجل في تاريخ مدينة دمشق بين سكانها الأولين . ويرجح أن ابراهيم الخليل بصفته من الزعماء الروحانيين قد تبادل الرأي وبحث مع كبار رجال الدين المصريين معتقده الديني(٧٠) . ويقول الاستاذ كنيون إن الحيثيين الذين كان ابراهيم الخليل يسكن في جوارهم في فلسطين كانوا ينظرون اليه كأمير عظيم بينهم(٧١) .

---

(٦٨) الدكتور اسرائيل ولفنسون ، « موسى بن ميمون » ، ص ١١٢ .

(٦٩) تك (الاصحاح ١٢) .

(٧٠) G. S. Hughes, "Ancient Civilizations", 1896. p. 352

(٧١) F. Kenyon, "The Bible and Archaeology", 1940, p. 81

وقد روى يوسيفوس[٧٢] نقلاً عن نيقلاوس الدمشقي (القرن الاول قبل الميلاد) ان ابراهيم الخليل بلغ دمشق أولاً وولي أمرها ، وهذا كلام الدمشقي الذي رواه يوسيفوس : « خرج ابراهيم بجحفل كبير من بلاد الكلدان ... فسلك في دمشق ثم زايلها بعد مدة وأقام في أرض كنعان ... وما برح اسم ابراهيم الى الآن موقراً ومشتهراً جداً في بلاد دمشق وهناك قرية تسمّى باسمه ويقال إنها كانت مسكنه » . وعد يوستينوس ملوك دمشق فقال : ومن بعد دمسقوس مَلَكَ حزال ثم ادوراس ثم ابراهيم واسرائيل . « ورأى كثير من العلماء أن هذه التقليدات لا تخالف الصواب ولا أقل من أن تكون دليلاً على إقامة ابراهيم مدة في دمشق بمنزلة أمير ثري واليعازر قيم بيته كان من دمشق[٧٣] وقد جاء ذكر هذا التقليد في كتب علماء مسيحيين ومسلمين » [٧٤] .

ومما لاشك فيه أن نبوّة ابراهيم الخليل قد انتشرت في الآفاق حتى خلد اسمه في جميع البقاع التي مر بها كما نشاهدها اليوم في المزارات والمقامات العديدة التي تحمل اسمه وهي منتشرة في البلاد العربية عامة . ومع أن ابراهيم الخليل كان قد استقر في العراق الا أنه كان على اتصال دائم مع أبناء عشيرته والقبائل التي يرتبط بها بصلة القرابة والوطن الواحد . وكان شأنه في ذلك شأن العرب الذين كانوا يستقرون في المدن والقرى ويأخذون بحياة الحضر ولكن في الوقت نفسه لم ينفروا عاداتهم القديمة من البداوة وما اليها لأن طابع العرب الميل الى البداوة وحكم القبيلة والاعتزاز ببداوتهم وتمسكهم بتقاليدها . وهكذا فقد كان ابراهيم الخليل مرتبطاً كلياً بالجزيرة العربية وكانت له جمال وأغنام كما كانت له اتصالات تجارية وسياسية وزراعية مع القبائل التي كانت تسكن البادية المتصلة بالفرات وبالأردن وبالحجاز ، وكان خبيراً بطرق البادية ومواقع آبارها . ولما كانت اللهجات العربية لم تكن قد تباعد بعضها عن بعض في زمنه فكان ابراهيم الخليل يفهم لسان أهل البلاد

---

(٧٢) « تاريخ اليهود » (ك ١ ، فصل ٧) .

(٧٣) تك ١٥ : ٢ .

(٧٤) المطران يوسف دبس ، تاريخ سورية ، ج ١ ، م ٢ ، بيروت ١٨٩٥ ، ص ١٠ .

التي توجه اليها ، إذ كانت كلها تتكلم بلغة واحدة ، فقد نزح من أور الكلدان واجتاز سورية وفلسطين ومن المحتمل أن يكون قد مرّ بالحجاز لزيارة مكّة المكرمة وذلك قبل رحيله الى مصر ، وهذه كلها بلاد عربية خالصة كانت لـه اتصالات برؤساء قبائلها .واذا أخذنا بما ورد في التوراة عن ارتباط ابراهيم الخليل بعشيرته في منطقة حران (أرام النهرين وفدان أرام)(٧٥) فيكون في توجهه الى حران قد حل بين أهله وعشيرته ، لأن منطقة حران كانت في زمن ابراهيم الخليل مستوطنة أرامية نزح أهلها من شمال الجزيرة واستقروا في السهل الممتد بين البليخ والفرات . كما أوضحنا فيما تقدم(٧٦) .

ومن المحتمل أن يكون قد زار ابراهيم الخليل منطقة أورفه الواقعة في جوار حران على بعد عشرين ميلاً منها شمالاً ، والتقليد القديم بين بعض الطوائف في أورفة بان ابراهيم الخليل سكن فيها وتستشهد بالمغارة عند سفح الجبل الى الجنوب الشرقي من المدينة حيث ولد ابراهيم على ما يزعمون . وهناك بركة يقال لها بركة ابراهيم الخليل . ولعل تسمية المدينة باسم أورفه مشتقة من مدينة أور التي نزح منها ابراهيم الخليل فسميت باسم مدينته تبركاً بها .

١٢ ـ الطريق التي سلكها ابراهيم الخليل في هجرته الى كنعان

يتفق الخبراء على ان ابراهيم الخليل (ع) سلك طريق الفرات الايمن في رحلته من أور الى حران ، وهي الطريق التي كانت تسلكها القوافل . وكانت مع ابراهيم الخليل جماعته وممتلكاته من قطعان الأغنام والمعزى والحمير والجمال ، فيكون قد قطع في هذه الرحلة ٥٦٠ ميلاً (٩٠٠ كيلومتر) بين أور وحران ، فمر أولاً بمدينة « ماري » السامية وهي عاصمة العموريين الذين ظهرت منهم السلالة البابلية الأولى والملك حمورابي الشهير ، وقد كانت هذه المدينة أوانذاك تتمتع بأوج ازدهارها . ثم ذهب منها الى «حاران» (حران

(٧٥) ورد في كتاب « قصص الانبياء » للنجار ما يشير الى أن « فدان ارام » التي ورد ذكرها في التوراة تقع في العراق ولعله يقصد بالعراق وادي الرافدين الذي يشمل كل المنطقة الواقعة على وادي الفرات بما في ذلك منطقة حران الكائنة على منابع البليخ وهو أحد روافد الفرات الاوسط .

(٧٦) انظر ما تقدم عن هجرة الارامين في الفصل الاول .

الحالية) ، وبعد ذلك غادر حران متوجها الى دمشق بطريق تدمر ومنها الى فلسطين قاطعاً مسافة حوالي ٦٠٠ ميل (٩٦٠ كيلومترا) أخرى بين حران وكنعان . اما الطريق الذي سلكه في سفرته الى مصر فهو اختراق صحراء شبه جزيرة سيناء حيث القبائل المديانية والقينية(٧٧) .

وقد ذهب الاستاذ « لورد » في كتاب « قصة الكتاب المقدس » الى أن الطريق التي سلكها ابراهيم الخليل كانت بمحاذاة الجانب الايسر من نهر الفرات(٧٨) ، وهذا غير محتمل لكثرة العوارض في هذا الجانب فضلاً عن أن جميع المدونات القديمة تشير الى ان الطريق العام ، طريق القوافل ، كان يسير بمحاذاة الجانب الأيمن من الفرات ماراً بمدينتي هيت وعانه ثم ببلدة « ماري » عاصمة العموريين الشهيرة ، وبعد أن يمر بأبي كمال والميادين ودير الزور يعبر الفرات عند الرقة ثم يصعد شمالاً مع نهر البليخ حتى يصل الى حران . (انظر الخارطة التي وضعناها والمنشورة مع هذا البحث) .

وبذلك يكون ابراهيم الخليل (ع) قد قطع مسافات طويلة عبر البوادي متنقلاً بين القبائل العربية من منطقة الى أخرى في متاهات شاسعة من الجزيرة العربية محتكاً بمدنها وقراها وسكانها ورؤساء عشائرها . ففي سيرته هذه تتجلى لنا بابين التجلّي الرسالة الروحية والانسانية التي كان يحملها معه أينما حل . وفي سيرته هذه تبرز الرابطة القوية التي تربط العالم العربي بعضه ببعض بوشائج الثقافة واللغة والتراث الصحراوي الباعث على النبوغ والتسامي في سماء الروحانيات التي انبثقت منها النبوة السامية التي تصل

---

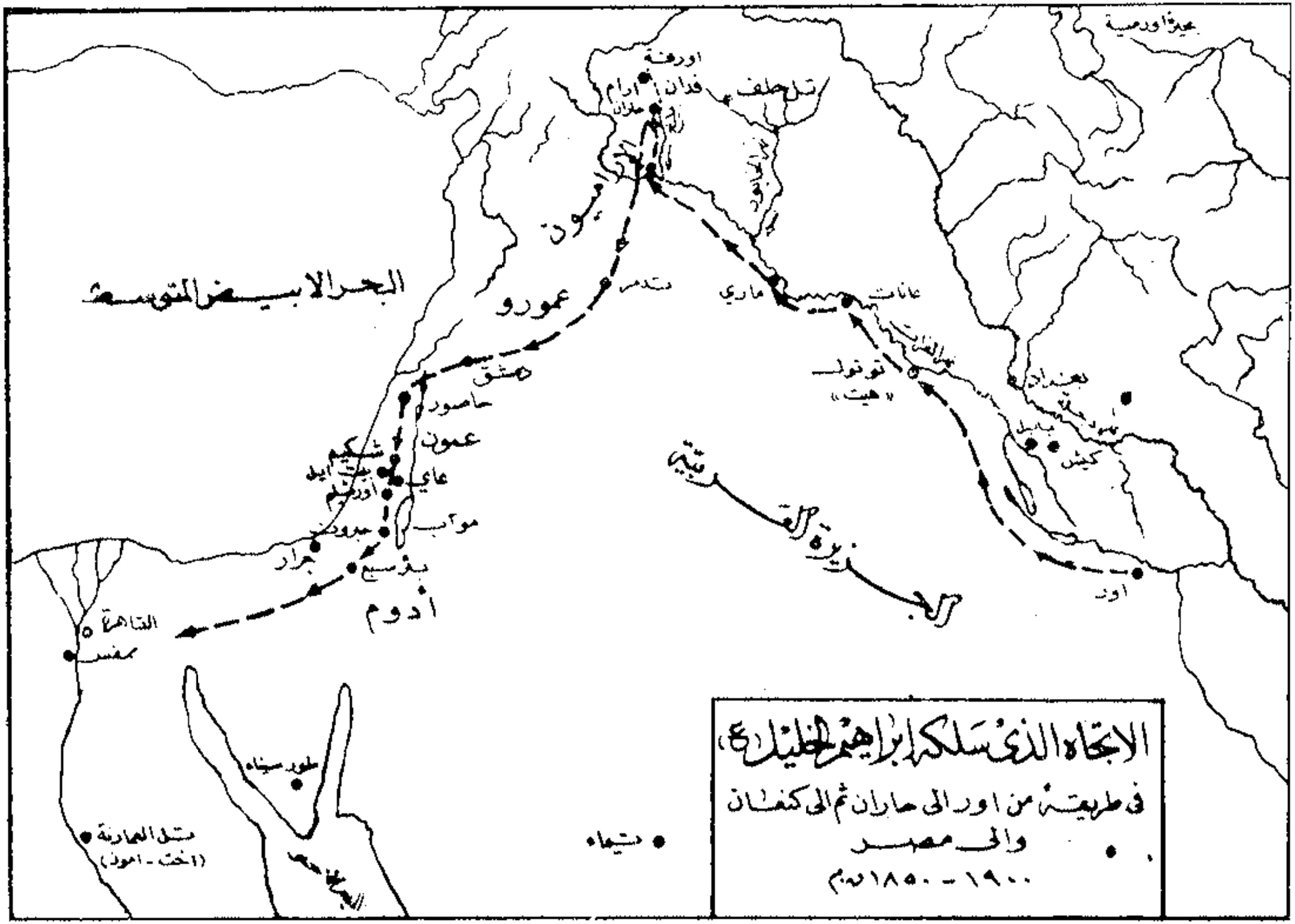
(٧٧) كان المديانيون وهم من القبائل العربية القديمة يقطنون في شبه جزيرة سيناء حيث تلقى موسى بحسب مآثر التوراة العهد المقدس . وتذكر التوراة ان موسى تزوج في مدين من ابنة كاهن هذه المنطقة الذي كان على ما يرجح موحداً يعبد الله باسم « يهوه » . لذلك يرجح ان أصل اسم « يهوه » اله من آلهة البدو العرب الشماليين . وكان المديانيون من أقدم الذين استعملوا الجمال في غزواتهم الصحراوية .

أما القينيون فهم من القبائل التي سكنت أرض مديان بين فلسطين وسيناء وشرقي خليج العقبة وكان يثرون حمو موسى قينياً . وكان القينيون أصحابا للكنعانيين والعمالقة (العرب) .

(٧٨) انظر خارطته في الجزء الاول من الكتاب ص ٣٢ .

Rev. F. T. Lord, "The Story of The Bible", Vol. I p. 32.

٥١٧



الاتجاه الذى سلكه ابراهيم الخليل (ع)
فى طريقه من اور الى حاران ثم الى كنعان
والى مصر
١٩٠٠ - ١٨٥٠ ق.م
البحر الابيض المتوسط
عمورو
الاموريون
اورفة
فدان ارام
حاران
تل حلف
تدمر
ماري
عانات
نهر الفرات
توتول
« هيت »
بغداد
بابل
كيش
اور
جزيرة العرب
دمشق
حاصور
عمون
شكيم
بيت ايل
عاي
اورشليم
موآب
حبرون
جرار
بئر سبع
أدوم
القاهرة
ممفس
طور سيناء
تل العمارنة
(اخت - اتون)
تيماء

الرسم رقم ١٤

الخالق بالمخلوق ، فكان والحالة هذه رسولاً حاملاً علم العروبة بين وادي الرافدين ووادي النيل ، رسول المحبة والتوحيد والسلام ، يوصل بين أعظم حضارتين في العالم القديم • كان كل ذلك قبل ان يعرف العالم أو يسجل التاريخ وجود الموسويين بسبعمائة عام •

١٣ ـ صلة ابراهيم الخليل بالقبائل العربية البائدة وبجزيرة العرب

ومن الواضح أن ابراهيم الخليل لم يدخل فلسطين غازياً ولا محارباً ولا فاتحاً و لا محتلاً وانما جاء متنقلاً بين العراق مسقط رأسه وبين المستوطنات العربية السامية على ضفاف وادي الفرات مثل «ماري» و «حران» وفي المناطق الغربية مثل « تدمر » و « دمشق » و « كنعان » ، شأنه في ذلك شأن القبائل العربية التي كانت تتنقل في البادية من مكان الى آخر فتعتبر كل الجزيرة وكل الوادي (وادي الفرات بوجه خاص) وطنها • وهكذا فقد استقبل ابراهيم الخليل بكل ترحاب هو وأتباعه وما معه من جمال وقطعان من المواشي وما الى ذلك مما ملكه من مال أينما حل لما كان يتمتع به من سمعة وشهرة في جميع البلاد العربية • ففي حران كان بين عشيرته وأقربائه وهم جماعة الأراميين الذين كانوا قد استوطنوا في منطقة حران قبل فترة وجيزة • وفي بلاد كنعان استقبله الكنعانيون بالتجلة والتعظيم وقد سبق لهم أن استقروا في أرض كنعان منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد ، وهم كالأراميين ساميون عرب من أهل الجزيرة العربية وكانوا كلهم يتكلمون لغة واحدة ، هي لغة الجزيرة الأم قبل أن تتفرع الى لهجات عديدة • ومع أننا نعلم أن العناصر غير السامية لم تكن قد تسللت الى هذه المناطق بعد ، أن التوراة تشير الى أن بعض الحيثيين كافراد قد حلّوا في كنعان في زمن ابراهيم الخليل الى جانب الكنعانيين ، اذ جاء في التوراة أن ابراهيم الخليل اشترى من عفرون بن صوحر الحثي « مغارة المكفيلة التي له التي في طرف حقله ليتخذها مقبرة له ولسارة امرأته • »[٧٩] وقد ورد في التوراة أيضا ذكر عدد من القبائل كانت موجودة في زمن ابراهيم الخليل يرجح أنها من فروع القبائل الكنعانية أو العمورية وهذه القبائل هي : القينية والقنزية والقدموية والفرزية والرفائية والجرجاشية

(٧٩) تك ٢٣ •

والبيوسية[٨٠] .

ومما يذكر أن القبائل العربية المنقرضة (البائدة) التي اشـــار اليهـا الاخباريون العرب والتي ورد ذكر أهمها في القرآن الكريم مثل عاد وثمـود ومعين وسبأ والعمالقة كانت موجودة في زمن ابراهيم الخليل على ما جاء فـي كتابات المؤرخين العرب ، ومن المرجح جدا أن ابراهيم الخليل كان على اتصال وثيق برؤساء هذه الامارات العربية المنتشرة في أنحاء الجزيرة العربية والتي كان لها دور مهم في تنشيط الحركة التجارية في الشرق الاوسط بسيطرتها على طرق القوافل بين العراق وسورية ومصر والحجاز وبقية المواضع المهمة فـي شمال الجزيرة العربية وجنوبها . وقد عد العرب القبائل البائدة هذه من نسل أرم بن سام ، أي أن هذه القبائل والقبائل الارامية التي ينتمي اليها ابراهيم كانت ترجع الى أصل واحد[٨١] ، والمشهور من أقوال من تعرض للكلام عـن القبائل البائدة وخاصة قبيلة عاد وقوم هود أنهم بادوا بعد ابراهيم الخليل ، وبناء البيت بمكة المكرمة .

وهكذا فقد كان ابراهيم الخليل مرتبطا ارتباطا كليا بجزيرة العـرب وبعشائرها وبقبائلها المعروفة بالبائدة ومن ضمنها الحجاز ولم تنقطع صلاتـه بها مع سكناه في العراق كما أسلفنا . وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤيد ذلك حيث جاء اسما ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل عليهما السلام مقرونين بالجزيرة العربية وببيت الله العتيق (مكة المكرمة) : « واذ جعلنا البيت مثابـة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود .. واذ يرفع ابراهيم القواعد مـن البيت واسماعيل ربنا تقبل منا أنك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسْلمَين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا أنـك أنت التوّاب الرحيم . »[٨٢]

١٤ ــ هجرة ابراهيم الخليل حقيقة واقعية لا خيال

ولقد ظهر من المدونات التاريخية القديمة التي اكتشفها الآثاريـون ان

(٨٠) تك ١٥ : ١٩ ، ٠
(٨١) انظر ما تقدم في الفصل الاول عن الاراميين والقبائل البائدة .
(٨٢) سورة البقرة ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

هجرة ابراهيم هي حقيقة واقعية لا مجال للشك فيها ، فقد ورد في هذه المدونات ما يشير الى وقوع نزاعات دينية أساسية في العراق في حوالي نفس الفترة التي هاجر فيها ابراهيم الخليل حول منزلة إله الساميين (إله القمرسين) الذي جاء به الساميون العرب من موطنهم الاصلي فانبثقت من هذه النزاعات والحوارات العقيدة الوحدانية التي بشر بها ابراهيم الخليل وأصبح هو المؤسس لها وحامل لوائها ، وتشير النصوص القديمة التي عثر عليها ان سلالة من السلالات السامية البابلية حكم فيها أمراء كانوا يتقبلون عقيدة التوحيد وقد أخذوا بها الا أن الوثنيين انتزعوا منهم الزعامة واخرجوهم من البلاد . وهذا نص ما أورده المستر فيلبي في هذا الصدد في كتابه « مقوّمات الاسلام ــ عرض لتاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام »(٨٣) قال : « ان الساميين الجنوبيين (ويقصد أهل جنوب الجزيرة العربية) نقلوا معهم (الى بابل) الاله القمر الذي كانوا يعبدونه ، وقد احتل هذا الاله مكانة رفيعة بين مجموعة الآلهة ولم ينافسه الا الاله القمر الذي كان يعبده الاريون الشماليون ، وقد انبثقت من هذا النزاع الحسّاس بذرة فكرة الخالق الاوحد العظيم الذي يسيّر جميع هذا الكون ، وهي تعد أعظم ما اقتبسته الانسانية في تاريخ العالم . وتنسب الاقوال المتواترة هذه المرحلة من التفكير الانساني الى الأب ابراهام الذي كان حامل لواء النظرية الجديدة . ويظهر أن هذه الفكرة الجديدة قد حازت اقبالا وتقبلا من الوثنيين . ففي بعض الالواح التي عثر عليها المنقبون في منطقة بابل ما يوضح جليا أن هناك ثلاثة ملوك يؤلفون سلالة بابلية سامية قد حكموا ما يقرب من قرن كامل في المنطقة الجنوبية من بابل ، وهؤلاء نادوا وجاهروا بعقيدة التوحيد الا أن الوثنيين اسقطوا الملك الثالث ونفوه من البلاد . ولو محصنا بدقة ما ورد في المدونات البابلية وفي كتابات التوراة لوجدنا أدلة كافية على أن هذا الملك إن هو الا ابراهام الذي غادر بابل وتوجّه الى فلسطين ، وذلك بعد سقوط السلالة السامية الموحّدة المذكورة » .

ثم يضيف المستر فيلبي ان أسماء هؤلاء الملوك الثلاثة هي أسماء عربية سامية مقترنة بصلة الاله الواحد ، فاسم الاول « ايلوما ــ ايلوم (Iluma-Ilum)

---

(٨٣) "The Background of Islam," By H. St. J. B. Philby, 1947, pp. 10-11.

ومعناه « الاله هو الاله الواحد » • أما الملك الثاني فاسمه « أيتي ـ ايلي ـ نيبي » (Itti-ili-nibi) ومعناه « الله هو حسبي » ، وهذا الاسم مشابه تمام لاسماء ملوك جنوب الجزيرة العربية • وأهم ما في الاسماء الثلاثة هو اسم الملك الثالث « يائع ـ ايل » (yathi-il) ومعناه كما ترجمه العلامة (Doughty) « الهه الواحد صديق له » ، وهو كما ورد اسم النبي ابراهيم الخليل في الكتابات الاسلامية ، أي ابراهيم الخليل(٨٤) • ويختم المسترفيلبي حديثه عن صلة ابراهيم الخليل بعقيدة التوحيد قائلا : « ومما لا شك فيه أن ابراهيم لعب دورا رئيسا في تاريخ العالم السامي بتأسيسه ديانة التوحيد وقد انتصر أخيرا في كفاحه ضد وثنية الجزيرة العربية القديمة ••• ولا نرانا بحاجة للتأكيد ان ابراهيم كان شخصية ذات مكانة مرموقة ويشير السير وولي الى أنه النبي الوحيد من الانبياء الذي سمّي بـ (خليل الله) • »(٨٥)

وخلاصة القول ان ما تقدم يدل دلالة واضحة على أن ابراهيم الخليل كان شخصية عظيمة ، زعيما سياسيا وروحيا ، لعب اكبر دور في تاريخ الانسانية ، وهو عربي قح متصل بالقبائل العربية في جزيرة العرب وليست له أية صلة بعهد موسى واليهود الذي يقع بعد عهده بحوالي سبعمائة عام •

وقد عثر فيما عثر عليه من كتابات عمورية بين أطلال مدينة (ماري) السامية على دلائل تؤيد صحة ما ورد في التوراة وفي القرآن الكريم حول شخصية ابراهيم الخليل باعتبارها حقيقة واقعية لا اسطورة خيالية كما كان يرى بعض الباحثين • وقد تمكن الخبراء الاثاريون من تعيين زمن هجرة ابراهيم الخليل بحوالي سنة ١٩٠٠ ق•م• ويرجح البعض الآخر أن الهجرة وقعت في حوالي سنة ١٨٥٠ ق•م• وقد انتهى البحاثة الفرنسي الاستاذ (دي فو) في أحدث دراسة قام بها في هذا الموضوع (١٩٦٥) الى تحديد عصر ابراهيم الخليل

---

(٨٤) « ايل » هو نفس اله ابراهيم الخليل خالق السموات والارض الذي ورد ذكره في التوراة وفي الكتابات القديمة ومعناه « الاله الواحد » وجمعه « ايلوهيم » كما سبق أن أشرنا الى ذلك (انظر ما تقدم في مادة « اله ابراهيم الخليل غير اله قوم موسى » •

(٨٥) "The Background of Islam," pp. 22-23.

بالقرن التاسع عشر قبل الميلاد (٨٦) .

وقد دلت التنقيبات التي اجريت في منطقة بابل أن تسمية ابراهام أو ابرام وردت في عديد من الالواح البابلية من زمن سلالة بابل الاولى بصيغة (اباراما) و (ابام راما) ،وموضوع هذه الالواح يدور حول عقود ومقاولات تتعلق بمعاملات زراعية وتجارية . وقد وجدت هذه الالواح في مكان يقع بين بابل وبورسيبا وهي في حوزة جامعة يال الاميريكية ، كما ورد اسم ابرام في وثائق مصرية تعود الى عهد شيشنق الاول (٩٤٧ ــ ٩٢٥ ق٠م٠) حيث ورد فيها ذكر مزرعة باسم « مزرعة ابرام » في جنوبي فلسطين لعلها تقع في جوار حبرون(٨٧) ، كما ورد اسم أبرامو أو أبرام في كتابات آشورية تعود الى عهد أسرحدون (٦٨١ ــ ٦٦٩ ق٠م٠) . وقد عثر أيضا على كتابة في « لارسا » في جنوب العراق تعود الى عهد حمورابي (١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق٠م٠) ظهر فيها اسم شخص يدعى « اهوبا ابن اسماعيل » بصفته أحد الشهود(٨٧أ) . وقد عثر في ماري على مدينة اسمها « ناحور » وهو نفس اسم أخي ابراهيم الخليل كما عثر على أسماء مدن كثيرة تحمل أسماء أفراد عائلة ابراهيم مثل « توراحكي » يشبه

---

(٨٦) W. Keeler, "The Bible as History", p. 69; R. De Vaux, "Les Patriarches Hébreus et l'histoire", Revue Biblique, 72 (1965), pp. 5-28.

انظر ايضا المراجع الاتية :ــ

L. H. Woolley, "Abraham, Recent Discoveries and Hebrew Origins", 1963; A. Parrot, "Abraham et son temps" 1962; "La légende des Patriarches et l'histoire", Revue des Etudes Semitiques, IV, 1937, pp. 145-206; R. De Vaux, "Les Patriarches et les découvertes modernes, Revue Biblique, 53 (1946), pp. 321-47; 55 (1948), pp. 321-47; 56 (1949), pp. 7-36; T. K. Thordarson, "Abraham", Enc. Brit., 1965 ed., Vol. I, p. 44f.; H.S. Nyberg, "Abraham", in I. Engell and A. Fridrichen, Svenskt Bibliskt Uppslagsverk, Vol. I, Col 8-11, 1948.

(٨٧) G. A. Barton, "Archaeology and the Bible," pp. 316-319; A. T. Olmstead, "History of Palestine and Syria, p. 83.

(٨٧أ) G. Smith, "The Chaldean Account of Genesis," 1876, pp. 296-298.

اسم والده « تارح » ومدينة « سروج » وهي اسم جده [٨٨].

١٥ ـ أحوال العراق السياسية أثناء هجرة ابراهيم الخليل منه

واذا رجعنا الى الاحوال السياسية والاجتماعية التي كانت تسود العراق أثناء هجرة ابراهيم الخليل منه ، نجد أن زمن هجرته الذي حدد بحوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد يقع في فترة حرجة كانت تجتازها البلاد وهي في حالة اضطراب وتوتر ، وهي الفترة التي أطلق عليها الآثاريون اسم فترة أيسن ولارسا (٢٠٠٦ ـ ١٨٠٠ ق٠م٠) والتي كانت تتنازع فيها ثلاث دويلات ، هي مدن ايسن ولارسا وبابل ، فالتف الاولى جماعة من العموريين الساميين هجموا على العراق في موجة سامية جديدة جاءت من سورية • أما الثانية فألفها العيلاميون بعد غزوهم لجنوب العراق ، وقد عرفت هاتان الدويلتان بسلالتي أيسن ولارسا ، فكان نتيجة هذا الغزو المزدوج أن تنازعت الدويلتان لمدة حوالي قرنين من الزمن على حكم العراق ، وفي خلال هذه الفترة ظهرت سلالة أخرى هي سلالة بابل الاولى أصلها من العموريين الساميين أيضا فانتصرت على سائر الامراء وضمت مدنهم الى مملكة موحدة حكمت الشرق الاوسط باسره وعرفت بالمملكة البابلية القديمة وهي من تأسيس الاقوام السامية العربية ، وكانت بداية هذه السلالة فيأوائل القرن التاسععشر قبل الميلاد ودامت حوالي ٣٠٠ عام (١٨٩٤ ـ ١٥٩٥ ق٠م٠) برز منها الملك الشهير حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق٠م٠)[٨٩]

ومن الحوادث المهمة التي حدثت في هذا الدور حدوث فيضان خطير جدا في نهري دجلة والفرات أحدث تخريبات واسعة ، ويرجح أن مجرى الفرات الذي كان يسير باتجاه كوثا وسيبار تحوّل غربا الى مجرى جديد يمر ببابل ، كما أن مجرى دجلة تحوّل من مجراه الاصلي باتجاه العمارة الى جهة الغراف في نفس الوقت نتيجة هذا الفيضان مما أدى الى حرمان بعض المدن من مصدر حياتها (المياه) واغمار مدن أخرى وتدميرها ، ومما لا شك فيه أن هذا الحادث الذي يعتقد أنه حدث في القرن التاسع عشر قبل الميلاد قد أحدث اضطرابات

(٨٨) العربي ، العدد ١٤٣ ، تشرين الاول ، ١٩٧٠ ، ص ٨٨٠

(٨٩) انظر ما تقدم عن الانبراطورية البابلية القديمة في الفصل الاول ٠

شاملة في البلاد [٩٠] .

١٦ - أحوال مصر السياسية اثناء هجرة ابراهيم الخليل اليها

أما أحوال مصر السياسية في الفترة التي هاجر فيها ابراهيم الخليل الى وادي النيل فكانت تتميز بالاستقرار والازدهار والرخاء في ظل المملكة الموحدة القوية تحت حكم السلالة الثانية عشرة في عهد الفرعون « سنوسرت الثاني » (١٨٩٧ - ١٨٧٧ ق.م.) و « سنوسرت الثالث » (١٨٧٢ - ١٨٤٣ ق.م.) ، فقد تمكنت مصر في هذا الدور من بسط نفوذها السياسي في سورية ولا سيما في البلاد الساحلية ، كما فرضت سيطرتها على بلاد كنعان في أعقاب حملة قام بها « سنوسرت الثالث » في حوالي سنة ١٨٥٠ ق.م. ، وقد توطدت علاقات تجارية قوية بين مصر والاقطار المجاورة ، فكانت مصر تجلب التوابل والبهار وما الى ذلك من المواد العطرية والصمغية التي كانوا يستعملونها في معابدهم وفي التحنيط من جنوب جزيرة العرب ، كما كانت تجلب الذهب والتوابل من السودان والنحاس الاحمر وحجر الزبرجد والفيروز من مناجم طور سيناء والفضة من طوروس وأخشاب الارز من لبنان ، وكانت بلاد كنعان اذ ذاك حلقة وصل بين مصر وكل هذه الاقطار فتحتل مركزا مهما من النواحي الستراتيجية والاقتصادية والسياسية ، وذلك باعتبارها ممرا دوليا على الطريق التجاري الرئيس للعالم القديم . لذلك ان ذهاب ابراهيم الخليل الى مصر كان أمرا طبيعيا لما كان من روابط وصلات وثيقة بين الكنعانيين ومصر . فكانت مصر الموئل الطبيعي الذي يتجه اليه الكنعانيون في حالات المحل والقحط للاكتيال منها .

١٧ - أين اليهود من عصر ابراهيم الخليل ؟..

لقد سبقت الاشارة الى أن أكثر الكتاب المتاثرين بالتوراة درجوا على ربط تاريخ اليهود بابراهيم الخليل وقد أخذ عنهم الكتاب العرب هذه المدعيات المخالفة للواقع التاريخي دون تمحيص . ومن الاقوال التي شاع ترديدها وتناقلها الكتاب والمؤرخون من الافرنج والعرب أن جماعة من اليهود هاجروا مع ابراهيم الخليل من العراق الى فلسطين ، بل راحوا الى أبعد من ذلك فاعتبروا

---

(٩٠) J. G. Macqueen, "Babylon," London, 1964, p. 38.

ابراهيم الخليل عبريا بمعنى يهوديا نتيجة الخلط بين كلمة العبري القديمة واليهود ذلك الخلط الذي أوضحناه فيما تقدم[٩١] ومن أغرب ما قيل في ذلك هو تعيين حتى عدد اليهود الذين رافقوا ابراهيم الخليل في رحيله من العراق • وقد اعتبروا على هذا الاساس أن اليهود يعودون الى المكان الذي نشأ فيه ابراهيم الخليل وهو أرض العراق • ومن هؤلاء الاستاذ أحمد زكي البدوي فيقول في كتابه « تاريخ التطور الديني » (ص ٣٣) بالحرف الواحد : « رحل ابراهيم متزعما الاسرائيليين (اليهود) الى فلسطين » • وقد نقلت نشرة أصدرتها وزارة الثقافة والاعلام العراقية عن فلسطين من ارشيفها رقم ١ (ص ٦) في طبعتها الثانية ما يشير الى أن « ابراهيم وأهله هاجروا من مدينة أور في العراق في سنة ١٨٠٦ قبل الميلاد وكان عدد اليهود الذين رافقوه في هذه الهجرة قليلا ••• وقد انتهت هذه الهجرة عام ١٦٥٦ » • ومثل ذلك تماما ذكر الاستاذ أميل الغوري عضو الهيأة العربية العليا لفلسطين في كتابه « فلسطين » الذي نشرته وزارة الارشاد العراقية في السلسلة رقم (٤٤) لسنة ١٩٦٢ نفس الكلام • والواقع أن الكتاب العرب قد استندوا في نقل مثل هذه الادعاءات على المصادر الاجنبية ، وهي مصادر يهودية على الاكثر دون أن ينتبهوا الى التسلسل الزمني للحوادث التاريخية • وقد سبقت الاشارة الى أن مدوني التوراة تعمّدوا اهمال التسلسل الزمني وذلك لترك المجال لارجاع تاريخ اليهود الى أزمنة سابقة لوجودهم ومنها عصر ابراهيم الخليل (انظر ما تقدم في الفصل الرابع) • ففي كتاب سولوف « كيف نما الشعب اليهودي »[٩٢] مثلا نجد ما يفيد أن الشعب اليهودي نزح الى فلسطين من بلاد الرافدين في حدود الالف الرابعة قبل الميلاد بقيادة ابراهيم الخليل ولم يكن عددهم آنذاك يتجاوز أربعة الاف شخص[٩٣] • وهذا هراء في هراء ليس له أي نصيب من الصحة ولا أي سند من واقع التاريخ ، ولكن لم يزل عدد غير قليل من الكتاب العرب من يأخذ بهذا التزييف • وكتاب سولوف المذكور يدّرس الآن في أميركا في المدارس

---

(٩١) انظر ما تقدم عن مسالة العبري والعبيرو في نفس هذا الفصل •

(٩٢) Mordecai I. Soloff, "How the Jewish People grew up?"

(٩٣) شريف يوسف « تاريخ اليهود كما يلقنه الصهاينة لابنائهم » ، العربي العدد ١٠٨ ، تشرين الثاني ١٩٦٧ ، ص ١٠٥ •

اليهودية وغير اليهودية باعتباره يمثل تاريخ اليهود ، ولم يتصدّ أحد من المؤرخين والباحثين لتفنيد هذه الادعاءات الوهمية ، ولنا أن نسأل أين دعاية العرب من هذه الادعاءات المزيفة ؟•• هل رد أحد عليها ؟•• هل أدخل العرب في مدراسهم منهجا لتوضيح حقيقة تاريخ فلسطين القديم ودور اليهود فيه ؟••

ومن حقنا ومن حق كل باحث أن يسأل : كيف يمكن أن يكون ابراهيم الخليل يهوديا وهو عاش قبل أن يعرف التاريخ جماعة يسمّون أنفسهم يهودا بحوالي ألف وثلاثمائة عام ؟•• ثم أين كان الشعب اليهودي في سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد وان تسمية يهود لم تظهر الى عالم الوجود الا بعد ٣٣٠٠ عام من هذا التاريخ كما أن ابراهيم الخليل نفسه لم يظهر الا بعد أكثر من الفي سنة من التاريخ نفسه • ولنا أن نسأل أيضا : كيف جاء اليهود الى العراق وكيف اتصلوا بابراهيم الخليل في حين أنهم لم يكن لهم وجود بعد ؟ ••• وكيف يتزعم ابراهيم الخليل اليهود في رحيله الى فلسطين قبل أن يكون قد خلق يهوذا الذي جاءت تسمية يهود منه او يكون خلق يعقوب (اسرائيل) ؟!• نعم ، ان العراق حوى اليهود ، ولكن حواهم كأسرى في زمن نبوخذنصر ، وكان ذلك بعد ابراهيم الخليل باكثر من ألف وثلاثمائة عام • ولم يكن لهم أي وجود في العراق لا من بعيد ولا من قريب في عهدابراهيم الخليل لانهم لم يكونوا قد ظهروا للوجود بعد •

١٨ ــ هجرة ابراهيم الخليل من العراق وهجرة جماعة موسى من مصر

وقد اعتاد أكثر الكتاب والمؤرخون ومنهم الباحثون العرب ، أن يعتبروا هجرة ابراهيم الخليل من العراق وهجرة جماعة موسى من مصر وكأنهما لقوم واحد أو لجماعة واحدة ، فقالوا هجرة العبرانيين بمعنى اليهود الاولى ، أي هجرة ابراهيم الخليل ، وهجرتهم الثانية ، أي خروج جماعة موسى من مصر • وشتان ما بينهما ، اذ لا توجد أية علاقة بين الهجرتين ، فهجرة ابراهيم الخليل من مسقط رأسه العراق وقعت في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، أي قبل ظهور جماعة موسى بسبعة قرون ، وكانت لهجرته هذه أسبابها وأهدافها السامية ، فقد اضطر ابراهيم بسبب دعوته الى عقيدة التوحيد وتبشيره بها بين مواطنيه الوثنيين الى مغادرة العراق تحت ضغط السكان ورجال الدين في ظروف مشابهة

لظروف النبي محمد عليه الصلاة والسلام عند هجرته من مكة المكرمة • أما الهجرة الثانية ، هجرة جماعة موسى من مصر الى فلسطين والمعروفة بالخروج ، فقد وقعت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وتنسب التوراة الى موسى زورا ان الاله « يهوه » اله اليهود أمره بان يحتل فلسطين الارض الموعودة بعد ابادة سكانها ، شيوخا ونساءا وأطفالا ، ليحل اليهود محلهم فيها •

١٩ ـ بداية تاريخ اليهود وصلتها بهجرة ابراهيم الخليل

وكما أن الكتاب صاروا يخلطون بين هجرة ابراهيم الخليل من العراق وهجرة جماعة موسى من مصر كذلك صاروا يربطون بداية تاريخ اليهود بهجرة ابراهيم الخليل من أرض العراق ، وهذا لا يتفق مع الحقائق التاريخية ، لأن تسمية يهود ظهرت بعد وجود مملكة يهوذا التي اشتق منها اسم يهود • لذلك ان بداية تاريخهم لا يمكن ان تحدد بغير زمن الخروج حين ظهر أتباع موسى على مسرح الاحداث في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وفضلا عن ذلك فلو استعرضنا تسلسل الاحداث التاريخية الواقعية لتوصلنا الى أن ابراهيم الخليل لم يرتبط بأية صلة باليهود لا من حيث العصر ولا من حيث المبدأ أو العقيدة ولا من حيث اللغة•فقد عاش ابراهيم الخليل في بيئة واسعة النطاق تشمل جميع بلاد الشرق الادنى التي كانت تتسم بالقومية العربية لارتباطه بعالمه الواسع الذي كان يضم الجزيرة العربية وطن آبائه الاصلي ومعها العراق وسورية وفلسطين ومصر • لذلك يجب على الباحثين والمؤرخين تمسكا بامانة البحث واسلوب المنطق ومراعاة للتسلسل التاريخي أن لا يخلطوا بين دور ابراهيم الخليل ودور اليهود ، الدورين اللذين تفصل بينهما سبعة قرون من الزمن •

ويلاحظ أنه لا يزال اساتذة التاريخ عندنا يأخذون بالنظرية القائلة بأن تاريخ اليهود يبدأ بسفر ابراهيم الخليل من أرض العراق ، فقد افاد الاستاذ الدكتور محمد رشيد الفيل صاحب الدراسات الجغرافية والتاريخية القيمة في كتابه « اليهود وعلم الاجناس » (ص ٨٢) بأن « تاريخ اليهود يبدأ بسفر ابراهيم من أرض الكلدانيين غربا الى أرض كنعان • » وهذا مأخوذ طبعا من الكتابات الكثيرة التي أخذت بهذا المفهوم الخاطيء الشائع بقصد او بغير قصد•

ومن هذه الكتابات ما قرأناه للكاتب السياسي الالماني المعروف ، الدكتور غروبا ، أنه يطلق على ابراهيم الخليل فيما كتبه عنه أنه ملك اليهود(٩٤) . ومن الواضح هنا أن الدكتور غروبا متأثر بالتوراة كبقية المسيحيين بربط عصر ابراهيم الخليل بزمن اليهود من غير ملاحظة للتسلسل الزمني .

وقد قلد الكتاب العرب الكتاب الاجانب في ربط وجود اليهود واليهودية بعهد ابراهيم الخليل حتى في عناوين مؤلفاتهم ، فقد أتخذ الدكتور رياض بارودي مثلا عنوان «اليهودية العالمية من زمن ابراهيم الى وقتنا الحاضر» لكتابه، فمن حق الباحث أن يسأل المؤلف : أين كانت اليهودية في زمن ابراهيم الخليل ، وهل كانت يهودية في عهده ؟...(٩٥)

٢٠ ـ العقاد في كتابه « أبو الانبياء »

وأحسن من كتب من الكتاب العرب في هذا الموضوع ، في نظرنا ، هو المرحوم العقاد ، الكاتب العربي المعروف ، في كتابه « أبو الأنبياء » فعلى رغم اتسام كتابه هذا بطابع أدبي فقد تناول حقائق تاريخية ذات أهمية بالغة ، ومما قاله في هذا الصدد : « إن الدعوات النبوية التي بدأتها دعوة ابراهيم سلالة لم يظهر لها نظير في غير الأمم العربية ، والأمم السامية ، وقد ختمت بدعوة محمد وجاءت دعوة محمد متممة لها ، فلا تفهم واحدة منها منفصلة عن سائرها ، بترتيب كل منها في زمانها ، وعلاقة كل منها بمكانها ، فلا لبس فيها من جانب العصر ولا من جانب البيئة ... ومن قرائن الثبوت أن هذه الدعوات النبوية نسبت الى أصل واحد وهو السلالة السامية العربية ، قبل أن يعرف الناس علم المقارنة بين اللغات ... وقد كان ابراهيم زعيم قبيلة بادية مضطلعا في شؤون الجزيرة وأحوال العرب وزعمائهم وعاداتهم فلا يمكن أن يقال عنه انه اسرائيلي لأن كلمة اسرائيل أول ما استعملت اطلقت على يعقوب حفيد ابراهيم ، ولا

---

(٩٤) « العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب » ، ترجمة الاستاذ نجدة فتحي صفوت ، ١٩٦٩ ، ص ١٢٤ .

(٩٥) ان تسمية يهود نسبت الى مملكة ومنطقة يهوذا (٩٣١ ـ ٥٨٦ ق.م.) ولم تستعمل على ما وصل اليه علمنا الا في عهد مملكة يهوذا ، لذلك فهي تسمية متأخرة ولا صلة لها بيهوذا ويعقوب اللذين عاشا في القرن السابع عشر قبل الميلاد ، ولعل يهوذا كانت مثل اسرائيل اسم مدينة في فلسطين منذ عهد الكنعانيين .

يمكن أن يقال عنه انه يهودي لأن اليهودية نسبت الى يهوذا رابع أبناء يعقوب ، ولا يقال عنه انه عبري اذ كان مقصود بالعبرية لغة مميزة بين اللغات السامية تتفاهم بها طائفة من الساميين دون سائر الطوائف . والعبرية كانت كلمة عامة تطلق على طائفة كبيرة من القبائل الرحل في صحراء الشام ، وكان من أبناء هذه القبائل من يعمل كالجنود المرتزقة ، وبهذا المعنى وردت كلمة العبري والابري والهبيري وما قاربها لفظا في المدونات التي عثر عليها في تل العمرنة وفلسطين وآسيا الصغرى والعراق ، وجاءت بهذا المعنى في الكتابات المسمارية والفرعونية ولم يكن لليهود وجود في ذلك الحين . فأن ابراهيم كان يتكلم بلغة يفهمها جميع السكان في بقاع النهرين وكنعان ، ولم تكن العبرية قد انفصلت عن سائر اللغات السامية في تلك الايام . وقد يقال عنه أنه سامي ينتسي الى سام بن نوح ، ولكنها نسبة الى جد وليست نسبة الى قوم وقد تكلم باللغة السامية أناس كالاحباش ليسوا من السريان ولا من الارامیین ولا من الحميريين . فاذا فتشنا عن نسبة لابراهيم لم نجد أصدق من النسبة العربية كما كانت العربية يومئذ بين جزيرة العرب وبقاع الهلال الخصيب . »

الفصل السادس

عصر النبي موسى واليهود

عصر النبي موسى واليهود

١ـ تمهيد ٠ ٢ـ شخصية النبي موسى ٠ ٣ـ قصة خروج موسى وجماعته من مصر ٠ ٤ـ زمن خروج موسى وأتباعه من مصر ٠ ٥ـالطريق التي سلكها الموسويون من مصر الى شرقي الاردن ٠ ٦ـغزو الموسويين لشرقي الاردن٠ ٧ـ الغموض في موت موسى ٠ ٨ـ عهد يشوع ٠ ٩ـ عهد القضاة ٠ ١٠ـلم يستطع الموسويون طرد سكان فلسطين٠ ١١ـ عهد الملوك ٠ ١٢ـ عهد الانقسام ٠ ١٣ـ الغزو الآشوري وازالة اسرائيل من الوجود ٠ ١٤ـ الغزو الكلداني وازالة مملكة يهوذا ٠ ١٥ـ الموسويون بين الوثنية والتوحيد ٠ ١٦ـ العبرية واليهودية والتوراة ٠ ١٧ـ اليهود في زمن الفرس الاخمينيين (٥٣٨ ـ ٣٣٢ ق٠م٠) ١٨ـ اليهود في زمن الاغريق ٠ ١٩ـ اليهود في زمن الرومان ٠ ٢٠ـ لم يشكل اليهود اكثرية في فلسطين في أي دور من أدوارهم ٠ ٢١ـ خلاصة وتعليق ٠

١ ـ تمهيد

لقد سبق أن أشرنا في الفصل السابق الى أن النبي موسى ، على رأي الباحثين ، مصري تربى في البلاط الفرعوني وكان قائداً مصرياً ، كما كان على دين التوحيد الذي اعتنقه اخناتون ١٣٧٩ ـ ١٣٦٢ ق٠م٠ ، وان حملته على أرض كنعان (فلسطين) التي أطلق عليها كتبة التوراة « خروج بني اسرائيل » إن هي الا حملة مصرية مؤلفة من جماعة من الجنود المصريين ومعهم فلول من بقايا الهكسوس الذين كانوا يدينون بدين التوحيد ، وقد ورثوه عن اخناتون ، فاضطروا الى الهرب من مصر من وجه اضطهاد السلطة الحاكمة وضغط السكان الوثنيين بعد موت اخناتون ، وقد جاؤا بقيادة النبي موسى ليحتلوا بقعة من الأرض المعسورة في كنعان يأوون اليها ، وهؤلاء هم

« قوم موسى » جاؤا الى أرض كنعان وهم غرباء عنها يتكلمون اللغة المصرية ولم تكن لهم أية صلة ببني اسرائيل الذين كانوا قد جاؤا الى مصر في عهد يوسف قبل عصر موسى بستمائة عام والذين انصهروا واندمجوا بشعب مصر وبيئة مصر نهائياً . كما سبق وشرحنا الغرض الذي من أجله سمّى كتبة التوراة هذه الجماعة ببني اسرائيل وهو ارجاع أصلها الى أقدس العروق من الأجناس البشرية فربطوا صلة هذه الجماعة رأساً بابراهيم الخليل وبحفيده يعقوب وبكل مكان مقدس من فلسطين وجعلوا كل التوراة تدور حولهم وقد اعتبروا وجود من سمّي ببني اسرائيل في كل زمان ومكان ووجودهم حتى قبل ان يخلق يعقوب (اسرائيل) ، وما بعده بعدة قرون .

٢ ـ شخصية النبي موسى

إن أقدم ما وصل الينا عن نظرية كون موسى مصرياً ، عدا ما اتصل باسمه المصري وما ورد في التوراة من أنه تربّى في البلاط الفرعوني وان ابنة فرعون اتخذته ابناً لها[١] ، ما رواه المؤرخ اليهودي الشهير فلافيوس يوسفوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي[٢] ، أي قبل حوالي ألفي سنة ، من أن موسى كان حاكماً أو كاهناً ، وقد كان قائداً كبيراً بالجيش المصري خلال الحملة المصرية على الحبشة التي حقق فيها نصراً كبيراً ، وقد تزوّج هناك

---

(١) خر ٢ : ١٠ .

(٢) يوسفوس (٣٧/٣٨م ـ ٩٣م ؟) ، كاهن ومؤرخ يهودي ولد في القدس كان مضطلعا في الفقه اليهودي ، انضم الى فرقة الفريسيين ، أوفد سنة ٦٤ م كمندوب عن اليهود للمفاوضة مع الرومان حول اطلاق سراح بعض الاسرى من اليهود ، فحظي في روما بالمثول بين يدي الانبراطورة « پوپايا » (Poppaea)، اشترك في حرب اليهود مع الرومان سنة ٦٦ م ووقع أسيرا بيد الرومان (٦٧ م) وانقذت حياته بتحقق تنبوآته بأن فسپاسيانوس سيصبح انبراطوراً ، فأطلق سراحه سنة ٦٩ م . اعتبره اليهود خائناً لانه عمل مع تيتوس كمترجم عندما ضرب تيتوس حصارا على أورشليم ، ثم رافق تيتوس الى روما حيث منح معاشا وحقوق المواطن . وله من المؤلفات : « حرب اليهود » و « تاريخ اليهود القديم » و « تاريخ حياته » و « رسالة في الدفاع عن اليهود » (دائرة المعارف البريطانية ، ١٩٦٥ ، ج ١٣ ، ص ٨٩) . لقد ترجم كتاب « تاريخ اليهود القديم » الى العربية وطبع في المطبعة العلمية ليوسف صادر في بيروت .

من « تربيس » بنت ملك الحبشة[٣] . وقد ورد في التوراة ما يؤيد زواجه هذا فقالت إنه تزوّج من امرأة كوشية (اثيوبية)[٤] ، كما ورد في التوراة أنه تزوّج أيضاً من ابنة يثرون كاهن مديان[٥] ، ففي كلا الزواجين لم نجد أية ظاهرة تدل على أنه كان لموسى صلة ببني اسرائيل الذين عاشوا قبل حوالي ستمائة عام من عصره . وفي التوراة أيضاً ما يشير الى أن موسى سُمِّي بالمصري في قول بنات يثرون لأبيهن عن نجدة موسى لهنّ من الرعاة ، « فقلن رجل مصريّ أنقذنا من أيدي الرعاة وانه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم »[٦] . ويؤكد ول ديورانت أن موسى اسم مصري وليس اسم يهودي ، ولعله اختصار للفظ حموس . ويقول نقلاً عن الاستاذ جارستانج عضو بعثة مارستن (Marston) التابعة لجامعة لڤربول إنه كُشِفَ في مقابر أريحا الملكية أدلة تثبت أن موسى قد أنجبته في عام ١٥٢٧ ق.م. بالتحقيق الأميرة حتشبسوت (الملكة حتشبسوت فيما بعد ــ ١٥٠١ ــ ١٤٧٩ ق.م.) وأنه تربّى في بلاطها بين حاشيتها ، وأنه فرَّ من مصر حين جلس على العرش عدوّها تحوطمس الثالث (١٤٧٩ ــ ١٤٤٧ ق.م.) . ويضيف ديورانت أن يوسفوس ينقل عن مانيثون ــ وهو مؤرخ مصري عاش في القرن الثالث قبل الميلاد ــ ان موسى كان كاهناً مصرياً خرج للتبشير بديانة التوحيد[٧] . وقد ورد في التقليد أن ابنة فرعون أقامت عليه أساتذة من الكهنة يفقّهونه علوم المصريين[٨] .

ومن العلماء المحدثين الذين بحثوا هذه الناحية من حياة النبي موسى العالم النفساني المشهور سجمند فرويد ، ففي تحليله لشخصية موسى في كتابه المعروف « موسى والتوحيد » الذي كتبه عام ١٩٣٨ قبيل وفاته انتهى الى أن

---

(٣) انظر كتاب الدكتور احمد شلبي « مقارنة الاديان ــ اليهودية » ، ص ٤٣ ، انظر أيضاً كتاب فرويد « موسى والوحدانية » ، ص ٤٧ .

(٤) عد ١٢ : ١ .

(٥) خر ٢ : ٢١ .

(٦) خر ٢ : ١٩ .

(٧) ول ديورانت ، « قصة الحضارة » ، الترجمة العربية ، ج ٢ ، م ١ ، ص ٣٢٦ .

(٨) المطران يوسف الدبس ، « تاريخ سورية » ، ١٨٩٥ ، ج ١ ، م ٢ ، ص ٩١ .

موسى كان مصرياً وليس اسرائيليا مما أثار غضب الصهيونيـة عليـه ، لأن الصهيونية كما هو معلوم لا تقر بغير يهودية موسى المتصلة بنسب ابراهيم الخليل ويعقوب ، مع أن البعض يقر مصرية موسى من حيث نشأته ويعـده يهودياً من حيث مولده[٩] . لذلك هاجم الصهيونيون هذا الكتاب وحطّوا من اهميته وقيمته التاريخية واعتبروه دون المستوى الذي اعتاد فرويد أن يقدمه للناس فعدّوا كتابه « تتاج عقل زحفت عليه الشيخوخة فأفسـدت أحكامـه ورجوا ، من قبيل التكريم لفرويد فيما زعموا لو مضى الكتاب دون أن ينتبه اليه أحد . وقال بعضهم تعقيباً على الكتاب إنه لو لم يكن من تأليف فرويد لكان الأرجح ألا يجد ناشراً يقبل نشره ، وهاجمه موريس كوهن أحد فقهـاء التلمود قائلاً : لو أن شخصاً آخر كتب هذا الكتاب لكان خليقاً أن نعدّه كتاباً لأفّاق مكابر . ثم عاد وقال : « صحيح أن هذا الكتاب الذي يفتقـر الى الأسس السليمة لن يضل أي باحث جاد في اليهودية ، ولكن يخشى أن يتأثر به جمهور القراء فيعدّونه مساهمة ذات قيمة من التحليل النفسي في فهم التاريخ اليهودي »[١٠] .

ويرى المؤرخون الغربيون ان موسى أخذ بعقيدة التوحيد الخالصـة التي تدعو الى الاخاء العالمي من اخناتون ، فيقول العلامة « ويج » : « إن أول من قال بالوحدانية الخالصة التي تدعو الى عبادة الاله الواحد ولا اله غـيره هو اخناتون ، ويبدو أن موسى وقد أمضى طفولته وصباه وشبابه في مصر عرف هذه العقيدة وتأثّر بها ودعا لها »[١١] .

وقد بحث هذا الموضوع العالم النفساني فرويد المشار اليه فيما تقـدم في شيء من التفصيل وتوصل بعد عرض البراهين العديدة والدليل تلو الدليل الى أن ديانة التوحيد التي جاء بها موسى هي ديانة اخناتون بعينها وهي مصرية

(٩) انظر ما تقدم : « عصر ابراهيم واسحاق ويعقوب غير عصر موسى ولا صلة بينهما » في الفصل الخامس ، كذلك : « تاريخ التوراة ، لغتها ، مكان ظهورها » في الفصل الثالث .

(١٠) « التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي » للدكتور صبري جرجس، ص ٢٩٧ .

(١١) Weech. "Civilization of the Near East," pp. 84, 88.

بحتة ومصدرها مصري لا علاقة لها ببني اسرائيل ودور بني اسرائيل ، وان موسى لم يكن يهوديا وانما هو مصري أراد كتبة التوراة أن يجعلوا منه يهودياً لاغراضهم[١٢] ، وبعد اغتيال موسى هجر اليهود دين موسى • ومن جملة الأدلة التي يقدمها فرويد لدعم نظريته هذه هو ان موسى جعل الختان من مقومات ديانته الاساسية ، والختان ان هو الا عادة مصرية قديمة اقتبسها الفينيقيون والسوريون منهم كما أيد ذلك هيرودوتس ابو التاريخ • وقد ثبت قول هيرودوتس هذا بعد اكتشاف ذلك عملياً على اجساد الموميا في قبور المصريين القدماء وعلى النقوش على جدران القبور ، ويرى فرويد احتمالاً قويا ان موسى نفسه كان مختتناً[١٣] • وينتهي الى القول ان ديانة موسى هي نفس الديانة التي تدعو الى عبادة الاله ادوناي الوارد في التوراة بمعنى آتون (فرويد ، ص ٤٢) •

وقد ورد في قصة طريفة رواها يوسفوس ان فرعون مصر كان في أحد الأيام يداعب موسى وهو لم يزل ابن ثلاث سنوات فأخذه بين ذراعيه وصار يرمي به في الهواء ، ولما أصبح موسى بقرب رأس فرعون خطف التاج من على رأس فرعون ووضعه على رأسه ، فذهل فرعون لهذه الحركة واعتبرها حركة شؤم عليه فاستشار حكماءه في ذلك وما قد يترتب عليها من نتائج في المستقبل[١٤] •

وفي تحليل شخصية النبي موسى وما نسبه اليه كتبة التوراة من أعمال يقول الاستاذ لودس (Lods) في كتابه « اسرائيل » : « ونظراً لفقدان الوثائق المعاصرة لزمن موسى فقد أصبح من أصعب الأمور القول على وجه الصحة من كان موسى وما كان العمل الذي قام به ؟ •• الا أنه لا يسعنا التهرّب من الاعتقاد بأن هناك خلال التقليد العقائدي الطويل لابد أن تكون قد برزت شخصية قوية تولّت الزعامة ، لأننا حين نرتفع الى مستوى عال في مجرى التكوين الحضاري نجد ان العوامل الأساسية التي تؤثر في الحياة الدينية عند الشعوب لا تقوم الا على يد شخصيات قوية ذات مواهب خارقة

---

(١٢) Freud, "Moses and Monotheism," p. 29.

(١٣) المرجع السابق ، ص ٤٩ ـ ٥٨ •

(١٤) Freud, "Moses...," p 52

هي التي تقرر مصير الدعوة التي تنطوي عليها هذه العوامل • الا ان المحاولات في سبيل صياغة شخصية اسطورية خارقة الطبيعة من موسى كانت غير ناجحة ••• ان موسى يمثل رمزاً اسطورياً ولكن هنالك وراء هذا الرمز الاسطوري حقيقة واقعية ، هي أن هناك شخصية قوية برزت على أثر الاضطهاد المصري »[15] •

٣ ــ **قصة خروج موسى وجماعته من مصر**

أمّا قصة خروج موسى وجماعته من مصر ــ القصة التي استرسل كتبة التوراة في شرحها في سفر الخروج من العهد القديم ــ فهي لم تكن خرافية كما يرى البعض ، وانما هي حادثة تاريخية حقيقية تنطوي على خروج جماعة من مصر في عهد معيّن وتوجّه هذه الجماعة نحو أرض كنعان المجاورة ، وذلك بقيادة زعيم روحي عرفته الأجيال باسم النبي موسى • وقد شاءت الأقدار أن تسدل الستار عن حقيقة هذه الجماعة وأسباب خروجها ، إذ لم يعثر حتى الآن على مصدر قديم من المخطوطات الآثارية معاصر الى خروج هذه الجماعة من مصر يشرح لنا هويتها على حقيقتها أو الدوافع التي حملتها على الخروج من مصر • والمصدر الوحيد الذي بين أيدينا عنها هو التوراة التي كتبها مدونوها في الأسر بعد ثمانيمائة عام من الحادث ، فجاءت القصة مشوّهة ومحوّرة بالشكل الذي يخدم مقاصد خاصة وأهدافاً معيّنة ، فأصبحت في نظر الكثير أشبه بالاساطير الخيالية منها بالحقائق التاريخية •

إن أقدم ما وصل الينا من معلومات عن قصة الخروج بعد التوراة ترجع الى عهد يوسفوس المؤرخ اليهودي الشهير (القرن الأول الميلادي) الذي ينقل عن ما نيثون المؤرخ المصري الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد قوله إن سبب خروج جماعة موسى من مصر هو رغبة المصريين في أن يتقوا شر وباء فشا بين العبريين المستعبدين الملقين ، وقوله إن موسى نفسه كان كاهناً مصرياً خرج للتبشير بين اليهود « المجذومين » وإنه علّمهم قواعد للنظافة على نسق القواعد المتبعة عند كهنة المصريين (ول ديورانت ، « قصة الحضارة » ج ٢ ، م ١ ، ص ٣٢٦) •

---

(١٥) Lods, "Israel", pp. XV, 309

ومن المتناقضات التي وردت في التوراة في سردها قصة الخروج أنها بعد ان تصف بمنتهى التفصيل والتطويل والتكرار ممانعة فرعون بان يسمح لجماعة موسى أن تخرج من مصر ثم تعود فتصفها بالطرد من مصر(١٦) .

ولو سلطنا أضواء علم النفس على هذه الفئة التي دونت التوراة ، وهي نفسها من بقايا الجماعة التي خرجت من مصر قبل ثمانيمائة عام ، لوجدنا أنها كانت فئة منبوذة مشردة قابعة في زاوية الأسر لا وطن لها ، مهيضة الجناح ، لا حول ولا قوة لها تستند اليها ، وهذه الفئة نفسها جلست لتدون تاريخ الجماعة التي هي من بقاياها كما تقدم قد سمعت به عن الأسلاف وعن خروجها من مصر قبل مدة غارقة في القدم . أجل ، إنها جلست لتدون هذا التاريخ الذي لمست بعض خيوطه الغامضة ، وهي غاطسة في خضم الأحلام التي كانت تساورها وتستأثر بتفكيرها ، فتارة تحلم بالحصول على القوة التي تسندها ، وتارة أخرى بالجاه الذي يرفع من منزلتها ، ثم بالوطن الذي تأوي اليه ، فاتخذت من الهها « يهوه » ومن شخصية النبي موسى قوة دينية تتشبث بها على الأعداء كما اتخذت من إرجاع أصلها الى ابراهيم الخليل عليه السلام وحفيده يعقوب النسب الأصيل الذي يجعلها أهلاً لتكون الشعب المختار ، ومن كنعان اتخذت عقيدة « الوطن الموعود » الذي يفيض لبناً وعسلاً وعزت كل ذلك الى الاله « يهوه » والى ابراهيم ويعقوب وكلهم بريئون منها .

ولا ريب في أن كل جماعة تكتب تاريخها كما تحب وتهوى لا كما تريد الحقيقة المجردة من كل غرض ، فهي تجتهد في إظهار أصلها مقترناً بأسمى الشخصيات من الاجداد التي تتمتع بماض عريق وشهرة واسعة .

وهذا يفسر لنا كيفية شيوع التقليد الذي تؤكده الكتابات اليهودية ، قديماً وحديثاً ، أن ابراهيم الخليل غادر العراق ومعه اليهود الى فلسطين ، في حين أن اليهود ظهروا بعد ابراهيم الخليل بأكثر من ألف عام ، وقد قبلت الأجيال ذلك من غير تمحيص للتسلسل الزمني وملاحظة العصور بحسب تواريخها . ويرى فرويد أن كتبة التوراة أدخلوا الآباء الاولين في ديانتهم واعتبروهم من أسلافهم بغية إعطاء دليل على أن اليهود ليسوا غرباء على أرض كنعان وأنهم لم يدخلوها بصفتهم غرباء ، فيقول في ذلك « إنهم لجأوا الى هذه الحيلة الماهرة وهي أن الههم يهوه قد وعدهم بالأرض التي كان يحتلها أسلافهم بالفعل ... اولئك الأسلاف الذين كانوا يعبدون يهوه أيضاً تحت اسم آخر » وبهذا يسلط فرويد الضوء على حقيقة هامة هي أن اليهود لم يكن لهم حق

تاريخي في دخول أرض كنعان وانما افتعلوا هذا الحق افتعالا وبذلك يعتبر استقرارهم في كنعان بصورة موقتة لم يغيّر من حقيقة كونهم غرباء عليها .

هذه هي الحوافز النفسية الثلاثة التي كانت تحوم حول تفكير هذه الزمرة الكهنوتية عندما جلست لتدوّن تاريخ جماعتها مستمدة من حوادث وشخصيات تاريخية معيّنة القواعد التي بنت عليها ما عنّ لها من أهواء وتخيلات للتنفيس عما كانت تشعر به من ضيق ويأس ومن عُقد نفسية مستحوذة عليها ، فاتخذت من حادث خروج موسى وجماعته من مصر قبل ثمانيمائة عام ، وهي من بقايا هذه الجماعة كما أسلفنا القول في ذلك ، قصة مطوّلة تهدف بالدرجة الأولى الى تحقيق الأهداف الثلاثة : الحصول على قوة الاله والنبي ، والتشبه برفعة الأصل ، والتمتع بالوطن الطيب الموعود .

فالقصة في جملتها تدور حول هذه الأهداف الثلاثة . وانطلاقاً من هذه الأحاسيس والعُقد النفسية اتخذ كتبة التوراة من النبي موسى بطلها ومن الاله « يهوه » ربّها الخاص بها ونسبوا كلّ شيء تسنوه وله صلة بصلحتهم اليهما . كما اتخذوا من يعقوب (اسرائيل) النسب واعتبروه جدّهم ومن ابرام (ابراهيم الخليل) الصلة الروحية واعتبروه جدّهم الأكبر : وكانت هذه الشخصيات تتمتع بقدسيتها الموروثة وسمو مسلكها الكهنوتي في البلاد. كما اتخذوا من الديانة الكنعانية القواعد الأساسية لديانتهم ، فما دوّنه هؤلاء الكتبة على لسان ابراهيم واسحاق ويعقوب والاله الرب وبخاصة ما يتعلق ببدعة الأرض الموعودة لا أصل له اطلاقاً وهو من نسج الخيال الروائي ، كما أن ما نسبوه الى جماعتهم من نسب يرجع الى يعقوب وابراهيم الخليل هو بدوره من قبيل التفاخر بارجاع أصلهم المجهول الى أقدس شخصيات روحية في البلاد . فقد ورد اسم يعقوب في الكتابات الآرامية التي ترجع الى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وهو عصر يعقوب بالذات ، لموضع في منطقة « حاران » (حران حالياً) ، وقد جاء مقروناً بالاله « أيل » أي « يعقوب ــ أيل » ، ومعناه ليحم الاله « أيل » يعقوب ، وهو الاله الذي دعا الى عبادته ابراهيم الخليل . كما ورد اسم ابرام واسرائيل في الكتابات المصرية لموضعين في كنعان ، وهذه أسماء كنعانية مقدسة كانت تطلق على الأشخاص والأماكن تبركاً بها ، وذلك قبل عهد الخروج وقبل تدوين التوراة بألف وخمسمائة عام على أقل تقدير ، ويؤكد ذلك الاستاذ يرميا (A. Jeremias) فيقول إن ابراهيم ويعقوب كانا زعيمين دينيين ورئيسين من كبار رؤساء القبائل وكانا يتمتعان بمكانة قدسية في البلاد .

والنظرية التي يعتمد عليها اليوم عدد غير قليل من العلماء هي أن أكثر الأسماء التي أطلقها كتبة الاسفار على أبطال قصصهم هي في الأصل أسماء كنعانية لاشخاص لهم مكانتهم السامية في مجتمعهم القديم ، عرف كل منهم باقامته في إحدى الأمكنة من فلسطين فسمّيت هذه الاماكن باسمهم تكريماً لاصحابها • وهؤلاء هم الذين اتخذهم كتبة التوراة أسلافاً لهم • وهكذا فقد حاك اليهود حول هذه الشخصيات وأمكنة سكناها ماشاء لهم الهوى من القصص والاساطير واحتكروها باسم أسلافهم المزعومين • (انظر المستدرك ٣)

ويجب أن لا يغرب عن البال باننا حين نتحدث عما أورده مدوّنو التوراة في الأسر عن قصة الخروج وغيرها من الادعاءات الخيالية ، اننا نواجه كتابا صنفته جماعة بتأثير دوافع وانفعالات نفسية لتحقيق أهداف معيّنة بعد أن وقعت هذه الجماعة فريسة للعُقد النفسيّة التي انتابتها نتيجة انقراض دولتهم الهزيلة (يهوذا) من الوجود واستحواذ اليأس عليها ، فراحت تسبح في خضم تمنياتها وتخيلاتها بالارض الموعودة حين دونت تاريخها بعد أن صبغته بالصبغة الدينية المقدسة واتخذته عقيدة وشريعة لمن لاذ بها • والحقيقة هي ان قصة الخروج لم تكن خرافية وانما هي حادثة تاريخية واقعية تنطوي على خروج جماعة من مصر بقيادة زعيم ديني وذلك بسبب اضطهادها لاعتناقها ديانة لا يرتضيها سكان البلاد ، فبنى مؤلفو التوراة بعد مرور ثمانيمائة عام على الحادث ما عنّ لهم من أساطير وتخيلات خرافية وادعاءات وهمية تنفيساً لاحساساتهم الغارقة في عقد نفسية معينة نتيجة اليأس وتبدد الآمال • وهذا هو أبعد ما يكون من توراة موسى الأصلية التي تعد شريعة خالصة خالية من الأساطير والخرافات والادعاءات الوهمية ، فيقول الدكتور أحمد شلبي في كتابه « مقارنة الأديان » (ص ٢٢٩) تعليقاً على ذلك : « إن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف عمّا أرادوا من طباع وخلق ، وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة » • ثم يضيف الدكتور شلبي الى ذلك قوله (ص ٢٣٩): وهكذا كتبت أسفار العهد القديم ــ باسم الله ــ والله منها بريء ، إنها في الحقيقة صدى لانفعالات اليهود وأحاسيسهم ، وبهذا السبب وبسبب كثرة الكتاب الذين اشتركوا في تدوين العهد القديم كثرت الأخطاء فيه » • وفي تعليق للأديبة أبكار السقاف على سفر الخروج تقول في كتابها « اسرائيل وعقيدة الارض الموعودة » (ص ١٧٥) : « يقيناً لقد خاض مؤلف سفر

الخروج في خضم الترهات خوضاً عجيباً لا لأنه قد انتزع من وهاد الربوبة القبلية هذا الرب انتزاعاً وجعله لاسرائيل الهاً فحسب وانما لأنه قد افترى على موسى ، عليه السلام ، إذ نسب اليه هذه الافتراءات وقال عنه إنه بهذا الرب اتى وجعله لاسرائيل إلها ثم يعدهم باسمه امتلاك أرض كنعان ميراثاً !..»
ثم اضافت في ملاحظاتها « لفتة هامة » تقول : « إن الاسلام الذي يبسط جناحيه بالرحمة ويرفرف بالسلام يؤمن بتوراة هي على موسى قد أنزلت ولكنه فرّق بين توراة موسى وتوراتهم هذه المفتراة على موسى التي كتبها رجال بيت يهوذا في أعقاب الأسر البابلي ... لذلك حارب محمد ، صلّى الله عليه وسلم ، اليهود وسمّاهم كفاراً لكذبهم على موسى ولنبذهم اياه كما نبذوا من بعد روح الله عيسى عليه السلام ... وصدق الله العظيم إذ قال فيهم : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ... وباءوا بغضب من الله ! . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ... ويقتلون الأنبياء بغير حق .. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ! .. » .

ومما ينبغي ملاحظته هنا هو ان الاله الذي كان يدعو موسى الى عبادته هو الاله الواحد خالق السموات والأرض (الاله الواحد لا اله غيره) الذي كان يدعو الى عبادته اخناتون فرعون مصر والذي تقوم عبادته على أساس مبدأ الاخاء العالمي بين الانسان وأخيه الانسان ، ولا صلة لموسى بالاله « يهوه » الخاص باليهود وحدهم باعتبارهم الشعب المختار ، وهو الاله الذي استعاره كتبة التوراة ونسبوا صلته بموسى زوراً .

أمّا حقيقة قصة الخروج فهي ، كما يستدل من الأحداث التاريخية ، ان جماعة من المصريين الذين كانوا قد أخذوا بديانة التوحيد في عهد اخناتون فرعون مصر ، وأكثرهم من الجنود المصريين أتباع موسى ومن بقايا الهكسوس الذين بقوا في مصر بعد طرد الهكسوس منها وكانوا يعرفون بالعبريو أو العبيرو ، بمعنى البدو الرحل الآسيويين قد اضطروا بعد موت اخناتون الى الخروج من مصر بسبب ديانتهم المناوئة للوثنية ، وقد انضم الى هؤلاء بعض الأسرى الهاربين والعبيد الفارين من سادتهم . امّا النبي موسى الذي خرجوا بقيادته فهو نفسه مصري صميم ووصف بأنه قائد مصري . اما ما دونه كتبة التوراة من أن هذه الجماعة ترجع في أصلها الى ابراهيم الخليل وانها من ذرية يعقوب (اسرائيل) وقد سميت بني اسرائيل ونسبت كل شيء الى الهها « يهوه » ، فلا يوجد أي دليل تاريخي أو حتى مجال افتراضي للاخذ به كما

سبقت الاشارة الى ذلك . (انظر المستدرك رقم ٤) .

ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان المصريين كانوا يسمون بقايا الهكسوس « عبريو » (أو عب.و) وهؤلاء صاروا خطراً على البلاد من تزايدهم فيما اذا انضموا الى الأعداء ، فاجبروا على العمل في بناء الرعمسيوم والبيتوم وعاشوا في مصر عيشة العبودية يعملون في الحقل وفي البناء ، وقد ورد اسمهم في برديتين مصريتين تعودان بتاريخيهما الى عهد رع موسى الكبير (رعمسيس الثاني) (١٣٠٠ ــ ١٢٣٣ ق.م.) ، إذ ورد في إحداهما ، وهي رسالة الكاتب « كويسر » الى « بكنفتاح » ، يقول : « أعط الجنود قوتهم واعط أيضاً العبريو الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رع موسى الخ .. » واما الرسالة الثانية فهي رسالة من « كينا » الى « كجاناهو » يقول فيها : « أطعت ما أمرني به سيدي قائلاً : أعط الجنود أرزاقهم والعبريو أيضا الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذي انصرفت اليه عناية رع موسى .. » والمقصود هنا بالعبريو (العبيرو) القبائل العربية البدوية وليس بني اسرائيل ، ذلك مما يثبت أن الجماعة التي عاشت في مصر عيشة العبودية وأجبرت على العمل في الحقل وفي البناء تمثل بقايا الهكسوس وليس بني اسرائيل كما روى كتبة التوراة . ويؤكد الباحثون على أن هناك دلائل قوية على ان « العبيرو » التحقوا بالهكسوس الساميين عندما غزوا مصر ، وهم نفس « الهبيرو » و « الاپيرو » الذين ورد ذكرهم في الكتابات المصرية . وهؤلاء كانوا يدخلون في خدمة الأقوام الغازية في أكثر الأحيان ، وكانوا أشبه بالبدو الرحل يتجولون من مكان الى آخر على أطراف الجزيرة العربية . ذلك ما يؤيد بان الاضطهاد الذي أدّى الى الخروج من مصر كان موجها ضد معتنقي ديانة اخناتون وأكثرهم من بقايا الهكسوس وليس له أية صلة ببني اسرائيل .

إن حقيقة كون اليهود يرجعون الى عهد متأخر غير مرتبطين بأية صلة بالتاريخ القديم وإن أكثر الجماعة الذين خرجوا من مصر هم من بقايا الهكسوس الرعاة جاءت مدعومة ببيانات المؤرخين المصريين القدماء وفي مقدمتهم مانيثون الذي عاش وكتب تاريخه المشهور في حدود سنة ٢٨٠ ق.م ، فيقول مانيثون وقد نقل كلامه المؤرخ اليهودي يوسفوس وهذا نصه : « إن هؤلاء الأقوام الذين سميناهم بالملوك الرعاة (أي الهكسوس) بعد أن حكموا في مصر ٥١١ سنة أخرجوا من مصر في زمن حكم تحوطمس (يبدو أنه يقصد هنا تحوطمس الثالث (١٥٠٤ ــ ١٤٥٠ ق.م.) ؛ فقد قام ملوك نيبايس (ولعله يقصد طيبة) ومعهم رؤساء أقاليم مصر الأخرى بثورة ضد الرعاة فنشبت بينهما حرب طاحنة طويلة المدى ؛ وفي عهد أحد الملوك المسمّى

(آلسفر اكموثوس) تمكن المصريون من اخضاع الرعاة (أي الهكسوس) وطردهم من أكثر أقسام المملكة المصرية إلا أن هناك عدداً منهم قد تخلّف ، فتجمّع هؤلاء في منطقة مساحتها عشرة آلاف فدان تسمّى (افاريس) وحصّنوها بسور واسع ومنيع حولها وجمعوا هناك جميع ممتلكاتهم • وقد

حاول تحوطمس ولد آلسفر اكموتوش ومعه ٤٨٠٠٠٠ رجل احتلال هذه المنطقة عنوة فضرب الحصار عليها وقطع عليهم باب النجاة ، ولكنه لم يفلح بالتغلب عليهم فلجأ الى المصالحة على أن يخرج جميع من في المنطقة من مصر



التصوير رقم ٥٦

مومياء الملك رعمسيس الثاني الذى خرج فى زمنه الموسويون من مصر وهى محافظة على حالتها الاصلية (١٣٠٠ - ١٢٣٣ ق.م) •

من غير أن يُمسّوا بسوء فخرجوا هم وعوائلهم ومعهم ممتلكاتهم وعددهم ٢٤٠٫٠٠٠ نسمة واتجهوا في رحيلهم من مصر في البرية نحو سورية ، ولما كانوا يخشون خطــر الآشوريين الذيــن فرضوا سلطانهم على آسيا اتجهوا نحو فلسطين •

وفي هذا دليل واضح على أن هناك عدداً كبيراً من الهكسوس بقوا في مصر وتحصنوا في منطقة عاصمتهم « اوفاريس » بعد إخراج قوات الهكسوس من الأقاليم المصرية الأخرى وظلّوا يدافعون عنها بحيث لم يستطع المصريون التغلب عليهم عنوة فاضطروا الى مصالحتهم والسماح لهم بالخروج من مصر

مع عوائلهم وممتلكاتهم من غــير أن يُمسّوا بأذى • والذي يُستوحى من خلال هذا البيان أن كتبة التوراة اتخذوا من هذه الحادثة الوقود الذي أججوا منه قصة الخروج التي ربطوها بتاريخهم القديم وخرجوا بها بصورة منمقة ترجع بأصل اليهود الى أقدم وأقدس الشخصيات المعروفة في تلك الأزمان •

٤ ـ زمن خروج موسى وأتباعه من مصر

يعين المؤرخون تاريخ خروج النبي موسى وأتباعه من مصر الى أرض كنعان (فلسطين) في حوالي سنة ١٢٩٠ ق•م• يوم كان رعمسيس الثاني ع عرش مصر (١٣٠٠ ــ ١٢٣٣ ق•م•) ، وقدر بعض الباحثين عدد ها الجماعة آنذاك بحوالي ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ نسمة عند خروجهم من مصر

ولا ندري على أي أساس توصل هؤلاء الى هذا الرقم • (انظر المستدرك٥)•

ويلاحظ أن بعض الباحثين حاول أن يربط ما ورد في مسلة مرنفتاح ، التي تصف حملات هذا الفرعون والتي تشير الى إخضاعه بلاد اللوبيين ومدن عسقلان وجازر واسرائيل في فلسطين ، بحادث خروج أتبــاع موسى من مصر • وهذا غير وارد لأن النص صريح فهو يشير الى أسماء مواضع من فلسطين منها عسقلان وجازر واسرائيل ، وليس لذلك أية علاقة ببني اسرائيل في مصر أو خروج موسى وأتباعه من مصر • ثم ان العلماء متفقون على أن الخروج حدث في أوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد في حين أن حملة مرنفتاح وقعت في حوالي سنة ١٢٣٠ ق•م• ويؤيد ذلك العلامــة ديورانت فيقول : « وليس في هذه الأقوال ما يدل على أن مرنفتاح هو فرعون الذي خرج بنو

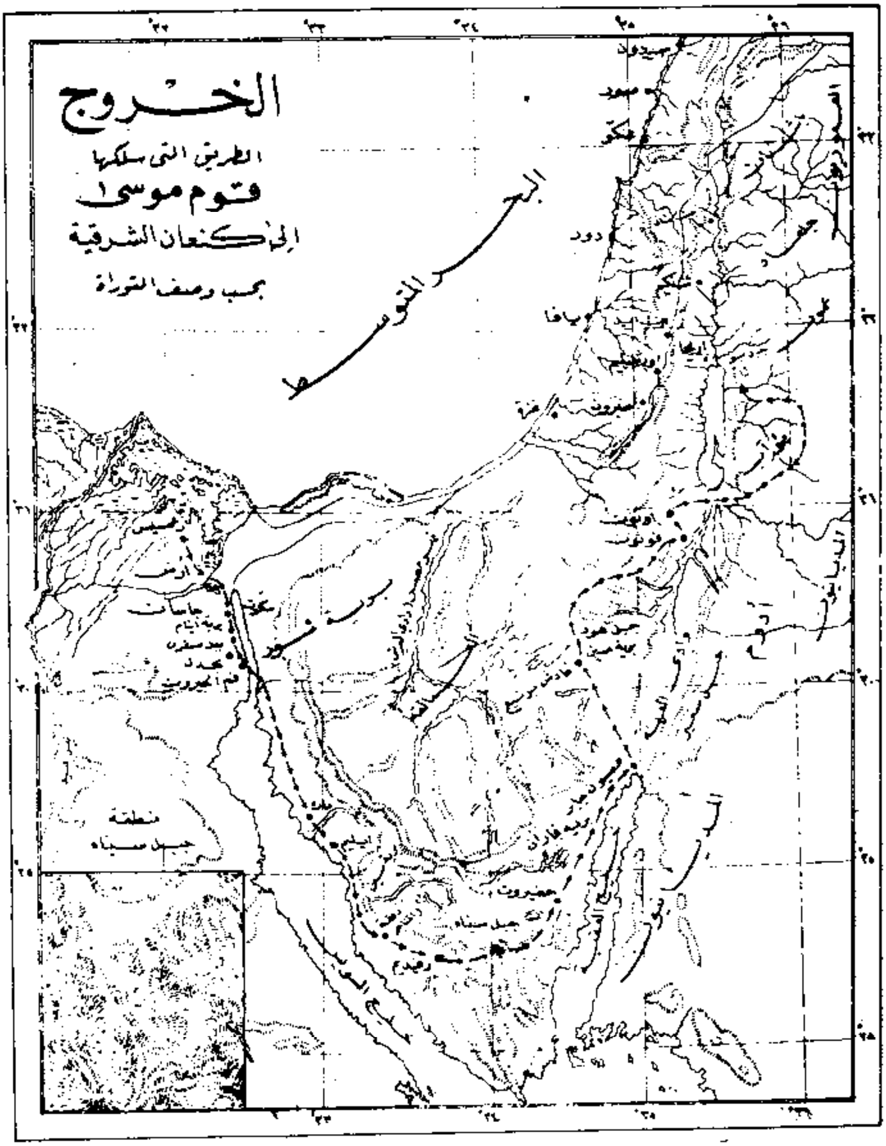
اسرائيل (أتباع موسى) من مصر في عهـده ، وكل ما تثبتـه ان الجيوش المصرية اجتاحت فلسطين مرة أخرى » . وهذا ما يراه فرويـد ومـير فيؤكدان أن مسلة مرنفتاح لا يمكن أن تمثل زمن الخروج الذي يجب أن يسبق عهد مرنفتاح

٥ ــ الطريق التي سلكها الموسويون من مصر الى شرقي الاردن

ويرجح الباحثون مستندين الى وصف التوراة أن الطريق التي سلكها الموسويون في خروجهم من مصر هي طريق عمال المناجم القديم الى سيناء ، فارتحلوا من بلدة رعمسيس في أرض « جاسان » ، وهي التي عرفت بمدينة المخازن ، وتوجهوا الى « سكوت » . ، ومن « سكوت » نزلوا في « ايثام » في طرف البرية[٢٨] ، ثم نزلوا امام « فم الحيروث » بين « مجدل » والبحـر أمام « بعل صفون » مقابله عند البحـر . وسـعى المصريون وراءهم وأدركوهم وهم نازلون عند البحر عند « فم الحيروث » أمام « بعل صفون »» . ثم ارتحلوا من بحر سوف وخرجوا الى « بريـة شـور » ووصلوا الـى « ماره »[٣١] ، ومن « مارة » ذهبوا الى « ايليم » وهناك اثنتا عشـرة عين ماء فنزلوا عند الماء . ثم ارتحلوا من « ايليم » الى برية سين التي بـين « ايليم » وسيناء ، ثم ارتحلوا من بريـة سـين ونزلوا في « دفقـة »[٣٣] ، و « دفقة » هذه تقع في مدخل جبل سيناء في وادي فيران كانت فيها مناجـم النحاس التي كان يستثمرها المصريون منذ أقدم الأزمنة . ثم ارتحلوا مـن « دفقة » ونزلوا في « ألوش » ومن « ألوش » نزلوا في « رفيديم »[٣٤] . وفي « رفيديم » دارت أول معـركة بين الموسويين وبين العمالقـة سـكان البلاد . ومن « رفيديم » ارتحلوا الى برية سيناء حيث نزل الموسويون مقابل الجبل ، والجبل هو جبل سيناء « جبل موسى » الذي نزلت فيه الشريعة . وهنا التقى موسى بزوجته صِفّورة وابنيه وحميّه يثرون الذين جأوا من مديان للالتحاق بـه .

وقد بقي الموسويون في برية سيناء حوالي السنة ، ثم ارتحلوا منها في السنة الثانية بأمر الرب الى « قادش برنيع » الواقعة على بعد ١٥٠ ميلاً من سيناء شمالا سالكين الطريق الذي يمر ببلدة « حضيروت » على الضفة الغربية لخليج العقبة ، ومن «حضيروت» نزلوا في «برية فاران» ، ثم توجهوا الى «عصيون جابر » الواقعة عند آخر نقطة من ساحل خليج العقبة مارين بعدد من القرى

ثم رحلوا من « عصيون جابر » الى « برية صين » التي هي «قادش برنيع»[41] ومنها نزلوا في « جبل هور » في طرف أرض أدوم[42] (انظر المرتسم رقم ١٥)٠



المرتسم رقم ١٥

(٤١) عدد ٣٣ : ٣٦ ٠
(٤٢) عدد ٣٣ : ٣٧ ٠

٦ ـ غزو الموسويين لشرقي الاردن

ولما كان الموسويون في « فاران » أرسل موسى رجالا ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم : « اصعدوا من هنا الى الجنوب واطلعوا الى الجبل وانظروا الارض ما هي ، والشعب الساكن فيها أقوي ّ هو أم ضعيف ، قليل أم كثير ، وكيف هي الارض جيدة أم ردية •»[٤٣] واتوا وقالوا لموسى قد ذهبنا الى الارض التي ارسلتنا اليها وحقا أنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها (وقد أتوا بعنقود من العنب مع بعض الرمان والتين اقتطفوه من منطقة حبرون) ، غير أن الشعب الساكن في الارض معتز والمدن حصينة عظيمة جدا[٤٤] • وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق فكنّا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم[٤٥] • وهذه الخطوة التي خطاها النبي موسى بارسال الجواسيس الى داخل كنعان هي بحد ذاتها دليل واضح على ان موسى كان ملما بالقواعد العسكرية التي توجب الاستطلاع قبل الهجوم او التحرك ضد العدو •

وكان لوصف الكنعانيين بالجبابرة والاشداء وقع سيء في نفوس الموسويين فتذمروا على موسى وعلى هارون أخيه فصعدوا الى الجبل رغم تحذيرهما فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم[٤٦] • ولم توضح التوراة الوضع بعد هذه المرحلة فقد جاء كلامها غامضا ، غير أن فقرة تشير الى أن الرب أتاه الموسويين في البرية أربعين سنة حتى فني الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب : « فحمي غضب الرب على اسرائيل وأتاههم في البرية أربعين سنة حتى فني كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب • »[٤٧] ونخلص من هذا الى أن الموسويين لم يقوموا بأي غزو أو فتح حتى جاء الجيل الجديد بعد أربعين سنة ، فقد قضوا هذه الفترة مع موسى في منطقة قادش التي كانت آخر محطة نزلوها في جوار جبل هور في طرف أرض أدوم ، وهناك مات هارون في السنة الاربعين لخروجهم من أرض مصر[٤٨] •

---

(٤٣) عد ١٣ : ١٧ ـ ١٨ •
(٤٤) عد ١٣ : ٢٧ ـ ٢٨ •
(٤٥) عد ١٣ : ٣٣ ؛ تث ١ : ٢٨ •
(٤٦) عد ١٤ : ٤٢ ـ ٤٥ •
(٤٧) عد ٣٢ : ١٣ ؛ تث ٢ : ٧ •
(٤٨) عد ٣٣ : ٣٨ •

وقد كان الموسويون في هذه الفترة في مأمن من أي خطر يهددهم من جهة الشرق لأن الآشوريين كانوا خاضعين آنذاك لحكم الكاشيين في العراق ، كما أن الاراميين لم يكونوا قد بلغوا من القوة التي تشجعهم على القيام بمغامرة ضدهم •

واذا أخذنا بمدونات التوراة يكون الغزو الحقيقي قد بدأ بعد مرور أربعين سنة قضاها موسى وأتباعه بالبرية ، وعزت التوراة سبب ذلك الى غضب الرب على اسرائيل (قوم موسى) حتى فنى كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب • والسبب الحقيقي على ما نراه من مجرى الاحداث التاريخية ، هو أن أرض كنعان كانت آنذاك ساحة حرب بين رعمسيس والحيثيين ، فقد اصطدم الطرفان في معركة ضارية خاضها رعمسيس ضد غريمه « مواتاليس » ملك الحيثيين في قادش (شمال فلسطين) كاد الحيثيون أن ينتصروا فيها ، الا أن رعمسيس تمكن من الصمود بشجاعة أمام الحيثيين حتى وصلته الامدادات فواصل القتال الى أن انتهى الصراع بعقد صلح في سنة ١٢٦٩ ق•م• بين العاهلين ، رعمسيس والملك الحيثي حاتوشيلي الثالث ، والتوقيع على ميثاق دفاع مشترك ضد أي غزو خارجي أو ثورة داخلية ، لذلك تجنب موسى التوغل في داخل فلسطين •

والظاهر من وصف التوراة ان موسى عقد العزم بعد انقضاء الاربعين سنة على غزو كنعان من جهة شرقي الاردن لصعوبة اختراق الجبهة الغربية • وكانت في هذه الجهة خمس ممالك : الأولى مملكة عوج في باشان وهي تبدأ في أقصى الشمال عند حدود جبل حرمون (جبل الشيخ حاليا) وهي بيد الرفائيين والثانية مملكة سيحون في جلعاد وهي بيد العموريين ، والثالثة مملكة عمون وقد استولى عليها العموريون من العمونيين ، والرابعة مملكة موآب بيد الموآبيين ، والخامسة مملكة أدوم بيد بني عيسو • وقد تم للموسويين بقيادة موسى الاستيلاء على ثلاث من هذه الممالك ولم يتحرشوا بمملكتي موآب وأدوم لمناعة تحصيناتها ، وقد عزت التوراة ذلك الى ما أمر به الرب •

٧ ـ الغموض في موت موسى

ومن أغرب ما ابتدعه كتبة التوراة عن وفاة موسى أنهم اتهموا هذا الرسول

الجليل كما اتهموا أخاه هرون بخيانة الرب فعاقبهما الرب بالموت : « كلّم الرب موسى قائلا : مُت في الجبل كما مات هرون أخوك في جبل هور ... لأنكما خنتماني .. عند ماء مريبة قادش في برّية صين إذ لم تقدّساني .. فانك تنظر الارض من قبالتها ولكنك لا تدخل الى هناك الى الارض التي أنا أعطيها لبني اسرائيل[٤٩] ... يشوع بن نون هو يدخل الى هناك[٥٠] ... لا تعبر هذا الاردن واما يشوع هو يعبر ...»[٥١] . وقد كان من الطبيعي في ضوء ما تقدم ان تثار تساؤلات فيما يتعلق بكيفية موت موسى : هل مات موتا طبيعيا ، وهل أمر الرب بموته حقاً ؟ .. فقد استخلص الباحث الالماني « سيللين » من بعض الفقرات في سفر هوشع من العهد القديم « أن هناك دلائل بأن موسى مات شهيدا اغتاله الكهنة الذين قاوموه فهدموا كل ما نادى به من تعاليم دينية تقريبا »[٥٢] . وهناك من يرى أن يشوع بن نون هو الذي اغتال موسى حيث استصحبه الى أعلى الجبل ثم عاد بدونه ليعلن ان الأمر بموت موسى قد تم تنفيذه وفقا لما قد أمر الرب . واذا كان موسى في نظر التوراة التي بين أيدينا خائنا فكيف تنسب هذه التوراة اليه وتسبغ عليها صفة القدسية ؟ .. هذا هو السؤال الذي تلقيه الكاتبة الادبية ابكار السقاف فتقول : « ان هذه التوراة التي بين أيدينا ، وهي مصدر العقيدة للدين اليهودي الحالي ، تعتبر موسى خائنا غضب الرب عليه وأمر بموته جزاء خياته ، فكيف بعد ذلك ، يمكن أن ينسب هذا الدين اليهودي الحالي الى موسى ؟!.. »[٥٣]

ويقول فرويد إن ما استخلصه سللين عن اغتيال موسى على ايدى أتباعه محتمل جدا لأن موسى الذي تربى في مدرسة اخناتون لابد أن يكون قد استعمل العنف والقسوة على طريقة اخناتون في فرض شعائر دينية صارمة على أتباعه ولعلها أكثر صرامة من تلك التي فرضها سيده على الشعب المصري مما أدى الى

---

(٤٩) تث ٣٢ : ٥٠ ــ ٥٣ .

(٥٠) تث ١ : ٣٨ .

(٥١) تث ٣ : ٢٨ .

(٥٢) Lods, "Israel," p. 308; E. Sellin, "Mose und seine Bedeutung fur die isr-jud Rel"; Freud "Moses...," p. 59.

(٥٣) ابكار السقاف ، « اسرائيل وعقيدة الارض الموعودة » ، ص ٣٥٨ .

ان يلقى موسى نفس المصير الذي لقيه اخناتون قبله وهذا مصير كل عظماء الرجال اصحاب مبدأ أو عقيدة ، ويضيف الى ذلك قوله ان الطبع المسالم الذي يتصف به المصريون بوجه عام ساعد على بقاء اخناتون على قيد الحياة حتى لقي حتفه بصورة طبيعية ، ولكن الساميين ذوي الطباع الخشنة تقرب من الوحشية لم يصبروا حتى يموت موسى فثاروا عليه وقتلوه(٥٤) .

٨ ـ عهد يشوع

وقد انتقلت القيادة الى يشوع بعد وفاة موسى ، وتقول التوراة ان الرب أمره بعبور الاردن الى الجانب الغربي وقد قضى على ٣١ ملكا من ملوك كنعان وكانت أريحا أولى المدن الكنعانية التي احتلها الاسرائيليون (الموسويون) « فحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ، انّما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب . »(٥٥)

ومن بين المدن التي استولى عليها يشوع « بيت ايل » و « عاي » و « لخيش » و « عجلون » و « حبرون » و « دبير » . الاّ ان الفلستينيين(٥٦) المتحصنين في مدنهم الساحلية بين غزة ويافا صدوا تقدم الموسويين غربا ، وكان هؤلاء الفلستينيون متفوقين على الموسويين في معداتهم الحربية اذ كانوا يعتمدون على أسلحة من الحديد الذي أتقنوا تعدينه وصنع الدروع والاسلحة الاخرى منه . لذلك لم يجرؤ يشوع على محاربتهم فتجنّبهم كما تجنّب المدن المحصنة ومنها اورشليم لمناعتها . اما المدن الشمالية (الكنعانية الفينيقية) فكانت في حرز حريز لمناعتها وراء سلسلة جبال لبنان وكانت موانيها على ساحل البحر تساعدها على تنمية مصالحها التجارية والاقتصادية مع الخارج ، وكان دخول عنصر الحديد في البلاد خلفا للنحاس والقصدير قد فتح لها عهدا جديدا فاخذت هذه المدن تمارس صناعة الحديد لصنع الاسلحة وبيعها وذلك باستيراد الحديد الخام من بلاد الحثيين فتقدمت صناعيا وازدهرت تجارتها(٥٧) .

---

(٥٤) S. Freud, "Moses...," pp. 76-77.

(٥٥) يش ٦ : ٢١ ، ٢٤ .

(٥٦) انظر ما تقدم عن هجرة الفلستينيين في الفصل الاول .

(٥٧) Keller, "The Bible as History", pp. 155-159.

ومما ساعد على تقدم الفتح في بلاد كنعان بقيادة يشوع ملاءمة الظروف السياسية السائدة أوانـذاك • فقد كانت البلاد منقسمة على نفسها تتصارع ما بينها ، دويلات لا يُحصى عددها يحكم فيها حكام اقطاعيون مستبدّون همّهم الوحيد الحفاظ على سيطرتهم • ويرجع توطيد دعائم هذا النظام الاقطاعي في هذه المناطق الى عهد الهكسوس الذين دام حكمهم فيها وفي مصر السفلى حوالي قرنين من الزمن بين سنة ١٧٨٥ وسنة ١٥٨٠ ق•م•[٥٨] • ولما أخرج المصريون الهكسوس من بلادهم لاحقوهم الى مستعمراتهم الشرقية واستولوا عليها ومنها بلاد كنعان التي ضموها الى مملكتهم ، ولكن المصريين لم يحاولوا تغيير الاوضاع السياسية في هذه المناطق فتركوها على حالها ، وكان جل اهتمامهم جمع الجزية من البلاد على يد مأمورين متفسخين • وفضلا عن ذلك ان مصر كانت عندما غزا يشوع بلاد كنعان عاجزة عن التدخل ومد ملوك كنعان بمساعداتها • ومع ذلك تشير المصادر المصرية على قيام مرنفتاح بن رعمسيس الثاني (١٢٣٣ ــ ١٢٢٣ ق•م•) بحملة عسكرية على فلسطين مما يدل على أن يشوع لم يحقق النصر الذي نسبته التوراة اليه على المدن الكنعانية •

ونستخلص من رواية التوراة أن مدينة أورشليم كانت من بين المدائن التي لم يستطع يشوع احتلالها لمناعتها وصلابة سكانها اليبوسيين• ويؤكد ذلك الاستاذ بيرون في مقاله عن تاريخ أورشليم في دائرة المعارف البريطانية فيقول : « ومن الجلي الواضح أن أورشليم كانت قبل مجيء الاسرائيليين (الموسويين) بقيادة يشوع مدينة كنعانية خالصة على جانب كبير من الاهمية والمناعة • »[٥٩]

٩ ــ عهد القضاة

ويستدل من عرض التوراة لوضع الموسويين في كنعان بعد موت يشوع على أنهم أصبحوا مهددين بالفناء وقد اضطروا ان يخلوا بعض المدن التي استولوا عليها ، فضاق بهم الامر جدا حتى اقام لهم الرب قضاة ليخلصوهم من يد أعدائهم • لذلك سمّي هذا العهد بعصر القضاة الذي استمر حسب تقدير المؤرخين حوالي قرن كامل بين سنة ١١٢٥ و ١٠٢٥ ق•م•[٦٠]

---

(٥٨) انظر ما تقدم عن هجرة الهكسوس فى الفصل الاول •

(٥٩) S.W. Perowne, "Jerusalem," Ency. Brit., Vol. 12, 1965, p, 1007

(٦٠) Hitti, "History of Syria," p. 180.

وكان عهد القضاة عهدا مضطربا تخللته عدة نكسات كادت تهدد الموسويين في فلسطين بالفناء اذ تعترف التوراة ان الكنعانيين والفلسطينيين أصبحوا من القوة بحيث تمكنوا من اخضاع الاسرائيليين (الموسويين) تحت حكمهم في فترات متواصلة قبيل وخلال عهد القضاة . ان أول من أخضعهم كوشان رشعتايم ملك أرام النهرين ثماني سنين(٦١) ، ثم هجم عليهم بنو عمون والعمالقة فضربوهم واستولوا على مدينة أريحا (مدينة النخل)(٦٢) ، ثم ضايقهم يابين ملك كنعان في حاصور بشدة عشرين سنة(٦٣) ، واستعبدهم بنو عمون والفلسطينيون ثماني عشرة سنة(٦٤) . وفي أواخر عهد القضاة أوقع الفلسطينيون بالاسرائيليين (الموسويين) هزائم شديدة حتى أنهم استولوا على « تابوت العهد »(٦٥) ، وخضع الاسرائيليون (الموسويون) الى حكمهم أربعين سنة حتى ظهر شمشون فحارب الفلسطينيين(٦٦) .

١٠ ـ لم يستطع الموسويون طرد سكان فلسطين

وتعترف التوراة بصمود سكان فلسطين أمام الموسويين على أراضيهم اذ تؤكد مرارا وتكرارا بأن الاسرائيليين (الموسويين) لم يستطيعوا طرد سكان فلسطين الاصليين من أراضيهم وقد سكنوا بينهم وشاركوهم في وطنهم ، فتذكر أنهم « سكنوا في وسط الكنعانيين والحيثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساءا وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتم .»(٦٧) . وهذا دليل قاطع على بقاء سكان فلسطين على أراضيهم واستمرار سيادة الثقافة الكنعانية في البلاد . واليك التاكيدات التي وردت في التوراة بهذا المعنى :

١ ـ « لم يطرد بنو اسرائيل (الموسويون) الجشوريين والمعكيين (وهم من

---

(٦١) قض ٣ : ٨ .
(٦٢) قض ٣ : ١٣ .
(٦٣) قض ٤ : ٣ .
(٦٤) قض ١٠ : ٨ .
(٦٥) ١ صم ٥ : ١ انظر ما تقدم عن تابوت العهد فى الفصل الثالث
(٦٦) قض ١٣ : ١ .
(٦٧) قض ٣ : ٥ ـ ٦ .

قبائل الجانب الشرقي من الاردن) فسكن الجشوري والمعكي في وسط اسرائيل الى هذا اليوم • »(٦٨)

٢ ــ « لم يطرد منسّى أهل بيت شان وقراها ولا أهل تعنك وقراها ولا سكان دور وقراها ولا سكان يبلعام وقراها ولا سكان مجدّو وقراها فعزم الكنعانيون على السكن في تلك الارض • وكان لما تشدد اسرائيل أنه وضع الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردهم طردا • »(٦٩)

٣ ــ « ونفتالي لم يطرد سكان بيت شمس ولا سكان بيت عناة بل سكن في وسط الكنعانيين سكان الارض • »(٧٠)

في وسطه • »(٧١)

٤ ــ « زبولون لم يطرد سكان قطرون ولا سكان نهلول فسكن الكنعانيون

٥ ــ « افرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسطه في جازر • »(٧٢)

٦ ــ « وأخذ يهوذا غزة وتخومها واشقلون وتخومها وعقرون وتخومها ••• ولكن لم يطرد سكان الوادي • »(٧٣)

٧ ــ « لم يطرد أشير سكان عكّو (عكّا) ولا سكان صيدون وأحلب وأكزيب وحلبة وافيق ورحوب فسكن الاشيريون في وسط الكنعانيين سكان الارض لانهم لم يطردوهم • »(٧٤)

٨ ــ « الحويون سكان جبعون صالحوا اسرائيل (الموسويين) وكانوا في وسطهم • »(٧٥)

---

(٦٨) يش ١٣ : ١٣ •
(٦٩) قض ١ : ٢٧ •
(٧٠) قض ١ : ٣٣ •
(٧١) قض ١ : ٣٠ •
(٧٢) قض ١ : ٢٩ •
(٧٣) قض ١ : ١٨ ــ ١٩ •
(٧٤) ١ : ٣١ ــ ٣٢ •
(٧٥) يش ١٠ : ١ •

وتؤكد التوراة أيضا أن الاسرائيليين (الموسويين) لم يستطيعوا طـرد اليبوسيين سكان أورشليم الاصليين ، واليبوسيون قبيلة من القبائل الكنعانية بقوا في مدينتهم وفي أرضهم في جميع الظروف . وتعترف التوراة صراحة بان بني يهوذا لم يستطيعوا طرد سكان أورشليم ، وهذا نص ما ورد فيها بهـذا المعنى : « وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم الى هذا اليوم ..[٧٦] وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم الى هذا اليوم »[٧٧] ولعل المقصود بـ « الى هذا اليوم » الى ما بعد السبي البابلي وهو زمن تدوين التوراة . وأوضح دليل على أن أورشليم بقيت في أيدي سكانها الاصليين أن الملك داود لما أراد أن ينشيء الهيكل في القدس قام بشـراء قطعة الارض التي اختارها لهـذا الغرض من أصحابهـا اليوسيين[٧٨] . وليس هنـاك ما يشـير الى أي حـدث تاريخـي اضطـر سكان القدس غير الاسرائيليين (الموسويين) بسببه مغادرة مدينتهم إذ لم يصبهم شيء من تيارات التشـريد والتقتيل والسـبي التي أصابت الاسـرائيليين (الموسويين)[٧٩] . والدليل على احتفاظ سكان البلاد الاصليين بارضهـم انهم تمكنوا من اخضاع بني اسرائيل (الموسويين) لحكمهم قبيل وخلال عهد القضاة وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

أما المدن الفينيقية الكنعانية الاصل فقد حافظت على استقلالها السياسي لما كان لها من تحصينات قوية على الجبال الساحلية التي أقيمت عليها فلم تخضع الى الموسويين في أي دور من أدوارها ، كما أن الفلسطينيين قاوموا الموسويين مقاومة عنيفة ولم يستطع الموسويون اخضاعهم الا في فترات قصيرة . هذا من جهة الغرب ، أما من جهة الشرق فقد كانت أمارات أدوم ومـوآب وعمـون مستقلة في أكثر أدوار الموسويين التاريخية .

---

(٧٦) قض ١ : ١ ٢١ .

(٧٧) يش ١٥ : ٦٢ .

(٧٨) ٢ صم ٢٤ : ٢٤ ـ ٢٥ .

(٧٩) انظر الملحق الاول « أورشليم في أقدم عصورها » .

١١ ـ عهد الملوك

وتصف التوراة كيف طلب الموسويون من صموئيل آخر كبار القضاة أن يعيّن لهم ملكا أسوة بالممالك الكنعانية والفلسطينية فعيّن لهم الملك المنشود هو شاؤل[٨٠] • ولكن كان على الملك الرضوخ التام لأوامر يهوه المنقولة على أيدي الكهنة رجال الدين ولما أهمل الملك الرضوخ التام خذله الرب وأوقعه بيد أعدائه الفلسطينيين فاندحر أمامهم وقتل هو واولاده الثلاثة في المعركة • وكان حكم شاؤل قد استمر حوالي ١٥ سنة بين سنة ١٠٢٥ و ١٠١٠ ق•م•[٨١] ثم تقلد الحكم الملك داود خلفا لشاؤل فاستطاع هذا الملك على قول التوراة أن يخضع أكثر المدن الفلسطينية كما تمكن من اخضاع دويلات أدوم ومـوآب وعمون واستولى على مملكة صوبا الارامية الغنية بمناجم النحاس وأخضع ملكها هدد عزر بن رحوب وأخذ منها « نحاسا كثيرا جدا •»[٨٢] وقد اتخـذ داود أورشليم بعد استيلائه عليها من اليبوسيين عاصمة له وبنى فيها قصـره الملكي وأقام فيها معبدا للاله يهوه • وقد استمر حكم داود زهـاء ٤٠ سـنة بين سنة ١٠١٠ وسنة ٩٧١ ق•م• ، منها سـبع في حبرون والبـاقي في بيـت المقدس[٨٣] ؛ ثم انتقل الحكم الى الملك سليمان بن داود وهو الذي اشـتهر ببناء الهيكل في أورشليم •

أما الوصف الذي اعتاد الباحثون ترديده عن اتساع وامتداد حدود مملكة سليمان فيعدّه أكثر الباحثين من قبيل المبالغات التي درجت عليها دويلات تلك العصور • والحقيقة أن مملكة سليمان التي تبجّح اليهود بعظمتها كانت أشبه بحمية مصرية مرابطة على حدود مصر قائمة على حراب أسيادها الفراعنـة الذين كانوا أهم ما يهدفون اليه من وراء هذا الاسناد حماية حدودهم الشرقية من غارات الاقوام الطامعة بمصر وفي مقدمتهم الآشوريون • وكان سليمان يريد أن يجاري الفراعنة في البذخ والظهور بما هو فوق طاقاته وامكاناته الاقتصادية وذلك باغداقه في اقامة الابنية الشاهقة والقصور الفخمة ، فاثقل كاهل الشعب

---

(٨٠) ١ صم ٨ : ١ ـ ٥ ؛ ١٩ ـ ٢٠ •

(٨١) ١ صم ٣١ : ١ـ١٠ ؛ ١ أخ ١٠ : ١ـ١٠ ؛ ٢ صم ١ : ٦ـ١٠ •

(٨٢) ٢ صم ٨ : ٣ ـ ٨ •

(٨٣) ١ مل ٢ : ١٢ـ١١ ؛ ٢ صم ٥ : ٤ •

بكثرة الضرائب كما أثقل كاهل خزينته بالديون المتراكمة حتى اضطر أن يقدّم الى حيرام ملك صور عشرين مدينة في أرض الجليل مقابل الديون التي تراكمت عليه[٨٤] . ولما عسر على سليمان أن يحتل أرض الفلسطينيين الساحلية طلب معونة حميه فرعون مصر فارسل جيشا مصريا احتلها له وسلّمها اليه مهرا لابنته زوج سليمان[٨٥] .

ويعلّق المؤرخ المشهور « ويلز » (Wells) على التمادي في الخيال والمبالغات في تصوير اتساع حدود مملكتي داود وسليمان ، فيقول في ذلك : «ولا يستطيع أحد أن يزعم أن أرض الميعاد وقعت يوما بيد العبرانيين (اليهود) . ويلوح أن داود وضع نفسه فيحماية حيرام ملك صور فثبّتت هذه المحالفة الفينيقية ملكه . »[٨٦] ويرى الباحثون أن العوامل التي ساعدت على توطيد ملك داود وتهيئة الظروف الملائمة لبعض الاتساع هي « ان امور مصر في عهده كانت مرتبكة فخفّت هيمنتها على فلسطين وبلاد الشام ، وكانت أمور الدولة الآشورية مرتبكة كذلك ، وقد منح هذا لداود شيئا من حرية الحركة والنشاط والتبسط وممارسة السيادة . »[٨٧]

ويشرح «ويلز» كيف صوّر كتبة التوراة مملكة سليمان صورة تفوق الواقع بكثير قال : « من الخير ألا تغيب عن بالنا التقديرات النسبية للامور ، فسليمان لم يكن وهو في أوج مجده الا ملكا صغيرا يحكم مدينة صغيرة ، وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث أنه لم تنقض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى شيشنق أول فراعنة الاسرة الثانية والعشرين على أورشليم ، ونهب معظم ما فيها من كنوز ، ويقف كثير من النقاد موقف المستريب إزاء قصة مجد سليمان التي توردها أسفار الملوك والايام ، وهم يقولون ان الكبرياء القومي لدى كتاب متأخرين هو الذي دعاهم الى إضافة أشياء الى القصة والمبالغة

---

(٨٤) ١ مل ٩ : ١١ — ١٣ .

(٨٥) ١ مل ٩ : ١٦ .

(٨٦) « معالم تاريخ الانسانية » ، الترجمة العربية ، الكتاب الرابع ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٣ .

(٨٧) الدكتور شلبي ، « مقارنة الاديان » ، ص ٥٧ .

فيها .»[88]

ويقول « ويلز » في كتابه « معالم تاريخ الانسانية » إن سليمان تحالف مع حيرام ملك صور ، وطفق هذا يستخدم مملكة سليمان طريقاً عاماً يسلكه لينفذ بوساطته الى البحر الأحمر فيبني فيه السفن »[89] ويضيف « ويلز » معلقاً على اسلوب التوراة في تصوير مجد سليمان وفخامته : « إن قصة ملك سليمان وحكمته التي أوردها الكتاب المقدس تعرّضت لحشو وإضافات على نطاق واسع على يد كاتب متأخر كان مشغوفاً بالمبالغة في وصف رخاء عصر سليمان مولعاً بتمجيد حكمه . وقد استطاعت هذه الرواية أن تحمل العالم المسيحي بل الاسلامي على الاعتقاد بأن الملك سليمان كان من أشد الملوك عظمة وأبهة ، وقد أسهب سفر الملوك الأول في تصوير مجد سليمان وابهته وفخامته ، ولكن الحق أنه إذا قيست منشآت سليمان بمنشآت تحوطمس الثالث أو رعمسيس الثاني أو نبوخذنصر ، فان منشآت سليمان تبدو من التوافه الهينات ... ولم يتجاوز سليمان بالنسبة للملك التاجر حيرام منزلة المعاون له على تحقيق خططه ومشروعاته الواسعة النطاق ، فاما مملكته فهي رهينة تتجاذبها مصر وفينيقيا ، وترجع أهميتها في معظم أمرها الى ضعف مصر الموقوت[90] .

اما هيكل سليمان الذي تعدّه التوراة ممثلاً لأوج عظمة سليمان هو من صنع الفينيقيين الصوريين وقد بني على نمط المعابد الكنعانية ، كما أن قصر سليمان في أورشليم من صنع الفينيقيين أيضا (حتى ، « سورية » ، ص ٢٠٤) . وحتى تسمية « الهيكل » مأخوذة من كلمة « هيكال » الكنعانية (طه باقر ، « مقدمة ... » ٢ : ٢٨٩) .

ومما يذكر في هذا الصدد أن التوراة تشير الى أن سيطرة الملك داود امتدت الى نهر الفرات[91] ، ولاشك أن هذا الادعاء مستبعد جداً وهو يعد

---

(٨٨) الدكتور شلبي ، المصدر السابق ، نقلا عن كتاب ويلز « تاريخ العالم » ص ٩٣ .

(٨٩) « معالم تاريخ الانسانية » الكتاب الرابع ، ص ٢٨٤ .

(٩٠) المرجع السابق ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

(٩١) ٢ صم ٨ : ٣ ، ٨ ، ١٢ ؛ ١ أخ ١٨ : ٣ ـ ٨ .

من قبيل المبالغة والخيال شأنه شأن الاسهاب في وصف منشآت سليمان بمنتهى الضخامة والفخامة .

إن مصدرنا الوحيد عن أعمال داود وسليمان وعن دورهما السياسي والعمراني في فلسطين هو التوراة ، والتوراة وحدها ، إذ لم يعثر المنقبون على أي أثر من هذا الدور . والتوراة كما أسلفنا كتبت في وقت لاحق وكتب أكثرها في الأسر في المحيط البابلي السومري الذي اعتاد أهله وصف أعمال الآلهة الخارقة العادة على نمط الاساطير الخيالية للتأثير بها على نفوس الجماهير ، فقلد كتبة التوراة الأقوام الذين عايشوهم من العهد القديم في وصف عظمة داود وسليمان على طريقة كتابة الاساطير البابلية والسومرية والكنعانية في وصف خوارق آلهتهم التي الفوها ووقفوا عليها وكانت هي مستنداتهم ومصادرهم في كتابة التوراة ، فتأثروا بها كلياً كما نشاهدها في وصف الخوارق التي نسبت للشخصيات الأخرى الواردة في التوراة مثل شمشون وغيره من الشخصيات المقدسة . (انظر المستدرك رقم ٦) .

وهنا تستوقفنا نقطة أساسية لابد من إثارتها وشرحها ، وهي : هل كانت هناك في زمن داود وسليمان دولة اسرائيلية بمعنى يهودية حقاً ؟ . وهذا يسوقنا الى أن نسأل : ما هي اللغة والثقافة التي كانت سائدة في فلسطين في عصر داود وسليمان في القرن العاشر قبل الميلاد ؟..هل كانت لغة داود وسليمان عبرية بمعنى يهودية أوانذاك ؟ .. ان هذه المسألة محفوفة بالغموض الكثيف لعدم توافر أدلة محسوسة توضح لنا حقيقة الامر ، إذ لم يعثر حتى الآن على وثائق من هذا العصر على ما وصل اليه علمنا.لذلك ان معلوماتنا عنه مصدرها التوراة فقط الا أن القرائن كلها تدل بوضوح تام على ان هذه الدويلة التي تشكلت في زمن داود وسليمان لم تكن قد توفرت فيها المقومات القومية والثقافية ، اذ لم تكن لها لغة أو ثقافة أو حضارة خاصة بها ، بل كانت قائمة كلياً على تراث كنعاني بحت كما تؤيد لنا ذلك الحقائق التاريخية الآتية :

أولاً — إن الموسويين بعد دخولهم فلسطين في عهد موسى اقتبسوا اللغة الكنعانية لغة أهل البلاد وأخذوا بالثقافة الكنعانية وحضارتها ومن ضمن ذلك تقاليدها ودياناتها ، مما يدل على أن الثقافة الكنعانية كانت هي

السائدة في البلاد وان الموسويين في عهد القضاة والملوك كانوا فئة أقلية في البلاد •

ثانياً ــ إن اللهجة العبرية المقتبسة من الأرامية التي كتبت فيها توراة اليهود في الأسر لم تظهر الا في وقت متأخر ولم يكن لها وجود في عهد داود وسليمان •

ثالثا ــ إن الديانة اليهودية المقتبسة من الشرائع الكنعانية والبابلية لم تكتسب الكيان الواقعي الا بعد تدوين التوراة في وقت متأخر ، وبذلك يكون تدوين التوراة في الاسر في بابل في القرن السادس قبل الميلاد هو الذي يمثل بداية الديانة اليهودية ، لأن اللغة العبرية المقتبسة من الأرامية والتي كتبت بها التوراة لم تكن قد تكونت الا قبيل تدوين التوراة •

رابعا ــ لقد كانت في فلسطين عدا الكنعانية لغات وثقافات أصيلة أزدهرت قبل دخول الموسويين الى فلسطين مثل لغة الادوميين ولغات الموآبيين والعمونيين والاراميين فضلاً عن لهجات الفينيقيين • وكان لكل من هذه الاقوام ملوك وحكومات تتمتع بمقومات الكيان الحضاري المستقل • أما الموسويون فكانوا متأخرين وهم غرباء طارئون علىفلسطين لايملكون المقومات الاساسية لكيان حضاري مستقل خاص بهم • اذن فلا مفر والحالة هذه من قبول النظرية أن الكنعانية كانت هي اللغة السائدة في البلاد في ذلك العصر • أما المراسلات مع خارج فلسطين فاذا رجعنا الى العصور السابقة لعصر الموسويين نجد أن الملوك الكنعانيين كانوا يراسلون مصر باللغة البابلية وبالكتابة المسمارية كما هو ثابت من رسائل ملوك كنعان الى فراعنة مصر في القرن الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد المكتشفة فيتل العمارنة في مصر مما يدل على ان هذه اللغة كانت اللغة المتداولة في بلاد الشرق الادنى في ذلك الزمن • ولعل داود وسليمان قد سارا على هذا المنوال باستعمال اللغة البابلية في المراسلات وذلك قبل انتشار اللغة الارامية في الشرق الادنى والاوسط • ولكن لغة سليمان وداود في داخل البلاد هي اللغة الكنعانية التي اقتبسها الموسويون بعد دخولهم فلسطين ، لأن اللهجة العبرية التي دونت بها التوراة في وقت لاحق لم تكن قد تكونت بعد فيزمن داود وسليمان ، ومعنى ذلك ان كتاب « العهد القديم »

لم يكن قد ظهر الى عالم الوجود في ذلك الزمن • أما المزامير التي ترجع الى عهد داود وامثال سليمان فهي من أصل كنعاني وكانت تتلى في ذلك العهد باللغة الكنعانية وعلى الطريقة الدينية الكنعانية (حتى ، « تاريخ سورية » ، الطبعة الانكليزية ، ص٢٠٥ — ٢٠٦) • ثم ترجمها الكهنة اليهود الى العبرانية وعدت من الاسفار المقدسة في التوراة • ففي كل ذلك دليل واضح لا يرقى اليه الشك في أن فلسطين بقيت كنعانية في ثقافتها وحضارتها ولغتها في زمن داود وسليمان في القرن العاشر قبل الميلاد وان دويلة داود وسليمان لم تكن الا دويلة قائمة على تراث كنعاني بحت تمثل أقلية صغيرة بين دويلات عريقة في حضارتها السامية العربية تحيط بها من جميع أطرافها • (انظر المستدرك رقم ٧) •

ولقد سبق أن أشرنا في فصل سابق (الفصل الرابع « ملاحظات ختامية ») الى الاكتشاف الذي أذاعته محطة راديو لندن في شباط الماضي والى مراسلتي مع العلامة « مندنهل » المكتشف للمخطوطات القديمة ، ومن الاسئلة التي وجهتها الى هذا المستشرق : هل تعتبر دولة داود وسليمان في القرن العاشر قبل الميلاد عبرانية بمعنى يهودية قبل ان تكون اللهجة العبرية التي كتبت بها التوراة قد تكونت ، وهل كانت مقومات حضارية في عصر داود وسليمان غير الكنعانية فاجابني موكدا أن الكنعانية هي السائدة في ذلك العصر واضاف قوله : منذ عدة سنوات وانا متمسك بالرأي القائل أن (انبراطورية) داود وسليمان لم تكن الا دولة وثنية على نمط الدول الوثنية في الشرق الادنى ، وقد انتهت بالفوضى السياسية والدمار ، لانها كانت كسائر الدول الوثنية القديمة أكثر اهتماما بالقوة والمجد من التصرف بشكل يستجيب لرفاهية المواطنين أو الدول المجاورة• لقد كان هذا نبذا تاما لرسالة موسى النبوية فقاسوا ما كان لذلك من عواقب •»

وهذا نص الفقرة كما وردت بالانكليزية :

"4. I have maintained for many years now that the empire of David and Solomon was a typical ancient pagan near eastern state: it ended up in political chaos and destruction because it, like the other ancient pagan states, was much more concerned with power and glory than functioning in a way that was at all compatible with the well-being of the citizens or neighboring states. It was a thorough rejection of the prophetic message of Moses, and suffered the consequences ..."

وتؤكد التوراة بأن مملكة سليمان كانت وقتيـة آلت الى الـزوال ، فذكرت أن سليمان نقض العهد مع الاله يهوه وأهمـل وصاياه إذ ذهب وراء عبادة الأصنام وبناء مرتفعات لها ، فغضب الرب عليه : « وقال لسـليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فاني أمزّق المملكة عنك تمزيقاً ... » (١ مل ١١ : ١ ــ ١٣) .

١٢ ــ عهد الانقسام

تحدثنا التوراة عن الخلافات التي ظهرت بين الموسويين بعد موت سليمان سـ ة ٩٣١ ق.م. تمخض عنها قيام دولتين هزيلتين ، الاولى في الشمال باسم مملكة اسرائيل وعاصمتها السامرة (سبـسطية) والاخرى في الجنوب باسـم مملكة يهوذا عاصمتها أورشليم . وتولى الحكم في الاولى يربعام بن نباط ، كما تولى الحكم في يهوذا رحبعام بن سليمان[٩٢] . وكانت الحرب سجالاً بين المملكتين منذ البداية واستمرت طيلة وجودهما مما أضعف كلتيهما . هذا عدا الغزوات التي كانت المملكتان معرضتين لها من الخارج . فأول من غزا مملكة يهوذا شيشنق الاول ملك مصر (٩٢٦ ق . م .) « واخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شيء وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملهـا سليمان . »[٩٣] وفي زمن يهورام ملك يهوذا الرابع (٨٤٨ ــ ٤١ ٨ق.م.) انفصل بنو أدوم عن مملكة يهوذا وملكوا على أنفسهم ملكاً[٩٤] . وفي زمنه أيضاً صعد الفلسطينيون والعرب الذين بجانب الكوشيين الى يهوذا وافتتحوها فاستولوا على كل الاموال الموجودة في بيت الملك وسبوا ابناءه ونساءه أيضا ولم يبق الا أصغر بنيه[٩٥] . وفي زمن يوآش غزا الجيش الارامي أورشليم وأهلك كل الرؤساء وأخذ جميع الخزائن وقدّمها لحزائيل ملك الاراميين[٩٦] . وفي عهد أمصيا ملك يهوذا (٧٩٦ ــ ٧٦٧ ق.م.) هجم يهواش ملك اسرائيل على أورشليم فهدم سورها وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة

(٩٢) ١ مل ١١ : ٤٠ ؛ ١٢ : ٢ .
(٩٣) ١ مل ١٤ : ٢٥ ــ ٢٦ ؛ ٢ أخ ١٢ : ٢ ــ ٤ ، ٩ .
(٩٤) ٢ أخ ٢١ : ٨ ــ ٩ .
(٩٥) ٢ أخ ٢١ : ١٦ ــ ١٧ .
(٩٦) ٢ أخ ٢٤ : ٢٣ ؛ ٢ مل ١٢ : ١٧ ــ ١٨ .

في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك[97] ، وفي عهد أزدهار مملكة دمشق الارامية اصبحت كلتا المملكتين ، اسرائيل ويهوذا ، تحت سيطرتها ، فأخذ الملك ابن هداد (بنهدد) ملك دمشق (٨٧٩ ـ ٨٤٣ ق٠م٠) الجزية من يهوذا وضم منطقة جلعاد في شرقي الاردن الى المملكة الارامية ، كما أنه فرض الحماية الارامية والجزية على اسرائيل في عهد ملكها آخاب بن عومري (٨٧٤ ـ ٨٥٣



التصوير رقم ٥٧

مسلة النصر للفرعون الليبي شيشونق الاول مؤسس السلالة الثانية والعشرين عثرت عليها بعثة نابوليون سنة ١٧٩٩ في معبد الكرنك يشاهد فيها الآله « امون » شاهرا بيده اليسرى حربة وماسكا بيده اليمنى حبلا تتجمع عنده حبال ربط فيها ١٥٦ اسيرا من اسرى بلاد يهوذا يمثل كل منهم بلدا او مدينة او قرية (عن كيللر « التوراة كتاريخ » ، ص ٢٢٤) ٠

(٩٧) ٢ مل ١٤ : ١١ ـ ١٤ ؛ ٢ أخ ٢٥ : ٢١ ـ ٢٤ ٠

ق • م •) • وكان الاراميون يستغلون الخلاف بين اسرائيل ويهوذا لاخضاع كليهما الى نفوذهم • ثم تحركت الانبراطورية الاشورية متعطشة للفتح ، فاصطدمت أول ما اصطدمت بالاراميين ، وبدأ الصراع بينهما على السيطرة ، فاستغل الآشوريون الصراع القائم بين الاراميين وبين اسرائيل ويهوذا للانقضاض عليهم جميعاً فاخضعوهم كلهم أخيرا الواحد بعد الآخر •



التصوير رقم ٥٨

اسرى من يهوذا اخذهم شيشنوتق الاول فى حملته عن مملكة يهوذا سنة ٩٢٦ ق•م• وجدت بين النقوش المصرية فى معبد الكرنك ايضا (عن كتاب « قصة التوراة » ص ٥٦٠ •

١٣ ـ الغزو لآشوري وازالة اسرائيل من الوجود •

لقد كان لقيام الانبراطورية الآشورية التي دامت بين سنة ٩١١ و ٦٢٦ ق • م • أثرها في تغيير وجه الشرق ، فقد حكم خلال هذه الفترة خمسة عشر ملكا بلغت الانبراطورية في عهد بعضهم أوج عظمتها واتساعها بحيث ضمت جميع أراضي الهلال الخصيب ومن ضمنها مصر • وقد لعبت دورا رئيسا في القضاء على مملكة اسرائيل نهائيا وسبي سكانها اليهود الى أماكن بعيدة وحل

سكان من غير اليهود محلهم من مختلف أنحاء الانبراطورية ثم تحطيم مملكة يهوذا • فقد تمكن شيلمنصر الثالث (٨٥٩ ــ ٨٢٤ ق•م•) من اخضاع الارامين والفينيقيين واسرائيل ، وفي مسلة شيلمنصر الثالث المشهورة التي عثر عليها بين أنقاض كالح (نمرود) تشاهد عدة صور لحملات شلمنصر على البلاد التي فتحها مع كتابات تحت الصور تشرح ما يمثله كل منها • وتتكوّن هذه المسلّة من الحجر الاسود عليها خمسة حقول متسلسلة كل منها مكرر أربع مرات في أربعة اطراف المسلّة • ففي الاول من الجهة العليا يشاهد شلمنصر نفسه يتلقى الجزية من « شوعة » ملك « جلزام » وفي الثاني يتلقى الجزية من « يهو » ملك اسرائيل في أرض عومري • ويرى الملكان ساجدين يقبلان الارض عند أقدام شلمنصر • وفي الحقول الثلاثة التالية ترى الغنائم والجزية من بلاد « موسري » و « سوخو » و « پاتن » على التوالي • وبذلك يبلغ مجموع عدد الصور في المسلة عشرين صورة (انظر التصوير رقم ٥٩) •

ومن الحملات التي شنّها ملوك الانبراطورية الآشورية حملة « تجلاث بلاشر الثالث » على مملكة أرام فاستولى على عاصمتها دمشق سنة ٧٣٢ ق•م• وسبى أهلها وقتل ملكها « رصين » ، ثم توجه الى اسرائيل فاستولى في زمن « فقح » ملك اسرائيل (٧٣٩ ــ ٧٣١ ق•م•) على كل أرضين اسرائيل وسبى اليهود الى آشور واحل محلهم سكان من أقاليم أخرى ، تاركا لخلف فقح الملك هوشع مدينة السامرة[٩٨] • وقد قام تجلاث بلاشر بهذه الحملة استجابة الى طلب آحاز بن يوثام ملك يهوذا (٧٣٥ ــ ٧١٥ ق•م•) من تجلاث بلاشر انقاذه من ضغط الملك رصين ملك دمشق والملك فقح ملك اسرائيل وقدم الى ملك آشور كميات كبيرة من الفضة والذهب « الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك • »[٩٩] وقد عثر على مسلة آشورية نقش عليها شرح كامل لحملة

---

(٩٨) جاء في كتابات تجلاث بلاشر الثالث ما هذا نصه : « قمت بضم جميع مدن بيت عومري في حملاتي السابقة ولم اترك سوى مدينة السامرة ••• اخذت نفتالي باسرها وضممتها الى آشور وعهدت برجالي حكاما عليها • وجميع سكان أرض بيت عومري وممتلكاتهم حملت الى آشور » • وقد ورد مثل ذلك في التوراة (٢ مل ١٥ : ٢٩ ؛ ١ أخ ٥ : ٢٦) • انظر :
Keller, "The Bible as History, "p. 241.

(٩٩) ٢ مل ١٦ : ٧ ــ ٩ •

تجلاث بلاشر هذه على بلاد أرام وعلى اسرائيل ٠

ثم جرّد شيلمنصر الخامس ، خلف تجلاث بلاشر ، حملة تأديبية على اسرائيل فحاصر عاصمتها السامرة مدة ثلاث سنوات وقبل أن يظفر بالنصر



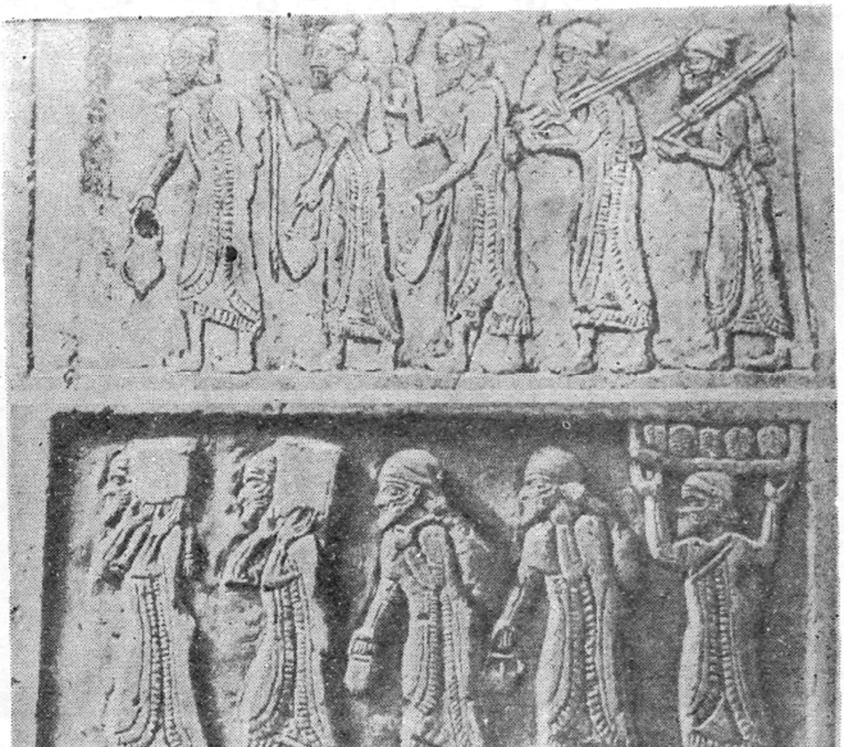
التصوير رقم ٥٩

الحقول الاربعة الاولى من مسلة الملك شلمنصر الثالث

(٨٥٩ – ٨٢٤ ق٠م٠) ٠

النهائي وافته المنيّة في الشهر العاشر من عام ٧٢٢ ق٠م٠، ولكن القائد الآشوري أتم مهمته باحتلال السامرة في نهاية العام على عهد سرجون الثاني ، خلف شيلمنصر ، وبذلك تم استسلام السامرة والقضاء على مملكة اسرائيل

نهائيا (١٠٠) . وتبعا للخطة التي سار عليها تجلات بلاشر الثالث أجلى سرجون الثاني ٢٧٫٢٨٠ شخصا من اليهود الى ناحية حران والى ضفة الخابور وميديا وقد أحل محلهم الارامبين من اقليم حماة ، ثم لحق بهم العرب هناك في عـام ٧١٥ ق.م. وكذا بعض الاهلين من كوثا وبابل سنة ٧٠٩ ق.م.(١٠١) . وقد عثر الخبير الاثاري بوتا سنة ١٨٤٣ بين أطلال مدينة « سمأل » (زنجرلي) عاصمة الارامبين في شمال غربي سورية على مسلّة سرجون الثاني نقشت عليها باللغة



التصوير رقم ٦٠

حقلان من حقول مسلة شلمنصر الثالث يشاهد فيهما حملـة الهدايا التى بعث بهـا « ياهو » ملك اسرائيل الى شلمنصر الثالث .

(١٠٠) ٢ مل ١٨ : ٩ ـ ١١ ؛ ١٧ : ٦ .

(١٠١) ديلابورت « بلاد ما بين النهرين » الترجمة العربية ، ص ٣٠٩ .

الآشورية وبالخط المسماري تفاصيل الحملة الآشورية على اسرائيل التي انتهت بالقضاء عليها وحمل اليهود الى الاسر ٠

وبذا كانت نهاية مملكة اسرائيل وبقيت مملكة يهوذا الصغيرة تنتظر دورها وهي تتارجح في مهب الرياح بين رحمة حكومة مصر من الغرب ودولة آشور من الشرق ، فاذا انحازت للاولى غضبت عليها الثانية ، واذا انضمت الى الثانية أغاظت الأولى ٠ ولما انحاز حزقيا ملك يهوذا الى مصر غضب سنحاريب الذي خلف سرجون فصمّم على القيام بحملة قوية على مملكة يهوذا لاخضاعها أو



التصوير رقم ٦١

اسرى امام الملك سرجون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق٠م٠) يجذبهم اليه بحبل نفذ من خلال السنتهم ويقور اعينهم برمحه ٠

تدميرها والقضاء عليها كما فعل أسلافه باسرائيل ٠ فهب حزقيا وأرسل وفدا الى مصر مستنجدا بملكها فوعده المصريون بمدّه بالعون ، فانتقده أشعيا على اعتماده على ملك مصر بدلا من اعتماده على الرب بقوله : « ويل للذين ينزلون الى مصر للمعونة ويستندون على الخيل ويتوكلون على المركبات لأنها كثيرة

وعلى الفرسان لانهم أقوياء جدا ولا ينظرون الى قدوس اسرائيل ولا يطلبون الرب • »[١٠٢]

ولدينا مصدران عن أخبار حملة سنحاريب هذه على مملكة يهوذا: الأولى ، كتابات سنحاريب نفسه وقد نقشت على جدران قصره في نينوى الى جانب صورته وهو جالس على عرشه في مقر عملياته الحربية في لخيش وقد ظهر وفد من يهوذا يقدمون الجزية وفروض الطاعة • ويظهر مما ورد في هذه المدونات أن سنحاريب اتجه غربا حتى وصل الى ساحل البحر المتوسط فاستولى على صيدون (صيدا) بعد فرار ملكها « لولي » دون ان يتحرش ببلدة صور لموقعها المنيع على الجزيرة • ثم جاءه تاييد الطاعة مع الهدايا من مدن الساحل من أرواد وبيبلوس (جبيل) وأشدود وكذلك من دول الشرق من موآب وعمون وأدوم• وقد بعثت مصر بجيش من المصريين والاثيوبيين فاستولوا اولا على « أشقلون » (عسقلان) ثم اتجهوا شمالا للاتصال بقوات حزقيا ملك يهوذا الا أن سنحاريب قابلهم وانتصر عليهم ، ثم توجه الى عقرون فهدمها وأخذ يحتل مدن يهوذا الواحدة بعد الاخرى وقد اتخذ مقره في لخيش ومنها بعث بجيش أقام الحصار على أورشليم العاصمة[١٠٣] • وفيما يلي نص كتابة سنحاريب يصف فيها انتصاراته على يهوذا فيقول : « أما حزقيا اليهودي فلم يرضخ لسلطتي فحاصرت ٤٦ مدينة من مدنه المحصنة عدا القرى المجاورة التي لايحصى عددها واستوليت عليها كلها باستخدام أنواع الالات الحربية والمنجنيقات مما ساعدنا على الاقتراب من الاسوار واختراقها • وقد أخذنا منهم (اليهود) ٢٠٠ر١٥٠ نسمة رجالا ونساءً ، أطفالا وشيوخا ، مع حيواناتهم من الخيول والبغال والحمير والجمال ، كبيرة وصغيرة ، لا تحصى ، وهذه كلها غنائم استولينا عليها • هو شخصه (حزقيا) جعلته حبيساً في أورشليم في قصره كالطير في القفص وحطته باكوام الأتربة للتضييق على من يحاول الخروج من باب المدينة• سلمت مدنه التي استوليت عليها الى « ميتيني » ملك أشدود و « پادي » ملك عقرون و «سيليبل» ملك غزة • وهكذا قلصت حدود بلاده وفرضت زيادة في الجزية

---

(١٠٢) اش ٣٠ : ١ ـ ٧ ؛ ٣١ : ١ •

(١٠٣) R. W. Rogers, "Cuneiform Parallels to The Old Test., N.Y. 1912, pp. 340-348.

التي عليه أن يدفعوا سنويا .»(١٠٤)

اما المصدر الثاني فهو رواية التوراة وقد جاءت هذه الرواية مشوشة غير واضحة فمرة تقول : « صعد سنحاريب ملك آشور على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها وأرسل ملك يهوذا الى ملك آشور الى لخيش يقول قد



التصوير رقم ٦٢

الملك سنحاريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق.م.) جالس على عرشه في « لخيش » التي اتخذها مقرا له في حملته على يهوذا سنة ٧٠١ ق.م.

اخطأت ، أرجع عني ومهما جعلت عليَّ حملته ، فوضع ملك آشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب . فدفع حزقيا

(١٠٤) J. Pritchard, "Archaeology and the Old Testament", Princeton 1958, p. 157.

جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك »[١٠٥] • ثم تعود التوراة في رواية ثانية تقول إن ملك آشور « أرسل من لخيش الى الملك حزقيا بجيش عظيم الى أورشليم فصعدوا وأتوا الى أورشليم ••• وان ملاك الرب خرج وضرب من جيش آشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفاً ، ولما بكروا صباحاً اذا هم جثث ميتة فانصرف سنحاريب ملك آشور وذهب راجعاً وأقام في نينوى »[١٠٦] •

نستخلص من المصدرين الامور التالية التي تتفق فيها الروايتان :

أولا ـ ان حزقيا طلب العون من مصر فعلاً استنادا الى انتقاد أشعيا لملك حزقيا على طلبه العون من مصر •

ثانياً ـ استيلاء سنحاريب على جميع مدن يهوذا المحصّنة •

ثالثاً ـ ان سنحاريب اتخذ من لخيش مركزا لعملياته الحربية في فلسطين •

رابعاً ـ ان الحصار على اورشليم وقع فعلاً ثم فك الحصار •

خامساً ـ تسلّم سنحاريب الجزية من حزقيا •

امّا الخلاف فينحصر في الأمور التالية :

أولاً ـ ان التوراة في الوقت الذي تعترف ضمناً بطلب العون من مصر الاّ أنها لم تشر الى المعركة التي تذكرها كتابات سنحاريب بين جيشي آشور ومصر وتغلب الأول على الثاني •

ثانياً ـ ان التوراة تعترف باستيلاء سنحاريب على جميع مدن يهوذا الاّ أنها سكتت عن الغنائم والأسرى الذين سباهم سنحاريب ؛ وقد سكتت التوراة أيضاً عن تسليم المدن التي استولى عليها سنحاريب الى ملوك اشدود وعقرون وغزة •

وقد حدّدت التوراة تاريخ حملة سنحاريب على يهوذا في السنة الرابعة

---

(١٠٥) ٢ مل ١٨ : ١٣ ـ ١٥ •

(١٠٦) ٢ مل ١٨ : ١٧ ؛ ١٩ : ٢٥ ـ ٢٦ •

عشرة للملك حزقيا ولما كان حزقيا ارتقى العرش في سنة ٧١٥ ق٠م٠ فيقع زمن حملته في سنة ٧٠١ ق٠م٠ وهذا يتفق مع التاريخ الذي توصّل اليه المحققون من المصادر الأخرى ٠ ومع أن مدينة أورشليم لم تسقط الا أن الجيش الآشوري ترك البلاد خراباً ولم يستطع ملك يهوذا الاحتفاظ بعرشه الا بعد دفع الجزية واعترافه بسيادة الآشوريين وظل الأمر كذلك حتى انهيار الدولة الآشورية[١٠٧] ٠



التصوير رقم ٦٣

اسرى موسيقيون من اليهود اخذهم الآشوريون في حملتهم على يهوذا

(١٠٧) انظر بحث الآشوريين في الفصل الاول ٠

وأثبت دليل على أن تسمية اسرائيل وبني اسرائيل للدلالة على أتباع موسى واليهود هي من ابتداع كتبة التوراة في وقت متاخر وان دور موسى واليهود لا يمت بأية صلة باسرائيل ، أن مصطلح بني اسرائيل لم يرد في الكتابات الآشورية ، مع أنه كانت حروب متواصلة بين الآشوريين وبين ما سمّي في التوراة بـ « مملكة اسرائيل » وقد أفاض الملوك الآشوريون في وصف هذه الحروب من غير أن ترد أية اشارة الى مملكة اسرائيل • فقد سمّى الآشوريون مملكة اسرائيل الوارد ذكرها في التوراة « بيت عومري » في كتاباتهم ، ولو كانت جماعة اليهود تسمّى بـ « اسرائيل » في ذلك العصر لذكرها الآشوريون بهذه التسمية • ففي مسلة شلمنصر الثالث (٨٥٨ ــ ٨٢٤ ق•م) ورد اسم « يهو » الذي أطلقت عليه التوراة عنوان « ملك اسرائيل » مقرونا بـ « بيت عومري » وكذلك استعمل الملك تجلات بلاسر الثالث اصطلاح « بيت عومري » في وصفه لحملته على فلسطين للدلالة على « اسرائيل التوراة » ، فقال : « قمت بضم جميع مدن بيت عومري ••• وجميع سكان أرض بيت عومري وممتلكاتهم الخ ••• » وهذا ما يدل على ان التوراة قد انفردت في تسمية مملكة اسرائيل للدلالة على اليهود بعد تدوينها في وقت لاحق يلي العهد الآشوري ، وذلك بغية ربط صلة اليهود باسرائيل وبجده ابراهيم الخليل للاسباب التي شرحناها فيما تقدم • هذا مع العلم ان كلمة « اسرائيل » وردت في الكتابات المصرية التي ترجع الى ما قبل عصر موسى واليهود ، للدلالة على منطقة كنعانية بهذا الاسم ، لذلك فمن الارجح أن نسبة شلمنصر الثالث لاخاب (الى اسرائيل) هي نسبة الى منطقة اسرائيل الكنعانية في فلسطين وليست نسبة الى شخص اسرائيل (يعقوب) •

١٤ ــ الغزو الكلداني وازالة مملكة يهوذا

وبعد انقراض الدولة الآشورية بسقوط نينوى سنة ٦١٢ ق•م•[١٠٨] اقتسم الماذيون والكلدانيون ممتلكاتها فوقعت حصة الكلدانيين في سورية والعراق ، وتأسست على أثر ذلك الدولة البابلية الكلدانية التي دام حكمها ٧٣ سنة بين سنة ٦١٢ و ٥٣٩ ق•م•[١٠٩] • والذي يهمنا من حكم هذه الدولة قضاؤها

(١٠٨) انظر ما تقدم عن نهاية الدولة الاشورية في الفصل الاول •

(١٠٩) انظر ما تقدم عن الكلدانيين في الفصل الاول •

على مملكة يهوذا وسبي اليهود الى بلاد بابل ، وقد أنجزت هذه العملية على عهد «نبوخذ نصر الثاني» ، وهو أعظم ملوك هذه الدولة، حكم البلاد ٤٣ سنة بين سنة ٦٠٥ ، ٥٦٢ ق٠م٠ وذلك في حملتين الأولى في سنة ٥٩٧ ق٠م والثانية في سنة ٥٨٦ ق٠م٠ وأهم مصادرنا عن ذلك التوراة ، لأن أكثر كتابات هذا الملك تنحصر فيما سجّله من مدونات في وصف مشاريعه العمرانية • فتشير التوراة الى أن الملك « يهوياقيم » ملك يهوذا (٦٠٨ — ٥٩٧ ق٠م٠) تمرّد على « نبوخذنصر » على الرغم من تحذير النبي « إرميا » له ، وذلك بعد أن أظهر طاعته وخضوعه الى العاهل الكلداني مدة ثلاث سنوات • ثم تضيف التوراة أن « نبوخذنصر » أوعز في باديء الأمر الى السوريين (الأراميين) والموآبيين والعمونيين أن يغزوا مملكة يهوذا حيث كانت كل هذه الدويلات من النيل الى نهر الفرات تحت قبضته[١١٠] • ثم شنّ « نبوخذنصر » بعد ذلك (سنة ٥٩٧ ق٠م٠) حملة على «يهوياقيم» فحاصر أورشليم ، واثناء هذا الحصار توفي « يهوياقيم» وخلفه ابنه « يهوياكين » الذي اضطر الى الاستسلام • فسبى « نبوخذنصر » كل يهود أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف صبي وجميع الصناع والأقيان ، لم يبق أحد الا مساكين شعب الأرض كما سبى « يهوياكين » وامّه ونساءه ورجاله من أورشليم الى بابل • وأخرج « نبوخذنصر » جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وكسّر كل آنية الذهب ، ثم عين « صدقيا » عم « يهوياكين » خلفاً ليهوياكين الذي أكد ولاءه للملك الفاتح[١١١] • وقد تم اسكان المسبيين وعوائلهم في منطقة تدعى « نهر الخابور » قرب نيبور (نفر)[١١٢] • وهذا كان خلاف عادة الآشوريين الذين كانوا يشتّتون أسراهم في مكانات مختلفة وبعيدة لمنعهم من التكتل والتجمع وممارسة تقاليدهم وثقافتهم ، فمكن ذلك اليهود من التجمع في المنفى والاستمرار في ممارسة تقاليدهم وتكوين مجتمعهم المنعزل الخاص بهم •

(١١٠) ٢ مل ٢٤ : ١ — ٦ •

(١١١) ٢ مل ٢٤ : ٩ — ١٧ •

(١١٢) أن اسم « نهر الخابور » يشمل غير اسم واحد ، فهناك نهر الخابور فى شمال الفرات ونهر الخابور فى شمال نهر دجلة ، لذلك ان المقصود هنا هو غير هذين النهرين •

كان هذا السبي الأول ثم تبعه السبي الثاني سنة ٥٨٦ ق٠م٠ ، وهـذا وقع على أثر نقض « صدقيا » لعهد الولاء الى « نبوخذنصر » إذ دخـل في حوالي سنة ٥٨٩ ق٠م٠ في تحالف مع المدن السورية والفلسطينية بتحريض من « حوفرا » ملك مصر (خلف نيخو الثاني) الذي كان يطمح أن يستعيد سيطرة مصر على سورية ٠ وهكذا فقد وضع « صدقيا » مصيره مـع مصر وحلفائها على رغم محاولة إرميا ابعاده عن هذا الحلف الذي كان موجهـاً ضمناً ضد « نبوخذنصر » ، فغضب « نبوخذنصر » غضباً شديداً وجاء هذه المرة بنفسه على رأس حملة قوية الى سورية الشمالية وعسكر في ربلا على نهر العاصي ، وكان ذلك سنة ٥٨٧ ق٠م٠ ، فارسل « نبوخذنصر » من حاصر أورشليم ، الا ان دخول « حوفرا » ملك مصر الى فلسطين اضطر البابليين الى رفع الحصار لمحاربته ، فظن اليهـود أن النصر بات حليفهم ، ولـكن النبي إرميا حذّرهم وابان لهم بأنهم يخدعون أنفسهم بهذا النصر لانه وقتي فوضعوه في السجن[١١٣] ٠ ووقع كما تنبأ إرميا فعلا فقد تمكن البابليون من صد المصريين وارجاعهم على أعقابهم ، ثم اعادوا بسط الحصار على أورشليم في الحال ، ولم يمض وقت طويل حتى تفشت المجاعة وربما الوباء في المدينة مما اضطر اليهود أن يرضخوا ويستسلموا ، فدخلت الجيوش البابلية المدينة في اليوم الرابع من شهر تموز سنة ٥٨٦ ق٠م٠ أما صدقيا فهرب هو وأفـراد عائلته ولكن البابليين لحقوا بـه في سهول أريحا حيث قبضوا عليه وحملوه الى « ربلة » حيث مقر معسكر الملك نبوخذنصر ، وهناك ذبح أولاده أمام عينيه ثم فقئت عيناه وأخذ مكبلا مع الأسرى الى بابل ٠ امّا أورشليم فخربت ودمرت تدميراً كاملا فاحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء وسلبت الخزائن ونقلت الى بابل ، وقد خمن عدد الأسـرى الذين سيقوا الى بابل ليلتحقوا باليهود من السبي الأول بحـوالي ٥٠٫٠٠٠ شخص ٠ ثم وجه « نبوخذنصر » بعد ذلك جيشه الى المـدن الفينيقيـة والسورية فأخضعها الا مدينة صور فقد تعذر فتحها لكونها جزيرة في البحر ، فدام حصارها ١٣ سنة (٥٨٥ ـ ٥٧٣ ق٠م٠) ولم ينته الا بعقد صلح قبلت صور بموجبه تجديد ولائها لبابل ودفع الجزية[١١٤] ٠

---

(١١٣) ارميا ٣٨ : ٢ ٠

(١١٤) Rogers, "Cuneiform Parallels," pp. 360-363.

وهكذا قضي على مملكتي اسرائيل ويهوذا الهزيلتين ، فكان عدد الملوك الذين حكموا في كل منهما عشرين ملكاً ، فدام حكم اسرائيل ٢٠٩ سنوات وذلك بين سنة ٩٣١ ق٠م٠ و ٧٢٤ ق٠م٠ وقد دام حكم يهوذا ٣٤٥ سنة وذلك بين سنة ٩٣١ و ٥٨٦ ق٠م٠

وبعد تخريب نبوخذنصر لبيت المقدس وسبي بني يهوذا الى بابل ورث الأدوميون ديار يهوذا الجنوبية من الخليل الى بئر السبع فشرقاً الى وادي عربة حيث يتصل بتخوم أدوم ٠ ومن الأدوميين الذين حكموا فلسطين في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد هيرودس الكبير (٣٧ ــ ٤ ق٠م٠)، ثم بعده أبناؤه أرخيلاوس وأنتيپاس وفيليب ٠ والأدوميون كانوا عرباً مواطنهم على حدود الصحراء الشرقية في جنوبي فلسطين وهم من نسل عيسو كما تقول التوراة ٠

١٥ ــ الموسويون بين الوثنية والتوحيد

قلنا في الفصل السابق إن الموسويين أخذوا بالحضارة الكنعانية واقتبسوا لغة الكنعانيين وتقاليدهم وثقافتهم ولم يستطيعوا التخلص من تأثير الكنعانيين حتى على دياناتهم ، فاذا استعرضنا تسلسل الحوادث التي دوّنتها التوراة ذاتها نجد أن تاريخ اليهود منذ عهد موسى حتى زمن السبي يتميز في صراع متواصل لفترة سبعمائة عام ــ صراع بين التوحيد والوثنية ٠ فمنذ عهد موسى وهو لم يزل حياً عاد اتباعه يعبدون العجل ويرقصون حوله وزاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصاهم به الله[١١٥] ٠ وتروي التوراة كيف غضب موسى عندما أبصر العجل والرقص حوله فطرح لوحي التوراة من يديه وكسرهما في أسفل الجبل[١١٦] ، ثم عاد كتابة لوحين آخرين مثل الأولين[١١٧] وخاطب الشعب قائلا : « أنا عارف تمرّدكم ٠٠٠ هو ذا وأنا بعدُ حيٌّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي ٠٠٠ لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر في

(١١٥) خر ٣٢: ٨ ٠

(١١٦) خر ٣٢ : ١٩ ــ ٢٠ ٠

(١١٧) خر ٣٤ : ١ ؛ تث ١٠ : ١ ــ ٢ ٠

آخر الأيام »[118] . وفي هذا دليل واضح على عدم اعتماد النبي موسى على بني قومه فقد تنبأ قبل موته بأنهم سوف ينصرفون عن الوصايا العشر التي أوصاهم بها الله .

والظاهر ان الموسويين عبدوا الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ (القضاة) على ما ذكرته التوراة[119] ، الا أنهم عادوا بعد ذلك « فعبدوا البعليم وتركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت » بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها[120] ، فسلّط عليهم الرب كوشان رشعتايم ملك أرام النهرين[121]، وفي زمن عجلون ملك مؤآب عاد الموسويون وعبدوا آلهة الوثنيين[122] وكذلك عبدوا الأوثان في عهد يابين ملك كنعان الذي ملك في حاصور[123] ، ثم عادوا فزنوا وراء البعليم وجعلوا لهم بعل بريث الها[124] ، ورجعوا فعبدوا آلهة أرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين[125] .

وتزعم التوراة أن الملك سليمان ذاته (٩٦٠ ــ ٩٢٥ ق.م.) انحرف وأشرك بالله إذ « أحب نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل (الموسويين) لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فامالت نساؤه قلبه ، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه ... حينئذٍ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس

---

(١١٨) تث ٣١ : ٢٧ ــ ٣٠ .

(١١٩) يش ٢٤ : ٣١ ؛ قض ٢ : ٧ .

(١٢٠) قض ٢ : ١١ــ١٣ ، ١٧ ؛ ٣ : ٥ــ٧ .

(١٢١) قض ٣ : ٨ .

(١٢٢) قض ٣ : ١٢ ــ ١٣ .

(١٢٣) قض ٤ : ١ .

(١٢٤) قض ٨ : ٣٣ .

(١٢٥) قض ١٠ : ٦ ؛ ١٣ : ١ .

الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عمون ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كُنَّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن »[١٢٦] . والظاهر ان هذه المرتفعات التي بناها سليمان قبالة أورشليم بقيت قائمة تعبد فيها الأصنام حتى هدمها يوشيا ملك يهوذا (٦٣٩ ـ ٦٠٨ ق٠م٠) وبذلك تكون قد بقيت قائمة أكثر من ٣٥٠ عاما[١٢٧] .

وتزعم التوراة كذلك ان يربعام الأول أول ملك على اسرائيل بعد الانقسام (٩٣١ ـ ٩٠٩ ق٠م٠) أقام عجلين ذهبيين ووضع واحداً في « بيت ايل » وجعل الآخر في « دان » ، وبنى بيت المرتفعات وصيّر كهنة من أطراف الشعب لم يكونوا من بني لاوي وأخذ يذبح للعجلين . وهذا هو الذي حمل النبي هوشع على أن يسمّي « بيت ايل » بيت عجول آون أي بيت الأصنام[١٢٨] . والظاهر ان يربعام خشي أن ترجع المملكة الى بيت داود فيرجع قلب الشعب الى سيدهم رحبعام ملك يهوذا اذا صعد الشعب ليقربوا ذبائح في بيت الرب في أورشليم[١٢٩] فرجع هو ورعاياه الى عبادة الاصنام .

وكانت السامرة أيضاً مركزاً لعبادة الأصنام ، ففي عهد آخاب بن عُمري سابع ملوك اسرائيل (٨٧٣ ـ ٨٥٣ ق٠م٠) أقيم معبد للبعل في السامرة وعبده آخاب وسجد له[١٣٠] . وقد تبعه في ذلك خلفه الملك أخزيا فمشى على تلك السيرة مع أنه أزال هيكل البعل الذي أقامه أبوه آخاب[١٣١] . ولما اعتلى العرش الملك ياهو (٨٤١ ـ ٨١٣ ق٠م٠) أحرق هيكل البعل وذبح كهنته[١٣٢] .

ولم يكن ملوك اسرائيل قد انفردوا في الوثنية والاشراك بالله ، فقد سار رحبعام أول ملك على يهوذا (٩٣١ ـ ٩١٣ ق٠م٠) بعد الانقسام على

---

(١٢٦) ١ مل ١١ : ١ ـ ٨ .
(١٢٧) ٢ مل ٢٣ : ١٣ ـ ١٤ .
(١٢٨) هوشع ١٠ : ٥ ، ٨ .
(١٢٩) ١ مل ١٢ : ٢٥ ـ ٢٩ .
(١٣٠) ١ مل ١٦ : ٣٠ ـ ٣٣ .
(١٣١) ٢ مل ٣ : ١ ـ ٢ .
(١٣٢) ٢ مل ١٠ : ١٨ ـ ٣٠ .

نفس السيرة التي اتبعها أول ملك لاسرائيل ، إذ « ترك شريعة الرب هو وكل اسرائيل معه »[١٣٣] ، كما أن الملك آحاز (٧٣٥ ــ ٧١٥ ق٠م٠) « سـار في طريق ملوك اسرائيل وعمل أيضاً تماثيل مسبوكة للبعليم وأوقد في وادي ابن هنّوم[١٣٤] وأحرق بنيه بالنار حسب رجاسات الامم الذين طردهم الرب من أمام بني اسرائيل »[١٣٥] ، وسار على هذه السيرة أيضا الملك منسّى (٦٨٦ ــ ٦٤١ ق٠م٠) فاقام مذابح للبعليم وعمل سواري وسجد لكل جند السـماء وعبدها ٠٠٠ وعبّربنيه في النار في وادي ابن هنو ّم ٠٠٠ ووضع تمثال الشكل الذي عمله في بيت الله الذي قال الله عنه لداود ولسليمان ابنه في هذا البيت وفي أورشليم التي اخترت من جميع أسـباط اسـرائيل أضع اسـمي الى الأبد »[١٣٦] ٠

والظاهر من مطاويء التوراة أن عبادة بني اسـرائيل (الموسـويين) للأوثان استمرت بعد الانقسام حتى تحققت نبوءة رجل الرب ليربعام ، فحكم يوشيا سنة ٦٣٩ ق٠م٠ في يهوذا وهو من بيت داود كما جاء في النبوءة ، فهدم جميع المذابح والمعابد التي كانت قد أقيمت في اسرائيل وفي يهوذا وأحرقهـا وخرب أصنامها وهياكلها وحطم جميع بيوت المرتفعات الوثنية وذبح كهنتها ٠ ومن ضمن هذه المرتفعات المرتفعات التي قبالة أورشليم التي بناها سليمان ملك اسرائيل لعشتروت ولكموش ولملكون آلهة الصيدونيين والموآبيـين والعمونيين ، كما هدم المذابح التي عملها ملوك يهوذا في بيت الرب وأخـرج السارية من بيت الرب خارج أورشليم الى وادي قدرون[١٣٧] وأحرقهـا في

---

(١٣٣) ٢ أح ١٢ : ١ ــ ٢ ٠

(١٣٤) يقع هذا الوادي جنوبي أورشليم وغربيها يسمى الآن بوادي ربابة ويسمى في التوراة « وادي هنوم » (يش ١٥ : ٨ ونح ١١ : ٣٠) ووادي ابن‌هنوم (يش ١٥ : ٨ و ١٨ : ١٦) ووادي بنـي هنـوم (٢ مل ٢٣ : ١٠) (انظر الملحق الاول) ٠

(١٣٥) ٢ أخ ٢٨ : ٢ ــ ٣ ٠

(١٣٦) ٢ أخ ٣٣ : ٢ ــ ٧ ٠

(١٣٧) يقع هذا الوادي شرقي [illegible] ـليم ومعنى وادي قدرون الوادي الاسود ، أيضا « وادي يهوشـ [illegible] وهو بين سور المدينة من الجانب =

وادي قدرون ودقها الى أن صارت غبارا[١٣٨] • وبذلك يكون اليهود قــــد عادوا الى عبادة الاصنام واستمروا عليها حوالي ٣٠٠ عام بعد الانقســـام مباشـــرة •

واذا أخذنا بالمثل القائل بأن الناس على دين ملوكهم اتضح لنا تعليل رجوع اليهود في اسرائيل ويهوذا الى الوثنية ، مما يدل على أنهم كانوا أقلية ضئيلة أمام سكان البلاد الوثنيين الاصليين الذين أخذوا يتكاثـــرون على حساب اليهود ، ومعنى ذلك أن الديانـــة الوثنية كانت هي المتغلبة في البـــلاد وان اليهود كانوا أقلية طيلة مدة بقائهم فيها • وهكذا بقيت فلسطين منذ الألف الثالثة قبل الميلاد حتى السبي البابلي الأخير (أي ما يقارب ٢٤٠٠ سنة) كنعانية في ثقافتها ولغتها وديانتها الوثنية ، ولم يكن لليهودية أي دور ثقافي في هذه الفترة [انظر ما تقدم في الفصل الرابع (ملاحظات ختامية) وما تقدم في هذا الفصل (عهد الملوك] •

١٦ ـ العبرية واليهودية والتوراة

يتفق الباحثون على ان الموسويين بعد أن استقروا في أرض كنعان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد أخذوا بالثقافة الكنعانية وبحضارتها بما في ذلك اللغـــة الكنعانية التي كان يتكلم بها أهل البلاد ولم تكن قد تكوّنت لغة عبرية بعد • والارجح أن لغة هؤلاء الموسويين عندما جاؤا الى كنعان كانت اللغة المصريـــة ، ولكن هذا لا يعني انهم لم يتعرّفوا على كنعان ، اذ كان الاتصال بين المصريين والكنعانيين قائما منذ أقدم العصور ، وذلك بحكم الحدود المشتركة وتتيجــة فتوحات المصريين في الشرق وسيطرتهم السياسية على كنعان • ويستخلص من ذلك أن الموسويين كانوا أقلية بين السكان وان الحضارة الكنعانية كانت هـــي السائدة حتى في عهد الملوك في القرن العاشر قبل الميلاد ، أي بعد زمن موسى بحوالي ثلاثمائة عام بدليل أن الديانة الوثنية الكنعانية كانت هي السائدة فـــي البلاد وبقيت هي السائدة حتى السبي البابلي وما بعده إذ تقول التوراة ان

= الشرقي وجبل الزيتون • ويعرف اليوم بوادي ستي مريم وقد ورد ذكره في التوراة عند ذكر هروب الملك داود من وجه ابنه ابشالوم (٢ صم ١٥ : ٢٣ ، ٣٠) • (انظر الملحق الاول « أورشليم في أقدم عصورها ») •

(١٣٨) ٢ مل الاصحاح ٢٣ •

الملك سليمان نفسه بني مرتفعات لعبادة آلهة إلوثنيين على قول التوراة ، كذلك تؤكد التوراة أن ملوك اسرائيل ويهوذا كانوا يدينون بالوثنية وصارت هي دياتهم الرسمية واستمروا على هذه الحال زهاء ثلاثمائة عام بعد الانقسام مباشرة • ولما كانت الديانة هي أساس الثقافة فهذا يدل بوضوح على أن الموسويين لم يكوّنوا أيّة ثقافة خاصة بهم خلال وجودهم في فلسطين وانما قد اقتبسوا الثقافة الكنعانية بما في ذلك اللغة والديانة الكنعانية من أهل البلاد الأصليين أي من الكنعانيين وبذلك كانوا أقلية في البلاد في جميع ادوار وجودهم في فلسطين •

ومن الثابت ان هؤلاء الموسويين أخذوا بالارامية بعد انتشارها في الشرق فصاروا يتكلمون بها ما بينهم ، وفي غضون ذلك تكوّنت لدى كهنتهم اللهجة الارامية الخاصة بهم ، وهي التي صارت تعرف فيما بعد بالعبرية ، وأخذوا يكتبون بها فاستعملوا حروفاً فينيقية قديمة في بداية الأمر ثم أخذوا يكتبون بالخط السامري • وبعد السبي البابلي وضع الكهنة في الاسر في بابل توراتهم بهذه اللهجة وهي مقتبسة من اللغة الأرامية لذلك صارت تعرف بارامية التوراة وقد استعملوا الخط المسمّى بالخط المربع الذي اقتبسوه من أقدم الأقلام الأرامية بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد فحفظوه الى يومنا هذا ويسمّى الآن بالخط الآشوري المربع • وهذه هي بالطبع غير لغة موسى المصرية التي نزلت فيها توراة موسى الأصلية ، كما أن مضمون هذه التوراة غير مضمون توراة موسى • فهذه هي التوراة التي يصح تسميتها بتوراة الكهنة التي وضعوها في الاسر في بابل فأضفوا عليها صبغة قدسية وفرضوها على أتباعهم بعد رجوع بعضهم الى فلسطين على عهد عزرا (كاتب شريعة اله السماء) كما تلقّبه التوراة(١٣٩) • وأقدم ما وصل الينا من هذه التوراة مخطوطات قمران التي ترجع الى القرنين الثاني والأول قبل الميلاد(١٤٠) •

ومع أن التوراة هذه كتبت بالعبرية (ارامية التوراة) كان اليهود يتكلمون بالارامية ما بينهم واقتصرت العبرية هذه على كتب التوراة وحدها ،

---

(١٣٩) عز ٧ : ٢١ •

(١٤٠) انظر ما تقدم « أقدم الآثار الخطية للتوراة » في الفصل الثالث •

اما اليهود في مختلف بلدان العالم فكانوا ومازالوا يتكلمون بلغة الأقطار التي سكنوها فيقرأون التوراة دون ان يفهموا معناها . وأوضح دليل على أن اللغة العبرية أصبحت لغة مهجورة ميته ان آخر من بقي من اليهود في العراق الذين استوطنوا المناطق الجبلية المنعزلة في شمال العراق (منطقة زاخو) كانوا الى وقت قريب يتكلمون بالارامية وليس بالعبرية ، وهذا ما يبرهن على ان العبرية لم تكن من اللغات الحية اذ بقيت مقتصرة على كتب التوراة وحدها ، وان ما يبذله الصهيونيون اليوم لاحياء هذه اللغة الميتة بغية تكوين تراث ولغة ليجعلوا منهما قومية يهودية تستند الى لغة يهودية قد ينجح في مجال ضيق داخل اسرائيل الحالية ولكن اساس هذه القومية اساس من الرمل لايلبث أن ينهار بزوال وجود اسرائيل . ففي ذلك يقول ليون ابراهام في كتابه « المفهوم المادي للمسألة اليهودية (الترجمة العربية ص ٣١) : « إن العبرية قد اختفت باكراً كلغة حيّة وتبنّى اليهود في كل مكان لغات الشعوب المجاورة ، لكن استعمل هذا التبنّي اللغوي عادة بلهجة جديدة حيث ترد بعض العبارات العبرية ، ونجد في حقبات مختلفة من التاريخ لهجات عبرية عربية ، وعبرية فارسية ، وعبرية بروفنسية ، وعبرية برتغالية ، وعبرية اسپانية الخ ـ هذا عدا عن الاشارة الى العبرية الالمانية التي أصبحت اللغة اليديشية في عصرنا الحاضر » .

وقد درج بعض الباحثين على اعتبار وجود لغة عبرية قديمة وعبرية متأخرة بخلطهم بين اللغة والخط في حين أنه لا توجد سوى لغة عبرية واحدة هي التي كتبت بها التوراة في الاسر في القرن السادس قبل الميلاد وما بعده . والحقيقة ان المقصود بالعبرية القديمة هو الكنعانية القديمة لغة اهل البلاد الاصلية لا غير وهي التي أخذ بها الموسويون بعد عصر موسى اذ لم تظهر العبرية الا بعد ان أخذ الكهنة اليهود يدونون توراتهم في لهجة « ارامية التوراة » المقتبسة من الارامية(١٤١) ، مع العلم أنه ليس لدينا أي دليل على أنه كانت في البلاد لغة غير لغة الكنعانيين القديمة في عصر الملوك .

والحقيقة الثابتة التي تظهر لنا جليا مما تقدم أن اليهودية ، أي الدين اليهودي المتمثل بالتوراة الحالية ، تبدأ بعد تدوين الكهنة لهذه التوراة في

---

(١٤١) انظر ما تقدم « ملاحظات ختامية » في الفصل الرابع .

الاسر واذاعة شريعتهم هذه على لسان عزرا (كاتب شريعة الاله) في القـرن الخامس قبل الميلاد ، وهي غير الشريعة التي نزلت على موسى قبل ثمانيمائة عام والتي انحرف عنها اليهود بعد اغتيال موسى ، وهذه الديانة اليهوديـة هي صهيونية اليوم بعينها ، اذ تهدف ، كما تهدف الصهيونية الحالية ، الى احيـاء اللغة العبرية الميته واستغلال عاطفة الدين الذي صيغ في الاسر في بابل للتصميم على اقامة دولة يهودية في فلسطين • وهذه الديانة القائمة على مبدأ الاستعمار واغتصاب حقوق الغير بالقتل والابادة لم يكتب لها البقاء لانها لم تستند الى مقومات ثقافية وتراث أصيل ، لذلك فسرعان ما قضي عليها بعد ان ظلت تتعثر في وجه الاضطهاد ومقاومة أهل البلاد حتى قضي عليها على يد الرومان في عام ٧٠ ب • م • وسوف تلقي صهيونية هذا الزمان نفس المصير حتما عاجلا او آجلا تحقيقا للمبدأ القائل : « ان التاريخ يعيد نفسه »

١٧ ـ اليهود في زمن الفرس الاخمينيين (٥٣٨ ـ ٣٣٢ ق•م•)

كانت تمثل جماعة السبي البابلي بقايا جماعة موسى ، وهم في الاصـل مصريون لا صلة لهم ببني اسرائيل كما أوضحنا فيما تقدم ، ثم اختلط معهم من اعتنق اليهودية من مختلف الاجناس ، وقد جاءت تسميتهم باليهود من مملكة يهوذا المنقرضة ، وقد صارت هذه التسمية تشمل جميع المنتسبين الى الديانة اليهودية في مختلف أنحاء العالم ، وما زالت تستعمل حتى يومنا هذا بنفس هذا المدلول • ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان هؤلاء البقايا من أتباع موسى قد استفادوا في أثناء وجودهم في الاسر في بابل من حضارة البابليين وثقافتهم فاقتبسوا الكثير منها وخاصة ما يتعلق بفنون الزراعة والتجارة ، فأخذ أكثرهم يمارسون الزراعة التي تعتمد على الارواء الدائم بما في ذلك أساليب شـق الجداول وتطهيرها وطرق الارواء[١٤٢] • وفي بابل مارسوا شعائرهم الدينيـة وواصل كهنتهم أعمالهم ومنها كان نشوء التعاليم اليهودية المعروفة باسـم « التلمود البابلي »[١٤٣] ، حتى ليقال ان السبي البابلي كان عاملا قويا في تطور

---

(١٤٢) انظر :

S. Daiches, "The Jews in Babylonia", 1910; Rabbi J. Newman, "The Agricultural Life of the Jews in Babylonia", 1932.

(١٤٣) انظر ما تقدم عن التلمود في الفصل الثالث •

الدين اليهودي في القرون التالية ٠

ولما فتح كورش الاخميني الفارسي بلاد بابل (٥٣٩ ـ ٥٣٨ ق ٠ م ٠) سار في فتوحاته حتى احتل سورية وفلسطين ومن ضمنها أورشليم ، فسمح لمن أراد من أسرى نبوخذنصر (أسر ٥٩٧ وأسر ٥٨٦ ق ٠ م ٠) الرجوع الى فلسطين ، وأعاد اليهم كنائز الهيكل التي كان قد سلبها نبوخذنصر وأمر باعادة بناء الهيكل في أورشليم على نفقة بيت الملك[١٤٤] ، فعاد فريق منهم ٠ ويرجح المؤرخون أن الذين رجعوا انحصر في أولئك الذين لم يفلحوا كثيرا في الارض الجديدة والمتعصبون لاعادة بناء الهيكل ، لأن الدلائل تشير الى أن هناك عددا غير قليل أصاب النجاح في بلاد بابل فاثروا واصبحت لديهم ممتلكات كثيرة ففضلوا البقاء وعدم المجازفة بمغامرة مجهولة المصير ٠ فعيّن أول حاكم على الجالية اليهودية شخص يدعى « رزوبابل » وهو تابع الى الدولة الفارسية ، فشرع « رزوبابل » هذا في بناء الهيكل الا أن الاقوام المجاورة كالحوريين والحيثيين والعمونيين والادوميين احتجوا علىذلك وهددوا بالعصيان، فاصدر « سمرديس » خلف قمبيز الثاني سنة ٥٢٢ ق ٠ م ٠ أمرا بتوقيف عملية البناء ، ولكن دارا الاول أتاح لهم ذلك واتموا بناء الهيكل على عهده سنة ٥١٥ ق ٠ م٠

وقد ترك اليهود استعمال اللغة العبرية ما بينهم في هذا العهد وحلّت محلها الارامية ، اذ كانوا في بابل وحتى بعد عودتهم الى أورشليم يتكلمون باللغة الارامية ، وقد اقتصرت العبرية على الكتب الدينية وعلى الكتب المقدسة[١٤٥] ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك ٠

١٨ ـ اليهود في زمن الاغريق

وكان اليهود الذين رجعوا الى فلسطين في عهد الفرس قد تجمعوا في منطقة أورشليم على الاكثر وقد تمتعوا في خلال حكم الفرس ببعض الامتيازات الخاصة بحرية ممارسة شعائرهم الدينية ، وما ان حل العهد الاغريقي (٣٣٢ ـ ٦٤ ق ٠ م ٠) حتى أصبح وضعهم يتارجح بين المد والجزر فتارة يقعون تحت حكم البطالمه في مصر وتارة أخرى تحت حكم السلوقيين في سورية ، وكانوا

---

(١٤٤) عزرا ٦ : ٣ـ٦ ؛ ١ : ٧ـ١١ ٠

(١٤٥) Hitti, "History of Syria", p. 223.

يستفيدون في بعض هذه الادوار من الخلاف المستحكم بين هذين الفريقين اليونانيين الحاكمين في الشرق في التمتع بالحكم الكهني الذاتي ، ولكنهم لاقوا أسوأ الحالات في عهد الملك السلوقي انطيوخس الرابع (ابيفان) (١٧٥ ـ ١٦٤ ق • م •) فدمّر هذا الملك الهيكل ونهب خزائنه وأجبر اليهود على نبذ اليهودية واعتناق الوثنية اليونانية • وهنا أخذ الصراع بين اليهودية والاغريقية يشتد يوما بعد يوم حتى اندلعت ثورة المكابيين ، وقد أطلق على عصرهم الذي دام حوالي القرن وربع القرن (١٦٦ ـ ٣٧ ق•م•) اسم العصر المكابي •

١٩ ـ اليهود في زمن الرومان

وبعد تغلغل الرومان في الشرق وتغلّبهم على السلوقيين في سورية أصبحت فلسطين تحت حكم الرومان ، ففي سنة ٦٤ ق • م • احتل القائد الروماني پومپي سورية وضمها الى رومه وفي السنة التالية دخل پومپي أورشليم وجعلها تابعة لحاكم سورية الروماني • ولم يكن اليهود في هذا العهد أحسن حالاً مما كانوا عليه في العهد الاغريقي ، فكانوا بين المد والجزر أيضا في ظروف مضطربة ناجمة عن صراع الزعماء الرومان ما بينهم على الحكم ففي عهد قيصر مثلا (٤٩ ـ ٤٣ ق • م •) كان اليهود يتمتعون بحرية ممارسة شعائرهم الدينية وبحكم كهني ذاتي ، ثم بعد اغتيال قيصر سنة ٤٤ ق • م • نشب خلاف بين اوكتافيان وانطونيوس أدى الى القتال بينهما سنة ٣٠ ق • م • انتصر فيه أوكتافيان فتولى زمام الحكم بصفته أول انبراطور روماني وسمّي «أغسطس» • وفي هذه الفترة كان « أنطونيوس » و « اوكتافيان » قبل نشوب الخلاف بينهما قد عينا « هيرودس » الأدومي ملكا على يهوذا وعلى الجليل سنة ٣٩ ق • م • واستمر حكمه في فلسطين حتى وفاته سنة ٤ ق • م • ففي عهده أعيد بناء الهيكل في أورشليم ولكن اليهود كانوا يمقتونه لقساوته الوحشية ولا ندفاعه في نشر الثقافة اليونانية والرومانية وانشاء معابد للأصنام في المدن الفلسطينية • وبعد وفاة « هيرودس » اضطربت الاحوال على يد موظفين رومانيين سيئي السيرة قساة التصرف ، ومن أهم ما تخلّلته هذه الفترة من أحداث محاكمة السيد المسيح (ع) وصلبه سنة ٢٩م على ما جاءت به الاخبار • ثم عيّن « هيرودس اغريبا » حفيد « هيرودس » ملكا على فلسطين في عهد الانبراطور « كاليجولا » (٣٧ ـ ٤١ م) والانبراطور « كلاودوس » (٤١ ـ ٥٤ م)

فساد الهدوء في البلاد نسبيا الا أن الاضطرابات والفوضى عادت بعد وفاة « هيرودس اغريبا » سنة ٤٤م فقد تولى في الفترة بين سنة ٤٤ و ٦٦م سبعة من الحكام الرومانيين كلهم سيئو الاخلاق ومرتشون حتى وقع الانفجار في ربيع سنة ٦٦م فاذا به ثورة عارمة شاملة على الحكم الروماني . وبعد سلسلة من المعارك على عهد الانبراطور « نيرون » (٥٤ ــ ٦٨م) وخلفه « وسپسيان » أودعت القيادة في فلسطين الى « تيطوس » ابن الانبراطور « وسپسيان » فسيطر على الموقف وتمكن من القضاء على الثورة فدخل أورشليم سنة ٧٠م وأوقع مذبحة مريعة باهلها وخرّب المدينة واحرق هيكلها وذبح كهنته فازيل الهيكل من الوجود تماما بحيث لم يعد يهتدي الناس الى موضعه وقد سيق الاحياء الباقون عبيدا . فذكر المسعودي ان عدد القتلى من اليهود والمسيحيين بلغ ثلاثة آلاف ألف(١٤٦) .

وهكذا قضي على الكيان الذاتي الديني لليهود في فلسطين ومن ضمن ذلك التنظيمات الادارية الدينية التي كانت تتمثل بالسنهدرين ، فساد الهدوء حوالي نصف قرن ، ثم اشتعلت نيران ثورة جديدة بقيادة « باركوخبا » أحد زعماء اليهود فاعتصمت جماعته في المواقع الجبلية الحصينة وأخذوا يقاتلون قتال حرب عصابات ، وظلوا معتصمين بمواقعهم ثلاث سنوات (١٣٢ ــ ١٣٥م) حتى جرّد الرومان عليهم حملة اجتاحت مواقعهم وأزالت قلاعهم وأحرقت قراهم ، وحوّل « هادريان » مدينة أورشليم الى مستعمرة رومانية وحرّم على اليهود سكناها وقد بدل اسمها الى « ايليا كبتولينا » وايليا هو الاسم الاول لهادريان . وقد أسكنت جالية رومانية ويونانية في أورشليم وأقيم في محل الهيكل معبد للاله اليوناني جوبيتر . وقدر عدد الذين قتلوا في هذه المعارك ٥٨٠ ألفا عدا من هلك جوعا ومرضا وحرقا . وهذه هي الضربة الاخيرة لليهود في فلسطين ، فلم يعد لهم أي كيان فيها طوال العصور التالية .

٢٠ ــ لم يشكل اليهود أكثرية في فلسطين في أي دور من أدوارهم

نخلص مما تقدم الى أن سكان فلسطين من غير اليهود كانوا يتكاثرون يوما بعد يوم ويتمركزون في أرضهم في حين أن اليهود كانوا يتقلصون نتيجة

---

(١٤٦) التنبيه والاشراف ، ص ١١٠ .

تعرّضهم للاضطهاد والقتل والسبي من دون سكان البلاد الاصليين ، لذلك لم يستطع اليهود ، كعنصر غريب بينهم تشكيل أكثرية في فلسطين في أي دور من أدوارهم،فاول من غزا مملكتي يهوذا واسرائيل بعد الانقسام الفرعون الليبي شيشنق الاول ، فاخضع مدنهما سنة ٩٢٦ ق ٠ م ٠ وأخذ معه أسرى من ١٣٩ مدينة يهودية ، هذا عدا نهب ذخائر الهيكل وبيت الملك في أورشليم ٠ ثم استولى تجلاث بلاشر الثالث ملك آشور (٧٤٥ ــ ٧٢٧ ق ٠ م ٠) على كل أراضي أسرائيل (عدا السامرة) وسبى اليهود الى بلاد آشور وأحل محلهم أقواما من بابل ومن لولوبو في الزاغروس ومن نايبري قرب بحيرة وان ٠ وفي سنة ٧٢٢ ق٠م٠ تم لسرجون الثاني في ابان حكمه احتلال اسرائيل وعاصمتها السامرة فاجلى اليهود الى ناحية « حران » والى ضفة الخابور (خابور الفرات) والى ميديا وقد أحل محلهم الاراميين من اقليم حماة ، ثم لحق بهم العرب هناك في عام ٧١٥ ق ٠ م ، وكذا بعض الاهلين من كوثا وبابل سنة ٧٠٩ ق ٠ م ٠ ، وبذلك قضى نهائيا على يهود مملكة اسرائيل وخفيت أخبارهم حتى عن بقية اليهود في يهوذا ٠ وسبب اضمحلالهم وابادتهم يرجع الى تشتيتهم في اماكن مختلفة وبعيدة للحيلولة دون تجمعهم واعادة بناء مجتمع يهودي يتطلع الى العودة ٠ وهذه كانت الطريقة التي اتبعها الآشوريون في البلاد التي كانت تتمرّد عليهم ٠ وفي حملة سنحاريب على أرض يهوذا سنة ٧٠١ ق ٠ م ٠ أجلى عن مدن يهوذا ٢٠٠١٥٠ نسمة من اليهود ٠ وفي سنة ٥٩٧ ق ٠ م ٠ حمل نبوخذنصر الثاني ملك الكلدانيين (٦٠٥ ــ ٥٦٢ ق ٠ م ٠) على أورشليم وأسر ملكها « وسبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبي وجميع الصناع والأقيان سباهم من أورشليم الى بابل ٠٠٠ ولم يبق الاّ مساكين شعب الارض» واخيرا وقع السبي الثاني سنة ٥٨٦ ق ٠ م ٠ حين قضى نبوخذنصر على مملكة يهوذا وسبى اليهود الى بابل ٠ وقد قدر عدد الذين سباهم نبوخذنصر بأكثر من خمسين ألف شخص ، هذا عدا الذين قتلوا ٠ وبذا قُضي على آخر من تبقى من اليهود في فلسطين ٠ وقد ورث الادوميون سكان فلسطين الاصليون ومعهم الأنباط ديار يهوذا بعد القضاء على مملكة يهوذا وسبي اليهود منها ٠ وبعد عودة اليهود من بابل الى فلسطين في زمن الفرس أنشئت في عهد الاسكندر مستعمرات اغريقية بين اليهود ، ثم بعد وفاة الاسكندر نزل بطلميوس الاول

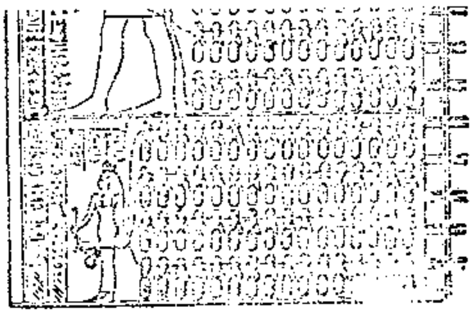
ملك مصر (سوپتر) سنة ٣٠٠ ق ٠ م ٠ على أورشليم ونقل عددا كبيرا من اليهود الى أفريقيا ، وأخيرا قضى الرومان نهائيا على من تبقى منهم وبقي سكان فلسطين الاصليون ومعهم من دخلها من غير اليهود في وطنهم فلسطين حتى الفتح الاسلامي ، حيث بقيت بيد المسلمين قرابة ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن ٠ وفي جميع هذه الاحوال لم يترك سكان فلسطين بما فيهم سكان القدس وطنهم٠

يدل ما تقدم بوضوح على أن أهل فلسطين الاصليين بقوا في أراضيهم منذ خمسة آلاف عام ولم يغيّر حكم داود وسليمان الذي لم يطل أكثر من ثمانين عاما أو حكم اسرائيل ويهوذا الهزيل هذه الحقيقة التاريخية الواقعية ٠ ونحن اذ نكرّر هنا حوادث السبي التي تعرّض لها اليهود في فلسطين وحل من حلّ محلهم من مختلف الاقوام ، الحوادث التي مرّ شرحها بتفصيل ، فأن جل ما نتوخاه هو البرهنة على أن أهل فلسطين الاصليين ومعهم من دخلها من غير اليهود بقوا وتكاثروا في وطنهم دون أن يمسّهم أي أذى وكانوا في جميع الاحوال هم الاكثرية الساحقة في البلاد ، في حين أن اليهود كانوا يتقلصون على مرّ الزمن يوما بعد يوم نتيجة عمليات السبي المستمرة حتى أزيلوا نهائيا من أرض فلسطين ، وبقي أهلها الاصليون في وطنهم كوثنيين ومسيحيين قبل الاسلام وكمسلمين ومسيحيين بعد الاسلام ٠

٢١ ـ خلاصة وتعليق

ان اليهود لم يتركوا أي كيان سياسي يهودي خاص بهم في تاريخ فلسطين القديم ، ولكنهم تركوا ديانة يهودية متأخرة مقتبسة من تراث كنعاني وبابلي وأرامي ، وان عهد الملوك بما فيه عهد داود وسليمان كان عهدا كنعانيا بحضارته ولغته وثقافته ، وفشل اليهود في انشاء مملكة زمنية يهودية دائمة في فلسطين يرجع الى عوامل كثيرة من أهمها في نظرنا عاملان أولهما هو ان الكيان اليهودي لم يقم على أساس قومي راسخ أصيل بثقافته ولغته وتقاليده ووطنه لأن اليهود لم يملكوا أي تراث قومي خاص بهم فكل ما مارسوه من لغة وثقافة وديانة وتقاليد وعادات مقتبس من الكنعانيين سكان فلسطين الاصليين كما انه لم يكن لهم وطن اذ كانوا غرباء طارئين على فلسطين كما أوضحنا فيما تقدم فكيانهم قائم على الدين والدين وحده ٠ والدين عرضة للتغيّر والتبدل

على خلاف ما هي عليه القومية من ثبات لاستنادها الى ثقافة ولغة واحدة ووطن ثابت • اما العامل الثاني فهو ان كيان اسرائيل كان قائما على الاغتصاب والاعتداء على شعب آمن له قوميته وثقافته وتقاليده وحكمه عاش في أرض فلسطين منذ خمسة آلاف عام ، وقد جاء قوم موسى عازمين على طرد هذا الشعب من دياره وحلّ أنفسهم محله ، زاعمين ان الههم (يهوه) أمرهم بأن يبيدوا هذا الشعب ويحلّوا محله وان الرب وعدهم بأنه سيحارب بنفسه من أجل تحقيق ذلك لهم(١٤٧) • وهذا الشعب العريق بقوميته وتراثه لا يمكن أن ينسى أن هذه الارض هي أرض أجداده منذ أقدم الازمنة أغتصبت منه • هذا عدا ادعاء اليهود بالاستعلاء والتفوق (الباطلين) على بقية شعوب الارض وان الله جعلهم الشعب المختار وجعل الناس عبيدا لهم مما كان له أثر في بعث النفرة والكراهية والانعزالية بينهم وبين سكان البلاد التي يعيشون فيها •



(١٤٧) تث ١ : ٣٠ •

الفصل السابع

يهود العالم وصلتهم بفلسطين

يهود العالم وصلتهم بفلسطين

١- تمهيد ٠ ٢- اليهودية فى اليمن وفى البلاد العربية ٠ ٣- يهود الخزر ٠ ٤- اليهود فى مختلف أنحاء العالم ٠ ٥- هل يكون اليهود جنسا أو عرقا واحدا ؟٠٠ ٦- الكيان اليهودي كيان ديني بحت ٠

١ - تمهيد

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذه المرحلة هو كيف انتشر اليهود في العالم بعد أن أجلاهم الرومان عن فلسطين نهائيا ودمروا هيكلهم وما هي صلتهم بفلسطين ؟٠٠٠ وقبل الاجابة على ذلك لا بد من التوضيح بان اليهودية كدين لم تكن في البداية مقتصرة على قوم موسى فقد أنتشر الدين اليهودي بين مختلف الامم والاجناس ، وهذه الامم اعتنقت الدين اليهودي وهي تعيش في ديارها وأوطانها تتكلم بلغاتها وتمارس عاداتها وتقاليدها التي نشأت في بيئاتها ، إذ بدأ التبشير بالدين اليهودي منذ تكوين الديانة اليهودية بعد كتابة التوراة ، واستمر الى العصور الوسطى ٠ فقد قضى اليهود قروناً يعملون بجد ونشاط لنشر دياتهم بين شعوب وأمم لا تمت الى قوم موسى بادنى صلة وليست لهم علاقة بفلسطين أو سكان فلسطين لا من بعيد ولا من قريب ٠ وهؤلاء الدعاة الى الدين اليهودي لم يكونوا دائما من داخل فلسطين ، بل ممن اعتنقوا الدين اليهودي وتحمسوا له ، كما أن المسيحية لم تنتشر بوساطة سكان فلسطين وحدهم ، بل بوساطة من أعتنقها من مختلف الاجناس والشعوب[١] ٠ وهكذا « ظلت اليهودية زمنا طويلا فاتحة ذراعيها

(١) الدكتور محمد عوض محمد ، الهلال (يوليو ١٩٤٧) ، ص ٢٣ ـ ٢٩ ٠

مرحبة بمقدم كل من ينضوي مخلصا تحت لوائها من أبناء الشعوب الاخرى»[٢] فقد اعتنقت شعوب عديدة الدين اليهودي وهم في ديارهم وأوطانهم ولم يكونوا في وقت من الاوقات من سكان فلسطين ، فانتشر هذا الدين في القارات الثلاث واعتنقته أمم متباعدة الاوطان مثل سكان اليمن والحبشة وبلاد القوقاز (الخزر) وأواسط أوروبا وبلاد المغرب وشعوب مختلفة في الدولة الرومانية وفي الاقطار المجاورة لها ، هذا الى جانب العناصر التي دخلت في اليهودية بطريق الزواج . وقد اعتنق اليهودية كثير من الجماعات التي أرسلها الاشوريون من مختلف أنحاء الانبراطورية الاشورية الى فلسطين ليحلوا محل اليهود الذين أبعدوا الى بلاد ماذي واندمج بعضهم في اليهودية ، وربما كان خير من يمثلهم اليوم اليهود السامريون الذين يعيشون وسط العرب وفي رعايتهم في مدينة نابلس[٣] .

٢ ـ اليهودية في اليمن وفي البلاد العربية

وقد انتشرت اليهودية في بلاد اليمن حتى أصبحت مركزا من مراكز انتشارها . وفي القرآن الكريم إشارة صريحة الى هذا في سورة النمل وفي الآيات الكريمة التي تروى قصة سبأ . وقد جاء في ختامها على لسان ملكتهم : قالت ربّ اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين . » وانتشار اليهودية في اليمن في العصور التالية يرجع الى أحد ملوك حمير اسمه تبان أسعد أبو كرب (القرن الخامس ب . م .) ، ففي غزو هذا الملك ليثرب جاءه حبران من أحبار اليهود فاعجب بما وصفاه له عن دينهما فاتبعه وأخذهما معه الى اليمن ودعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فاجابوه ، وقد ثبّت الدين اليهودي في اليمن في عهد الملك الحميري ذي نؤاس في أوائل القرن السادس للميلاد حتى أجبر هذا الملك المسيحيين على اعتناق اليهودية[٤] .

وفي أعقاب حملة الرومان الاخيرة على اليهود في فلسطين وتدمير هيكلهم

---

(٢) ويلز ، « معالم تاريخ الانسانية » ، الترجمة العربية ، الكتاب الرابع ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٣) انظر ما تقدم عن هذه الفئة في الفصل الثالث .

(٤) الدكتور محمد عزة دروزة ، « تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم » ص ٣٢٦ .

في أورشليم هاجرت جموع غفيرة من اليهود الى الارجاء العربية عموما والى الربوع الحجازية بوجه خاص • وكانت تدمر من الاقطار التي نزح اليها اليهود أيضا • أما لغتهم في بلاد العرب فكانت بطبيعة الحال اللغة العربية ولكنها لم تكن عربية خالصة بل كانت مشوبة بالرطانة اليهودية لانهم لم يتركوا استعمال لغتهم تركا تاما بل كانوا يستعملونها في صلواتهم • وكان اليهود في بعض البلاد العربية يكتبون وثائقهم ومخابراتهم مع أبناء قومهم باللغة العربية وبحروف عبرية (يهودية) • اما العرب الذين اعتنقوا اليهودية فلم يكونوا يهودا على تحقيق بعض المؤرخين ، فبقوا على قوميتهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولم يميّز بينهم وبين مجاوريهم العرب أي شيء غير الدين •

٣ ـ يهود الخزر

وكانت أكبر الكتل المتهودة في أوروبا قبائل الخزر وهم من الاتراك المغول وطنهم في بلاد الخزر الواقعة في جنوب روسيا في جوار مصب نهر الفلجا في بحر الخزر (بحر قزوين) ، فقد اعتنق أكثر أهل الخزر الدين اليهودي في العصور الوسطى بعد اعتناق أمير الخزر لليهودية وبقيت تمارس الديانة اليهودية بحرية هناك حتى أواخر القرن العاشر الميلادي • وأقدم معلومات عن انتشار اليهودية في الخزر وصلتنا عن الرحالة العربي ابن فضلان الذي أوفده الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٣٠٩هـ (٩٢١م) في بعثة الى ملك البلغار ، ففي طريق عودته مرّ بمملكة الخزر وبعاصمتها « إتيل » ووصف ما شاهده بتلك البلاد قال : « الخزر اسم المملكة ولاتل (العاصمة) قطعتان على غربي النهر المسمّى «إتل»[٥] وهي أكبرهما وقطعة على شرقيه والملك يسكن الغربي منهما ويسمّى الملك بلسانهم (يلك) ويسمى أيضا (باك) وهذه القطعة الغربية مقدارها في الطول نحو فرسخ ويحيط بها سور ••• وقصر الملك بعيد عن شط النهر وقصره من آجر وليس لأحد بناء من آجر غيره ••• وملكهم يهودي ويقال إن له من الحاشية نحو أربعة الاف رجل ••• والخزر وملكهم كلهم يهود وكان الصقالبة وكل من يجاورهم في طاعته ويخاطبهم بالعبودية ويدينون له بالطاعة»[٦]

(٥) هو نهر الفلجا الحالي الذي ينبع في شمال روسيا ويصب في بحر قزوين قرب استرخان •

(٦) ياقوت معجم البلدان ، الطبعة الاوربية ٢ : ٤٣٦ ـ ٤٤٠ (مادة الخزر)

والمهم هنا تاكيد ابن فضلان ان الملك وخاصته مع أنهم كانوا يهودا ولكن « الغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الاوثان . » وهذا يدل على أن هذهالعشائر عندما تهوّدت بقيت محتفظة بعاداتها ولغتها وثقافتها من جميع الوجوه . وتعتبر رسالة ابنفضلان هذهالوصف الوحيد الذي تركهالرحالون العرب لدولة الخزر وعاصمتها « إتيل » في أوائل القرن الرابع الهجري[٧] .

أما دخول اليهودية أول مرة الخزر فيذهب المسعودي الى أن تهوّد ملك الخزر (الخاقان)[٨] وأشراف البلاد قد تم في عهد هارون الرشيد (١٧٠ ــ ١٩٣ هـ) (٧٨٦ ــ ٨٠٩ م) ، وقد ذكر المسعودي أيضا ان كثيرا من اليهود الذين اخرجوا منانبراطورية الروم جاؤا الى الخزر بعد اضطهادهم على عهد الانبراطور رومانوس (٩١٩ ــ ٩٤٤ م)[٩] . وكانت اليهودية أوانذاك هي الديانة السائدة في الخزر لأن الخاقان والوالى وأمير سمندر في داغستان الذي كان يمت بصلة القربى لهذا الامير وكبار العمال كان جميعهم على اليهودية مع أن اليهود كانوا أقل من المسلمين والنصارى من حيث العدد[١٠] . وهذا نص ماكتبه المسعودي في هذا المعنى قال : « فاما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسهم وقد كان تهوّد ملك الخزر في خلافة الرشيد وقد انضاف اليه خلق من اليهود وردوا اليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم وذلك ان ملك الروم في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وهو ارمنوس نقل من كان في ملله من اليهود الى دين النصرانية واكرههم .. فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم الى أرض الخزر على ما وصفنا . »

وتدل الحوادث التاريخية على أن اليهودية لم يكتب لها أن تدوم في الخزر حيث جاءت حملة الروس بعد حوالي قرن ونصف من دخول اليهودية

---

(٧) « رسالة ابن فضلان » تحقيق سامي الدهان ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٩٥٩ ؛ دائرةالمعارفالاسلامية ١ : ٢٥٥ــ٢٥٦ ؛ ٤ : ٨٨ــ١٠٢؛ ٨ : ٣٠٥ــ٣١١ ؛ معجم ياقوت ١ : ٧٢٢ــ٧٢٨ ؛ ٢ : ٤٣٦ــ٤٤٠ .

(٨) ان زعيم الخزر كان يحمل اللقب التركي « قاغان » وبالعربية « خاقان » ، ويقول ابن حوقل « ولن تنعقد الخاقانية الا لليهود » .

(٩) مروج الذهب ٢ : ٨ .

(١٠) D. N. Dunlop, "The Jewish Khazars", N. Y. 1967 (Schockeb Books)

الى الخزر فقضت على مملكة الخزر باكملها وتشرد أهلها وانتشر معظم اليهود في روسيا واوروبا الشرقية . وقد اورد خبر هذه الغزوة واجتياح الروس لمنطقة نهر اتل ابن حوقل فعيّن تاريخها في سنة ٣٥٨هـ (٩٦٨ م) ، وقد وصف ابن حوقل الروس أنهم قوم همج فدمروا هذه البلاد وتركوها خرابا بلقعا وفر الذين نجوا من القتل الى شبه جزيرة (سياه‌كوه) في بحر الخزر[١١] . وقد انتشر اليهود في أعقاب غزوة الروس على الخزر في أنحاء روسية ومنها الى أوروبا الوسطى في مختلف الظروف ، ولا تزال اليهودية منتشرة بين هذه الشعوب .

٤ ـ اليهود في مختلف أنحاء العالم

يقسم يهود العالم الى طائفتين رئيستين ، طائفة « الآشكنازيم » وطائفة « السفارديم » . وينسب الى الاولى اليهود الألمان أو الذين ينحدرون من أصل ألماني ومنهم يهود پولونيا وأغلبية يهود روسيا . ومصدر تسمية « آشكنازيم » هي كلمة آشكناز ومعناها بالعبرية الحديثة « المانيا » والياء للنسبة والميم للجمع . ويشبه هؤلاء اليهود الروس والپولونيين السلاف في صفاتهم الجسدية في حين أن الألمان أقرب شبها بسائر الألمان ، وهؤلاء يؤلفون حوالي تسعة أعشار اليهود في العالم ، ومنهم أكثر المهاجرين الى أميريكا ، ولغتهم لغة ألمانية تسمّى « يديش » (Viadish) وكانت في أساسها اللغة الالمانية المستعملة في القرون الوسطى بعد أن دخلت عليها بعض المفردات العبرية وغيرها من المفردات الأجنبية ، وخرجت عن اللهجة الالمانية الأصلية وتكونت لها لهجات اختلفت باختلاف المناطق واللغات الأخرى المحيطة بها . وتكتب هذه اللغة بالحروف العبرية ولا تزال مع فروق بسيطة ، لأن هذه الجماعات وهي من السلاف والجرمان اقتبست الدين اليهودي والكتابة العبرية معاً ، إذ لم تكن لهم كتابة وقت اقتباسهم الدين اليهودي . وقد جعل اليهود في پولونيا منها لغة أدبية وانتجوا بها أدباً شعبياً ودينياً ، ومع ذلك بقيت اللغة العبرية قائمة الى جانب لغة (البيدش) بين يهود پولونيا وروسيا وان كانت لغة كتابة وليست لغة تخاطب . وتشمل طائفة « السفارديم » في الوقت الحاضر يهود البلاد الاسلامية ، وقد تأثر هؤلاء باللاجئين من اليهود الاسپان الذين أبعدتهم

---

(١١) ابن حوقل ، « صورة الارض » ، الطبعة الاوروبية ، ١٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ .

الملكة ايزابيل من اسپانيا في القرن الخامس عشر واللاجئين من اليهـــود البرتغاليين الذين أبعدهم ملك البرتغال من مملكته ، لذلك فقد تشـــابهت تقاليدهم الدينية والاجتماعية . وهؤلاء يشبهون الاسپان والبربر جســميا ويتكلمون اللغة الاسپانية في أوروپا وغالبا العربية الاسپانية .

« وكان بين الطائفتين منذ القرن السادس عشر تنافس وتنـــافر وكان اليهود البرتغاليون والاسپان في البداية يعتبرون أنفسهم أجل قدراً وأعرق نسباً من « الآشكنازيم » فلا يخالطونهم في معابدهم ولا يزوجون بناتهم بهم . وقد استمرت هذه التفرقة بينهم حتى القرن السابع عشر حيث كانت الطبقات المرفهة من اليهود لا تزال من طائفة « السفارديم » وحدها . وفي القرن الثامن عشر فقط بدا بعض الأفراد وبعض المجموعات اليهودية من أوروپا الوســطى والشرقية في الحصول على مكانة متساوية الى جانبهم . وقد انعكست الآية الآن في اسرائيل حيث ينظر اليهود الغربيون الى اليهود الشرقيين القادمين من اليمن وانحاء أفريقية والهند وايران،نظرة استخفاف واستهانة لتفوقهم عليهم في المستوى الثقافي والاجتماعي »[١٢] .

يتضح مما تقدم أن اليهود « الاشـــكنازيم » ، وهـــم الاوروپيـــون المتهودون ، لم يتسنّ لهم أو لأجدادهم أن يروا فلسطين في حياتهم ولم يكن لهم أية صلة بها في أي وقت ، والغريب ان هؤلاء هم اليوم غلاة الصهيونيين وزعماء الصهيونية العالمية[١٣] .

---

(١٢) يقول الفريد ليلنتال فى كتابه « اسرائيل » : « ان اليهود الشرقيين الذين اقنعوا بعد عام ١٩٤٨ بالهجرة الى اسرائيل سرعان ما وجدوا أنفسهم ضحايا التعصب ، ومع أنهم اصبحوا يشكلون فى النهاية خمسين بالمائة من مجموع سكان اسرائيل فان اليهود المسيطرين من أوربا الشرقية والغربية يعتبرونهم فئة أدنى .. » .

(١٣) لقد اعتمدنا فى وضع هذه النبــذة عن الطائفتين اليهوديتين على دراســة الاستاذ نجدت فتحي صفوة « اليهـــود والصهيونية فى عـــلاقات الدول الكبرى » (ص ٨ ـ ٩) مع اضافة ايضاحات اليها ، وقد أشار الاســتاذ نجدت الى المصدر الذي اعتمد عليه وهو :

L. Greenberg, "Jews in Russia," 2 vols., New Haven, 1953.

وهذه بعض المراجع حول اليهود فى مختلف أنحاء العالم :

J. Starr, "The Jews in the Byzantine Empire (641-1204), 1939; =

٥ ـ هل يكون اليهود جنسا او عرقا واحدا ؟

يتضح مما تقدم ان اليهود الذين يقدر عددهم بحوالي اثنى عشر مليون نسمة أو يزيد قليلاً لا يتعدون كونهم طائفة دينية اجتماعية تضم شتى الأجناس واللغات والدماء ، يسكنون في مواطن متباعدة ، فمنهم يهود الخزر (الأتراك) ، واليهود الألمان ذوو السحنة الجرمانية والشعر الأشقر ، واليهود السلاف (الروس وسكان البلاد المجاورة لهم) ، واليهود الاسپان والبربر ، ويهود الحبشة ، واليهود الصينيون ، واليهود الزنوج والهنود وغيرهم • وكل هؤلاء لا يمتون الى قوم موسى أو فلسطين بأية صلة غير صلة الدين ، وهم متباعدون في الوطن وفي اللغة وفي الثقافة وفي الجنس • وأحسن مثال نورده في هذا الصدد ما ورد في مجلة مصر الاسرائيلية في عددها الصادر في ٣١ يناير سنة ١٩١٥ حول المهاجرين اليهود الذين نزلوا منطقة الكپاري في مصر فراراً من الارهاب التركي في فلسطين • فهؤلاء المهاجرون الذين لم يزد عددهم ١٦٠٠ نسمة كانوا يتكلمون أربع عشرة لغة مختلفة •

إن ادعاءات الصهيونيين ان اليهود المعاصرين هم أنسال بني اسرائيل القدماء محاولين بذلك الربط بين حركتهم السياسية وتاريخ بني اسرائيل الديني القديم في فلسطين لتبرير ما يهدفون اليه من اقامة دولة وكيان قومي لهم في فلسطين ادعاءات باطلة زائفة لا تستند الى أساس علمي أو واقع تاريخي ولا يقرها المنطق ، لأن اليهود المعاصرين هم أبعد ما يكونون من بقايا يهود الشرق • والدليل على ذلك أن أسرائيل الصهيونية تنظر الى يهود البلاد العربية نظرة احتقار وازدراء ، فلا تثق بهم وكثير منهم هم اليوم في سجون اسرائيل مع العرب السجناء •

ويؤكد هذه الحقيقة كثير من علماء الأجناس ، فيقول العلامة

- A. Alt, "Die Urspruenge des Israelitischen Rechts", 1925; S M. Dunbov, "A History of the Jews in Russia and Poland", 3 vols, 2nd ed, 1946; M. Lowenthal, "The Jews of Germany", 1947; C. Roth, "A History of the Jews in England," 1941; C. Roth, "A History of the Jews in Italy", 1946; A. A. Neuman, "The Jews in Spain", 2 vols., 1942; G. Saron and L. Hotz, "The Jews in South Africa", 1956; Graetz, "Les Juifs d'Espagne," Trad. Stenne, Paris, 1872.

« لامبروزو » : « إن اليهود المعاصرين أقرب الى الجنس الآري من الجنس السامي وإنهم طائفة دينية تميزت بمميزات اجتماعية واقتصادية ، وانضم اليها عبر القرون أناس ينتمون الى شتى الأجناس البشرية ، وبينهم عدد من سكان الحبشة ، ومن الألمان الآريين ، ومن التامل من الأقوام الهندية ، ومن الخزر من الجنس المغولي ، الذين تحولوا كما يقول المؤرخ اليهودي ابن ميمون الى اليهودية في القرن العاشر ، ثم دفعتهم الهجرات البشرية الى أوربا الوسطى والغربية » • وقد أكد ذلك علماء بايولوجيون كثيرون منهم الاستاذ « جورفتيش » استاذ علم الانسان في الجامعة العبرية نفسها ، فقد أجرى عدة تجارب بايولوجية على المهاجرين اليهود الى اسرائيل وسجّل النتائج التي توصل اليها في كتاب بيّن فيه أن اليهود ليسوا بالشعب الواحد ، بل هم طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الناس ، اعتنقوا ديناً واحداً ، فنسبة ضئيلة من يهود الأقطار العربية هم من نسل يعقوب واسحاق[١٤] • اما يهود أوروبا الشرقية فينتسبون الى قبائل الخزر ، وأما يهود أوروبا فمن أصل أوروبي صميم وقد اعتنقوا الدين اليهودي بعد القرن الثالث الميلادي على أيدي مبشرين من اليهود[١٥] » •

ويقول الاستاذ « يوجين بيتار » في كتابه « الجنس والتاريخ » (ص ٣٣٧) إن اليهود « يعودون الى طائفة دينية وهيأة اجتماعية دخلتها عناصر من أجناس متباينة لصقوا أنفسهم بهم وأتى هؤلاء المتهودون من كل السلالات البشرية كفلاشا الحبشة والألمان الجرمانيين والتامل ــ اليهود السود ــ والهنود والخزر والأتراك » • ثم يضيف الى ذلك قوله : « ومن المستحيل أن تتصور أن اليهود ذوي الشعر الأشقر أو الكستنائي ، والعيون الصافية اللون ، الذين نلقاهم كثيراً في أوروبا يمتون بصلة القرابة ــ قرابة الدم ــ الى اولئك الاسرائيليين القدماء الذين كانوا يعيشون بجوار الأردن » •

ويؤكد ذلك المؤرخ الدكتور محمد عوض محمد في كتابه المسألة الصهيونية

(١٤) ان جورفتيش هذا بصفته يهوديا متمسكا بالتوراة يعتبر انه لايزال يوجد يهود من نسل يعقوب واسحاق اللذين عاشا قبل ٣٧٠٠ سنة مسايرا في ذلك التقليد الذي فرضته التوراة على الناس وقبلوه من غير تمحيص •

(١٥) « الصهيونية » ، تاليف خيري حماد ، ص ١٠٦ ــ ١٠٧ •

في نظر العلم » (ص ٦) إذ يقول : « والذين يزعمون ان اليهود جميعا من سلالة اسرائيل قلما يقفون لحظة واحدة لكي يذكروا لو أن هذا الوهم صحيح لكان اليهود في جميع أنحاء العالم متشابهين في السحنة والمنظر والتقاطيع ، لأن قانون الوراثة يقضي حتماً بأن الفروع تشبه الأصل وتتشابه فيما بينها تشابها شديداً ، ولو نظرنا الى اليهود في مختلف أقطار العالم اليوم لوجدنا بينهم الشقر ذوي العيون الزرقاء والشعر الأصفر ورأينا بينهم السمر ذوي الشعر المجعد في هضبة الحبشة والسود في جنوب الهند والصفر المغول في الصين ورأينا بينهم الطوال القامة والقصار وذوي الرؤوس الطويلة والعريضة . ويوشك أن لا يكون هناك أختلافات بين السلالات البشرية أكبر مما نجده بين الجماعات اليهودية في مختلف القارات . وليس مما يقبله العقل أن تكون هذه الطوائف كلها منحدرة من سلالة جنسية واحدة » .

يستخلص مما تقدم أن كلمة يهودي وان كانت مقتبسة من يهوذا الا أنها أصبحت تطلق على كل شخص انتسب الى الديانة اليهودية وأخذها كدين له ، لأن اليهود في مختلف أنحاء العالم هم من سلالات وأجناس مختلفة كما تقدم ايضاحه ولا تجمعهم أية رابطة جنسية وراثية أو وشيجة لغة أو ثقافة بل تجمعهم العقيدة الدينية وحدها[١٦] . وهذا كله يسخّف الادعاءات الصهيونية ومفاهيمها بأن اليهود يكوّنون شعباً واحداً من عرق واحد وقومية واحدة . فقد ورد في الكتاب الذي نشره المجلس الأميريكي لليهودية بعنوان « اليهودية دين لا قومية » ان الشعب اليهودي ، بالمعنى السياسي والطائفي ، ليس له وجود ، وانما كان يرمز بعبارة « الشعب اليهودي » و « شعب اسرائيل » الى الناحية الروحانية[١٧] .

٦ ـ الكيان اليهودي كيان ديني بحت

لم يمارس اليهود في أي دور من أدوار التاريخ حكماً زمنياً قائماً على جنس معيّن أو قومية ثابتة ، فقد كانوا منذ عهد موسى وما زالوا حتى يومنا هذا يمثلون جماعة يرتكز كيانها على الدين والدين وحده ، إذ لم يألفوا غير

---

(١٦) انظر : « اليهود وعلم الاجناس » للدكتور محمد رشيد الفيل ، ص ٧٨ .

(١٧) العربي ، العدد ١٤٣ ، تشرين الاول ١٩٧٠ ، ص ١٤٩ .

السلطة الروحانية ولم يتقبلوا سواها • فكان حكامهم كهنة في أكثر الحالات ، ففي عهد القضاة كان الحكام كهنة وأنبياء • وكذلك كان الوضع في عهـد الملوك فكان الملوك خاضعين للسلطة الدينية التي يمليها الكهنة أو الأنبياء • ومما يذكر في هذا الصدد أن اليهود لم يظهروا في جميع أدوارهم بأي مظهـر من مظاهر البطولة فقد جبلوا على الجبن والخوف حتى جعلوا الههم وقفـاً لنزعاتهم هو الذي يحارب عنهم ويقهر أعداءهم نيابة عنهم : « الرب يقاتـل عنكم وانتم تصمتون »(١٨) ، « الرب يحارب عن اسرائيل »(١٩) •

وقد برهنت جميع الظروف التي مرّت على اليهود على أنهم لم يتقبلوا غير حكم الكهنة ، فلما نشب نزاع بين الجماهير اليهوديـة في أواخر عهـد المكابيين حول نوع الحكم الذي ترغب هذه الجماهير فيه كانت الجمـوع تطالب بتشكيل حكومة دينية بدون ملوك ، ولما كان بعض الكهنة سـمّوا أنفسهم ملوكاً وحكموا على أساس سلطة زمنية رفضهم الجمهور • وقد ظهرت فرقة من اليهود يسمّى منتسبوها بالجليليين نسبة الى يهوذا الجليلي كانـوا ينادون أنه ليس لليهود ملك الاّ الله ــ والتاريخ يحدّثنا كيف لجأت الفرق اليهودية الى الحكام الرومان في آخر عهد المكابيين وصارت تطالب القائـد الروماني بومبي عند مجيئه بالذات الى أورشليم سنة ٦٣ ق•م بـأن يلغي الملوكية ويعيّن لهم كهنة لا ملوكاً ، فاستجاب الى طلبهم وعيّن هيركانوس الثاني المكابي تحت لقب « الكاهن الأعظم » وغدا اليهود بعد ذلك تحت حكم الرومان المباشر من جميع الوجوه عدا القضايا الدينية الصرفة التي تركـت للكهنة(٢٠) •

ويكمن السر في بقاء اليهودية طوال عشرات القرون حتى يومنا هـذا في كونها غير مرتبطة باعتبارات جغرافية أو جنس أو لغة أو قومية أو سياسة ، لأن الكيان الزمني والسياسي عرضة لتقلبات الدهر والزوال ، لذلك فقـد استطاعت اليهودية كدين أن تستمر وتبقى على الرغم من جميع التقلبات •

---

(١٨) خر ١٤ : ١٤ •

(١٩) يش ١٠ : ٤٢ ؛ ٢٣ : ٣ •

(٢٠) "Peake's Commentary on the Bible," p. 608.

وخير مثال لذلك هو فشل الكنيسة المسيحية في محاولتها أن تجعل من كيانها سلطة زمنية وذلك بشن حروبها الصليبية على الشرق فرجعت الى نطاق عملها الديني البحت وزالت الدولة الصليبية وبقيت المسيحية . وكذلك ستلقى دولة اسرائيل بوضعها الشاذ الحالي نفس المصير عاجلاً أو آجلاً .

الفصل الثامن

دور الصهيونية والاستعمار في خلق اسرائيل

دور الصهيونية والاستعمار في خلق اسرائيل

١ـ الصهيونية حركة سياسية استعمارية ٠ ٢ـ بروتوكولات حكماء صهيون ٠ ٣ـ نابوليون يستغل فكرة استعمار فلسطين لمصلحته ٠ ٤ـ بريطانيا تحتضن الصهيونية وتتبنى مشروعها الاستعماري ٠ ٥ـ فكرة استعمار العريش وشبه جزيرة سيناء ٠ ٦ـ اقتراحات لاستعمار أوجندة وموزمبيق وبعض الكونغو ثم التركيز على فلسطين ٠ ٧ـ محاولة توطين اليهود في العراق ٠ ٨ـ الصهيونية تنشط بعد الحرب العالمية الاولى وتعمل على تحقيق أهدافها باسناد من بريطانيا ٠ ٩ـ الصهيونية تنتقل في نشاطها الى أمريكا ٠ ١٠ـ تسامح العرب والدعاية الصهيونية في البلاد العربية ٠ ١١ـ هل يكون اليهود قومية شعبواحد ؟٠ ١٢ـ اليهودية والصهيونية ٠ ١٣ـ هل فلسطين سلعة بائرة لا أهل لها حتى تمنح بالوعود لزيد أو عمرو ؟٠ ١٤ـ الخاتمة ٠

١ ـ الصهيونية حركة سياسية استعمارية

الصهيونية مشتقة من لفظة « صهيون » ، وصهيون أسم رابية فيأورشليم كان قد أقام اليبوسيون أبناء عمومة الكنعانيين العرب قبل ظهور بني أسرائيل (قوم موسى) بحوالي ألفي عام حصنا عليها ، لذلك أن اللفظة كنعانية وليست عبرية (يهودية)،شأنها شأن أكثر أسماء مدن وقرى فلسطين القديمة التيكانتوما زالت تحمل أسماءها الكنعانية الاصلية حتى يومنا هذا ٠ وقد أطلقت تسمية الصهيونية على منظمة ارهابية أسسها يهود روسيا بعد منتصف القرن الماضي ، فسمّي أعضاؤها « عشاق صهيون » و « أحباء صهيون » ٠ وانتمى الى هذه المنظمة معظم يهود روسيا البارزين ، منهم والد وايزمن وابن غوريون وسوكولوف ٠ وقامت هذه المنظمة بحركات سرية ضد القيصرية ، ثم أخذت

تعنى بفلسطين وصارت تسعى لاستعمارها كوطن قومي لليهود . ويلاحظ من ذلك أن أكثر الزعماء المؤسسين للمنظمة الصهيونية هم من يهود اوروبا الشرقية لم يشاهدوا فلسطين في حياتهم عاشوا هم وأجدادهم في أوطانهم في اوربا[1] . وما لبثت هذه المؤسسة حتى أصبحت مؤسسة دولية سياسية استعمارية ذات جهاز تنظيمي اتخذ مؤسسوها اضطهاد اليهود ذريعة لتنظيم حركة يهودية سياسية تستهدف أول ما تستهدف تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين بحجة حقوق اليهود التاريخية في فلسطين . وقد وجدت الصهيونية بعد تحرر اليهود في معظم أرجاء أوروبا ومنحهم الحقوق المدنية والحرية الكاملة للعيش في المجتمعات الاوروبية ظروفا موآتية لنشاطاتها ، فبدأت نشاطها المنظم بدعوى معاداة الشعوب للسامية وبنشر أسطورة مفادها أن فكرة أنشاء الوطن اليهودي في فلسطين قديمة ؛ فمنذ هدم هيكل سليمان قبل ما يقرب من الفي عام واليهود يتطلعون الى تحقيق حلم العودة الى فلسطين أرض الميعاد . وقد أنبثقت وتكونت نتيجة المساعي المبذولة في تحقيق هذا المشروع المبني على الباطل والقائم على التضليل والخداع المنظمة الصهيونية العالمية في نهاية القرن التاسع عشر ، ففي آب من عام ١٨٩٧ عقد أول مؤتمر دولي للصهاينة في مدينة بازل بسويسرة حضره نحو ثلاثمائة شخص يمثلون خمسين جمعية يهودية تمخض عنه تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية وقد انتخب المؤتمر تيودور هرزل رئيسا له . وبعد ذلك بوقت قليل انبثقت من المنظمة في سنة ١٩٠٢ الجمعية الصهيونية الدولية المساهمة حتى أصبحت هذه المنظمات تمثل أكبر الاتحادات المالية المرتبطة أقتصاديا باوثق الصلات مع احتكارات الدول الاستعمارية ، وقد حدد مؤتمر بازل أهداف المنظمة الصهيونية في العبارات التالية :

« إن غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي بفلسطين يضمنه القانون العام .» كما رأى المؤتمر في الوسائل التالية الطريق الى تحقيق هذه الغاية :ــ

١ ــ العمل على استعمار فلسطين بوساطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة .

---

(١) انظر : « بروتوكولات حكماء صهيون » ، للاستاذ عجاج نويهض ، م ١ ، ص ٦ .

٢ ـ تنظيم اليهودية العالمية، وربطها بوساطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد .

٣ ـ تقوية الشعور والوعي القومي اليهودي وتغذيتهما .

٤ ـ اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غايات الصهيونية .

وقرر المؤتمر أيضا اعتبار اللغة العبرية لغة رسمية للتخاطب بين اليهود في جميع ربوع العالم . وتنفيذا لهذا القرار توصل الحاخام « بن يهودا » في سنة ١٩١١ الى وضع لغة عبرية حديثة يمكن أن يستخدمها كل يهود العالم الذين يريدون الذهاب الى فلسطين[٢] ، وهذه تعود الى أصول جرمانية[٣] .

ومن الواضح ان الحركة الصهيونية غدت تمثل مخططا استعماريا صرفا ذا صبغة سياسية قائما على ادعاء باطل وعلى الخداع والتضليل ، وقد أخذ زعماؤها يتاجرون بها على مسرح الدول الاستعمارية الكبرى على حساب أهلها وسكانها العرب .

٢ ـ بروتوكولات حكماء صهيون

وقد كشف عن وثائق سرية مهمة يعتقد أنها كانت مدار بحث ونقاش في المؤتمر الاول المنعقد في بازل سنة ١٨٩٧ ، فسميت هذه الوثائق «بروتوكولات حكماء صهيون » ، ويفضل البعض تسميتها بمقررات سنة ١٨٩٧م باعتبارها أعدت لتبحث في المؤتمر المنعقد في بازل في تلك السنة وتبرم بعد تلاوتها . وقد كتبت هذه الوثائق على شكل تقرير بدايته مفقودة وهو ينطوي على مخطط يرمي الى تمكين اليهود من السيطرة على العالم أجمع لمصلحة اليهود وحدهم . وقد بسط هذا التقرير منهج سبل العمل لتنفيذ هذا المخطط ، منها تدبير الخطط لهدم الحكومات في جميع الاقطار بنشر بذور الخلاف والشغب واثارة الحروب بينها بحيث يضعف فيها الغالب والمغلوب ، ثم احداث أزمات اقتصادية عالمية حتى يسير العالم في طريق الاباحية والالحاد والفوضوية ، وبعد

(٢) « حوليات فلسطينية » ص ١٤ .

(٣) العربي ، ١٠٩ ص ٥٣ .

ذلك يمكن شق الطريق الممهد في غمرة هذه الفوضى لتأسيس حكومة ملكية استبدادية يهودية مقرها في أورشليم أولا ثم تستقر الى الابد في رومة عاصمة الانبراطورية الرومانية قديما • والثابت أن مواد هذا المخطط مستقاة من التلمود الذي تجسمت فيه الروح التعصبية العدائية تجاه كل من كان من غير اليهود وعقيدة « الشعب المختار » التي تمسك بها اليهود طيلة أدوارهم التاريخية[٤] • وعلى الرغم من احاطة هذه الوثائق باشد أنواع الكتمان والتحفظ فقد وقعت في أيدي من قام بترجمتها وطبعها • والشخص الذي قام بهذه المهمة الخطيرة هو البحاثة البروفيسور سرجي نيلوس ، وهو من رجال الكنيسة الارثوذكسية . فاستطاع أن يعيد طبعة أولى محدودة منها بالروسية سنة ١٩٠٢ ، وعلى أثر ذلك عمت المذابح ضد اليهود في روسيا حتى لقد قتل منهم في احداها نحو عشرة الاف ، ولكن نيلوس أعاد مع ذلك نشر الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة ١٩٠٥ وقد سماها « پروتوكولات حكماء صهيون »[٥] • ثم طبع الكتاب مرة أخرى في سنة ١٩١١ ، ولما اعيد طبعه سنة ١٩١٧ صادره البلاشفة الشيوعيون بعد أن قبضوا على زمام الحكم في روسيا وكان معظمهم من اليهود. ثم اختفت البروتوكولات من روسيا •• أما مصير نيلوس فكان الاعتقال ثم النفي الى فلاديمير حيث قضى نحبه في منفاه عام ١٩٢٩[٦] •

ومن أهم ما ورد في مقدمة الاستاذ نيلوس هو تنبؤه باندلاع الثورة الروسية وسقوط الملكيات في اوروبا ، فقال في مقدمته وتعقيبه على البروتوكولات ، أي قبل حدوث الانقلاب الشيوعي البلشفي باثني عشر عاما ؛

---

(٤) حول صلة البروتوكولات بأحكام التلمود انظر كتاب « همجية التعاليم الصهيونية » تاليف القس بولص حنا مسعد ، ١٩٣٨ ؛ أنظر ايضا ما تقدم عن التلمود في الفصل الثالث •

(٥) ان صيغة اللغة التي كانت قد كتبت بها البروتوكولات في الاصل غير معلومة ، فيستخلص البعض أنها كانت بالعبرية أو الفرنسية وقام الاستاذ نيلوس بنقلها الى الروسية ، بينما يرجح البعض الآخر أنها كانت باللغة الروسية وقام نيلوس بطبعها •

(٦) يعتقد الباحثون الغربيون ان واضع البروتوكولات هو أحد كبراء اليهود المشهور في عالم الكتابة اليهودية باسم « احدها عام » ، أي أحد أفراد الشعب ، وجاء فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى وأقام ومات فيها سنة ١٩٢٧ بعد عمل استمر نحو ٦٠ عاما في سبيل الصهيونية •

ما هذا نصه : « إن النوع البشري قد فقد الفهم الصحيح للسلطة ... وهو يقترب من حالات الفوضى ، وسرعان ما تبلى بلى تاما ضوابط الموازين الجمهورية والدستورية ، وستنهار هذه الموازين ، وستجر معها في انهيارها كل الحكومات الى أغوار هاوية الفوضى المتلفة ... وطالما الروح تحيا والقلب الجياش يخفق في الصدر فلا مكان لطيف اليأس القاتل . ولكننا نعتمد على أنفسنا وعلى ولائنا وعلى ايماننا ، لنظفر برحمة الله القادر ، ولنؤجل ساعة انهيار روسيا . » كان ذلك سنة (١٩٠٥)[٧] .

وكان التوافق الذي لوحظ بين مخطط البروتوكولات وبين أحداث الثورة البلشفية الشيوعية في روسيا سنة ١٩١٧ عاملا قويا في إثارة الرغبة في نقل البروتوكولات الى اللغة الانكليزية ، فوقع الاختيار على المستر مارسدن مراسل جريدة المورننغ بوست البريطانية الذي كان يقيم في روسيا ممثلا للجريدة وهو يتقن الروسية للقيام بهذه المهمة ، وقد انصرف مارسدن بعد عودته الى بلده لترجمة البروتوكولات عن النسخة الروسية لنيلوس المطبوعة سنة ١٩٠٥ والتي كانت قد وصلت نسخة منها الى المتحف البريطاني سنة ١٩٠٦ . ثم أعيد طبع هذه الترجمة الانكليزية خمس مرات في غضون ثلاث سنوات بين سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢١ . وفي سنة ١٩١٩ ترجم الكتاب الى الالمانية ونشر في برلين ، ثم توقف طبعه بعد أن جمعت أكثر نسخه .

وقد اختلفت الروايات حول كيفية ظهور البروتوكولات للعالم ، فقد ذكر نيلوس في مقدمة كتابه ان صديقا له (يعتقد انه أليكس نيقولا نيفتش كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية في عهد القيصرية) دفعها اليه قبل أربع سنوات (١٩٠١) وهي بالتأكيد القطعي صورة حقة في النقل من وثائق أصلية سرقتها سيدة فرنسية من أحد زعماء الماسونية الحرة وقد تمت السرقة في نهاية اجتماع سري بهذا الرئيس في فرنسا حيث وكر المؤتمر الماسوني اليهودي . ورواية أخرى تشير الى أن حكومة القيصر التي كانت تتعقب حركات الصهيونيين أنفذت جواسيسها الروس المجربين الى بازل متنكرين وبينما المؤتمر منعقد في جلسة

---

(٧) « الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون » بقلم محمد خليفة التونسي ، الطبعة الرابعة ، بيروت .

سرية دهم البوليس السري القيصري المؤتمر فكانت البروتوكولات من جملة ما استولت عليه أيدي المداهمين(٨) •

٣ ـ نابوليون يستغل فكرة استعمار فلسطين لمصلحته

وكان أول من اجتذبته فكرة استعمار فلسطين على يد الصهيونيين نابوليون بونابارت الذي كان قد خطط لتحقيق حلمه بأنشاء انبراطورية في الشرق ، فبعد شروعه في غزو فلسطين في سنة ١٧٩٩ وجّه نداءا الى جميع اليهود في العالم يستحثهم فيه على الانضمام تحت لوائه والانضواء تحت رايته لاعادة بناء « مجد اسرائيل الضائع في القدس » على حد تعبيره ويصفهم بانهم الورثة الشرعيون لفلسطين • والظاهر أن نابوليون أصدر هذا النداء لكسب جانب اليهود فيستغل نفوذهم في اقطار الدولة العثمانية ومعاونتهم له في تحقيق غاياته ومراميه • ولكن محاولة نابوليون هذه انتهت بالاخفاق والفشل التام على أثر اندحار جيوشه أمام حصن عكا الحصين ، فاضطر بعد ذلك الى مغادرة القطر المصري بسرعة والعودة الى فرنسا رغم الانتصار الذي أحرزه في «ابوقير»

ويعتقد ان نابوليون قد تأثر بما كتبه بعض الكتاب الفرنسيين بشأن اليهود ، ومن هذه الكتابات المذكرة التي قدمها البرنس « دي لينيه » الى ابراطور النمسا جوزيف الثاني عن اليهود سنة ١٧٩٧ حيث أشار فيها الى وجوب اصلاح شأن اليهود واعادتهم الى مملكة يهوذا وأضاف قائلا : « وهم لا يحجمون عن أن يجعلوها بلادا عامرة مزدهرة كما كانت في عهدها الماضي • ومتى عادت بلاد اليهود الى يدهم ، فأنهم لا يتوانون لحظة في ادخال الزراعة والصناعة والفنون والتجارة اليها على الاساليب الغربية • ثم انهم يجددون هيكل سليمان ويستخدمون مياه الامطار والمجاري لري حقولهم ومزراعهم ، وينشئون القنوات والترع للملاحة • »(٩) هذا نموذج من الاراء التي كانت

(٨) يجد القارىء فى كتاب « پروتوكولات حكماء صهيون » للاستاذ البحاثة عجاج نويهض بحثا مستفيضا عن پروتوكولات حكماء صهيون • والكتاب يقع فى مجلدين فى أربعة أجزاء طبع فى بيروت على الارجح ولم يذكر لا مكان الطبع ولا تاريخه • والكتاب هو من أحسن ما كتب فى هذا الموضوع وفى اليهودية العالمية •

(٩) « يقظة العالم اليهودي » تاليف ايلي ليفي ابو عسل ، ص ١٢٤ •

تروجها جماعة من الطبقة الارستقراطية الحاكمة في أوروبا وقد كان لها صدى في تخطيط نابوليون لانبراطوريته في الشرق •

٤ – بريطانيا تحتضن الصهيونية وتتبنى مشروعها الاستعماري

وبعد فشل نابوليون في تحقيق مشاريعه الاستعمارية في الشرق أخذت كل من الدول الاستعمارية الكبرى تحاول تحقيق نفس الاهـــداف التي حاول نابوليون تحقيقها ، أي أستغلال التمهيدات الصهيونية لاستعمار فلسطين على يد اليهود لصالحها • وكانت انكلترا في الطليعة وهي رائدة الدول الاستعمارية وأقدمها خبرة وأوسعها معرفة واطلاعا بشؤون الاستعمار ، فوجدت في المبشرين بالفكرة الصهيونية من رعاياها من اليهود وغيرهم أداة طيعة تستغلها في تحقيق المشروع لصالحها قبل ان تحتضنه دولة أخرى لصالحها • ومن هؤلاء المبشرين الثري اليهودي البريطاني الجنسية السير موسى مونتوفيوري الذي كان فـــي مقدمة المتحمسين للصهيونية ومشروعها الاستعماري ، فزار فلسطين عدة مرات واقام في مصر مرارا عديدة وكان مونتوفيوري هذا مقربا من البلاط البريطاني يحظى برعاية خاصة من الملكة فكتوريا وريثة التاج البريطاني • وقد كان آنئذ اللورد بالمرسون متقلدا منصب رئيس الوزراء فكان بدوره من الذين يؤيدون مشروع تمكين اليهود من استعمار فلسطين لمصلحة بريطانيا • ففي سنة ١٨٣٨ قابل مونتوفيوري محمد علي باشا الكبير والي مصر بصفته حاكما عاما عـلى سورية التي كانت ولاية فلسطين تابعة لها وعرض عليه « أن يؤجر لليهود مائة او مائتي قرية لمدى خمسين سنة في مقابل عشرة او عشرين في المائة تدفع فـــي الاسكندرية من قيمة الايجار تدريجيا على أن تكون هذه القرى حرة مجردة من كل مانع ومحذور ، أي طليقة من قيود الضرائب والاتاوة كل مدة الايجار ، وللزارعين الحق في بيع تلك الحاصلات في أي بلد من بلدان العالم، وليس من حرج عليهم في ذلك • » وقد أسفرت هذه المقابلة عن « تعهد محمد علي باشــــا بالترخيص لليهود في شراء أية مساحة يستطيعون أن يجدوها في ربـــــوع سورية • » وأبدى السلطان رغبته في أن تمنح لهم الاراضي بمجرد طلبهم وقال إن اليهود بامكانهم والحالة هذه ان ينتخبوا حكاما يقع اختيارهم عليهم للاشراف على مقاطعات فلسطين باسرها • وأكد أنه لا يدخر وسعا في سبيل معاونتهـم وشد أزرهم في انجاز هذا المشروع • وقد أصدر أمرا بتأييد هذه التأكيدات

والوعود كتابيا بمقتضى الفرمانات الصادرة من الحكومة المصرية في هـذا الخصوص • وكانت تحظى بالطبع مساعي مونتوفيوري هذه لحل المسالة اليهودية بوساطة استعمار فلسطين (على حد تعبيره) بموآزرة الحكومة البريطانية وتأييدها[١٠] وفي هذا الوقت بالذات وجه بالمرستون وزير خارجية بريطانيا، رسالة الى نائب القنصل الانكليزي في القدس يأمره فيها : « كن حاميا لليهود بصورة عامة » • وفي سنة ١٨٤٠ كتب بالمرستون أيضا الى سفير جلالة الملك في استانبول رسالة يقول فيها : « من الواضح انه سيكون للسلطان مصلحة كبيرة في أن يشجع اليهود على أن يعودوا الى فلسطين ، وان يستقروا فيها ••• احمل هذه الفكرة سرا الى الحاكم التركي ، واطلب منه في صراحة تامة أن يشجع يهود أوروبا على العودة الى فلسطين • »[١١]

ثم نشبت الحرب بين محمدعلي باشا وبين الحكومة العثمانية فاسفرت عن انتصار جيشه وزحفه على الاستانة بعد أسر عدد من القواد الاتراك • وقد أصبحت أبواب الاستانة مفتوحة امام جيش محمد علي باشا لولا تدخل الجيش الروسي لسد تلك الابواب بوجهه ، وبعد تدخل الدول الكبرى اضطر محمد علي باشا الى سحب جيشه الظافر من الاناضول وترك الاقطار السورية ومن ضمنها فلسطين الى الحكومة التركية لادارتها بوساطة حكام من الباب العالي • وكانت شروط الصلح التي فرضت على محمد علي باشا في ٥ ايلول ١٨٤٠ تنازله عن سيادته على سورية وفلسطين على شرط أن يكون الحكم في مصر حقا متوارثا لذريته وأعقابه ، فكان ذلك ضربة قاصمة لمشروع مونتوفيوري ومؤيديه[١٢] • الا أن هذه الاحداث لم تثن دعاة المشروع عن مواصلة دعايتهم

(١٠) « يقظة العالم اليهودي » ص ١٤٥ ـ ١٥٢ •

(١١) « حوليات فلسطينية » ، ص ١٠ ـ ١١ •

(١٢) يجد القارىء في كتاب الاستاذ عجاج نويهض « بروتوكولات حكماء صهيون » (م ٢ ، ص ٢٤٨ ـ ٢٦٠) بحثا مستفيضا يتناول تاريخ حياة مونتفيوري ودوره في محاولات الصهيونية في تحقيق أهدافها الاستعمارية الخاصة باستيطان اليهود في أرض فلسطين • ومما ذكره الاستاذ نويهض في هذا الصدد أن مشروع مونتفيوري كان يرمي الى استئجار ١٠٠ـ٢٠٠ قرية في شمالي فلسطين ، صفد وطبرية وما اليهما ، لمدة ٩٠ سنة على أن تدفع الاعشار السنوية سلفا وبزيادة ١٠ـ٢٠ بالمئة على معدل تخمين =

له والسعي لتحقيقه . ففي ٢٥ أيلول ١٨٤٠ كتب اللورد شافتسبوري السياسي الانكيلزي المعروف رسالة الى وزير خارجية بريطانيا بالمرستون يقول فيها : «إن سورية ومن ضمنها فلسطين ينبغي أن تحول الى دومنيون انكليزي » وأكد أن الحاجة تستدعي من أجل ذلك الى الرأسمال واليد العاملة .. واذا ما بحثنا مسألة عودة اليهود لبناءفلسطينأو أستيطانها فأننا سنكتشفبأن تلك أرخص الطرق وأسلمها لتأمين كل ما هو ضروري لهذه المنطقة الضئيلة السكان(١٣) . وفي مقال كتبه شافتسبوري للصحف بعد ذلك يقول : « ستكون سورية (من ضمنها فلسطين) بعد اعادة انشائها بلدا تجاريا بصورة خاصة ، ومن هم أكبر التجار في العالم ؟ وهل يوجد حقا مكان أكثر ملاءمة ، ومنطقة مباركة ، يمكن أن يبدي فيها اليهودي مؤهلاته ؟ انها ستكون ضربة موجهة ضد انكلترا اذا ما امتلك أي من منافسيها سورية . » وفي ٢٥ كانون الثاني ١٨٥٣ أعلن في البرلمان الانكليزي العقيد جورج غاولر ، حاكم جنوب استراليا السابق « ان العناية الالهية هي التي وضعت سورية ومصر على طريق انكلترا الى اكثر مناطق تجارتها الخارجية الكولونياليه أهمية .... وينبغي ان تجدد يد بريطانية سورية بوساطة الشعب الوحيد الملائم للقيام بهذه الرسالة والذي يمكن ان تستخدم طاقته بصورة دائمة وفعالة ، أنهم الابناء الحقيقيون لهذه الارض ، أبناء اسرائيل . »(١٤)وقال جيمس نيل في كتابه « النزوح الى فلسطين أو جمع شمل اسرائيل المشردة » سنة ١٨٧٧ : « إن احتمال أن يتمكن الانكليز من أستيطان فلسطين بنفس النجاح الذي أستوطنوا به في أمريكا الشمالية بعيد جدا وذلك بسبب حرارة الجو والصعوبات التي يقيمها العرب والافتقار الى حماية فعالة وكثير غير ذلك . لهذا فهو يقترح أن يستخدم اليهود لتحقيق هذا الهدف . »(١٥)

= الاعشار وقتئذ وعلى أن تكون الاراضي خلال مدة الايجار لا يد لاحد عليها ، واليهود أحرار في التصرف في الانتاج داخل فلسطين وخارجها ، الا أن انسحاب جيش محمد علي باشا من سورية وفلسطين قضى على هذه الصفقة.

(١٣) N. Socolow : History of Zionism, vol. II, p. 230

(١٤) N. Socolow, op. cit., vol. II, p. 366.

(١٥) « حذار من الصهيونية » تاليف يوري ايفانوف ترجمة محمد كامل عارف ص ٤٥ــ٤٦ .

وهكذا بات الجو مهيئا لظهور الصهيونية كحركة سياسية منظمة وكمؤسسة رأسمالية ، ففي السبعينات من القرن التاسع عشر انشئت في انكلترة « الشركة الكولونيالية السورية ـ الفلسطينية » لغرض استعمار سورية وفلسطين والبلدان القريبة . وفي سنة ١٨٩٧ ، كما ذكر من قبل ، تم تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية بقيادة زعيمها الاول تيودور هرتزل . وقد صاغ هرتزل الافكار الصهيونية في حركة سياسية مرتبطة بالامبريالية العالمية في كتابه « الدولة اليهودية » وأصبح هو المنظم لها وداعيتها ومندوبها السياسي. وقد كان لانشاء قناة السويس بين سنة ١٨٥٩ و ١٨٦٩ ، وخاصة بعد ان تم لدزرائيلي شراء أسهم القناة سنة ١٨٧٥ ، أثر في توجه سياسة بريطانيا نحو فلسطين بغية اتخاذها قاعدة تستغل في حماية القناة ، وذلك بتشجيع وتأييد المشروع الصهيوني الرامي الى استعمار فلسطين من قبل اليهود تحت رعاية وحماية الحكومة البريطانية . فكتب الوزير البريطاني المستر ايسري في مذكراته يقول : « نحن نرى من وجهة النظر البريطانية الخالصة ، أن اقامة شعب يهودي ناجح في فلسطين يدين بوجوده وفرصته في التطور الى السياسة البريطانية كسب ثمين لضمان الدفاع عن قناة السويس من الشمال ولاداء دور المحطة للطرق الجوية المقبلة مع الشرق . » كما جاء في مذكرات تشرشل وهو من آخر بناة الاستعمار البريطاني قوله : « اذا اتيح لنا في حياتنا ، وهو ما سيقع حتما ، أن نشهد مولد دولة يهودية ، لا في فلسطين وحدها ، بل على ضفتي نهر الاردن معا ، تقوم تحت حماية التاج البريطاني ، وتضم نحوا من ثلاثة ملايين أو أربعة ملايين من اليهود ، فأننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحيوية للانبراطورية البريطانية . »[١٦]

وقد كشف النقاب عن التقرير الخطير الذي قدمته لجنة الاستعمار سنة ١٩٠٧ الى وزارة المستعمرات البريطانية والذي أطلق عليه اسم تقرير « كامبل بنرمن » ، فقد أقترح على الحكومة البريطانية في هذا التقرير « أن تقيم حاجز بشرياً قوياً وغريباً على الجسر البري الذي يربط آسيا بافريقيا ويربطهما معه بالبحر الابيض بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة . » (مجلة المجمع العلمي العربي

(١٦) « الصهيونية » لخيري حماد ص ٧٨ ـ ٨٠ .

بدمشق ، م ٣٧ ، ١ نيسان ١٩٦٢ ، ص ٢٨٤) .

٥ ـ فكرة استعمار العريش وشبه جزيرة سيناء

كانت فلسطين كما سبق ذكره الهدف الاساس في مشروعات هرتزل لاستيطان اليهود وتأسيس دولة يهودية فيها ، الا أن محاولاته المباشرة وغير المباشرة في هذا السبيل ، أي محاولة اقناع السلطان عبد الحميد بالموافقة على هجرة اليهود الى فلسطين ، باءت بالفشل ، ففكر هرتزل أن يتجه الى الحكومة البريطانية التي كانت تظهر العطف على الحركة الصهيونية منذ نشوئها بغية حصوله على معاونتها في استعمار العريش وشبه جزيرة سيناء كبداية لتحقيق المشروع الأصلي الذي يرمي الى استعمار فلسطين ، فجعل من مدينة لندن سنة ١٩٠٢ المقر المالي للحركة الصهيونية . وقد لاقى هرتزل تشجيعا من المسؤولين البريطانيين فقابل المستر جوزف تشمبرلين وزير المستعمرات البريطاني وفاتحه في موضوع العريش وسيناء ، ويروي هرتزل أنه في نهاية المقابلة سأل الوزير البريطاني هل يوافق على انشاء مستعمرة يهودية في شبه جزيرة سيناء فأجابه نعم اذا وافق اللورد كرومر مندوب بريطانيا السامي في مصر . وفي اليوم التالي قابل هرتزل اللورد لانسدون وزير الخارجية فأعرب له الوزير عن تأييده لفكرة اقامة مستعمرات يهودية في منطقة العريش وشبه جزيرة سيناء وعن استعداده لكتابة رسالة الى اللورد كرومر يوصيه باستقبال ممثل هرتزل وتسهيل مهمته الاستطلاعية . وقد أسفرت زيارة ممثل هرتزل المدعو « جرينبرج » لمصر عن تأييد اللورد كرومر ورئيس وزراء مصر حينذاك للاقتراح الرامي الى استعمار اليهود لشبه جزيرة سيناء ، واقترح اللورد كرومر ايفاد بعثة دراسية من الخبراء للبحث في المشروع وفي طريقة ري الصحراء من مياه النيل ، ولكن خبراء الري عارضوا مشروع إرواء الصحراء من النيل مما أضطر هرتزل الى التخلّي عن المشروع .

٦ ـ اقتراحات لاستعمار أوجندة ، وموزمبيق وبعض الكونغو ثم اعادة التركيز على فلسطين

وبعد فشل مشروع سيناء تقدم تشمبرلين باقتراح الى هرتزل يرمي الى استيطان اليهود لأوجنده في أفريقيا الشرقية ، وقد جرت اتصالات حول

الحصول على موزمبيق من حكومة البرتغال ، كما أنه ورد ذكر امكانية استعمار أجزاء من الكونغو ، ولكن هرتزل قال في تعليقه على ذلك بأن هذه المشاريع كلها لم تغير من المخططات الصهيونية الأصلية بشأن استعمار فلسطين وأضاف ان « آمالنا في تحقيق هدفنا النهائي ، لم تكن في يوم من الايام أقوى مما هي عليه الآن ، وسيقوى نضالي من أجل أرض صهيون ويعظم ويشتد ، بفضل القوى والظروف الجديدة التي أصبحت في جانبنا » • وبموت هرتزل في الثالث من تموز ١٩٠٤ ماتت المشاريع الصهيونية المتعددة إذ اتخذ المؤتمر الصهيوني السابع قراراً بالتخلي عن جميع المشاريع الاستعمارية الصهيونية من خارج فلسطين ، وانصرفت القيادة الصهيونية الجديدة في السنوات التالية الى مشاريعها الاستعمارية في فلسطين بزعامة الدكتور حاييم وايزمن الذي وجد في بريطانيا خير حليف للصهيونية خاصة بعد ان تحقق النصر للحلفاء بعد الحرب العالمية الاولى وفرضت السيطرة البريطانية على فلسطين • وكان قد تمكن مكتب فلسطين الذي انشأته المنظمة الصهيونية في يافا في عام ١٩٠٨ ، وبمساعدة الصندوق القومي اليهودي ، من بناء منطقة سكنية جديدة سنة ١٩٠٩ أصبحت نواة مدينة تل أبيب • وقد نشطت المؤسسات الصهيونية المالية في بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين وذلك بشراء الاراضي وتدريب المستوطنين و انشاء المدارس المهنية حتى تمكنت من توطين نحواً من أربعين ألف يهودي في فلسطين في فترة ما قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ، ثم توقفت أعمال المؤسسة الصهيونية مؤقتاً عن العمل بسبب الحرب ، ولم تكد الحرب تنتهي حتى بادر الصهيونيون الى اعادة تنظيم الحركة الصهيونية على نطاق عالمي ، فتم عقد المؤتمر الصهيوني في لندن سنة ١٩١٩ الدي أسفر عن قيام أول تنظيم للحركة الصهيونية داخل فلسطين ما لبث ان تحول الى الوكالة اليهودية بدوائرها السياسية والتنظيمية والمالية والدعائية وبمكتبها المتخصص في شؤون الهجرة • واستكملت الحركة الصهيونية في هذا المؤتمر وفي المؤتمر الذي تلاه في لندن أيضا في عام ١٩٢٠ وفي مقدمتها الصندوق القومي الجديد للاسكان والاستعمار[١٧] •

---

(١٧) « الصهيونية » لخيري حماد ص ٤٣ ـ ٤٩ •

٧ ـ محاولات لتوطين اليهود في العراق

وقد كتب الدكتور غروبا وزير المانيا المفوض في العراق في مذكراته يقول : « وقد حاولت بعض المنظمات اليهودية الانكليزية والفرنسية مرات عديدة أن توطّن في العراق مجموعات من الفلاحين اليهود من أوروبا الشرقية ، لاتساع الأرض ووفرة الماء في العراق مع قلة السكان الذين يقومون بزراعتها . وفي سنة ١٩٠٧ أوفدت « جمعية التوطين اليهودية » (ICA) التي مقرها لندن ، وتتعاون تعاوناً وثيقاً مع « جمعية الاتحاد الاسرائيلي » في پاريس ، اليهودي الفرنسي « نييغو » (Niego) الى بغداد لدراسة موضوع التوطين ، وقد بقي « نييغو » هذا أربعة أشهر أو خمسة في بغداد ... واقترح توطين خمسين ألف يهودي ، روسي وپولوني ، فأيّد المشروع وزير مالية تركيا جاويد بك ولكن عبد الحميد رفضه ... وكذلك تسلّم الملك فيصل الأول خلال زيارة له الى لندن في أيلول سنة ١٩٣٣ اقتراحاً بتوطين مئة ألف يهودي في دجلة السفلى ، في المنطقة بين العزيزية وكوت الامارة ، وعرضت على الحكومة العراقية في حالة قبولها بعض الفوائد المالية ، وخاصة تسهيلات في الحصول على قرض كبير . وكان المفروض أن يكون قسم من هؤلاء المائة ألف يهودي من مهاجري المانيا . فأرسل الملك فيصل هذا الاقتراح الى الحكومة العراقية للنظر فيه ... »(١٨) .

٨ ـ الصهيونية تنشط بعد الحرب العالمية الاولى وتعمل على تحقيق اهدافها باسناد من بريطانيا

ولقد أصبح الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام الصهيونية بعد احتلال الحلفاء لفلسطين في أواخر الحرب العالمية الأولى وراحت تعمل بكل نشاط وحرية في سبيل تحقيق مخططها الرامي الى اقامة الدولة اليهودية في فلسطين . فوعد بلفور بعد قبوله في مؤتمر سان ريمو في عام ١٩٢٠(١٩) غدا دستور

---

(١٨) « العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب » ، ترجمة نجدة فتحي صفوة ، ١٩٦٩ ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(١٩) ان وعد بلفور هو عبارة عن خطاب موجه من وزارة الخارجية البريطانية سنة ١٩١٧ م الى « لورد روتشيلد » بوصفه ممثل اللجنة السياسية التابعة للمنظمة الصهيونية ، وفي هذا الخطاب يعلن وزير الخارجية البريطانية =

السياسة البريطانية في فلسطين يهتدى بـه في تنظيـم مخططات بريطانيـا الاستعمارية ، خاصة بعد أن أقر مجلس عصبة الأمم في ٢٤ تموز من عـام ١٩٢٢ انتداب بريطانيا على فلسطين ، فسارت الصهيونية تركز جهودها على تنظيم الهجرة اليهودية الى فلسطين واقامة المستعمرات اليهودية فيهـا لوضع اسس الوطن القومي حتى ارتفع عدد اليهود في فلسطين من ٤٠ ألف قبـل نشـوب الحرب العالميـة الأولى الـى ٥٥ ألفاً في عام ١٩١٩ والى ١٠٨ آلاف في عام ١٩٢٥ والى ٣٠٠ ألف في عام ١٩٣٥ والى ٦٥٠ ألفاً في عـام ١٩٤٨[٢٠] • وبعد أن وثق الاستعمار البريطاني بأن الوضع أصبـح مهيئـاً لاقامة الدولة اليهودية قرر احالة القضية الى الأمم المتحدة التي أقرت مشروع التقسيم وقيام اسرائيل في الرابع عشر من مايس عام ١٩٤٨ •

وكان وايزمن قد تمكن أثناء الحرب من اقناع الحكومة البريطانيـة بتكوين فرقة يهودية تقاتل الى جانب الحلفاء وكانت تلك الفرقة اليهودية هي نواة جيش اسرائيل الذي حارب خلال الفترة التي تلت اعلان قيام دولـة اسرائيل ، وكان لهذه الفرقة علمها المستقل وقد أصبح ذلك العلم علم دولة اسرائيل •

وهكذا! نفّذت الخطة الجهنمية المنطوية على طرد مليون عربي من وطنه وحلّ شرذمة من شذاذ الأقوام من مختلف أنحاء العالم محلها بالاستناد الى حراب الانكليز وادعاءات وهمية زائفة بحق أنسال بني اسرائيل في فلسطين •

٩ ـ الصهيونية تنتقل في نشاطها الى أمريكا

وكان للقرار الذي اتخذته المؤسسة الصهيونية العالمية خلال الحـرب العالمية الأولى الخاص بانتقال نشاطها الى أمريكـا أثره في تطـور القضيـة الفلسطينية على الصعيد الدولي • ولكن بالرغم من أن الحركة الصهيونيـة كانت تتجه بسرعة الى التركيز على الولايات المتحدة الأميركية بقيت بريطانيا

= باسم حكومته أنها « تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وتريد أن تبذل كل جهودها لتحقيق هذا الهدف ، على أن يكون من المفهوم بوضوح انها لن تفعل أي شيء قد يضر بالحقوق الدينيـة أو المدنية الخاصة بالجماعات غير اليهودية في فلسطين » •

(٢٠) « الصهيونية » لخيري حماد ، ص ٧٦ •

مركزاً رئيساً للنشاط الصهيوني طالما أن بريطانيا ما زالت هي الدولة المنتدبة في فلسطين ، وعلى هذا ظل قادة الحركة الصهيونية يستغلون النفوذ الصهيوني في أمريكا للضغط على مركز السلطة في بريطانيا لتحقيق مصالح الصهيونية •

وفي خلال الحرب العالمية الثانية أدركت الصهيونية أن نجم أنكلترا أخذ في الافول وأنها لابد من أن تنقل مركز نشاطها الى أمريكـا ، بعد أن أصبحت لا تأمن جانب بريطانيا التي كانت سياستها ترمي الى تحديد كيان اسرائيـل وربطه بعجلة الامبراطورية البريطانية وتسخيره في مصالحها الاستعمارية ، فاتصلت باتحادات ونقابات العمال وبالمجالس النيابية في الولايات الأميركية المختلفة وأعضاء الحزبين الجمهوري والديمقراطي ، ولم يأت عام ١٩٤٤ حتى كانت برلمانات ٣٣ ولاية قد أصدرت توصيات تؤيد فيها المطالب الصهيونية ، ثم تحولت نشاطات الاجهزة الصهيونية الى كسب تأييد أعضاء الكونكريس الاميركي للصهيونية ، ففي أعوام قليلة تمكنوا من تحقيق هذا التأييد مستغلين في دعاياتهم جهل الرأي العام الاميركي للقضية الفلسطينية • وهكذا أخذت الصهيونية تلعب دوراً مهماً في الانتخابات الاميركية واستخدام نفوذهـا للحصول على أكبر عدد من المكاسب في مصلحة الصهيونية وتحقيق أهدافها •

١٠ ـ تسامح العرب والدعاية الصهيونية في البلاد العربية

وقد وجد الصهيونيون ظروفاً ملائمة بتسامح العرب تجاه الأديـان السماوية لنشر دعايتهم في داخل البلاد العربية التي كان معظمها خاضعاً للنفوذ البريطاني ، فكانت مصر المركز الرئيس للحركة الصهيونية والملاذ الحر لطبع منشوراتها فيها • وأغرب ما قرأت من هذه المنشورات كتاب ألّفه باللغـة العربيـة كاتب يهـودي صهيوني يدعى ايلي ليفي ابو عسـل وعنوانـه « يقظة العالم اليهودي » طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٤ • نعم انه لغريب وغريب جداً ما قرأته في هذا الكتاب ، والأغرب انه سمح بنشره في بلد عربي • إن مؤلف هذا الكتاب يعتبر هرتزل صنواً لموسى وانه ظهر لاتمام مهمة موسـى في تحقيق استعمار اليهود لفلسطين ، وان الحركة الصهيونية ان هي الا تكملة رسالة موسى الى شعبه وهكذا يجعل هرتزل بمصاف الأنبياء الذين يجب تقديسهم • فهو يقول بالحرف الواحد : « قلنا ان موسى كما تقدم الالمـاع

كان أول من شيد صرح الصهيونية ووطد دعائمها ، ونشر مبادئها السياسية وقد اثبت لنا الواقع أن الصهيونية ليست في عهدنا هذا سوى حلقة من سلسلة متصلة حلقاتها بعضها ببعض اتصالاً مستمسكاً وثيقاً ومتوائقة أجزاؤها تماسكاً محكماً شديداً ... فلو أجلنا نظرنا في مشروع موسى لنستشف ما انطوى عليه ادراكه ، والمناهج التي انتهجها في سبيل تحقيقه ، لوجدناه يكاد يكون مطابقا في معناه ومبناه لتعاليم هرزل ونظرياته التي جل مرماها إظهار الوصمة التي لا مندوحة من أن يوصم بها اليهود ، والعار الذي يرتدونه اذا ظلوا واجمين واجفين .... كل هذه الزواجر تميط اللثام وتظهر لنا أن الخطط التي رسمها هرزل كانت على وتيرة واحدة مع التي وضعها موسى ، وكانت مشكاة يهتدون بهديها فأزالت عن أبصارهم غشاوة الجهل والغباوة التي كانت مخيمة عليهم . وأشباح المحن والرزايا التي كانت تنتابهم ، فموسى وهرزل صنوان لا يختلفان لا في المبدأ الذي كانا ينشدانه ولا في الهدف الذي كانا يرميان اليه ..... على أن الفكرة الأساسية التي كانت تجيش في صدر موسى هي ان مستقبل القومية اليهودية لا يبسم له محيّا السعادة ولا يرجى له النجاح الا بتملك الشعب اليهودي الأرض في فلسطين تملكاً مستديماً خالداً . إذ أن الاقامة خارج الوطن ليست في الحقيقة الا مظهراً من مظاهر التفرقة الهدامة الأليمة مع ما تجره وراءها من محن وخطوب وتبديد للشمل الخ .... »[٢١] .

وفي هذا الكتاب الكثير من المديح لزعماء الصهيونية والثناء على مؤآزريهم من اليهود وغير اليهود . وهذا ان دلّ على شيء فانما يدل على أن العرب كانوا غافلين عما يجري في ديارهم أو كانوا قد تمادوا في التساهل الذي اشتهر العرب به مع اليهود عبر التاريخ حتى سمحوا لنشر مثل هذه المطبوعات المتحدية لشعور العرب في عقر دارهم .

ويتجلّى بابين التجلّي التسامح والتساهل اللذان كانت تمارسهما البلاد العربية تجاه اليهود في نوع الحياة التي كان يعيشها اليهود في مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين ، فقد كانوا يتمتعون بحياة هادئة مستقرة

---

(٢١) « يقظة العالم اليهودي » ، تاليف ايلي ليفي ابو عسل ، ص ٢٢ ـ ٢٤ ، ٣٤ .

وبحرية مطلقة في ممارسة شعائرهم الدينية وفي انشاء معابدهم ومحافلهم ومعاهدهم الثقافية والتبشيرية ، فقد انتشرت مؤسساتهم الدينية والثقافية والاجتماعية والمالية بطول البلاد وعرضها واطلقت أيديهم في الصحافة المصرية فضلاً عن الصحافة اليهودية ، فكان لهم أساتذة في المعاهد المصرية وهم يلاقون من زملائهم الاساتذة المصريين أحسن معاملة . وكان لهم دور كبير في مجالات المال والاقتصاد فأثرى عدد كبير منهم وأصبحوا من كبار ملاكي الاراضي والعقار وأصحاب الشركات الكبيرة ، كما كان لهم مقاعد في مجلسي الشيوخ والنواب ، وفي عام ١٩٢٤ عين وزير يهودي للمالية في الحكومة المصرية هو يوسف قطاوي باشا .

ولم تكن حياة اليهود في العراق بأقل استمتاعاً واستقراراً فقد تغلغلوا في جميع نواحي الحياة العراقية السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ولما تألفت حكومة العراق الوقتية في سنة ١٩٢٠ كان أول وزير للمالية في هذه الحكومة وزير يهودي هو ساسون حسقيل وقد جدد تعيينه في كل من الوزارات التي تعاقبت على الحكم بعد تبوء الملك فيصل عرش العراق ، وكانت لليهود مقاعد في مجلسي النواب والأعيان .

وقد حظي اليهود بنفس المكانة والمعاملة في البلاد العربية الأخرى ، فكان منهم الوزراء مثل الدكتور بنزاكين في المغرب واندريه بسيس واندريه باروخ في تونس .

وقد روى المستشرق الفرنسي جاك بيرك أنه لما حاولت حكومة فيشي الفرنسية الخاضعة لالمانيا الهتلرية أن تضطهد يهود المغرب وقف محمد الخامس ملك المغرب يدافع عنهم ويحذّر من يمسهم بسوء مؤكداً أنهم مواطنون عرب مغربيون .

هذه نماذج عابرة من تسامح العرب والمسلمين مع اليهود وحمايتهم لهم ، وما كان على اليهود وخاصة يهود البلاد العربية أن يعيروا أذناً صاغية للدعايات الصهيونية التي ترمي الى تحقيق الاغراض الاستعمارية على حساب أهل فلسطين وعلى حساب مصلحة اليهود في العالم في وقت واحد . واني لم أزل احتفظ بمقال كنت قد نشرته في جريدة الأحرار البيروتية قبل أربعين سنة

بعنوان « فلسطين بين العرب والصهاينة » وذلك في عددها الصادر بتاريخ ٢٨ آب ١٩٣٠ (ص ٣) ، وقد شرحت في هذا المقال أطماع انكلترا السياسية في فلسطين وأسباب دعمها للصهيونية وقد ذكرت آنذاك بأن مصر سائرة بسرعة نحو نيل استقلالها ولابد من قاعدة تكون تحت سيطرة انكلترا لتحل محلها على ساحل البحر المتوسط ، وهل من موقع أكثر ستراتيجية ومناعة من سواحل فلسطين ؟ .. والى الاسرائيليين في البلاد العربية وجهت كلمتي في الختام بما يلي حرفياً :

« اليكم أيها الناطقون بالضاد من اسرائيليي الشرق العربي أوجه الآن كلامي ولست بحاجة الى القول بأن الفكرة الصهيونية المشؤمة عدوة لدودة للنهضة العربية ولأماني الدول العربية . وما كان وربي لأي شخص ولد وترعرع ، عاش وسعد ، تحت سماء العالم العربي الصافي الجميل مهما كان قد ورثه عن دين آبائه ، أن يجازي البقعة التي تضم رفات آبائه وأجداده بتطوعه الى جنب أعدائها ! واننا لننظر بعين الأمل الى ذلك اليوم الذي يقف فيه اسرائيليو الشرق العربي وقفة واحدة محتجين أمام خطوة أنكلترا طالبين تمزيق منشور بلفور والرجوع الى صراط العدل والحق فيرجع السلام والهدوء الى ربوع البلاد العربية .

« فلسطين لأهلها تعود ولهم تكون ! ! فدخول الغريب اليها ليتخذها تحت تهديد الحراب وطناً قومياً له يكون كمن يحل على رب الدار يريد اغتصاب بيته بالقوة ، وليت شعري هل من يسلّم داره دون الذود والدفاع عنها ؟ هذه حقيقة راهنة يجب أن يضعها ذوو العقول نصب أعينهم مهما كانت رغائبهم !! ..

« اذا حق للصهيونيين أن يطالبوا في فلسطين كوطن قومي ليهود العالم فالعربُ هم أحق بالاندلس وما يتبعها من البلدان التي كانت تحت سلطان العرب قبل أمد غير طويل !

« كل صهيوني يقيم مسكناً على أرض فلسطين عليه ان يعتبر هذا المسكن مسكناً موقتاً لا وطناً دائماً . وما بنو صهيون سوى مرقاة بريطانيا يصعدها الانكليز لنيل مآربهم في الشرق العربي .

« وكلمتي الأخيرة : يا اسرائيليي الشرق العربي اهتفوا بصوت واحد : (اننا اسرائيليو المولد ولكننا عرب قبل كل شيء) • قاوموا الصهيونية بكل ما وهبتم من نفوذ ، فهي عدوة لدودة لدين الحق والعدل ، واجب على كل شخص حر عادل ، موسويا كان ، مسيحيا أو مسلما ، أن يتطوع لمكافحتها ، وان الله نصير محبي الحق والعدل » •انتهى [زحلة (لبنان) في ٢٠ آب سنة ١٩٣٠] •

ولكن مثل هذه النداءات لم تلق آذانا صاغية في وجه تيار الصهيونية وخططها الجهنمية • ففي ذلك يقول ليلنتال في كتابه « اسرائيل : ذلك الدولار الزائف » (ص ٦١) : « لقد نجم عن زخم الصهيونية منذ سنة ١٩٤٨ ان دمّرت علاقات التعايش السلمي التي كان اليهود يتمتعون بها بين اخوانهم العرب منذ ألف سنة ، إذ تمكنت الوكالات اليهودية عن طريق إثارة الخوف من الاضطهاد ، وغير ذلك من أسلحة الدعاية ، أن تسحب ٦٥٠،٠٠٠ يهودي من العراق واليمن وسورية ومصر وتونس والجزائر ومراكش • وقد أغري هؤلاء اليهود الشرقيون بالمجيء الى أسرائيل ليعمّروا الاراضي التي تركها العرب المنفيون خالية كما قال موشه مينوهن • إذن ، لا تكون هجرتهم قد تمّت في الدرجة الأولى بقصد انقاذهم ، وانما لمواجهة متطلبات اسرائيل من مال وقوى عاملة وقوى عسكرية » • .

١١ ـ هل يكوّن اليهود قومية شعب واحد ؟••

وهنا علينا قبل كل شيء تعريف القومية بمفهومها الحديث ثم تعريف معنى الدين أو العقيدة المذهبية : إن المقوّمات الأساسية للقومية كما هو متفق عليه لدى كثير من الباحثين هي لغة واحدة ، ثقافة واحدة ، وطن واحد • امّا الدين فهو عقيدة يعتنقها الفرد أو المجتمع دون أن يشترط عليه أن يتكلم بلغة واحدة أو أن يكون من عرق واحد أو أن يقيم في وطن واحد • يتضح في ضوء ذلك أنه لا توجد قومية لا في اليهودية ولا في المسيحية من حيث الأساس رغم كون الأولى قد أصبحت تعتبر مغلقة منذ قرون طويلة • إن القومية الواحدة قد تضم عدة أديان وهي قائمة بذاتها ، وقد تلتقي مع هذه الأديان في وطن واحد ولكن ليس من الضروري أن يكون للدين ارتباط بالقومية لأن

الدين شيء والقومية شيء آخر في تفسير مفهوم القومية الحديثة ، وقد يلتقيان في ظروف خاصة كما كان الحال مثلاً في ابان ظهور الاسلام ولكنهما يتباعدان بل قد يتضاربان كضدين متنافرين في ظروف أخرى ، فلنأخذ مثلاً الشيوعية الماركسية كعقيدة ، فهل يصح لنا أن نسم العقيدة الماركسية بالقومية في حين أن هذه العقيدة والقومية ضدان لا يجتمعان . وكذلك هل يصح لنا أن نَسِمَ الديانة المسيحية بالقومية ؟ هذا من ناحية الدين والقومية وعلاقتهما ببعضهما . اما كيفية انتشار اليهودية والمسيحية فكلتاها ظهرت في ظروف متشابهة وسط عالم يدين بالوثنية ويمارس عبادة الأصنام ، والاثنتان انتشرتا في العالم عن طريق التبشير وبخاصة عن طريق رؤساء مجتمعات تلك العصور فاعتنقتهما شعوب من مختلف العناصر والأجناس ، وخير مثال نورده في هذا الباب اعتناق قسطنطين المسيحية في أوائل القرن الرابع الميلادي واعتناق أبي كرب ملك اليمن اليهودية في القرن الخامس الميلادي ، فاجبر الأول شعبه على اعتناق المسيحية والثاني أجبر شعبه على اعتناق اليهودية ، وقد تم ذلك في زمن متقارب جداً بحيث قد يصح اعتبار وقوع الحدثين في زمن واحد . وبنفس هذه الطريقة انتشرت اليهودية في الخزر وفي شرقي أوروبا ثم المسيحية في أوروبا كلها . ففي تعليق على التبشير القديم باليهودية يقول المؤرخ پاركس في كتابه « تاريخ الشعب اليهودي » « إنه لمن الخطأ الاعتقاد بأن اليهود لم يقصدوا التبشير باليهودية أو لم يقبلوا التمذهب بالدين اليهودي »(٣٢) . وفي ذلك يقول كاوتسكي (Kautsky) : « ففي بداية العصر المسيحي تعاظمت أهمية الارتداد نحو اليهودية ، وكان من المغري بالنسبة للكثيرين أن ينضموا الى المجموعة التجارية ، المزدهرة الواسعة ، ومنذ عام ١٣٩ قبل الميلاد طرد اليهود من روما لتهويدهم بعض الرومان ، وفي انطاكية كان المتهودون يشكلون القسم الاكبر من الطائفة اليهودية »(٣٣) .

والصهيونية تحاول اليوم على الرغم من علمها بأن اليهود المنتشرين في العالم لا يكوّنون شعباً واحداً أو عنصراً واحداً وانهم ينتمون الى مختلف

---

(٣٢) J. Parkes, "A History of the Jewish People," p. 7.

(٣٣) ليون ابراهام ، المفهوم المادي للمسألة اليهودية . ترجمة عادل نويهض ص ٣١ .

القوميات ، أن تخلق من اليهودية قومية ، وهي تسعى أن تبعث من نغمـة اضطهاد اليهود قومية يهودية اسرائيلية بربط يهود العالم بعجلة المصير الواحد والولاء الواحد لاسرائيل ، لذلك نراها تبذل أقصى الجهود وتسعى بشتى وسائل الإغراء وتجسيم خطر اللاسامية لحمل أكبر عدد ممكن من اليهود على الهجرة الى اسرائيل بعد أن شعر الزعماء بخطر ذوبان اليهود في البلاد التي يعيشون فيها وخاصة في الولايات المتحدة وكندا والأرجنتين • ومن الأساليب الاجرامية التي ارتكبتها الصهيونية أنها تواطأت حتى على اليهود أنفسهم ، فاتفقت من طرف خفي مع بعض أولياء الأمور في بعض البلاد العربيـة التي كانت تخضع للنفوذ البريطاني لشن حملة إرهاب مصطنعة ضد اليهود فيهـا وذلك لكي يضطروا تحت ضغط هذا الاضطهاد المدبّر على الهجـرة الى اسرائيل[٢٤] • وقد كان هذا التواطؤ أكبر جريمة ارتكبت لتشويه سـمعة العرب من جهة وخدمة المصالح الصهيونية من جهة أخرى • والصهيونية لا تمانع بأن تضحّي بعدد من يهود العالم عن طريق اتباع مثل هذه الاسـاليب لتحقيق أهدافها السياسية ، كما ثبت ذلك في موقفها اتجاه اضطهاد اليهود في العهد النازي إذ كانت على علم به وكانت تفاوض النازيين في نفس الوقت بما يخدم أهدافها الاستعمارية السياسية في فلسطين ، وقد أنقذت من رغبت في

---

(٢٤) من جملة الجرائم التي ارتكبتهـا المنظمـات الصهيونية في سـبيل حث اليهود على الهجرة الى اسرائيل ما قامت به احدى هذه المنظمات في العراق سنة ١٩٥١ بالقاء قنابل يدوية على أماكن اليهود لارغامهم على الهجرة الى اسرائيل فقتل من جراء ذلك يهوديان وجرح عدد آخر من اليهود فهاجـر بسبب ذلك ١١٥ الف من يهود العراق الى اسرائيل • وقد اكتشفت الشرطة العراقية هذه المنظمة الصهيونية السرية ، فحكم بالاعدام على اثنـين من أعضائها كما صدرت أحكام تتراوح بين خمس سنوات وثماني سنوات على آخرين • وعلى اثر ذلك نشر مدير شرطة بغداد كتابا بعنوان « سـموم الافعى الصهيونية » تضمن وقائع المحاكمة ، والاحكام الصادرة ، وتصاوير المجرمين والاسلحة التي وجدت معهم • وهذا الكتاب مفقود في العراق الآن ، ولابد أن تكون الجهات التي يهمها الامر قد جمعته واشترت كل نسـخه (« العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب » ، ترجمة الاستاذ نجـدة صفوة ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦) • وقد سميت عملية خروج اليهود من العراق باسم عملية علي بابا (ليلنتال ، « اسرائيل » ص ٣١٥) •

انقاذهم من الصهيونيين من قبضة النازيين[٢٥] ، ولكن كل هذه المحاولات لا تجدي نفعا ولا تغيّر من حقيقة الوضع لأن اليهود منذ ظهورهم على مسرح الاحداث حتى يومنا هذا لم يكوّنوا شعبا واحدا ، فكيانهم قائم على أساس الدين والدين وحده . ألم يدعوا بان الله ميزّهم عن باقي الشعوب (بدينهم) واعتبرهم الشعب المختار ؟ .... والدولة التي تقوم على أساس الدين وحده ولا تسندها قومية متماسكة لا تدوم فهي عرضة للزوال .

إنّ زعماء الصهيونية يحاولون اليوم صهر يهود العالم من مختلف القوميات والأجناس في (قومية !) يهودية واحدة قائمة على الدين واللغة . لذلك فقد نهج الصهيونيون نهجا خاصا بانشاء معسكرات تثقيفية خاصة يلقنون فيها اليهود قبل انتقالهم الى اسرائيل اللغة العبرية والمبادىء الصهيونية ويختارون العناصر اليهودية النقية من أوربا وذلك بعد ان واجهوا معارضة بعض الفئات اليهودية وبخاصة الشرقيين منها . هذا مع العلم أن زعماء الصهيونية يقومون اليوم بنفس المحاولة التي قام بها زعماء اليهود بعد أسر بابل قبل حوالي ٢٥٠٠ عام ولكنهم فشلوا في تحقيق الهدف الذي كانوا يتوخونه ، ولاشك في أنهم سيفشلون هذه المرة حتما عاجلا او آجلا لكونها فكرة مبنية على التعصب والتعالي على الشعوب ، مما تلفظه الحضارة الانسانية .

(٢٥) لقد عبر عن ذلك الدكتور محمود السمرة في تعليقه على كتاب « اسرائيل ويهود العالم » أحسن تعبير مستشهدا بكتابات الصهاينة أنفسهم ، فقال :

« لقد عملت الاجهزة الصهيونية المختلفة فعلا على خلق هذا الجو من الارهاب وعدم الاستقرار في البلاد التي يريدون من يهودها أن يهاجروا ، كتدبير حوادث انفجار في أماكن العبادة اليهودية . وقد عبّر أحد محرري جريدة (دافار) الاسرائيلية عن هذا الاتجاه بوضوح ، وذلك عندما قال : « أنا لا أشعر بالخجل وأنا أعترف هنا انه لو كانت لدي السلطة لاخترت عشرات الشباب الاذكياء ، المخلصين لمثلنا العليا ، ثم أرسلتهم متنكرين الى البلاد التي استكان فيها اليهود الى رغد العيش ، وذلك من أجل نشر شعارات معادية للسامية ، وما شابه هذا من الشعارات ... وأنا على يقين بان هذه ستؤدي الى نتائج ، بشأن الهجرة الى اسرائيل ، أفضل بكثير من النتائج التي حققتها حتى الآن البعثات التي نرسلها لتصب وعظها في آذان صماء » . (العربي ، العدد ١٤٣ ، تشرين الاول ١٩٧٠ ، ص ١٥١) .

وصفوة القول ، إن اليهود الذين يقدر عددهم بحوالي اثني عشر مليون نسمة لا يتعدون كونهم طائفة دينية اجتماعية اقتصادية تضم شتى الاجناس واللغات والدماءيسكنون في مواطن متباعدة ، فهم لا يملكون مقوّمات القومية التي يستند الكيان الدولي عليها ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك[٣٦] . وتدل الاحصاءات على أن اليهود الذين في اسرائيل اليوم جاؤا من اثنين ومائة بلد ومعظمهم لا يحسون برابطة تربط بعضهم ببعض ، ولكن اسرائيل تحاول أن تصهر الجميع فتجعل لهم لغة واحدة هي اللغة العبرية ، وذلك بتدريس النشء الجديد اللغة العبرية وتاريخ اليهود بالشكل الذي تهواه بغض النظر عن الحقائق التاريخية . وفي دراسة أجريت على أساس استبيانات وزعت على عدد من المهاجرين الجدد الى فلسطين ، أكثرهم من الولايات المتحدة الاميريكية فورد في رد أحد هؤلاء المهاجرين ما هذا نصه : « كنت قبل أن أصل الى أسرائيل أعتقد أن اليهود يكوّنون شعبا واحدا ، ولكن هذا الاعتقاد تبخّر من ذهني بعد وصولي اليها ، حيث وجدت فيها خليطا عجيبا من أمم عدة ينتسب الى أجناس مختلفة »[٣٧] .

١٢ ــ اليهودية والصهيونية

يتضح مما تقدم أن اليهودية عقيدة دينية شاملة على عكس الصهيونية التي تمثل حركة قومية عنصرية متطرفة تستغل العاطفة الدينية في سبيل صهر جميع يهود العالم من مختلف القوميات والاجناس في وطن قومي واحد بالضغط والعنف والتهديد واسكانهم في فلسطين بعد طرد سكانها بالقوة . هذه حقيقة أدركها كثير من المثقفين والواعين من اليهود في مختلف البلاد ، فادركوا حقيقة الصهيونية وما تحمله معها من مصائب وكوارث ليهود العالم ، حقيقة كونها وجدت لخدمة أغراض استعمارية بحتة وقد ربطت مصيرها بعجلة الاستعمار الانكلو ــ أميريكي . لذلك برز عدد غير قليل من المفكرين اليهود الكبار معلنين معارضتهم الدعوة الصهيونية للقومية اليهودية ، ففي عام ١٨٧٨ وقع عدد من الحاخامين على وثيقة نشرت في احدى الصحف البريطانية

(٢٦) انظر تقدم عن اليهود في مختلف انحاء العالم في الفصل السابع .

(٢٧) العربي ، العدد ١٣٦ (آذار ١٩٧٠) ص ١٣١ .

قالوا فيها : « لم نعد نمثل هيأة سياسية منذ فتح الرومان فلسطين ، بل بتنا مواطنين في البلاد التي نقيم فيها • فنحن اما من الانجليز أو الافرنسيين أو من الالمان ومكان اقامتنا هو الذي يقرر قوميتنا • » وصدر أيضا عن المؤتمر الذي عقده الحاخامون في أميركا في مدينة بتسبرج في عام ١٨٨٥ قرار يقول : « لم نعد نعتبر أنفسنا أمة ، وانما نحن طائفة دينية ، ولذا فنحن لا تتوقع أية عودة الى فلسطين • » وكتب الحاخام سيجال في عام ١٩٠٢ بنفس المعنى قال : « لم يكن هناك قط وجود لما يسمّى بالشعب اليهودي ، اذ أن اليهود لم يهتموا في أي يوم من الايام بالتسلسل الحياتي والعضوي ، ولا بالارض او اللغة او التاريخ ، ولا بالتنظيم السياسي أو غير ذلك من المقومات المعترف بها للقومية • »(٢٨)

ومما قاله في هذا الصدد سي • ج مونتفيوري الذي كان واحدا من الزعماء اليهود الذين أخذ رأيهم في شأن تصريح بلفور قبل اعلانه : « عندما كان تصريح بلفور بشأن فلسطين موضع بحث لدى الحكومة ، عرضت نصوصه بصفة شخصية على حفنة من اليهود ، كان أربعة منهم صهيونيين غلاة أو أشباه صهيونيين ، وكان أثنان ــ أنا أحدهما ــ يعارضان الصهيونية • وقد بدا لنا نحن الاثنين أن نوميء الى أن من شأن عبارة (الوطن القومي للشعب اليهودي) أن تسبب على الارجح أضطرابا • ولقد كنا ، في ما يلوح ، غير بعيدين عن الصواب ••• وقد اعترضنا على هذه العبارة لاننا أنكرنا أن يكون اليهود اليوم شعبا ، ولم نشأ لهم حتى أن يعودوا شعبا مرة أخرى ، ولقد طالبنا وتمنينا ، وما زلت أطالب وأتمنى أنا وأصدقائي ، أن يكونوا مواطنين أحرارا متساوين في جميع البلدان التي يعيشون فيها • ولقد خشينا أن ينشأ عن الوطن القومي المقترح شعور معاد للسامية أبعد بكثير مما يمكن علاجه • غير أن آراءنا واعتراضاتنا لم تصادف أذنا صاغية ، في ما خلا أن حرف التعريف المحدد (ال) ، كما جاء في المشروع المقترح قد رفع فصار النص الآن بغير تعريف ، وهو (وطن قومي للشعب اليهودي) •»(٢٩)

---

(٢٨) خيري حماد ، « الصهيونية » ، ص ١٠٤ •

(٢٩) هنري كتن ، « فلسطين في ضوء الحق والعدل » ، ص ١١ ــ ١٢ •

ويوضح لنا الاستاذ نجدت فتحي صفوة نقطة مهمة تتعلق بموقف الاتحاد السوفييتي حيال الصهيونية واليهودية فيقول : « إن الحكومة السوفييتيه الجديدة تفرّق بين اليهود والصهيونية تفرقة تامة وتنظر الى كل منهما بمنظار خاص ، وان سياسة الاتحاد السوفييتي قامت دائما على أساس الفصل التام بين اليهود السوفييت ، والصهيونية ، واسرائيل ، لذلك لم يكن مما يناقض تلك السياسة أن تعترف باسرائيل وتدخل معها في علاقات سياسية دون أن يتأثر موقفها من الصهيونية ويهود السوفييت . » ثم يضيف الاستاذ نجدت الى ذلك قوله : « ويرى معظم الباحثين والمعلقين الغربيين أن أسراع ستالين في الاعتراف باسرائيل كان جزءا من سياسته الرامية الى إزاحة بريطانيا عن منطقة الشرق الاوسط وليس بدافع العطف على فكرة اقامة دولة يهودية . مع العلم ان الاتحاد السوفييتي يعتبر الصهيونية أداة لعزل الكادحين اليهود عن النضال الطبقي ضد البرجوازية . »(٣٠)

ومع كل ذلك يحاول الصهيونيون اليوم ربط الصهيونية بالديانة اليهودية ، ولما كانت القومية هي قوة هذا العصر فقد درج الصهيونيون على محاولة خلق قومية من الديانة اليهودية وفرضها على يهود العالم ليستمدوا منها قوتهم . فاقوال الزعماء الصهيونيين كلها تؤكد وتصر على أن الصهيونية واليهودية لا يمكن الفصل بينهما ، وان اليهودية قومية وكل من انتسب الى هذا الدين هو صهيوني بغض النظر عن البلد الذي ينتمي اليه واللغة التي يتكلمها والجنسية التي يحملها . وفي ذلك يقول وايزمن : « إن يهوديتنا وصهيونيتنا متلازمتان ملاصقتان ولا يمكن تدمير الصهيونية بدون تدمير اليهودية . » وفي جملة المقررات المتخذة في المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس والعشرين المنعقد في ٢٥ كانون الاول ١٩٦٠ ما يشير الى أن « كل يهودي يجب أن يهاجر الى فلسطين ... وان كل يهودي أقام خارج اسرائيل منذ انشائها يعتبر مخالفا لتعاليم التوراة . »

وعلى الرغم من اطلاق الصهيونيين لهذه المفاهيم التي وضعوها للديانة اليهودية لاستغلالها في تدعيم حركتهم السياسية فهناك عدد غير قليل من

---

(٣٠) « اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى » ، ص ٣١ ـ ٣٥ .

اليهود في العالم لا يؤمن بالصهيونية(٣١) وهؤلاء يقاومونها بشدة ، اما بدافع الشعور بالانسانية على أساس ان الصهيونية مبدأ لا انساني ، واما حرصا على سلامة اليهود خوفا من مواجهتهم اضطهادا جديدا بسبب الاندفاع الصهيوني،وأما بدافع قناعتهم بان الصهيونية آلة يسخرها الاستعمار العالمي لمصالحه على حساب اليهود والعرب معا • وتعتبر الصهيونية هؤلاء المناهضين لها من اليهود أشد خطرا عليها من أية جهة أخرى من غير اليهود فهي تخشاهم وتحسب لهم ألف حساب • فقد كان لما وضعه هؤلاء اليهود من مقالات ومؤلفات في مناهضة الصهيونية أكبر الاثر في تحويل وجهة نظر عدد كبير من الغربيين الى عدالة القضية العربية الفلسطينية اذ صاروا لاول مرة يسمعون من قلب العالم اليهودي صوت الجانب العربي في الدفاع عن حقوقهم المغتصبة بعد أن ظلوا لا يقرأون ويسمعون غير الدعايات الصهيونية المنتشرة في جميع أنحاء العالم • فقد كان للكتاب الذي نشره الكاتب الفرنسي ماكسيم رودينسون سنة ١٩٦٨ بعنوان « اسرائيل والعرب »(٣٢) وهو يهودي أثر محسوس في الاوساط الغربية فترجم في نفس العام الى الانكليزية وانتشر انتشارا واسعا • وقد جاء هذا الكتاب بدحض الدعاوى الصهيونية متنبئا لها الفشل المحتوم ، وفي ذلك يقول : « ان الصهيونية وان نجحت اليوم في خلق الدولة اليهودية فأن اقامتها على أسس غير سليمة فالقوة التي تعتمد عليها لن تدوم الى الابد ، وخطوط الامم في صعود وانخفاض فكما فشلت الدولة الصليبية أن تبقى وتدوم في أرض العرب ، فأن اسرائيل ستلقى نفس المصير الذي لاقته هذه الامارات اللاتينية في فلسطين •» وهذا كتاب آخر لمؤلف فرنسي ايضا يدعى « ناتان وينستوك » وعنوانه « الصهيونية واسرائيل » كتاب هام في ميدان الدعاية المناهضة للصهيونية ، فهو يدحض الدعاوى الصهيونية التي تزعم وجود قوى

---

(٣١) • يوجد اليوم حوالى ٥ر٥ مليون يهودي في الولايات المتحدة ، أي أقل من ٣٪ من السكان ، ومن هؤلاء ، لا يوجد غير ٢٥ر١ مليون ينتمون الى المنظمات الصهيونية المختلفة ... وكما انه ليس كل اليهود صهيونيين ، فانه ليس كل صهيوني هو يهودي ضرورة فقد لعب المسيحيون الصهيونيون دورا حساسا في هذه الحركة » • (الفريد ليلنتال : « اسرائيل ذلك الدولار الزائف » ، ص ١٦) •

(٣٢) M. Rodinson, "Israel and the Arabs," 1968

روحية تربط اليهود بالصهيونية ويبين كيف ظهرت الصهيونية في أواخر القرن الماضي لتجنيد يهود العالم في خدمة الاستعمار العالمي • وهناك كتب أخرى مناهضة للصهيونية لكتاب يهود مثل كتاب « ابراهام ليون »[٣٣] والفريد ليلنتال [٣٤] وغيره ، وقد كان لهذه الجمهرة من الكتب والمقالات باللغات الاجنبية أثرها المحسوس في تنبيه الرأي العالمي الى الاعمال الاجرامية التي ترتكبها الصهيونية بحق العرب حتى أصبحت الصهيونية في نظر عدد من كبار المفكرين علما للدلالة على الاعتداء والاغتصاب بل رمزا للعبث بحقوق الانسان •لذلك فانه لمن الخطأ أن يؤيد بعض الكتاب العرب نظرية الصهيونيين التي تزعم ان اليهودية والصهيونية شيء واحد والواحدة مرتبطة بالاخرى • وبذلك يكون هؤلاء قد خدموا بهذا التأييد الدعاية الصهيونية من حيث لا يشعرون وذلك في وقت أصبح العرب من أي وقت مضى بأشد الحاجة الى أصوات هؤلاء الكتاب الذين يناهضون الصهيونية ويحملون عليها • ومن المهم أن نشير هنا الى نصيحة المؤرخ الشهير « ارنولد توينبي » ، ذلك العالم الجليل الذي كانت له من الجرأة الفكرية للاعراب عن رأيه في شجب أعمال الصهيونية وخططها الاجرامية بحق العرب ، فهو يعلق أهمية كبرى على نفوذ اليهود غير الصهيونيين ، فحين سئل عن رأيه في العلاج العملي لمشكلة فلسطين ، ذكر ثلاث حركات قد تكون الى حد ما ذات فائدة اثنتان منها تتصل بنفوذ اليهود غير الصهيونيين ففي ذلك يقول : « ان من الصعوبة أن نجد علاجا عمليا لهذه المشكلة ، وانني شخصيا أرى حركات ثلاث قد تكون الى حد ما ذات فائدة :

١ ــ قيام أتحاد أوثق بين الدول العربية •

٢ ــ زيادة في نفوذ اليهود الغير صهيونيين بالولايات المتحدة •

٣ ــ زيادة في نفوذ الاسرائيليين المتكلمين بالعربية ••• والذين يكونون

---

(٣٣) A. Leon, "The Jewish Question,"
ترجمه عماد نويهض بعنوان « التفسير المادي للمسألة اليهودية » •

(٣٤) A. Lilienthal, "The Other Side of the Coin,"
ترجمه الى العربية عمر أبو حجلة بعنوان « اسرائيل : ذلك الدولار الزائف » ، دار العلم للملايين •

أغلبية هناك حاليا »

ثم يضيف الى ذلك قوله : « ولا ينتظر أن تنتج واحدة فقط من هـذه الحركات الثلاث ، نتائج سريعة ــ ولكن قد يجوز أن تتغيّر الحالـة الـى أحسن ــ اذا تحققت هذه الحركات الثلاث مجتمعة »(٣٥) .

نعم ، ان الديانة اليهودية التي حاكها الكهنة اليهود في بابل تشتمل على نفس المبادىء التي تعتمد عليها الصهيونية في الوقت الحاضر ، أي على مبدأ واحد وهو احتلال أرض فلسطين وقتل أهلها وتشريدهم . ولكن مجـرد مناهضة الكتّاب اليهود للصهيونية والمبادىء التي تقوم عليها معناه ضمنا عدم الاعتراف بقدسية هذه التعاليم التي ابتدعها الكتبة اليهود في الاسـر ومن ضمنها عقيدة الارض الموعودة . وهذا يسير مع نفس الاتجاه العربي فـي العقيدة الاسلامية التي لا تعترف بغير التوراة التي أنزلها الله على موسى . وان هذه الحركة الصهيونية التي تامر بقتل الأبرياء من الاطفال والنساء والشيوخ وتستند على وعد مزيّف هي ليست من شريعة موسى بشيء لذلك فقد باءت بالفشل الذريع اذ أخمدها الرومان في مهدها وأزالوها من الوجود ، وستلقى الحركة الصهيونية الحالية نفس المصير حتما وذلك عاجلا أو آجلا ، لأن النظام الذي يعتمد على القوة والارهاب وحدهما لن يدوم ولن يبقى فمصيره الزوال.

ولعل أحسن تحليل للاهداف السياسية والاستعمارية التي ترمي اليهـا الصهيونية هو الوصف الذي جاء على لسان أحد وزراء الحكومة الانجليزية ذاتها المدعو « مونتاجو » وهو يهودي ، فقدم هذا الوزير الى مجلس الوزراء البريطاني مذكرة عنيفة يهاجم فيها وعد بلفور ، وهي مذكرة موجودة في وثائق الحكومة البريطانية الرسمية بعنوان « معاداة الحكومة البريطانية الحاضرة للسامية » ، وهذه تمثل آراء المعارضين من مفكري اليهود في العالم لوعـد بلفور . وندون فيما يلي بعض ما جاء في هذه المذكرة بالنص لاهميتهـا التاريخية :ــ

« لقد وقع اختياري على هذا العنوان لهذه المذكرة (معاداة الحكومـة الانجليزية الحاضرة للسامية) لا بدافع شعور بالعداء ولا لوسيلة للشجار مع

---

(٣٥) « لهذا ... أكره اسرائيل » ، للمقدم أمين سامي الغمراوي .

وجهة نظر معادية للسامية يحملها بعض الزملاء الوزراء ••• كل ما هناك انني أود أن أسجل ما اعتقد من أن السياسة التي تتبعها حكومة صاحب الجلالة هي سياسة عداء للسامية من ناحية النتيجة مما قد يجعلها نقطة تجمع للمعادين للسامية في كافة دول العالم ، ويؤكد هذا الرأي المراسلة التي تسلمتها أمس والتي جرت بين لورد روتشلد وسير بلفور •

« انني أشعر باعتباري الوزير اليهودي الوحيد في الحكومة من حقي أن يمنحني زملائي فرصة للتعبير عن وجهة نظر أتمسك بها تمسكا شديدا •

« انني أومن ايمانا راسخا بان هذه الحرب قد سددت ضربة لفكرة « الدولية » وانها قد فتحت المجال لبعث الشعور بالقومية الذي كان قد بدأ في التراخي ••• فقد أصبح من المتفق عليه ضمنا بين الساسة في معظم الدول أن اعادة توزيع الاقاليم بعد الحرب يجب ان يتم على أسس قومية •••

« وفي هذه الظروف تقترح الحكومة الموافقة على تكوين أمة جديدة بوطن جديد في فلسطين • والمفهوم أن هذه الامة ستتكون من اليهود الروس والانجليز والرومانيين وغيرهم •

« لقد بدت الصهيونية لي دائما عقيدة سياسية لا يمكن أن يؤمن بها أي مواطن مخلص للمملكة المتحدة ، ذلك أن اليهودي الانجليزي الذي يتطلع الى جبل الزيتون ويتوق الى اليوم الذي يستطيع فيه أن ينفض عن حذائه التراب البريطاني ويعود الى نشاطه الزراعي في فلسطين أنما يعترف بذلك بانه لا يصلح للاشتراك في الحياة العامة في بريطانيا العظمى ••• بل ولا يصلح لأن يعامل كمواطن انجليزي • لقد كان اعتقادي دائما أن الذين عكفوا على هذه العقيدة كانوا مدفوعين الى ذلك بسبب القيود المفروضة على حرية اليهود في روسيا ولكن بعد أن تم الاعتراف بهؤلاء اليهود باعتبارهم يهود روسيين ، ومنحوا كافة حرياتهم ، يبدو من غير المفهوم أن تقدم الحكومة البريطانية على الاعتراف الرسمي بالصهيونية وأن يخول مستر بلفور سلطة التصريح بانه يجب أن يعاد تأسيس فلسطين (كوطن قومي للشعب اليهودي) • وأنا لا أعلم على وجه التحديد ما ينطوي عليه هذا •• وان كنت أستنتج أنه يعني أن على المسلمين والمسيحيين في فلسطين أن يخلوا السبيل لليهود الذين سوف يتمتعون

بالافضلية ، ويصبحون مرتبطين بفلسـطين ارتباط الانجليز بانجلترا أو الفرنسيين بفرنسا • كما يعني ذلك أن الاتراك يعتبرون أجانب مثلهم في ذلك مثل اليهود ، الذين سوف يعاملون منذ الآن كاجانب في كل بلد آخر غير فلسطين •

« انني احب هنا أن أؤكد أربعة مباديء : « ١ ــ لا توجد أمة يهودية• أن أفراد أسرتي مثلا الذين عاشوا في هذا البلد عدة أجيال لا يربطهم بأي أسرة يهودية في أي بلد آخر أي اتفاق في رأي أو رغبة ــ ولا يجمعهم بها أي شيء أكثر من كونهم يعتنقون بدرجات متفاوتة نفس الديانة • ولا يصح القول بأن اليهودي الانجليزي واليهودي المغربي ينتميان لامة واحدة تماما كما أنه لا يصح القول بان المسيحي الانجليزي والمسيحي الفرنسي ينتميان لأمة واحدة أو ربما لجنس واحد •

« ٢ ــ اذا قيل لليهود ان فلسطين هي وطنهم القومي فان كل دولة أخرى سوف تتجه فورا الى التخلص من مواطنيها اليهود وبذلك سوف نجد في فلسطين عددا ضخما من السكان يقومون بطرد أهلها الحاليين ويأخذون أحسن ما في البلد • ولسوف يحضر هؤلاء من كافة أجزاء الكرة الارضية يتحدثون مختلف اللغات ولا يستطيعون التفاهم مع بعضهم البعض الا عن طريق المترجم •

« ان الحياة التي عاشها اليهود البريطانيون والاهداف التي وضعوها نصب أعينهم والدور الذي لعبوه في حياتنا العامة ومؤسساتنا يجعل من حقهم أن يعتبروا بريطانيين يهودا أكثر منهم يهودا بريطانيين • انني على استعداد لحرمان كل صهيوني من الحقوق المدنية بل أنني أجد دافعا قويا لتحريم المنظمة الصهيونية باعتبارها غير قانونية وضارة بالمصالح الانجليزية •••

« ٣ ــ انني لا أعترف بأن فلسطين اليوم مرتبطة باليهود أو أنها مكان ملائم كي يعيشوا فيه ••• ان الوصايا العشر قد أعطيت لليهود في سيناء • حقا ان فلسطين تلعب دورا كبيرا في التاريخ اليهودي • ولكن الامر كذلك أيضا بالنسبة للتاريخ الاسلامي الحديث • وقد أصبحت فلسطين بعد عهد اليهود تلعب دورا أكبر من أية دولة أخرى في التاريخ المسيحي • قد يكون المعبد اليهودي موجودا في فلسطين ولكن موعظة الجبل وصلب المسيح قد

حدثا هناك أيضا .

«واذا كانت ذاكرتي لا تخونني ، فان تعداد اليهود في العالم يبلغ ثلاثة أضعاف العدد الذي تستطيع فلسطين أن تستوعبه حتى ولو طرد جميع السكان الموجودين حاليا ، أي ان ثلث عدد اليهود فقط هو الذي يستطيع العودة الى فلسطين ... فماذا يحدث للباقين ؟...

«اننا كيهود انجليز نتعلم في المدارس العامة والجامعات ونلعب دورنا في السياسة وفي الجيش والخدمة المدنية في بلدنا أكثر من ذي قبل . ومن دواعي سروري أن التعصب ضد التزاوج قد بدأ يلين .. ولكن اذا أعطى اليهودي وطنا قوميا فلا شك أن الدافع لحرماننا من حقوقنا كمواطنين بريطانيين يصبح أقوى كثيرا . وسوف تصبح فلسطين الحي اليهودي للعالم . ولماذا يعطي لورد روتشلد تلك الاهمية الكبيرة للفروق بين اليهود البريطانيين واليهود الاجانب ؟.. ان جميع اليهود في شتى أنحاء العالم سيصبحون في اقامة الوطن القومي في فلسطين يهودا أجانب .

« انني لا أعلم كيف سيتم اختيار ثلث يهود العالم الذين لا تتسع فلسطين لاكثر منهم ، ولكن اليهودي بغض النظر عن البلد الذي ينتمي اليه سوف يصبح لزاما عليه أن يختار أمرا من اثنين .. اما أن يذهب الى فلسطين ويعيش مع يهود آخرين غرباء عنه أو أن يبقى كضيف غير مرغوب فيه في البلد الذي يعتقد أنه ينتمي اليه .

« ولا يدهشني أن تقدم الحكومة على هذه الخطوة بعد خطوة تكوين لواء يهودي في جيشها . وهأنذا في انتظار أن أسمع أن أخي الذي جرح في الفرقة البحرية أو ابن أخي في حرس المشاة قد يضطر تحت ضغط الرأي العام ــ أو بسبب تنظيمات الجيش ــ أن يصبح ضابطا في لواء يتكون أساسا من أناس لا يفهمون اللغة الوحيدة التي يتكلمها وهي الانجليزية . أن أنشاء فرقة يهودية يجعل موقف اليهود في الالوية الاخرى أكثر صعوبة ويفرض جنسيته على الذين لا يشتركون مع بعضهم البعض في شيء »[٣٦] .

ومن الواضح أن هذه المذكرة من الوزير اليهودي كانت تهدف أول ما

---

(٣٦) « اسرائيليات » ، احمد بهاء الدين ، ص ٥٢ ــ ٥٥ .

تهدف توضيح ما سيصيب اليهود في مختلف أقطار العالم نتيجة أنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، الا أنها تؤكد في الوقت نفسه بما لا يرقى اليه الشك أنه ليس هناك أمة يهودية تتمتع بقومية يهودية وكل محاولة لخلق مثل هذه القومية مصيرها الفشل وان النتائج التي تترتب على الخطوة البريطانية بتبني الوطن القومي اليهودي في فلسطين نتائج وخيمة لليهود ولبريطانيا ذاتها . وعلى الرغم من كل هذه الانتقادات صدر تصريح بلفور ضاربا صفحا عن اعتراض اليهود على فكرة الوطن القومي لليهود كما صدر بغير موافقة العرب أو علمهم(٣٧) . ولما احتج العرب لدى الحكومة البريطانية أكدت لهم بأن تصريح بلفور لن يخل بحقوقهم المدنية والدينية أو بحريتهم السياسية وان الحكومة لا تؤيد عودة اليهود الى فلسطين الا بالقدر الذي يتفق مع الحرية السياسية والاقتصادية للسكان الموجودين فيها(٣٨) .

وقد عارض العديد من اليهود في اوروبا تدخل الصهيونيين في شؤونهم ، فلما زار « ابن غوريون الدانمرك سنة ١٩٦٢ وأخذ يحث يهودها على الهجرة الى اسرائيل وقف رئيس الجالية اليهودية في الدانمرك ليقول له : « إننا نحن اليهود الدانمركيين لا نريد مكانا آخر لنعيش فيه حياة أسعد من حياتنا هنا في الدانمرك ... اننا جزء أصيل من الشعب الدانمركي فنحن دانمركيون أولا ثم يهود . » كما رد عليه رئيس حاخامي الدانمرك قائلا : « إن أي فرد مهما علا مركزه ، ومن أي مكان جاء ، ليس له الحق أن يغيّر ، ولو مثقال ذرة ، من الوضع الذي ظل عليه اليهود الدانمركيون سنين طويلة ، يعيشون سعداء جنبا الى جنب مع باقي اخوانهم الدانمركيين . » (العربي ، العدد ١٤٣ ، ص ١٥١) .

وقد برهنت الايام على أن الاحداث التي كان يتوقع المعارضون والمنتقدون للوطن القومي اليهودي في فلسطين حدوثها في حالة تنفيذ هذا المخطط الاستعماري قد وقعت فعلا وخاصة بالنسبة للبلاد العربية ، فاليهود الذين كانوا يتمتعون بحياة مستقرة آمنة حرة في البلاد العربية اضطر معظمهم

(٣٧) هنري كتن ، « فلسطين في ضوء الحق والعدل » ، ص ١١ – ١٢ .

(٣٨) نفس المرجع السابق ، ص ١٤ .

تحت ضغط الصهيونية بالتعاون مع السلطات المختصة التي يسيرها الاستعمار الى الهجرة الى اسرائيل . اما بريطانيا ناصبة الفتيل فبعد أن تفاقم الوضع وشعرت بتهديد مصالحها في البلاد العربية أخذت تلعب على عدة حبال ، فمرة تنفض يدها من جريمتها الاساسية وترميها على عاتق غيرها ، ومرة تتظاهر بتأييدها للعرب ، ولكن ذلك لايبرئها مما ارتكبته ضد العرب واليهود معا بتخطيطها وتمهيدها لتنفيذ الجريمة ، وان العرب لن ينسوا مسؤوليتها الكبرى في تنفيذ هذه المأساة العالمية وستبقى جريمتها لطخة سوداء في جبين الانبراطورية البريطانية أبد الابدين .

١٣ ـ هل فلسطين سلعة بائرة لا اهل لها حتى تمنح بالوعود لزيد او عمرو ؟

أما ما أورده مدونو التوراة المحرّفة من أن هناك وعدا نسبوه الى ربهم يهوه بمنح بلاد كنعان (من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات) لإبراهيم ولنسله من بعد.[٣٩] ، وما أوردوه أيضا من أن هناك أمرا من الاله العلي يقضي بابادة سكان كنعان من غير تمييز بين رجل وامرأة وبين شيخ أو طفل واحراق مدنهم وما فيها بالنار وحل بني اسرائيل (قوم موسى) محلهم[٤٠] ، فمسألة لا يمكن أن تمر بدون تعليق أو ابداء وجهة نظر في الموضوع : ان عزو مثل هذا الوعد المشروط بالقتل الجماعي والابادة الى الله سبحانه تعالى هو من غير شك أفتراء محض ، لأنه لا يمكن أن تعترف أية ديانة سماوية بابادة بني الانسان وقتل النفس البريئة ، وأنه افتراء على النبيين الجليلين أبراهيم الخليل وموسى أن تنسب اليهما الرغبة في ابادة الاقوام وقتل الابرياء . والمعلوم ان ابراهيم الخليل سكن مع الكنعانين والمصريين وعاش معهم في مودة ووئام ووفاق . ألم تقل التوراة ان ملكي صادق الكاهن الكبير ملك شاليم (أورشليم) بارك ابراهيم وقال : « مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والارض »[٤١] ؟ ... كما أنه من المستحيل أن يكون قد نزل على نبي من الانبياء أمر بالقتل الجماعي الذي نسب الى الاله العلي .

(٣٩) تك ١٥ : ١٨ ـ ٢٠ ؛ ١٧ : ٨ ؛ ٣٥ : ١٢ .

(٤٠) خر ٣٤ : ١٢ ؛ تث ٢٠ : ١٦ـ١٧ ؛ عدد ٣١ : ١٧ـ١٨ ؛ ٣٣ : ٥٠ ، ٥٥ ـ ٥٦ ؛ يش ٦ : ٢١ـ٢٤ ؛ ١ صم ١٥ : ٣ ، ٢٣ .

(٤١) تك ١٤ : ١٨ .

فقد جاء في القرآن الكريم ما يحذر بني اسرائيل من مغبة مثل هذه الأفعال المنكرة التي أدخلوها في كتبهم وقالوا هذا من عند الله[٤٢] فنزلت الآية الشريفة : « من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض ، فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا . »[٤٣] وفي القرآن الكريم آيات أخرى تأمر بالمودة ، وتجنب المعاداة ، والبر بمن لا يقاتل ، والتقييم للنفس حتى بالنسبة للاعداء . ففي سورة الممتحنة قال تعالى : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ... لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . »[٤٤] وبمثل ذلك يأمر الانجيل الامة المسيحية فيقول : « زيدوا على أيمانكم الفضيلة ، وعلى الفضيلة التعقل ، وعلى التعقل العفاف ، وعلى العفاف الصبر ، وعلى الصبر التقوى ، وعلى التقوى المودة الاخوية ، وعلى المودة الاخوية المحبة . » [٤٥] وقد مرت الاشارة الى ذلك في الفصل الثالث .

ان التوراة التي بين أيدينا دونت كما هو معلوم بعد زمن ابراهيم الخليل(ع) بألف وثلاثمائة عام وبعد زمن موسى بمقدار ثمانيمائة عام ، وقد دونها الكتبة والاحبار عن أفواه أسلافهم على الاكثر ، فأضافوا ما أضافوا وحرفوا ما حرفوا بحسب أهوائهم ونزعاتهم الدينية ، حتى لقد أصبح من المتعذر التمييز بين الاصل وبين المضاف أو المحرف . وقد افتروا فيما كتبوه على الانبياء ونسبوا اليهم في التوراة اعمالا قبيحة تتنافى ومقامهم ومنزلتهم ، بل تتنافى والفضائل والمثل العليا ، ولم يكتفوا بذلك فنسبوا اليهم حتى الزنى ، هذا في حين أن الوصايا العشر تقول : « لا تزن » و « لاتقتل » . وهذا كله دليل قاطع على أن الوعد المشروط بالقتل الجماعي والابادة مختلق من حيث الاساس ، اذ لا يمكن أن يكون قد نزل شيء من هذا القبيل من عند الله مطلقا .

---

(٤٢) انظر ما تقدم عن قوانين الحرب في التوراة وتحريف التوراة في الفصل الثالث .

(٤٣) سورة المائدة (الآية ٣٢) .

(٤٤) الآيتان ٧ و ٨ .

(٤٥) ٢ بط ١ : ٥ ـ ٧ .

وحتى لو فرضنا أن هذا الوعد وارد فان التوراة ذاتها تعترف بان الرب نقض هذا الوعد وأزال مملكة سليمان ومزقها لان سليمان أهمل وصايا الرب وذهب وراء عبادة الاصنام على حد قول التوراة[٤٦] . ومعنى ذلك أنه أصبح غير أهل ليرث أرض فلسطين فترجع الى أصحابها الاصليين . « الارض يرثها الصديقون »[٤٧] « ان الارض يرثها عبادي الصالحون . »[٤٨]

ولا يمكن أن يمر الحديث عن الوعد المذكور آنفا دون أن يرد على الذهن وعد بلفور المشؤوم ، فهو نسخة طبق الاصل للوعد التوراتي المزيف مثلته بريطانيا على مسرح شرقنا العربي الحبيب، وقد سجل افجع مأساة من مآسي القرن العشرين . ومن الواضح ان كلا الوعدين يرمي الى تحقيق عملية واحدة من حيث الاعداد والتصميم ، وهي : طرد سكان فلسطين من مساكنهم وحل اليهود محلهم .واذا كان وعد بلفور لم يشر صراحة الى الابادة والقتل والتشريد ، فان ذلك حصل عمليا عند التنفيذ . ولنا أن نسأل : من اين جاءت بريطانيا ياترى بهذا الحق المنطوي على سلب أرض فلسطين من أهلها ومنحها لليهود ؟.. ومن منحها هذا الحق لتظهر بمظهر السخاء والكرم الحاتمي ؟.. هل فلسطين سلعة بائرة لا أهل لها حتى تمنح بالوعود الى زيد أو عمرو ؟..

ان هذا التجاوز على حقوق أهل فلسطين لا يمكن أن يدوم لانه عمل عدائي صريح مخالف للعدل والانسانية ، فكما أزيل في الماضي كذلك سيزال عاجلا أو آجلا.والحق لا يموت اذا كان له مطالب سخي في الصبر والتضحية.

١٤ ـ الخاتمة

وختاما يبدو لنا ان الصهيونية مع المصائب والكوارث التي أحدثتها في البلاد العربية في اعتداءاتها المتكررة خدمت العرب في شيء واحد ، هو بعثها الاحساس القومي العربي في الأمة العربية واليقظة بعد رقاد طويل ، كما أحدثت وعيا بين الأمم الغربية التي لم تكن تعلم شيئا عن الغرب غير ما كان يصلها من اليهود وأعوانهم ، اذ صار العالم اليوم يتنور ويتفهم الحقيقة

(٤٦) ١ مل ١١ : ١ ـ ١٣ .

(٤٧) مز ٣٧ : ٢٩ .

(٤٨) سورة الانبياء الآية ١٠٥ .

الواقعة التي كان يجهلها ، وهي أن هناك جماعة معتدية على شعب مسالم تريد اغتصاب أرضه وطرده منها وحل نفسها محله بالقوة . وعلى الرغم مما تنشره الدعايات المغرضة بوصفها البلاد العربية بالتفكك والتنافر ، فالبلاد العربية تسير اليوم بخطى سريعة في مسيرتها القومية نحو جمع الشمل والتعاون ما بينها في دفع الخطر المشترك كأمة متماسكة مستمدة من مجدها الغابر وتراثها وايمانها الثابت الحزم والقوة في تحقيق أهدافها التحررية في ظل وحدة شاملة يسودها العدل الاجتماعي والرخاء العميم .

الملحق الأول

أورشليم في أقدم عصورها

أورشليم[1] (بيت القدس) في أقدم عصورها مع المراجع

١ ـ تمهيـــــد ٠
٢ ـ تسمية المدينة في مختلف أدوارها ٠
٣ ـ سكانها الاولون ٠
٤ ـ جغرافية المدينة وطوبوغرافيتها ٠
٥ ـ أسوار المدينة قديماً وحديثاً ٠
أ ـ السور القديم (السور الاول) ٠
ب ـ السور الثـاني ٠
ج ـ السور الثالث والاخير ٠
٦ ـ تاريخ المدينة القديم ٠

١ ـ تمهيـــــد :

ما من مدينة في تاريخ العالم تمتعت بقدسية مستدامة ، منذ ان أسسها اليبوسيون الكنعانيون قبل زهاء خمسة آلاف عام[2] حتى يومنا هذا ، مثل

---

(١) لقد اتخذنا مصطلح أورشليم في بحثنا هذا عن تاريخ القدس القديم لان المدينة كانت تعرف بهذه التسمية في تلك العصور قبل ظهور موسى وقبل أن تكون قد تكونت لغة عبرية بمعنى يهودية بعدة قرون ، فهي اذن كلمة كنعانية (عربية) بحتة علينا ان نعتز بها مثلما نعتز بتسمية القدس ٠ وقد عرف العرب تسمية « أورشليم » في الجاهلية قبل الاسلام واستعملوها في أشعارهم ، ففي ابيات لاعشى قيس مخاطباً فيها ابنته يطلق على القدس تسمية « أوريشلم » اذ يقول :

أفي الطـوف خفت على الردى   وكم من رد اهـــله لـــم يرم
وقـــد طفت للمــــال آفاقــه   (عمان) (فحمص) (فاوريشلم)

(٢) يرى الاستاذ أولبرايت الذي يعد في مقدمة الثقاة في تاريخ فلسطين ان تاريخ الكنعانيين في فلسطين يرجع الى اوائل الالف الثالثة قبل الميلاد ، انظر :

W. F. Albright, "Archaeology and the Religion of Israel", 1942, p. 68.

مدينة أورشليم (بيت المقدس الحالية) : هي الارض المباركة « دار السلام » كما سماها الاقدمون ، وقد حمل ملوكها القدماء لواء عقيدة التوحيد للاله العلي لأول مرة في التاريخ البشري ، على ما يرى الكثير من المؤرخين ، وقد خصها الله بالعديد من الانبياء حتى قيل ان بناءها تم على يدهم وسكنوها «ما فيها موضع شبر الا" وقد صلى فيه نبي أو قام فيه ملك»[٣] .كما خصها الله باسراء رسوله المصطفى (عليه الصلاة والسلام) ، فقال في كتابه العزيز : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه السميع البصير »[٤] .

وانطلاقا من عقيدة التوحيد نطق الملك الكنعاني (العربي) « ملكي صادق » ، ملك شاليم (اورشليم) ، « الكاهن لله العلي » ، حين بارك ابراهيم الخليل (ع) بقوله « مبارك الله العلي الذي اسلم اعداءك في يدك »[٥] ، وما زالت المدينة حتى يومنا هذا تقدسها الديانات السماوية الثلاث بكل تجلة وتعظيم . وملكي صادق هذا يرجع تاريخه الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد وهو زمن ابراهيم الخليل (ع) وهو من نسل كنعان كان ملكا على مدينة أورشليم وولايتها التي كانت تعرف باليبوسية نسبة الى يبوس ولد كنعان[٦] . وجاء في بعض التقاليد اليهودية أن « ملكي صادق » هو سام وان تقدمه بالعمر وشرف نسبه جعلاه جديرا بان يبارك ابراهيم (ع) ، ويرى العلماء المحدثون ان « ملكي صادق » من سلالة كنعان وكان محافظا على سنة الله القديمة بين شعب وثني ، وقد عرف بالتقوى والزهد ، وقيل ان ملكي صادق كان يسكن هو وقومه في الكهوف وكان أول من اختط أورشليم وبناها وكان محبا للسلام حتى أطلق عليه اسم « ملك السلام » ، ومن هنا جاء اسم المدينة « شالم » و « شليم » و « سالم » ، أي مدينة السلام . ويذكر الانجيل ان السيد المسيح صار « على رتبة (ملكي صادق) رئيس كهنة الى الابد » . ويقول بعد ذلك عن ملكي صادق « انه لا بداءة ايام له ولا نهاية حياة ، بل هو مشبه بابن الله ،

---

(٣) معجم البلدان ١ : ١١٢ .

(٤) سورة الاسراء : ١ .

(٥) تك ١٤ : ٨

(٦) تك ١٠ : ١٥ .

هذا يبقى كاهنا الى الابد . »[٧] فالتوراة والانجيل معا يصفان الكاهن الكنعاني بصفة الكاهن الاعلى وصفة الخلود ويرفعانه الى المنزلة التي يتلقى منه ابراهيم الخليل بركة الاله العلي ، إله السموات والارض.وقد ذكر المطران يوسف الدبس في كتابه « تاريخ سورية » (ج١ ، م٢ ، ص٢٥) « أن أبا الفرج ابن العبري قال إن ملكيصادق هو ابن عابر أو أحد أحفاد سام وزعم بعضهم أنه من ذرية حام وقال غيرهم إنه ابن صيدون بن كنعان والأظهر والأشبه بالصواب أن ملكيصادق من ذرية سام وان عشيرته كانت احدى العشائر القليلة التي استمرت على الاعتقاد بوحدانية الله . »

وقد وصل الينا من اسماء ملوك أورشليم غير « ملكي صادق » الملك « عبد خيبا » وهو الذي ورد اسمه في وثائق العمارنة في ست رسائل وجهها الى ملك مصر « أمنحوتب » الرابع » ، احد ملوك السلالة الثامنة عشرة ، وهو المسمى ايضا « اخناتون » ، وقد اشتهر هذا الملك العظيم الذي حكم بين سنة ١٣٧٥ وسنة ١٣٥٨ ق.م. بدعوته لعقيدة التوحيد . ومن أهم ما ورد في هذه الرسائل طلب الملك « عبد خيبا » العون من ملك مصر لصد هجمات اهل البادية « العبيرو » او « الهبيرو » او « الخبيرو » ، وهم العبريون أهل البادية الشمالية الذين منهم جاءت كلمة « عبري » التي شاع استعمالها خطأ للدلالة على اليهود في العصور التالية . وفي جملة اقوال هذا الملك في طلب النجدة : « ان هذه الارض ، أرض أوروسالم ، لم يعطني اياها أبي ولا امي ولكن أيدي الملك القوية هي التي ثبتتني في دار آبائي واجدادي ، ولم اكن اميرا بل جنديا للملك وراعيا تابعا للملك ... منحت ملكية ارض أوروسالم الى الملك الى الابد ولا يمكن ان يتركها للاعداء ... »[٨] وكان آخر ملوك أورشليم عند هجوم الموسويين بقيادة يشوع على المدينة في القرن الثالث عشر قبل

(٧) رسالة العبرانيين ٥ : ٦ ؛ ٧ : ٤ .

(٨) انظر المراجع التالية :

R.W. Rogers, "Cuneiform Parallels," pp. 268-278; A. Jeremias, "The Old Testament in the Light of the Ancient East," Vol. II, p. 27; G. A. Barton, "A Sketch of Semitic Origins," pp. 403-406.

الميلاد الملك « أدوني صادق » [٩] . وقد ورد ذكر هذا الملك في التوراة فيجملة الملوك الخمسة الذين اعتبروا من العموريين[١٠] .

٢ ـ تسمية المدينة في مختلف ادوارها :

سماها الكنعانيون ، سكان البلاد الاصليون ، « يرو ـ شالم » او « يرو ـ شلم » ، و « شالم » ، و « شلم » اسم لاله كنعاني معناه السلام[١١] . وقد جاءت فيما بعد بهذه التسمية ، أي « أورشليم » ، في التوراة ، [١٢] وهي مشتقة من التسمية الكنعانية الاصلية . وسميت في التوراة ايضا «ساليم»[١٣] و « شاليم »[١٤] و « مدينة الله »[١٥] و « مدينة داود »[١٦] و « مدينة الملك العظيم »[١٧] و « مدينة يهوذا »[١٨] و « أريئيل »[١٩] ، و « القدس »[٢٠] ، وورد ذكرها في الانجيل باسم « شليم » (رسالة العبرانيين ٧ : ٢) ، وقد وردت باسم « أوروسالم » في الكتابات الكنعانية التي ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد أي مدينة السلام[٢١] ، وظل اسم اورشليم شائعا منذ ذلك العهد الى يومنا هذا ، ومن « ياروشالم » جاء الاسم الافرنجي « جيروزاليم » (Jerusalem) . وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان ان المدينة وردت باسم أوريشلم بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وشين

(٩) يش ١٠ : ١ .
(١٠) يش ١٠ : ٣ .
(١١) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج٢ ص ٢٤٣ .
(١٢) قض ١ : ٨ ؛ يش ١٠ : ١ .
(١٣) مز ٧٦ : ٢ ؛ يوحنا ٣ : ٢٣ .
(١٤) تك ١٤ : ١٨ .
(١٥) مز ٤٦ : ٤ .
(١٦) ٢ صم ٥ : ٧ ؛ ١ أخ ١١ : ٧ ؛ ٢ مل ١٦ : ٢٠ .
(١٧) مز ٤٨ : ٢ .
(١٨) ٢ أخ ٢٥ : ٢٨ .
(١٩) اش ٢٩ : ١ .
(٢٠) نح ١١ : ١ .
(٢١) انظر ما تقدم حول رسائل الملك ، عبد ـ خيبا ، الى فرعون مصر في وثائق العمارنة .

معجمة مفتوحة ولام مكسورة ويروى بالفتح وميموقد يسكنون اللام فيقولون أوريشلم • وقد وردت ايضا بحسب قوله باسم أوريسلم بالسين المهملة وباسم أوريشلوم واوريشلم بتشديد اللام وأوراسلم بفتح الراء والسين[٣٢] • وقد نسبت المدينة الى الملك الكنعاني « ملكي صادق » الذي عرف بالتقوى وحب الخير والسلام ولقب بملك شاليم ، أي « ملك السلام » ووصفته التوراة انه « كاهن لله العلي أخرج خبزا وخمرا لابراهيم وباركه »[٣٣] •

ومن أسماء أورشليم القديمة ايضا « يبوس » نسبة الى اليبوسيين وهم فرقة من الكنعانيين سكنوا في أورشليم وحولها ، [٢٤] هم سكان أورشليم الاصليون نزحوا من جزيرة العرب ، وقد سماها الفراعنة في كتاباتهم الهيروغليفية « يابيثي » و « يابتي » ، وهو تحريف لاسم يبوس الكنعاني • [٢٥] وقد ورد ذكر يبوس في التوراة ووصفت انها هي أورشليم • [٢٦] ووردت ايضا في التوراة باسم «مدينة اليبوسيين»[٢٧] وسميت ايضا «باليبوسي»،[٢٨] ومن تسمية « يبوسيين » صار الكنعانيون يطلقون اسم « يبوس » على كل أورشليم •

وكان لليبوسيين قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من أورشيلم كانوا يطلقون عليها اسم « صهيون » ، [٢٩] وقد سميت « حصن صهيون » ،

---

(٣٢) ج ١ ، ٤٠٢ •

(٣٣) تك ١٤ : ١٨ ـ ٢٠ •

(٢٤) لقد ورد في كتاب الاستاذ طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ان اليبوسيين هم من غير الساميين (ج٢ ، ص٢٨٢) ، والاصح هو انهم قبيلة من الكنعانيين وأن يبوس الذي سمي اليبوسيون باسمه هو أحد أولاد كنعان كما جاء في التوراة (تك ١٠ : ١٥) • ولعل الاستاذ باقر يقصد هنا ما ورد في التوراة من أن الكنعانيين هم أبناء حام وهو التعريف الذي شجبه الباحثون لانه مخالف للواقع • انظر ما تقدم في الفصل الرابع « مدونو التوراة يتعمدون اقصاء الكنعانيين من الاسرة السامية » •

(٢٥) خيري حماد ، « الصهيونية » ، ص ٥٥ •

(٢٦) قض ١٩ : ١٠ •

(٢٧) قض ١٩ : ١١ ؛ يش ١٨ : ١٦ ؛ ١ أخ ١١ : ٦ •

(٢٨) يش ١٨ : ٢٨ ؛ ١٥ : ٨

(٢٩) مز ٧٦ : ٢ •

وصار الحصن يعرف في عهد المسيح (ع) أيضا باسم «جبل صهيون».[30] ويوجد الآن في جوار مدينة أورشليم واد يسمى « وادي صهيون » ، كما يوجد موضع يقع في جنوب غربي المدينة خارج السور الحالي للمدينة يسمى « جبل صهيون » ، وهذه التسمية حديثة لا تمثل موضع جبل صهيون الاصلي الذي كان يقع في القسم الجنوبي الشرقي من المدينة .

وقد سميت المدينة بعد استيلاء داود عليها « مدينة داود » وذلك بقصد تغيير الاسم الكنعاني[31] . ويلاحظ هنا أن الملك داود لم يكن لديه مجال لايجاد اسم جديد للمدينة بغير اللغة الكنعانية ، لأن اللغة في عصر داود هي اللغة الكنعانية نفسها . لذلك أطلق على المدينة اسم « مدينة داود » ولكن مع ذلك بقي الاسم الكنعاني الاصلي يستعمل وما زالت المدينة تعرف بهذا الاسم.

وفي زمن الرومان حول الامبراطور هادريان مدينة أورشليم ، بعد ان استولى عليها ودمرها سنة ١٣٥م ، الى مستعمرة رومانية وبدل اسمها الى « ايليا كبيتولينا » Aelia Capitolina ، وايليا هو الاسم الاول لهادريان . ثم اعاد لها قسطنطين اسمها القديم «أورشليم» بعد اعتناقه المسيحية، وكرست امه الامبراطورة هيلانة لكشف مواضع الحوادث المهمة للمسيحيين ولبناء كنائس تذكارا لها .[32] ومع ذلك يظهر ان تسمية « ايلياء » بقيت متداولة بين الناس بدليل ورود هذه التسمية « ايليا » في نص عهد الأمان الذي أعطاه الخليفة عمر لسكان القدس سنة ١٥ للهجرة (٦٣٦ م) فسمّوا بـ « أهل ايلياء . »

وقد سميت المدينة في العصور التالية بـ « بيت المقدس » و « القدس الشريف » الخ .. وقد سماها الشيخ اسحاق بن حسين المنجم في كتابه « آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان » بالاسمين « بيت المقدس ايلياء » ، والمنجم من علماء القرن الخامس الهجري . (طبعة الاكاديمية الايطالية ، ١٩٢٩ ، ص ٤) .

---

(٣٠) رسالة القديس بولص الى العبرانيين ١٢ : ٢٢ ؛ الى أهل رومية ١١ : ٢٦ .

(٣١) ٢ صم ٥ : ٧ ، ٩ ؛ ١ أخ ١١ : ٧ ؛ ٢ أخ ٥ : ٢ ؛ ١١ : ٥ ، ٧ ؛ ١ مل ٨ : ١ .

(٣٢) قاموس الكتاب المقدس .

يتضح مما تقدم ان تسمية « أورشليم » التي يحاول الصهيونيون اليوم عدها من الأسماء العبرية (بمعنى اليهودية) هي في الحقيقة كلمة كنعانية اصلية وردت بهذا الاسم في النصوص الكنعانية التي وجدت في مصر قبل ظهور اليهود بعدة قرون ، ثم بعد أن ظهر اليهود وتكونت اللهجة العبرية المقتبسة من الارامية في وقت لاحق صار اليهود يسمونها بلغتهم العبرية « يروشلايم » . لذلك فدعوى ان اسم « أورشليم » عبري الاصل (بمعنى يهودي) دعوى باطلة لا تستند الى مصدر تاريخي بدليل ورود الكلمة في الكتابات الكنعانية (٣٣) قبل ان تتكون اللهجة العبرية والمدونات العبرية بنحو ثمانيمائة عام وتعترف التوراة اعترافا صريحا بان ليس لليهود اية صلة بتاريخ أورشليم القديم لا من حيث التسمية ولا من حيث القومية ، فلما خاطب حزقيال أورشليم قال : « أبوك أموري وامك حثية » (خر ١٦ : ٣) وذلك على اعتبار ان ملوك أورشليم كانوا من العموريين على ما جاء في التوراة حيث اعتبرت « أدوني صادق » آخر ملوك أورشليم في جملة الملوك العموريين (يش ١٠ : ٣) .

٣ ـ **سكانها الاولون :**

كان اليبوسيون الكنعانيون أقدم سكان أورشليم يرجع الخبراء تاريخ وجودهم في المدينة الى ما قبل خمسة آلاف عام حين نزح الكنعانيون من جزيرة العرب الى فلسطين ، وكانوا يقطنون في المنطقة حوالي أورشليم وكانت أورشليم مركزهم الرئيس وعاصمة ملكهم ، وكونوا في وطنهم الجديد حضارة ذات حكومة وصناعة وتجارة وديانة . وقد ورد ذكر أحد ملوكهم في الكتابات المصرية باسم « عبد خيبا » ، وهذه تعود الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، كما ورد ذكر ملك آخر في التوراة باسم « ملكي صادق » يعود الى زمن ابراهيم الخليل (القرن التاسع عشر قبل الميلاد) . (٣٤) وبعد غزو الموسويين لكنعان بقيادة يشوع اتحد ملك اليبوسيين « أدوني صادق » مع اربعة من الملوك المجاورين له واستعدوا للمقاومة غير انهم وقعوا في أسر يشوع فاعدمهم

(٣٣) انظر ما تقدم عن رسائل العمارنة من الملك « عبد خيبا » الى فرعون مصر وهي ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

(٣٤) تك ١٤ : ٨ .

« وعلقهم يوما كاملا على الخشب » على حد قول التوراة .[٣٥] ثم اتحد بقية اليبوسيين مع يابين ملك حاصور ضد يشوع الا" انهم انهزموا ايضا وتشتت شملهم[٣٦] . ومع ذلك لم يتم الاستيلاء على المدينة الا" بعد موت يشوع،حيث حاصرها الموسويون واخذوها واشعلوا النار بها ودمروها ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على القسم المحصن المسمى « حصن صهيون » ، فعاد اليبوسيون الى ارضهم وبقي الحصن بيد اليبوسيين مدة عهد القضاة.وعهد الملك شأول حتى تبوأ داود العرش فاحتل الحصن يوآب قائد جيشه وسكن داود المدينةواتخذها عاصمة له وسماها « مدينة داود » كما تقدم[٣٧] . ولما كان مجيء جماعةموسى الى فلسطين يقع في حوالي سنة ١٢٩٠ قبل الميلاد وان عصر داود يبدأ فيحوالي سنة ١٠١٠ ق.م فتكون المدينة قد بقيت بيد اليبوسيين حوالي ثلاثمائة عـام بعد ظهور موسى حتى احتلها الملك داود .

وتقول التوراة ان بني بنيامين الذين صارت اورشليم فيتخمهم لم يطردوا اليبوسيين «فسكن اليبوسيون مع بنيبنيامين في أورشليم الى هذا اليوم»،[٣٨] ولعل المقصود بالقول « الى هذا اليوم » الى زمن كتابة التوراة قبيل السبي البابلي على الأرجح . وتعترف التوراة في نفس الـوقت بان اليهـود لـم يستطيعوا طرد اليبوسيين من اراضيهم فتؤكد ان بني يهوذا لم يقدروا عـلى طردهم فسكنوا معهم في أورشليم الى هذا اليوم .[٣٩] ومما يؤيد ذلك ان الملك داود لما اراد ان ينشيء الهيكل في اورشليم قام بشراء الارض التياختارها لبناء الهيكل من اصحابها اليبوسيين ،[٤٠] وهذا يدل علىان اليبوسيين بقـوا على املاكهم محتفظين بحقوقهم الشرعية بها .

يتضح مما تقدم ان الروايات المذكورة وهي مأخوذة عن التوراة ذاتها ان هي الا" تأكيد قاطع ان مدينة القدس كانت منذ خمسة آلاف عام مدينة عربية

---

(٣٥) يش ١٠ : ١ ـ ٢٧ .
(٣٦) يش ١١ : ١ ـ ٩ .
(٣٧) ١ أخ ١١ : ٥ ، ٧ ، ٢ صم ٥ : ٧ ، ٩ .
(٣٨) قض ١ : ٢١ .
(٣٩) يش ١٥ : ٦٢ .
(٤٠) ٢ صم ٢٤ : ٢٤ ـ ٢٥ .

كنعانية ، وقد بقيت بيد سكانها اليبوسيين اكثر من الفي عام قبل عهد موسى ، كما بقيت بيد اهلها ثلاثمائة عام بوجود الموسويين في فلسطين ، ثم بعد دخول اليهود اليها في عهد داود بقي سكانها على اراضيهم وفي بيوتهم وعاش اليهود في فترة وجودهم أقلية بينهم حتى تم سبيهم الى بابل في عهد الكلدانيين ، فعاد واستقل سكان اورشليم بمدينتهم استقلالا تاما ، كما أن اليهود الذين رجعوا الى اورشليم في عهد الاخمينيين الفرس كانوا اقلية ضئيلة وقد منعهم سكان أورشليم العرب من اعادة بناء هيكلهم ، وقد استمر وجودهم كاقلية ضئيلة في المدينة كما تقدم حتى أزيلوا نهائيا منها في عهد الرومان فرجعت المدينة الى أهلها كالسابق •

واوضح دليل على ان سكان اورشليم كانوا في جميع الادوار التاريخية أكثرية في المدينة ان اليهود في عهد الانقسام انحرفوا عن ديانة موسى ومارسوا هم وملوكهم الوثنية وبنوا المرتفعات لعبادة الاصنام في نفس اورشليم ، وظلوا على هذا المنوال يمارسون الوثنية ثلاثمائة عام ، مما يثبت أن الوثنيين أهل المدينة كانوا الاغلبية في أورشليم ففرضوا دياناتهم على الاقلية اليهودية خلال فترة وجودهم فيها (انظر ما تقدم : « اليهود بين الوثنية والتوحيد » في الفصل السادس •)

٤ ـ جغرافية المدينة وطوبوغرافيتها :

تقع أورشليم عند الدرجة ٣١° ٤٦´ ٣٥″ من خطوط العرض شمالا ، والدرجة ٣٥° ١٨´ ٣٥″ من خطوط الطول شرقي گرينوش ، وهي تبعد ٣٢ميلا عن البحر المتوسط غربا وحوالي ١٨ ميلا عن البحر الميت شرقا و ١٩ ميلا عن الخليل (حبرون) جنوبا و ٣٠ ميلا عن السامرة (سبسطية) شمالا • ويبلغ معدل ارتفاع المدينة ٢٥٠٠ قدم فوق سطح البحر المتوسط و ٣٨٠٠ قدم فوق سطح البحر الميت •

وتتميز أورشليم بموقعها الجغرافي الستراتيجي ، فالطبيعة منحتها اقوى التحصينات لحماية نفسها من الغزو ، فهي تقع على ارض مرتفعة محاطة من جميع اطرافها بأودية عميقة ، يحدها من الشرق « وادي قدرون » ومن الغرب « وادي هنوم » • ويبدأ الواديان في الطرف الشمالي الغربي من المدينة

ويلتقيان في جنوب المدينة وبذلك يحوطان المدينة من اطرافها الثلاثه ، الشرق والغرب والجنوب •

يبتدىء « وادي قدرون » (الوادي الشرقي) على بعد ميل ونصف الميل الى الشمال الغربي من المدينة فيسير اولا الى الشرق الى ان يصل الى زاوية السور الشمالية الشرقية[٤١] ، ثم ينحرف بميل حاد نحو الجنوب فينحدر بين سور المدينة من الجانب الغربي وبين جبل الزيتون وتل الزيتون وتل المعصية من الجانب الشرقي[٤٢] حتى يلتقي بوادي هنوم المنحدر من جهة الغرب ، ثم ينحدر المجرى الموحد بعد ذلك الى « مارسابا » حيث يسمى «وادي الراهب»، ومن ثم يمتد الى البحر الميت وهناك يسمى « وادي النار » • ويسمى الوادي حاليا باسم « وادي ستي مريم » ، وكان يعرف في القديم باسم وادي قدرون ومعناه الوادي الاسود ، وكان يسمى ايضا وادي « يهو شافاط » ، وقد ورد ذكره في اخبار ملك داود حيث عبره لما هرب من وجه ابنه أبشالوم وكذلك مرّ المسيح (ع) به[٤٣] ، وفي هذا الوادي أحرقت تماثيل معكة[٤٤] وطرحت جميع أدوات العبادة الباطلة التي تنجس بها هيكل الرب •[٤٥] ويبلغ ارتفاع وادي قدرون ٢١٧٩ قدما فوق سطح البحر •

اما الوادي الغربي ، أي وادي هنوم ، فينحدر رأسا الى الجنوب من شمال غربي المدينة ثم ينعطف شرقا بعد وصوله حد المدينة الجنوبي حتى يتصل بالوادي الشرقي (وادي قدرون) عند الموضع المسمى « بئر أيوب » • ويسمى هذا الوادي حاليا باسم « وادي ربابة » ، اما اسمه القديم كما ورد في التوراة فهو « وادي هنوم »[٤٦] ، ووادي بني هنوم[٤٧] ، ووادي ابن هنوم[٤٨] •

---

(٤١) انظر مايلي عن أسوار المدينة •

(٤٢) يبلغ ارتفاع جبل الزيتون ٢٦٨٢ قدما فوق سطح البحر ، أما تل المعصية فيقع على الطرف الجنوبي من جبل الزيتون ، وقد سمي كذلك لانه كان موضع عبادة الاوثان في زمن سليمان •

(٤٣) ٢ صم ١٥ : ٢٣ ، ٣٠ ؛ العهد الجديد « يوحنا » ، ١٨ : ١ •

(٤٤) ١ مل ١٥ : ١٣ و ٢ أخ ١٥ : ١٦ •

(٤٥) ٢ أخ ٢٩ : ١٦ ؛ ٣٠ : ١٤ ؛ ٢ مل ٢٣ : ٤ ، ٦ ، ١٢ •

(٤٦) يش ١٥ : ٨ ونح ١١ : ٣٠ •

(٤٧) ٢ مل ٢٣ : ١٠ •

(٤٨) يش ١٥ : ٨ و ١٨ : ١٦ ؛ ٢ أخ ٢٨ : ٣ ؛ ار ٧ : ٣٢ •

وكان يسمى الجزء الجنوبي الشرقي من الوادي « توفــة » [٤٩] ، أو وادي القتل[٥٠] . وأجاز آحاز ومنسى اولادهما بالنار في هذا الوادي على عادة أهل كنعان [٥١] . ويبلغ ارتفاع هذا الوادي ٢٫٠٢٩ قدماً .

وكان هناك واد ثالث يخترق أرض المدينة يبدأ شمالا من قرب باب دمشق الحالي وينحدر جنوبا الى وادي قدرون عند البركة الحمراء ، فيقسم ارض المدينة قسمين مؤلفين من هضبتين مستطيلتين ، الهضبة-الغربية يحدها وادي هنوم من الغرب والهضبة الشرقية يحدها وادي قــدرون من الشــرق . وصار هذا الوادي يعرف باســم « وادي الجبــانين » (صانعي الجبن) وهو مطموم الان ولم يبق له اي أثر في الوقت الحاضر ، كما كان واد رابــع يبتدىء من جهة الغرب من قرب باب يافا الحالي فيسير شرقا في اتجاه شارع داود حاليا حتى ينتهي الى « وادي الجبانين » فيقسم الهضبة الغربيــة الــى قسمين . وفي شرقي وادي الجبانين كان خندق يقطع الهضبة الشرقية عرضا فيقسمها قسمين شمالي وجنوبي ايضا . وهكذا اصبحت المدينة منحصرة في اربعة اقسام مرتفعة وهي القسم الشمالي والجنوبي من الهضبة الغربيــة ثــم القسم الشمالي والجنوبي من الهضبة الشرقية (انظر المرتسم رقم ١٦ « مخطط أورشليم في أقدم عصورها ») .

وأقدم بناء في المدينة هو الحصن الذي كان قد أقامه اليبوسيون سكان أورشليم الاصليون في القسم الجنوبي من الهضبة الشرقية ، فاقاموا حولــه سورا وشيدوا في طرف الحصن برجا عاليا للسيطرة على المنطقة من فوقه . واليبوسيون فرع من القبائل الكنعانية التي كانت قد نزحت من جزيرة العرب واستقرت في فلسطين منذ اوائل الالف الثالثة قبل الميلاد ، لذلك سميت المدينة باسمهم « يبوس » ، فاصبحت هذه التسمية مرادفة لاورشليم ، وقد ورد ذكرها في التوراة على هذا الشكل فقيل « يبوس هي اورشليم » و « أورشليم مدينة

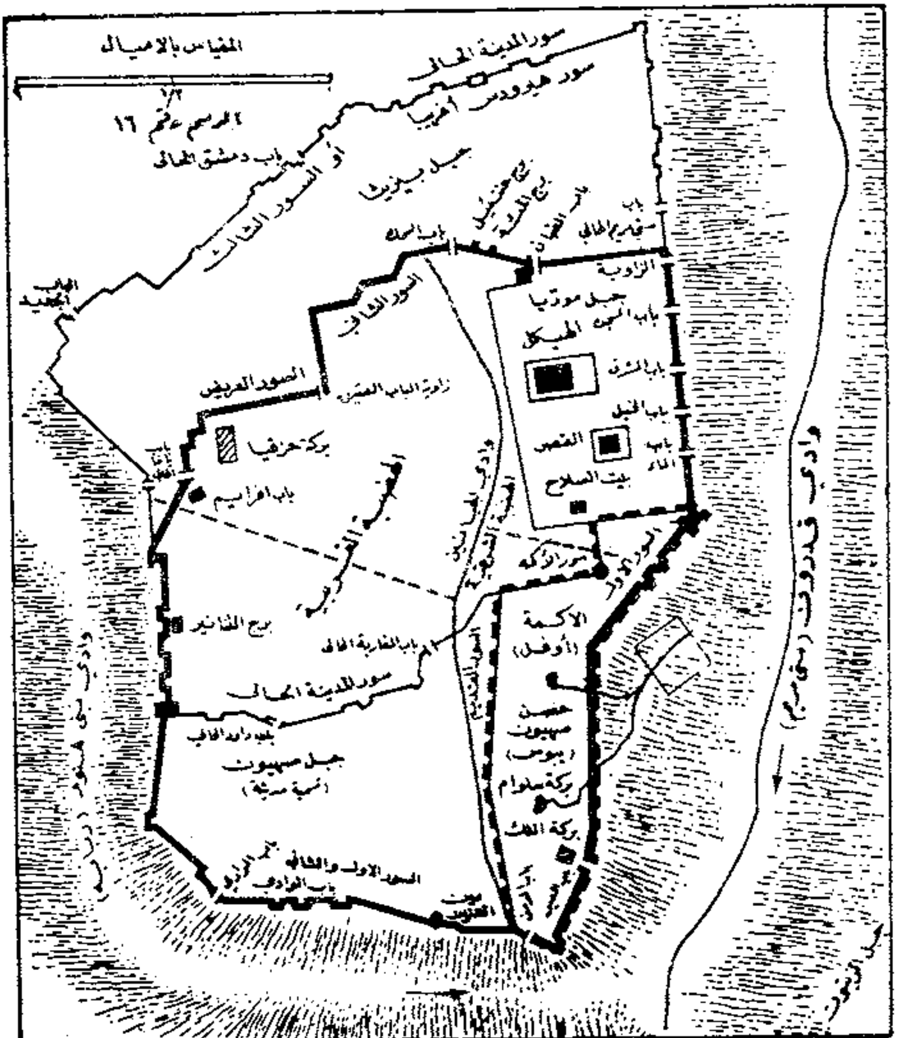
---

(٤٩) أر ٧ : ٣١ و ٢ مل ٢٣ : ١٠ .

(٥٠) أر ٧ : ٣٢ و ١٩ : ٦ .

(٥١) ٢ مل ١٦ : ٣ و ٢ أخ ٢٨ : ٣ و ٣٣ : ٦ .

مخطط أورشليم في أقدم عصورها



مقتبس من كتاب « قصة التوراة » ج ٤ (ص ٥٠٢) مع بعض التحوير

اليبوسيين »[٥٢] ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك . وكان يعرف حصن يبوس بحصن صهيون ايضا ، كما كان يعرف الجبل الذي اقيم عليه الحصن بالاكمه او « أوفل » [٥٣] واحيانا « جبل صهيون » [٥٤] . ويبلغ ارتفاع جبل صهيون هذا ٢٥٥٠ قدما فوق سطح البحر وينحدر باتجاه وادي قدرون نزولا الى ارتفاع ٢٠٣٩ قدما . وفي موضع حصن صهيون انشأ السلوقيون قلعة كانت تعرف باسم « قلعة عكرا أو « آكرا » وقد سقطت بيد سمعان المكابي سنة ١٤١ ق.م .

وقد كان طبيعيا ان يقع اختيار اليبوسيين على موقع اورشليم بالذات وذلك لما اتصف به هذا الموقع من مميزات ستراتيجية طبيعية تجعله على جانب كبير من المناعة . وقد حبت الطبيعة هذا الموقع باهم ما يحتاجه السكان وهو الماء ، ففي جوار حصن يبوس شرقا نبع ماء غزير في وادي قدرون كان يعرف باسم « جيحون » ، وهو غير نهر جيحون المعروف في تركستان ، [٥٥] وكان اليبوسيون قد حفروا نفقا تحت الجبل لنقل مياه النبع فيه الى داخل الحصن . ويرجع هذا المشروع الى عهد الكنعانيين (انظر ما تقدم عن مشاريع الكنعانيين المائية في الفصل الاول) ، وفي وقت لاحق قام الملك حزقيا ملك يهوذا (٧١٥ — ٦٨٦ ق.م) بمد هذا النفق ، بعد اغلاقه في اتجاهه الشمالي ، الى جهة الغرب وانشأ في نهايته جنوبا بركة صارت تعرف باسم « بركة سلوام » واقام أبنية عند فم البركة : « وحزقيا سد مخرج مياه جيحون الاعلى واجراها تحت الارض الى الجهة الغربية » [٥٦] . وقد ورد ذكر هذا النفق في التوراة في اخبار الملك داود فسمي بالقناة . ويرى البعض ان الملك داود اكتشف مدخله السري من خارج السور فادخل رجاله فيه حتى وصلوا الى منتهاه في

---

(٥٢) قض ١٩ : ١٠، ١٢ .

(٥٣) ٢ مل ٥: ٢٤ ؛ ٢ أخ ٧ ٢: ٣ ؛ ٣٣ : ١٤ وأشعيا ٣٢ : ١٤ وميخا ٤ : ٨ .

(٥٤) رسالة القديس بولص الى العبرانيين ١٢ : ٢٢ (انظر ما تقدم عن تسمية المدينة) .

(٥٥) ٢ أخ ٣٣ ؛ ١٤ ؛ ١ مل ١ : ٣٣ ، ٣٨ .

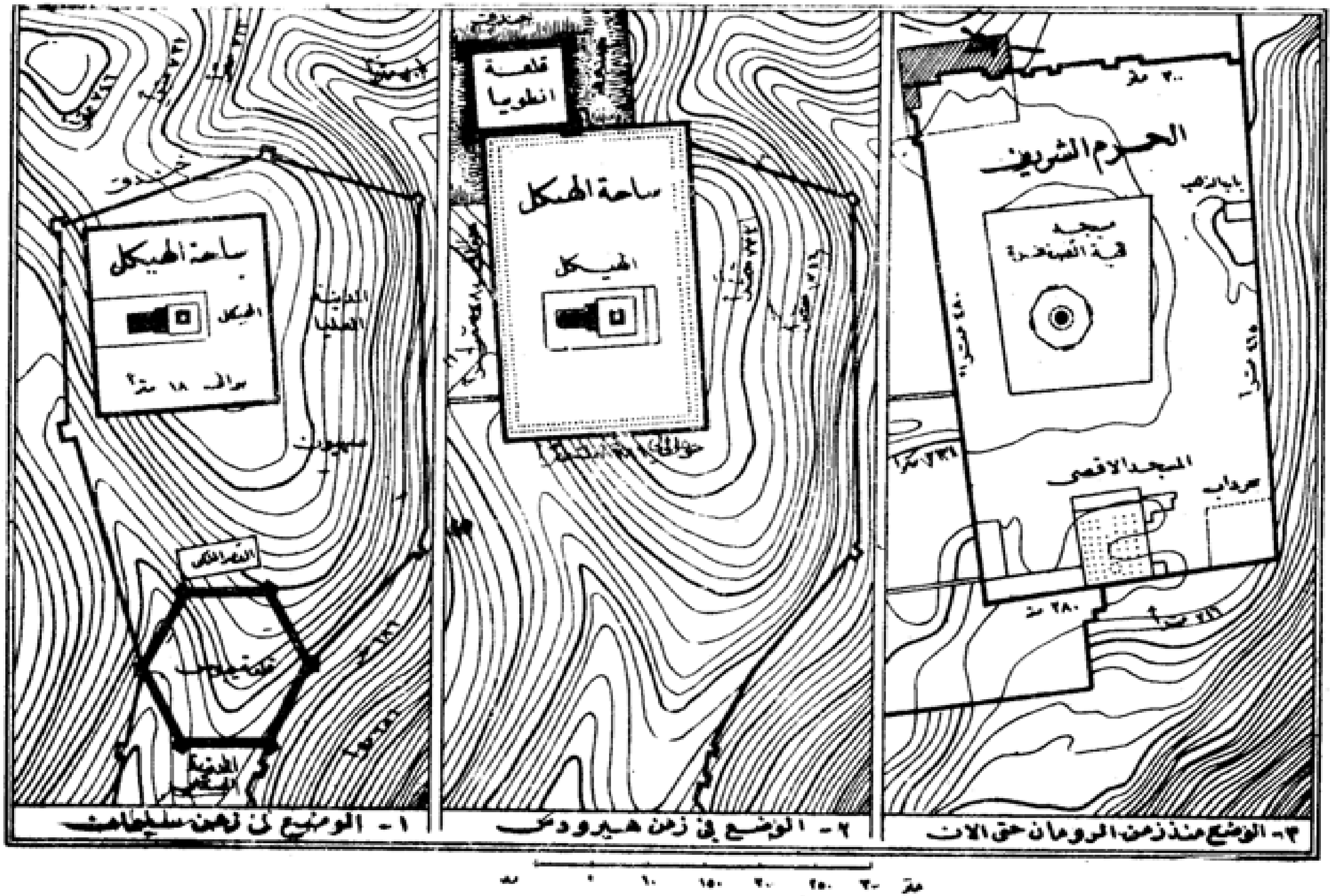
(٥٦) ٢ أخ ٣٢ : ٣٠ ؛ ٢ مل ٢٠ : ٢٠ ؛ نحميا ٣ ١٥ .

داخل السور فباغتوا اليبوسيين داخل الحصن واحتلوه دون قتال (٥٦ أ) •
وقد اكتشف هذا النفق البالغ طوله ١٧٥٧ قدما سنة ١٨٨٠م وعثر على مسافة ١٩ قدما من بركة سلوام داخل النفق على كتابة نقشت على الحجر دونت فيها تفاصيل كيفية تنفيذ مشروع حزقيا• وكانت هناك بركة اخرى اسفل بركة سلوام كانت تعرف ببركة الملك(٥٧) او البركة السفلى (٥٨) • ووردت أسماء برك اخرى في التوراة منها بركة شيلوة(٥٩) وعين روجل(٦٠) يعتقد انها اسماء لنفس المشروع• والحصن والبركة يقعان اليوم خارج سور المدينة الحالي في الطرف الجنوبي الشرقي منها • هذا وفي الجانب الغربي من المدينة اقام حزقيا نفقا آخر يبدأ من وادي هنوم ويمر تحت سور المدينة بالقرب من باب حيفا الحالي وينتهي عند البركة المعروفة ببركة حزقيا حتى هذا اليوم •

وقد بقي حصن يبوس (حصن صهيون) بيد اليبوسيين بعد مجــــيء الموسويين حوالي ثلاثة قرون كما سبقت الاشارة الى ذلك لعدم استطاعتهم اقتحامه ، وذلك حتى تولى الملك داود الحكم في اسرائيل فجمع كل اسرائيل وذهب معهم الى اورشليم اي يبوس ، وقال داود ان الذي يضرب اليبوسيين اولا يكون رأسا وقائدا ، فتقدم يوآب واقتحم الحصن فصار رأسا • واقام داود في الحصن لذلك دعي « مدينة داود » • وبنى داود مستديرا من القلعة فداخلا وجدد يوآب سائر المدينة •(٦١)

وقد اختار داود القسم الشمالي من الهضبة الشرقية ، اي القسم الذي يقع شمال « حصن صيهون » ، ليبني الهيكل فيه ، ويعرف هذا القسم بجبل المرّيا وارتفاعه ٢٤٤٠ قدما أي أوطأ من قمة جبل صهيون بمئة وعشر اقدام • وكان موضع المرّيا هذا بيدرا للحبوب وكان ملكا لارنان او ارونة اليبوسي فاشتراه داود من صاحبه بخمسين شاقلا من الفضة وبنى فيه مذبحا للــرب

(٥٦أ) ٢ صم ٥ : ٧ ، ٩
Lods, "Israel," p. 61; "The Story of the Bible," p. 377.
(٥٧) نحميا ٢ : ١٤ •
(٥٨) أشعيا ٢٢ : ٩
(٥٩) أشعيا ٨ : ٦ •
(٦٠) ١ مل ١ : ٩ ؛ ٢ صم ١٧ : ١٧ •
(٦١) ١ أخ ١١ : ٤–٩ ؛ ٢ أخ ٥ : ٢ ؛ ٢ صم ٥ : ٧–٩ •



منطقة الهيكل في أدوارها المختلفة من عهد سليمان حتى العهد الإسلامي، عن كتاب « دليل فلسطين المصور »

واصدر محرقات وذبائح سلامة • (٦٢) وفي نفس الموضع بنى سليمان الهيكل بعد ذلك • (٦٣) ويسمى الان موضع الهيكل القديم الحرم الشريف وفي وسطه مسجد قبة الصخرة والمسجد الاقصى الى الجنوب منه • ويعتقد ان موقع الصخرة هو الموقع الذي عيّن لتقديم ابراهيم ابنه اسماعيل قربانا عندما اراد الله امتحانه حيث ورد في التوراة ما يشير الى ان الموضع هو ارض المرّيا • (٦٤) وقد سمى يوسيفوس القسم الجنوبي من الهضبة الشرقية ؛ أي موضع حصن يبوس (حصن صهيون) ، بالمدينة السفلى وموضع جبل المرّيا شمالا بالمدينة العليا • ويقع الى الشمال من جبل المرّيا « جبل بيزيثا » وارتفاعه ٢٥٢٩ قدما، وكان هذا الجبل خارج حدود السور القديم ثم اصبح داخل السور الجديد وهو السور الحالي (٦٥) •

وفي القسم الجنوبي من الهضبة الغربية الى الغرب من حصن صهيون جبل يسمى اليوم خطأ جبل صهيون وهو غير جبل صهيون الاصلي الذي يقع الى الشرق منه في القسم الجنوبي من الهضبة الشرقية ، ولعل تسميته الحديثة هذه مشتقة من تسمية الجبل الشرقي الاصلي • ويبلغ ارتفاع هذا الجبل ٢٨١٦ قدما وينحدر جنوبا الى وادي هنوم الى ٢٥٠٥ اقدام ويقع اليوم خارج سور المدينة الحالي في الطرف الجنوبي الغربي منها •

٥ ـ أسوار المدينة ـ قديما وحديثا :

ا ـ السور القديم (السور الاول)

ولما كانت الاسوار جزءا من حياة المدن في تلك العصور القديمة فلابد من نبذة عن تاريخ اسوار اورشليم في مختلف ادوارها : ان اقدم اسوار المدينة هو السور الذي يرجع الى عهد اليبوسيين سكان اورشليم الاصليين والذي كان يحيط بحصن يبوس او « حصن صهيون » ، فيشكل شبه مستطيل يتوسطه الحصن ، وكان النفق الذي يسحب المياه من عين جيحون ينتهي الى

---

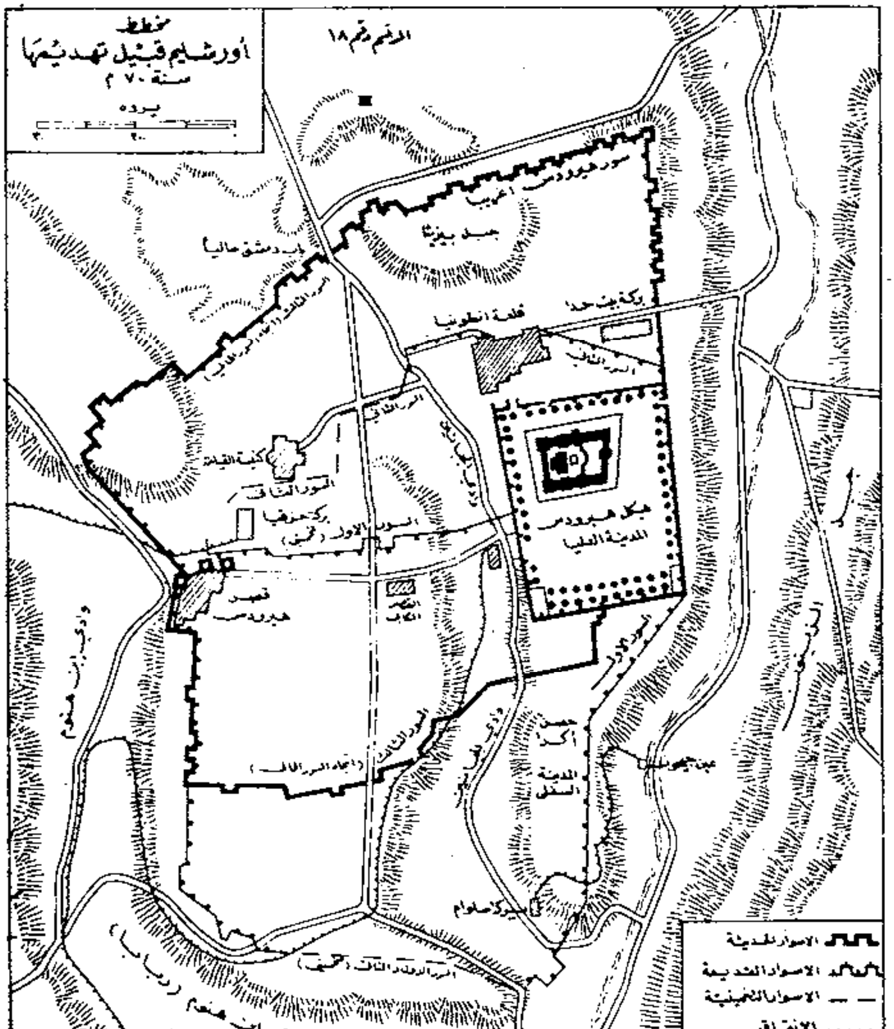
(٦٢) ٢ صم ٢٤ : ٢٤ـ٢٥ ؛ ١ أخ ٢١ : ٢٢ـ٢٨ •

(٦٣) ٢ أخ ٣ : ١ •

(٦٤) تك ٢٢ : ٢ •

(٦٥) انظر ما يلي عن أسوار المدينة •

البركة داخل هذا السور • وبعد احتلال الملك داود للحصن في القرن العاشر قبل الميلاد اقام ابنية اضافها الى الحصن وسميت المنطقة « مدينة داود » رغبة منه في تبديل اسمها الكنعاني الاصلي على الارجح ، ثم اشترى ارض المرّيا الواقعة الى الشمال من حصن يبوس وبنى فيها مذبحا للرب • ومن المحتمل



مقتبس من كتاب (قصة التوراة) (ج ٢ ، ص ١٠٤٣) مع بعض التحوير

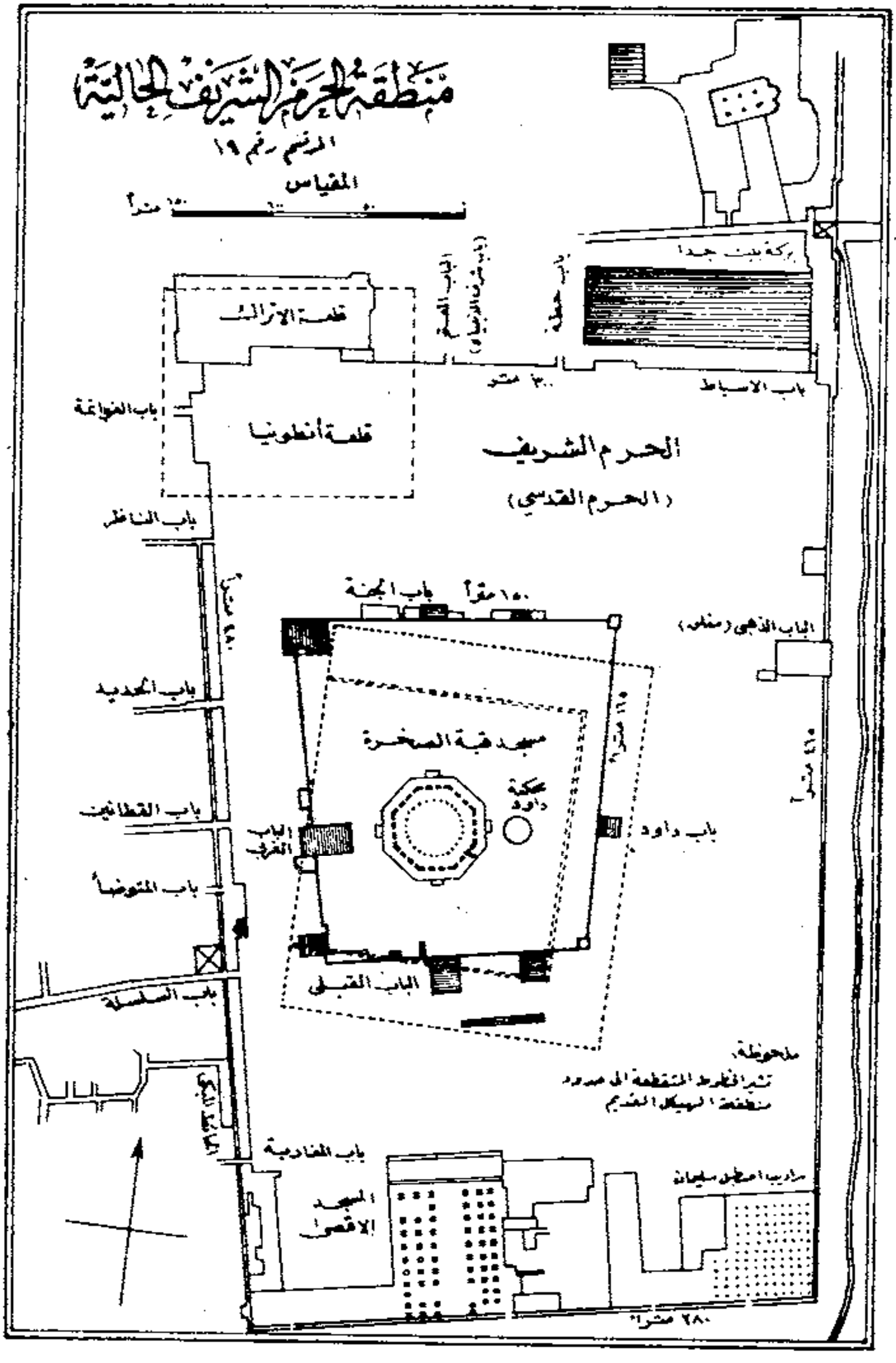
جدا انه وسع السور اليبوسي ليضم داخله جبل المريا ، كما انه من المحتمل ان يكون الملك سليمان قد قام بتقوية هذا السور وتوسيعه بعد ان اقام الهيكل في ارض المريا • وهذا هو السور الاول ولا يوجد الآن أي أثر ظاهر لهذه الاسوار القديمة ، كما انه لا يوجد اي أثر للاسوار التي ترجع الى الفترة التي تلي عهد سليمان والتي تبدأ بعهد الانقسام وتنتهي بتهديم الهيكل والسور في عهد نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق•م ؛ وذلك لكثرة التغييرات التي وقعت خلال هذه الفترة نتيجة التهديم واعادة البناء مرات عديدة • وقد دلت التنقيبات الاثارية على أن اساسات سور الهيكل القديم تقع على نحو من ٨٠ قدما تحت سطح الحرم الشريف حاليا وذلك نتيجة توالي التخريب والهدم • يتضح مما تقدم ان التحصينات اليبوسية التي يرجع تاريخها الى اوائل الالف الثالثة قبل الميلاد كانت قائمة في اورشليم لفترة حوالي ألفي سنة قبل ان يحتلها الملك داود •

ب ـ السور الثاني

واقدم واوضح وصف لدينا لسور اورشليم هو الوصف الكامل الذي ورد في التوراة للسور الذي اعيد انشاؤه بعد السبي البابلي في عهد نحميا (سنة ٤٤٤ ق•م•) والذي يعتبر ثاني سور للمدينة ، وقد اتبع في اعادة الانشاء نفس الخط الذي كان يسير عليه السور القديم الذي كان قد اقامه منسى ملك يهوذا سنة ٦٤٤ ق•م في اثناء الحملة الاشورية في عهد آشور بانيبال ثم هدم في عهد نبوخذنصر سنة ٥٨٦ ق•م• ، وقد استعملت نفس الاسماء القديمة لابواب السور وابراجه • ويعطينا هذا الوصف فكرة واضحة عن اتساع المدينة في ذلك العصر[٦٦] ، فيبدأ السور من باب الضأن شمال الهيكل ويمتد غربا ثم جنوبا ثم شرقا وشمالا حتى يعود فيتصل بنقطة البداية • (انظر « مخطط اورشليم في اقدم عصورها ») والابواب حسب تسلسلها ثلاثة في السور الشمالي وهي باب الضأن وباب السمك والباب العتيق • وباب السمك سمي كذلك لانه كان الموضع الذي تدخل منه الاسماك المستوردة من صور [٦٧] • ويلاحظ ان

(٦٦) نحميا ٣ : ١ـ٣٢ •

(٦٧) نحميا ١٣ : ١٦ •


منطقة الحرم الشريف الحالية
المرتسم رقم ١٩
المقياس
قلعة أنطونيا
الحرم الشريف
(الحرم القدسي)
باب الأسباط
باب حطة
باب الغوانمة
باب الناظر
باب الحديد
باب القطانين
باب المتوضأ
باب السلسلة
باب المغاربة
باب الجنة
الباب الذهبي (مغلق)
مسجد قبة الصخرة
محكمة داود
باب داود
الباب الغربي
الباب القبلي
المسجد الأقصى
ملحوظة
٢٨٠ متراً

السور عند الزاوية الشمالية الغربية اضخم من سائر اقسامه ، وتعليل ذلك هو ان هذا القسم كان مجردا من وسائل الدفاع الطبيعية بخلاف ما كانت عليه بقية الاقسام التي تحيط بها الأودية من كل اطرافها(٦٨) • اما الابواب الاخرى فهي: باب افرايم غربا وبابا الوادي والدمن جنوبا وابواب العين والماء والخيل والشرق والسجن والزاوية شرقا • واهم ابراج السور كانت تقع في الطرف الشمالي وفي الزاوية الشمالية الغربية المكشوفة وهي حسب تسلسلها : برج المئة وبرج حننئيل وبرج التنانير • وتبلغ المساحة داخل هذا السور حوالي ٢٠٠ أيكر (٣٣٦ دونما عراقيا) وهذه كانت تضم السكان الاصليين (اليبوسيين وغيرهم) الذين بقوا مع اليهود ثم استأثر السكان الاصليون بجميع المنطقة واستقلوا بها بعد سبي اليهود من اورشليم سنة ٥٨٦ ق٠م حتى عاد بعض اليهود في العهد الفارسي فأعادوا بناء الهيكل والسكان الاصليون باقون في ارضهم •

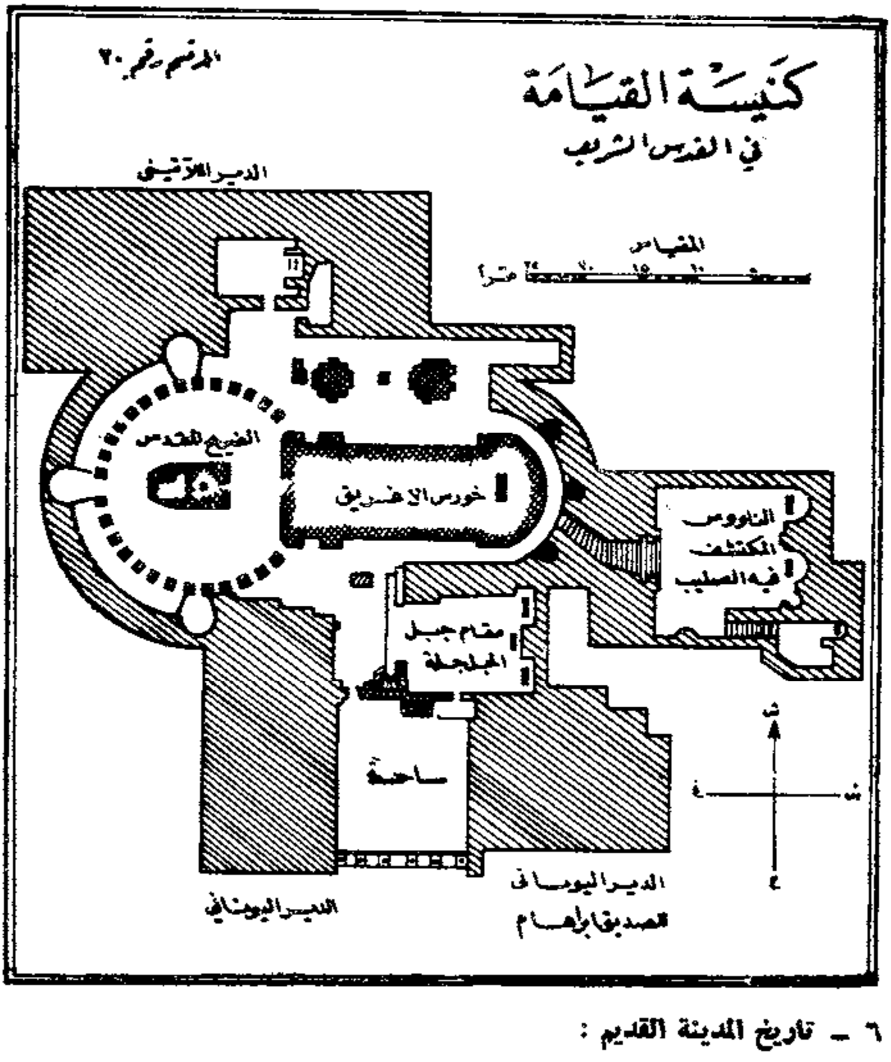
ج ـ السور الثالث والاخير :

والارجح ان معظم السور الذي بناه نحميا بقي في عهد المكابيين (١٦٧ـ٣٧ ق٠م٠) على رغم دك بطليموس الاول جانبا منه سنة ٣٠٠ ق٠م وانطيوخس الرابع جانبا آخر سنة ١٦٨ ق٠م٠ وفي عهد هيرودس الكبير (٣٧ـ٤ ق٠م٠) تمت تقويته دون اي تغيير في تخطيطه على الارجح • وفي عهد هيرودس اغريبا (٤١ـ٤٤م) شرع اليهود في بناء سور جديد في الجهة الشمالية غير ان الامبراطور الروماني قلوديوس منعهم من متابعة العمل فاتموا بناءه قبل حصار تيطس سنة ٧٠م٠ ، وهذا هو السور الثالث وسمي ايضا سور هيرودس اغريبا وقد ضم هذا السور منطقة بيزثيا الشمالية وما زال السور الشمالي الحالي للمدينة يسير بنفس هذا الاتجاه • هذا في حين ان حدود المدينة من الجنوب تقلصت بتراجع السور الى الداخل الى نفس الاتجاه الذي يسير فيه السور الجنوبي للمدينة حاليا • وقد ظل هذا السور يتأرجح بين الهدم واعادة البناء كلما تحولت المدينة من يد الى اخرى في العصور التالية ، ولكن على رغم هذه التقلبات حافظ على اتجاهه الاخير ، والسور الذي نشاهده اليوم

---

(٦٨) نحميا ٣ : ٨ ؛ ١٢ : ٣٨ •

حول المدينة الحالية هو الذي جدده سليمان باشا القانوني ، دامت عمارته خمسة اعوام (١٥٣٦ ــ ١٥٤٠م .) ، واضاف اليه عدداً من الابراج ، وفوق الابواب كتابات على الجدران تشير الى ذلك[٦٩] . (انظر المرتسمين ١٨ و ٢١) .



٦ ـ تاريخ المدينة القديم :

ان تسلسل الاحداث التاريخية التي مرت على اورشليم منذ تأسيسها في

(٦٩) عارف العارف ، « تاريخ القدس » ، ص. ١٧٢ .

عهد اليبوسيين في اوائل الالف الثالثة قبل الميلاد حتى تخريبها سنة ١٣٥ على عهد الرومان (فترة حوالي ثلاثة آلاف عام) تحدد ادوار المدينة التاريخية بخمسة ادوار منفصلة تقريبا وهي : اولا ، دور ما قبل ظهور النبي موسى(ع) ، ثم دور النبي موسى (ع) واتباعه ، ويليه دور الفرس ناليونان واخيرا عهد الرومان . وقد شرحنا فيما تقدم طرفا من تاريخ مدينة القدس القديمة وجغرافيتها في أقدم عصورها ، ويجد القارىء في الفصل الاول بحثا مفصلا عن تاريخ اليبوسيين (الكنعانيين) سكان اورشليم الاصليين ، وهم الذين لعبوا دورا مهما في فترة ما قبل ظهور النبي موسى (ع) على مسرح الاحداث . كما يجد في الفصل السادس عرضا لحوادث الادوار التي مرت على فلسطين ، وهي تشمل عهد الموسويين وعهود الفرس واليونان والرومان . ولما كان تاريخ اورشليم في هذه الادوار هو نفس تاريخ فلسطين لما كان لاورشليم من مكانة بارزة في حياة فلسطين ككل ، فلم نر ما يدعو الى تكرار هذه الاحداث التي وردت في مطاوىء الكتاب ، لذلك نكتفي بما أشرنا اليه . ويجد القارىء في المرتسمات المرقمة ١٦ ـ ٢١ ايضاحا لتسلسل التطورات في مجرى تاريخ المدينة عمرانيا .

١ ـ المراجع الاجنبيـــة

1. Baedekers (Karl) : "Palestine and Syria" Jerusalem. 5th. ed. 1912, pp. 19—107 (with maps)

2. Besant (W.) and Palmer (H.) : "The History of Jerusalem," London, 1888.

-- ———— : "Jerusalem the City of Herod and Saladin."

3. Bevan (E.) : "Jerusalem under the High Priests," London 1904.

4. Caldecott (W.S.) : "The second Temple in Jerusalem," London,' 1909.

5. Chipiez ét Perrot : "Le Temple de Jerusalem," Paris, 1889.

6. Creswell (K.A.C.) : Early Muslim Architecure" Oxford 1932, Al-Sakhra, pp. 42 - 94 and pp. 147 - 228

7. ———— : "The origin of Plan of the Dome of the Rock." British School of Archaeology in Jerusalem, Suppl. Papers No. 2, London, 1924.

عهد اليبوسيين في اوائل الالف الثالثة قبل الميلاد حتى تخريبها سنة ١٣٥ على عهد الرومان (فترة حوالي ثلاثة آلاف عام) تحدد ادوار المدينة التاريخية بخمسة ادوار منفصلة تقريبا وهي : اولا ، دور ما قبل ظهور النبي موسى(ع) ، ثم دور النبي موسى (ع) واتباعه ، ويليه دور الفرس ناليونان واخيرا عهد الرومان • وقد شرحنا فيما تقدم طرفا من تاريخ مدينة القدس القديمة وجغرافيتها في أقدم عصورها ، ويجد القارىء في الفصل الاول بحثا مفصلا عن تاريخ اليبوسيين (الكنعانيين) سكان اورشليم الاصليين ، وهم الذين لعبوا دورا مهما في فترة ما قبل ظهور النبي موسى (ع) على مسرح الاحداث : كما يجد في الفصل السادس عرضا لحوادث الادوار التي مرت على فلسطين ، وهي تشمل عهد الموسويين وعهود الفرس واليونان والرومان • ولما كان تاريخ اورشليم في هذه الادوار هو نفس تاريخ فلسطين لما كان لاورشليم من مكانة بارزة في حياة فلسطين ككل ، فلم نر ما يدعو الى تكرار هذه الاحداث التي وردت في مطاوىء الكتاب ، لذلك نكتفي بما أشرنا اليه • ويجد القاريء في المرتسمات المرقمة ١٦ ـ ٢١ ايضاحا لتسلسل التطورات في مجرى تاريخ المدينة عمرانيا •

١ ـ المراجع الاجنبيــة

1. Baedekers (Karl) : "Palestine and Syria" Jerusalem. 5th. ed. 1912, pp. 19—107 (with maps)

2. Besant (W.) and Palmer (H.) : "The History of Jerusalem," London, 1888.

—————— : "Jerusalem the City of Herod and Saladin."

3. Bevan (E.) : "Jerusalem under the High Priests," London 1904.

4. Caldecott (W.S.) : "The second Temple in Jerusalem," London,' 1909.

5. Chipiez ét Perrot : "Le Temple de Jerusalem," Paris, 1889.

6. Creswell (K.A.C.) : Early Muslim Architecure" Oxford 1932, Al-Sakhra, pp. 42 - 94 and pp. 147 - 228

7. —————: "The origin of Plan of the Dome of the Rock." British School of Archaeology in Jerusalem, Suppl. Papers No. 2, London, 1924.

8. Davis (J.D.) : "Jerusalem," Dictionary of the Bible, London. 1958 (4th revised ed.), pp. 368 - -378.

9. Ferguson (James) : "An Essay on the Ancient Topography of Jerusalem."

10. Hartmann (H.) : "Der Felsendom in Jerusalem" Strassburgh, 1909.

11. Hastings (James - editor) : "Jerusalem," A Dictionary of the Bible, 1958, Vol. II, pp. 584-601 (with map).

11. (a) Holford (G.P.) : "Destruction of Jerusalem," 1813.

12. Join - Lambert (M.) : "Jerusalem, 1958 (with bibliography).

13. Kollek (T.) and Pearlman (M.) : "Jerusalem Sacred City of Mankind : A History of Forty Centuries."

14. Lewis (H.) : "The Holy Places of Jerusalem.

15. Maraini (F.) : "Jerusalem, Rock of Ages," translated by Judith Landry, London, 1969. Reviewed by G. Furlonge, Asian Affairs, Vol. 57, Part 1, Feb., 1970, pp. 75-76

16. Mariti, "Histoire de l'etat present de Jerusalem ." Paris. 1853.

17. Merill (S.) : "Ancient Jerusalem," 1908.

18. Parrot (A.) : "The Temple of Jerusalem," Studies in Biblical Archaeology, No. 5.

19. Peake (A.S.) : "Commentary on the Bible", London, 1923.

20. Perowne (S.H.) : "Jerusalem," Enc. Brit., Vol. 12, 1965. pp. 1007 - 1009.

21. Richmond (E. T.) : "The Dome of the Rock", Oxford, 1924.

22. Rogers (R.W.) : "Cuneiform Parallels to the Old Testament", N.Y., 1912, See: "Letters from Abdi - Khiba of Jerusalem," pp. 268 - 278: "Campaign against Jehu by Sennacherib," pp. 340 - 346; "Siege of Jerusalem by Nebuchadnessar," p. 363. (Texts translated into English from the originals). Sauvaire (H.) "Histoire de Jerusalem et d'Hebron (fragments de la Chronique de Mughir ad-Din), Paris, 1876.

23. Schick (C.) : "Beit el Makdes," Jerusalem, 1887.

24. Simons (J.) : "Jerusalem in the Old Testament, Researches and theories," 1953.

25. Smith (G.A.): "Jerusalem: "The Topography, Economics and History from the earliest Times to A. D. 70," 2 vols., 1908.

26. Strange (Guy Le) : "Palestine under the Moslems - A Description of Syria and the Holy Land (A.D. 650 to 1500) "N.Y., 1890 ((vide : Chaps. III-V, "Jerusalem", pp. 83-223.

27. ———— : "Description of the Noble Sanctuary at Jerusalem in 1740 A.D. by Kamal (or Shams) ad-Din as-Suyuti, Extracts Re-Translated by Guy Le Strange, Journal of the Royal Asiatic Society, XIX, 1887, pp. 247-305.

28. Thubron (C.) : "Jerusalem," London, 1969, (256 p. with 84 plates Reviewed by G. Furlonge, Asian Affairs, Vol. 57, Part I, Feb. 1970, pp. 75-76.

29. Vester (Bertha S.) : "Our Jerusalem."

30. Vincent (L.H.) : "Jérusalem Antique". 1912.

31. ——— with Steve (A.M.) : "Jérusalem de l'Ancient Testament" 2 vols., 1954-56.

———— with Abel (F.M.) : "Jérusalem, recherches de topographie "d'archéologie et d'histoire." Paris.

——— : "Jerusalem sous terre, les récentes fouilles d'Ophel," London, 1911.

32. Vitry (Jacques de) : "The History of Jerusalem," tr. Aubrey Stewart, London, 1896.

33. Vogüé (M.de) : "Le Temple de Jerusalem, "Paris, 1864.
33 (a). Weill (R.) : "La cité de David," Paris, 1920.

34. "The story of the Bible told by living Writers of Authority", London, 2 vols.

35. Shorter Encyclopedia of Islam, "Al-Kuds," E.J. Brill, 1953, pp. 269 ff.

36. Jewish Encyclopedia - "Jerusalem," 1914, Vol. VII, pp. 118 - 157 (with maps).

37. The Standard Jewish Encyclopedia, "Jerusalem," pp. 1026 - 1032.

38. Encyclopedia Biblica, "Jerusalem", 1901, Vol. II. pp. 2407 2431 (with map).

"Jerusalem Through The Ages," The Tweety-fifth Archaeological Convention.

"Map of the City of Jerusalem," Scale 1 : 10,000 compiled by

the National Geographic Society for the National Geographic Magazine, Dec: 1963.

"La Palestine," Guide historique et pratique avec cartes et plans nouveaux par des professeurs de Notre-Dame de France à Jérusalem, 3 e edition, revue et augmentée, Paris, 1922

يحتوي هذا الدليل القيم على بحث مستفيض في تاريخ القدس معزز بعدد كبير من المرتسمات والخارطات أعده عدد من اساتذة المؤسسة المسيحية الفرنسية « سيدتنا من فرنسا » في القدس · وهذه هي الطبعة الثالثة المنقحة التي أضيفت اليها اضافات كثيرة (انظر « أورشليم » صه ٧٣ ــ ٢٧٤) ·

٢ ــ المراجع العربيــــة

- « بيت المقدس في الاسلام » ، تقديم الدكتور عبدالحليم محمود ، مجمـــع البحوث الاسلامية في الازهر ، الكتاب الخامس (عدد خاص) ١٩٦٩ ·
- جبرا (جبرا ابراهيم) : « الرحلة الثامنة » القدس : الزمن المجد ، صيدا ، ١٩٦٧ ، ص ١٥٥ ــ ١٧٦ · (قطعة ادبية تاريخية رائعة عن القدس) ·
- الحسيني (الدكتور اسحق موسى) : « عروبة بيت المقدس » ، منظمـــة التحرير الفلسطينية ، (دراسات فلسطينية ٦١ ، ١٩٦٩) ·
- طنطاوي (محمد) : « المسجد الاقصى عبر القرون » ، العربي ، العـــدد ١٣٣ (كانون الاول ١٩٦٩) ، ص ١٣٠ ــ ١٣٧ ·
- العارف (عارف باشا) : « تاريخ القـــدس » القاهرة ، دار المعـــارف ، ١٩٥١ ·
- « تاريخ الحرم القدسي » ، القـــدس ، ١٩٤٧ (تقريظ المقتطف) ج ١١٢ (١٩٤٨)·ص ٧٤ ــ ٧٥ ·
- العليمي (عبدالرحمن بن محمد) : القدس ١٤٥٦ ــ ١٥٢٢ ، ٢ ج ، مصر المطبعة الوهبية في مصر ١٢٨٣ ·
- مجيرالدين الانس الجليل بتاريخ القدس والخليط ، القاهرة ١٢٨٣ هـ ·
- أبو اليمن القاضي مجيرالدين الحنبلي ولد بالقدس وتوفي بها ٩٢٧ هـ ، المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٣ هـ (ج ٢) ·
- العمري (ابن فضل‌الله) : « مسالك الابصار في ممالك الامصار » بتحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٢٤ (انظر « المسجد الاقصى » ص ١٣٣ ــ ١٦٧) ·

الملحق الثاني

جدول مسلسل عام للحوادث التاريخية

جدول مسلسل عام للحوادث التاريخية

نحو ٣٠٠٠ ق٠م٠ ـ هجرة العموريين الى فلسطين وسورية والعراق ٠

٣٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ ق٠م٠ ـ هجرة الكنعانيين الى فلسطين ومنهم اليبوسيون سكان أورشليم الاوائل ٠

٣٠٠٠ ـ ١٥٩٥ ق٠م٠ العهد الآشوري القديم ٠

نحو ٢٦٠٠ ق٠م ـ هجرة جماعة مسيلم السامية الى كيش ٠

٢٣٧١ ـ ٢٢٣٠ ق٠م٠ ـ فترة حكم الاكديين في العراق ٠

٢٣٧١ ـ ٢٣١٦ ق٠م٠ ـ فترة حكم سركون الاكدي ٠

٢٢١١ ـ ٢١٢٠ ق٠م٠ ـ فترة حكم الكوتيين في العراق ٠

٢١٢٠ ـ ٢٠٠٦ ق٠م٠ ـ فترة الانبعاث السومري في العراق ٠

٢٠٠٦ ـ ١٨٠٠ ق٠م٠ ـ فترة حكم ايسن ولارسه في العراق ٠

٢٠٠٠ ـ ١٥٠٠ ق٠م٠ ـ هجرة الاراميين من جزيرة العرب الى اعالي وادي الرافدين ثم انتشارهم في سورية والعراق وامتداد علاقاتهم التجارية والثقافية في جميع الشرق الاوسط ٠

١٩٠٠ ـ ١٨٥٠ ق٠م٠ ـ هجرة ابراهيم الخليل (ع) من اور الى فلسطين عن طريق حران ٠

١٨٩٤ ـ ١٥٩٥ ق٠م٠ ـ العهد البابلي القديم في العراق ، أشهر ملوكه حمورابي ١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق٠م٠

١٧٨٥ ـ ١٥٨٠ ق٠م٠ ـ هجرة الهكسوس الى مصر وحكمهم فيها وقد اشتملت على خمس سلالات هي السلالات ١٣ـ١٧٠

١٧٥٠ ـ ١٦٧٠ ق٠م٠ ـ فترة قيام سلالة القطر البحري أو سلالة بابل الثانية في منطقة الخليج العربي ٠

١٧٤٢ ق٠م٠ ـ الغزو الكاشي الاول للعراق وتأسيسهم مملكة كاشية في أواسط نهر دجلة ٠

نحو ـ ١٧٢٠ ق٠م٠ ـ هجرة آل يعقوب الى مصر في عهد الهكسوس ٠

نحو ١٧٠٠ ق٠م٠ ـ بداية هجرة الحوريين من مناطقهم الجبلية في شمال ايران

الى شمالي العراق وتأسيسهم دولة ميتاني (حوالى ١٥٥٠ ـ ١٤٠٠ ق٠م٠) ٠

١٥٩٥ ـ ٩١٠ ق٠م٠ العهد الآشوري الوسيط ٠

١٥٩٥ ق٠م٠ ـ احتلال الحيثيين لمدينة بابل وقضاؤهم على سلالة بابل الاولى ثم عودتهم الى طوروس ٠

١٥٩٥ ـ ١١٦٢ ق٠م٠ ـ فتـــرة حكم الكاشيين في العـــراق ـ عاصمتهم « كوريكالزو » (عقرقوف) الحالية ٠

١٥٨٠ ـ ١٠٨٥ ق٠م٠ فترة الانبراطورية المصرية التي تكونت بعـد طـــرد الهكسوس من مصر ٠

١٥٨٠ ـ ١٥٤٦ ق٠م٠ عهد أحموسة الاول مؤسس السلالة الثامنة عشرة المصرية محرر بلاده من الاحتلال الهكسوسي ٠

١٥٨٠ ـ ١٣٥٠ ق٠م٠ سيادة مصر على فلسطين وسورية ٠

١٥٠٤ ـ ١٤٥٠ ق٠م٠ عهد تحوطمس الثالث الفاتح المصري الشهير قضى على بلاد الهكسوس في الشرق واستولى على معظم أقطار الشرق الادنى ٠ وقد عين بعضهم تاريخ حكمه بين سنة ١٤٧٩ وسنة ١٤٤٧ ق٠م٠

١٤٥٠ ق٠م بداية هجرة الحيثين من الاناضول الى شمال سورية وتأسيسهم دولة كركميش (جرابلس) (١٤٥٠ ـ ١٢٠٠ ق٠م٠) ٠

١٤١٧ ـ ١٣٦٢ ق٠م٠ عهد الرسائل الكنعانية المعروفة برسائل تل العمارنة في عهدي امنحوتب الثالث (١٤١٧ـ١٣٧٩ق٠م٠) وامنحوتب الرابع ـ اخناتون (١٣٧٩ ـ ١٣٦٢ ق٠م٠) ٠

١٤١٧ ـ ١٣٦٢ ق٠م٠ ـ عهد ملك أورشليم عبد خيبا الكنعاني (Abdi-Khiba) ورسائله الى اخناتون والى سلفه امنحوتب الثالث التي ورد فيها ذكر أوروسالم (أورشليم) ٠

١٤١٧ ـ ١٣٧٩ ق٠م٠ عهد أمنحوتب الثالث (السلالة ١٨) كان معاصرا لعبد خيبا ملك اورشليم ٠ وقد عين بعضهم تاريخ حكمه بين سنة ١٤١٣ وسنة ١٣٧٥ ق٠م٠

١٣٧٩ ـ ١٣٦٢ ق٠م٠ ـ عهد أمنحوتب الرابع (السلالة ١٨) المعـــروف باخناتون صاحب الدعوة الى عقيدة التوحيد كان معاصرا لعبد ـ خيبا ملك أورشليم ، وقد عـــين بعضهم تاريخ حكمه بين سنة ١٣٧٥ وسنة ١٣٥٨ ق٠م٠

١٣٠٤ ـ ١٢٣٧ ق٠م٠ـعهد رعمسيس الثاني (السلالة ١٩) وهو الذي تم ق
زمنه خروج النبي موسى واتباعه من مصر ٠ وقد
عين بعضهم تاريخ حكمه بين سنة ١٣٠٠ وسنة
١٢٣٣ ق٠م٠

نحو ١٢٩٠ ق٠م٠ ـ خروج جماعة موسى من مصر وهجرتهم الى ارض فلسطين ٠

١٢٣٣ ـ ١٢٢٣ ق٠م٠ ـ عهد مرنفتاح ابن رعمسيس الثاني ، صاحب قصيدة
النصر التي ألفت بمناسبة انتصاره على بلاد لوبيا٠

١٢٠٠ ـ ١١٥٠ ق٠م٠ هجرة الفلسطينيين الى الساحل الفلسطيني الجنوبي
ومنهم جاءت تسمية « فيلستيا » (فلسطين) ٠

١١٩٨ ـ ١١٦٦ ق٠م٠ عهد رعمسيس الثالث (السلالة ٢٠) أكثر فراعنة
مصر ايغالا في بلاد العرب وهو الذي صد هجوم
الفلسطينيين على مصر سنة ١١٩١ ق ٠ م

١١٦٢ ـ ١٠٤٦ ق٠م٠ فترة حكم السلالة البابلية الرابعة في بابل اشتهر من
ملوكها نبوخذنصر الاول (١١٢٤ ـ ١١٠٣ ق٠م)٠

نحو ١١٢٥ ـ ١٠٢٥ ق٠م٠ ـ عهد القضاة الموسويين في فلسطين ٠

١٠٧٧ ـ ٩١١ ق٠ م٠ـغزو الاراميين للعراق واستقرارهم على طول الجانب
الايمن من نهر الفرات ٠

١٠٥٠ ق٠م٠ ـ انتصار الفلسطينيين في المعركة التي نشبت بينهم وبين
الموسويين في عهد القضاة واستيلاؤهم على تابوت
العهد ٠

نحو ١٠٢٥ ـ ١٠١٠ ق٠م ـ فترة حكم الملك شاؤل ٠

نحو ١٠١٠ ق٠م٠ ـ انتصار الفلسطينيين على الملك شاؤل ومقتله هو وأولاده الثلاثة٠

نحو ١٠١٠ ـ ٩٧١ ق٠م٠ ـ فترة حكم الملك داود ٠

نحو ١٠٠٣ ق٠م٠ ـ استيلاء الملك داود على يبوس (أورشليم) واتخاذها عاصمة له ٠

نحو ٩٧١ ـ ٩٣١ ق٠م٠ ـ فترة حكم الملك سليمان في اورشليم ٠

٩٣١ ـ ٧٢٤ ق٠م٠ فترة حكم مملكة اسرائيل ٠

٩٣١ ـ ٥٨٦ ق٠م٠ فترة حكم مملكة يهوذا ٠

٩٢٦ ق٠م٠ زحف شيشنق الاول ملك مصر على اورشليم في عهد رحبعام
ملك يهوذا ونهب ذخائر الهيكل وبينها ٥٠٠ ترس
من ذهب ٠

٩١١ ـ ٦١٢ ق٠م٠ العهد الآشوري الحديث ٠

٨٥٣ ق٠م٠ المعركة غير الحاسمة بين الآشوريين وبين الاراميين وحلفائهم في
القرقار على نهر العاصي ٠

٧٣٢ ق٠م٠ ـ استيلاء تجلات بلاشر الثالث (٧٤٥ـ٧٢٧ ق٠م٠) على دمشق

٧٣١ ق٠م٠ استيلاء تجلات بلاشر الثالث ملك اشور على كل أراضي اسرائيل وسبي أهلها الى اشور ٠

٧٢٢ ـ ٧٢١ ق٠م٠ ـ حملة الاشوريين على مملكة اسرائيل في زمن شلمنصر الخامس وسرگون الثاني وازالتها من الوجود هي وعاصمتها (السامرة) ٠

٧٢١ ـ ٧١١ ق٠م٠ ـ فترة حكم الملك الكلداني ملك القطر البحري « مردوخ بلودان » في بابل ٠

٧٠١ ق٠م٠ ـ حملة سنحاريب ملك اشور على مملكة يهوذا ومحاصرة أورشليم ٠

٦٤٨ ق٠م٠ حملة اشور بانيبال على بابل وبلاد القطر البحري وعيلام واستيلاؤه على السوس عاصمة عيلام ٠

٦١٦ ق٠م ٠ ـ احتلال الكلدانيين لمدينة بابل بزعامة ملكهم نبوبلسر ٠

٦١٤ ق٠م٠ احتلال الماذيين لمدينة اشور عاصمة الاشوريين القديمة ٠

٦١٢ ق٠م٠ ـ سقوط نينوى عاصمة الاشوريين بيد الجيوش الماذية والبابلية المتحالفة ٠

٦١٢ ـ ٥٣٩ ق٠م٠ ـ فترة حكم الدولة الكلدانية في العراق بعد سقوط نينوى ٠

٦٠٥ ق٠م٠ ـ انتصار نبوخذنصر على نخو ملك مصر في معركه كركميش وانسحاب مصر من الشرق الادنى ٠

٦٠٠ ق٠م٠ هجرة الانباط الى شرقي الاردن ٠

٥٩٧ ق٠م٠ حملة نبوخذنصر الاولى على مملكة يهوذا وأورشليم (السبي الاول لبني يهوذا) ٠

٥٨٦ ق٠م٠ حملة نبوخذنصر الثانية على مملكة يهوذا وأوشليم وسبي اليهود الى بابل (السبي الثاني) ٠

٥٨٦ ـ ٥٣٩ ق٠م٠ ـ فترة أسر اليهود في بابل ٠

٥٣٩ ق٠م٠ فتح كورش الاخميني لمدينة بابل وقضاؤه على الدولة الكلدانيـة في العراق وسماحه لمن رغب من اليهود العودة الى أورشليم واذنه لهم باعادة بناء الهيكل ٠

٥٣٩ ـ ٣٣١ ق٠م٠ فترة حكم الفرس الاخمينيين ٠

٣٣٢ ق٠م٠ فتح الاسكندر لفلسطين وانشاء مستعمرات اغريقية بين اليهود ٠

٣٢٣ ق٠م٠ (١٣ حزيران) وفاة الاسكندر في بابل ٠

٣٢٣ ـ ٣٠ ق٠م٠ ـ حكم البطالمة في مصر ٠

٣١٢ ق٠م٠ ـ فلسطين تصبح تحت حكم البطالمة في مصر ٠

٣١٢ ـ ٦٤ ق٠م٠ فترة حكم السلوقيين في سورية ٠

٣٠٠ ق٠م٠ ـ حملة بطليموس الاول (سويتر) (٣٢٣ ـ ٢٨٢ ق٠م٠) على أورشليم ونقل عدد غفير من اليهود الى أفريقيا ٠

١٩٨ ق٠م٠ ـ استيلاء انطيوخس الثالث على فلسطين ٠

١٦٨ ق٠م٠ ـ دخول انطيوخس الرابع (أبيفان) (١٧٥ ـ ١٦٤ ق٠م٠) أورشليم وتدميره لهيكلها ونهبه لخزائنها ٠

١٦٧ ق٠م٠ ـ اضطهاد اليهود في فلسطين واجبارهم على نبذ اليهودية واعتناق الوثنية اليونانية ٠

١٦٧ ق٠م٠ ـ بداية ثورة العائلة الهشمونية بزعامة الكاهن متاثيوس ٠

١٦٧ ـ ٣٧ ق٠م٠ ـ فترة عهد المكابيين في فلسطين ٠

١٦٤ ق٠م٠ ـ استيلاء المكابيين على أورشليم على أثر تقهقر الجيش السلوقي ٠

١٤١ ق٠م٠ ـ ٢٢٤ ب٠م٠ ـ حكم الفرثيين في العراق وفي سوريه جزئيا ٠

١٤١ ق٠م٠ ـ مناداة سيمون المكابي كاهنا أعلى وحاكما في اورشليم واعتراف دمتريوس الثاني الملك السلوقي باستقلاله وأخذ سيمون بسك النقود باسمه ٠

٧٠ ق٠م٠ ـ ٤٧٦ ب٠م٠ ـ عهد الانبراطورية الرومانية ٠

٦٩ ق٠م٠ ـ احتلال دكران ـ ملك أرمينيا لشمال سورية ثم انسحابه منها تحت ضغط الرومان ٠

٦٤ ق٠م٠ احتلال القائد الروماني پومپي لسورية وضمها الى رومة ٠

٦٣ ق٠م٠ دخول پومپي القائد الروماني الى أورشليم وجعل يهوذا تابعة لحاكم سورية الروماني ٠ تعيين هيركانوس الثاني وهو مكابي بمنصب الكاهن الاعلى ٠

٦٠ ق٠م٠ ـ تشكيل الحكومة الثلاثية الرومانية الاولى في روما من پومپي وقيصر وكراسوس ٠

٥٤ ق٠م٠ ـ نهب كراسوس لخزائن الهيكل في أورشليم ٠

٤٧ ق٠م٠ تعيين قيصر انتيپاپتر الادومي خازنا في يهوذا ٠

٤٣ ق٠م٠ ـ تشكيل الحكومة الرومانية الثلاثية الثانية بعد اغتيال قيصر في مجلس الشيوخ سنة ٤٤ ق٠م٠

٤٣ ق٠م٠ ـ موت انتيپاپتر واحلال ابنه هيرودس محله حاكما على يهوذا ٠

٤٠ ق٠م٠ استيلاء الفرثيين على فلسطين ثم انسحابهم منها سنة ٣٨ ق٠م٠

٤٠ ق٠م ـ هرب هيرودس الى روما بعد احتلال الفرثيين لفلسطين ٠

٣٨ ق٠م٠ ـ عودة الحكم الروماني الى سورية وفلسطين وعودة هيرودس الى سورية حيث عين ملكا على يهوذا وعلى الجليل ٠

٣٦ ق٠م٠ ـ احتلال هيرودس لاورشليم عنوة بعد معارك عنيفة وبذلك كان انتهاء حكم السلالة المكابية ٠

٣٠ ق٠م٠ تشكيل الانبراطورية الرومانية بزعامة أغسطس وضم مصر اليها ٠

٦ ق٠م٠ ـ مولد السيد المسيح (ع) ٠

٤ ق٠م٠ ـ وفاة هيرودس وتقسيم حكم فلسطين بين أولاده الثلاثة ٠

٢٩ ب٠م٠ ـ صلب السيد المسيح (ع) ٠

٦٦ ب٠م٠ ـ بداية ثورة اليهود في أورشليم ضد الرومان في عهد نيرون ٠

٦٨ ب٠م٠ ـ وفاة الانبراطور نيرون واحلال وسپسيان محله ٠

٧٠ ب٠م٠ ـ احتلال تيطوس لاورشليم وحرق الهيكل والفتك باليهود والغاء السنهدرين ٠

١٣٢ ب٠م ٠ـ ثورة اليهود من جديد في عهد الانبراطور هادريان بقيادة « باركوخبا » ٠

١٣٥ ب٠م٠ قضاء هادريان على ثورة « باركوخبا » واقامة مستعمرة رومانية في أورشليم وتحريم سكنى اليهود فيها ٠

١٣٨ ب٠م٠ تسنم الانبراطور أنتونينس بيوس (١٣٨ ـ ١٦١ م٠) العرش الروماني والغاؤه المراسيم التي استنها سلفه هادريان القاضية بتحريم الديانة اليهودية ٠

٢٢٤ ـ ٦٣٧ ب٠م٠ ـ فترة حكم الساسانيين في العراق ٠

٣١٣ ب٠م٠ اصدار قسطنطين مرسوما يقضي بمنح المسيحيين حرية العبادة على المسيحية في جميع اقطار الانبراطورية الرومانية ٠

٣٢٣ ب٠م٠ ـ عقد اجتماع مجلس الاساقفة في نيسيا لبحث الشؤون الدينية المسيحية في الانبراطورية ٠

٣٢٦ ب٠م٠ ـ حج الانبراطورة هيلينا أم قسطنطين الى أورشليم ٠

٣٣٠ ب٠م٠ ـ اتخاذ « بيزنطية » عاصمة رسمية للامبراطورية الرومانية وتغيير اسمها الى اسم مؤسسها قسطنطين ٠

٣٣٠ ـ ٣٣٧ ب٠م٠ اقامة الانبراطور قسطنطين « كنيسة القبر المقدس » (القيامة حاليا) في « الجلجلة » ٠

٣٦١ ب٠م ـ اعتلاء جوليان عرش الانبراطورية الرومانية وانحرافه عن المسيحية وأمره باعادة هيكل اليهود في أورشليم ٠

٣٦٣ ب٠م٠ ـ وفاة جوليان والرجوع الى الديانة المسيحية ٠

٣٩٥ ب٠م٠ ـ تقسيم الانبراطورية الرومانية الى غربية وشرقية ٠

٥٢٧ ـ ٥٦٥ ب·م· ـ اقامة الانبرطور جستنيان عمارات كثيرة في فلسطين منها « الباب الذهبي » الذي لايزال يعرف بهذا الاسم ومنها الكنيسة التي انشاها فيموضع المسجد الاقصى الحالي ·

٦٠٨ ـ ب·م· ـ وصول جيوش كسرى الثاني (أبرويز) (٥٩٠ ـ ٦٢٨م·) الى حدود البوسفور وتهديدها للقسطنطينية ·

٦١٤ ب·م· ـ احتلال كسرى أبرويز لسورية وفلسطين وتخريبه كنائس القدس من ضمنها « كنيسة القبر المقدس » ·

٦٢٨ ب·م· ـ انتصار الانبراطور هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١م·) على الفرس واسترجاع سورية منهم ·

نحو ٦٣٠ ب·م· ـ ملاحقة هرقل للفرس في بلادهم واسترجاع « الصليب الاصلي » الذي كانوا قد استولوا عليه بعد احتلالهم للقدس سنة ٦١٤ م ·

٦٣٦ ب·م· معركة اليرموك التي انتصر فيها العرب على جيوش الانبراطور البيزنطي هرقل ·

٦٣٨ ب·م· ـ سقوط مدينة القدس في أيدي العرب فيعهد الخليفة عمر (١٧هـ)·

الملحق الثالث

المراجع العامة

١ ـ المراجع الاجنبية :

Abel (F.M.) : "Geographie de la Palestine," 2 vols., Paris, 1938.

Adams (J.M.K.) : "Ancient Records and the Bible," 1946.

Albright (W.F.) : "Archaeology and the Religion of Israel," Baltimore, 1942.

——— : The Archaeology of Palestine," 1949.

——— : "From the Stone Age to Christianity," revised ed. 1946.

——— : "Palestine in the Earliest Historical Period," Journal of the Palestine Oriental Society," Vol. XV (1935), p. 212 f.

——— : "The Role of the Canaanites in the History of Civilization," Studies in the History of Culture, Menasha, 1942.

——— : "Western Asia in the Twentieth Cent. B.C., The Archives of Mari," Bulletin, American Schools of Oriental Research No. 67, 1937.

Alt (A.) : "Die Landnahme der Israeliten in Palastina," Leipzig, 1925.

——— : "Die Urspruenge des Israelitischen Rechts," Leipzig. 1934.

Anati (E.) : "Palestine before the Hebrews," N.Y., 1963.

Anchel (R.) : "Les Juifs en France," 1946.

Atkinson (B.F.C.) and Whatmough (J.) : "Alphabet," Enc. Brit., 1965 ed., Vol. I, pp. 662-669.

Auchincloss (W.S.) : "Chronology of the Holy Bible," N.Y., 1911.

Autran (C.) : "Phéniciens — Essai de contribution de la Mediteranee," Paris, 1920.

Baedeker (K.) : "Palestine and Syria," 5th ed., Leipzig, 1912

بحث مركز عن فلسطين وسورية خاصة تاريخ القدس .

Barnett (R.D.) : "Arameans," Enc. Brit., 1965 ed., Vol. 2, pp. 207-208.

Baron (S.W.): "A Social and Religious History of the Jews," 8 vols. and index, 2nd ed., 1952-60.

Barrois (A.G.) : "Manuel d'archaéologie biblique," 2 vols.

Barton (G.A.) : "A Sketch of Semitic Origins - Social and Religious," N.Y., 1902.

———— : "Archaeloggy and the Bible," 5th ed., 1927.

Bauer (H.) : "Zur Entzifferung der neuntdeckten Sinaischrift," 1918.

Beecher (W. J.) : "The dated Events of the Old Testament," Philadelphia, 1908.

Bentwich (No. de M.) : "Judaism," Encl. Brit., 1965 ed., Vol 13, pp. 103-116.

Bevan (E.R.) : "The House of Seleucus and Jerusalem under the high Priests."

Bohl, "Kanuanäer und Hebräer," 1911.

Bonfante (G.) : "Who were the Philistines?" Amer. Jour. of Archaeology, Vol. 50 (1946), p. 251.

Borger (R.) : "Das Problem der 'apiru (Habiru)," ZDPV, LXXIV, 1958, 121-132.

Bottero (J.), Cassin (E.), Vercoutter (J.) ed. : "The Near East— The Early Civilizations," translated by R. F. Tannenbaum, N. Y. 1967.

———— : "Le problème des Habiru," Paris, 1954.

Bowman (R.A.) : "The Old Aramic Alphabet of Tell Halaf," Amer. Jour. of Semitic Languages, Vol LVIII (1941), pp. 359-62; also : Jour Eastern Studies, Vol. VII (1948), p. 71.

Breasted (J.H.) : "History of Egypt," N.Y., 1905.

———— : "Ancient Times — A History of the Early World," (without date), Publishers Ginn and Co.

Bright (J.) : "A History of Israel," 1960.

Buchler (A.) : "Studies in Jewish History," ed. by I Brodie and J. Rabbinowitz, 1956.

Burney (C.F.) : "Israel's Settlement in Canaan," (The Schweich Lectures), 1917.

Cambridge Ancient History — Vol. II, Ch. 14; Vol. III, Ch. 17-20 and Vol. VI, Ch. 7, with their bibliographies.

Cardascia (G.) : "Les archives des Murashu," Paris, 1951.

Cheijne (A.G.) : "The Arabic Language, Its Role in History," Minhesota University, U.S.A., 1962.

Clay (A.T.) : "Light on the Old Testament from Babel," Philadelphia, 1907.

——— : "Amuru the Home of the Northern Semites," 1909.

——— : "The Empire of the Amorites," 1919.

Cohen (M.) : "La grande invention de l'ecriture," 1958.

Contenau (G.) : "La civilization pheniciemne," Paris, 1949.

Cook (S.A.) : "The Religion of Ancient Palestine in the light of Archaeology," London, 1930.

——— : "Philistines," Encl. Brit., 1965 ed., Vol. 17, pp. 737-738.

——— : "The Laws of Moses and the Code of Hammurabi," London, 1903.

Cooke (G.A.) : "Phoenicia," Encl. Brit., 1965, Vol. 17, pp. 763 769.

Corpus Inscriptionum Semiticarum, 1881 (3 large vols.): Phenician, Aramian, South Arabic, North Arabic Texts.

Corswant (W.) : "Dictionnaire d'archéologie biblique — Revu et illustré par: Urech (Edward), préface par Parrot (André), Paris, 1956 (translated into English by Heathcote (Arthur), England, 1960

Cowley (A.) : "Aramaic Papyri of the Fifth Century B.C.," Oxford, 1923

Cross (F.M. Jr.) : "The Evolution of the Proto-Canaanite Alphabet," Amer. Sch. of Oriental Research Bull., 134 : 15-24, April, 1954.

Daiches (S.) : "The Jews in Babylonia in the time of Ezra and Nehemiah according to Babylonian Inscriptions," London, 1910.

Danby (Canon) : "The Babylonian Talmud in English with Introductions" London, The Soncino Press, vols. 1-36 1935-53.

Davies (W.W.) : "The Codes of Hammurabi and Moses," Cincinnati' 1905.

Delaporte (L.) : "Epigraphes Armeens," Paris, 1912.

De Vaux (R.) : "Les patriarches hébreus et les découvertes modernes," Revue Biblique, 53 (1946), pp. 321-47; 55 (1948), pp. 321-47; 56 (1949), pp. 7-36.

——— : "Les patriarches hébreus et l'histoire," Revue Biblique, 72 (1965). pp. 5-28.

Diringer (D.) : "The Story of the Aleph Beth," 1958.

——— : "The Alphabet — A key to the History of Mankind," 2nd ed., N.Y., 1948.

——— : "Writing," London, 1965.

Driver (G.R.) : "Canaanite Myths and Legends," Edinburgh, 1956.

——— : "Semitic Writing from Pictograph to Alphabet,"2nd ed.. N.Y.., 1948.

——— : "Hebrew Language," Enc. Brit., 1965 ed., Vol. 11, pp. 279-284.

Dubnov (S.M.) : "A History of the Jews in Russia and Poland," 3 vols., 2nd ed., 1946.

Dunlop (D.N.) : "The Jewish Khazars," N.Y., 1967 (Schockeb) Books).

Dussaud (R.) : "Les découvertes de Ras Shamra et l'ancien testament," Paris, 1941.

——— : "Les origines Cananéennes du sacrifice Israelite, Paris, 1921.

——— : "Mission dans les regions désértique de la Syrie moyenne," Paris, 1903.

——— : "La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam," Paris, 1955.

——— : "Topographie historique de la Syrie antique et medievale, Paris, 1927.

Fevrier (J.) : "Histoire de l'ecriture," 1948.

Finkelstein (L.) : ed. "The Jews : Their History, Culture and Religion," 2 vols., 3d ed., N.Y. 1960.

——— : "The Pharisees," 2 vols., Philadelphia, 1938.

Fischel (W.J.) : "Jews," Encl. Brit., 1965 ed., Vol. 12, pp. 1054-1081-

Forbes (R.J.) : "The Coming of the Camel," Studies in Ancient Technology," Vol. II, Leiden, 1955, pp. 187-203.

Frankel (S.) : "Die aramaischen Fremdworter im Arabischen, London, 1886.

Fraser (P.M.) : "History of Palestine," Enc. Brit., 1965 ed., Vol. 17, 1965, pp. 120-130.

Free (J.P.) : "Abraham's Camels," Jour. of Near Eastern Studies," Vol. III, July 1944, No. 3, pp. 187-193.

Friedmann (G.) : "The End of the Jewish People," 1970 (translated

from French).

Frued (S.) : "Moses and Monotheism," (translated by Katherine Jones, 2nd ed., 1940)

Gardiner (A H.) : "The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet," Journal of Egyptian Archaeology, 3:1 ff., 1916.

Garstang (J.) : "The Hittite Empire," London, 1929.

Garstang (J.) and Garstang (J.B.E.) : "The Story of Jericho," London, 1948.

Gaster (T.H.) : "The Religion of the Canaanites," in "Forgotten Religions," ed by V. Ferm, 1950.

——— : in "Thespis — Ritual, Myth and Drama in the Ancient Near East," 2nd ed., N.Y., 1961

——— : "The Oldest Stories in the World," N. Y., 1952.

——— : "Canaan, "Enc. Brit., 1965 ed., Vol. 4. pp. 726-728 (with map and bibliography)

Gelb (I.J.) : "The Early History of the West Semitic Peoples," Journal of Cuneiform Studies," 15, 1961, pp. 27-47.

——— : "A Study of Writing," 1952.

Ginzberg (L.) : "The Palestinian Talmud," N.Y., 1941.

Gordon (C.H.) : "Ugarithic Literature," 1949.

Graetz (H.) : "History of the Jews," 6 vols., 1891-1926.

Gray (J.) : "The Legacy of Canaan"' Leiden, 1957.

Gray (L.G.) : "Introduction to Semitic Conparative Linguistics," 1934.

Grohmann (A.) : "The Arabs," Encyclopedia of Islam, N.E., 1960, Vol. I, p. 524 ff.

Greenberg (L.) : "The Jews in Russia," 2 vols., 1944-1951.

Greenberg (M.) : "The Habiru," New Haven, Conn., 1955.

Guillaume (A.) : "The Habiru, the Hebrews and the Arabs." Palestine Exploration Quarterly, 1946, pp. 64 ff.

Gurney (O.R.) : "The Hittites," 2nd ed., 1961.

Guterbock (H.G.) : "Babylonia and Assyria," Enc. Brit., 1965. ed., Vol. II, pp. 951-979.

Hadawi (Sami) : "Bitter Harvest — Palestine 1914 — 67, New York, 1967.

——— : "Palestine — Loss of a Heritage," San Antonio, 1963.

Hall (H.R.) : "The Ancient History of the Near East," 8th ed,

N.Y., 1935.

Handcock (P.S.P.) : "The Archaeology of the Holy Land," London, 1916.

Harris (Z. S.) : "Ras Shamra : Canaanite Civilization and Language," The Smithsonian Report for 1937 (Publication 3474), pp 479-502.

Hastings (James) : "Canaan, Dictionary of the Bible, Vol. I, pp.347-48; Vide also : The New Bible Dictionary, London, 1962 ed., pp 183-186

Herford (R.T.) : "The Pharisees," London, 1924.

Hitti (P.K.) : "History of Syria," London, 1951.

———— : "Lebanon in History from the Earliest Times to the Present," 2nd. ed., London, 1962.

Hoenig (S.B.) : "The Great Sanhedrin," 1935.

———— : "Sanhedrin," Enc. Brit., Vol. 19, 1965 ed., p. 946 A.

Hoffman (W.J.) : "The Beginning of Writing',, 1895.

Hommel (Dr. Fritz) : "The Ancient Hebrew Tradition," London, 1897.

Hooke (S.H.) : "The Origins of Early Semitic Ritual, London, 1938.

Horn (S.H.) : "Bible Dictionary," (with atlas), Washington, 1960

Hughes (G.H.) : "Ancient Civilizations," 1896, p. 352.

Jack (J.W.) : "The Ras Shamra Tablets : Their Bearing on the Old Testament," 1935.

Jastrow (M.) : "Hebrew and Babylonian Traditions," N.Y., 1914

———— : "A Babylonian Parallel to the Story of Job," Jour. of Biblical Literature, Vol, XXV, part II, 1906, pp. 135-191.

Jeremias (A.) : "The Old Testament in the Light of the Ancient East," translated from the German by C. L. Beaumont, 2 vols., London, 1911.

Jewish Encyclopedia : Canaan, Canaanites, Palestine, Jews, Israelites, Jerusalem, Arameans.

Jirku (Anton) : "Der Mythus der Kanaanaer," Bonn, Rudolf Habelt Verlag, 1966.

Johns (C.H.W.) : "The Relations between the Laws of Babylonia and the Law of the Hebrew Peoples," 1914.

Kaplan (M.) : "Judaism as a Civilization," 1934.

Karsten (R.) : "The Origins of Religion," London, 1935.

Keller (W. : "The Bible as History — Archaeology confirms the Book of Books," London, 1957 (5th ed.)

Kenrick : "Phoenicia'" London, 1855.

Kenyon (F.) : "The Bible and Archaeology," N.Y., 1940.

Kenyon (Kathleen M.) : "Archaeology in the Holy Land," London, 1960 (2 vols.)

——— : "Amorites and Canaanites," London, 1966.

King (L.W.) : "Legends of Babylon and Egypt in relation to Hebrew Tradition," London, 1918.

——— : "Babylonian Religion and Mythology," London, 1903.

——— : "Egypt and Western Asia in the Light of Recent Discoveries," London, 1907.

Kirk (G.E.) : "A Short History of the Middle East," London, 1948.

Kittel (R.) : "Geshichte des Volkes Israels," 2 vols., 6th ed., 1922-23.

Kline (M.G.) : "The Habiru, kin or foe of Israel," Westminster Theological Jour., XIX (1956), 1-24, 170-194, XX (1957), 46-70.

Kraeling (E.G.H.) : "Aram and Israel," N.Y., 1918.

Kupper (Jean - Robert) : "Les Nomades en Mesopotamie au temps des rois de Mari," Paris 1957. Reviewed by I.J. Gelb, under title "The Early History of the West Semitic Peoples," in Journal of Cuneiform Studies, Vol. XV, No. I, 1961, pp. 27-47.

Landsberger (B.) : "Amorites," Enc. Brit., Vol. I, 1965, pp. 809-810.

Leslaw (W.) : "Semitic Languages," Enc. Brit., 1965 ed., Vol. 20, pp. 314-317.

Lods (A) : "Israel from its Beginning to the Middle of the Eigth Cent," translated by S.H. Hooke, London, 1932.

Lowenthal (M.) : "The Jews of Germany," 1947.

Luckenbill (D.D.) : "Ancient Records of Assyria and Babylonia," 2 vols., 1927.

Lukenbill (D.D.) and Chiera (Ed.) : "The Origin and History of Hebrew Law," 1931.

Macalister (R.A.S.) : "A History of Civilization in Palestine," Cambridge, 1912.

——— : "The Philistines," 1913.

Macqueen (J.G.) : "Babylon," London, 1964.

Malamat (A.) : "The Arameans in Aram Nahraim and the Rise of their State (in Hebrew), Jerusalem, 1952.

Mallowa (M.) and Rose (J.) : "Exavations in the Balikh Valley in 1938," Iraq, Vol. VIII, 1946, pp. 111-159.

Marcais (W.) and Cohen (M.) : "Precis de linguistique semitique," 1910. (translation of C. Brockelman, "Semitische Sprachwissenschaft).

Margoliouth (D.S.) : "Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam," The Schweich Lectures, OXford, 1921.

Margolis (M.L.) and Marx (A.) : "A History of Jewish People." 5th ed., 1964.

Marston (Sir Charles) : "The Bible is True," London, 1937 (5th imp.)

——— : "The new Knowledge about the Old Testament."

Meek (T.H.) : Hebrew Origins," N.Y., 1936 (revised edition, 1950).

Meissner (B.) : "Babylonien und Assyrien," 2 vols. (1920-25).

Menant (M.J.) : "Le bible et les cylindres Chaldéens," Paris 1880.

Menes (A.) : "The History of the Jews in Ancient Times" in "The Jewish People, Past and Present," Vol. 1, N.Y., 1946, pp. 78-152.

Meyer (E.) : "Die Israeliten und ihre Nachbarstamme," 1906.

Montagne (R.) : "La civilisation du desert, Paris, 1947.

Montgomery (J.) : "Arabia and the Bible," Philadelphia, 1934.

Moscati (S.) ; "The Semites in Ancient History," Cardiff, University of Wales Press, 1959.

——— : "Ancient Semitic Civilizations," Elek Book, London, 1957.

ترجم هذا الكتاب الى العربية د. السيد يعقوب بكر ونشرت هذه الترجمة مع تعليقات دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .

Neuman (A.A.) : "The Jews in Spain," 2 vols., Phil, 1942.

Newman (Babbi J.) : "The Agricultural Life of the Jews in Babylonia," 1932.

Noldeke (Th.) : "Semitic Languages," Ency. Brit. 11 ed., (1911), Vol. 24, col. 617-630.

Noth (M.) : "The History of Israel," 1958.

Notre-Dame de France a Jerusalem, "La Palestine," 3d ed.)' Paris, 1922.

كتاب شامل يبحث فى تاريخ فلسطين القديم يقع فى ٨٠٠ صفحة معـــزز بخرائط عديدة · يعد من أهم المصادر فى الموضوع ·

Nyberg (H.S.) : "Abraham," in I. Engell and A. Fridrichsen Svenskt Bibliskt Uppslagsverk, Vol. 1. col. 8-11, 1948.

Obermann (J.J.) : Ugaritic Mythology," 1948.

O'Callghan (R.T.) : "Aram Nahraim," Rome, 1948.

Oesterley (W.O.E.) and Robinson (T.H.) : "A History of Israel." 2 vols., Oxford, 1932.

——— : "Hebrew Religion : Its Origin and Development," N Y., 1937.

Olmstead (A.T.) : "History of Palestine and Syria," N. Y. and London, 1931.

——— : "Western Asia in the days of Sargon of Assyria," N. Y., 1908.

——— : "History of Assyria," 1923.

Oppenheim (M.) : "Tell Halaf — A new Culture in the Oldest Mesopotamia," translated by G. Wheeler, London, 1933.

Pallis (F.D.) : "The Antiquity of Iraq : A Handbook of Assyriology," 1956.

Parkes (J.) : "A History of the Jewish People," 1962.

Parrot (A.) : "Abraham et son temps," 1962.

Paton (L.B.) : "The Early History of Syria and Palestine," N.Y., 1901.

Patton (J.H.) : "Canaanite Parallels in the Book of Psalms," 1944.

Peake (A.S.) : "A Commentary on the Bible," London, 1923.

Petrie (Sir W. Flinders) : "The Formation of the Alphabet." London, 1912.

——— : "Egyptian Tales," London, 1895.

Philby (H. St. J.B.) : "The Background of Islam — Being a Sketch of Arabian History in Pre— Islamic Times," Alexandria, 1947.

——— : "The Empty Quarter — being a description of the Great South Desert of Arabia known as Rub' Al Khali, London, 1933 (see : Chap. II, "Forgotten Rivers," pp. 127-156).

Pritchard (J.B.) : "Archaeology and the Old Testament," Princeton University Press 1958.

——— : "Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament," Princeton, N. J.' 1950. 2nd ed. 1955.

——— : "The Ancient Near East in Pictures Relating to the Old Testament, Princeton, 1954.

Puhvel (J. Pl.) : "Hurrians," Enc. Brit., 1965 ed., Vol 11, pp. 905-906.

——— : "Hittites," Ibid, pp. 550-560.

Rabin (C.) : "Hebrew Literature," Enc. Brit., 1965 ed., Vol. 11, pp. 284-290.

Rawlinson (G.) : "History of Phoenicia," London, 1889

Reinach (S.) : "A History of Religions," N.Y., 1909 and 1930.

Renan (E.) : "De la part des peuples semitiques dans l'histoire des civilisations," Paris, 1862.

Revue des études sémitique : "La legende des patriarches et l'histoire," IV, 1937, pp. 145-206.

Robinson (E.) and Smith (E.) : "Biblical Researches in Palestine and in the Adjacent Regions," 3 vols., Boston, 1856.

Rodinson (M.) : "Israel and the Arabs," London, N.Y., 1968.

Rogers (R.W.) : 'Cuneiform Parallels to the Old Testament, N. Y., 1912.

Rosenthal (F.) : "Die aramaistiche Forschung seit Th. Noldeke's Veroffentlichungen, Leiden, 1939.

Roth (C.) : "A Short History of the Jewish People," 1936.

———: "A History of the Jews in England," London, 1941.

——— : " A History of the Jews in Italy," 1946.

Roux (G.) : "Ancient Iraq," Penguin Book, 1966.

Rowley (H.H.) : "The Old Testament and Modern Study," (ed.), 1951.

Ryckmans (G.') : "Les religions Arabes préislamiques," ed 2, Louvain, 1951.

Sachar (A.L.) : "A History of the Jews," 2nd ed., N.Y., 1940.

Sanda (A.) : "Die Aramaer," Der Alte Orient, Vol. IV, part 3, 1902.

Saron (G.) and Hotz (L.) : eds., "The Jews in South Africa," 1956.

Scheffer (C.F.A.) : "The Cuneiform Texts of Ras Shamra-Ugarit," 1939.

Schiffer (S.) : "Die Aramaer," Leipzig, 1911.

Schmokel (CH.) : "Geschichte des alten Vorderasien (Handbuch der Orientalistik(II,3), Leyden, 1957.

Schrader (E.S.) : "The Cuneiform Inscriptions and the Old Testament," translated from the German by Rev. O.C. Whitehouse, 2 vols., 1885-1888.

Sellin (E.) : Mose und Sein Bedeutung fuer die israelitish - Juedische Religionsgeschichte, 1922.

Simpson (R.H.) : "Nabateans," Enc. Brit., 1965 ed., Vol. 15, pp. 1143-1144.

Smith (G.A.) : "The Historical Geography of the Holy Land," 25th ed., 1931.

———— : "The Chaldean Account of Genesis," 5th ed., London. 1876.

Smith (W.R.) : "Lectures on the Religion of the Semites," 3d. ed., London, 1927.

Smith (S.) : "Early History of Assyria," 1928.

Socolow (N.) : "History of Zionism," 2 vols.

Sommer (A. Dupont) : "Sur les débuts de l'histoire Araméennes," Suppl. to Vetus Testamentum, I, Leiden, 1953, pp. 40-9.

———— : "Les Araméens," Paris, 1949.

Speiser (E.A.) : "Introduction to Hurrian," 1941.

Sprengling (M.) "The Alphabet : Its Rise and Development from the Sinai Inscription," The Universal Jewish Enc., I, p. 198.

Starr (J.) : "The Jews in the Byzantine Empire (641-1204), 1939.

Steindorf (G.) and Seele (K.C.) : "When Egypt ruled the East," Univ. of Chicago Press, Chicago, 1942

"Story (The) of the Bible told by Living Writers of Authority, London, (without date) 2 vols.

Strange (Guy Le) : "Palestine under the Moslems," 1890.

Tayler (I.) : "The Alphabet," 1883.

Thomas (D.W.) "Archaeology and Old Testament Study," (ed.), Oxford : Clarendon Press, 1967.

Thordarson (T.K.) : "Abraham," Enc. Brit., 1965 ed., Vol. I, p. 44f.

Torczyner (H.) : "Tur-Sinai," N. S. XII, The Jewish Quarterly Review, 83-109, 159-179.

Universal Jewish Encyclopedia, "Canaan," Vol. II, 1969, pp. 650-651 (with map).

Vigourous (F.) : "La Bible et les decouvertes modernes en Egypte, et en Assyrie," vols. 1-2, Paris, 1877.

Vincent (L. H.) : "Canaan d'après l'exploration recente,," Paris, 1914.

Waterman (L.W.) : "Pre-Israelite Laws in the Book of the Convenant," AJSLL, Vol. 38, 1921-22, pp. 36-62.

Wiseman (D.J.) : (ed. and translation) "Chronicles of Chaldean Kings (626-556 B.C.), 1956.

Wood (W.C.) : "The Religion of Canaan from the Earliest Times to the Hebrew Conquest," Journal of Biblical Literature, 35 (1916), 1-133; 163-279.

Woolley (L.H.) : "Abraham, Recent Discoveries and Hebrew Origins," 1963.

——— : "Excavations at Ur — A Record of twelve Years Work," 4th imp., London, 1963.

Zetlin (S) : "The Sadducees and the Pharisees," 1936.

Map of the Holy Land, Scale 1 : 596, 880 : Compiled by the National Geographic Society, Atlas Plate 52, Dec. 1963.

٢ ـ مختارات من المراجع العربية والمعربة

- الابراشي (محمد عطية) : « الاداب السامية ، القاهرة ، ١٩٤٦ .
- ابراهام (ليون) : « المفهوم المادي للمسألة اليهودية » ترجمة وتقديم عماد نويهض ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- أبو عسل (ايلي ليفي) : « يقظة العالم اليهودي » القاهرة ، ١٩٣٤ .
- باقر (طه) : « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، جزءان ، ١٩٥٥ — ١٩٥٦ .
- « علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب » ، سومر ٥ (١٩٤٩) ، ص ١٢٣ — ١٥٨ .
- « علاقات العراق القديم وبلدان الشرق الادنى » ، سومر م ٤ (١٩٤٨) ، ص ٨٦ ـ ١٠٢ .
- « معابد العراق القديم » ، سومر م ٣ (١٩٤٧) ، ص ١٢ ـ ٣٧ .
- « عقائد سكان العراق القدماء فى العالم الاخر » ، سومر م ١٠ (١٩٥٤) ، ص ٨ ـ ٣٩ .
- « ديانـة البابليين والاشوريين » ، سومـر م ٢ (١٩٤٦) ، ص ١ — ١٩ وص ١٧٩ ـ ١٩٦ .
- « ملحمـة جلجامش والطـوفان » ، سومر م ٦ (١٩٥٠) ، ص ٤٢ — ٨٠ وص ١٤٣ ـ ١٩١ .

- باقر (طه) وسفر (فؤاد) والشمسي (يعقوب) : « تاريخ العصور القديمة » الطبعة السابعة ، بغداد ، ١٩٦٠ ·
- بدوي (أحمد زكي) : « تاريخ التطور الديني » ، مطبعة دار النشر والتأليف التجاري ، القاهرة (بلا تاريخ) ·
- بروكلمان (كارل) « تاريخ الشعوب الاسلامية » ، نقله الى العربية الدكتور نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٣ ·
- بريستد (الدكتور جيمس هنري) : « العصور القديمة » نقله الى العربية داود قربان ، المطبعة الاميركانية في بيروت ، ١٩٣٦ ·
- « انتصار الحضارة _ تاريخ الشرق القديم » ، نقله الى العربية الدكتور أحمد فخري ، نشرته الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، ١٩٦٢ ·
- بصمهجي (الدكتور فرج) : « أقوام الشرق القديم وهجراتهم » ، سومر ، م ٣ (١٩٤٧) ، ص ٨٧ _ ٩٩ ·
- بهاء الدين (احمد) : « اسرائيليات » ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الهلال ·
- بوست (جورج) : « قاموس الكتاب المقدس » ، ترجمة وتأليف ، بيروت ، المطبعة الاميركانية ، ١٨٩٤_١٩٠١ ·
- توينبي (أرنولد جي) : « بحث في التاريخ » ، في جزئين يشتمل على موجز المجلدات الستة الاولى من كتابه المؤلف من عشرة مجلدات ، نقله الى العربية وعلق عليه طه باقر ، بغداد ، ١٩٥٥ ·
- « فلسطين جريمة ودفاع » ، ترجمة عمر الديراوي ، بيروت ، ١٩٦١
- جرجس (الدكتور صبري) : « التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي » ، القاهرة ، ١٩٧٠ ·
- الجمعية الفلسطينية لمقاومة الصهيونية _ « فلسطين » ، طبع في المطبعة التجارية السورية الاميركية في نيويورك ، ١٩١٩ ·
- حتي (الدكتور فيليب) وجبور (الدكتور جبرائيل) وجرجي (الدكتور أدور) « تاريخ العرب » جزءان ، الطبعة الرابعة ، ١٩٥٥ (بيروت ، دار الكشاف) ·
- حسن (قاسم) : « العرب والمشكلة اليهودية » ، بغداد ، ١٩٤٦ ·
- حمدان (محمد مصباح) : « الاستعمار والصهيونية العالمية » ، دار المكتبة العصرية ، ١٩٦٧ ·
- الخالدي (ادريس) : « الموجات السامية » ، مجلة المعلم الجديد ، م ٣٠ (كانون الثاني _ حزيران ١٩٦٧) ، ص ١١١_١١٧ ·

- الخربوطلي (علي حسني) : « العرب والحضارة » ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٦ .
- الخطيب (محب‌الدين) : « اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب » القاهرة ، ١٩٢٥ .
- خليل أحمد (ابراهيم) : « اسرائيل فتنة الاجيال – العصور القديمة » ، مكتبة الوعي العربي ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- الدباغ (الدكتور تقي) : « الهة فوق الارض (دراسة مقارنة) » ، سومر م ٢٣ (١٩٦٧) ، ص ١٠١ – ١٢٣ .
- « طبيعة الدراسات الاثرية » ، مجلة الاستاذ ، م ١٥ (١٩٦٧–١٩٦٨) ، ص ٣١٩–٣٥٣ .
- الدبس (المطران يوسف) : « تاريخ سورية » .
- دروزة (محمد عزة) : « تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار » ، في ثمانية أجزاء ، ١٩٤٦ – ١٩٦٤ .
- « تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم » مطبعة نهضة مصر (بلا تاريخ) .
- « دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ » ، بغداد .
- « الدش » (محمد محمود) : « اليهود والحضارة الانسانية » ، مجلة العربي ، العدد ١٠٩ (كانون الاول ١٩٦٧) ، ص ٥٠ – ٥٧ .
- ديسو (رنيه) : « العرب في سورية قبل الاسلام » ، ترجمة عبدالحميد الدواخلي ، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر المصرية سنة ١٩٥٩ .
- ديورانت (ول) : « قصة الحضارة » ، ترجمة محمد بدران ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦١ ، جامعة الدول العربية (انظر : « اليهود » في الفصول ١–٧ من الباب الثاني عشر (الجزء الثاني من المجلد الاول) ، ص ٣٢١–٣٩٨ .
- رشدي (عمر) : « الصهيونية وربيبتها اسرائيل » الطبعة الثانية ، ١٩٦٥ .
- رومال (جاك) ولوروا (ماري) : « التحدي الصهيوني » ، ترجم الى العربية عن الفرنسية .
- زيدان (جرجي) : « فلسطين » ، الهلال (١٩١٣–١٩١٤) .
- زيدان (جرجي) : « العرب قبل الاسلام » ، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٣٩ .
- السقاف (ابكار) : « اسرائيل وعقيدة الارض الموعودة » ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

- سوسة (الدكتور احمد) : « الري والحضارة في وادي الرافدين » ، بغداد ، ١٩٦٨ .
- سوسة (الدكتور احمد) : « فيضانات بغداد في التاريخ » ، طبع في ثلاثة أجزاء ، بغداد ، ١٩٦٣–١٩٦٦ .
- شلبي (دكتور احمد) : « مقارنة الاديان – اليهودية » ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- طعيمة (صابر عبدالرحمن) : « الصهيونية في التاريخ » ، مكتبة القاهرة الحديثة ، (بلا تاريخ) .
- عزام (الدكتور عبدالوهاب) : « مهد العرب » (سلسلة اقرأ) مارس ١٩٤٦ .
- علي (الدكتور جواد) : « تاريخ العرب قبل الاسلام » في ثمانية أجزاء ، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي .
- علي (الدكتور جواد) : « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » ، دار العلم للملايين ، بيروت (ظهر من أجزائه الاجزاء الاربعة الاولى ١٩٦٨ – ١٩٧٠ .
- علي (الدكتور جواد) : « أصنام العرب » ، سومر م ٢٣ (١٩٦٧) ، ج ١ و ٢ ، ص ٣–٤٦ .
- العقاد (عباس محمود) : « الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين » ، المكتبة الثقافية (١) وزارة الثقافة والارشاد القومي (بلا تاريخ) .
- العقاد (عباس محمود) : « ابراهيم ابو الانبياء » ، مطابع دار الهلال (بلا تاريخ) .
- علي امام عطية : « الصهيونية العالمية وأرض الميعاد » ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- غنيم (أحمد محمد) وأبو كف (أحمد) : « اليهود والحركة الصهيونية في مصر (١٨٩٧–١٩٤٧) » ، كتاب دار الهلال ، العدد ٢١٩ ، يونيه ١٩٦٩ .
- الفوري (اميل) : « فلسطين ، سلسلة الثقافة الشعبية رقم ٤٤ ، وزارة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٢ .
- فتحي صفوة (نجدت) : « اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى » ، ١٩٦٧ .
- فريحة (الدكتور أنيس) : « ملاحم وأساطير اوغاريت (راس الشمرا) ، نشرته الجامعة الاميركية في بيروت ، ١٩٦٦ .
- فريحة (الدكتور انيس) : « الشعوب السامية ولغاتها » ، مجلة الاعتدال ، آب ١٩٣٧ .

- فليشرز (فارديس) : « وادي الاحلام » ، تعريبفريد لقمان، مطبعة الحرية، بغداد ، ١٩٦٨ ·
- الفيل (الدكتور محمد رشيد) : « اليهود وعلم الاجناس » ، بغداد ، مطبعة شفيق (بلا تاريخ) ·
- الغمراوي (المقدم أمين ساقي) : « لهذا ·· أكره اسرائيل » ، القاهرة ، ١٩٦٤ ·
- « الكتاب المقدس » ـ الطبعة الكاثوليكية لسنة ١٩٦٠ ، بيروت (كتب العهد القديم والعهد الجديد) ·
- « الكتاب المقدس » طبعة جمعية التوراة الاميركانية ·
- كتن (هنري) : « فلسطين في ضوء الحق والعدل » ، نقله الى العربية وديع فلسطين ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٠ · عنوانه بالانكليزية :

((Palestine, The Arabs and Israel, The Search for Justice," Longman, 1969.

- كريمر (صموئيل) : « من الواح سومر » ، ترجمة الاستاذ طـه باقر ، نشرته مكتبة المثنى ببغداد وطبعته مؤسسة الخانجي بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ·
- كييرا (أدوارد) : « كتبوا على الطين » ، ترجمة وتعليـق الدكتور محمود حسين الامين ، نشرته مكتبة الجوادي ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر سنة ١٩٦٢ ·
- لوبون (الدكتور غوستاف) : « اليهـود في تاريخ الحضارات الاولى » ، القاهرة ١٩٥٠ ، (ترجمة عادل زعيتر) ·
- ليلنتال (الفريد) : « اسرائيل » : ذلك الدؤلار الزائف » ·
- محمد (الدكتور محمد عوض) : « ليس اليهود من بني اسرائيل ! » ، الهلال ، ج ٧ ، م ٥٥ (يوليو ١٩٤٧) ، ص ٢٣ـ٢٩ ·
- محمد (الدكتور محمد عوض) : « المسالة الصهيونية في نظر العلم » ، القاهرة ، ١٩٤٧ ·
- معروف (الاستاذ ناجي) : « اصالة الحضارة العربية » ، مطبعة الزمان ، بغداد ، ١٩٦٩ ·
- مكاريوس (شاهين بك) : « تاريخ الاسرائيليين » ، مطبعـة المقتطف ، ١٩٠٤ ·
- مورتكات (الدكتـور انطـون) « "Anton Moortgat" » : « تاريـخ الشرق الادنى القديم » ، تعريب توفيق سليمان وعلي ابو عساف وقاسم طوير ، مطبعة الانشاء ، دمشق ١٩٦٧ ، (صدر النصالالمانيسنة ١٩٥٠)·

- نافع (محمد مبروك) : « تاريخ العرب ـ عصر ما قبل الاسلام » ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٢ ٠
- النجار (عبدالوهاب) « قصص الانبياء » ، الطبعة الثانية المنقحة ، القاهرة ، ١٩٣٦ ٠
- نولدكه (ثيودور) : « اللغات السامية » ، ترجمة عن الالمانية ، نشرته دار النهضة العربية بالقاهرة ، ١٩٦٣ ، وعنوانه :

Th. Noldeke, "Die Semitischen Sprachen,"; 1899.

- نويهض (الاستاذ عجاج) : « پروتوكولات حكماء صهيون » ، مجلدان يشتملان على أربعة أجزاء (خال من الاشارة الى مكان وتاريخ الطبع) ٠ بحث شامل قيم تناول أكثر من پروتوكولات حكماء صهيون لا يستغنى عنه في دراسة تاريخ اليهودية بوجه عام ٠
- ولفنسون (الدكتور اسرائيل) : « تاريخ اللغات السامية » ، القاهرة ، ١٩٢٩ ٠
- ولفنسون (الدكتور اسرائيل) : « تاريخ اليهود في بلاد العرب » ، القاهرة ، ١٩٢٧ ٠
- ولفنسون (الدكتور اسرائيل) : « موسى بن ميمون » ، القاهرة ، ١٩٣٦ ٠
- يوسف (شريف) : « تاريخ اليهود كما يلقنه الصهاينة لابنائهم » ، مجلة العربي ، العدد ١٠٨ (تشرين الثاني ١٩٦٧) ، ص ١٠٥ـ١١١ ٠ (نشر المقال نفسه أيضا في مجلة المعلم الجديد ، م ٣٠ (كانون الثاني ـ حزيران ١٩٦٧) ، ص ٧٤ ـ ٨٢ ٠

الملحق الرابع

معجم فهرس الأعلام والأقوام والبلدان

معجم مفهرس للاعلام والاقوام والبلدان

يتناول هذا المعجم عرضا جغرافيا وتاريخيا لاهم المدن ومراكز العمران القديمة ذات العلاقة بموضوع هذا الكتاب مع نبذ عن الاقوام والاعلام الذين عملوا علـــى تاسيسها وعاصروها .ونحن اذ نقدم هذا المعجـــم الى القارىء نعلق عليه اهمية خاصة لانه لا يمكن تفهم حقيقة تاريخ فلسطين القديم بصورة صحيحـــة وعلميـــة دون الوقوف على الوضع التاريخي والجغرافي للمنطقة ومـا جاورها من البلدان والاماكن القديمة . ويتضح مـــن مطاوىء هذا المعجم أن المدن والقرى والاماكن الفلسطينية التي عدها اليهود خاصة بهم وتحدثوا عنها وكانها مدنهم القديمة ، وكذلك الشخصيات التي اعتبرها الصهيونيون مرتبطة بتاريخهم واتخذوها اسلافا لهم لمجـــرد ورود ذكرها في التوارة ترجع الى عهود موغلة في القدم وظهرت على مسرح الاحداث في ازمان لم يكن لليهود أي وجـود فيها . ومن الاماكن الفلسطينية الكنعانية التي حافظت على أسمائها القديمة حتى الان أورشليم وصهيـــون وفلسطين واسرائيل واريحا وغزة وبيت شان (بيسان) وعجلون (عجلان) وعقرون (عاقر) وصيدون (صيدا) وصور وعكو (عكا) واشقلون (عسـقلان) واشـــدود (اسدود) وارواد (رواد) والكرمل وغيرها . وقد عثر على جدران هيكل بلدة طيبة المصرية على جدول باسماء ١١٨ مدينة كنعانية افتتحها تحوطمس الثالث (١٤٧٩ — ١٤٤٧ ق.م.) ، وهذا يعد اقدم ذكر للمدن الكنعانية اذا استثنينا وصف حملات الفراعنة الاقدمين على بـــلاد كنعان التي ترجع الى الالف الثالثة قبل الميلاد والتي ذكر فيها بعض اسماء المدن الكنعانية . ومع ذلك يحـــاول الصهيونيون اليوم احياء الاسماء القديمة هذه واعتبارها اسماء عبرية (يهودية) لمجرد ورود ذكرها في التـــوارة

على الرغم مما اثبتت المكتشفات الاثارية وجودها باسمائها الكنعانية الاصلية قبل عصر موسى واليهود بعدة قرون . لذلك ففائدة التوراة التاريخية تنحصر بنقلها الينا اسماء بلدان واماكن من العهد الكنعاني وبوصف جغرافية بلاد كنعان بوجه عام كما كانت عليه قبل وبعد دخول الموسويين اليها .

ابرام (ابراهيم الخليل) : نبي من الانبياء الساميين العرب ورد ذكره في التوراة باسم « ابرام » و « ابراهيم » (تك ١٧ : ٥) وفي القرآن الكريم باسم ابراهيم الخليل (« واتخذ الله ابراهيم خليلا » ـ سورة النساء : ١٢٥) ، يرجع نسبه البعيد الى سام بن نوح ، وهو ابن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام (تك ١١ : ١٠ ـ ٢٦) . اما نسبه القريب فيرجع الى القبائل الارامية التي نزحت في الاصل من جزيرة العرب واستقرت في منطقة حاران (حران حاليا) قرب منابع رافدي الفرات ، الخابور والبليخ ، ثم نزح بعض هذه القبائل الى منطقة بابل جنوبي الفرات فكان ابراهيم من ذريتها . وترجع القبائل الارامية الى ارام من بني سام ايضا (١ ك . ١ : ٢٢) . والقبائل الارامية ترجع الى الاصل العربي السامي فهي والعرب البائدة او العرب العاربة من اصل واحد . وهكذا يكون ابراهيم الخليل اراميا من زعماء قبائل العرب البائدة مولده في العراق ، ومع اختلاف الباحثين في تعيين موضع ولادته؛ ان اكثرية الباحثين تتفق على انه في كوثا قرب بابل . كان ظهوره على مسرح الاحداث في حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد داعيا الى عبادة الاله الواحد « الاله ايل » خالق السموات والارض بين ابناء قومه الوثنيين ، فلاقى من جراء دعوته هذه اشد الاضطهاد ، فاضطر اثر ذلك الى الهجرة هو واتباعه فرحل من اور الى « حاران » (حران حاليا) حيث تقيم عشيرته ومنها الى ارض كنعان (فلسطين) وذلك بعد أن مكث في دمشق مدة من الزمن قيل انه ملك فيها . وقد اجتاحت بلاد كنعان موجة من القحط والغلاء فرحل ابراهيم هذه المرة الى مصر واقام فيها فترة صارت له فيها ثروة كبيرة ثم غادرها وكل ما كان له عائدا الى كنعان واقام في حبرون (الخليل حاليا) . وقد رزق ابراهيم ابنا من الجارية المصرية أسماه اسماعيل ثم ولدت له زوجته (سارة) ابنا في شيخوخته واسماه اسحاق . وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير الى ارتباط ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل بالجزيرة العربية وذلك بذكر اسميهما مقرونين ببيت الله العتيق (مكة المكرمة) . وقد جاءت المكتشفات الاثارية حول الهجرات السامية العربية الى الهلال الخصيب مؤيدة لذلك . وهذا يدل على أن دور ابراهيم الخليل وابنه اسحاق وحفيده يعقوب (اسرائيل) دور مستقل لا صلة له بعصر موسى واليهود الذي يقع بعد زمن ابراهيم الخليل بسبعمائة عام . وقد توفي ابراهيم الخليل على قول التوراة في حبرون حيث دفن هو وسارة امراته التي توفيت قبله (تك ٢٥ : ٧ ـ ١٠) ويرجح أن وفاته كانت في حوالي أواخر القرن التاسع عشر

قبل الميلاد (انظر الفصل الخامس ـ عصر ابراهيم واسحاق ويعقوب)

اخلامو : تسمية شاملة وردت في الكتابات القديمة لجماعة من القبائل البدوية في شمال الجزيرة العربية ، يرجع ذكرهم الى زمن اخناتون بصفتهم محاربين مع المدن السورية (انظر تل العمارنة ، اخناتون) . وقد ورد ذكرهم في الكتابات الاشورية (عهد اداد نيراري الاول ـ حوالي ١٣٠٠ ق.م.) واشار الى أن والده أخضع جماعات الاخلامو في أعالي الرافدين . وفي كتابات تعود الى نفس العهد ما يشير الى وجود الاخلامو في منطقة العراق ووصفوا بكونهم مصدرا للاضطرابات في تلك المنطقة ، وفي العهد الاخير اصبح الاخلامو مرتبطين كليا بالاراميين في صد الغزو الاشوري ، ونظرا لشهرة هذه القبائل صار اسمها كثيرا ما يطلق على الاراميين بوجه عام (انظر هجرة الاراميين في الفصل الاول) . وقد ورد اسم الاخلامو مقرونا مع اسم قبائل « العبيرو » أو الهبيرو أو الخبيرو (انظر مسألة العبري والعبيرو في الفصل الخامس) .

الاخمينيون : قوم من بلاد الفرس ظهروا على المسرح الدولي في القرن السادس قبل الميلاد بزعامة ملكهم كورش الاخميني الذي استطاع توحيد بلاد ايران وتوسيع سلطانها على جميع الاقطار الواقعة في شمال ايران . ثم جهز كورش حملة قوية على بابل التي كانت بحوزة الكلدانيين وفتحها عام ٥٣٩ ق.م. (انظر الكلدانيون) وجعلها مركزا لفتوحاته شمالا وغربا وفي زمن اخلافه امتد نفوذ الاخمينيين الى آسيا الصغرى وبلاد الشام وفلسطين ومصر . ومن اعمال كورش التي لعبت دورا بارزا في تطور اليهودية انه سمح لليهود الذين كانوا في الاسر في بابل العودة الى أورشليم واعادة بناء الهيكل . وقد دام حكم الفرس الاخمينيين في العراق ٢٠٨ سنوات من سنة ٥٣٩ الى سنة ٣٣١ ق.م. ، وكانت بلاد الشرق الأوسط في هذه الفترة مسرحا لحروب دامية مستمرة بين الفرس الاخمينيين والاغريق انتهت باستيلاء الاسكندر على بابل عام ٣٣١ ق.م. والقضاء على الدولة الاخمينية في العراق .

اخناتون : هو فرعون مصر الذي حكم من سنة ١٣٧٥ الى سنة ١٣٥٨ ق.م. ، كان يعرف أيضا باسم امنحوتب أو امنوفس الرابع (الاسرة الثامنة عشرة ، اشتهر في دعوته الى دين التوحيد الخالص ، وقد اضطر الى نقل مقر عاصمته من طيبة الى العمارنة بسبب ذلك ، وقد سببت هذه الثورة الدينية ارتباكا في داخل مصر وضعفا في أجزاء الانبراطورية المصرية ، وبعد أن مات اخناتون رجعت مصر الى ديانتها الوثنية . وقد ذهب البعض الى ان النبي موسى واتباعه قد أخذوا بعبادة اخناتون للاله الواحد وان موسى نفسه مصري من اتباع هذه الديانة (انظر دعوة اخناتون في الفصل الاول) .

ادوم : لقب عيسو بن إسحاق (تك ٣٦ : ٨) وقد سميت المنطقة التي استوطنها نسله باسمه « أدوم » ، وكان القسم الذي سكنه الادوميون منها

« جبل سعير » (انظر جبل سعير) ، وتقع هذه المنطقة في جنوب شرقي فلسطين. وكانت « بصرى » أو « باصر » عاصمة القسم الشرقي منها و « سالع » عاصمة القسم الجنوبي . وكان لسكان هذه المنطقة قبل الادوميين ملوك منهم ملك اسمه شاؤل (تك ٣٦ : ٣١ ــ ٣٩) ، وكان معهم جماعة من الحوريين في ارض سعير لهم امراء أيضا (تك ٣٦ : ٢٠) ، ثم صار للادوميين أمراء منهم (تك ٣٦ : ٤٠ ــ ٤٣) . وكان الادوميون من الد أعداء الموسويين لذلك عارضوا هم وجيرانهم الموآبيون مرور الموسويين ببلادهم عند صعودهم من مصر ، فأضطروا الى الاقامة في « قادش برنيع » وساروا في القفر وداروا بأرض أدوم وارض موآب (قض ١١ : ١٦ ــ ١٧ : عد ٢٠ : ١٦ ــ ٣١) ، ثم اذنوا لهم أن يمروا بتخمهم الغربي على ان يأخذوا منهم اثمان المأكول والمشروب فضة (تث ٢ : ٢٨ ، ٢٩) . وقد استولى الموسويون في عهد الملك شاؤل (١٠٢٠ ــ ١٠٠٤ ق.م.) على ارض أدوم (١ صم ١٤ : ٤٧) وخضعت للملك داود بعد ذلك (٢ صم ٨ : ١٤ ، كما خضعت ليهوذا ، ثم عصت في عهد الملك يهورام (٨٤٨ ــ ٨٤١ ق.م.) واستقلت بعد حروب شديدة (٢ مل ٨ : ٢٠ ــ ٢٢) . وقد ورث الادوميون القسم الشرقي من مملكة يهوذا بعد ان قضى الكلدانيون عليها ، الا ان الانباط زاحموهم فترة من الزمن . وقد اعتبرت التوراة العماليق العرب من ذرية عيسو (تك ٣٦ : ١٥) .

ارابخا : التسمية القديمة لمدينة كركوك الحالية كانت مركزا للحوريين في العراق بضمن مملكة ميتاني (انظر الحوريون في الفصل الاول وكركوك في هذا المعجم) .

ارام معكة : انظر معكة .

ارام نهرايم : دويلة من الدويلات التي أسسها الاراميون في شمال سورية في حوالي نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ومعناها « بلاد ما بين النهرين » ، ولعل المقصود بالنهرين « نهري الفرات ورافده الخابور » أو « رافدي الفرات الخابور والبليخ » . اما كلمة « ارام » فقد وردت في التوراة مرارا مضافة الى اسماء اماكن مثل « أرام دمشق » ، و « أرام صوبا » و « أرام النهرين » و « فدان ارام » و « أرومو ارام » ، و « أرام بيت رحوب » ، ولعل المقصود بها نسبة الى ارام بن سام (تك ١٠ : ٢٢) . وقد ورد ذكر هذه المنطقة في المصادر المسمارية مرارا خاصة في المدونات التي تعود الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد باسم « نهارين » كما ورد ذكر « ارام نهرايم » في التوراة (تك ٢٤ : ١٠ ؛ قض ٣ : ٨) للدلالة على منطقة « حران » الحالية ولما ترجم اليونانيون التوراة الى اليونانية أطلقوا عليها اسم « ميزوبوتاميه » أي بلاد ما بين النهرين ، ثم صار يطلق المصطلح اليوناني هذا على الجزء من العراق المحصور بين دجلة والفرات ، وأخيرا صارت الكلمة تطلق ليس على الاقسام الشمالية من العراق فقط بل امتد مدلولها لتشمل جميع القطر العراقي .

الاراميون : انظر هجرة الاراميين في الفصل الاول .

اربع : انظر حبرون ، العناقيون .

ارواد : قرية فينيقية صغيرة على جزيرة لا تزال تعرف باسمها الاصلي (رواد) ، تقع قرب الشاطيء الشرقي للبحر المتوسط ، وهي تبعد عن طرابلس نحو ٣٠ ميلا الى الشمال . وقد ورد ذكر الاروادبين في التوراة وقد عدتهم من ذرية كنعان (تك ١٠ : ١٨) .

اروموِ ارام : المنطقة التي سكنتها القبائل الارامية في جنوب بابل واسست شبه ممالك مبعثرة مستقلة عن بابل الكبرى ، بدد شملها سرجون ملك آشور وحذا حذوه ابنه الملك سنحاريب فسبى منها الى آشور ٢٠٨٫٠٠٠ نفس .

اريحا : مدينة كنعانية قديمة يعدها الخبراء أقدم مدن فلسطين حيث ارجعوا تاريخها الى ما قبل سبعة الاف عام وهذا ما جعل بعضهم يعتبرها أقدم مدينة في العالم ما تزال موجودة حتى اليوم . شخص الخبراء موقع اطلالها في تل السلطان شمال المدينة الحالية . ومعنى « يريحو » في الكنعانية القمر مما يدل على ان عبادة القمر كانت منتشرة هناك . اتخذها الهكسوس قاعدة بين سنة ١٧٥٠ و ١٦٠٠ ق.م. وقد ورد ذكرها في التوراة باسم « أريحة » مدينة النخل (قض ٣ : ٨ ؛ ٢ أخ ٢٨ : ١٥ ؛ تث ٣٤ : ٣) . وكانت اريحا اول مدينة حاصرها الموسويون بزعامة يشوع وافتتحوها عنوة بعد عبورهم الاردن ثم احرقت بكل ما فيها الا آنية الذهب والفضة والنحاس والحديد فانها نقلت الى خزانة بيت الرب (يش ٦ : ١٧ — ٢٦) ، وقد أعيد بناء المدينة في عهد أخاب بن عمرى (ملك اسرائيل بعد الانقسام) (١ مل ١٦ : ٣٤) . وكانت اريحا في زمن الرومان محل اقامة الملوك فمات فيها هيرودس الكبير (٣٧ — ٤ ق.م.) ، وقد وصفها ياقوت الحموي في معجمه فقال انها ذات نخل وموز وسكر كثير وله فضل على ساير سكر الغور .

اسرائيل : هي التسمية التي اطلقت في التوراة على يعقوب حفيد ابراهيم الخليل : « وظهر الله ليعقوب وقال له لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت . » (تك ٣٢ : ٢٨ ؛ ٣٥ : ١٠) ، ومعنى اسرائيل عبد الاله أيل ، الاله الواحد ، الاله العلي العظيم ، الذي دعا ابراهيم الخليل الى عبادته عندما نادى بالتوحيد (انظر « أيل ») . وقد ورد ذكر اسرائيل في الكتابات المصرية في عهد مرنفتاح سنة ١٢٣٠ ق.م.) بصيغة احدى المدن في جنوب فلسطين ، وهذا يدل على أن كلمة « اسرائيل » كنعانية (سامية عربية الاصل) ترجع الى ما قبل الالف الثانية قبل الميلاد وكانت تحظى بقدسية روحانية بين سكان المنطقة ، وذلك قبل ظهور موسى واليهود بعدة قرون . وقيل ان اسرائيل حكم في دمشق كما قيل ان ابراهيم الخليل حكم في دمشق ايضا من قبل . وقد ارجع كتبة التوراة اصل اليهود

الى اسرائيل وابراهيم الخليل وتسموا ببني اسرائيل وذلك بغية ارجاع نسبهم الى أقدس العروق البشرية وربط تاريخهم بعصور قديمة لم يكن لهم أي وجود فيها .

الاسماعيليون : هم من ذرية اسماعيل بن ابراهيم من جاريته هاجر المصرية نمى نسله وكثر حتى اصبح أمة كثيرة العدد ، عملوا بالتجارة ووصفوا وعرفوا بها فكانت لهم قوافل تنقل البضائع عبر الصحاري بين كنعان ومصر ، والاسماعيليون هم الذين اشتروا يوسف (تك ٣٧ : ٢٥ ـ ٢٧) ، كانت مساكنهم قرب برية شور التي أمام مصر (تك ٢٥ : ١٨) ، كما كان يسكن بعضهم مع المديانيين والعمالقة (قض ٨ : ٢٤) (انظر المديانيون) . وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤيد ارتباط بني اسماعيل بجزيرة العرب والبوادي العربية حيث جاء اسم اسماعيل مقرونا بالجزيرة العربية وبيت الله العتيق (سورة البقرة ١٢٥ ، ١٢٧ ـ ١٢٨) . وقد ورد اسم اسماعيل في الكتابات البابلية ، فقد عثر على وثائق من « لارسا » تعود الى عصر حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق.م.) فيها اسم شخص يدعى اهوبا بن اسماعيل بصفته أحد الشهود في وثيقة تجارية . وهذا يدل على ان التسمية سامية عربية ترجع الى ما قبل عصر موسى والتوراة.

الاسينيون أو المغتسلون : فرقة يهودية ظهرت في فلسطين حوالي القرن الثاني قبل الميلاد وهي تختلف عن بقية فرق اليهود اختلافا جوهريا في عقائدها وتقاليدها . كانت لها صبغة اشتراكية اعتزلت المدن واقام أفرادها قرب البحر الميت في الكهوف والمغاور واتخذوا لهم نظاما نسكيا خاصا دقيقا قائما على الصرامة والتقشف ، واتباعها رجال لا نساء بينهم ، ومن الخصائص في نظامهم يرفضون تقديم الذبائح والقرابين ويحرمون الملكية الفردية من اي نوع كانت ويدعون الى التعايش السلمي بين جميع الشعوب . وكانوا يحتمون على انفسهم الطهارة فيغتسلون كل صباح في مياه الينابيع الصافية ، وكانوا يعيشون على ما يزرعونه من الحبوب والفواكه وكانت مقتنياتهم شائعة بينهم ، وكانوا يستحضرون العقاقير ويجمعون الحشائش ويشتغلون بشفاء الامراض . لم تعمر هذه الفرقة طويلا اذ انقرضت في أواخر القرن الاول الميلادي وقت تدمير الرومان للقدس .

اشدود : معناها حصن او معقل ، هي احدى مدن الفلسطينيين الخمس موقعها على ثلاثة اميال من ساحل البحر المتوسط بين غزة ويافا لا تزال محافظة على اسمها القديم حيث تعرف باسم « اسدود » وتقع عندها قرية صغيرة وفي جوارها خرائب كثيرة سكنها اولا العناقيون (يش ١١ : ٢٢) ، كانت مركزا لعبادة الاله داجون (١ صم : ٥) قبل الغزو الموسوي (انظر هجرة الفلستينيين في الفصل الاول ص ١٠١ ـ ١٠٦) .

اشقاون : احدى مدن الفلسطينيين الخمس وهي ميناء على ساحل البحر الابيض المتوسط تقع على بعد عشرة اميال من غزة الى شماليها ، وتعرف اليوم

باسم « عسقلان » ، احتلها بنو يهوذا في عهد القضاة (قض ١ : ١٨) ، افتتحت في أيام عمر بن الخطاب على يد معاوية بن أبي سفيان وبقيت بيد المسلمين حتى استولى الفرنج عليها في الحروب الصليبية سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) ومكثت في يدهم ٣٥ سنة واستنقذها منهم السلطان صلاح الدين ، ثم خربها في سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) مخافة استيلائهم عليها مرة أخرى وهي على هذا الخراب الآن تشاهد في موضعها آثار العواميد والكتابات على الحجارة وسط اشجار كثيفة من الزيتون (انظر هجرة الفلستينيين في الفصل الاول) .

آشور : أولى عواصم بلاد آشور تقع اطلالها على الجانب الايمن من نهر دجلة على بعد حوالي تسعة كيلومترات من جنوبي الشرقاط وتعرف خرائبها محليا باسم « قلعة الشرقاط » .

آشور بانيبال : سادس ملوك الانبراطورية الاشورية الثانية (٦٦٩ ـ ٦٢٦ ق.م.) اشتهر بغزوه لمصر وانتصاره عليها (انظر الاشوريون ص ٨٢) .

اشير : ابن يعقوب من زلفة جارية ليئة (ابنها الثاني) (تك ٣٠ : ١٢ ـ ١٣ ؛ ٣٥ ـ ٣٦) .

افرايم : الابن الثاني ليوسف بن يعقوب من اسنات بنت فوطي فارع كاهن اون (تك ٤١ : ٥٢) .

الاكديون . انظر « هجرة الاكديين الى وادي الرافدين » في الفصل الاول ص ٦٧ ـ ٧١ .

اميم : قبيلة من قبائل العرب البائدة جعلها بعض الاخباريين في طبقة طسم وجديس (انظر طسم وجديس) ، وقالوا ان ابناءها يرجعون الى لوذ بن نوح ومنهم « وبار بن أميم » . اما موطنهم فقد عينه البعض برمل « عالج » بين اليمامة والشحر وقد انهارت عليهم الرمال فاهلكتهم . وقد ورد ذكر قرى لبني وبار روت الكتب العربية قصصا كثيرة عنها ووصفتها بكثرة زروعها ومراعيها ومياهها ، وقد أيد السياح ذلك اذ اثبتوا وجود آثار عمران قديم في هذه المنطقة مما يؤيد تطور جو بلاد العرب . وهناك عدة مواضع في الصحراء يطلق عليها السكان العرب اسم وبار قالوا انها مكان وبار ، المدينة المفقودة المنكوبة .

الانباط : انظر « الهجرات السامية العربية المتأخرة » في الفصل الاول .

انطاكية : هي المدينة التي اسسها الملك سلوقس الاول حوالي سنة ٣٠٠ ق.م. في شمال سورية وقد اتخذها عاصمة له ومركزا رئيسا في آسية الصغرى لنشر الثقافة الاغريقية ، ومن ثم صارت من اسم المراكز التجارية في العالم لمركزها عند ملتقى الطرق الممتدة من الفرات الى البحر المتوسط ومن البقاع الى آسية الصغرى . تقع اليوم في الجمهورية التركية على الضفة اليسرى لنهر العاصي عند سفح جبل سيلبيوس على بعد حوالي عشرين ميلاً من ساحل البحر .

وفي زمن سلوقس الثاني (٢٤٦ ــ ٢٢٦ ق.م.) استولى عليها بطلميوس الاول حوالي سنة ٢٤٥ ق.م. واستعادها انطيوخس الثالث سنة ٢١٩ ق . م . ؛ أصبحت بعد انتشار المسيحية مقرا لبطريركية ، احتلها الفرس سنة ٥٣٨ م وفتحها العرب سنة ٦٣٧ م . ، ثم إستولى عليها الصليبيون سنة ١٠٩٨ م . وانتقلت بعد ذلك الى المماليك المصريين سنة ١٢٦٨ م والى العثمانيين سنة ١٥١٦ م . انتقلت الى سورية سنة ١٩٢٠ لكنها اعطيت لتركيا ضمن سنجق الاسكندرونة سنة ١٩٣٩ م . ، ما زالت آثارها تشغل قسما من المدينة الحالية وقلعتها باقية أيضا .

اورشليم : انظر الملحق الاول من هذا الكتاب .

اورفه : مدينة واقعة شرقي نهر الفرات ضمن حدود تركيا على بعد ٢٠ ميلا شمال حاران (حران) والتقليد القديم بين بعض الطوائف بأن ابراهيم الخليل سكن فيها ويستشهدون بالمغارة عند سفح الجبل الى الجنوب الشرقي من المدينة حيث ولد ابراهيم (ع) على مايزعمون . وهناك بركة يقال لها بركة ابراهيم الخليل يقص الاهلون أن ابراهيم الخليل لما غزته عساكر نمرود للاستيلاء على قطعانه تغلب عليه اليأس فتضرع الى الله بطلب العون فانقلبت الاسماك التي في البركة الى جنود مدججة بالسلاح ، ولم يسع جيوش نمرود الا أن تلوذ بالفرار بعد أن أخذ الهلع والرعب منها مأخذا ، ثم عادت هذه الجيوش الى البركة منقلبة الى هيئتها السمكية الاصلية .

ولعل تسمية المدينة باسم « أورفه » مشتقه من مدينة أور فاقترنت باسم ابراهيم الخليل وباسم مدينة أور التي نزح منها . وصارت اورفة تعرف في عهد الاغريق باسم « ايديسا » فأشتهرت في كونها عاصمة أول مملكة مسيحية من عهد المسيح (ع) حيث جرى تبادل مراسلات بينه وبين ملك المدينة (ابكارس) . (انظر الرها) .

أوغاريت : انظر تل راس الشمرا

ايتوع : قبيلة ارامية انتشر ابناؤها في وادي ديالى الاسفل ثم امتدوا حتى سواحل الزاب الصغير شهر عليهم الاشوريون حملة عنيفة واقصوهم عن ديارهم وابعدوهم الى أقصى الجنوب وفرضوا عليهم الطاعة والجزية .

ايثام : محلة نزل عندها الموسويون بعد خروجهم من مصر تقع على ساحل خليج السويس الغربي بجانب البرية،ولما كانت برية شور التي على الجانب الشرقي من الخليج متصلة ببرية ايثام ولا يفصل بينهما غير الخليج فقد سميت برية شور باسم برية ايثام ايضا (خر ١٣ : ٢٠ ؛ عد ٣٣ : ٦ ــ ٨) . انظر شور

ايديسا : انظر اورفه ، الرها

ايل : هو اسم الاله الواحد الذي دعا ابراهيم الخليل لعبادته وقد ورد

باسم « ايل » في الكتابات القديمة فيما قبل عصر موسى واليهود ، وهو مفرد لكلمة « ايلوهيم » الكنعانية المراد بها الجمع والتعداد ، فقد ورد هذا المصطلح في النصوص الكنسانية والارامية للدلالة على الاله الواحد ، الاله العلي العظيم ، ثم ورد في النصوص المصرية التي ترجع الى عهد الهكسوس (١٧٨٥ ــ ١٥٨٠ ق.م.) فقيل « يعقوب ــ ايل » و « يوسف ايل » ، اي ليحم الاله « ايل » يعقوب ويوسف . وقد ورد المصطلح نفسه في التوراة ومنه جاءت تسمية « بيت ايل » (تك ١٢ : ٨ ؛ ٣٥ : ٧) وسمته « ايل اله اسرائيل » (تك ٣٣ : ٢٠) . ــ كل ذلك يدل أن « ايل » كلمة كنعانية سامية قديمة وان فكرة التوحيد كان الكنعانيون يتقبلونها منذ عهد ابراهيم الخليل (القرن التاسع عشر قبل الميلاد) اي قبل ظهور النبي موسى بزهاء سبعمائة عام . ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان طريقة اقران اسماء الاشخاص بالاله « ايل » لا تزال مستعملة حتى يومنا هذا مثل جبرائيل وميخائيل الخ . ولعل كلمة « خليل » أصلها « خل ــ ايل » اي صديق الاله أيل . والارجح ان معنى اسماعيل ((ليسمع الاله ايل)) .

ايلة وايلا : ميناء في راس خليج العقبة كانت فرضة الادوميين الرئيسة على راس الخليج الشرقي من البحر الاحمر ، تقع على مقربة منها ومتصلة بها ميناء « عصيون جابر » (تث ٢ : ٨ و ٢ أخ ٨ : ١٧) ، وقعت في ايدي الموسويين في زمن الملك داود (١٠٠٤ ــ ٩١٠ ق.م.) (٢ صم ٨ : ١٤ و ١ أخ ١٨ ١٣) ، استرجعها الادوميون في زمن يهورام ملك يهوذا ٨٤٨ ــ ٨٤١ ق.م. (٢ مل ٨ : ٢٠) ، ثم أخذها منهم عزيا ملك يهوذا (٧٦٧ ــ ٧٣٩ ق.م.) (٢ مل ١٤ : ٢٢) وبقيت تحت حكم يهوذا حتى احتلها رصين ملك ارام في زمن آحاز ملك يهوذا (٧٣٥ ــ ٧١٥ ق.م.) وبقي الاراميون فيها (٢ مل ١٦ : ٦) (انظر عصيون جابر) .

ايليم : ثاني محطة نزل الموسويون عندها بعدعبورهم البحرالاحمر فيطريقهم من مصر الى فلسطين كانت فيها اثنتا عشرة عين وسبعون نخلة (خر ١٥ : ٢٧) .

بابيلو (بابل) : هي مدينة بابل الشهيرة ورد ذكرها في التوراة تقع اطلالها على مسافة خمسة كيلو مترات من شمال مدينة الحلة ، كانت عاصمة الامبراطورية البابلية القديمة التي اشتهر بها الملك حمورابي (١٩٧٢ ــ ١٧٥٠ ق.م.) ثم فقدت مكانتها السياسية بعد استيلاء الحيثيين على بلاد بابل فخربوها وكان ذلك سنة ١٥٩٥ ق.م. ، ثم استعادت بابل مكانتها في عهد السلالة الباشية (السلالة البابلية الرابعة) التي طردت العيلاميين ووحدت أكثر المدن تحت امرتها ، اشتهر من ملوكها نبوخذنصر الاول (١١٢٤ ــ ١١٠٣ ق.م.) . اضمحلت في العهد الآشوري الا انها عادت للمرة الثالثة فتبوأت مكانتها بعد تأسيس الدولة الكلدانية سنة ٦٢٦ ق.م. فعظم شانها في هذه الفترة حتى سقطت بيد كورش الفارسي سنة ٥٣٩ ق.م. فبقيت في العهد الفارسي محطا كبيرا للتجارة حتى ظهر الاسكندر من الغرب وقهر دارا ملك الفرس في واقعة أربيل سنة ٣٣١ ق.م. وبعد وفاة

الاسكندر ٣٢٣ ق.م. اضمحلت بابل نهائيا عندما شيد سلوقس عاصمته الجديدة فحلت سلوقية محل بابل . ومن أهم آثار بابل باب عشتار ونقوشه وبرج بابل الشهير ذي الطبقات السبع وأسد بابل الذي وجد في القصر الرئيس لنبوخذنصر الثاني والجنائن المعلقة والطريق المقدسة المؤدية الى هيكل الآله مردوخ المسمى « اي ساجيلا » اهم هياكل بابل .

باشان : مقاطعة في ارض كنعان واقعة شرقي الاردن بين جبلي حرمون وجلعاد (عد ٢١ : ؛ مز ٦٨ : ١٥) يحدها شمالا ارض دمشق وشرقا بادية سورية وجنوبا ارض جلعاد وغربا غور الاردن . كان سكان باشان الرفائيون (انظر الرفائيون) طردهم موسى عند احتلال الموسويين لبلادهم ، وكان يسكن معهم ايضا الجشوريون والمعكيون فلم يطردوا بل سكنوا في وسط اسرائيل على قول التوراة (يش ١٣ : ١٢ ـ ١٣) .

باغوز : انظر تل باغوز .

بئر سبع : بئر قديمة تقع على بعد حوالي ٢٠ ميلا الى الجنوب الشرقي من غزة ترجع الى عهد ابراهيم الخليل حيث تشير التوراة الى ان ابراهيم هو الذي حفرها وأعطى سبع نعاج الى الامير هناك شهادة على حفره اياها (تك ٢١ : ٢٨ ـ ٣١) . ومن ذلك سميت باسم بئر سبع وغرس ابراهيم اثلا فيها (تك ٢١ : ٢٣) . وكذلك حفر اسحاق ابن ابراهيم بئرا عند بئر سبع أيضا (تك ٢٦ : ٢٥ ، ٣٢) ثم اطلق على المدينة اسم بئر سبع (تك ٢٦ : ٣٣) .

بئر لحي رئي : عين ماء بين قادش برنيع وبارد قرب برية شور حيث ظهر ملاك الرب لهاجر لما كانت هاربة من وجه مولاتها ساراي (تك ١٦ : ٧ ـ ١٤) ، وسكن اسحاق عند بئر لحي رئي (تك ٢٤ : ٦٢ ؛ ٢٥ : ١١) (انظر شور) .

بحر الجليل : هو بحيرة طبرية الحالية،يقع على بعد ٦٠ ميلا شمالي أورشليم و ٢٧ ميلا شرقي البحر المتوسط ، طوله ١٢ ميلا ويتراوح عرضه بين ٤ و ٧ أميال عمقه نحو ١٦٠ قدما ، قعره اوطأ من مستوى سطح البحر المتوسط بـ ٦٨٢ قدما . تقع على شاطئه الغربي مدينة طبرية على بعد اربعة أميال من طرفه الجنوبي ، لذلك سمي « بحر طبرية » (يوحنا ٦ : ١ و ٢١ : ١) . وقد سمته التوراة « بحر كنروت » و « بحر كنارة » (يش ١٢ : ٣ ؛ عد ٣٤ : ١١ ؛ تث ٣ : ١٧) .

البحر السدومي : انظر البحر الميت .

بحر الملح : انظر البحر الميت .

البحر الميت : هو البحر المستطيل الممتد من الشمال الى الجنوب على الطرف الشرقي من جنوبي فلسطين وقد ورد ذكره بعدة أسماء في العهد القديم ، ومن هذه الاسماء بحر الملح والبحر الشرقي والبحر السدومي . ويسمى الان بحر لوط مساحته ٣٠٠ ميل مربع معدل سطحه تحت سطح البحر المتوسط ١٢٩٣

قدما معدل عمقه ١٠٨٠ قدما ولا يعيش فيه شيء من النبات والحيوان ومقـدار الجامدة فيه نحو ٨ أضعاف ما في ماء البحر .

بحيرة طبرية : انظر بحر الجليل .

برحوشا (بيروسوس) : كاهن معبد مردوخ في بابل عاش في العهد السلوقي (٣٣١ ـ ١٢٩ ق.م.) ويرجح انه عاش في عهد انطيوخس الاول (٢٨٠ ـ ٢٦١ ق.م.) أو فيما بعد ذلك بقليل . وضع كتابا باللغة الاغريقية عن تاريخ بلاد بابل في حدود سنة ٢٧٥ ق.م. في ثلاثة مجلدات اشتملت على جميع ما كان معروفـا عن تاريخ بلاده ومعتقداتها وسلالات ملوكها مستقيا ذلك من الوثائق والكتابـات البابلية التي كانت معروفة في زمنه ، الا ان الكتاب الاصلي فقد وأن ما سـلم منه ينطوي على مقتبسات من كتابه الاصلي نقلها من جـاء بعـده من الكتـاب اليونانيين .

البرس : اسم مدينة بابلية قديمة تعرف اطلالها وبقايا برجها الشـاهق باسم « برس نمرود » أو « برس » ، وهو الاسم المحرف على ما يعتقد عن الاسـم البابلي القديم « بورسبا » أو « بارسبا » ، وجاءت في التلمود بصورة برسـي وبرسيب وقد انتقلت هذه اللفظة الى الجغرافيين العرب وذكرها ياقوت في معجمه في مادة برس . تقع أخربة المدينة على نحو ٩ ـ ١٠ أميال جنوب مدينة الحلة،كانت تجاور بابل بل كانت من ضواحيها وقد سميت في المصادر القديمة باسم « بابل الثانية » . أما اسم « بورسبا » بالسومرية فيرجح أن معناه قرن البحر أو سيف البحر مما يدل على ان المدينة كانت تقع في العصور القديمة قرب منطقة الاهوار . اشتهرت المدينة في كونها مركز عبادة الآله البابلي « نبو » الذي عبده العراقيـون القدماء وعدوه اله الحكمة والمعرفة وجعلوه ابن مردوخ اله بابل الشهير وسـمي معبده في « بورسبا » بالاسم السومري « أي زيدا » اي البيت المكين . وقـد ذكر ابن بطوطة ان مولد ابراهيم الخليل (ع) كان في البرس . وقد ورد ذكـر محاولة النمرود لحرق ابراهيم هناك . ومن الجهة الشمالية الشرقية من البرج تل مرتفع يقوم عليه مزار حديث يعزى الى كونه مقام ابراهيم الخليل أو قبره . وقد بلغ معظم ازدهار المدينة في عهد المملكة البابلية المتأخرة المعروفة بالسـلاله الكلدانية لاسيما في عهد الملك الكلداني نبوبولاسر وخاصة في عهـد حـكم ابنـه نبوخذنصر واستمرت المدينة في العهود التالية : العهد البابلي الاخير والعهـد الفارسي الاخميني والعهد السلوقي والعهد الفارسي الفرثي في العراق والعهـد الساساني . وقد ذكرت في أخبار الفتوح العربية الاسلامية للعراق وظلت مأهولة ايضا في العهد الاسلامي .

بصرى : مدينتان قديمتان بهذا الاسم في فلسطين تقع الاولى في تخـوم اذوم الشرقية (اش ٣٤ : ٦ ؛ ٦٣ : ١) وتقع مكانها بصيرا الحديثة على بعد نحو ٢٠ ميلا الى الجنوب الشرقي من البحر الميت والثانيـة في مقاطعة موآب (إر

البطالمه : هم حكام مصر اخلاف الاسكندر دام حكمهم حوالي ٣٠٠ عام بين سنة ٣٢٣ و ٣٠ ق.م. كان أولهم (بطلميوس الاول) واليا على مصر عقب وفاة الاسكندر سنة ٣٢٣ ق.م. فاستقل بمصر واتخذ لقب ملك سنة ٣٠٥ ق.م. ؛ أنشأ جامعة الاسكندرية ومكتبتها الشهيرة كما انشأ مدينة بطوليميس في الوجه القبلي لتكون مركزا للحضارة الاغريقية هناك ، جعل عبادة الاسكندر دينا رسميا لاغريق مصر وهي العبادة التي تطورت الى عبادة البطالمة . توسعت في عهد أخلافه التجارة الشرقية وانشئت علاقات وثيقة مع رومه وصقلية وقرطاجة . وكان البطالمة قد اشتبكوا في صراع متواصل مع خلفاء الاسكندر حكام الاقاليم المجاورة وخاصة السلوقيين في سورية . ففي عهد بطليموس الرابع ٢٢١ ـ ٢٠٣ ق.م. حمل انطيوخوس الثالث (الاكبر) على الانبراطورية المصرية الا انه هزم في موقعة رفح ٢١٧ ق.م. ، ثم أعقبه انطيوخوس الرابع فغزا مصر سنة ١٧٠ ق.م. وعاد الكرة فغزاها سنة ١٦٨ ق.م. ، ولم ينقذ مصر من استيلاء السلوقيين عليها الا تدخل روما التي ارغمتهم على الانسحاب . وهكذا تثبت نفوذ روما في مصر حيث أصبح ملوكها مدينين بعرشهم لروما . وكانت الاطماع العائلية والتزاحم على الحكم اوهنت دولة البطالمة حتى أصبحت شبه محمية للانبراطورية الرومانية . وكان آخر حدث على مسرح السياسة المصرية علاقة انطونيوس بكليوبطرة واعلان أوكتافيان (اغسطس) الحرب عليهما سنة ٣١ ق.م. حيث هزمهما في موقعة اكتيوم مما أفضى الى ضم مصر الى الامبراطورية الرومانية في السنة التالية (انظر السلوقيون) .

البطراء : مدينة قديمة في شرق الاردن تقع جنوب غربي وادي موسى ، كانت عاصمة للادوميين وللنبط ومركزا هاما لتجارة القوافل بلغت أوج أزدهارها في القرن الرابع قبل الميلاد ، تدمرت في أواخر العصر الروماني ، فتحها المسلمون في القرن السابع واستولى عليها الصليبيون في القرن الثاني عشر .

والبطراء (Petra) كلمة يونانية معناها « صخرة » وبالعربية « الرقيم » أما اسمها الحديث فوادي موسى ، وتقع المدينة القديمة على ارتفاع حوالي ثلاثة آلاف قدم .

البعل وجمعه البعليم : احد الاصنام التي كانت عبادتها عمومية بين أهل المشرق في الزمن القديم ، فعبده الفينيقيون والكنعانيون ومن جاورهم من السكان وكان عندهم يمثل اله الشمس واله الزوابع والبروق وعشتروت إلهة القمر حتى انهم كانوا يضحون الذبائح البشرية على مذابحهما (إر ١٩ : ٥) . فكانوا يختارون المحلات المرتفعة ويبنون هياكلهم عليها ويكرسونها للبعل (أمل ١٨ : ١٧

ــ ٤٠ ؛ يش ٢٢ : ١٠ ــ ٣٤ ؛ عد ٢٥ : ٣ ــ ٩ ؛ مز ١٠٦ : ٢٨ ؛ تث ٤ : ٣) . وقد ذكرت التوراة ان اليهود كانوا بين حين وآخر يعبدون البعليم تاركين الرب (٢ أخ ٢٨ : ٢ ــ ٣ ؛ قض ٢ : ١١ ــ ١٣) .

بعل جاد : انظر بعلبك .

بعل صفون : موضع قرب راس خليج السويس على الشاطيء الغربي منه عبر الموسويون عنده خليج البحر الاحمر (خر ١٤ : ٢) .

بعلبك : قرية في لبنان تقع في سهل البقاع على بعد ٤٢ ميلا الى الشمال الغربي من دمشق ، سماها اليونانيون هليوبولس اي مدينة الشمس ، اشتهرت بعظمة ابنيتها الرومانية منها هيكل الشمس الذي بناه الامبراطور الروماني انطونينس پيوس سنة ١٥٠ ب.م. ويعتقد الباحثون ان قرية بعلبك هي قرية « بعل جاد » التي ورد ذكرها في التوراة وقد وصفت انها تقع في بقعة لبنان تحت جبل حرمون (يش ١١ : ١٧ ؛ ١٢ : ٧ ؛ ١٣ : ٥) ــ انظر جبل حرمون .

بلعام : اسم مكان في فلسطين ورد ذكره في التوراة يقع بجوار مجدو (انظر مجدو) (١ أخ ٦ : ٧٠) ، وسمي ايضا « يبلعام » (يش ١٧ : ١١) و « جت رمون » (يش ٢١ : ٢٤ ــ ٢٥) ، عين بعض الباحثين موقعه في مرج ابن عمير وراء جنين في السهل في خربة بلعمة (قاموس الكتاب المقدس ١ : ٢٤٧) . وبلعام اسم نبي موحد كانت له مكانة روحانية كبيرة في ارض كنعان (الاصحاح ٢٢ من سفر العدد) ، وهذا ما يدل على ان الكنعانيين كانوا يؤمنون بالتوحيد .

بلاد العرب : وتشتمل على شبه جزيرة العرب التي تعتبر أوسع شبه جزيرة في العالم تحيط بها البحار من اطرافها الثلاثة . قديما قسمها بطليموس القلوذي الى ثلاثة اقسام من الناحية الجغرافية هي : العربية الصحراوية (Arabia Deserta) والعربية الحجرية (Arabia Petra) والعربية السعيدة (Arabia Felix) . ويراد بالاولى القسم الشمالي من بلاد العرب ، وبالثانية شبه جزيرة سيناء ، وبالثالثة الحجاز ونجد واليمن وما جاورها . اما العرب فقسموا بلادهم الى خمسة اقسام : الحجاز ، وتهامة ، ونجد ، واليمن ، والعروض (وهي اليمامة والبحرين وعمان) .

بنيامين : ابن يعقوب من امراته راحيل ، ابنها الثاني ، وكان أصفر اخوته (تك ٣٥ : ١٦ ــ ١٩ ، ٢٤) .

بورسيبا : انظر البرس .

بوغازكوي : انظر حاتوشاش .

بيت ايل : مدينة كنعانية كانت قديما محل اقامة ملوك الكنعانيين ، كان اسمها « لوز » في الاصل ثم سميت بيت ايل ، اي بيت الله ، تقع اليوم عند قرية بيتين على تل يبعد حوالي عشرة أميال الى الشمال من اورشليم . مر بالقرب

منها ابراهيم الخليل ونصب خيمته شرقي المدينة (تك ١٢ : ٨ ؛ ١٣ : ٣) ، ثم لما سافر يعقوب الى حران (فدان ارام) هاربا من وجه أخيه (تك ٢٨ : ١٩ ؛ ٣٥ : ١) بات في مكان قرب مدينة « لوز » فدعا اسم المدينة حينئذ « بيت ايل » وفي بيت أيل اقام يربعام الاول اول ملك على اسرائيل بعد الانقسام (٩٣٠ — ٩٠٩ ق.م.) أحد العجلين الذهبيين اللذين صنعهما (١ مل ١٢ : ٢٨ — ٣٣) (انظر ايـــل) .

بيت شان : مدينة كنعانية قديمة معناها بيت الاله شئان ، تعرف اليـوم باسم بيسان ، تقع على بعد خمسة أميال الى الجهة الغربية من نهر الاردن الى الشمال الشرقي من البلدة السامرة ، صارت بعد سبي اليهود رئيسة المـــدن الفلسطينية ، فيها من بقايا الاثار ما يدل على عظمتها الاصلية ، وقد سماها النبي هوشع بيت آون أي مدينة الاصنام (هوشع ١٠ : ٥ ، ٨) .

بيت شمس : مدينة كنعانية قديمة احتلها الهكسوس وبقيت تحت ادارتهم طيلة مدة سيطرتهم في هذه المنطقة (١٧٥٠ — ١٦٠٠ ق.م.) ، تقع في تخـم ارض يهوذا الشمالي وكانت تخص بني هارون (يش ١٥ : ١٠ ؛ ٢١ : ١٦) . اشتهرت برجوع تابوت العهد اليها بعد أن طال مقامه عدة اشهر بين الفلسطينيين (١ صم ٦ : ٩ — ٢٠) . وقد شخص موقع أطلال المدينة في « تل الرميلـــة » الواقع على بعد ٢٠ ميلا غربي أورشليم على طريق يافا — جبرون قرب عـين شمس . وهناك مدينة اخرى باسم بيت شمس ورد ذكرها في التوراة ووصفت انها في ارض نفتالي في شمالي فلسطين (يش ١٩ : ٣٨) .

بيت عديني : مملكة أرامية في جنوبي العراق كانت تنعم بالثروة والرفاه ، وهو نفس اسم مملكة ارامية في أعلى ما بين النهرين تقع على جانبي الفرات فـي موقع انحراف الفرات غربا بعد أن يقطع جبال طوروس .

بيت فالط : مدينة في جنوب كنعان كانت تقع شمال غربي بئر سبع وقد شخص موضع بقاياها في التل المسمى « تل فرعة » في وادي غزة (يش ١٥ : ٢٧ ؛ نح ١١ : ٢٦) .

بيت لحم (بيت الخبز) : قرية صغيرة مبنية على اكمة تبعد ستة اميـال الى الجنوب من اورشليم يرجع تاسيسها الى عصور ما قبل عصر اليهود كانت مدفن راحيل زوجة يعقوب (تك ٣٥ : ١٩ — ٢٠) ومسقط راس داود (١ صم ١٧ : ١٢) وقد أخذها الفلسطينيون في عهد الملك داود (٢ صم ٢٣ : ١٤ — ١٥) ثم حصنها رحبعام ملك يهوذا (٩٣١ — ٩١٣ ق.م.) (٢ أخ ١١ : ٦) . ولد فيها المسيح وفيها اقدم كنيسة مسيحية في العالم وهي مشتركة الآن بين الروم واللاتين والارمن وبجانبها اديرة لهذه الطوائف .

بيت ياكيني : مملكة سامية اسسها الاراميون الذين نزحوا من اعالـي الفرات واستقروا في جنوبي العراق وامتدت مستوطناتهم الى ساحل الخليـج

العربي ، وقد عرفت سلالة ملوكهم بسلالة القطر البحري (امراء الخليج) . وقد لعب أحد ملوكهم المسمى (مردوخ بلادان) دوراً مهماً في المعارك التي خاضها مع الآشوريين في بداية عهد سرجون الثاني (٧٢٢ ــ ٧٠٥ ق.م.) فاستولى على بابل ونصب نفسه ملكاً عليها فحكم فيها اكثر من عشر سنوات ثم عاد سرجون فأخضع بابل وهزم مردوخ . وفي عهد سنحاريب عاد مردوخ فثار على الآشوريين فجهز سنحاريب عام ٧٠٢ ق.م. حملة ضده دحره فيها وطرده من بابل .

وقد وجه اسرحدون بعد ذلك حملة قوية ضده في المنطقة الجنوبية فهرب الى عيلام وقتل هناك ، وعين اسرحدون أميراً جديدا هو ابن مردوخ بلادان الثاني وهكذا استتب الامن له في الجنوب (انظر مردوخ بلودان) .

بيروت : مدينة فينيقية قديمة وميناء هام على ساحل البحر المتوسط كانت مركزاً مهما للتجارة الفينيقية ازدهرت ابان حكم السلوقيين والرومان والبيزنطيين ، ورد ذكرها لاول مرة في كتابات العمارنة باسم (بيروتا) وكذلك في جدول أسماء المدن التي اوردها ملك مصر تحوطمس الثالث (١٥٠٣ ــ ١٤٤٩ ق.م.) . وفي هذه الكتابات ذكر لأحد ملوك المدينة يدعى (امونيرا) كان من الموالين لمصر . ورد في التوراة ذكر مدينة باسم « بيروثاي » (٢ صم ٨ : ٨) وبيروثة (حزقيال ٤٧ : ١٦) الا أن سياق الكلام لا يدل على أن المقصود بهما هو مدينة بيروت . ومما ذكره سترابون أن تريفون استولى على المدينة سنة ١٤٠ ق.م. في حربه مع دمتريوس الثاني . وقد ورد في اخبار اغسطس أن قائده ماركس اغريبا استولى على المدينة سنة ١٥ ق.م. واسس مستعمرة رومانية فيها . دخلت المدينة تحت الحكم العربي سنة ٦٣٥ م ثم سقطت في يد الصليبيين سنة ١١١٠م واصبحت جزءاً من مملكة بيت المقدس اللاتينية حتى سنة ١٢٩١ م .

بالميرا : انظر تدمر

تابوت العهد أو تابوت الشهادة : هو الرمز اليهودي لالههم ، يتألف بحسب المأثر الاسرائيلية من خزانة من الخشب مكسوة بالذهب أودع فيها لوحان حجريان (لوحا الشهادة) نقشت عليهما الشريعة واشياء دينية اخرى ، وصارت هذه الخزانة تشغل اقدس جزء من طقوسهم الدينية ووجودها بين ظهرانيهم يكفل النصر لهم ، لذلك كانوا يحملونها معهم في رحيلهم وفي معاركهم على اعمدة طويلة والتابوت كما وصفته التوراة مصنوع من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وغشي بذهب نقي من داخل ومن خارج وصنع له اكليل من ذهب حواليه ، وسبك له اربع حلقات من ذهب على اربع قوائمه وصنع للتابوت غطاء من ذهب نقي أيضا (خر ٣٧ : ١ ــ ٩ ؛ ٢٥ : ١٠ : ٢١ ؛ عدد ١٠ : ٣٣ ــ ٣٦ ؛ تث ١٠ : ١ ــ ١٥ ؛ يش ٣ : ٦) ــ انظر لوحا الشهادة . وقد استولى الفلسطينيون على تابوت العهد في معركتهم الاولى مع الموسويين

وانتصارهم عليهم ثم ردوه الى الملك داود ووضعه سليمان في الهيكل ولم يعرف مصيره بعد ذلك .

تدمر : مدينة عربية قديمة اسمها اللاتيني (بالميرا) تقع في واحة وسط الصحراء السورية الشمالية شمال شرقي دمشق على بعد ١٥٠ ميلا منها على الطريق بين وادي الفرات وساحل البحر المتوسط في لبنان وفلسطين ، وبفضل موقعها هذا كانت مركزاً هاماً على طريق المواصلات التجارية بين الشرق والغرب فاصبحت اشبه بمرفأ عظيم في بحر الصحراء ترسو في ساحله تجارة الأمم . ورد ذكرها في الكتابات القديمة التي ترجع الى عهد الملك الآشوري پيليسر الاول (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق.م.) باسم « تدمر العموريين » كما ورد ذكرها في اخبار حملات نبوخذنصر الثاني (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق.م.) على فلسطين ومصر ، كما ورد ذكرها في التوراة مقرونا بالملك سليمان (٢ أخ ٨ : ٤) . وكانت اللغة الارامية اللغة الرسمية للدولة وقد اختصت بقلم ارامي خاص بها سمي القلم التدمري . بلغت تدمر أوج ازدهارها في عهد الملكة زنوبيا حيث بسطت هذه الملكة نفوذها على اكثر آسيا الصغرى ، الا أن نفوذها هذا لم يدم طويلا حيث استولى اورليانوس الروماني سنة ٢٧٤ م على المدينة فقتل الكثير من اهلها وخربها واخذ زنوبيا اسيرة الى رومه . احتلها خالد ابن الوليد في طريقه من العراق الى الشام (ياقوت ١ : ٨٣١) .

الترجوم : كتاب العهد القديم المترجم من اللغة العبرية الى اللغة الارامية

تل ابيب : مدينة بفلسطين المحتلة تطل على البحر المتوسط انشئت سنة ١٩٠٩ بالقرب من يافا . وتسمية تل أبيب تسمية قديمة لموقع في جنوبي العراق كان يعرف بهذا الاسم في القرن الخامس قبل الميلاد ، وكان قد استقر فيه في العصر الاخميني عدد من اليهود من بقايا الاسر البابلي . وقد ورد اسم تل ابيب في التوراة ووصف كونه يقع على نهر الخابور وهو غير نهر الخابور في الفرات الاعلى ونهر الخابور على دجلة (حزقيال ٣ : ١٥) . ويرى بعض الباحثين ان نهر الخابور فرع من شط النيل القديم الذي كان يتفرع من الجانب الايسر لنهر الفرات القديم ويمتد جنوبا بين الفرات ودجلة حتى حدود شط الفراف الحالي . انظر :

A.T. Clay - "Light on the Old Testament from Babel". Philadelphia, 1907, pp. 408-410

تل باغوز : تل اثري في سورية يقع جنوب شرقي اطلال مدينة « ماري » (تل الحريري) على الجانب الايسر من نهر الفرات يرجع تاريخه الى الفترة الممتدة من ٥٥٠٠ الى ٤٨٠٠ قبل الميلاد . ومن المرجح ان هذا التل يمثل بقايا أحد المستوطنات القديمة التي اقامها الساميون على ضفاف الفرات على أثر نزوحهم من الجزيرة العربية نتيجة جدبها (انظر ماري) .

تل الحريري : انظر ماري

تل حلف (كوزان القديمة) : تل اثري يقع في شمال سورية على بعد خمسة كيلو مترات جنوب غربي راس العين قرب منبع الخابور (خابور الفرات) يرجع تاريخ آثاره الى الحقبة الممتدة من حوالي سنة ٤٨٠٠ الى سنة ٤٢٠٠ ق.م. وقد امتازت آثار هذا التل بفخارها الرقيق المصبوغ بعدة الوان وهو ذو برقشةهندسية رائعة وقد وجد فخار مماثل له في «الاربجية» وفي « تپه كورا » من لواء الموصل . والارجح ان منطقة (خابور نهر جوزان) التي نقل اليها قسم من اليهود في زمن تجلاث بلاسر الثالث وشلمنصر الخامس (٢ مل ١٧ : ٦) هي نفس منطقة كوزان القديمة (انظر خابور نهر جوزان) .

وتمثل آثار تل حلف عصراً من العصور الثقافية التاريخية يتميز بها وقد سماه علماء الآثار عصر حلف وهو أول أدوار العصر الحجري المعدني لتمييزه عن بقية الأدوار التاريخية . وقد اصبحت منطقة تل الحلف في منتصف الالف الثانية قبل الميلاد من ضمن دولة ميتاني الحورية ، ثم اتخذ الاراميون موضع هذا التل في القرن العاشر قبل الميلاد عاصمة لأحدى ممالكهم المسماة « بيت بحياني » وقد كشفت عن آثار العمارة الارامية فوق طبقات عصر حلف منها بقايا قصر الملك « كاپارا » الذي يرجع تاريخه الى القرن التاسع قبل الميلاد .

تل راس الشمرا : هو بقايا مدينة اوغاريت الفينيقية يقع في شمال سورية على بعد ١٢ كيلو مترا شمال اللاذقية ويبعد عن شاطيء البحر قرابة ٨٠٠ متر . يرجع تاريخ المدينة الى العصر الحجري الحديث وقد بلغت ذروة ازدهارها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد حيث أصبحت ميناءا دوليا ومركزا تجاريا حضاريا يقع وسطا بين دول الشرق والشمال والجنوب وثغرا يؤدي الى بحر ايجه والدول الواقعة عبره كمصر وبر الاناضول وكريت وقبرص والعالم الايجي وذلك حتى زمن تخريبها في حوالي سنة ١٣٥٠ ق.م. عثر بين اطلالها على عدد كبير من الالواح معظمها مكتوب باللغة الاوغاريتية أي الكنعانية بالخط المسماري البابلي . وتشتمل الالواح على ملاحم شعرية واساطير وأدب ديني ومعاجم وكتب مدرسية ولوائح ورسائل تجارية وعقود مختلفة الخ .. وهذه وان كان زمنها يرجع الى القرن الرابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد الا ان الدلائل تدل على انها اقدم زمنا . « ملاحم واساطير من اوغاريت » (راس الشمرا) تاليف الدكتور امين رويحة الجامعة الاميركية في بيروت ، ١٩٦٦ .

تل العمارنة : بقايا مدينة « اخت ــ اتون » المدينة التي اسسها الفرعون المصري امنحوتب او امنوفس الرابع الذي عرف باسم اخناتون (١٣٧٥ ــ ١٣٥٨ ق.م.) وهو الذي نادى بمبدأ الوحدانية فاضطر الى نقل مقر عاصمته من طيبة الى العمرنة (انظر طيبة) ، وهذه تقع على بعد ٥٨ ميلا تحت اسيوط و ١٩٠ ميلا فوق القاهرة . وجدت في خرائب هذه العاصمة سنة ١٨٨٧ حوالي ٣٠٠آجرة أو قرميدة تشتمل على السجلات الملكية الشهيرة ومن بينها الرسائل المرسلة الى اخناتون والى ابيه امنحوتب الثالث (١٤١٢ ــ ١٣٧٦ ق.م.) من ملوك الشرق

الادنى ومن حكام الانبراطورية في بلاد الشام وهي مدونة بالخط المسماري وباللغة البابلية . وهذه من المصادر الاولية لدراسة تاريخ الشرق الادنى القديم في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد وقد نشرت وترجمت وعلق عليها مرارا . انظر :

C.R. Conder, "The Tell Amarna Tablets". 2nd ed., London, 1894; C Bezold and E.A.W. Budge, "The Tell el-Amarna Tablets in the British Museum, London, 1892.

تلمود : انظر التلمود في الفصل الثالث ص (١٧٣ ــ ١٧٦

تيمــاء : مدينة عربية تقع في غربي شبه جزيرة العرب على ١٢٥ ميلا جنوب غربي واحة « الجوف » ورد اسمها في الكتابات الحرانية القديمة ، احتلها الملك الكلداني نبونيدس (٥٥٦ ــ ٥٣٩ ق.م.) ، هي ومدينة الجوف (ادومو) ومدينة يثرب (المدينة المنورة) . وتشير هذه المدونات أن نبونيدس بقي في تيماء مدة عشر سنوات ولم يعرف سبب مكوثه في تيماء هذه المدة بعيدا عن مركز عاصمتــه (بابل) التي بقيت تحت حكم ابنه « بلشازار » . ويرجح الباحثون ان نبونيدس بقي في هذه المنطقة ليحمي طريق التجارة الممتد من اليمن الى مصر وفلسطين عبر الحجاز وذلك بعد ان احتل الميديون والفرس طريق العراق التجارية الشمالية الممتدة بين نينوى وحران وسلسلة جبال طوروس (انظر نبونيدس) . ومــن المعلوم ان تيماء كانت من المراكز التجارية المهمة في جزيرة العرب وملتقى طـرق تجارية مهمة فمنها تسير قوافل في عدة طرق منها ما يتجه شمالا الى البتـراء ودمشق وتدمر وآخر يسير الى سيناء فمصر ، ويتجه طريق ثالث الى العراق .

ثمود : قبيلة من القبائل العربية في شبه جزيرة العرب ورد ذكرها في عدة سور من القرآن الكريم مع قبيلة عاد (أنظر عاد) لان المراد بهما واحد من حيث العبرة والموعظة ، فعبادة ثمود للاوثان وعدم اكتراثها بالنصح ثم افناؤها كل ذلك ينفق وما حدث لقبيلة (عاد) . وثمود منسوبة الى ثمود بن عامر بن ارم بن سام وقيل ثمود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام ، ومن هذه القبيلة النبي صالح (ع) الذي ارسل لنصح قومه بالرجوع عن عبادتهم الباطلة وهديهم ، فبذل الجهد في تذكير القوم بنعم الله عليهم ونهاهم عن أن يعيثوا في الارض مفسدين بعبادة غير الله تعالى والتكبر في الارض ، ولكنهم لم ينتصحوا فأهلكهم الله « فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون . أما صالح (ع) والذين آمنوا معه فقد نجوا مما حاق بقومهم من العذاب فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا » ، وقد قال بعض الرواة انهم ذهبوا بعد هلاك قومهم الى ناحية الرملة من فلسطين ، ويقــول أهل حضرموت انهم ذهبوا الى حضرموت واقاموا بها وهناك قبر يزعمون انــه لصالح ، وقال آخرون انهم اقاموا في ديارهم بعد هلاك قومهم وآخرون انهــم ذهبوا الى مكة واقاموا بها الى ان ماتوا وقبورهم غربي الكعبة . والمشهور في كتب العرب ان ثموداً كان مقامها بالحجر (بكسر الحاء) المعروفة بمدائن صالح في وادي

القرى بطريق الحاج الشامي الى مكة على سكة الحديد الحجازية . وديارهم تعرف الى اليوم بفج الناقة وبيوتهم منحوتة بالصخر واهم انقاضها تعرف بقصر البيت وقبر الباشا والقلعة والبرج . وقد كشف بين هذه الانقاض عن كتابة نبطية وهي منقوشة في الصخر اكثرها على القبور مع كتابة ارامية منحوته في الصخر مثل لغة بطرا ، الا ان هناك نصوصا ثمودية كثيرة عثر عليها بين الانقاض ايضا وقد عثر على مثيلها في مناطق حائل وتبوك وتيماء وطور سيناء وفي مصر وفي اليمن مما يدل على وجود صلات بين هذه الاقطار وخاصة اليمن وبين ثمود . وقد ورد اسم ثمود في النصوص الاشورية وقد دعوا بـ Thamudi حيث انتصر سرجون الثاني (٧٢١ — ٧٠٥ ق.م.) عليهم واجلاهم من مواطنهم الى السامرة ، كما ورد ذكر ثمود باسم Thamudita في جغرافية بطليموس . ويرى الباحثون ان آخر ذكر ورد لقوم ثمود كان في القرن الخامس للميلاد حيث ورد ان قوما منهم كانوا فرسانا في جيش الروم .

جاد : هو ابن يعقوب من زلفة جارية ليئة ، ابنها الثاني (تك ٣٠ : ١١ ؛ ٣٥ : ٢٦) .

جازر : مدينة كنعانية قديمة شخص موضعها في تل جازر شمال غربي اورشليم على بعد حوالي ٣٥ كيلو مترا منها ، اشتهرت في حروب داود مع الفلسطينيين (٢ صم ٥ : ٢٥ ؛ ١ أخ ٢٠ : ٤) ، جاء في دائرة معارف اليهود في مادة جازر انها تقع شرقي نهر الاردن في جلعاد قرب حدود عمون (انظر جلعاد ، عمون) ، وهذا يناقض كل ما ورد في التوراة من اخبار عن مدينة جازر التي جاءت مؤيدة كونها غربي الاردن وكان يسكنها الكنعانيون وليس العموريون كما ورد في دائرة المعارف المذكورة ، وقد وصفتها التوراة بكل وضوح بقولها انها « عبر الاردن غربا من بعل جاد » وقد ورد اسم ملكها مع ملوك حبرون ولخيش وعجلون واريحاواورشليم وعاي الخ (يش ١٢ : ٧ — ١٣) وقد هاجم جازر فرعون ملك مصر في عهد سليمان فاحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدنية واعطاها مهرا لابنته امراة سليمان (١ مل ٩ : ١٦ — ١٧) . ثم أعاد سليمان بناءها .

جاسان : هي المنطقة التي اعطاها يوسف في مصر لأبيه واخوته فسكنوا فيها ، وتقع هذه المنطقة في القسم الشمالي الشرقي من ارض مصر وتمتد بين التخم الجنوبي من أرض كنعان الى نهر النيل ، تعرف اليوم بالشرقية الممتدة من جوار « ابو زعبل » الى البحر .

جزيرة العرب : انظر بلاد العرب

جشوريون : عشيرة كنعانية قديمة كانت تسكن شرقي الاردن (انظر رفائيون) .

جلجال : قرية في سهل اريحا (يش ٤ : ١٩) الى الشرق منها والشمال الشرقي

من أورشليم تبعد حوالي ٤ أميال عن الاردن . كانت أول قرية احتلها الموسويون بعدما عبروا الاردن اتخذها يشوع مركزا لعملياته الحربية مع الكنعانيين ، كانت مقرا لتابوت الشهادة الى ان نقل الى شيلوه ثم ارجع اليها (١ صم ١ : ٨ و ١٥ : ٣٣) وكان صموئيل يذهب اليها من وقت لآخر ويقضي فيها لاسرائيل (١ صم ٧ : ١٦) . وفي موضع الجلجال القديمة قرية تدعى الآن « جلجلية » .

جبعون : مدينة كنعانية مهمة سكنها الحويون وهم قوم من سلالة كنعان (تك ١٠ : ١٧) (انظر الحويون) ، تقع على بعد ١٥ ميلا من أورشليم شماليها . تدعى اطلالها الآن « الجيب » وموقعها على قمة هضبة وفي أسفل الهضبة الى جهتها الشرقية ينبوع ينحدر ماؤه الى بركة طولها ١٢٠ قدما وعرضها ١٠٠ قدم .

جبل حوريب : انظر سيناء .

جبل جرزيم : انظر جرزيم .

جبل سعير : مقاطعة جبلية صارت تعرف اخيرا باسم « ادوم » تمتد من بحر لوط (البحر الميت) إلى خليج العقبة ، يحدها شرقا البرية العربية وغربا وادي العربة ، جبالها رملية غرانينية يرتفع بعض قممها الى ٤٨٠٠ قدم فوق سطح البحر . كان يسكنها الحوْريون قديما وقد اشتق اسمها من اسم احد امرائهم يسمى سعير (تك ١٤ : ٦ ؛ ٣٦ : ٢٠ ؛ تث ٢ : ١٢) . ثم استولى عليها بنو عيسو وسكنوها وصارت تعرف بأرض أدوم وهو لقب عيسو (تك ٣٢ : ٣ ؛ ٣٦ : ٨) ، (انظر ادوم) .

جبل نبو : من سلسلة جبال موآب قبالة اريحا في فلسطين على الجانب الشرقي من الاردن ، ويبلغ ارتفاع قمة هذا الجبل ٢٦٤٣ قدما فوق سطح البحر المتوسط ويهبط الى البحر الميت بعمق ٤٠٠٠ قدم .

جبيل : وهو الاسم الحديث لمدينة « بيبلوس » الفينيقية القديمة الواقعة على ساحل البحر المتوسط فيما بين بيروت وطرابلس على بعد حوالي ٢٥ ميلا شمال بلدة بيروت ، ويعدها الباحثون أقدم مدينة في العالم مازالت مسكونة منذ اكثر من ستة آلاف عام حتى اليوم . وتسمية « بيبلوس » تسمية يونانية للمدينة التي تعني كتابا ، اما إسمها الاصلي فكانت تعرف لدى الكنعانيين باسم « گوبلا » وهي احدى الموانيء التجارية الفينيقية المهمة اشتهرت بعمل السفن (خر ٢٧ : ٩) ، بلغت ذروة ازدهارها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ويرجع بعض الباحثين تاريخ هذه المدينة الى العصر الحجري الحديث (النيولوثي) الذي يبدأ في حوالي الالف السادسة قبل الميلاد (عدد حزيران ١٩٥٥ مجلة النفط باللغة الانكليزية « بيبلوس الفينيقية » بقلم ف.ج.د. باين ، ص ١٤ – ١٧) .

جت : احدى مدن الفلسطينيين الخمس سكنها أولا العناقيون (يش ١١ : ٢٢) ، يرى البعض أنها تقع في تل الصافية شرقي اشدود على ١٦ ميلا منهـــا (انظر اشدود) . لم يستطع الموسويون التغلب عليها عنـد غزوهم لفلسـطين فبقيت في ايدي الفلسطينيين وكانت في أيام داود لاتزال في أيديهم ، عليهـا ملك اسمه أخيش (١ صم ٢١ : ١٠ – ١٥ ؛ ٢٧ : ١ – ٧) ثم أخذها داود من أيديهم (٢صم ١٥ : ١٨ ؛ ١ أخ ١٨ : ١) ، وصارت بعد ذلك ليهوذا فعززها رحبعـام ملك يهوذا (٩٣١ – ٩١٣ ق.م.) (٢ أخ ١١ : ٨) ، ثم أخذها حزائيل ملك أرام (٢ مل ١٢ : ١٧) ، الا ان الملك يوآش ملك يهـوذا (٨٣٥ – ٧٩٦ ق.م.) استرجعها (٢ مل ١٣ : ٢٥) ، وبعد رجوعها الى يد الفلسطينيين هـدم عزيا (٧٦٧ – ٧٣٩ ق.م.) سورها (٢ أخ ٢٦ : ٦) (انظر الفلسطينيون) .

جديس : انظر طسم وجديس .

جرابلس : انظر كركميش .

جرار : مدينة شهيرة للفلسطينيين واقعة الى الجنوب الشرقي من غـزة بين قادش وشور ، والرأي الغالب هو ان الموضع المعروف الان بخربة ام جرار هو موضع المدينة . وبلدة جرار هي المدينـة التي جاء اليها كل من ابراهيـم واسحاق بسبب الجدب ونزلا على ملكها (تك ٢٠ : ١ ؛ ٢٦ : ١ ، ١٧) . وممـا ورد في اخبار التوراة ان آسا ملك يهوذا (٩١٠ – ٨٦٩ ق.م.) ساق الكوشيين المتقهقرين اليها (٢ أخ ١٤ : ١٣) .

الجرامقة : هم اراميون كانوا قد لجأوا الى عيلام تحت تأثير الضغـط الاشوري فحلوا في منطقة تعرف بالجزمق في فارس . ثم لما عادوا الى بلاد آشور حملوا معهم هذا الاسم فعرفوا به فسموا بالجرامقة . وكان هؤلاء الجرامقـة يسكنون مدينة الموصل عندما فتح العرب مدينة الموصل في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وسمى بعض الكتاب العرب اللغة الارامية بالجرمقية نسبة اليهم .

جرجاشيون : قبيلة من الكنعانيين أو فئة من الحويين كانوا يقطنون البلاد الواقعة شرقي بحر الجليل ومنهم اخذ اسم كورة الجرجشيين (تك ١٠ : ١٦ ، ١٥ : ٢١) .

جرزيم : جبل فوق شكيم يعلو ٢٨٥٠ قدما فوق البحر و ٨٠٠ فـوق نابلس ، وكان موضع الهيكل السامري ، وحسب التقاليد السامرية ان هـذا الجبل كان الموضع الذي توجه اليه ابراهيم ليقدم اسحاق قربانا للاله ، امـا اسمه الان فهو جبل طور .

جرهم الاولى : اسم قبيلة من طبقة العرب البائدة ترجع الى عهد عـاد وثمود والعمالقة (انظر عاد وثمود والعمالقة) قيل أن أهلها كانوا يقيمون بمـكة وان نسبهم يرجع الى (عابر) وقد أبيدوا . ذكرها الاخباريون والنسابون باسم

« الجرهم الاولى » لتمييزها عن جرهم الثانية (جرهم القحطانيين) الذين يرجع بعض أهل الاخبار نسبهم الى (جرهم بن قحطان بن هود) وهم أصهار اسماعيل .

جلعاد : مقاطعة صخرية وعرة شرقي نهر الاردن (يش ١٣ : ٢٥) كانت مع أرض عمون بحيازة العموريين ، استولى عليها الموسويون عند صعودهم من مصر في عهد موسى وذلك بعد أن تغلبوا على سيحون ملك العموريين واستولوا على عاصمته « حشبون » (تث ٢ : ٣٦) ، ثم صارت من ضمن مملكة داود واصبحت بعد ذلك من ضمن اسرائيل بعد التقسيم (انظر : عمون ، حشبون) .

الجليل : هو الاسم الذي يطلق على القسم الشمالي من فلسطين ، وكان المسيح (ع) يعرف بيسوع الجليلي (مت ٢٦ : ٦٩) لأنه نشأ في منطقة الجليل وتهذب وعاش فيها ، والمعروف ان القديس بطرس كان من الجليل أيضا . ومن جبال الجليل الشهيرة الكرمل ومن مدنها الناصرة ، وفي الجليل بحيرة طبرية المعروفة ببحر الجليل (انظر بحر الجليل) .

الجليليون : هم اتباع يهوذا الجليلي الذي ظهر قبل الميلاد وكان يقول ان لا ملك لليهود غير الله .

جيحون : نبع ماء قديم يقع في وادي قدرون شرقي القدس ورد اسمه في التوراة باسم جيحون (٢ أخ ٣٣ : ١٤ ؛ ١ مل ١ : ٣٣ ، ٣٨) ، يعرف اليوم بـ « عين العذراء » ، كان اليبوسيون سكان القدس القدماء قد حفروا نفقا تحت الجبل لنقل مياه النبع فيه الى داخل حصنهم المسمى « حصن يبوس » أو « حصن صهيون » استعمله اليهود في عهد حزقيا ملك يهوذا (٧١٥ — ٦٨٦ ق.م.) وانشأوا في نهاية النفق بركة كانت تعرف باسم « بركة سلوام » (٢ أخ ٣٢ : ٣٠ ؛ ٢ مل ٢٠ : ٢٠ ؛ نحميا ٣ : ١٥) .

حاتوشاش : هي عاصمة الحيثيين في بلاد الاناضول وتعرف اليوم باسم « بوغازكوي » وتقع على بعد حوالي تسعين ميلا من شرقي أنقرا . عثر بين انقاضها على الواح مسمارية تمثل السجلات الملكية يرجع تاريخ معظمها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهي مكتوبة عموما باللغة الحيثية ، وهي لغة هندو اوربية في قواعدها واسلوبها (انظر الحيثيون) .

حاران (حران) : (٢ مل ١٩ : ١٢) : مدينة قديمة لاتزال معروفة باسمها القديم وموقعها في الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين في جوار الحدود السورية التركية داخل حدود تركيا على منابع نهر البليخ ، أحد روافد الفرات العليا ، تقع على بعد حوالي ٤٠ كيلومترا الى الجنوب الشرقي من أورفة وزهاء ٨٠ كيلومترا من مصب البليخ في نهر الفرات . كانت مركزا لاحدى الدويلات الأرامية التي اسست في الفرات الاوسط ، ورد ذكرها في التوراة باسم « فدان ـ ارام » ، كما كانت مركزا هاما على الطرق التجارية الرئيسة بين العراق

وسورية وفلسطين ، وقد اشتهرت في كونها مركزا لعبادة إله القمر (الاله سين)، وهي المدينة التي توجه اليها ابراهيم الخليل (ع) بعد خروجه من أور الكلدانيين وذهب منها الى كنعان ، ورد ذكرها في التوراة باسم « حاران » . فتحها عياض بن غانم في خلافة عمر بن الخطاب انظر « فـدان أرام » ، « أرام نهرايـم » ، ابراهيم الخليل) .

حاصور : مدينة كنعانية ذات شان عدها البعض العاصمة الطبيعية لشمال كنعان تقع قرب « الحولة » غربي جسر بنات يعقوب على بعد حوالي ستة كيلومترات منه تتاخم قيدار (انظر قيدار) ، وردت في التوراة بهذا الاسم ، وتعرف اطلالها اليوم بتل القدح أو « تل الوقاص » ، اشتهر بين ملوكها الملك يابين(١) ، اخضعها يشوع واحرقها بالنار (يش ١١ : ١ و ١٠ و ١١) . كان اهل حاصور يقيمون في بيوت ثابتة كما يستدل من تسمية المدينة تمييزا لهم عن اهل الوبر . وكانت حاصور قبل الغزو الموسوي من معاقل الهكسوس الرئيسة عندما اصبحت كل هذه المنطقة في حوزتهم في حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد . وفي زمن الآشوريين فتحها تغلاث بلاسر الثالث (٧٤٦ ــ ٧٢٧ ق.م.) وسبى سكانها الى آشور (٢ مل ١٥ : ٢٩) وقد ضربها نبوخذنصر ملك بابل في أوائل القرن السادس قبل الميلاد .

حبرون : مدينة كنعانية تعد من اقدم المدن الفلسطينية قبل عصر موسى (عد ١٣ : ٢٢) وسميت ايضا « ممرا » و « أربع » ، والاسم الاخير نسبة الى اربع العناقي (انظر العناقيون) تقع على بعد ٤٤ كيلومترا جنوب أورشليم ، سكنها ابراهيم واسحاق ويعقوب (تك ١٣ : ٨ ؛ ٢٣ : ٢ ؛ ٣٥ : ٢٧ ؛ ٥٠ : ١٣ ؛ يش ١٤ : ١٥ ؛ قض ١ : ١٠) لازالت تعرف بحبرون الزاهرة والخليل نسبة الى ابراهيم ، فيها جامع يحتوي على اضرحة ابراهيم واسحاق ويعقوب مع نسائهم سارة ورفقة وليئة ، وهؤلاء حسب نص التوراة دفنوا جميعا في حبرون في مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا التي هي حبرون (تك ٤٩ : ٣ ؛ ٥٠ : ١٣ ؛ الاصحاح ٢٣) . كانت حبرون مقرا لداود الى ان جعل اورشليم العاصمة وقد ذكرت من جملة مدن يهوذا أيام فتنة يربعام وانشقاق المملكة .

حرمون : جبل كان التخم الشمالي لأرض فلسطين في عبر الاردن يقع على بعد ٤٠ ميلا شمالي بحر الجليل و ٣٠ ميلا الى الجنوب الغربي من دمشق (تث ٣ : ٨ ؛ ٤ : ٤٨ ؛ يش ١١ : ٣ ، ١٧ ؛ ١٣ : ١١) ، لايزال يعرف حتى هذا اليوم بجبل حرمون ، وهو يمتد على طول الحدود الجنوبية الشرقية للبنان بين سورية ولبنان ، ويعرف بجبل الشيخ ايضا ، ارتفاعه ٩٤٠٠ قدم فوق سطح البحر . وقد سمي أيضا في المدونات التوراتية باسم « جبل بعل حرمون » وكان يسكنه بعض الحويين (قض ٣ : ٣) (انظر الحويون) .

---

(١) يابين كان لقبا لملوك كنعان كفرعون لملوك مصر .

حشبون : من مدن فلسطين القديمة ، تعرف اطلالها اليوم باسم « تـل حشبان » ، تقع على مسافة ٢٦ كيلومترا جنوب غربي عمان في الاردن وحوالي ١١ كيلومترا شمال « ندبة » الحالية . كانت بالاصل ملك الموآبيين الا أن سيحون ملك العموريين استولى عليها مع كل أرض الموآبيين فاتخذ حشبون عاصمة لـه (عد ٢١ : ٢٦) . ثم استولى عليها الموسويون في عهد موسى ودمروها (تث ٢ : ٢٢ ـ ٢٦) الا انه عاد الموآبيون فتغلبوا عليها . وقد سميت في التوراة عربات موآب مما يدل على أنها كانت في يد الموآبيين قبل استيلاء العموريين عليها (عد ٢٢ : ١ ؛ ٣١ : ١٢ ؛ ٣٣ : ٤٨) . (انظر موآب ، عمون) . وفي المرجع التالي بحث عـن تاريخ مدينة حشبون :

The Biblical Archaeologist - The American School of oriental Research, Vol. XXXII, May 1969, No. 2, pp. 26-41.

حضوراء : اسم قبيلة من طبقة العرب البائدة ترجع الى عهد جماعة عاد وثمود (انظر عاد وثمود) وانها هلكت . ذكر ان اهل حاضورا كانوا يقيمـــون بالرس وكانوا يعبدون الاوثان وظهر منهم نبي فكذبوه وقتـلوه ، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر (اصحاب الرس) مع عاد وثمود ، وهناك عدة مواضع فـي الجزيرة العربية يقال لها (الرس) منها موضع باليمامة وفي اليمن موضع يسمى « جبل حضور » ، وروى اهل الأخبار ان نبوخذنصر غزا أهل حضوراء واعمـل فيهم السيف واجلى خلقا منهم الى اماكن اخرى .

حضيرت : هي المحطة الثانية التي وقف عندها الموسويون بعد خروجهم من مصر (عد ١١ : ٣٥ و ١٢ : ١٦ و ٣٣ : ١٧) .

حلح : مكان في آشور نقل اليه اليهود أيام السبي الاشوري (٢ مل ١٧ : ٦ ؛ ١٨ : ١١ ؛ ١ اي ٥ : ٢٦) ويرجح انه يقع في منطقة الخابور .

حلف : انظر تل حلف .

حماة : من اشهر مدن سورية واقدم مدن العالم لا تزال محتفظة باســمها القديم ، كانت تدعى « ايبفانا » في أيام انطيوخس أيبفاس ، اسسها احد أولاد كنعان (تك ١٠ : ١٨ ؛ ١ أخ ١ : ١٥) ، موقعها في وادي العاصي كانت تدعى مفتاح شمالي فلسطين لانها كانت متوسطة بين الفرات وفينيقية ، وهي تبعد ١٦٥ ميلا الى الشمال من أورشليم ، وقد سماها عاموس حماة العظيمة وتكلم عن خرابها (عا ٦ : ٢) .

حمورابي : الملك البابلي الشهير مؤسس انبراطورية بابل الشهيرة وصاحب الشريعة الذائعة الصيت التي تعد من اقدم الشرائع في تاريخ الثقافة الانسانية . تولى العرش في الحقبة الممتدة من سنة ١٧٩٢ الى سنة ١٧٥٠ قبل الميـــلاد ، وهي مدة حكمه في أصح التقديرات ، وهو القائل : « إن الآلهة قد نادتني لأمنـع الاقوياء من أن يظلموا الضعفاء وانشر النور في الارض وأرعى مصالح الخلق » .

حِمير : قبيلة من القبائل العربية القديمة كونت لها دولة في وسط اليمن واتخذت مدينة ظفار عاصمة لها وذلك منذ أواخر القرن الثاني قبل الميلاد واستمرت حتى قرب ظهور الاسلام وما زالت حتى الان في اليمن قبيلة قوية تسمى بهذا الاسم . والحميريون فرع من السبئيين ، وحمير عند العرب ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وزعموا أنه كان ملكا ملك بعد موت ابيه سبأ . وقد ورد ذكر حوالي ٣٠ ملكا من ملوك حمير اقدمهم « علهان نهفان » حكم بين سنة سنة ١١٥ و ٨٠ ق.م. وتختلف دولة حمير عن سابقتيها دولتي معين وسبأ في كونها اقرب الى الدول الفاتحة ، فكان الحميريون يسيطرون على القسم الجنوبي من الجزيرة العربية كما كانوا يمتلكون قسما من ساحل افريقيا الشمالي « انظر معين وسبأ » وقد استطاع الحميريون من الاستيلاء على مأرب بضع مرات في حوالي السنة ١١٠ م . وأخرى في سنة ٢٠٠ أو سنة ٢١٠ م . ، وكان آخر ملوك حمير ذا نؤاس يوسف (٥٢٠ ــ ٥٣٠ م .) اعتنق اليهودية واضهد المسيحيين ، قضى عليه وعلى دولته نجاشي الحبشة بايعاز من امبراطور الروم واحتل بلاد اليمن (٥٣٠ م) ، وبذلك تكون دولة حمير قد دامت حوالي ٦٥٠ سنة .

ومن ابنية حمير حصن ريدان وقصرها المشهوران حيث عثر على كتابة في خرائب القصر قدر الخبراء زمنها الىحوالي ٤٠٠ ق.م. وقد اشتهرت حمير عند أهل الحجاز بمصانعها فقيل مصانع حمير ، وفي كلام النبي لوفد كندة « ان الله اعطاني ملك كندة ومصانع حمير الخ .. » (الاكليل ٦٦/١) .

وتعرف لغة الحميريين باللغة الحميرية وهي تختلف عن لغة اهل شمال الجزيرة ، وقد اشتهرت حمير عند علماء العربية بخطها الحميري أو القلم الحميري ، وهو الخط الذي سبق خطوط المعينين والسبئيين واقوام عربية اخرى ، وقد سمى العرب وعلماء المسلمين الكتابة الحميرية بـ « كتابة المسند » ، حروفها منفصلة ترسم على هياة خطوط مستندة الى أعمدة ، ويرى العلماء ان الاقلام الثلاثة ، الثمودي والصفوي واللحياني ، قد اشتقت من المسند . والخط الحميري (المسند) هو أقدم الاقلام التي عرفت في جزيرة العرب حتى الآن ويرى كثير من العلماء انه مشتق من الابجديات الساميات الشمالية بينما يرى البعض انه مشتق من القلم الفينيقي .

الحويون : قوم من سلالة كنعان (تك ١٠ : ١٧) كانوا مستوطنين في كنعان، ومن مدنهم الرئيسة شكيم وجبعون (تك ٣٤ : ١ ؛ يش ١١ : ١٩) . انفرد الحويون من دون جميع سكان كنعان في مصالحتهم للموسويين وعملوا صلحا مع يشوع (يش ٩ : ٤ ــ ١٨ ؛ ١١ ١٩) . ولما اجتمع الملوك العموريون الخمسة وحاربوا الحويين اتى الموسويون لمعاونتهم وانقذوهم من أيديهم (يش ١٠ : ــ ١١ ؛ ١ ش ٢٨ : ٢١) . ويظهر من المآثر التوراتية ان بعض الحويين سكنوا جبل لبنان من جبل حرمون الى مدخل حماة (قض ٣ : ٣) . انظر : شكيم ، جبعون ، حرمون .

حوران : منطقة واسعة تقع شرقي الاردن تمتد شمالا الى الشرق من باشان من تجاه بحيرة طبرية الى منطقة دمشق ، اكثرها سهول متسعة مخصبة كثيرة المرعى وصخورها بركانية ذات مسام كثيرة فيها آثار قرى متعددة (خر ٤٧ : ١٦، ١٨) . اما حوران الحالية فتمتد تخومها جنوبا الى بصرى (بصرى الشام) ـ انظر باشان .

الحوريون : انظر ((هجرة الحوريين)) في الفصل الاول ص ٩٥ ــ ٩٧ .

الحيثون : انظر هجرة الحيثيين في الفصل الاول ، ص ٩٧ ــ ١٠١

حيرام : احد ملوك صور المشهورين كان معاصرا لداود وسليمان وصديقا لهما سياسيا ، في زمنه بلغت صور أوج ازدهارها ، وتشير التوراة الى ان حيرام امد داود بالمواد اللازمة لبناء قصر له (٢ صم ٥ : ١١ ؛ ١ أخ ١٤ : ١) وساعد سليمان في بناء الهيكل (١ مل ٥ : ١ ــ ١٢) . اعطى سليمان حيرام عشرين مدينة في ارض كنعان لقاء اعماله الا انها لم تحسن في عين حيرام فقال ما هذه المدن التي اعطيتني يا أخي (٩ : ١١ ــ ١٣) .

خابور نهر جوزان : احدى المناطق التي ذكرت التوراة ان الاشوريين نقلوا اليها قسما من اليهود واسكنوهم فيها ومن بينهم النبي حزقيال (٢ مل ١٧ : ٦) ، والارجح انها نفس منطقة كوزان القديمة في اعالي نهر الخابور في شمال سورية ، وقد وردت مقرونة مع حاران المنطقة المجاورة لهامن الغرب (٢ مل ١٩ : ١٢) (انظر تل حلف ، حاران) .

الخليل : انظر حبرون

داجون : اسم صنم مشهور عند الفلسطينيين كانوا يعبدونه في غزة وفي اشدود (قض ١٦ : ٢٣ ؛ ١ صم ٥ : ١ ــ ٣) وفي بيت داجون من أرض يهوذا واشير (يش ١٥ : ٤١ ؛ ١٩ : ٢٧) . وكان ما يرى رأس انسان ويدي انسان وجسم سمكة . والارجح ان تسميته مشتقة من داج بمعنى سمكة كبيرة . وفي تاريخ اليهود ان الصنم سقط وانكسر لما وضع الفلسطينيون تابوت عهد الرب الى جانبه (١ صم ٥ : ١ ــ ٣) .

دان : هو ابن يعقوب من بلهة جارية راحيل ، ابنها الثاني (تك ٣٥ : ٢٥) .

داود : هو الملك داود الذي ورد ذكره في التوراة ووصفته بانه « ابن ذلك الرجل الافراتي من بيت لحم يهوذا الذي اسمه يسى وله ثمانية بنين » منهم داود كان يرعى غنم ابيه في بيت لحم (١ صم ١٧ : ١٤ ــ ١٥) وتقص التوراة قصة طويلة عن صلته بالملك شاؤل أول ملك على اسرائيل وزواجه من ابنته ثم الحرب الطويلة بين بيت شاؤل وبيت داود حتى انتهى الامر بان فاز داود بالملك بعد موت شاؤل في حربه مع الفلسطينيين فحكم اربعين سنة منها سبع في حبرون وثلاث وثلاثون في أورشليم (١ مل ٢ : ١١) . وقد حدد زمن حكم داود بين سنة ١٠١٠

وسنة ٩٧١ ق.م. على وجه التقريب

دفقة : محلة وقف عندها الموسويون بعد خروجهم من مصر ، تقع في مدخل جبل سيناء في وادي فيران ، كانت فيها مناجم النحاس التي كان يستثمرها المصريون منذ اقدم الازمنة (انظر سيناء) . وقد اكد اللغويون ان كلمة دفقة تعني بالعبرية « موقع صهر المعادن » ، انظر :

Keller, "The Bible as History", p. 132.

دلمون : اسم منطقة ورد ذكرها في المدونات السومرية يرجح أن مكانها في البحرين . وقد جاء في قصة سومرية أن بلاد دلمون كانت جزيرة تتمتع بقدسية خاصة عند السومريين وكانت فيها آلهة تعبد لها اهل العراق . وقد وصفت كونها ارض الخلود . وقد ورد ذكر دلمون هذه مع موضع آخر في سواحل الخليج العربي يسمى « مجان » يعتقد انه موضع عمان الحالي (انظر مجان)

دمشق : هي اقدم مدن سورية واشهرها ، ذكر ان بانيها عوص بن ارام بن سام ، تبعد نحو ١٢٢ ميلا الى الشمال الشرقي من اورشليم ونحو ٦٠ ميلا من البحر المتوسط يحيط بها من الشمال والشرق والجنوب سهل مخصب يسقيه ماء نهري بردي والاعوج ، ا سمها المصري القديم « دمسكو » ، زارها ابراهيم الخليل (تك ١٤ : ١٥) ، وقيل انه حكم فيها افتتحها داود لمدة محدودة من الزمن (٢ صم ٨ : ٥ ـ ٦) ، ثم اتخذها الاراميون عاصمة لهم ، فلعبت في عهد ملكها ابن هداد (بنهداد) (٨٧٩ ـ ٨٤٣ ق.م.) دورا مهما في سياسة الشرق الادنى حيث تمكن هذا الملك من بسط نفوذه على البلاد المجاورة فعقد معها احلافا للعمل معه في القتال ضد اطماع الاشوريين ، واستطاع خلفه من صد هجومين قام بهما شلمنصر الثالث سنة ٨٤٢ وسنة ٨٣٨ وهاجم اسرائيل ويهوذا الا ان الاشوريين تمكنوا اخيرا من التغلب على الاراميين ، فاحتل تغلث فلاسر الثالث سنة ٧٣٢ ق.م. مدينة دمشق بعد حصار دام حوالي سنتين وقتل آخر ملوك دمشق المدعو رصين وسبى أهل المدينة وقضى على الحكم الارامي في دمشق نهائيا . وبعد الاشوريين استولى الفرس على المدينة ثم غزاها الاسكندر واحتلها بعد موقعة اسوس سنة ٣٣٢ ق.م. ثم ضمت الى مملكة السلوقيين ، وضمها بعد ذلك بومبي الى الامبراطورية الرومانية (٦٤ ق.م.) ، استولى عليها العرب بقيادة ابي عبيدة بعد معركة اليرموك سنة ٦٣٥م . وكانت من اهم المدن الاسلامية ابان الحكم الاموي (٦٦١ ـ ٧٥٠ م .) ، اسقطها هولاكو سنة ١٢٦٠ م . ثم حاصرها تيمورلنك ونهبها جنوده سنة ١٤٠٠ م . ، خضعت للحكم العثماني (١٥١٦ ـ ١٩١٨ م .) ، احتلها الانكليز سنة ١٩١٨ م .

رأوبين : هو بكر يعقوب لليئة (تك ٢٩ : ٣٢)

رصين : احد ملوك ارام اشهر حربا على ملك يهوذا وحاصر عاصمته اورشليم في ايام ملكها آحاز فاستنجد آحاز بملك آشور تجلاث بلاسر الثالث

(٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق.م.) فجرد على رصين حملة قوية قضت عليه وعلى جيوشه (٢ مل ١٥ : ٣٧ و ١٦ : ٥ ـ ٩) اش ٧ : ١ـ ٨ و ٨ : ٦ و ٩ : ١١ ؛ (انظر دمشق) .

رعمسيس : هو اسم المدينة التي سخر ملك مصر رعمسيس الثاني (١٣٠٠ ـ ١٢٣٣ ق.م.) بقايا الهكسوس لبنائها وسميت باسمه ، كان موقعها في شمال الدلتا الشرقي ، وقد عرفت بمدينة المخازن (خر ١ : ١١) . وفي زمن هذا الملك كان خروج الموسويين من مصر بقيادة موسى النبي (١٢٩٠ ق.م.) ، وكانت رعمسيس المدينة التي غادروها من مصر (خر ١٢ : ٣٧ ؛ ٣٣ : ٣) . ويعتقد أن فرعون مصر اتخذ هذه المدينة مخزنا تجمع اليه الحنطة ، والارجح انها كانت محصنة لتكون اهراؤها في أمن من طوارىء الحدثان . ويرى الخبراء أن موقع مدينة رعمسيس هو نفس موقع مدينة (افارس) عاصمة الهكسوس في مصر (انظر هوارس) .

الرفائيون : هم من الاقوام الكنعانية القديمة مساكنهم في منطقة باشان (تك ١٤ : ٥) الواقعة شرقي الاردن (انظر باشان) ، كانوا يقطنون في بلاد موآب قبل ان يحتلها الموآبيون انسال لوط ، وكان الموآبيون يدعونهم « أ يميين » (تث ٢ : ١٠) ، وصفوا في التوراة في كونهم عشيرة كبيرة من الجبابرة كان لهم ملك يدعى « عوج » كان جبارا قامة وبأسا (تث ٣ : ١١) ، حاول ان يمنع مرور الموسويين من ارضه على عهد موسى (تث ٣ : ١) غير انه هزم وقتل هو وبنوه وطرد اتباعه من وطنهم (عد ٢١ : ٣٤ ؛ تث ١ : ٤) . وكانت تسكن مع الرفائيين في باشان عشيرتان كنعانيتان تسميان بالجشوريين والمعكيين بقيتا في مساكنهما في وسط الموسويين دون أن تمسا باذى (يش ١٣ : ١٢ ـ ١٣) .

رفح : مدينة قديمة على حدود مصر الشرقية بشبه جزيرة سيناء على البحر المتوسط بين غزة والعريش ، اسمها « رابح » بالمصري القديم « ورافيا » باليونانية ، جرت بقربها واقعة حربية بين بطليموس الرابع وانطيوخس الثالث (الاكبر) سنة ٢١٧ ق.م. وقد عثر في المدينة على اطلال حمامات من العصر الروماني وكنيسة من العصر المسيحي .

رفيديم : محطة في سيناء وقف عندها الموسويون بعد خروجهم من مصر (خر ١٧ : ١) ، فيها كانت أول وقعة بين الموسويين والعماليق (خر ١٧ : ٨ ـ ١٣)، والى رفيديم جاء يثروب حمو موسى مع اهل بيته ونزلوا ضيوفا على موسى (خر ١٨ : ١ ـ ١٢) (انظر سيناء) .

الرها ـ مدينة قديمة من مدن بلاد ما بين النهرين كانت تقع في مكان أورفة الحالية في تركيا ، كانت تعرف باسم « الرهو » في القرن الرابع قبل الميلاد ، وسماها سلوقس الاول «ايديسا» (Edesse) . ثم صارت بعدها مدينة رومانية وفيها هزم الامبراطور فاليريان سابور الاول ملك الفرس . والرها أصبحت

مركزا للنصرانية في القرن الثالث الميلادي وسماها السريان باسم « اورهاي » واخذه عنهم العرب وقالوا « الرها » وتسمى اليوم « اورفة » (ابن العبري ص ٧)، كانت من المراكز الدينية الكبرى في عهد الانبراطورية البيزنطية ، افتتحها عياض بن غنيم سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) ثم استولى عليها الصليبيون سنة ١٠٩٨ للميلاد وجعلت اول المقاطعات اللاتينيه الا ان المسلمين عادوا فاستولوا عليها سنة ١١٤٤م وبقيت الرها مدينة مسيحية في ظل الاتراك (انظر اورفة) .

زبولون : هو ابن يعقوب من امرأته ليئة ، سادس أبنائها (**تك** ٣٠ : ٢٠ ؛ ٣٥ — ٢٣) .

زنجرلي : انظر سمال

زوحي : مملكة ارامية اسسها الاراميون على شواطيء نهر الفرات ما بين عانة ومصب نهر بليخ ضمت مدنا عديدة اهمها عانات (عانة) وخاريدي ورحوبوت (الرحبة) وشورا واشتهر من ملوكها حاباني . وكان حاباني قد عرض خضوعه للاشوريين الا انه شق عليهم عصا الطاعة فجهز آشور ناصربال (٨٨٤ — ٨٥٩ ق.م.) حملة قوية عليه واحتل بلاده ودمر معظم مدنه تدميرا كاملا ، ثم بنى قلعتين على الفرات وجعل فيهما حاميتين آشوريتين الواحدة على الضفة اليمنى والثانية على الضفة اليسرى .

الساسانيون : هم حكام الفرس اخلاف الفرثيين استحوذوا على حكم بلاد فارس وممتلكاتها ومن ضمنها العراق وذلك على اثر انتصار أردشير بن بابك بن ساسان على آخر ملوك الفرثيين سنة ٢٢٤ م ، وقد جعل أردشير طيسفون (المدائن) عاصمته الشتوية . وما ان استقر الساسانيون في الحكم حتى تجدد الصراع التقليدي بين الفرس والرومان ، فقام شابور الاول (٢٤١ — ٢٧٢ م) بهجومين على الرومان وصل في الاول الى انطاكية وتسلم الجزية من القواد الرومان ، وفي الثانية كسب المعركة الكبرى قرب الرها (اديسا) وفتح انطاكية وغنم غنائم كثيرة غير انه فشل عند رجوعه اخضاع ملك تدمر . وفي عهد شابور الثاني (٣٠٩ — ٣٧٩ م) الملقب بشابور ذي الاكتاف جرت معركة بينه وبين الامبراطور قسطنطين قرب سنجار انتصر فيها عليه واستولى على كثير من الحصون الرومانية والقلاع المنتشرة في الشمال . ولما تولى الامبراطور جوليان العرش الروماني جرد حملة وتقدم بها نحو الشرق ففتح نصيبين ومدن الفرات ونزل الى بابل وحاصر طيسفون وكانت معركة ضارية قرب جبال حمرين انكسر فيها الرومان وقتل جوليان وتراجع جيشه نحو انطاكية بعد تكبده خسائر فادحة في الارواح . واستولى الساسانيون على جميع بلاد الرافدين وعلى القلاع الشمالية في آمد ونصيبيين وبلاد ارمينية . وقد جرد كسرى المعروف بانوشروان ٥٣١ — ٥٧٩ م حملة على الرومان ففتح انطاكية ثم حارب البيزنطيين في أرمينيا كما تمكن الملك كسرى الثاني (٥٩٠ — ٦٢٨ م) من فتح مصر والاستيلاء على بلاد اسية

الصغرى ومحاصرة القسطنطينية الا أن هذا النصر لم يدم طويلا فنزل ملك بيزنطية الجديد الى دجلة وحاصر طيسفون وقتل فيها أنوشروان . وبموت أنوشروان تنازع أمراء الاقطاع على الحكم فيما بينهم مما أدى بالمملكة الى التدهور حتى جاءت الجيوش العربية الفاتحة فاستولت على العراق على اثر واقعة القادسية الشهيرة في حزيران عام ٦٣٧ م حيث دخل سعد بن ابي وقاص طيسفون وقضى بذلك على الحكم الساساني في العراق .

السامرة : المدينة الفلسطينية التاريخية المشهورة تقع على بعد ٣٠ ميلاً الى الشمال من أورشليم وستة أميال الى الشمال الغربي من شكيم (نابلس) كانت مركزا لعبادة الاصنام . استولى عليها الاشوريون سنة ٧٢٢ ــ ٧٢١ ق.م. وجلوا اليهود (٢ مل ١٨ : ٩ ــ ١٢) وأحلوا محلهم جماعات من بلاد بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب . ولما أخذها الاسكندر الكبير اسكن فيها سوريين ومكدونيين . وفي عهد المكابيين هاجمها يوحنا هيركانس الاول سنة ١٠٩ ق.م. وخربها ، ثم أعاد بناءها هيرودس الكبير (٣٧ ــ ٤ ق.م.) في زمن الرومان واسكن فيها مستعمرة مؤلفة من ستة الاف جندي وغير اسمها الى (سبسطيه) تخليدا لاغسطس قيصر الذي وهبه اياها . وفي القرن الثالث للمسيح أرسل اليها سبتمس سقرس مستعمرة رومانية . أما السامريون اليهود فقد انتقلوا الى شكيم وهي نابلس الحالية الواقعة على بعد حوالي تسعة كيلو مترات الى الجنوب الشرقي من السامرة وبنوا هيكلهم فيها على جبل جرزيم حيث مارسوا عبادتهم منعزلين عن يهود أورشليم الذين كانوا على خلاف ديني معهم فاشتدت العداوة بينهما . (انظر البحث عن السامريين وعقائدهم على الصفحات ١٥٢ ــ ١٥٤ . انظر ايضا ما يلي في هذا المعجم عن بلدة شكيم)

سبأ : انظر « معين وسبأ » و « حمير »

سلوقية (السورية) : هي المدينة التي انشأها سلوقس الثاني على الارجح وسميت باسمه « سلوقية » ، وقد أطلق عليها أسم « سلوقية پيرا » لتمييزها عن المدن الاخرى بهذا الاسم . انشئت على ساحل البحر المتوسط على بعد حوالي خمسة أميال من نهر العاصي لحماية مصبه في البحر ولتكون ميناءً لانطاكية (انظر انطاكية) . نقل اليها جثمان سلوقس الاول ودفن فيها وعبد كأحد الآلهة ، ثم أصبحت هذه المدينة مقبرة لخلفائه من سلالته . اتخذها الرومان قاعدة لاسطولهم .

سدوم : هي المنطقة التي كان يسكنها لوط ابن أخي أبرام (ابراهيم الخليل) (تك ١٤ : ١٢) وذلك عندما افترق لوط عن عمه إبرام فارتحل شرقا (تك ١٣ : ١١) ، ذكرت في التوراة في وصف تخوم أرض كنعان (تك ١٠ : ١٩ . ومن المرجح ان منطقة سدوم هذه كانت تقع شرقي بحر الملح (البحر الميت) في المنطقة التي صارت تعرف فيما بعد بارض موآب وعمون (انظر موآب ، عمون) . وقد

سردت التوراة قصة فحواها ان اربعة من ملوك المشرق وهم امراقل ملك شنعار وكدُرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم واريوك ملك الاسار هاجموا أرض كنعان منها ارض سدوم التي كان يحكمها الملك بارع (تك ١٤ : ١ – ٢) وتغلغلوا في جنوبي البلاد وضربوا الرفائيين في جبل سعير والعموريين والعمالقة في برية فاران ثم رجعوا الى قادش (قادش برنيع) (تك ١٤ : ٥ – ٧) واخذوا معهم لوطا ابن أخي أبرام (ابراهيم الخليل) وأملاكه ومضوا ، الا أن أبرام تصدى للغزاة هو ورجاله وتغلب عليهم ثم تبعهم الى بلدة دان الشمالية والى حوبة في شمال دمشق واسترجع لوطا وكل الاملاك (تك ١٤ : ١٣ – ١٦) واذا اعتبرنا أن عهد ابراهيم الخليل يقع في القرن التاسع عشر قبل الميلاد فيكون هذا الحادث قد عاصر عهد ايسن ولارسا في العراق (٢٠٠٦ – ١٨٠٠ ق.م.) حيث كان البابليون ملوك شنعار مسيطرين على بابل وايسن والعيلاميون مسيطرين على لارسا في سومر . ويرى البعض ان من المحتمل أن يكون المقصود بملك الاسار ملك لارسا .

سرديس : انظر ليديا

سكوت : موقعان بهذا الاسم الاول موضع في شرقي الاردن رحل اليه يعقوب بعد عودته الى فلسطين من فدان أرام وفيه بنى بيتا لذاته ومظلات لمواشيه ودعي اسم المكان سكوت (تك ٣٣ : ١٧) ، أما الموقع الثاني فهو أول محلات الموسويين بعد خروجهم من مصر (خر ١٢ : ٣٧ ؛ عد ٣٣ : ٥) فكانت سفر يوم من رعمسيس .

سلوام (بركة) : انظر جيحون

سلوقية (العراق) : هي المدينة التي اسسها سلوقس الاول حوالي سنة ٣١٢ ق.م. في العراق لاتخاذها عاصمة لانبراطوريته فسميت باسمه ، تقع على ضفة نهر دجلة اليمنى على بعد ٣٥ كيلو مترا من جنوب بغداد ، وتعرف أطلالها اليوم باسم « تل عمر » ، كان لها شأن عظيم في هذه البطاح مدة طويلة فاصبحت مركزا كبيرا للحضارة الاغريقية في الشرق وخلفت بابل بوصفها مركزا للتجارة بين الشرق والغرب . احتلها الفرثيون سنة ١٤١ ق.م. فابقوا عليها لكنهم اتخذوا طيسفون (المدائن) على الضفة المقابلة مشتى لهم وأعقبهم الساسانيون فاتخذوها عاصمتهم الشتوية ، وبقيت كذلك زهاء ثلاثة قرون حتى تم استيلاء العرب عليها بعد انتصارهم على الفرس في معركة القادسية . ومن بقايا عمارة الفرس في طيسفون الايوان الكبير المسمى « طاق كسرى » القائم حتى اليوم (انظر السلوقيون ، الفرثيون ، الساسانيون) .

السلوقيون : هم الحكام الاغريقيون اخلاف الاسكندر الذين حكموا بابل وسورية بعد موت الاسكندر ، أولهم سلوقس الاول (سلوقس نيكاتور) ٣٢١ – ٢٨٠ ق.م. كان قائدا من قواد الاسكندر ، فتح سوسيانا وميديا وبسط

نفوذه حتى نهري اوكسوس والسند . شيد له في حوالي سنة ٣١٢ ق.م. عاصمة في شمال بابل على الضفة اليمنى من نهر دجلة وسماها باسمه « سلوقية » كما اسس عاصمة اخرى في حوالي سنة ٣٠٠ ق.م. في جوار انطاكيه وسماها باسمه ايضا . وتعاقب على حكم مملكة السلوقيين نحو ثمانية عشر ملكا اشتهر منهم انطيوخس الثالث الملقب بالاكبر (٢٢٣ — ١٧٥ ق.م.) . وفي عهد خلفه وابنه انطيوخس الرابع (١٧٥ — ١٦٣ ق.م.) حاول هذا الملك في سنة ١٦٩ ق.م. محاولة القضاء على اليهودية في فلسطين وصبغ بلاد اليهود بالصبغة الهيلينية مما افضى الى ثورة المكابيين في فلسطين (١٦٧ — ٣٧ ق.م.) وقد غزا هذا الملك مصر مرتين الا ان تدخل روما ادى الى ارغامه على الانسحاب منها ومن قبرص . ثم استغل الفرس ضعف المملكة بعد ان فقدت القسم الشرقي منها فظهر منهم الفرثيون امراء الاقطاع واخذوا يزدادون قوة حتى تمكنوا من احتلال العراق سنة ١٤١ ق.م. والقضاء على حكم السلوقيين (انظر المكابيون ، الفرثيون) .

سليمان : هو الملك سليمان بن الملك داود من امرأته الحيثية « بشبع » التي كانت امراة « اوريا الحثي » (٢ صم : ٩ ، ٢٤) ، وتذكر التوراة انه حكم اربعين سنة في اورشليم ، وهو الذي اشتهر ببناء الهيكل هناك . تقع فترة حكمه بين سنة ٩٧١ و ٩٣١ ق.م. على وجه التقريب . (انظر داود) .

سمال : مدينة ارامية قديمة كانت مركزا لاحدى الدويلات الارامية في شمال سورية تقع اطلالها عند جبل « امانوس » غربي عينتاب وتعرف اليوم باسم « زنجرلي » ، وقد ازدهرت المدينة في القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد ، فورد ذكر اسماء بعض ملوكها منهم « شعيل » و « كيلاموا » وقد عثر على كتابة تعود الى عهد كيلاموا سجل فيها انتصاراته على الدويلات المجاورة له فاشاد فيها بازدهار مملكته . كما ورد اسم ملك آخر يدعى « حياني » في كتابة للملك شلمنصر الثالث (٨٥٩ — ٨٢٤ ق.م.) ادعى شلمنصر فيها انه اخذ الجزية منه . ومن اخبار القرن الثامن قبل الميلاد ان شخصا يدعى « عازريان » استولى على الحكم في سمال وشكل اتحادا مع الدويلات المجاورة لمقاومة الغزو الاشوري ، الا ان الاشوريين في عهد ملكهم تغلاث فلاسر الثالث (٧٤٦ — ٧٢٧ ق.م.) تمكنوا من القضاء على الحركة وقبضوا على عزريان وأعدموه سنة ٧٣٨ ق.م. واعادوا الملك الشرعي المدعو فنامو الثاني وقد نقل ابنه « بار ركوب » هذه الحوادث في كتاباته . وقد عثر على آثار حريق في المدينة مما يدل على أنها انقرضت في ظروف غامضة فانقطع كل ذكر لها في عهد شلمنصر الخامس (٧٢٧ — ٧٢٢ ق.م.)والظاهر انه شيد بعد ذلك بلاط جديد حيث وجد على باب المدينة نصب اقامه سرجون الثاني (٧٢٢ — ٧٠٥ ق.م.) يشيد فيه بامجاد عهده المزدهر وذلك بعد قضائه على الممالك الارامية وضمها الى الانبراطورية الاشورية .

السنهدرين : المجمع اليهودي الديني الاعلى (انظر الفصل الثالث ص ١٥٠)

السوس (سوسه) : عاصمة عيلام الايرانية القديمة تقع بقاياها جنوب

غربي ديزفول على الضفة اليسرى لنهر الكرخه كانت تعرف عند اليونانيين باسم « سوسه » تسمى اليوم باسم « شوش » ، وقد ورد ذكرها في التوراة باسم « شوش القصر » ، لعبت دورا سياسيا مهما في علاقاتها مع بلاد سومر واكد حيث تبادل الطرفان استيلاء الواحدة على الاخرى في فترات محدودة . افتتح المدينة آشور بانيبال عاهل آشور في القرن السابع قبل الميلاد ، ثم صارت للبابليين بعد اقتسام المملكة الاشورية في ايام كياخسار ملك الماذيين ونبوبلسر الكداني ، ولكنها استعادت وجودها في عهد الحكام الاخمينيين في فارس ثم استولى عليها الاسكندر وبعده أنطيوخس ، الا انها عادت فاشتهرت في عهد الانبراطورية الرومانية فتحها المسلمون سنة ٦٤٠ م . ومن أهم ما عرفت به آثارها حجر قانون حمورابي الذي اكتشفه فيها دي مورجان الفرنسي كما عثر فيها على كثير من النقوش والكتابات باللغة العيلامية (انظر العيلاميون) .

سورية : أول من سمى بلاد سورية باسمها هذا اليونان مع ان اوميروس شاعرهم سمى سكانها اراميين . وقد سماها هيرودوتس سورية ايضا وتابعه في ذلك سائر اليونان والرومان . وقد سميت كذلك نسبة الى صور مينائها البحري الشهير فابدل الصاء بالسين لعدم وجود الصاد باللغة اليونانية ويرى آخرون ان التسمية نسبة الى اسور او اسيريا بلاد الاشوريين لان الاشوريين كانوا يتولون أعمال سورية فنسبوا سورية اليهم . وقد ورد ذكر سورية في العهد القديم باسم ارام نسبة الى ارام خامس ابناء سام بن نوح .

(« تاريخ سورية » للمطران يوسف الدبس ، ج١ ، م١ ، ص ١١ — ١٣) .

سيحون : ملك العموريين الذي تغلب عليه الموسويون في عهد موسى واستولوا على عاصمته حشبون (انظر عمون ، حشبون)

سين : وردت في التوراة باسم « برية سين » وصلها الموسويون في خروجهم من مصر بعد أن اجتازوا بحر سوف وبرية شور ومارة وايليم .

سيناء : هي شبه جزيرة سيناء المشهورة تقع شمال شرقي مصر ، اسمها مشتق من اسم اله القمر « سين » معبود اهل جزيرة العرب وهذا ما يشير الى اتصالها بهم منذ ازمان بعيدة . كان لشبه جزيرة سيناء موقع جغرافي خطير يجعلها بمثابة حلقة الوصل بين دول آسيا وبين دول افريقيا . تشكل مثلثا مساحته ٥٦ الف كليومتر مربع قاعدته البحر المتوسط وضلعه الشرقي خليج العقبة وضلعه الغربي خليج السويس ورأسه عند نقطة مفترق الخليجين في البحر الاحمر . وفي وسط هذا المثلث بين الخليجين سلاسل جبلية متجهة من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي يتخللها عدد من الاودية يتجه معظمها نحو الشمال واهمها وادي العريش الذي ينتهي الى البحر بالقرب من العريش . اما الجبل الذي صعد اليه النبي موسى لتلقي الشريعة والمسمى جبل سيناء وجبل الله فيقع في احدى قمم هذه السلاسل (خر ٢٤ : ١٣ ، ١٦ ، ١٨) . وفي برية سيناء

عند سفح جبل سيناء نزل الموسويون (عدد ١ : ١ ؛ ٣ : ١٤ ؛ ٣٣ : ١٥ ؛ خر ١٠ : ١٢ ؛ ١٩ : ١ـ٢) ، وقد سميت أيضا «برية سين» (خر ١٧ : ١) . وقد استعملت في التوراة كلمة حوريب للدلالة على سيناء ايضا ، فقيل حوريب وجبل حوريب وحوريب جبل الله بنفس معنى سيناء وجبل سيناء وسيناء جبل الله (خر ٣ : ١ ؛ ١٧ : ٦ ؛ ٣٣ : ٦ ؛ ١٩ : ١٨ ـ ٢٣ ؛ ٢٤ : ١٦؛ لاويين ٧ : ٣٨ ؛ ٢٥ : ١ ؛ تث ١ : ٢ ـ ٦ ؛ ١٩ ؛ ٤ : ١٠) .

وكانت مصر الفراعنة تعتمد على سيناء في الحصول على المعادن حيث كانت لها هناك مناجم للنحاس والفيروز وبعض الاحجار منذ أقدم الازمنة ، فتدل الاكتشافات التي توصل اليها علماء الاثار ان سمرخت سابع ملوك الاسرة الاولى التي تبدأ في حوالي سنة ٣٢٠٠ ق.م. كان أول فرعون معروف عنه انه زار مناجم شبه جزيرة سيناء ، كما تدل على ان اربعة من ملوك الاسرة الخامسة وهم « ساهور » و « نوسيري » و « منكوهور » و « أيسيسي » وكذلك الملك پيبي الاول ، ثالث ملوك الاسرة السادسة زاروا في الفترة (٢٩٦٥ ـ ٢٦٣١ ق.م.) شبه الجزيرة ايضا (اولمستيد ، تاريخ سورية وفلسطين) .

وفي شبه جزيرة سيناء عبد المصريون الالهة « حاتحور » (Hathor) وجعلوها ربة للمناجم التي استغلوها في ارض سيناء . وقد عثر على كتابة على جدار المعبد الذي اكتشف قرب المنجم تحمل اسم رعمسيس الثاني (١٣٠٠ ـ ١٢٣٣ ق.م.) مما يدل على أن هذا الملك جدد استغلال المنجم . ويعتقد أن المحطة التي ورد ذكرها في التوراة باسم « دفقة » والتي مر بها الموسويون بعد خروجهم من مصر تقع عند المنجم المذكور (انظر دفقة) ، كما اكتشف في شبه جزيرة سيناء في منطقة المناجم في الموضع المسمى « سرابيط الخادم » على اقدم كتابة كنعانية بالاحرف شبيهة بالكتابة المصرية ، وهذه كانت نواة الاحرف الهجائية طورها وهذبها الفينيقيون واخرجوا منها الحروف الابجدية التي اذاعوها على العالم ، وهي الالف باء المعروفة بنفس هذا الاسم في اللغات الغربية أيضا (انظر « العرب مخترعو الحروف الهجائية » الفصل الثاني) .

السينيون : سبط متسلسل من كنعان سكنوا في فلسطين منذ اقدم الازمان وقد ورد في التوراة ذكر السيني بصفة احد اولاد كنعان (تك ١٠ : ١٧ ؛ ١ أخ ١ : ١٥) .

شاؤل : تذكر التوراة انه اول ملك على اسرائيل عينه صموئيل آخر كبار القضاة بناء على طلب الشعب ، ولكن كان على الملك ان يحكم وفق أوامر يهوه اله اسرائيل ولما اهمل هذا الملك الرضوخ لاوامر يهوه المنقولة على يد صموئيل خذله الرب واوقعه بيد اعدائه الفلسطينيين فاندحر امامهم فقتل هو وأولاده الثلاثة في المعركة وتشير التوراة الى انه مات منتحرا بعد جرحه . وكان حكم شاؤل قد استمر حوالي ١٥ سنة بين سنة ١٠٢٥ و ١٠١٠ على وجه التقريب (١ صم

٣١ : ١ - ١٠ ؛ ١ اخ ١٠ : ١ - ١٠ ؛ ٢ صم ١ : ٦ - ١٠) . وقد تقلد الحكم الملك داود خلفا لشاؤل (انظر داود) . ويلاحظ أن احد ملوك الادوميين كان يدعى شاؤل ذلك مما يدل على أن تسمية شاؤل تسمية عربية سامية ترجع الى ما قبل مصر موسى واليهود وقد تسمى بها الموسويون بعد اقتباسهم الثقافة الكنعانية .

شكيم : هي نابلس الحالية تحريفا عن اسمها اليوناني (نياپولس) ، اي المدينة الجديدة ؛ تقع على بعد حوالي ٦ اميال من جنوب السامرة وعلى بعد ٣٤ ميلا الى الشمال من اورشليم ، كانت احدى المدن القديمة من أرض كنعان عدها البعض العاصمة الطبيعية لبلاد كنعان لوقوعها في وسط فلسطين ، كما اعتبرت بلدة حاصور العاصمة الطبيعية لشمال كنعان (انظر حاصور) . وكان سكان شكيم الحويون وهم قبيلة من الكنعانيين (انظر الحويون) . وقد عثر الاركيورجي الالماني (E. Sellin) سنة ١٩١٣ - ١٩١٤ على اطلال المدينة التي شخصت في موضع « البلاطة » بالقرب من نابس وتمكن من تتبع اثار جدارها الذي ارجع تاريخه الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد (Keller, p. 8) . وشكيم هي اول مدينة في كنعان دخلها ابراهيم الخليل بعد رحيله من حاران قاصدا كنعان فبنى مذبحا للرب فيها ثم ارتحل الى الجنوب (تك ١٢ : ٦ - ٨) . وعندما اتى يعقوب من فدان أرام نزل امام شكيم وابتاع من بني حمور ابي شكيم حقلا نصب فيه خيمته واقام هناك مذبحا للاله دعاه ايل اله اسرائيل (تك ٣٣ : ١٨ - ٢٠) وصار هذا الحقل فيما بعد لبني يوسف ودفنت عظام يوسف فيه (يش ٢٤ : ٣٢) وقد حدث نزاع بين بني يعقوب واهل شكيم بسبب تحرش شكيم بن حمور الحوي باختهم دينة فهجم ابناء يعقوب على شكيم وقتلوا حمورا وشكيما ونهبوا مدينة شكيم وكل ما في البيوت وسبوا اهلها ، وعلى اثر ذلك هجر يعقوب وعشيرته شكيم وسكن بيت ايل حيث بنى مذبحا للاله ايل (تك ٣٤ : ٢٥ - ٢٩ ؛ ٣٥ : ١ - ٨) . وقد اتخذ يربعام أول ملك على اسرائيل بعد الانقسام مدينة شكيم عاصمة له . ويعتقد ان القبر الحالي ليوسف في نابلس مستحدث وان عظام يوسف نقلت من شكيم الى مغارة المكفيلة في حبرون (أ نظر حبرون) . وبعد السبي صارت شكيم مركز العبادة السامرية (انظر السامرة) .

شمعون : هو ابن يعقوب من امراته ليئة ، ثاني ابنائها (تك ٢٩ - ٣٣ ؛ ٣٥ : ٢٣) .

شور : وردت باسم « برية شور » في التوراة وهي تقع مقابل مصر ما بين تخمها الشمالي الشرقي وارض كنعان وقد قطع الموسويون هذه البرية بعد عبورهم بحر سوف (خليج السويس) في خروجهم من مصر مسيرة ثلاثة ايام دون أن يجدوا ماء (خر ١٥ : ٢٢) ، وقد سمت هذهالبرية باسم برية ايثام أيضا (عد ٣٣ : ٨ ؛ ١ صم ١٥ : ٧ و ٢٧ : ٨) (انظر ايثام) . وقد ورد ذكر عين الماء في البرية التي في طريق برية شور في قصة هرب هاجر من وجه ساراي (تك ١٦ : ٧) وصار هذا المكان بعدئذ مسكن الاسماعيليين « من حويلة الى شور التي امام

مصر » (تك ٢٥ : ١٨ ؛ ١ صم ١٥ : ٧ ؛ ٢٧ : ٨) ، وكذلك سكن ابراهيم بين قادش وشور وتغرب في جرار (تك ٢٠ : ١) وسكن اسحاق عند بئر لحي رئي قرب برية شور (انظر بئر لحي رئي) .

شيلوة : مدينة شمالي بيت ايل (قض ٢١ : ١٩) وتسمى الان سيلون وهي تبعد ١٧ ميلا شمالي أورشليم انتخب يشوع شيلوة مقرا لتابوت العهد والخيمه .

الصدوقيون : هم فرقة من الفرق اليهودية نسبتهم الى رائدهم الاول « صدوق » ، ظهرت في عهد المكابيين (انظر المكابيون) ، كانت تنتمي اليها طبقة الكهنة وبعض الكتبة من اليهود الذين يميلون الى مسالمة الرومان ، وكان لها في السنهدرين ممثلون نحو عشرين عضوا من أصل سبعين عضوا (انظر السنهدرين) . ينكر منتسبوها البعث والنشور والقيامة لاعتقادهم بان عقاب العصاة واثابة المحسنين يحصلان في حياتهم وهم يخالفون الفريسيين الذين يعتقدون بالقيامة وبالروح وبالملائكة (انظر الفريسيون) ، كما انهم يخالفونهم برفضهم كل ما ياتي به الشيوخ والكتبة مما هو خارج اسفار موسى الخمسة ، وهم في هذه الناحية يتفقون مع السامريين على صعيد واحد ، اذ كلاهما لا يقبل من التوراة غير الاسفار الموسوية الخمسة (انظر السامريون) . ومن الصدوقيين نبتت بعد تسعة قرون تقريبا فرقة القرائين في بغداد العباسية والقراؤون لا يقولون بالتلمود (انظر القراؤون) (عجاج نويهض « بروتوكولات حكماء صهيون » م٢ ، ص ١٣٤ — ١٣٥) .

صهيون : اسم رابية جنوب غربي أورشليم كان اليبوسيون أبناء عمومة الكنعانيين قد اقاموا حصنا عليها ويراد به أحيانا كل أورشليم (« مدينة داود هي صهيون » ١ مل ٨ : ١) ، وبقي هذا الحصن بيد اليبوسيين حتى استولى الملك داود عليه فبنى هناك قلعة وقصرا وموضعا لتابوت العهد (٢ صم ٥ : ٧ ، ١١ ؛ ١ مل ٨ : ١ ؛ ٢ مل ١٩ : ٢١ ، ٣١ ؛ ١ أخ ١١ : ٥ ؛ ٢ أخ ٥ : ٢) وسمى المدينة باسمه اي مدينة داود ، ثم بني في الزاوية الشمالية الغربية قصر لهرودس سمي دار الولاية لان الوالي الروماني كان يسكنه ، والى الشمال من هذه الدار كانت ثلاث قلاع شهيرة تسمى احداها الان قلعة داود ، ويوجد الان في جوار مدينة اورشليم واد يسمى وادي صهيون (انظر اليبوسيون) .

صوبة وارام صوبة : مدينة من المدن السورية القديمة معناها « نحاس » ، يعرف موضعها اليوم باسم « عنجار » في البقاع جنوب زحلة . كانت عاصمة لمملكة أرامية تعرف بهذا الاسم ازدهرت في القرن العاشر والتاسع قبل الميلاد ، ورد في التوراة ذكر احد ملوكها في عهد الملك داود باسم « هدد عزر بن رحوب » وافادت التوراة ان الملك داود اخضعها واستغل مناجم النحاس فيها (٢ صم ٨ : ٣ ، ٨) .
صور : مدينة فينيقية شهيرة مبنية على جزيرة (أو جزيرتين) طولها ميل

واحدة موازية للشاطيء اللبناني على بعد نصف ميل منه ، وكان لها قسم ايضا على الشاطيء ، تقع على بعد ٤٥ ميلا الى الجنوب من بيروت و ٢٠ ميلا الى الجنوب من صيدا (انظر صيدون) . يرجع تاريخها الى حوالي القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد وكانت مدينة محصنة تذكر غالبا مع صيدا (يش ١٩ : ٢٩) كان حيرام ملك صور قد زود سليمان بخشب ارز وخشب سرو وبالصناع الصوريين للعمل في اسرائيل فمنحه سليمان لقاء خدمته هذه عشرين مدينة في شمالي الجليل الا ان حيرام لم يرض بها فسماها كابول (١ مل ٩ ١١ – ١٣) . هاجم شيلمنصر الخامس (٧٢٧ – ٧٢٢ ق.م.) صور ودام الحصار خمس سنوات غير انه لم يفز باخذ المدينة ، ثم حاصرها نبوخذنصر ١٣ سنة كان انتهاؤها سنة ٥٩٢ ق.م. ، كما حاصرها الاسكندر (٣٣٣ – ٣٣٢ ق.م.) فملاء البوغاز بين الشاطيء وبين الجزيرة واخذها بعد حصار دام سبعة اشهر فقتل كثيرا من اهلها وباع كثيرا منهم عبيدا واحرقت المدينة بالنار (حز ٢٦ : ١٢ ؛ يوئيل ٣ : ٨ ؛ زك ٩ : ٤) . ثم وقعت بيد السلوقيين والرومانيين فازدهرت تحت حكم الرومان بعد سنة ٦٤ ق.م. فتحها العرب في خلافة عمر سنة ٦٣٨ م واستولى عليها الصليبيون سنة ١١٢٤ م . ثم استرجعها صلاح الدين . وصور وطن اقليدس الفيلسوف اليوناني الشهير .

الصيثيون : ويقال لهم الاسكيثيون ايضا قبائل غير متمدنة كانت لغتها هندية اوربية في جنوبي روسية و في الاقاليم الواقعة شرق بحر اورال وقد عدها بعض المؤرخين امة ياجوج وماجوج لان ياجوج وماجوج تعم المغول وتكثر في لغتهم الجيم وخصوصا الاسماء مثل « باجو » القائد المغولي الذي احتل الجانب الغربي في بغداد مع هولاكو . كان الاشوريون قد تحالفوا مع الصيثيين لصد هجمات الماذيين والكلدانيين عليهم ولكن الصيثيين خانوا بعهدهم وغدروا بملك آشور وانحازوا الى أعدائه في هجومهم الاخير على نينوى عاصمة الدولة الاشورية حتى تم سقوطها سنة ٦١٢ ق.م.

صيدون (صيدا الحالية) : مدينة فينيقية قديمة مبنية على ساحل البحر المتوسط تقع على بعد ٢٥ ميلا جنوبي بيروت و ٢٠ ميلا شمالي صور ، كانت تعد من اقدم مدن العالم وسميت في ايام يشوع صيدون العظيمة او الكبرى (يش ١١ : ٨ ؛ ١٩ : ٢٨) . وكانت حينئذ أم المدن الفينيقية فكانت صور من مستعمرات صيدون وكثيرا ما ورد اسم هاتين المدينتين معا (انظر صور) . وقد اشتهرت صيدون بالتجارة والملاحة والصناعة واعان الصيدونيون في بناء هيكل سليمان ، ومما ذكر في التوراة أن الصيدونيين كانوا يفسدون اليهود ويقودونهم الى عبادة الاوثان حتى استمالوا الملك سليمان الى بناء الهياكل الى آلهة زوجاته الغريبات (١ مل ١١ : ٥ ، ٣٣ ؛ ٢ مل ٢٣ : ١٣) . وازدهرت صيدون مدة الحكم الاشوري والفارسي استولى عليها الاسكندر سنة ٣٣٣ ق.م. وكانت لصيدا أيام الرومانيين ولاة ومجلس أعيان ، وفي العهد الجديد سميت صيدا وزارها

٢٠٢

المسيح (ع) ، فتحها العرب في خلافة عمر (٦٣٨ م .) اغتصبها الصليبيون وحررها صلاح الدين (١١٨٢ م.) ، دمرتها الزلازل سنة ١٨٣٧ م. وأعاد بناءها سليمان باشا ، زادت اهميتها بعد مد خط انابيب الزيت اليها .

صين (برية) : ورد ذكر هذه البرية في التوراة في قصة خروج الموسويين من مصر ، وهي من ضمن منطقة التيه سميت ايضا برية جعفر (عد ١٣ : ٢١ و ٣٤ : ٣) ، كانت على تخوم جنوب فلسطين غربي بلاد أدوم (يش ١٥ : ١ و ٣ ؛ عد ٢٠ : ١ و ٢٧ : ١٤) . وقد ذكرت برية صين مقرونة بالتيه في برية فاران (عد ١٣ : ٢٦) . وكانت برية صين زاوية التيه الشمالية الشرقية وفاران اسم لكل التيه (انظر فاران) .

طبرية : احدى المدن الاربع في فلسطين التي يقدسها اليهود ، اما الثلاث الاخرى فهي القدس والخليل (حبرون القديمة) وصفد . تقع طبرية شمال شرقي فلسطين على بحر الجليل الغربي الجنوبي (بحيرة طبرية حاليا) على بعد اربعة اميال من طرفه الجنوبي (انظر بحر الجليل) . شيدها انتيباس بن هيرودوس الادومي المعتمد الروماني في منطقة الجليل سنة ١٦ ـ ٢٢ م . وسماها طبرية على اسم الامبراطور طيباريوس . كانت مدينة ذات شأن في ايام المسيح ذكرت مرة في الانجيل (يوحنا ٦ : ٣) ، وبعد تدمير أورشليم سنة ٧٠ م أصبحت مركزا لليهود حيث انتقل مجمع السنهدرين من أورشليم الى طبرية وهناك جمعت المشنة (انظر سنهدرين) . وفي اثناء حرب اليهود مع الرومانيين حصن يوسيفوس طبرية سنة ٦٧ م . وفي عهد الصليبيين جرت عندها موقعة حطين التي انتصر فيها صلاح الدين الايوبي سنة ١١٨٧ م . فيها قبر النبي شعيب وقبر بنته وقبر ينسب الى سليمان بن داود وفيها ايضا كنيسة يقال انها بنيت على الموضع الذي كان فيه بيت بطرس . وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجمه قال عنها انها في لحف الجبل مشرفة على بحيرة طبرية وبين البحيرة والبيت المقدس نحو من خمسين ميلا .

طسم وجديس : من قبائل العرب البائدة ورد ذكرهما في المصادر التاريخية العربية مواطنهما اليمامة أو الاحقاف أو البحرين في رأي بعضهم . ومما ذكر أن طسماً وجديساً اخوين سكنا اليمامة معاً وهي اذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها. وقد ارجع بعض الاخباريين نسب طسم الى لاوذ بن ارم أو لاوذ بن سام وقد جعل بعض اهل الاخبار طسماً من أهل الزمان الاول أو من عاد (انظر عاد) .

طيبة : المدينة المصرية الشهيرة حاضرة مصر الجنوبية تمييزا لها عن أختها الشمالية «ممفيس» ، موقعها على شاطيء النيل الشرقي على مسافة حوالي ٦٥٠ كيلو مترا جنوبي القاهرة وحوالي ٥٠٠ كيلومتر جنوب « ممفيس » . وكانت طيبة العاصمة المقدسة تتمتع بالزعامة على القطر المصري بعد نشوء الامبراطورية في سنة ١٥٨٠ ق.م. حيث صارت عاصمة الامبراطورية . ومن مآثر هذا

العهد في طيبة المعابد الفخمة في الكرنك وكذلك المقابر الواسعة المبنية في الجانبين الغربي والشرقي في المدينة ، وفي عهد امنوفس الرابع (١٣٧٥ ــ ١٣٥٨ ق.م.): وهو الملك الذي دعا الى الوحدانية ، نقل مقر العاصمة الى العمرنة وهي اخت ــ أتون ، الا ان المدينة ظلت مزدهرة في العصور التالية حتى دهم الاشوريون مصر في القرن السابع قبل الميلاد فدمر اشور بانيبال مدينة طيبة . ثم غزا الفرس في عهد قمبيز مصر سنة ٢٥٢ ق.م. واستمر العهد الفارسي فيها حتى سنة ٣٣٢ ق.م. حيث فتح البلاد الاسكندر الكبير بعده . وفي أيام البطالمة تزعمتطيبة ثورةالصعيد عليهم فاخمدوا الثورة ، وثارت مرة أخرى على الرومان ايام واليهم كورنيليوس جاليوس فخرب ديارهم وهدم صروحها . فوصفها سترابون (٢٤ ق.م.) بقوله انها مدينة قديمة يزورها السائحون ليروا خرائبها وليستمعوا الى الصوت الذي يخرج من تمثالي « ممنون » (انظر ممفيس)

طيسفون : انظر سلوقية العراق .

عاد : قبيلة من القبائل العربية القديمة في شبه جزيرة العرب ورد ذكرها في القرآن الكريم ، يقول الرواة وأهل الاخبار انها من ضمن قبائل الطبقة الاولى وهي أقدم الطبقات بحسب تقسيم الاخباريين لقدم القبائل العربية وقد سميت بالعرب البائدة . ويكاد يتفق المؤرخون على أن هذه الطبقة تشتمل على اقدم القبائل العربية وهي عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن ينتمي اليهم وترجع الى ابناء سام . ويرد مع قوم (عاد) ذكر نبي منهم هو (هود) الذي ورد ذكره في عدة سور من القرآن الكريم ، وقد ظهر لينذر قومه ويردعهم عن تماديهم في عبادة الاوثان من دون الله تعالى فقابلوه بالسخرية والاستهزاء الى أن ارسل الله عليهم الريح العقيم سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فأهلكهم وأبادهم ، وقوم عاد الذين هلكوا هم عاد الاولى ، وأما عاد الثانية فهم سكان اليمن وقيل هم ثمود (انظر ثمود) . ويرجح أن مساكن (عاد) كانت تقع في أرض الاحقاف في شمال حضرموت وفي شمالها الربع الخالي وفي شرقها عمان . ويقول أهل حضرموت إن هوداً (ع) سكن بلاد حضرموت بعد هلاك عاد الى ان مات ودفن في شرقي بلادهم على نحو مرحلتين من مدينة تريم قرب وادي برهوت ، ولايزال هذا الموضع الذي يقال له قبر هود يزار حتى الان يقصده الناس من أماكن بعيدة في اليوم الحادي عشر من شعبان للزيارة . وأهل فلسطين يدعون انه دفن عندهم وقد بنوا له قبراً هناك . وزعم بعض الاخباريين أن (هوداً) هجر قومهجعد يأسه من قبولهم دعوته وانه ذهب مع من آمن به الى مكة ثم مات هناك فقبره بمكة مع قبور ثمانية وتسعين نبيا من الانبياء . وقد اتخذ القحطانيون هودا جدا من أجدادهم والحقوا نسبهم به وتفاخروا به . والمشهور من أقوال من يتعرضون للكلام عن قبيلة عاد وقوم هود انهم بادوا بعد ابراهيم الخليل (ع) وبناء البيت بمكة . وقد ورد اسم عاد في جغرافية بطليموس باسم (Oadita)

عاي : مدينة كنعانية ورد ذكرها في التوراة مع مدينة بيت ايل حيث نصب ابراهيم الخليل خيمته بين عاي وبين بيت ايل (تك ١٣ : ٣ ؛ ١٢ : ٨) ، وتسمى أيضا عياث (اش ١ : ٢٨) وعيا (نح ١١ : ٣١ . وكانت عاي شرقي بيت ايل وعلى بعد تسعة أميال شمالي أورشليم ، ويعرف موضعها اليوم باسم « خربة حيان » (انظر بيت ايل) .

العبري والعبيرو والخبيرو : انظر مسألة العبري والعبيرو في الفصل الخامس ص ٢٤٢ .

عبيل : قبيلة من قبائل العرب البائدة مثل « أميم » لا يعرف عنها غير ما ذكره الاخباريون ، فزعموا ان جماعة عبيل اخوان عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح أو اخوان عوص بن ارم (انظر عاد) وهم الذين اختطوا « يثرب » ، وكان الذي اختطها منهم رجل يقال له « يثرب بن بائلة بن مهلهل بن عبيل » . وذكر بعض السياح الاجانب ان في اليمن مكانا يقال له عبيل وقرية تقع على طريق صنعاء تعرف بعبال ، وهذان الاسمان قريبان من اسم عبيل .

عجلون : مدينة عمورية تقع على بعد عشرة أميال الى الشمال الشرقي من غزة ورد ذكر أحد ملوكها باسم « دبير » تعرف اليوم باسم « خربة عجلان » . وعجلون اسم ملك المؤابيين استعبد الموسويين ١٨ سنة (قض ٣ : ١٤) وأخذ اريحا (مدينة النخل) بتعاونه مع العمونيين والعمالقة وسكنها الى ان قتله اهود. ذكرها ياقوت الحموي فسماها عجلان ووصفها بأنها ضيعة بين بيت المقدس وعسقلان فيها قلعة حصينة خربها صلاح الدين لما استنقذ من الافرنج .

العدنانيون : يقول النسابون ان القبائل العربية التي لاتزال باقية تقسم قسمين : بنو قحطان وبنو عدنان ، والقحطانيون هم بنو يعرب من قحطان رأس قبائل اليمن في الجنوب ، اما العدنانيون فهم القبائل الشمالية وينتسبون الى اسماعيل بن ابراهيم ، وكان ابراهيم قد أنزل ولده اسماعيل مع أمه هاجر بمكة المكرمة وشيد البيت الحرام فكثر نسله هناك وعنه تفرع أنساب العرب ، لذلك نسب اليه أهل الحجاز أولا ثم انتشرت بطون عدنان في تهامة ونجد والعراق واليمن ، ومنهم قبائل عنزة الحالية الا قريشا فكانت بمكة وهي القبيلة التي ينتسب اليها الرسول (ص) . والعدنانيون هم النزاريون أو المعديون قيل لهم العرب المستعربة لانهم انضموا الى العرب العاربة من الامم المجاورة .

وكان القحطانيون الجنوبيون منافسين للعرب العدنانيين الشماليين ، وظلت الخصومة بينهما زمانا طويلا واكتسبت لغة الجنوب (اليمن وحضرموت وعمان) على مر الايام خصائص جعلتها تختلف عن لغة العدنانيين الشماليين . واستمرت هذه المنافسة بعد الاسلام بين الانصار وهم من أصل يمني جنوبي والمهاجرين وهم شماليون من قريش . وقد اشتهر القرشيون بفصاحتهم فسادت لهجتهم في الجاهلية اكثر انحاء شبه الجزيرة العربية ونزل القرآن

الشريف بلهجة قريش فكانت لهم السيطرة على مجرى التاريخ الاسلامي قرونا عدة (الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الاول) .

العرب البائدة : هم القبائل العربية القديمة التي بادت قبل الاسلام واشهرها : عاد بحضرموت ، وثمود بوادي الحجر ، وطسم وجديس باليمامة ، وجرهم بالحجاز ، ومنهم ايضا العمالقة وهم قدماء العرب الذين سكنوا شمال بلاد الحجاز مما يلي بلاد مصر ، والشاسو (الرعاة) المعروفون بالهكسوس الذين حكموا في مصر بين سنة ١٧٨٥ وسنة ١٥٨٠ ق.م. (انظر : عاد ، ثمود ، طسم وجديس ، جرهم ، عماليق ، عبيل ، حاضوراء ، هكسوس) . والعرب يعدون القبائل البائدة ساميين من نسل ارم اي اراميين الا العمالقة فيقولون انهم من نسل لاوذ بن سام اخي ارم (انظر « قبائل العرب البائدة » في الفصل الثاني ص ١١٦ و « القبائل الارامية والعرب البائدة » في الفصل الاول ص ٥٩) .

عربة : وردت هذه الكلمة في التوراة بمعنى الوادي الممتد من شمال فلسطين (جبل الشيخ) الى خليج العقبة وطوله حوالي ٢٥٠ ميلا بما فيه بحيرة الحولة وبحر الجليل والبحر الميت (يش ١٨ : ١٨ ؛ تث ١ : ١ و ٢ : ٨ ؛ حز ٤٧ : ٨) ، كما وردت كلمة عرباتي بمعنى ساكن العربة (٢ صم ٢٣ : ٣١ و ١ اخ ١١ : ٣٢) .

عرقة : مدينة فينيقية قديمة سكنتها عائلة كنعانية تعرف بالعرقيين تقع على بعد ١٢ ميلا شمال شرقي طرابلس و ٨٠ ميلا شمال صيدون وتعرف اطلالها اليوم باسمها القديم « تل عرقة » . وكانت عرقة من مراكز عبادة عشتروت الرئيسة . (تك ١٠ : ١٧ و ١ اخ ١ : ١٥) . والعرقيون سكان عرقة .

عشتاروت : الهة من الالهة الرئيسة التي كان يعبدها الكنعانيون وهي الهة القمر ورد ذكرها في التوراة فاشارت الى ان بني اسرائيل كانوا يعودون بين حين وآخر فيتركون الرب ويعبدونها ولعلها مرادفة للالهة عشتار البابلية (قض ١٢ : ١١ - ١٣ ؛ ١٧ ؛ ٣ : ٥ - ٧) .

عصيون جابر : ميناء في راس خليج العقبة على مقربة من بلدة ايلة (انظر ايلة) كانت آخر محطات الموسويين قبل وصولهم الى برية صين (عدد ٣٣ : ١٥ ؛ تث ٢ : ٨) . كانت ذات شأن في زمن سليمان حيث عمل فيها سفنا لممارسة الملاحة في البحر الاحمر (١ مل ٩ : ٢٦ - ٢٨ ؛ ٢ اخ ٨ : ١٧) . تكسرت فيها سفن يهوشافاط ٨٦٩ - ٨٤٨ ق.م. (١ مل ٢٢ : ٤٨) .

عفرون : هو ابن صوحر الحثي الذي اشترى منه ابراهيم الخليل حقل المكفيلة ومغارتها في حبرون (تك ٢٣ : ٨) - انظر حبرون ، ممرا ، اربع) .

عقرون : المدينة الشمالية من مدن الفلسطينيين الخمس (يش ١٣ : ٣) ويسمى موضعها اليوم « تل العاقر » عليه قرية صغيرة تبعد ١٢ ميلا عن

يافا الى الجنوب الشرقي . افتتحها سبط يهوذا هي وقراها وضياعها (يش ١٥ : ١١، ٤٥) . الا انها اعطيت لدان (يش ٩ : ٤٣) . ثم استردها الفلسطينيون (١ صم ٥ : ١٠) . وعاد فاخذها صموئيل منهم (١ صم ٧ : ١٤) الا انها رجعت بعد ذلك الى الفلسطينيين في زمن اخزيا ملك اسرائيل ، ٨٥٣ – ٨٥٢ ق.م.) (انظر الفلسطينيون) .

عكو : ميناء فينيقي قديم بشمال فلسطين هو عكا الحالية ، وهذه تقع على خليج باسمها في مواجهة حيفا على بعد ثمانية أميال شمالي جبل الكرمل ، سميت بتولمايس في أيام اليونانيين والرومانيين . كانت من الحصون الشهير التي لعبت دورا مهما في تاريخ الشرق الادنى فتحها العرب سنة ٦٣٨ م واحتلها الصليبيون ١١٠٤ – ١١٨٧ م ، ثم استعادها العرب سنة ١٢٩١ م ، وقد حاول نابوليون الاول افتتاحها فاخفق في مسعاه ورجع عنها مهزوما . احتلتها جيوش محمد علي المصرية (١٨٣٢ – ١٨٤٠ م .) استولت عليها بريطانيا (١٩١٨ – ١٩٤٨ م) . نص مشروع تقسيم فلسطين (١٩٤٨ م) علــى أن تؤول الى العرب لكن اغتصبها اليهود .

العمالقة : اسم قبائل من قدماء العرب ، هم اصل سائر العرب البائدة وهو اسم شملهم جميعا ، كانت مواطنها تمتد من حدود مصر فطور سيناء الى فلسطين، كان البابليون يطلقون عليهم اسم « ماليق »أو « مالوق » وأضاف اليها اليهــود لفظ (عم) بمعنى الشعب فقالوا (عم ماليق) أو (عم مالوق) ، فقال العــرب عماليق أو عمالقة ، وتؤيد التوراة ان (عماليق اول الشعوب) العرب الذين كانت مساكنهم تمتد من مصب النيل الى هيت الواقعة على الفرات (العدد – ٢٤ : ٢٠) وقد ورد في التوراة ان العمالقة من أبناء عيسو (تك ٣٦ : ١٥) وقد سكن عيسو في جبل سعير في أدوم (تك ٣٦ : ٨) . فتح العمالقة مصر باسم الشاسو (البدو أو الرعاة) ويسميهم اليونان « هكسوس » (أنظر الهكسوس) . والعمالقة هــم اقدم العرب زمانا لسانهم اللسان المضري الذي هو لسان كل العرب البائدة على حد قول أهل الاخبار ، ويذكر انهم كانوا امما كثيرة تفرقت في البلاد ، فكان منهم اهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام واهل مصر وكان [عمليق] جد العمالقة . وكان العمالقة اول شعب صدم الموسويين حينما خرجوا من مصر بزعامة موسى ثم بزعامة يشوع متجهين الى فلسطين ، وظلوا يحاربونهم ويكبدونهم خسائــر فادحة ، واوقعوا الرعب في نفوسهم (عد ١٤ : ٤٢ – ٤٥ ؛ خر ١٧ : ٨) ، ويتجلى حقد اليهود على العماليق فيما قاله النبي صموئيل لشاول أول ملك ظهر عنــد اليهود حول العمالقة : « والان فاسمع صوت كلام الرب . هكذا يقول رب الجنود اني افتقدت ما عمل عمليق باسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده مــن مصر . فالآن اذهب واضرب عماليق ، وحرموا كل ماله ، ولا تعف عنهم ، بــل اقتل رجلا وامراة ، طفلا ورضيعا ، بقرا وغنما ، جملا وحمارا » . (١ صم ١٥ : ٣) ويرجع النسابون بانساب العرب البائدة الى ارم وينسبون العماليق

الى أخيه لاوذ وهم في خلاف بذلك (انظر العرب البائدة) .

عمق السديم : انظر البحر الميت

عمورة : احدى مدن دائرة الاردن في عمق السديم (غور البحر الميت) ذكرت في التوراة في وصف تخوم ارض كنعان (تك ١٠ : ١٩) ، اختارها لوط هي وسدوم مسكنا لان الارض المحيطة بها كانت مخصبة ارض سقي كجنة الرب كارض مصر (تك ١٣ : ١٠) . انظر سدوم .

العموريون : انظر « هجرة العموريين الى الهلال الخصيب » (الفصل الاول)

عمون : مقاطعة جبلية في طرف البادية شرقي نهر الاردن كانت شمالي بلاد موآب وأرض جلعاد من ضمنها ، والعمونيون هم والموآبيون من نسل لوط ابن أخي ابراهيم (تك ١٩ : ٣٧) . كانوا يعبدون الاوثان ومن اشهر أصنامهم مؤلك (لا ١٨ : ٢١) ويسمى ايضا ملكوم (١ مل ١١ : ٥) وقد طردهم العموريون بزعامة ملكهم سيحون واستولوا على أراضيهم واتخذوا مدينة حشبون عاصمة لهم . ولما جاء الموسويون بقيادة موسى من مصر طلبوا من الملك سيحون السماح لهم بالمرور من اراضيه فرفض مما أدى الى نشوب حرب بينهما تغلب الموسويون فيها « فضربوه وبنيه وجميع قومه وأخذوا كل مدنه وحرموا من كل مدينة الرجال والنساء والاطفال لم يبقوا شاردا » (تث ٢ : ٢٢ — ٢٥) . (انظر حشبون ، جلعاد) .

عناقيون : ذرية عناق أبي أربع (يش ١٥ : ١٣ — ١٤ و ٢١ : ١١) الذي منه سميت حبرون قرية أربع وذريته بني عناق (عد ١٣ : ٢٢) . اشتهر العناقيون بطول قامتهم وبأسهم في الحرب ، كانت مساكنهم في حبرون وغزة وجت واشدود (يش ١١ : ٢٢) وصفوا في التوراة بجبابرة بني عناق (عد ١٣ : ٢٣) — (انظر حبرون وغزة وجت واشدود) .

عوج : ملك باشان (انظر باشان)

العيلاميون : اقوام أسسوا مستوطناتهم في أرض عيلام الايرانية الواقعة على الحدود الشرقية من جنوبي العراق وهي المنطقة التي يسميها العرب خوزستان . اقاموا احدى الحضارات الاولى المعروفة في تاريخ العالم القديم ، وكانت حاضرتهم مدينة السوس القديمة وقد كان لهذه الحضارة شأن في تطور حياة الانسان القديم . وتسمية عيلام وردت في التوراة وقد اطلقت على هذا الاقليم بمعنى « الارض العالية » ، وكان العيلاميون أعداء بلاد سومر التقليديين بسبب الحروب المستمرة بينهم وبين السومريين التي دامت زهاء الفي عام (انظر السوس) . وقد ورد في التوراة ما يشير الى أن كورلعومر ملك عيلام ومعه ثلاثة ملوك من المشرق منهم ملك شنعار (بابل) هاجموا بلاد كنعان في حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد الا انهم اضطروا الى التراجع (انظر سدوم) .

غـزة : أولى مدن الفلسطينيين الخمس من الجنوب تبعد ثلاثة أميال ع، ساحل البحر المتوسط وعشرة أميال الى الجنوب من أشقلون (عسقلان) (انظر أشقلون) ، وتعد هذه المدينة من أقدم مدن العالم سكنها أولا الكنعانيون (تـك ١٠ : ١٩) ثم استوطنها بعض العناقيين (يش ١٢ : ٢٢) . أعطيت ليهوذا (يش ١٥ : ٤٧) . وهناك فعل شمشون ما فعل من غرائب القوة الخارقة في مقاومـة الفلسطينيين (قض ١٣ ـ ١٦) وكانت غزة مركز عبادة داجون وبقيت هياكـل هذا الاله فيها حتى سنة ٤٠٠ م . افتتحها العرب سنة ٦٣٤ م وحكمها صـلاح الدين الايوبي سنة ١١٧٠ م . (انظر الفلسطينيون)

فاران : وردت في التوراة باسم برية فاران وقد اطلقت على جميع بريـة التيه التي تغلغل فيها الموسويون اربعين سنة حسب مآثر التوراة . تقع في شبه جزيرة سيناء في المنطقة التي تحدها برية شور وارض كنعان شمالا (انظر شور) ووادي العربة شرقا وبرية شور غربا ، تخرقها بعض السلاسل من الجبال الكلسية كما تخترقها ايضا فروع وادي العريش الذي يصب في البحر وقدسمي هذا الوادي باسم نهر مصر . وكان يعرف الجزء الشمالي من برية فاران الواقع على تخوم فلسطين ارض الجنوب او الجنوب (تك ١٢ : ٩ ؛ يش ١٠ : ٤٠ ؛ ١١ : ١٦) وفي هذا القسم تغرب ابراهيم واسحاق في بعض رحلاتهما . وقد ورد في التوراة ما يشير الى ان هاجر اتجهت مع ابنها اسماعيل الى برية فاران عندما طردتها ساراي (تك ٢١ : ٢١) وصارت هذه البرية فيما بعد مساكن بني اسماعيل (تك ١٦ : ٧)

فدان ـ ارام : دويلة من الدويلات الارامية التي اسست في الفرات الاوسط مركزها في حاران (حران) . وحران كانت موقعا تجاريا مهما وأزدهرت فيها الثقافة الارامية . وقد وردت « فدان ـ ارام » في التوراة خاصة بمناسبة نصح اسحق ليعقوب ابنه ان يذهب الى « فدان ـ آرام » لياخذ لنفسه زوجة من هناك من بنات عشيرته من بنات اخي امه رفقة وقد حذره من ان يأخذ زوجة من بنات كنعان (تك ٢٨ : ٢ ـ ٧ ؛ ٤٦ : ١٥) . وكلمة « فدان » مثل الفدان العربي وتعني الحقل والسهل .

الفرثيون : هم من الاقوام الآريه ظهروا في شمالي بلاد ايران في منتصـف القرن الثالث قبل الميلاد فتوغلوا جنوبا ثم غربا وقد تمكن زعيمهم المدعو «ارشاق» عام ٢٤٧ ق.م. من طرد السلوقيين من ايران واستقلاله في حكمها ، ثم تمكن أحد ملوكهم المدعو « منريدات » الاول من فتح العراق سنة ١٤١ ق.م. والاستيلاء على سلوقية عاصمة السلوقيين فيها . وقد استمرت حروب الفرثيين مـع السلوقيين في بلاد سورية ومن المدن التي سيطروا عليها تدمر في وسط صحراء الشام التي كانت مركزا مهما من مراكز القوافل التجارية بين الشرق والغرب . ثم بعد ان تعاظمت سلطة الرومان في الشرق بعد سقوط الدولة السلوقية انتقل الصراع من الفرثيين والسلوقيين الى الفرثيين والرومان وتزاحموا على طـرق التجارة والقوافل على الفرات وعبر الصحراء ، ومن اهم المعارك بينهما معركـة

حران عام ٥٢ ق.م. التي وقعت بين الطرفين في عهد يوليوس قيصر فتغلب الفرثيون فيها وأبادوا الجيش الروماني تقريبا عن بكرة أبيه . ومع ان الرومان تمكنوا من الوصول الى طيسفون في زمن تراجان (٦٨ — ١١٧ م) ولكن باءت كل محاولاتهم لفتح بلاد فارس بالفشل اذ كبد الفرثيون الرومان أفدح الخسائر بالارواح والاموال في المعارك التي دارت بينهما ومنها المعركة الشهيرة التي دارت رحاها في نصيبين . ثم أخذ الوهن يسري في قلب المملكة الفرثية نتيجة لمنازعات مستمرة بين الامراء الفرثيين انفسهم ازدادت شدتها حتى طوحت بالعرش الفرثي وحلت محلها سلالة فارسية ساسانية في البلاد بزعامة أردشير الفارسي الساساني عام ٢٢٧ ب.م. وورثت عن الدولة الفرثية جميع ممتلكاتها (انظر الساسانيون) .

فرزيون : جماعة من القبائل سكنوا بلادكنعان ورد ذكرهم مع الكنعانيين (تك ١٣ : ٧ ؛ ٣٤ : ٣٠) ذكروا أحيانا مع الرفائيين (يش ١٧ : ١٥) ومع قبائل أخرى (قض ٣ : ٥ ؛ ١ مل ٩ : ٢٠ ؛ ٢ أخ ٨ : ٧ ؛ عز ٩ : ١) .

الفريسيون : فرقة يهودية ظهرت في عهد المكابيين (انظر المكابيون) كان ينتمي اليها جمهرة العلماء ومعظم الكتبه وسواد الشعب وكانت لها أكثرية مقاعد السنهدرين (انظر السنهدرين). يؤمن منتسبوها بالقيامة وبالروح وبالملائكة وغرضهم المحافظة على الشريعة والتمسك بها مع التقاليد الحرفية التي كان يتناقلها الخلف عن السلف وكانوا يهتمون بدرس الشريعة وتفسيرها . على نقيض الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة ولا بالروح ولا بالملائكة وكانوا ينادون بوجوب فصل الدين عن الحكومة (أع ٢٣ : ٦ — ٨) . والفريسيون يناقضون الصدوقيين أيضا من حيث قبولهم بالاضافة الى التوراة الاوامر والاحكام والنواهي التي توارثوها عن الاسلاف والاشياء الخارجة عن الوحي . ولذلك غزرت عندهم الاساطير وانغمسوا في المظاهر الكاذبة والقشور (انظر الصدوقيون) . والفرقتان قاومتا السيد المسيح وورد ذكرهما في الاناجيل (عجاج نويهض) « بروتوكولات حكماء صهيون » م٢ ، ص ١٣٥ — ١٣٦) .

الفلسطينيون : انظر « هجرة الفلستينيين » في الفصل الاول ص ١٠١ .

فم الحيروث : موضع وقف عنده الموسويون في خروجهم من مصر قبل ان يعبروا بحر سوف (خر ١٤ : ٢ ؛ عد ٣٣ : ٧ — ٨)

فيثوم : هو اله الشمس لمدينة أون سميت مدينة المخازن التي سخر بقايا الهكسوس لبنائها باسمه وقد ورد ذكرها مع مدينة المخازن التي سميت بـ رعمسيس (خر ١ : ١١) انظر رعمسيس

الفينيقيون : انظر هجرة الكنعانيين في الفصل الاول ، ص ١٩ — ٢٨ .

قادش برنيع : موضع على تخم كنعان الجنوبي (تث ١ : ٢ ؛ تك ٢٠ : ١) في برية صين (عد ٢٠ : ١ ؛ ٢٧ : ١٤ ؛ ٣٣ : ٣٦ ؛ تث ٣٢ : ٥١) . مكث

الموسويون فيها عند خروجهم من مصر وارسلوا منها رجالا ليتجسسوا أرض كنعان (عدد ـ الاصحاح ١٣) ، واتخذوها مركزا كل مدة اقامتهم في البرية ومنها رحلوا الى أرض كنعان . وهناك موضع تاريخي آخر يسمى قادش أيضا يقع في الجليل عند منابع نهر العاصي (انظر قادش الجليل)

قادش الجليل : مدينة قديمة في شمال فلسطين في الجليل يعرف موضعها اليوم بقرية قادس ، تقع على بعد عشرة أميال شمالي صفد واربعة أميال الى الشمال الغربي من الحولة ، كانت قاعدة مهمة من مراكز الهكسوس الرئيسة (١٧٣٠ ـ ١٥٨٠ ق.م.) افتتحها « تحوطمس الثالث » ملك مصر (١٤٧٩ ـ ١٤٤٧ ق.م.) في حملته المشهورة على الشرق متعقبا فلول الهكسوس . وكانت قادش في جملة المدن التي استولى عليها الملك الاشوري « تجلاث بلاشر الثالث » (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق.م.) وسبى أهلها الى آشور وذلك في حملته على فلسطين

القحطانيون : هم بنو يعرب بن قحطان ؛ راس قبائل اليمن ، انقسموا بعد الاسلام الى حمير وغالبيتهم من الحضر وكهلان وأكثرهم رحل ومنهم قبائل طي هي اليوم قبائل شمر . وكان القحطانيون يكتبون بالحرف المسند ولغتهم الحميرية (انظر حمير) والقحطانيون على أقوال بعض النسابين هم العرب العاربة التي تمثل الطبقة الثانية من طبقات العرب بعد البائدة او العرب المستعربة التي تمثل الطبقة الثالثة على أقوال البعض الآخر . وهناك من عد العرب العاربة والعرب البائدة مصطلحين يؤديان معنى واحدا (انظر العدنانيون ، العرب البائدة) .

القراؤون : فرقة يهودية اسسها داود بن عنان وهو من علماء يهود العراق تناهض التلمود وتدعو للاكتفاء بالتوراة ، ظهرت في بغداد العباسية وفي فارس في القرن السادس للميلاد اشتهرت بالتزمت حول الطقوس والسبت ، لا تزال بقية هذه الشيعة قائمة اليوم في القرم ومنهم في اسرائيل الجزء المحتل من فلسطين .

قرطاجة : من ثغور المغرب الادنى تقع على شبه جزيرة صغيرة في خليج تونس قرب مدينة تونس الحديثة ، اسسها مستعمرون من صور الفينيقية في القرن التاسع وقيل في القرن الحادي عشر قبل الميلاد . وهناك فرضة ببلاد الاندلس على البحر المتوسط سميت قرطاجنة اتخذها القرطاجيون الفينيقيون قاعدة لتجارتهم في اسبانيا (انظر بحث قرطاجة في الفصل الاول ص ٢٣) .

قطنا : مدينة سورية قديمة كان قد اتخذها الهكسوس (١٧٨٥ ـ ١٥٨٠ ق.م.) عاصمة لهم وتعرف أطلالها اليوم باسم « المشرفية » في شمال شرقي مدينة حمص .

قيدار ـ هو ثاني أولاد اسماعيل بن ابراهيم (تك ٢٥ : ١٣) وهو اب لاشهر قبائل العرب وتسمى بلادهم قيدار أيضا ، وكانوا في الغالب رحاة من البدو يعيشون في خيام سود مع أن بعضهم كانوا متمدنين يسكنون المدن وهم الحضر . وكان بنو قيدار يتميزون ببسالتهم في الحرب وقد برعوا في الرمي بالقوس وقد

نكل بهم نبوخذنصر حين غـزا بـلادهم (أش ٢١ : ١٦ و ٤٢ : ١١ ؛ أر ٤٩ : ٢٨ ؛ نش ١ : ٥) .

القينيون : قبيلة عربية سكنت أرض مديان بين فلسطين وسيناء وشرقي خليج العقبة وكان يثرون حمو موسى قينيا وكان القينيون أصحا بالكنعانيين والعمالقة (انظر مدين) .

الكاشيون : قوم من الامم الهندو اوربية مواطنهم في اواسط جبال زاغروس في المنطقة المعروفة بلورستان في جنوب همدان وهم اخلاف الكوتيين (انظر الكوتيون) استغلوا ضعف البلاد البابلية وخلوها من ملك قوي وجيش مدافع بعد تراجع الحثيين عنها (انظر الحثيون) فاحتلوا مدينة بابل بقيادة زعيمهم «كنداش» واسسوا سلالة كاشية ورثت جميع ممتلكات الدولة البابلية القديمة في العراق . فبدأ حكمهم منذ اوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد وانتهى سنة ١١٦٢ عندما احتل العيلاميون بلاد بابل وقضوا على آخر ملوك الكاشيين البالغ عددهم ٣٦ ملكا ، وبذلك يكون الكاشيون قد حكموا ٣٣٣ سنة في العراق (١٥٩٥ — ١١٦٢ ق.م.) . وقد اقتبس الكاشيون حضارة البلاد البابلية ومع أنهم كانوا جفاة فقد وجدت لهم آثار فنية مهمة وقطع دقيقةالنحت والصياغة. وقد اشتهر بين ملوكهم الملك كوريكالزو الثاني (١٣٤٥ — ١٣٢٤ ق.م.) فأسس هذا الملك عاصمة جديدة في موضع عقرقوف الواقع على بعد ٢٥ كيلو مترا من غربي بغداد فقيل لها دور كوريكالزو اي مدينة كوريكالزو ، وقد اسفرت التنقيبات التي اجريت في هـذا الموضع بين سنتي ١٩٤٣ و ١٩٤٥ عن الكشف عن ثلاثة معابد وقصر والكشف عن صرح المدينة الزقورة الشاهقة القائمة حتى يومنا هذا على ارتفاع حوالي ١٧٠ قدما . وقد أشتهر الكاشيون بجنيهم للخيول وتربيتها ويعزى اليهم ادخـال الحصان الى العراق لاول مرة أو شيوع استعماله في عهدهم .

كالح : ثانية عواصم المملكة الآشورية (أولاها آشور) اسمها « كالحو » وردت في التوراة بصيغة كالح ، تعرف أطلالها محليا باسم نمرود ، تقع على الجانب الايسر من نهر دجلة على بعد حوالي ٣٢ كيلو مترا من جنوب شرقي بلدة الموصل . يعزى تأسيسها الى زمن الملك شيلمنصر الاول (١٢٧٤ — ١٢٤٥ ق.م.) وسعها آشور ناصربال الثاني عندما اتخذها عاصمة له عام ٨٧٩ ق.م. كشف المنقبون عن آثار كثيرة من قصور المدينة لا سيما قصر آشور ناصربال الثاني وهـي منحوتات وعاجيات صنعت محليا في نمرود باطرزة فنية بديعة منها تمثال للملك شيلمنصر الثالث منحرت نحتا دقيقا ومكتوب بموجز لاعماله . وكانت كالح وآشور اول مدينتين تعرضتا لهجوم البابليين والماذيين في عام ٦١٤ ق.م. اي قبل سقوط نينوى بعامين وعمهما الدمار بعد سقوط الدولة الاشوريـة (انظر نينوى ، الآشوريون)

كركميش : هي جرابلس الحالية مدينة في شمال سورية على الجانـب الغربي لنهر الفرات كانت أعظم مدينة من مدن الحيثيين بعد عاصمتهـم

« حاتوشاش » (بوغازكوي حاليا) حيث تمكنوا من تأسيس مملكة قوية في شمال سورية مركزها في كركميش دامت حوالي قرنين ونصف القرن (١٤٥٠ ــ ١٢٠٠ ق.م.) وقد سماها الرومانيون « كركيسيوم » . ثم حكمتها الانبراطورية الآشورية وظلت مركزا هاما للتجارة وفيها هزم فرعون نخو على يد الملك البابلي نبوخذنصر سنة ٦٠٥ ق.م. (إر ٤٦ : ١) .

كركوك : مدينة كبيرة من مدن العراق الرئيسة واعرقها في التاريخ هي مركز لواء باسمها ، تبعد عن بغداد ٢٨٨ كيلومترا شمالا ، وقد اشتهرت بمنابع النفط فيها منذ العصور القديمة . ويقوم القسم القديم من مدينة كركوك المسمى باسم « القلعة » فوق مستوطن اثري ورد اسمه في الالواح المستخرجة منه « ارابخا » . وكانت الالواح المكتشفة فيه يرتقي تاريخها الى منتصف الالف الثانية قبل الميلاد ويعتقد ان اقدم ذكر لاسم « ارابخ » يرتقي الى عهد حمورابي . وقد ذكرت المدينة في المصادر الاشورية بانها مركز لعبادة الاله « ادد » كما ورد اسم المدينة في بعض المصادر الاغريقية بصيغة « ارابخيوص » (Arrapkhias) . وقد ورد اسمها في المصادر الارامية بصيغة « كرخا ــ د ــ بيت سلوخ » أي مدينةالسلوقيين وقد ازدهرت في العهد السلوقي في العراق (٣١٢ ــ ١٣٥ ق.م.) حيث بنى فيها سلوقس سورا وانشأ فيها العمارات وجعلها مركز اقليم تابعالى ممكلته واستمرت في العهد الفرثي والساساني . وقد عثر في احدى محلات كركوك على مجموعة من الآثار يرجع زمنها الى عهد الحضارة السومرية من عصر فجر السلالات (٢٦٠٠ ق.م.) قوامها اسلحة وادوات من النحاس واواني من الفخار . كما عثر في جوار كركوك على آثار مدينة من عهود حضارة وادي الرافدين القديمة هي مدينة « نوزي » التي كانت مركزا للحوريين في الالف الثانية قبل الميلاد (انظر نوزي ، الحوريون) .

الكرمــل : سلسلة جبلية في الجليل في شمال فلسطين تمتد من ساحل البحر المتوسط جنوبي حيفا الى الجنوب الشرقي في الداخل . ويبلغ ارتفاع اعلى قمة في هذه السلسلة ١٧٤٠ قدما فوق سطح البحر ، كان الكرمل مأوى لعدد من الرهبان المتنسكين وتوجد فيه كثير من المغائر من جملتها مفارة ايليا .

الكلدانيون : انظر « الكلدانيون الاراميون يؤسسون الانبراطورية الكلدانية » في الفصل الاول ، ص ٩١ ــ ٩٥

الكوتيون : اقوام جبليون نزحوا من جبال زاغروس دام حكمهم في العراق زهاء القرن (٢٢١١ ــ ٢١٢٠ ق.م.) ، قضوا على الدولة الاكدية في نحو عام ٢٢١٢ ق.م. ، اقتبسوا اصول الحضارة السومرية الاكدية وتكلموا اللغة الاكدية وكتبوا بها اخبارهم وقد ذكر فريق من المؤرخين ان هؤلاء الكوتيين هم اسلاف الاكراد في شمال العراق . تغلب في آخر عهدهم اوتوهيكال امير اوروك وبذلك يبدأ الانبعاث السومري (العهد السومري الاخير)

كورش : انظر الاخمينيون

كوزان : انظر تل حلف

الكوشيون : نسبة الى كوش بكر حام وابو نمرود (تك ١٠ : ٦ – ٨) ١ أخ ١ : ٨ – ١٠ ؛ وقد سميت البلاد التي سكنها بعض نسل كوش باسمه وهي تشمل جنوبي مصر (حز ٢٩ : ١) وكان يطلق أحيانا اسم كوش على كل افريقيا كما كان يقرن ذكر كوش مع مصر وسبأ (اش ٢٠ : ٤ و ٤٣ : ٣ و ٤٥ : ١٤) . وقد تزوج موسى امراة كوشية (عد ١٢ : ١) .

كيش : المدينة السامية الشهيرة تعد من اقدم المدن السامية في جنوب العراق ، تعرف اطلالها بتلول الاحيمر ، وقد وصفت كونها اول مدينة انشئت بعد الطوفان ،تقع اطلالها على بعد حوالى ٢٥ كيلو مترا من شمال شرقي بلدة الحلة وزهاء خمسة عشر كيلومترا من شرقي بابل . كان هيكل (ايلبابا) اله الحرب وزوجته عشتار مع زقورة الهيكل من ضمن منشآت المدينة الرئيسة ، تمتد خرائب كيش الى مسافة حوالي ثمانية كيلومترات طولا وثلاثة كيلومترات عرضا .

لاوي : هو ابن يعقوب من امرأته ليئة (ثالث أبنائها) (تك ٣٥ : ٢٣) .

لخيش : مدينة العموريين قديما ، تقع في جنوب كنعان شمال شرقي مدينه غزة وتعرف اطلالها اليوم باسم « تل الدوير » ، ويرى البعض أن اطلالها في تل الحصى وهو التل الذي عثر فيه سنة ١٨٩١ م على كتابات تؤيد ذلك . كانت لخيش من أهم مدن الهكسوس في القرن السابع عشر قبل الميلاد ، اخذها يشوع « وضربها بحد السيف وكل نفس بها » (يش ١٠ : ٢٣) ، صارت من نصيب ملك يهوذا ، حصنها رحبعام ملك يهوذا (٩٣١ – ٩١٣ ق.م.) (٢ أخ ١١ : ٩) . اشتهرت لخيش في حملة سنحاريب ملك آشور سنة ٧٠١ ق.م. على مملكة يهوذا في عهد ملكها حزقيا (٧١٥ – ٦٨٦ ق.م.) ، فقد احتل سنحاريب في حملته هذه جميع المدن المحصنة التابعة لمملكة يهوذا باستثناء أورشليم واتخذ مقره في لخيش ، ومن هنا بعث الرسل للمفاوضة مع حزقيا في أورشليم بعد تطويقها وفرض حصارها . فبعث حزقيا بقول لسنحاريب انه قد اخطأ وانه على استعداد لتحمل كل ما يفرض عليه على أن يرجع سنحاريب عنه ، فكان من ملك آشور ان وضع على حزقيا ثلاثمائة وزنة من الفضة وثلاثين من الذهب (٢مل ١٨ : ١٣ – ١٦) .

لقمان : اسم لشخص ينتمي الى افخاذ قبيلة عاد العربية القديمة ورد ذكره في القرآن الكريم وفي الشعر الجاهلي وفي القصص ، ويذكر انه عمر طويلا فعد طليعة المعمرين (انظر عاد) ، وقد وصف بالحكيم : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » (سورة لقمان ٣١ ، آية ١٢) وضربوا به المثل في كثرة الاكل فقالوا : « اأكل من لقمان » وبالغ الناس في حكمته وفي عمله حتى زعم انه كان يدرك من الاشياء ما يعجز عن ادراكه الانسان السوي . وقد زعم بعض أهل الاخبار ان

لقمان بن عاد هو الذي بنى سد مأرب وان مأرب اسم قبيلة من عاد وقد سمي هذا الموضع باسمها .

لوحا الشهادة : هما اللوحان الحجريان اللذان نقشت عليهما الشريعة الموسوية هي كلمات العهد « الكلمات العشر » نزلت على موسى عندما كان فوق الجبل (جبل سيناء) ، وضع اللوحان في تابوت العهد (خر ٣٤ : ٢٧ ــ ٢٩ ، ٣١ : ١٨ ، ٣٢ : ١٥ ــ ١٦) انظر تابوت العهد .

ليديا : اقليم قديم كان يقع غربي الاناضول (تركيا) محاذيا لساحل البحر الايجي ، عاصمته سرديس في جوار بلدة ازمير التركية الحالية ، كان حلقة اتصال بين الشرق والغرب ثقافيا وتجاريا . كانت لليديا ثروة وحضارة راقية وقد وصلت الى قمة مجدها في عهد آخر ملوكها « كرويسوس » ، أدمجها الفرس الاخمينيون في انبراطوريتهم عندما انتصروا على الدولة الكلدانية واستولوا على مستعمراتها ، وكان ذلك سنة ٥٤٧ ق.م. حين هزم الملك واخذ اسيرا على يد كورش .

مارتو : التسمية السومرية للباديه السورية الغربية حيث مسارح العموريين البدو الرحل وهي نفس التسمية لاحد الهتهم (انظر العموريون ، ماري) .

مارة : موضع في برية شور وايثام على بعد ثلاثة أيام من موضع عبور الموسويين البحر كان فيها ينبوع مرجعله موسى عذبا (عد ٣٣ : ٨ و ٩ ؛ خر ١٥ : ٢٣ ــ ٢٥) .

ماري : عاصمة دولة « عمورو » السامية (مارتو) تقع اطلالها المعروفة باسم « تل الحريري » على الضفة الغربية من نهر الفرات على مسافة حوالي عشرة كيلو مترات من شمال بلدة « البو كمال » وهي المدينة العاشرة التي اسست بعد الطوفان . كانت مركزا لحضارة راقية عظم شانها في الالفين الثالثة والثانية قبل الميلاد . نقب فيها جورج برو الآثاري الفرنسي المعروف وكشف فيها عن اثار من حضارة وادي الرافدين من عصور ما قبل التاريخ ومن عصور فجر السلالات. ومن أهم الاثار التي اكتشفت فيها قصر عظيم يرجع الى القرن العشرين قبل الميلاد يحتوي على ٣٠٠ حجرة وقاعة واسعة سعة مساحته تربي على ١٥ دونما عراقيا عثر فيه على مجموعة من الالواح الاثرية يبلغ عددها حوالي ٢٤,٠٠٠ لوح .

مجان (اقليم) : هذه هي التسمية التي وردت في المصادر القديمة لمنطقة عمان الحالية الواقعة في الجزء الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية . ومن المهم انه عثر مؤخرا على موضع في اقليم عمان يسمى « ميجان » أو « مجان » يقع في المنطقة قرب الساحل (ساحل الخليج) بين عمان والبحرين في فم واد طويل يسمى « وادي شهبة » . وكانت تتمتع هذه المنطقة بحضارة بحرية قديمة حيث كانت حلقة الاتصال بين مصر ووادي الرافدين ووادي نهر السند . وجاء ذكر

مجان في المصادر المسمارية في أخبار الملوك الاكديين وبعض ملوك السلالات السومرية التي اعقبت العهد الاكدي ، فقد ذكر سرجون انه جلب سفنا من مجان الى ميناء عاصمته أكد وهذا يدل على اشتهار « مجان » بصناعة السفن والملاحة وتشير اخبار الدولة الاكدية الى غزو نرام سين حفيد سرجون لمجان حيث كان فيها مملكة يبدو على اسم ملكها « مانيئوم » انه من العرب الساميين . والارجح ان الطريق الذي سلكه هو طريق البحر من فم الفرات الى الخليج ومنه الى البحرين ثم الى مجان أو الطريق البري الموازي للخليج بطريق الكويت والاحساء . وكانت مجان مصدرا مهما للنحاس لسكان وادي الرافدين القدماء منذ عصور ما قبل التاريخ واستمرت كذلك في العهدالسومري والعهود التيأعقبته ، وتصفها الكتابات المسمارية بانها جبل النحاس . هذا ولا يزال النحاس موجودا الان في الجبل الاخضر الذي ينبغي ان يكون ضمن مجان وكان يمتاز هذا النوع من النحاس بكمية القصدير الذي يحتوي عليها . وقد اشتهرت مجان أيضا بحجر الديوريت الاسود المشهور ويرجح ان الديوريت الذي كان ملوك العراق القديم يستعملونه في صنع التماثيل والانصاب كان يجلب بالدرجة الاولى من مجان .

وقد ورد مع ذكر مجان اسم موضعين آخرين في المصادر المسمارية هما « ملوخا » و «دلمون » أو « تلمون » أما الاول فلم يعين موقعه بعد بوجه التاكيد ولعله قريب من مجان . وأما الثاني فهو التسمية لمنطقة البحرين الحالية (انظر دلمون) .

مجدو : مدينة كنعانية قديمة يرجع تاريخها الى منتصف الالف الرابعة قبل الميلاد ، افتتحها تحوطمس الثالث ملك مصر سنة ١٤٧٩ ق.م. في حملته المشهورة على الشرق متعقبا فلول الهكسوس في فلسطين وسورية ولبنان ، تعرف اطلالها اليوم بـ « تل المتسلم » الواقع الى الغرب من بلدة « بيت شان » .

مجدل جاد : مدينة كنعانية قديمة لم تزل تسمى مجدل وهي تبعد ميلين شرقي أشقلون ومحاطة بأشجار زيتون وحقول مزروعات ذكرت مع لخيش (انظر لخيش) ، وفي موضع المدينة تشاهد اليوم آثار اطلال قديمة ، منها اعمدة وحجارة منحوتة وغيرها (يش ١٥ : ٣٧) . وهناك مدينة اخرى باسم مجدل ايل تقع في جوار بحيرة الحولة وهي مدينة محصنة ، كما ان هناك مدينة ثالثة بهذا الاسم أيضا على تخوم مصر الشمالية تجاه فلسطين (إر ٤٤ : ١ ؛ ٤٦ : ١٤ ، حز ٣٠ : ٦) .

مديان أو مدين : احد أولاد ابراهيم من زوجته قطورة (تك ٢٥ : ١ ـ ٤) ، نسبت اليه أرض مديان التي ذكر بعضهم انها كانت تمتد من خليج العقبة الى موآب وطور سيناء ، وقال آخرون انها كانت تمتد من شبه جزيرة سيناء الى الفرات . كان شعبها يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر وكانوا برفقة الاسماعيليين (انظر الاسماعيليون) لما بيع يوسف لهم (تك ٣٧ : ٢٨ . وسكن

موسى مدة في مديان بعد هروبه من وجه فرعون لقتله مصريا (خر ٢ : ١١ ــ ١٥) وقد تزوج هناك من ابنة يثرون كاهن مديان (خر ٢ : ١٦ ــ ٢٢) الذي كان على ما يرجح موحدا ويعبد الله باسم « يهوه » وهو الاسم الذي عبد به اليهود الله . ويرجح البعض أن أصل اسم يهوه إله من آلهة البدو العرب الشماليين .

مردوخ بلادان : (ويدعى ايضا برودخ بلادان) الملك الكلداني (ملك القطر البحري) الذي حكم في بابل في الفترة من سنة ٧٢١ الى سنة ٧١١ ق.م.

المسند (خط) : انظر حمير .

المشنة : انظر التلمود .

معكة (أو ارام معكة) : مملكة ارامية صغيرة كانت تقع على تخم فلسطين الشمالي الشرقي ورد ذكرها في التوراة غيرمرة (٢ صم ١٠ : ٦ ؛ ١ أخ ١٩ : ٦ ، ٧).

معكيون : عشيرة كنعانية قديمة كانت تسكن شرقي الاردن (انظر رفائيون)

معين وسبا : التسمية العربية القديمة للمنطقة التي تشمل منطقة اليمن الحالية ، والشائع عند الاكثرية أن دولة معين كانت أول دولة ازدهرت حضارتها في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية وذلك في حدود ١٢٠٠ أو ١٣٠٠ ــ ٦٥٠ أو ٧٠٠ ق.م. ولكن بعض الباحثين يعينون بداية المملكة المعينية في الالف الثانية وحتى في الالف الثالثة قبل الميلاد . وقد وجد الباحثون في النقوش المعينية اسماء ٢٦ ملكا من ملوك معين . وكانت عاصمة الدولة المعينية « قرناو » وهي الآن في الموضع المسمى معين في الجزء الجنوبي من الجوف الى الشمال الشرقي من صنعاء . وقد ازدهرت دولة معين في جوف اليمن بين نجران وحضرموت وشملت في عهد ازدهارها جميع جنوب الجزيرة تقريبا وامتدت حتى الحجاز شمالا . وكان يسري نفوذها الى اجزاء الجزيرة الاخرى . وعلى الرغم من ان النقوش المعينية التي عثر عليها المنقبون ترجع الى بداية الالف الاولى قبل الميلاد غير ان دلائل ثابتة على انه كان للمعينيين القدماء علاقات واتصالات مع الاكديين والسومريين والبابليين والكنعانيين والعموريين ويرجع اتصالهم بالعراق الى عهد نرام سين الفاتح الاكدي المعروف ، وكان يجري هذا الاتصال واهمه تجاري عن طريق القوافل التي تتجه من اليمن شمالا بموازاة البحر الاحمر تقريبا عن طريق مكة والمدينة الى تيماء (انظر تيماء) ثم بطريق جبل شمر الى العراق (بلاد بابل) . وهناك طريق يتصل من مكة والمدينة بالبتراء يتشعب منه طريق في الشمال الى مصر وسورية ويصل الفرع الذاهب الى بلاد الشام الى البحر المتوسط في غزة .

اما اهل سبأ فكان موطنهم في جنوبي الجزيرة في الزاوية الجنوبية الغربية منها ، وكانت عاصمتهم الاخيرة « مأرب » (مريابة) تقع الى الشرق من صنعاء بحوالي ٦٠ ميلا . وكان الملوك السبئيون الاوائل يعاصرون المتأخرين من ملوك معين وان السبئيين ورثوا عن المعينيين مملكتهم وسلطانهم . وبلاد اليمن لم تشتهر

بالتجارة وحسب بل كانت قد اشتهرت ايضا بمشاريعها الزراعية المرتكزة على الارواء الاصطناعي فأقاموا السدود والخزانات مما ساعد على اعمار مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية وجعلها قابلة لسكنى البشر بمستوى عال من العيش ، وبذلك تكون حضارة اليمن شبيهة بالحضارات القديمة التي نشأت في وادي الرافدين وفي وادي النيل والتي ازدهرت على الري والزراعة ، هذا وقصة سد مارب وما اشتهر به أهل اليمن باعتنائهم في شؤون الري والزراعة يؤكد ذلك . وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير الى النعيم الذي كان يتمتع به أهل سبأ في قوله تعالى : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال . كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل » (انظر حمير) .

واقدم ذكر للسبئيين في المصادر المسمارية ورد في اخبار الملك الآشوري « تجلاث بلاشر » الثالث ٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق.م. حيث يذكر انه في السنة ٧٣٢ ق.م. اخذ جزية من الملكة شمسي (ملكة العرب) التي حنثت بيمين طاعتها ولكن رجع قومها السبئيون الى الطاعة ، وقد ذكر هذا الملك بعض القبائل والاقوام العربية ممن دفع له الجزية .

وموقع بلاد اليمن بين الحضارتين ـ حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل ـ كان اشبه بهمزة وصل بينهما ومما لاشك فيه ان تكون الجزيرة العربية قد تأثرت بهذين المركزين الحضاريين كما اتصلت الجزيرة بالهند وبحضارة وادي السند عن طريق البحر .

المكابيون : أسرة يهودية ظهرت في فلسطين في القرنين الثاني والاول قبل الميلاد تزعمت الثورة ضد محاولة السلوقيين (خاصة في عهد انطيوخوس الرابع) (ابيفان) (١٧٥ ـ ١٦٤ ق.م.) القضاء على اليهودية وارغام اليهود على الاخذ بالديانة الهيلينية الوثنية حيث دمر الهيكل واوقفت عبادة يهوه ، فكونت هذه الاسرة جيشا سريا في الجبال نظم على طريقة حرب العصابات وتمكنت من التغلب على الجيش السلوقي والحصول على حكم ذاتي في اورشليم كان يقوى احيانا ويتقلص احيانا اخرى حتى انتهى باستيلاء الرومان على سورية . وقد استمرت سلالة هذه الاسرة المكابية على رأس السلطة في ارض اليهودية ١٣٠ عاما وذلك بين عام ١٦٧ و ٣٦ ق.م. وقد تناول سفر المكابيين في آخر العهد القديم ببحث تاريخ القسم الاول من العصر المكابي . ويجمع الباحثون والمؤرخون على ان الوقائع التاريخية التي تناولها هذان السفران معترف بصحتها من حيث الخطوط الرئيسة العامة .

مكفيلة (مغارة) : حقل في حبرون كانت فيه المغارة التي اشتراها ابراهيم من عفرون الحثي لتكون مقبرة لاسرته (تك : الاصحاح ٢٣) ودفن فيها ابراهيم

(تك ٢٥ : ٩) وسارة (تك ٢٣ : ١٩) واسحاق ورفقة وليئة (تك ٤٩ : ٣١ ويعقوب (تك ٥٠ : ١٣) . وهذه المغارة تقع ضمن الحرم في الخليل . وقد اختلفت الاقوال في زمن اقامة هذا البناء فظن بعضهم انه من أيام داود وسليمان وغيرهم انه اقيم بعد السبي والبعض الاخر انه من ايام هيرودس .

ممرا : انظر حبرون .

ممفس : المدينة المصرية الشهيرة حاضرة مصر الشمالية تميزا لها من اختها الجنوبية « طيبة » . موقعها على شاطىء النيل الغربي على مسافة زهاء ١٤ ميلا جنو بالقاهرة اسسها الملك منا مؤسس السلالة الاولى (٣٤٠٠ — ٣٢٠٠ ق.م.) لتكون عاصمة المملكة الموحدة بالنظر لموقعها المسيطر على المنكتين الشمالية والجنوبية . وكانت يومئذ تعرف بالقلعة البيضاء ؛ ومن اسمائها « منف » وهو مختصر من اسم مركب كان لحي من أحيائها فغلب لشهرته وأصبح علما على المدينة كلها . وظلت منف عاصمة الملك ايام الدولة القديمة ، وحين غدت طيبة متمتعة بالزعامة على القطر المصري بعد نشوء الامبراطورية فيه في سنة ١٥٨٠ ق.م. أصبحت منف مركزا حربيا ففيها تدبر شؤون الحرب والدفاع وشؤون التموين وفيها مقر الجيش . وفيها يقيم الامراء ممن آلت اليهم ولاية العهد . فيمارسون هواياتهم الرياضية والعسكرية ويشرفون على الجيش ؛ وفيها يحتفل بمختلف الاعياد القومية وفيها يتوج الملوك . وعلى أطرافها الشمالية من شرقيّ النيل ضرب عمرو بن العاص فسطاطه حين دخل المسلمون . ثم نزلت بها المحن تباعا ، فلم يبق منها غير أطلالها من مختلف العصور حول قرية ميت رهينة (انظر طيبة) .

منسى : هو بكر يوسف لاسنات بنت فوطي فارع كاهن أون (تك ٤١ : ٥٢) .

موآب : مقاطعة يتاخمها العمونيون من الشمال والادوميون من الجنوب تقع في سهل مرتفع في شرقي البحر الميت ، تحده غربا سلسلة من الجبال وهو يصلح لرعي المواشي ، أول من سكنه الموآبيون وهم من نسل لوط ابن أخي ابراهيم (تك ١٩ : ٣٧) ، وكانت مساكنهم في « عار » . ولما حاول الموسويون المرور من بلادهم عند صعودهم من مصر عارضوهم الا انهم عادوا فأذنوا لهم أن يمروا بتخمهم الشرقي على ان يأخذوا منهم اثمان المأكول والمشروب فضة (تث ٢ : ٢٨ — ٢٩) . وفي عهد القضاة هاجمعجلون ملك موآبومعه العماليقالموسويين وبقوا في عبودية بني عمون ١٨ سنة حتى قتل عجلون (قض ٣ : ١٣ — ٣٠) . وقد استولى الملك داود على موآب ثم صارت الى اسرائيل بعد التقسيم ، وفي آخر عهد يورام ملك اسرائيل (٨٥٢ — ٨٤١ ق.م.) استقلت موآب في عهد ملكها ميشع الذي خلد انتصاراته على مسلة تعد من أهم مخلفات ذلك العصر . وتمتاز هذه المسلة في كونها تحمل كتابة تعد من أقدم لكتابات السامية .

موسى : هو النبي موسى تعترف بنبوته الديانات السماوية الثلاث ، وفي التوراة قصته الشهيرة حول رميه في النهر في طفولته ثم انتشال ابنة فرعون اياه من اليم . (انظر الفصل السادس ص ٢٧٤ ـ ٢٧٨)

مولك : إله من الآلهة التي كان يعبدها بنو عمون وقد ورد في التوراة مايشير الى ان اليهود تركوا الرب وعبدوا مولك رجس بني عمون (١ مل ١١ : ١ ـ ٨) .

الميتانيون : انظر الحوريون .

الميديون : جماعات من الاقوام الهندو اوربية كان موطنهم في القسم الشمالي الغربي من بلاد فارس الحالية وكانت بلادهم منقسمة الى امارات صغيرة هاجمها الملوك الاشوريون على التوالي من عهد شيلمنصر الثالث حتى عهد سرجون الثاني ، ثم ظهر احد امرائها الاشداء المدعو سياكسريس (٦٢٥ ـ ٥٩٣ ق.م.) فوحد الامارات تحت سيطرته واستولى على الاقاليم الآشورية شرقي الدجله ثم على عاصمتها نينوى سنة ٦١٢ ق.م. بالتعاون مع الكلدانيين (انظر الكلدانيون) ، كما انه استولى على بلاد أرمينية وايران الشرقية الا ان انتصاراته هذه لم تدم طويلا فلم تلبث امبراطوريته حتى استولى عليها قورش الاخميني واصبحت ميديا جزءا من الامبراطورية الفارسية سنة ٥٥٠ ق.م. وقورش هذا هو الذي فتح مدينة بابل سنة ٥٣٩ ق.م. وقضى على الدولة الكلدانيـة في العراق (انظر الاخمينيون) .

نابلس : انظر شكيم .

الناصرة : مدينة بشمال فلسطين اشتهرت بكونها وطن السيد المسيح مدة طفولته وصباه ، تبعد ١٤ ميلا عن بحر الجليل و ٦٦ ميلا عن اورشليم ، ذكرت ٢٩ مرة في العهد الجديد . ويذكر ياقوت ان اسم النصارى اشتق منها . هي اليوم مركز يحج اليه المسيحيون وبه أضرحة كثيرة وكنائس قديمة .

الناموسيون : وهم رجال القانون والفقه والشريعة اليهودية ولقد تكالبوا على الدنيا فانذرهم المسيح بالويلات بقوله : « الويل لكم يا علماء الناموس فانكم اخذتم المعرفة فلم تدخلوا أنتم والداخلين منعتموهم . » (لوقا ١١ : ٥٢) ومن هؤلاء فريق يعرف بالكتبة وكانوا هم والفريسيون على وئام حتى أن المسيح هددهم بالويلات لانهم يتمسكون بحرفية الشريعة لا بجوهرها وروحها . (متى ٢٣ : ٢٣) (انظر الفريسيون) .

النبط : انظر الانباط .

نبوبولصر : مؤسس السلالة البابلية لاخيرة أو المملكة الكلدانية تمكن بمساعدة ملك الميديين من الاستيلاء على عاصمة الاشوريين « نينوى » سنة

٦١٢ ق.م. بعد حملات شديدة ومقاومة عنيفة ، ثم حارب المصريين الذين كانوا قد بسطوا سلطانهم في سورية وفلسطين فغلبهم في معركة حاسمة بقيادة ابنه نبوخذنصر وقعت بين الجيشين في كركميش (جرابلس) سنة ٦٠٥ ق.م. وقد دام حكم نبوبولصر ٢١ عاما بين سنة ٦٢٦ وسنة ٦٠٥ ق.م. (انظر الكلدانيون).

نبوخذنصر : اشهر ملوك الدولة الكلدانية اخلف اباه الملك نبوبولصر في حكم دام ٤٣ سنة بين سنة ٦٠٥ و ٥٦٢ ق.م. قضاها في توسيع نفوذ مملكته وتعمير عاصمته بابل ومعابدها . وقد خاض نبوخذنصر معارك حاسمة حققت له ابعاد النفوذ المصري عن المناطق التي خضعت لسلطانه . ومن حملاته حملتاه على مملكة يهوذا في سنة ٥٩٧ ق.م. ثم في سنة ٥٨٦ ق.م. (انظر الكلدانيون) .

نبونيدس : هو آخر ملوك الدولة البابلية الكلدانية حكم ١٧ سنة بين سنة ٥٥٦ و ٥٣٩ ق.م. قضى آخر عشر سنوات منها في شمال الجزيرة العربية بعد أن تم له احتلال أهم مدنها تيماء والجوف ويثرب (المدينة المنورة) تاركا عاصمته بابل تحت حكم ابنه بلشازار حتى استولى قورش ملك فارس على بابل سنة ٥٣٩ ق.م. فقضى على مملكة بابل الكلدانية (انظر الكلدانيون) .

نفتالي : ابن يعقوب من بلهة جارية راحيل (ابنها الثاني) (تك ٣٠ : ٨ ؛ ٣٥ : ٢٥) .

« نوزي » : من المدن القديمة في منطقة كركوك كانت تعرف باسم «گاسور» ازدهرت في العهد الاكدي ثم استولى عليها الحوريون وهم أقوام نزحوا من موطنهم الاصلي « اورارتو » (ارمينية الحالية) فأسسوا مركزا مهما في شمال العراق وفي منطقة البليخ والخابور (خابور الفرات) في منتصف الالف الثانية قبل الميلاد وقد اندمج هؤلاء الحوريون بالشعب الاكدي السامي وغيروا اسم البلدة فسموها « نازي » . تعرف اطلال المدينة باسم « ويران شهر » أو « يورغان تپة » وتقع على بعد حوالي ثمانية اميال من جنوب شرقي كركوك . وقد نقبت فيها في عام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ بعثة مشتركة من المتحف العراقي والمدرسة الاميركية للابحاث الشرقية فوجدت نحو ٥٥٠ لوح من الطين ؛ واستؤنف التنقيب من سنة ١٩٢٧ الى ١٩٣١ من قبل جامعة هارفرد الاميركية فعثرت على بقايا بيوت سكنى خارج التل وعلى قصر ومعابد في التل ووجدت مجموعات اخرى من الواح الطين . وتوجد قرب اطلال « نوزي » تلول اثرية صغيرة معظمها يمثل مستوطنات من عصور ما قبل التاريخ ، منها تلاقادش الكبير وقادش الصغير .

نينوى : ثالثة عواصم المملكة الآشورية خلفت العاصمة القديمة « آشور » والعاصمة الثانية « كالح » المعروفة بنمرود الآن (انظر : آشور ، كالح) . تقع اطلالها على مسافة كيلومتر من الموصل على الجانب الايسر من نهر دجلة وهي

تشتمل على الموضعين المعروفين بالنبي يونس وتل قوينجق والسور الذي يحيط بالمدينة ، اسمها سومري الاصل وقد حافظت عليه في المصادر اليهودية (يونان ٣ : ٣) وفي المصادر العربية بصيغة نينوى . اتخذها الملك سرجون الثاني (٧٢١ — ٧٠٥ ق.م.) عاصمة له تاركا العاصمة الاشورية الثانية « كالح » ثم عاد فترك نينوى واسس عاصمته الجديدة التي اسسها في خرسباد . بلغت نينوى أوج ازدهارها في عهد الانبراطورية الاشورية الاخيرة أي خلال حكم سنحاريب وأسرحدون وآشور بانيبال ، ومن أهم آثارها قصر اسرحدون الواسع في موضع النبي يونس حيث جمع هذا العاهل عشرات الالوف من الالواح المكتوبة بشتى أنواع المعرفة والادب في مكتبة خاصة وقد عثر المنقبون البريطانيون على هذه المكتبة التي كشفت الكثير عن حضارة وادي الرافدين وتاريخه . تم الاستيلاء على المدينة على يد الجيوش الماذية والبابلية المتحالفة سنة ٦١٢ ق.م. ولم تقم للاشوريون قائمة بعد هذا الخراب .

الهكسوس : انظر هجرة القبائل العربية الى مصر في الفصل الاول ، ص ٧٣

هوراس (أفارس) — أسم المدينة التي انشاها الهكسوس في شمال الدلتا الشرقي لمصر واتخذوها عاصمة لهم ومنها كانوا يحكمون مصر الوسطى . كانت تسمى لدى الهكسوس « حات وعرت » (هوارس) ، ثم اطلق عليها اليونان اسم « تانيس » ، ثم أطلق عليها العرب الاسم الحالي « صان الحجر » حيث وجدت اخيرا اثار الملك شيشنق ، ويرى الخبراء أن مدينة رعمسيس التي بناها رعمسيس الثاني بعد طرد الهكسوس من البلاد بنيت في نفس موقع هوارس (انظر رعمسيس) .

(الدكتور باهور لبيب « الهيكسوس عاصمة ملكهم » المقتطف يونيو ١٩٤٢)

هود : انظر « عاد »

هيرودس : هو المعروف باسم هيرودس الكبير عينه الرومان على فلسطين بعد القضاء على المكابيين (انظر المكابيون) ، وهيرودس هذا أدومي الاصل أبوه أدومي وامه ابنة أحد الامراء العرب الانباط أختلط مع اليهود بصلة الزواج . وقد اتسم حكمه الذي دام ٣٣ عاما بين سنة ٣٧ و ٤ قبل الميلاد بالاستبداد والقساوة الوحشية . والمشهور عنه انه قام باعمال عمرانية واسعة أهمها بناء الهيكل من جديد استرضاء لليهود .

الهيروديون : طائفة سياسية من اليهود كانوا يميلون الى هيرودس لكي يقربهم من الرومان .

وادي ابن هنوم : يقع هذا الوادي جنوبي أورشليم وغربيها ورد ذكره في التوراة باسم « وادي هنوم » (يش ١٥ : ٨ ونح ١١ : ٣٠) .

وادي قدرون : يقع هذا الوادي شرقي مدينة أورشليم ومعنى وادي قدرون الوادي الاسود ويسمى أيضا « وادي يهوشافاط » وهو بين سور المدينة من الجانب الشرقي وجبل الزيتون . ويعرف اليوم باسم « ستي مريم » وقد ورد ذكره في التوراة عند ذكر هروب الملك داود من وجه ابنه ابشالوم (٢ صم ١٥ : ٢٣ ، ٣٠) .

ويران شهر : انظر « نوزي »

يافا : من اقدم المدن الكنعانية في فلسطين سماها قدماء المصريين « يابو » ، تقع على شاطيء البحر المتوسط على بعد ٣٥ ميلا الى الغرب الشمالي من أورشليم . كانت يافا ميناءا مهما فضلا عن كونها الفرضة الطبيعية لمدينة أورشليم ، فعن طريق ميناء يافا نقلت أخشاب أرز لبنان لبناء هيكل سليمان (٢ أخ ٢ : ١٦) . وكانت يافا من جملة المدن التي كان قد أحتلها تحوطمس الثالث (١٤٧٩ ــ ١٤٤٧ ق.م.) في حملته المشهورة على بلاد الشرق . ولا يزال يذكر أهل يافا قصة احتلالها وخلاصتها ان أحد قواد تحوطمس دعا أمير يافا الى وليمة أسكره فيها وقتله وبعث بمن نقل الى الاميرة بان زوجها قتل قائد الحملة وأنه في طريقه الى يافا مع ٥٠٠ كيس من الغنائم ففتحت أبواب المدينة لاستقبال زوجها مع الغنائم واذا بخمسمائة جندي مصري دخلوا المدينة واحتلوا حصنها . تبادلها المكابيون والسلوقيون . هدمها سپاسيان قائد حملة نيرون الرومانية سنة ٦٧ ــ ٦٨ م . أصبحت من ضمن الفتوحات العربية الاسلامية في القرن السابع الميلادي . استولى عليها الصليبيون في القرن الثاني عشر ثم استعادها العرب . دخلها نابوليون سنة ١٧٩٩ والبريطانيون في اعقاب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٧ .

يبنة أو يبنئيل : مدينة قديمة في جنوب فلسطين كانت تقع في أرض يهوذا (يش ١٥ : ١١ ؛ ٢ أخ ٢٦ : ٦) ، اشتهرت في حروب المكابيين ، وبعد خراب أورشليم سنة ٧٠ م أتخذها اليهود مقرا لمجلسهم الديني (السنهدرين) وهي لا تزال في موقعها الاصلي وتسمى بنفس اسمها القديم وعليها اليوم قرية تقع على بعد ١٣ ميلا من جنوب يافا وثلاثة أميال شرقي البحر .

اليبوسيون ــ انظر الملحق الاول « أورشليم في أقدم عصورها »

اليمن : انظر معين وسبأ

يساكر : ابن يعقوب من امرأته ليئة ، خامس ابنائها (تك ٣٠ : ١٨ ؛ ٣٥ : ٢٣)

اليطوريون : نسبة الى يطور احد ابناء اسماعيل (تك ٢٥ : ١٥ ؛ ١ أخ ١ : ٣١ و ٥ : ١٩) وهم من العرب كانوا يجاورون ارض النبط اجتاحوا في أواخر

القرن الاول قبل الميلاد مدن السواحل الفينيقية . ويطور اسم مقاطعة مخصبة ومأوها غزير كان اسمها على الصيغة اللاتينية « ايطورية » .

يعقوب : انظر اسرائيل

يهوذا : ابن يعقوب من امراته ليئة (رابع ابنائها) (تك ٢٩ : ٣٥) ، كان هو الذي اقترح على اخوته بيع يوسف لكي يخلصه من الموت (تك ٣٧ ــ ٢٨) . اشتق اسم يهود منه بعد الانفصال وتأسيس مملكة يهوذا (يش ١٥ : ١ ــ ١١) .

يورغان تپة : انظر نوزي

يوسف : ابن يعقوب من امراته راحيل ، ابنها الاول (تك ٣٥ : ٢٤)

يوسفوس : كاهن ومؤرخ يهودي عاش في القرن الاول للميلاد له عدة مؤلفات في تاريخ اليهود القديم (انظر الفصل السادس ص ٢٧٤ .

استـــدراكات

ظهرت لنا بعد طبع الكتاب وتنسيق صفحاته بعض النقاط اقتضى توضيحها استكمالا للبحث ، لذلك ندرج فيما يلي الاستدراكات حسب تسلسلها ، وقد الفتنا النظر اليها في مواقعها من الكتاب :

ـ ١ ـ

يضاف ما يلي الى ما بعد نهاية الفقرة المنتهية بكلمات (باسم الشخص تبركاً به) على ص ١٧٠ :

وتعترف التوراة بأن جماعة موسى عندما جاؤا الى كنعان أن أهل كنعان ومنهم ملك موآب المدعو (بالاق بن صفور) ومعهم شيوخ مديان أرسلوا رسلا الى بلعام بن عبور ، وهو نبيّ موحّد ، وطلبوا اليه ان يلعن قوم موسى فأوحى اليه الرب بعدم الاستجابة الى طلبهم ٠ وهذا النبي هو نبيّ كنعاني كان هو وشعبه يدينون بدين التوحيد ٠ كل ذلك يدل على أن دين التوحيد كان معروفاً عند الكنعانيين وكان بعض قبائلهم يمارسونه (انظر الاصحاح الثاني والعشرين من سفر العدد وما بعده) ٠

ـ ٢ ـ

يضاف ما يلي الى ما بعد نهاية الفقرة المنتهيـة بـكلمات (مشهورة عنـد الأراميين) على ص ٢٣٤ :

وعادة تسمية الأماكن بأسماء الأشخاص عادة قديمة مألوفة منذ أقـدم العصور ، وهي لا تزال متبعة حتى يومنا هذا ، وقد ورد في التوراة عدد من الأسماء الشخصية التي سميّت بها بعض الأماكن في فلسطين مثل بلعام (انظر بلعام) وصيدون ابن كنعان وكنعان (تك ١٠ : ١٥) وغيرها ٠

ـ ٣ ـ

يضـاف الى آخر الفقرة المنتهية بكلمات (باسم أسلافهم المزعومين) على ص ٢٨١ :

وفي ذلك يقول الكاتب الفرنسي جان لوي برنار :

« ونتحسس كل التحسس أن الأحبار قد اقتبسوا من تواريخ الاقطار التي جاسوا خلالها بعض الحكايات (فعبرنوا) كل المعلومات (اي جعلوها عبرانية بمعنى يهودية) • ولكن لماذا هذه اللصوصية من قبل الصهاينة ؟ الغرض منهـا تلفيق أكذب تاريخ للعالم يثير أعظم ضجة فيه • وكل ذلك لاختراع (ملفقة الشعب اليهودي المختار) »[1] •

— ٤ —

يضاف ما يلي الى آخر الفقـرة المنتهية ب (سبقت الاشارة إلى ذلك) على ص ٢٨٣ :

ومما يدل على أن الجماعة التي سخرها رعمسيس الثاني (١٣٠٠–١٢٧٣ ق•م •) لبناء مدينته المسماة باسمه « رعمسيس » وقد اعتبرت التوراة هـــذه الجماعة بني اسرائيل هي من بقايا الهكسوس وليس بني اسرائيل ، أن المدينة بنيت في موضع مدينة « افارس » (هوراس) عاصمة الهكسوس في مصر ، وبطبيعة الحال ان من بقي من الهكسوس في مصر لابد أن يكون قد تجمع في هذه المنطقة ذاتها فسخروا في بناء المدينة الجديدة في نفس المكان ، مع العلم ان المصريين كانوا يعتبرونهم بعد القضاء عى حكم الهكسوس في مصر مصدر خطر على الدولة •

— ٥ —

يضاف ما يلي الى آخر الفقرة المنتهية ب (الى هذا الرقم) على ص ٢٨٥ :
ويلاحظ أن التوراة تقدر عدد جماعة موسى « بست مئة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد » (خر ١٢ : ٣٧) ، وهذا من جملة المبالغات التي اختص بها كتبـة التوراة والتي لا يمكن أن يتقبلها العقل •

— ٦ —

يضاف ما يلي تتمـة للفقرة المنتهية ب (شمشون وغيره من الشـخصيات المقدسة) على ص ٢٩٩ :

ويكفي أن ننظر الى بعض أقوال التوراة ، مثل قولها بان الجماعة التي رافقت النبي موسى في خروجها من مصر بلغت « ست مئة ألف ماش من الرجال عدا الاولاد » (خر ١٢ : ٣٧) في حين أن الباحثين قدروا هذه الجماعة بستة آلاف أو سبعة آلاف نسمة فقط (حتي ، « تاريخ سورية » ، ص ١٧٩) ، لتكوين فكرة عن مدى مبالغات التوراة وأوصافها الخيالية الى الحد الذي لا يمكن أن يتصوره العقل •

---

(١) « اسطورة الشعب المختار » ، ترجمة الدكتور أكرم فاضل ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٦٩ ، ص ٢١

تضـاف الفقرات التالية الى ما بعـد الفقرة المنتهية بالكلمات (العربية تحيط بها من جميع أطرافها على ص ٣٠١) :

وقد يسأل سائل : أين مدونات الكنعانيين وآثارهم اذا كانت لهم حضارة ذات تراث عريق ؟ فلم يصلنا شيء مهم من كتاباتهم في حين أنه وصلتنا أطنان من الألواح الطينية الأثرية من سومر وبابل وآشور تحمل شرحاً مفصلا للغاتهم وحضاراتهم وثقافاتهم ، كما أن هناك أكداساً من لفائف البردي الأثرية وصلتنا من مصر زوّدتنا بمعلومات مفصلة عن نمط حياة المصريين السياسية والاجتماعية والدينية • وهذا سؤال وجيه قد يرد على ذهن القارىء نترك لعلمـاء الآثار الاجابة عليه ، ففيما يلي شرحهم كما ورد في كتاب كيللر « التوراة كتاريخ » (ص ١٩١ــ ١٩٢) اذ قال : « في حوالي بداية الألف الاخيرة (الألف الاولى) قبل الميـلاد (وهذا يصادف عهد داود وسليمان على وجه التقريب) هجر الكنعانيون الكتابة المسمارية ذات الزوايا كما هجروا استعمال الألواح الطينية السمجة ليحلو محلها اسلوباً أقل تعقيداً في الكتابة ، فكان عليهم حتى ذلك الزمن اتباع طريقة خدش النص في الطين الطري بقلم خاص ثم شيّه أو تجفيفه في الشمس ، وهي عملية بطيئة تستغرق بعض الوقت حتى تأخذ الحروف الضخمة طريقها للاعداد • لذلك أخذوا يميلون أكثر فأكثر الى استعمال نمط جديد من الكتابة على هيأة خطوط متموجة ، وهذا النمط هو الحروف الابجدية الهجائية الالفباء (الالفابيت) التي استعملها عمال المناجم الساميون في سيناء • انّ القلم والطين لم يعدا ملائمين لهذه الحروف الدائرية الملسة • وهكذا صار الكنعانيون يبحثون عن أدوات كتابيـة جديدة وهذه وجدوها في الالواح الطينية المشوية وفي الدواة (المحبرة) وفي الحبر • ويسمّي الآثاريون هذه الألواح اصغيرة التي تجري عليها الكتابة بالحبر سلسلة « اوستراسا » (Ostraca) • ثم حل محل هذه الألواح في حـالات خاصة استعمال رقوق البردي وهي أرق مادة للكتابة استخدمها العالم القديم •

ويـدل التقـرير المصري « وين ــ آمـون » (Wen-Amun) على كثرة الطلبات على هذه المـادة في الصادرات المصـرية ، فقـد تسلّم أمـير « بيبلوس » (جبيل) خمسمائة لفة من هذه الرقوق وهي تمتد طولا الى أكثر من ميل من ورق الكتابة • ولما كان مناخ فلسطين رطباً لكثرة سقوط الامطار في الشتاء فما أسرع مسح الحبر من سطح الألواح الطينية الصلبة ، اما ورق البردي فهو أسرع تعرضاً للتلف • ومما يبعث الى الأسى في نفوس الآثاريين والعلمـاء والمؤرخين جميعاً وهم متعطشون الى هذه المعلومات أن يكون مصير جميع الوثائق والمدونات الكنعانية الفقدان الكلّي لهذا السبب • هذا واذا أمكن الآثاريين أن يعثروا في مصر على كميات كبيرة من هذه اللقى الاثرية على حالتها الطبيعية فذلك ناجم عن وقوع هذه المواد في جوار الصحراء التي تتسم عادة بالطقس الجاف » •

ويرى الكاتب الفرنسي جان لوي برنار ان سليمان لم يكن يهودياً وانما كان آشوريا ، كان نائب الملك معيناً من الخارج ، وهو شلمانصر الذي (عبرنه)

اليهود فحولوا اسمه الى سليمان وقد اغتيل على يدهم • فيقول في بحث مطوّل :
« •• وبصورة عامة لعبت فلسطين دور نائب الملك التابع • ومهما أوغلنا في تاريخها القديم لا نجدها أبداً قد عاشت مستقلة ، وحتى في أيام داود ، الذي تولّى الحكم في القدس ، كانت تدور في الفلك المصري العملاق • وكل فرعون كان يعين نائباً له يختاره قطعاً من العنصر المحلي • والرومان قد حذوا حذو الفراعنة ، فان هيرودس مثلا كان من عنصر آخر ، كان أدومياً على حد تعبير العهد الجديد ، وهذا العنصر قاسى من كره اليهود له •

« وكان فرعون يعين في محميته (نائب الملك) ممن ليسوا من أهل المنطقة ، ثم يزوّجه امرأة من الطبقة الارستقراطية المصرية • وامتد هذا الاجراء حتى شمل الهاربين والخونة والمرتدين السياسيين وكذلك الرهائن من الامراء ، وكانوا ينشئونهم على الطريقة المصرية ويزوجونهم بالطريقة نفسها •

« وبهذا الخصوص أقول ان أفضل مثل يضرب دون نزاع هو مثل سليمان ففي عهده دخلت سطوة مصر العسكرية في دور الاضمحلال ، كما هي سطوة بابل • امّا الكوكب الذي توسط كبد السماء فهو الكوكب الآشوري ، فتحولت « نيابات الملك » التابعة من يد الى أخرى ، تحولت في فينيقية كما تحولت في فلسطين •

« وارجح كون سليمان سامياً ، كما كانوا ساميين اولئك الآشوريون المنحدرون من جبال زاغروس ، ومن صياصي القفقاس ومعهم شطر من الأكراد •• كل هؤلاء هبطوا الى ما بين النهرين ليخضعوها بعد أن دب في أوصالها الانحلال •• وقد تمثلوا لغتها وثقافتها ، والثقافات المسمّاة سامية نابعة من الجزيرة العربية القديمة المعنة في الحضارة ••• وسليمان من معدنهم ، فهو نصف عربي (وهذه حصته البابلية) وهو نصف كردي • وهذا يفسّر لنا الصداقة التي تربط سليمان بالملوك الفينيقيين الذين ساعدوه في بناء هيكله الذائع الصيت في القدس • ويفسّر لنا كذلك الحب الذي ستكرسه ملكة سبأ العربية للحكيم سليمان • ولو كان يهودياً لاستحالت هذه الصداقة ولاستحال هذا الحب الى كراهية وبغضاء ، لأن اليهود وهم أمشاج مختلطة كانوا منبوذين في العالم العربي • ولكن هذا السامي الكردي مرتبط روحياً بمصر اذا لم يكن هذا الارتباط سياسياً ، وقد تزوّج بأمرأة مصرية من طبقة روحية عليا تدين بديانة الالهة هاتور وتتكتم في ديانتها هذه ، وهاتور الهة سماوية ذات وجه أسود وان آية الشاعر الملك الرائعة هي « نشيد الانشاد »(٢) الذي هو عبارة عن غزل ديني كان سائداً آنذاك • وهو مصري قلباً وقالباً نبع خالص من الادب الصوفي المصري :(انا سوداء ولكنني جميلة) •

« واذا كان هذا الملك السامي الكردي قد استطاع ممارسة الدين الذي

---

(٢) نشيد الانشاد لسليمان هو أحد أسفار كتاب العهد القديم ، والتقليد اليهودي يشبّه علاقة الشعب المختار مع الهه بعلاقات الزوجة بزوجها ، وان دخول هذا السفر في الأسفار المقدّسة انما هو تجاوب مع هذه الصفات •

تكتنفه الخفايا والاسرار ـ وهو من أعلم أهل زمانه ـ فانه كان مديناً بهذا العلم لكاهنة مصرية من كهنة الالهة هاتور . وهذه الكاهنة تزوجها بدافع الطموح السياسي .. وتوّج كل هذا بمعاهدة مصرية ـ آشورية ، ففلسطين التي كانت حتى ذلك العهد محمية مصرية ، أصبحت في الواقع آشورية . وقد وافق فرعون على تعيين نائب للملك الآشوري على شريطة أن يرتبط بمصر عن طريق امـــرأة مصرية ، ونصيبه كنصيب أسلافه ..

« وعن طريق المرأة نقلت مصر بحيازتها على التقاليد الانسانية القـديمة امتيازاتها الروحية ، فعهدت بها الى أجانب من النخبة الممتازة . وقضية سليمان نطرحها كمثال .. ولاجل أن نحسن فهم ماهية هذه المنقولات علينا أن نناظر بين الملك سليمان (المعبرن) بصورة اعتباطية وبين شخصية اخرى هي شخصية الحبر الأعظم (يويا) (٣) (المعبرن) هو أيضاً بصورة كاذبة ، فسموه يوسف الذي باعه أخوته .. »(٤) ..

---

(٣) « يويا » هو سليمان الأول ، وارث الحكمة والعلوم السحرية المصرية ، كان أجنبياً وقد ظهر قبل أن يظهر اليهود على مسرح الأحداث .

(٤) « أسطورة الشعب المختار » ، ترجمة الدكتور أكرم فاضل ، ص ١١ـ١٩ .

فهرس الأعلام والأقوام

حرف الالف

حرف البـاء

حرف اليـاء

حـرف التـاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف السين

حـرف الشين

حـرف الصاد

حـرف الطـاء

حـرف العـين

حرف الغين

حرف الفاء

حـرف القاف

حـرف الكاف

حـرف اللام

حـرف الميم

حرف النون

حـرف الهاء

حــرف الواو

حــرف الياء

فهرس الأمكنة والمدن والبقاع

حـرف الالف

حـرف البـاء

حـرف التاء

حـرف الجيم

حـرف الحاء

حـرف الخاء

حـرف الدال

حـرف الراء

حرف الطاء

حرف العين

حــرف الغين

حرف الفاء

حــرف القاف

حــرف الكاف

حـرف اللام

حـرف الميم

حـرف النون

حـرف الهاء

حـرف الياء

كتب المؤلف المطبوعة

المطبوعات العربية :

١ – ري اراضي الخرج في نجد : تقرير فني حول مشاريع الري في نجد نشر في مكة المكرمة سنة ١٩٣٩ .

٢ – الري في العراق : طبع في مطبعة التفيض الاهلية ببغداد سنة ١٩٤٣ (نفـــد) .

٣ – المصادر عن ري العراق : كتاب جمع فيه المؤلف المصادر التي تبحث في شؤون الري في العراق ، ولخص محتوياتها ، وعلق عليها ، طبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٢ (نفـــد) .

٤ – وادي الفرات ومشروع الحبانية : الجزء الاول ، ومعه ١٨ خارطة و ١٥ تصويرا ، طبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٤ (نفد) .

٥ – وادي الفرات ومشروع سدة الهندية : الجزء الثاني ، ومعه ٢٢ خارطة و ٢٦ تصويرا . طبع في مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٤٥ (نفد) .

٦ – في ري العراق : الجزء الاول ، ومعه اطلس يضم ١٦ لوحة وخارطة ، طبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٥ .

٧ – تطور الري في العراق : ومعه ٢٨ لوحة بين تصوير وخارطة ، طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٩ .

٨ – مشروعات الري الكبرى – خزان هور الشويخة : طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٧ .

٩ – مشروعات الري الكبرى – خزان بحيرة الشارع : طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ٩٤٧ .

١٠ – مأساة هندسية او النهر المجهول : يبحث هذا الكتاب في منشأ النهر الذي حفره المتوكل في سامراء لايصال المياه الى المتوكلية وفي تطوره وتطور الامور الغامضة التي لابست هذا المشروع ولاسيما أسباب فشله ونتائج الفشل الخطيرة بالنسبة الى خطط انشاء العاصمة العباسية في سامراء طبع في مطبعة المعارف سنة ١٩٤٧ .

١١ـ ري سامراء في عهد الخلافة العباسية : كتاب يبحث في تاريخ سامراء وفي كل ما يتعلق بمشاريع الري القديمة في منطقة سامراء في عهد الخلافة العباسية ، طبع بجزئين الاول ومعه ٢٤ لوحة بين تصوير وخارطة والثاني ومعه ٣٤ لوحة بين تصوير وخارطة · طبع في مطبعة المعارف ببغداد في سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ·

١٢ـ خارطة بغداد قديما وحديثا : وضع الدكتور احمد سوسه والدكتور مصطفى جواد والاستاذ احمد حامد الصراف (منشورات المجمع العلمي العراقي ١٩٥١) ·

١٣ـ اطلس بغداد : (تاريخي وجغرافي طبع في مطابع مديرية المساحة العامة ببغداد سنة ١٩٥٢) ·

١٤ـ اطلس العراق الاداري : طبع في مطابع مديرية المساحة العامة ببغداد سنة ١٩٥٢ ·

١٥ـ اطلس العراق الحديث : طبع في مطابع المساحة العامة ببغداد سنة ١٩٥٣ ·

١٦ـ دليل خارطة بغداد قديما وحديثا : تأليف الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسه من مطبوعات المجمع العلمي العراقي طبع في مطبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد سنة ١٩٥٨ ·

١٧ـ العراق في الخوارط القديمة : من مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، طبع في مطبعة المساحة سنة ١٩٥٩ ·

١٨ـ الدليل الجغرافي العراقي : طبع في مطابع مديرية المساحة العامة ببغداد سنة ١٩٦٠ ·

١٩ـ مأساة الطيفية او صفحات من ذكريات الماضي : (رواية بـ ١٩٦ صفحة) مطبعة الاديب البغدادية سنة ١٩٦٣ ·

٢٠ـ فيضانات بغداد في التاريخ : بحث في تاريخ فيضانات انهر العراق وتأثيرها بالنسبة لمدينة بغداد والتدابير المتخذة للوقاية من خطر الغرق في مختلف عصور المدينة : في ثلاثة اجزاء مطبعة الاديب البغدادية (١٩٦٣ ــ ١٩٦٦)·

٢١ـ بغداد : كتاب مصور عن بغداد قديما وحديثا شارك المؤلف بصفته احد المساهمين في اعداده : طبع في مؤسسة رمزي للطباعة ١٩٦٩ ، نشرته نقابة المهندسين العراقية ·

٢٢ـ الري والحضارة في وادي الرافدين : الجزء الاول ، مطبعة الاديب البغدادية سنة ١٩٦٩ ·

مؤلفاته بالانكليزية

1. *Handbook of Instructions for Discharge Observers in Iraq.* Compiled by the author and Mr. F.S. Blomfield. Printed at the Government Press, Baghdad 1932.

2. *The Capitulatory Regime of Turkey — Its History, Origin and Nature* : 401 Pages. The Johns Hopkins Press, Baltimore U.S.A., 1933.

3. *Iraqi Irrigation Handbook*, Part I. Iraqi State Railway Press. Baghdad 1944 (with 16 Plates in Portfolio).

4. *Irrigation in Iraq — Its History and Development*: Facts and Prospects in Iraq English Edition. The Commercial Press, Jerusalem, 1945.

5. *The Hindiyah Barrage*: Its History, Design and Function (With 16 maps and 22 illustrations): The Government Press, Baghdad, 1945.

6. *Atlas of Iraq*: Surveys Press, 1953.

7. *An Illustrated Handbook of Iraq or Iraq in Maps*: Surveys Press, Baghdad, 1962.

صدر عن :

العربي للاعلان والطباعة والنشر

أ ـ المؤلفات الصادرة سابقا :

١ ـ من تاريخ المغتربين العرب لعام ١٩٦٦ لمؤلفه عقيد ا ٠ ح متقاعد حسن حده

٢ ـ من تاريخ المغتربين العرب لعام ١٩٧٢ لمؤلفه عقيد ا ٠ ح متقاعد حسن حده

٣ ـ العرب واليهود في التاريخ لعام ١٩٧٣ لمؤلفه الدكتور احمد سوسة

ب ـ المؤلفات التي ستصدر قريبا :

١ ـ المفسدون في الارض لمؤلفه سليمان ناجي

٢ ـ العرب واليهود في التاريخ لمؤلفه الدكتور احمد سوسة باللغات : الانكليزية والالمانية والاسبانية والفرنسية والبرتغالية ٠

٣ ـ من تاريخ المغتربين العرب في العالم مؤلفه العقيد ا ٠ ح حسن حدة باللغتين العربية والاسبانية ٠

دائما في خدمة الفكر العربي

العربي للاعلان والطباعة والنشر
دمشق ـ ص٠ب ٢٥٢١

تم طبع الكتاب على أوفست دار الاعتدال بدمشق - مرجه هاتف ٢٢٥٥٧٤
بلاكات الأوفست تحضير زنكوغراف مردان بدمشق هاتف ١١١٨٠٣